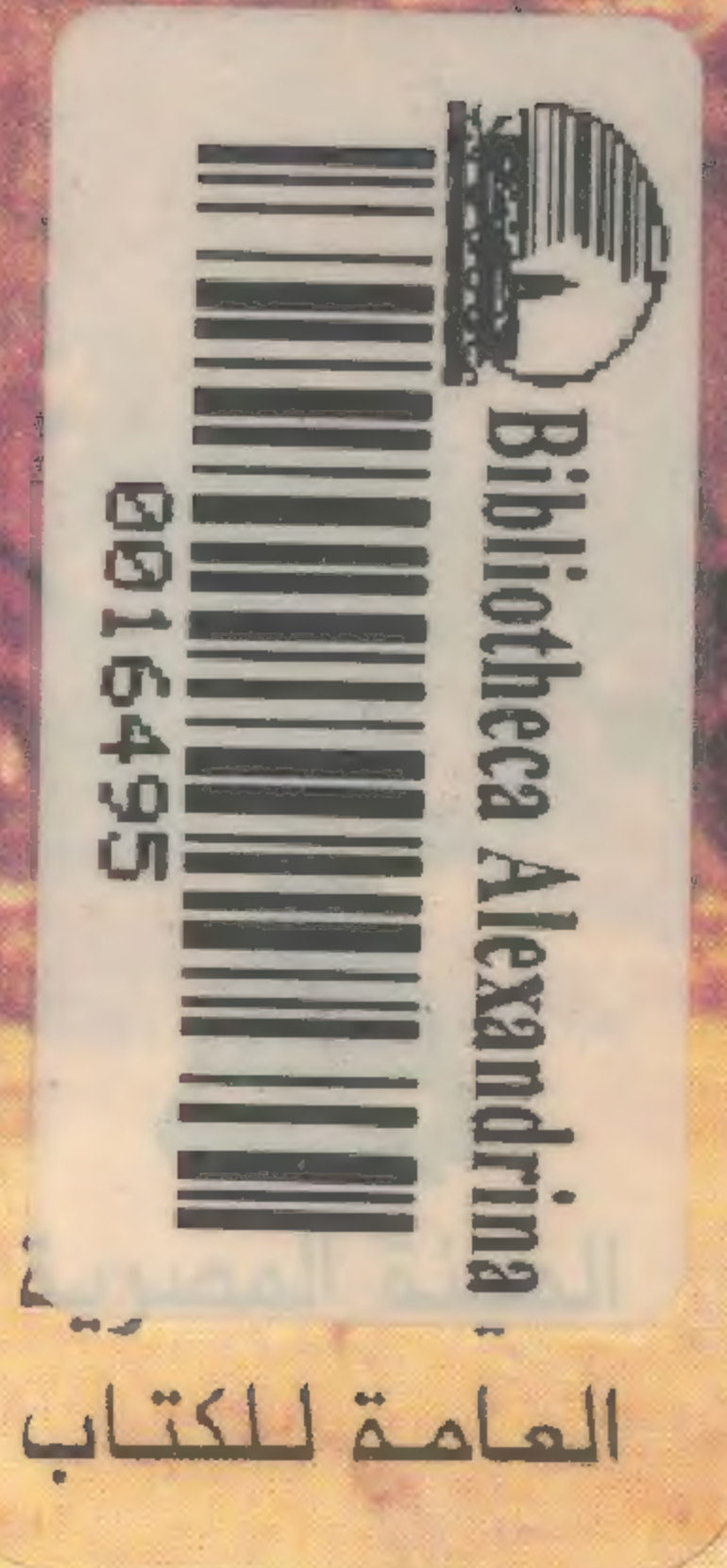


أحمد فريد رفاعي

عصر المأمون

الجزء الثاني



عَصْرُ الْمَأْمُونِ

الألف كتاب الثاني

الإشراف العام

د. سمير سرحان

رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير

أحمد صليحة

سكرتير التحرير

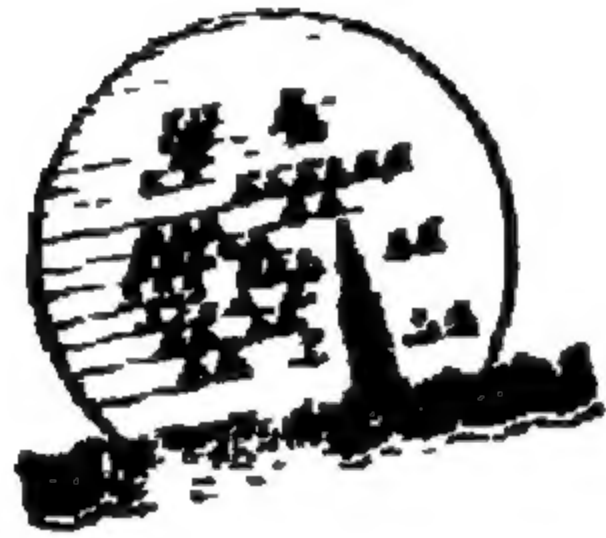
عزت عبدالعزيز

الإخراج الفني

علياء أبوشادي

عصر المأمون

الجزء الثاني



أحمد فريد رفاعي
General Organization of the National Library and Archives of Egypt
مكتبة مصر العامة

الطبعة الثانية



الهيئة المصرية العامة للكتاب
مكتبة مصر العامة

١٩٩٧

DL

الفهرس

الصفحة	الموضوع
	باب المتنور
٩	مشاورة المهدي لأهل بيته في حرب خراسان
٢٣	رسالة أبي الربيع محمد بن الليث التي كتبها للرشيده
٦٢	رسالة يحيى بن زياد في تقرير الرشيده
	كتب الرشيده
٦٨	كتاب عهد البيعة
٧٠	نسخة الشرط الذي كتب عبد الله بن أمير المؤمنين بخط يده
٧٢	نسخة كتاب الرشيده الى العمال
	باب المنظوم
٧٤	بشار بن برد العقيلي
٩٦	حماد عجرد
١٠٥	مروان بن أبي حفصة
١١٦	أبو دلالة
١٣١	ابان بن عبد الحميد اللاحقي
١٤٤	منصور النمرى
١٤٩	السيد الحميرى
١٥٧	سالم بن عمرو الخماس
١٦١	ربيعة الرقى
١٦٥	الرقاشى
١٦٦	أبو العتاهية
١٧٧	مسلم بن الوليد
١٩٤	العباس بن الأحنف

لبي رؤيت أنه لو يكتب
إنساه كتاب في يومه إلا قال: «في
غره: لو غير هذا لكاه أحسن ولو
زير كثر لكاه يستعس، ولو قرع
هذا لكاه أفضل، ولو ترك هذا لكاه
أجمل. وهذا من أعظم العبر وهو
وليل علي (عليه السلام) النقص علي جملة
البشر».

العصاة والأصفهاني

ملحق

الكتاب الثاني

باب المنشور

شرحنا لك فى المجلد الأول ما كانت عليه الكتابة فى عصر العباسيين من جودة اللفظ ، ومثانة الأسلوب ، وجلالة المعنى ، ووضوح القصد وبساطته . ووعدهناك بذكر طرف من رسائل القوم فى ذلك العصر الزاهى الزاهر ، وإليك ما وعدناك به :

١ - مشاورة المهدي لأهل بيته فى حرب خراسان

قال ابن عبد ربه فى العقد الفريد :

هذا ما تراجع فيه المهدي ووزراؤه وما دار بينهم من تدبير الراى فى حرب خراسان أيام تحاملت عليهم العمال وأعنفتم ، فحملتهم الدالة وما تقدم لهم من المكانة على أن نكثوا بيعتهم ، وتقضوا موثقهم ، وطرّدوا العمال ، والتّووا بما عليهم من الخراج ، وحمل المهدي ما يحب من مصلحتهم ويكره من عنيتهم على أن أقال عثرتهم ، واغتفر زلتهم ، واحتمل دالتهم ، تطولا بالفضل واتساعا بالعفو . وأخذ بالحجة ورفقا بالسياسة ، ولذلك لم يزل مده حملة الله أعباء الخلافة وقلده أمور الرعية رفيقا بمدار سلطانه ، بصيرا بأهل زمانه ، باسطا للمعدلة فى رعيته ، تسكن الى كنفه وتأنس بعفوه وتثق بحمله ، فاذا وقعت الأقضية اللازمة والحقوق الواجبة ، فليس عنده هواده ولا اغضاء ولا مدهانة ، أثرة للحق وقياما بالعدل وأخذ بالحزم ، فدعا أهل خراسان الاغترار بحمله والثقة بعفوه أن كسروا (١) الخراج وطرّدوا العمال وسألوا

(١) كسروا الخراج أى كفوا عن أدائه .

ما ليس لهم من الحق ، ثم خلطوا احتجاجا باعتذار ، وخصومة بإقرار ، وتنصلا باعتلال ، فلما انتهى ذلك الى المهدي خرج الى مجلس خلائه وبعث نفر من لحمته ووزرائه ، فأعلمهم الحال واستنصحهم للرعية ، ثم أمر الموالى بالابتداء ، وقال للعباس ابن محمد : أى عم ! تعقب قولنا وكن حكما بيننا ، وأرسل الى واديه موسى وهارون ، فأحضرهما الأمر وشاركهما فى رأى ، وأمر محمد بن الليث (١) بحفظ مراجعتهم ، وإثبات مقالتهن فى كتاب .

قال سلام (٢) صاحب المظالم :

أيها المهدي ، ان فى كل أمر غاية ، ولكل قوم صناعة ، استفرغت رأيهم ، واستغرقت أشغالهم ، واستنفدت أعمارهم ، وذهبوا بها وذهبت بهم ، وعرفوا بها وعرفت بهم ، ولهذه الأمور التى جعلتنا فيها غاية ، وطلبت معونتنا عليها أقوام من أبناء الحرب وساسة الأمور وقادة الجنود وفرسان الهزاهز (٣) وأخوان التجارب ، وأبطال الوقائع ، الذين رشحتهم سجالها ، وفيأتهم ظلالها ، وعضتهم شدائدنا ، وقرمهم نواجذها ، فلو عجمت ما قبلهم ، وكشفت ما عندهم ، لوجدت نظائر تؤيد أمرك ، وتجارب توافق نظرك ، وأحاديث تقوى قلبك ، فأما نحن معاشر عمالك ، وأصحاب دواوينك ، فحسن بنا وكثير منا أن نقوم بثقل ما حملتنا من عملك ، واستودعنا من أمانتك ، وشغلتنا به من أمضاء عدلك ، وإنفاذ حكمك ، وإظهار حقك .

فأجابه المهدي : ان فى كل قوم حكمة ، ولكل زمان سياسة ، وفى كل حال تدبيرا يبطل الآخر الأول ، ونحن أعلم بزماننا وتدبير سلطاننا .

قال : نعم أيها المهدي ، أنت متبع الرأى ، وثيق العقدة ، قوى المنة (٤) ، بليغ الفطنة ، معصوم النية ، محضور الروية ، ومؤيد البديهة ، موفق العزيمة ، معان بالظفر ، مهدي الى الخير ، ان هممت نفي عزمك مواقع الظن ، وان اجتمعت صدع فعلك ملتبس الشك ، فاعزم يهد الله الى الصواب قلبك ، وقل ينطق الله بالحق لسانك ، فان جنودك جمة ، وخزائنك عامرة ، ونفسك سخية ، وأمرك نافذ .

(١) هو ابن الليث بن نصير بن سيار . وكان أرسل المهدي إياه الليث لمحاربة المقتنع فلم يتمكن منه . وكان ابنه محمد هذا من كتاب المهدي ولم تعرفه سنة وفاته .

(٢) هو سلام بن الأبرش ، استعمله المنصور ثم تولى العقوبات فى أيام المهدي .

(٣) الهزاهز : تحريك البلايا والحروب فى الناس .

(٤) المنة . القوة .

فأجابه المهدي : إن المشاورة والمناظرة بابا رحمة ، ومفتاحا بركة ، لا يهلك
عليهما رأى ، ولا يتغيل (١) معهما حزم ، فأشيروا برأيكم ، وقولوا بما يحضركم ،
فانى من ورائكم ، وتوفيق الله من وراء ذلك .

قال الريس :

أيها المهدي ، ان تصاريف وجوه الرأى كثيرة ، وان الإشارة ببعض معاريف (٢)
القول يسيرة ، ولكن خراسان أرض بعيدة المسافة ، متراخية الشقة ، متفاوتة السبيل ،
فاذا ارتأيت من محكم التدبير ، ومبرم التقدير ، ولباب الصواب ، رأيا قد أحكمه
نظرك ، وقلبه تدبيرك ، فليس وراءه مذهب طاعن ، ولا دونه معلق لخصومة عائب ،
ثم أجبت البرد به ، وانطوت الرسل عليه ، كان بالحرى ألا يصل اليهم محكمه الا وقد
حدث منهم ما ينقضه ، فما أيسر أن ترجع اليك الرسل ، وترد عليك الكتب بحقائق
أخبارهم ، وشوارد آثارهم ، ومصادر أمورهم ، فتحدث رأيا غيره وتبتدع تدبيرا
سواه ، وقد انفرجت الحلق ، وتحللت العقدة ، واسترخى الحقاب (٣) ، وامتد الزمان ،
ثم لعلمنا موقع الآخرة كمصدر الأولى ، ولكن الرأى لك أيها المهدي - وفقك الله - أن
تصرف اجالة النظر ، وتقليب الفكر ، فيما جمعنا له ، واستشرتنا فيه من التدبير
لحربهم ، والحيل فى أمرهم ، الى الطلب لرجل ذى دين فاضل ، وعقل كامل ، وورع
واسع ، ليس موصوفا بهوى فى سواك ، ولا متهما فى أثره عليك ، ولا ظنينا (٤)
على دخلة مكروهة ، ولا منسوبيا الى بدعة محذورة ، فيقدح فى ملكك ، ويربض (٥)
الأمور لغيرك ، ثم تسند اليه أمورهم ، وتفوض اليه حربهم ، وتأمره فى عهدك ووصيتك
اياهم بلزوم أمرك ما لزمه الحزم ، وخلاف نهيك اذا خالفه الرأى عند استحالة الأمور ،
واشتداد الأحوال التى ينقض أمر الغائب عنها ، ويثبت رأى الشاهد لها ، فانه اذا
فعل ذلك فوائب أمرهم من قريب ، وسقط عنه ما يأتى من بعيد ، تمت الحيلة وقويت
المكيدة ، ونفذ العمل وأحد النظر ، ان شاء الله .

قال الفضل بن العباس :

أيها المهدي ، ان ولى الأمور وسائس الحروب ربما نحى جنوده ، وفرق أمواله
فى غير ما ضيق أمر حزبه ، ولا ضغطة حال اضطرتة ، فيقعد عند الحاجة اليها ،

(١) لا يتغيل : لا يضعف .

(٢) معاريف الكلام ما عرض به ولم يصرح وهى التورية بالشئ عن الشئ .

(٣) الحقاب : شئ تتخذه المرأة تعلق به معاليق الحلى تشده على وسطها .

(٤) ظنينا : متهما . وبخلة مكروهة : أى نية سيئة .

(٥) ربضه أى أثبته .

وبعد التفرقة لها عديما منها فاقدا لها ، لا يثق بقوة ، ولا يصول بعدة ، ولا يفرج
الى ثقة ، فالرأى لك أيها المهدي - وفقك الله - أن تعفى خزائنك من الانفاق للأموال ،
وجنودك من مكابدة الأسفار ، ومقارعة الأخطار ، وتغريز القتال ، ولا تسرع للقوم
في الإجابة الى ما يطلبون ، والعطاء لما يسألون . فيفسد عليك أديهم ، وتجريء من
رعيته غيرهم ، ولكن اغزهم بالحيلة ، وقاتلهم بالمكيدة ، وصارعهم باللين ، وخاتلهم
بالرفق ، وأبرق (١) لهم بالقول ، وأرعد نحوهم بالفعل وابتعث البعوث (٢) ، وجند
الجنود وكتب الكتائب ، واعقد الألوية ، وانصب الرايات ، وأظهر أنك موجه اليهم
الجيش مع أحنق قوادك عليهم ، وأسوئهم أثرا فيهم ، ثم ادسس الرسل ، وابتث
الكتب ، وضع بعضهم على طمع من وعدك ، وبعضا على خوف من وعيدك ، وأوقد بذلك
وأشباهه نيران التحاسد فيهم ، واغرس أشجار التنافس بينهم ، حتى تملأ القلوب
من الوحشة ، وتنطوى الصدور على البغضة ، ويدخل كلا من كل الحذر والهيبة ،
فإن سرام الظفر بالغيلة ، والقتال بالحيلة ، والمناسبة بالكتب ، والمكابدة بالرسل ،
والمقارعة بالكلام اللطيف المدخل في القلوب ، القوى الموقع من النفوس ، المعقود
بالحجج ، الموصول بالحيل ، المبني على اللين الذي يستميل القلوب ، ويسترق العقول
والآراء ، ويستميل الأهواء ، ويستدعي المواتاة ، أنفذ من القتال بظلمات السيوف
وأسنة الرماح ، كما أن الوالي الذي يستنزل طاعة رعيته بالحيل ، ويفرق كلمة عدوه
بالمكابدة ، أحكم عملا وألطف منظرا وأحسن سياسة من الذي لا ينال ذلك الا بالقتال ،
والاتلاف للأموال والتغريز والأخطار (٣) .

وليعلم المهدي أنه ان وجه لقتالهم رجلا لم يسر لقتالهم الا بجنود كثيفة ، تخرج
عن حال شديدة ، وتقدم على أسفار ضيقة ، وأموال متفرقة ، وقواد غششة ، ان
أثمنهم استنفدوا ماله ، وان استنصمهم كانوا عليه لا له .
قال المهدي : هذا رأى قد أسفر نوره ، وأبرق ضوؤه ، وتمثل صوابه للعيون ،
ومجد حقه في القلوب ، ولكن فوق كل ذى علم عليم ، ثم نظر الى ابنه على فقال :
ما تقول ؟

قال علي :

أيها المهدي ، ان أهل خراسان لم يخلعوا عن طاعتك ، ولم ينصبوا من دونك
أحدا يقدح في تغيير ملكك ، ويربض الأمور لفساد دولتك ، ولو فعلوا لكان الخطب

(١) أبرق وأرعد بمعنى تهدد وتوعد .

(٢) البعوث : الجيوش .

(٣) الأخطار : الاشراف على ملكة .

أيسر ، والشأن أصغر والحال أدل ، لأن الله مع حقه الذي لا يخذله ، وعند مواعده الذي لا يخلفه ، ولكنهم قوم من رعيتك ، وطائفة من شيعتك الذين جعلك الله عليهم واليا ، وجعل العدل بينك وبينهم حاكما ، طلبوا حقا ، وسألوا انصافا ، فان أجبت الى دعوتهم ونفست (١) عنهم قبل أن يتلاحم منهم حال ، أو يحدث من عندهم فتق ، أطعت أمر الرب ، وأطفاة نائرة (٢) الحرب ، ووفرت خزائن المال ، وطرحت تغرير القتال ، وحمل الناس محمل ذلك على طبيعة جودك ، وسجية حلمك ، وسجاح (٣) خليقتك ، ومعدلة نظرك ، فأمنت أن تنسب الى ضعف ، وأن يكون ذلك فيما بقي دربة ، وان منعتهم ما طلبوا ولم تجبهم الى ما سألوا ، اعتدلت بك وبهم الحال ، وساويتهم في ميدان الخطاب ، فما أرب المهدي أن يعمد الى طائفة من رعيتك ، مقرين بمملكته ، مذعنين لطاعته ، لا يخرجون أنفسهم عن قدرته ، ولا يبرئونها من عبوديته ، فيملكهم أنفسهم ويخلع نفسه عنهم ، ويقف على الحيل معهم ، ثم يجازيهم السوء في حد المنازعة ومضمار المخاطرة ، أيريد المهدي - وفقه الله - الأموال ؟ فلعمري لا ينالها ولا يظفر بها الا بانفاق أكثر منها ، مما يطلب منهم وأضعاف ما يدعى قبلهم ، ولو نالها فحملت اليه ، أو وضعت بخرائطها (٤) بين يديه ، ثم تجافى لهم عنها وطال عليهم بها ، لكان مما اليه ينسب وبه يعرف من الجود الذي طبعه الله عليه ، وجعل قرعة عينه ونهمة نفسه فيه ، فان قال المهدي : هذا رأى مستقيم سديد في أهل الخراج الذين شكوا ظلم عمالنا ، وتحامل ولاتنا ، فأما الجنود الذين نقضوا موافيق العهود ، وأنطقوا لسان الأرجاف (٥) وفتحوا باب المعصية ، وكسروا قيد الفتنة ، فقد ينبغي لهم أن أجعلهم نكالا لغيرهم وعظة لسراهم ، فيعلم المهدي أنه لو أتى بهم مغلولين في الحديد ، مقرنين في الأصفاد ، ثم اتسبح لحقن دماثهم عفوه ، ولاقاله عثرتهم صفحه ، واستبقاهم لما هم فيه من حزبه ، أو لمن بازائهم من عدوه ، لما كان بدعا من رأيه ، ولا مستنكرا من نظره ، لقد علمت العرب أنه أعظم الخلفاء والملوك عفوا ، وأشدما وقعا ، وأصدقها صولة ، وأنه لا يتعاضمه عفوا ، ولا يتكأده (٦) صفح ، وان عظم الذنب وجل الخطب ، فالرأى للمهدي - وفقه الله تعالى - أن يحل عقدة الغيظ بالرجاء لحسن ثواب الله في العفو عنهم ، وأن يذكر أولى حالاتهم وضيعة عيالاتهم ، برا بهم وتوسعا لهم ، فانهم اخوان دولته ، وأركان دعوته ، وأساس حقه الذين بعزتهم

(١) نفست عنهم : فرجت عنهم .

(٢) نائرة الحرب : ما اشتعل واتقد منها .

(٣) الاسجاح : مصدر أسجج الوالى . اذا أحسن العفو .

(٤) الخريطة : وعاء من ألم وغيره .

(٥) الأرجاف : مصدر أرجف القوم اذا خاضوا في أخبار الفتن على أن يوقعوا في الناس

الاضطراب من غير أن يصح عندهم شيء .

(٦) لا يتكأده : لا يشق عليه .

يُضول ، وبحجتهم يقول ، وانما مثلهم فيما دخلوا من مساخطه ، وتعرضوا له من معاصيه ، وانظروا فيه عن اجابته ، ومثله في قلة ما غير ذلك من رأيه فيهم ، أو نقل من حاله لهم ، أو تغير من نعمته بهم ، كمثّل رجلين أخوين متناصرين متآزرين ، أصاب أحدهما خيل عارض ، ولهو حادث ، قنھض الى أخيه بالأذى ، وتحامل عليه بالمكرهه ، فلم يزد أخوه الا رقة له ولطفاً به ، واحتيالاً لمداواة مرضه ومراجعة حاله ، عطفاً عليه وبراً ومرحمة له .

فقال المهدي : أما علي فقد كوى سميت اللبان ، وفض القلوب في أهل خراسان ، ولكل نبأ مستقر ، ثم قال : ما ترى يا أبا محمد ؟ يعني موسى ابنه .

فقال موسى :

أيها المهدي ، لا تسكن الى حلاوة ما يجري من القول على ألسنتهم ، وأنت ترى الدماء تسيل من خلل فعلهم ، الحال من القوم ينادى بمضمرة شر ، وخفية حقد ، قد جعلوا المعاذير عليها سترا ، واتخذوا العلل من دونها حجاباً ، رجاء أن يدافعوا الأيام بالتأخير ، والأمور بالتطويل ، فيكسروا حيل المهدي فيهم ، ويفنوا جنوده عنهم حتى يتلاحم أمرهم ، وتتلاحق مادتهم ، وتستفحل حربهم ، وتستمر الأمور بهم ، والمهدي من قولهم في حال غرة ولباس أمنة ، قد فتر لها وأنس وسكن اليها ، ولولا ما اجتمعت به قلوبهم ، وبردت عليه جلودهم من المناصبية بالقتال ، والاضمار للقراع عن داعية ضلال ، أو شيطان فساد ، لرهبوا عواقب أخبار الولاة ، وغب سكون الأمور ، فليشد المهدي - وفقه الله - أزره لهم ويكتب كتابه نحوهم ، وليضع الأمر على أشد ما يحضره فيهم ، وليوقن أنه لا يعطيهم خطة يريد بها صلاحهم الا كانت دربة الى فسادهم ، وقوة على معصيتهم ، وداعية الى عودتهم ، وسبباً لفساد من بحضرته من الجنود ، ومن ببابه من الوفود ، الذين ان أقرهم وتلك العادة ، وأجراهم على ذلك الأرب ، ولم يبرح في فتق حادث وخلاف حاضر ، لا يصلح عليه دين ، ولا تستقيم به دنيا ، وان طلب تغيّره بعد استحكام العادة ، واستمرار الدربة ، لم يصل الى ذلك الا بالعقوبة المفرطة ، والمؤونة الشديدة ، والرأى للمهدي وفقه الله - ألا يقل عثرتهم ، ولا يقبل معذرتهم ، حتى تطأهم الجيوش ، وتأخذهم السيوف ويستحربهم (١) القتل ، ويحرق بهم الموت ، ويحيط بهم البلاء ، ويطبق عليهم الذل ، فان فعل المهدي بهم ذلك ، كان مقطعة لكل عادة سوء فيهم ، وهزيمة لكل بادرة شر منهم ، واحتمال المهدي مؤونة غزوتهم هذه يضع عنه غزوات كثيرة ، ونفقات عظيمة .

(١) يستحرب : يشتد ويقوى .

قال المهدي : قد قال القوم فاحكم يا أبا الفضل .

فقال العباس بن محمد :

أيها المهدي :

أما الموالي فأخذوا بفروع الرأي ، وسلكوا جنبات الصواب ، وتعدوا أمورا قصر بنظرهم عنها أنه لم تأت تجاربهم عليها .

وأما الفضل فأشار بالأموال ألا تنفق ، والجنود ألا تفرق ، وبألا يعطى القوم ما طلبوا ، ولا يبذل لهم ما سألوا ، وجاء بأمر بين ذلك استصغارا لأمرهم واستهانة بحربهم ، وإنما يهيج جسيمات الأمور صغارها .

وأما علي فأشار باللين وإفراط الرفق ، وإذا جرد الوالي لمن غمط (١) أمره وسفه حقه ، اللين يحنأ والخير محض ، لم يخلطهما بشدة تعطف القلوب عن لينه ، ولا بشر يحبسهم إلى خيره ، فقد ملكهم الخلع لعذرهم (٢) ووسع لهم الفرجة لثنى أعناقهم ، فان أجابوا دعوته وقبلوا لينه من غير خوف اضطربهم ولا شدة ، فنزوة (٣) في رؤسهم يستدعون بها البلاء إلى أنفسهم ، ويستصرخون بها رأي المهدي فيهم ، وان لم يقبلوا دعوته ويسرعوا لإجابته باللين المحض والخير الصراح ، فذلك ما عليه الظن بهم والرأي فيهم ، وما قد يشبه أن يكون من مثلهم ، لأن الله تعالى خلق الجنة وجعل فيها من النعيم المقيم والملك الكبير ما لا يخطر على قلب بشر ولا تدركه الفكر ولا تعلمه نفس ، ثم دعا الناس إليها ورغبهم فيها ، فلولا أنه خلق نارا جعلها لهم رحمة يسوقهم بها إلى الجنة ، لما أجابوا ولا قبلوا .

وأما موسى فأشار بأن يعصبوا (٤) بشدة لا لين فيها ، وأن يرموا بشر لا خير معه ، وإذا أضمر الوالي لمن فارق طاعته ، وخالف جماعته ، الخوف مفردا ، والشر مجردا ، ليس معهما طمع ولا لين يثنى بهم ، اشتدت الأمور بهم ، وانقطعت الحال منهم إلى أحد أمرين : إما أن تدخلهم الحمية من الشدة ، والأنفة من الذلة ، والامتناع من القهر ، فيدعوهم ذلك إلى التمادي في الخلاف ، والاستبسال في القتال ، والاستسلام للموت ، وإما أن ينقادوا بالكره ، ويندعنوا بالقهر على بغضة لازمة ، وعداوة باقية ، تورث النفاق وتعقب الشقاق ، فإذا أمكنهم فرصة ، أو ثابت لهم قدرة ، أو قويت لهم حال ، عاد أمرهم إلى أصعب وأغلظ وأشد مما كان .

(١) غمط الأمر : ازدراء . وسفه حقه : امتننه ويخسه .

(٢) العذر جمع عذار .

(٣) النزوة : الوثوب إلى الشر .

(٤) عصب الشيء : لواء وشده .

وقال في قول الفضل :

أيها المهدي ، أكفى دليل ، وأوضح برهان ، وأبين خبر بان ، قد أجمع رأيه
وحزم نظره على الارشاد ببعثة الجيوش اليهم ، وتوجيه البعوث نحوهم ، مع اعطائهم
ما سألوا من الحق ، واجابتهم الى ما سألوه من العدل .

قال المهدي : ذلك رأي .

قال هارون :

ما خلطت الشدة أيها المهدي باللين ، وانتظم أمر الدنيا بالدين ، فصارت الشدة
أمر فظام (١) لما تكره ، وعاد اللين أهدي قائد الى ما تحب ، ولكن أرى غير ذلك .

قال المهدي :

لقد قلت قولا بديعا ، خالفت فيه أهل بيتك جميعا ، والمرء مؤتمن بما قال ،
وظنين (٢) بما ادعى حتى يأتي ببينة عادلة ، وحجة ظاهرة ، فاخرج عما قلت .
قال هارون :

أيها المهدي ، ان الحرب خدعة ، والأعاجم قوم مكررة ، وربما اعتدلت الحال بهم ،
واتفقت الأهواء منهم ، فكان باطن ما يسرون على ظاهر ما يعلنون ، وربما افتقرت
الحالان ، وخالف القلب اللسان ، فانطوى القلب على محجوبة تبطن ، واستسر
بمدخولة لا تعلن ، والطبيب الرفيق بطبه ، البصير بأمره ، العالم بمقدم يده وموضع
ميسمه (٣) ، لا يتعجل بالدواء ، حتى يقع على معرفة الداء ، فالرأي للمهدي
- وفقه الله - أن يفر باطن أمرهم فر (٤) المسنة ، ويمخض ظاهر حالهم مخض السقاء
بمتابعة الكتب ، ومظاهرة الرسل ، وهوالة العيون ، حتى تهتك حجب عيونهم ، وتكشف
أغذية أمورهم ، فان انفرجت الحال ، وأفضت الأمور به الى تغيير حال أو داعية
ضلال ، اشتملت الأهواء عليه ، وانقاد الرجال اليه ، وامتدت الأعناق نحوه بدين
يعتقدونه ، واثم يستحلونه ، عصبهم بشدة لا لين فيها ، ورماهم بعقوبة لا عفو معها ،
وان انفرجت العيون ، واهتصرت الستور ، ورفعت الحجب ، والحال فيهم مريعة ،
والأمور بهم معتدلة في أرزاق يطلبونها ، وأعمال ينكرونها ، وظلمات يدعونها ،
وحقوق يسألونها ، بمائة (٥) سابقتهم ، ودالة مناصحتهم ، فالرأي للمهدي

(١) الفظام هنا : القطع والاستئصال .

(٢) ظنين بما ادعى : متهم يدعواه .

(٣) الميسم : المكواة يوسم بها الحيوان .

(٤) فر الدابة : فتح فاهها وكشف عن أسنانها ينظر ما سنها . والسن من الدواب مأخذ

في الثامنة .

(٥) المائة (بتشديد وفتح التاء) الحرمة والوسيلة .

- وفقه الله - أن يتسع لهم بما طلبوا ، ويتجافى لهم عما كرهوا ، ويشعب من أمرهم ما ددعوا ، ويرتق من فتقهم ما قطعوا ، ويولى عليهم من أحبوا ، ويداوى بذلك مرضى قلوبهم ، وفساد أمورهم ، فانما المهدي ، وأمه ، وسواد مملكته ، بمنزلة الطبيب الرفيق ، والوالد الشفيق ، والراعي المجرب الذي يحتال لمرايض غنمه ، وضوال رعيته ، حتى يبرىء المريضة من داء علتها ويرد الصحيحة الى أنس جماعتها ، ثم ان خراسان بخاصة الدين ليم دالة محمولة ، ومائة مقبولة ، ووسيلة معروفة ، وحقوق واجبة ، لأنهم أيدي دولته ، وسيوف دعونه ، وأنصار حقه ، وأعوان عدله ، فليس من شأن المهدي الاضطغان عليهم ، ولا المؤاخذة لهم ، ولا التوغير (١) بهم ، ولا المكافاة بساءتهم ، لأن مبادرة حسم الامور ضعيفة قبل أن تقوى ، ومحاولة قطع الأصول ضئيلة قبل أن تغلظ ، أحزم في الرأي ، وأصح في التدبير من اتلأخير لها والتهاون بها ، حتى يلتئم قليلها بكثيرها ، وتجتمع أطرافها الى جمهورها .

قال المهدي : ما زال هارون يقع وقع الحيا حتى خرج خروج القدح من الماء ، وانسل انسلال السيف فيما ادعى ، فدعوا ما سبق موسى فيه أنه هو الرأي ، وثنى بعده هارون ، ولكن من لأعنة الخيل وسياسة الحرب وقادة الناس ان أمعن بهم الججاج ، وافرطت بهم الدالة ؟ .

قال صالح :

لسنا نبلغ أيها المهدي بدوام البحث وطول الفكر أدنى فراسة رأيك ، وبعض لحظات نظرك ، وليس ينقض عنك من بيوتات العرب ورجال العجم ذو دين فاضل ، ورأي كامل ، وتدبير قوى ، تقلده حريك ، وتستودعه جندك ، ممن يحتمل الأمانة العظيمة ، ويضطلع بالأعباء الثقيلة ، وأنت بحمد الله ميمون النقية (٢) ، مبارك العزيمة ، مخبور التجارب ، محمود العواقب ، معصوم العزم ، فليس يقع اختيارك ، ولا يقف نظرك على أحد توليه أمرك وتسند اليه ثغرك ، الا أراك الله ما تحب ، وجمع لك منه ما تريد .

قال المهدي : انى لأرجو ذلك لتقديم عادة الله فيه ، وحسن معاونته عليه ، ولكن أحب الموافقة على الرأي ، والاعتبار للمشاورة فى الأمر المهم .

(١) التوغير بهم : التشديد عليهم .

(٢) ميمون النقية : أى مبارك النفس ينجح فيما يحاول . ومخبور التجارب : خبير

بها .

أهل خراسان أيها المهدي ، قوم ذوو عزة ومنعة ، وشياطين خدعة ، زروع الحمية فيهم نابذة ، وملابس الأنفة عليهم ظاهرة ، فالروية عنهم عازبة (١) ، والعجلة فيهم حاضرة ، تسبق سيولهم مطرهم وسيوفهم عدلهم (٢) ، لأنهم بين سفلة لا يعدو مبلغ عقولهم منظر عيونهم ، وبين رؤساء لا يلجمون الا بشدة ، ولا يقطعون الا بالمر ، وان ولي المهدي عليهم وضيعا لم تنقذ له العظما ، وان ولي أمرهم شريفا تحامل على الضعفاء ، وان آخر المهدي أمرهم ، ودافع حربهم ، حتى يصيب لنفسه من حشمة ومواليه ، أو بنى عمه أو بنى أبيه ، ناصحا يتفق عليه أمرهم ، وثقة تجتمع له املاؤهم بلا أنفة تلزمهم ، ولا حمية تدخلهم ، ولا مصيبة تنفرهم ، تنفست الأيام بهم ، وتراخت الحال بأمرهم ، فدخل بذلك من الفساد الكبير ، والضياع العظيم ، ما لا يتلافاه صاحب هذه الصفة وان جد ، ولا يستصلحه وان جهد ، الا بعد دهر طويل ، شر كبير ، وليس المهدي - وفقه الله - فاطما عاداتهم ، ولا قارعا صفاتهم ، بمثل أحد رجلين لا ثالث لهما . ولا عدل في ذلك بهما :

أحدهما لسان ناطق موصول بسمعك ، ويد ممثلة لعينك ، وصخرة لا تززع ، وبهمة لا يثنى ، وبازل لا يفزعه صوت البجلجل ، نقى الغرض ، نزيه النفس ، جليل الخطر ، قد اتضعت الدنيا عن قدره ، وسما نحو الآخرة بهمته ، فجعل الغرض الأقصى لعينه نصبا ، والغرض الأدنى لقدمه موطئا ، فليس يقبل عملا ، ولا يتعدى أملا ، وهو رأس مواليك ، وأنصح بنى أبيك ، رجل قد غذى بلطيف كرامتك ، ونبت في ظل دولتك ، ونشأ على قوائم أدبك ، فان قلدته أمرهم ، وحملته ثقلهم ، وأسندت اليه ثغرهم ، كان قفلا فتحه أمرك ، وبابا أغلقه نهيك ، فجعل العدل عليه وعليهم أميرا ، والانصاف بينه وبينهم حاكما ، واذا حكم النصفة وسلك المعدلة ، فأعطاهم ما لهم وأخذ منهم ما عليهم ، غرس في الذي لك بين صدورهم ، وأسكن في السويدياء داخل قلوبهم ، طاعة راسخة العروق ، بأسقة الفروع ، متماثلة في حواشي عوامهم ، متمكنة من قلوب خواصهم ، فلا يبقى فيهم ريب الا نفوه ، ولا يلزمهم حق الا أدوه ، وهذا أحدهما .

والآخر عود من غيظتك ، ونبعة من أرومتك ، فتى السن كهل الحلم راجع العقل محمود الصرامة مأمون الخلاف ، يجرد فيهم سيفه ، ويبسط عليهم خيره بقدر

(١) العازب : الغائب .

(٢) العدل (بالفتح) اسم مصدر من العدل بمعنى اللوم ومنه المثل « سبق السيف العدل »

يضرب لما قد فات . . .

ما يستحقون ، وعلى حسب ما يستوجبون ، وهو فلان أيها المهدي ، فسلطه - أعزك الله - عليهم ، ووجهه بالجيوش اليهم ، ولا تمنعك ضراعة (١) سنه ، وحدائث مولده ، فان الحلم والثقة مع الحدائث ، خير من الشك والجهل مع الكهولة ، وانما أحداثكم أهل البيت فيما طبعكم الله عليه ، واختصكم به من مكارم الأخلاق ، ومحامد الفعال ، ومحاسن الأمور ، وصواب التدبير ، وصرامة الأنفس ، كفراخ عتاق (٢) الطير المحكمة لأخذ الصيد بلا تدريب ، والعارفة لوجوه النفع بلا تأديب ، فالحلم والعلم والعزم والحزم والجود والتؤدة والرفق ثابت في صدوركم ، مزروع في قلوبكم ، مستحكم لكم ، متكامل عندكم ، بطبائع لازمة ، وغرائز ثابتة .

قال معاوية بن عبد الله :

افتاء أهل بيتك أيها المهدي في الحلم على ما ذكر . وأهل خراسان في حال عز على ما وصف ، ولكن ان ولي المهدي عليهم رجلا ليس بتقديم الذكر في الجنود ، ولا بنبيه الصوت في الحروب ، ولا بطويل التجربة للأمور ، ولا بمعروف السياسة للجيوش والهيبة في الأعداء ، دخل ذلك أمران عظيمان وخطران مهولان ، أحدهما : ان الأعداء يفتمزونها منه ويحتقرونها فيه ، ويجترئون بها عليه في النهوض به والمقارعة له ، والخلاف عليه ، قبل الاختبار لأمره ، والتكشيف لحاله والعلم بطباعه . والآخر : أن الجنود التي يقود والجيوش التي يسوس اذا لم يختبروا منه البأس والنجدة ، ولم يعرفوه بالصيت والهيبة ، انكسرت شجاعاتهم ، وماتت نجاتهم ، واستأخرت طاعتهم الى حين اختبارهم ، ووقوع معرفتهم ، وربما وقع البوار قبل الاختبار ، وبباب المهدي - وفقه الله - رجل مهيب نبه حنيك صيت ، له نسب زاك وصوت عال ، قد قاد الجيوش وساس الحروب ، وقالف أهل خراسان واجتمعوا عليه بالقة ، ووثقوا به كل الثقة ، فلو ولاه المهدي أمرهم ، لكفاه الله شرهم .

قال المهدي : جانببت قصد الرمية ، وأبيت الا عصبية ، اذ رأي الحدث من أهل بيتنا ، كراى عشرة حلماء من غيرنا ، ولكن أين تركتم وبلى العهد .

قالوا :

لم يمنعنا من ذكره الا كونه شبيه جده ، ونسيج وحده ، ومن الدين وأهله ، بحيث يقصر القول عن أدنى فضله ، ولكن وجدنا الله عز وجل حجب عن خلقه ، وستر من

(١) ضراعة مئة : شبابه وحدائث سنه .

(٢) عتاق الطير : كرام الطير .

دون عباده علم ما تختلف به الأيام ، ومعرفة ما تجرى عليه المقادير ، من حوادث الأمور وريب المنون المخترمة لخوالى القرون ومواضى الملوك فكرهنا شسوعه (١) عن محلة الملك ودار السلطان ومقر الامامة والولاية وموضع المدائن والخزائن ، ومستقر الجنود ومعدن الجود ، ومجمع الأموال التى جعلها الله قطبا لدار الملك ومصيدة لقلوب الناس ومثابة لاخوان الطمع وثوار الفتن ، ودواعى البدع وفرسان الضلال وأبناء الموت . وقلنا : ان وجه المهدي ولى عهده فحدث فى جيوشه وجنوده ما قد حدث بجنود المرسل من قبله ، لم يستطع المهدي أن يعقبهم بغيره الا أن ينهد اليهم بنفسه ، وهذا خطر عظيم وهول شديد ، ان تنفست الأيام بمقامه ، واستدارت الحال بامامه ، حتى يقع عوض لا يستغنى عنه ، أو يحدث أمر لا بد منه ، صار ما بعده مما هو أعظم هولا وأجل خطرا تبعا وبه متصلا .

قال المهدي :

الخطب أيسر مما تذهبون اليه ، وعلى غير ما تصفون الأمر عليه ، نحن أهل البيت نجرى من أسباب القضايا ومواقع الأمور ، على سابق من العلم ومحتوم من الأمر ، قد أنبأت به الكتب ونبأت عليه الرسل ، وقد تناهى ذلك بأجمعه إلينا ، وتكامل بحذايره عندنا ، فبه ندبر وعلى الله نتوكل . انه لا بد لولى عهدي وولى عهد عقبى بعدى أن يقود الى خراسان البعوث ، ويتوجه نحوها بالجنود .

أما الأول فانه يقدم اليهم رسله ، ويعمل فيهم حيله ، ثم يخرج نشطا اليهم حنقا عليهم ، يريد ألا يدع أحدا من اخوان الفتن ودواعى البدع وفرسان الضلال ، الا توطئه بحر القتل وألبسه قناع القهر ، وقلده طوق الذل ، ولا أحد من الذين عملوا فى قص جناح الفتنة ، واخماد نار البدعة ، ونصرة ولاة الحق ، الا أجرى عليهم دبر فضله ، وجداول نهله ، فاذا خرج مزمعا مجمعا عليه ، لم يسر الا قليلا حتى تأتيه أن قد عملت حيله ، وكذحت (٢) كتبه ونفذت مكائده ، فهدأت نافرة القلوب ووقعت (٣) طائفة الأهواء ، واجتمع عليه المختلفون بالرضا ، فيميل نظرا لهم ، وإرا بهم ، وتعطفا عليهم ، الى عدو قد أخاف سبيلهم ، وقطع طريقهم ، ومنع حجاجهم . بيت الله الحرام ، وسلب تجارهم رزق الله الحلال .

وأما الآخر فانه يوجه اليهم ، ثم تعتقد له الحجة عليهم ، باعطاء ما يطلبون ، وبذل ما يسألون ، فاذا سمحت الفرق بقراباتها له ، وجنح أهل النواحي بأعناقهم

(١) شسوعه : ابتعاده .

(٢) سعت وبدأت حتى أثرت .

(٣) وقعت . طائفة الأهواء . خمد غضبها وسكن روعها .

نحوه ، فأصغت اليه الأفئدة ، واجتمعت له الكلمة ، وقدمت عليه الوفود قصد لأول ناحية نجعت بطاعتها وألفت بأزمته ، فألبسها جناح نعمته ، وأنزلها ظل كرامته ، وخصها بعظيم حبائه ، ثم عم الجماعة بالمعدلة ، وتعطف عليهم بالرحمة ، فلا تبقى فيهم ناحية دانية ولا فرقة قاصية ، الا دخلت عليها بركته ، ووصلت اليها منفعته ، فأغنى فقيرها ، وجبر كسيرها ، ورفع وضيعها ، وزاد رفيعها ما خلا ناحيتين ، ناحية يغلب عليها الشقاء ، وتستميلهم الأهواء ، فتستخف بدعوته ، وتبطل عن اجابته ، وتتأقل عن حقه ، فتكون آخر من يبعث وأبطأ من يوجه ، فيصطلي عليها موجدة ويبتنى لها علة ، لا يلبث أن يجد بحق يلزمهم وأمر يجب عليهم فتستلحمهم الجيوش ، وتأكلهم السيوف ، ويستحرم بهم القتل ، ويحيط بهم الأسر ويفنيهم التتبع ، حتى يخرب البلاد ، ويوتم الأولاد ، وناحية لا يبسط لهم أمانا ، ولا يقبل لهم عهدا ولا يجعل لهم ذمة ، لأنهم أول من فتح باب الفرقة ، وتدرع جلاب الفتنه ، وربض في شق العصا ، ولكنه يقتل أعلامهم ، ويأمر قوادهم ، ويطلب هزائهم في لجج البحار ، وقلل الجبال ، وخمل الأودية ، وبطون الأرض ، تقتيلا وتغليلا وتنكيلا ، حتى يدع الديار خرابا ، والنساء أيامى ، وهذا أمر لا نعرف له فى كتبنا وقتا ، ولا نصحح منه غير ما قلنا تفسيراً .

وأما موسى ولى عهدى فهذا أوان توجهه الى خراسان ، وحلوله بجرجان ، وما قضى الله له من الشخوص اليها ، والمقام فيها ، خير للمسلمين مغبة ، وله باذن الله عاقبة من المقام ، بحيث يغمر فى لجج بحورنا ، ومدافع سيولنا ، ومجامع أمواجنا ، فيتصاغر عظيم فضله ، ويتذاب (١) مشرق نوره ، ويتقلل كثير ما هو كائن منه ، فمن يصحبه من الوزراء ويختار له من الناس .

قال محمد بن الليث :

أيها المهدي : ان ولى عهدك أصبح لأمتك وأهل ملتك علما ، قد تثنت نحوه أعناقها ومدت سمته أبصارها ، وقد كان لقرب داره منك ، ومحل جواره لك ، عطل الحال غفل الأمر واسع العذر ، فأما اذا انفرد بنفسه وخلا بنظره وصار الى تدبيره ، فان من شأن العامة أن تتفقد (٢) مخارج رأيه ، وتستنصت لمواقع آثاره ، وتسأل عن حوادث أحواله فى بره ومرحمته واقسياسه ومعدلته وتدبيره وسياسته ووزرائه وأصحابه ، ثم يكون ما سيق اليهم أغلب عليهم وأملك (٣) الأمور بهم والزمها لقلوبهم ، وأشدّها استمالة لرأيهم وعطفا لأهوائهم ، فلا يفتأ المهدي - وفقه الله -

(١) يتذاب : يخبط .

(٢) تتفقد مخرج رأيه : أى تفحص عن وجوه رأيه وتدبيره .

(٣) أملك الأمور : اضبطها .

ناظروا له فيما يقوى عهده مملكته ، ويسدد أركان ولايته ، ويستجمع رضا أمته بأمر هو أزين لحاله وأظهر لجماله ، وأفضل مغبة لأمره ، وأجل موقعا فى قلوب رعيته ، وأحمد حالا فى نفوس أهل ملته ، ولا أدفع مع ذلك باستجماع الأهواء له ، وأبذل فى استعطاف القلوب عليه ، من مرحمة تظهر من فعله ، ومعدلة تنتشر عن أثره ومحبة للخير وأهله ، وأن يختار المهدي - وفقه الله - من خيار أهل كل بلدة ، وفقهاء أهل كل مصر ، أقواما تسكن اليهم العامة اذا ذكروا ، وتأنس الرعية بهم اذا وصفوا ، ثم تسهل لهم عمارة سبل الاحسان وفتح باب المعروف ، كما قد كان فتح له وسهل عليه .

قال المهدي : صدقت ونصحت ، ثم بعث فى ابنه موسى فقال :

أى بنى ، انك قد أصبحت لسمت (١) وجوه العامة نصبا ، ولثنى أعطاف (٢) الرعية غاية ، فحسنتك شاملة ، واساءتك نائية ، وأمرك ظاهر ، فعليك بتقوى الله وطاعته ، فاحتمل سخط الناس فيهما ، ولا تطلب رضاهم بخلافهما ، فان الله عز وجل كافيك من أسخطه عليك ايثارك رضاه ، وليس بكافيك من يسخطه عليك ايثارك رضا من سواه . ثم اعلم ان الله تعالى فى كل زمان فترة من رسله ، وبقايا من صفوة خلقه وخبايا لنصرة حقه ، يجدد حبل الاسلام بدعواهم ، ويشيد أركان الدين بنصرتهم ، ويتخذ لأولياء دينه أنصارا ، وعلى اقامة عدله أعوانا ، يسدون الخلل ويقيمون الميل ، ويدفعون عن الأرض الفساد ، وان أهل خراسان أصبحوا أيدي دولتنا ، وسيوف دعوتنا الذين نستدفع المكاره بطاعتهم ، ونستصرف نزول العظام بمناصحتهم ، وندافع ريب الزمان بعزائهم ، ونزاحم ركن الدهر ببصائرهم ، فهم عماد الأرض اذا أرجفت كنفها (٣) ، وخوف الأعداء اذا برزت صفحتها ، وحصون الرعية اذا تضايقت الحال بها ، قد مضت لهم وقائع صادقات ، ومواطن صالحات ، أخمدت نيران الفتن ، وقسمت دواعى البدع ، وأذلت رقاب الجبارين ولم ينفكوا كذلك ما جروا مع ريح دولتنا ، وأقاموا فى ظل دعوتنا ، واعتصموا بحبل طاعتنا ، التى أعز الله بها ذلتهم ورفع بها ضعتهم ، وجعلهم بها أربابا فى أقطار الأرض ، وملوكا على رقاب العالمين بعد لباس الذل ، وقناع الخوف ، واطباق البلاء ومحالفة الأسى ، وجهد البأس والضر ، فظاهر عليهم لباس كرامتك ، وأنزلهم فى حدائق نعمتك ، ثم اعرف لهم حق طاعتهم ، ووسيلة دالتهم ، ومائة سابقتهم ، وحرمة مناصحتهم ، بالاحسان اليهم ، والتوسعة عليهم ، والاثابة لحسنهم ، والاقالة لمسيئهم .

(١) انسمت : المذهب والفصد .

(٢) الأعطاف : جمع عطف وهو الجانب .

(٣) الكنف (بضمين) : جمع كنف ، وهو الجانب . وأرجفت ، زلزلت .

أى بنى ، تم عليك زعماء فاستدع رضاها بالعدل عليها ، واستجلب مودنها بالانصاف لها ، وتحسن بذلك لربك ، وتوثق به في عين رعيتك ، واجعل عمال العدو وولاة الحجج مقدمة بين عملك ، ونصفة منك لرعيتك ، وذلك أن تأمر قاضي كل بلد ، وخيار أهل كل مصر ، أن يختاروا لأنفسهم رجلا توليه أمرهم ، وتجعل العدل حاكما بينه وبينهم ، فإن أحسن حملت ، وإن أساء عذرت . هؤلاء عمال العذر وولاة الحجج ، فلا يسقطن عليك ما في ذلك إذا انتشر في الآفاق ، وسبق إلى الأسماع ، من انحقاد السنة المرجفين ، وكبت قلوب الحاسدين ، وإطفاء نيران الحروب ، وسلامة عواقب الأمور ، ولا ينفكن في ظل كرامتك نازلا ، ويعرى حيلك متعلقا رجلا : أحدهما كريمة (١) من كرائم رجالات العرب ، وأعلام بيوتات الشرف ، له أدب فاضل ، وحلم راجح ، ودين صحيح . والآخر له دين غير مخموز (٢) ، وموضع غير مدخول ، بصير بتقليب الكلام وتصريف الرأي وأنحاء العرب ووضع الكتب ، عالم بحالات الحروب وتصاريف الخطوب ، يضع آدابا نافعة وآثارا باقية ، من محاسنك وتحسين أمرك وتحلية ذكرك ، فتستشير في حربك ، وتدخله في أمرك ، فرجل أصبته كذلك فهو يأوى إلى محلتى ، ويرعى في خضرة جناني ، ولا تدع أن تختار لك من فقهاء البلدان ، وخيار الأمصار ، أقواما يكونون جيرانك وسمارك ، وأهل مشاورتك فيما تورد ، وأصحاب مناظرتك فيما تصدر . فسر على بركة الله أصحبك الله من عونته وتوفيقة دليلا يهدي إلى الصواب قلبك ، وهاديا ينطق بالخير لسانك . وكتب في شهر ربيع الآخر سنة سبعين ومائة ببغداد .

٢ - رسالة أبى الربيع محمد بن الليث التي كتبها للرشيد .

إلى قسطنطين ملك الروم

من عبد الله هارون أمير المؤمنين إلى قسطنطين عظيم الروم : سلام على من اتبع الهدى ، فإني أحمد الله الذي لا شريك معه ، ولا ولد له ، ولا اله غيره ، الذي تعالى عن شبه المحدودين بعظمته ، واحتجب دون المخلوقين بعزته ، فليست الأبصار بمدركة له ، ولا الأوهام بواقعة عليه ، انفرادا عن الأشياء أن يشبهها ، وتعالى أن يشبهه شيء منها ، وهو الواحد القهار ، الذي ارتفع عن مبالغ صفات القائلين ، ومذاهب لغات العالمين ، وفكر الملائكة المقربين ، فليس كمثله شيء ، وله كل شيء ، وهو على كل شيء قدير .

(١) الكريمة : صاحب الكرم . وكرائم الرجال : أخير رجال العرب وأحسنهم .
(٢) غير مخموز : غير مطعون : وغير مدخول . لا يداخله حساد .

أما بعد ، فإن الله جل ثناؤه وتباركت أسماؤه ، قال لنبيه صلى الله عليه وسلم فيما أنزل من آيات الوحي إليه : (ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة . وجادلهم بالتى هي أحسن ان ربك هو أعلم بهن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) . فرأى أمير المؤمنين من أحسن قوله وأفضل فعله ، أن يكون الى سبيل ربه داعيا ، وبرسوله صلى الله عليه وسلم متأسيا ، ولقوله : (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين) موافقا . وكنت من كتب الله المنزلة ، وآياته المفسرة ، وخلق الكثر بحيث رجا أمير المؤمنين استماعك لموعظته ، وانتفاعك بمجادلته انتفاع بشر كثير وخلق عظيم قد بؤت بأوزارهم مع وزرك ، واحتملت من آثامهم الى اثمك ، فأحب أن يدعوك ومن رجا أن ينتفع بدعوته معك ، الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا أربابا من دون الله ، فإن توليتم عن ذلك رغبة عنه ، أو تركتموه زهادة فيه ، فاشهدوا بأنا مسلمون . واستمعوا . ما أمير المؤمنين واصف لكم ، ومحتج به ان شاء الله عليكم ، بقلوب شاهدة وآذان واعية ، ثم اتبعوا أحسن ما تستمعون . ولا قوة الا بالله .

فان الله عز وجل يقول فيما أنزل من كتابه واقتص على عباده : (فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب) . ان الله تبارك اسمه وتعالى جده ، وصف فيما أنزل من آياته ، وشرح من بيناته ، الأمم الماضية ، والقرون الخالية ، والملل المتفرقة ، الذين يجعلون مع الله آلهة أخرى لا برهان لهم بها ، ولا حجة لهم فيها ، فقال : (ياهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلاً لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون) .

قالت العرب الذين يعبدون الملائكة وأهل الكتاب الذين يقولون ثالث ثلاثة . بأية آية يا محمد تزعم أن الله اله واحد ، فأنزل الله عز وجل فى ذلك آية تشهد لها العقول ، وتؤمن بها القلوب ، وتعرفها الألباب ، فلا تستطيع لها ردا ، ولا تطيق لها جحدا ، ذكر فيها اتصال خلقه واتفاق صنعه ، ليوقن الجاهلون من العرب ، والضالون من أهل الكتاب ، أن اله السماء والأرض ، وما بينهما من الهواء والخلق ، واحد لا شريك له ، خالق لا شئ معه ، فقال : (ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس) . فتفكر فى تفسير هذه الآية من كلام الرب عز وجل ، وما أوضح فيها من بيان الخلق ، فانه ما من مفكر ينظر فيما ذكر الله فيها مما بين السماء والأرض ، الا رأى من اتصال بعض ذلك ببعض ، مثل ما رأى فى تدبيره نفسه ، وعرف من اتصال خلقه ، فيما بين ذوائب شؤون رأسه الى أطراف أنامل قدمه . وفى ذلك أوضح آية وأبين دلالة ، على أن

الذى خلقه وصنعه اله واحد لا اله معه ، ولا من شيء ابتدعه ، ولا على مثال صنعه .
 قد ترون بعيونكم وتعلمون بعقولكم ، أن الله عز وجل خلق للأنام الأرض ، وجعلها
 موصولة بالخلق ، فليس يدحوها الا لهم ، ولا يديمها الا معهم ، وجعل ذلك الخلق
 متصلا بالنبت ، لا يقوم الا به ، ولا يصلح الا عليه . وجعل ذلك النبت الذى جعله
 متاعا لكم ومعاشا لأنعامكم ، متصلا بالماء الذى ينزل من السماء بقدر معلوم ، لمعاش
 مقسوم ، فليس ينجم النبت الا به ولا يحيا الا عنه . وجعل السحاب الذى يبسطه
 كيف يشاء متصلا بالرياح المسخرة فى جو السماء تثيره من حيث لا تعلمون ، وتسوقه
 وأنتم تنظرون ، كما قال عز وجل : (والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه
 الى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور) ووصل الرياح التى يصرفها
 فى جو السماء بما يؤثر فى خلق الهواء من الأزمنة التى لا تثبت الهواجر الا بثباتها ،
 ولا يزول عنه برد الا بزوالها ، ولولا ذلك لظل راكدا بالحر الميت ، أو مائلا (١)
 بالبرد المقاتل . ووصل الأزمنة التى جعلها متصرفة متلونة كمسير الشمس والقمر
 الدائبين لكم المختلفين بالليل والنهار عليكم . وجعل مسيرهما الذى لا تعرفون عدد
 السنين الا به ، ولا مواقع الحساب الا من قبله ، متصلا بدوران الفلك الذى فيه
 يسبحان ، وبه يأفلان ، ووصل مسير الفلك بالسماء للناظرين سواء . فهذا خلق الله
 عز وجل ، ما فيه تباين ولا تزايل ولا تفاوت ، كما قال سبحانه وتعالى : (ما ترى فى
 خلق الرحمن من تفاوت) . ولو كان لله شريك أو معه ظهير عليه ، يمسك منه
 ما يرسل ، ويرسل منه ما يمسك ، أو يؤخر شيئا من ذلك عن وقت زمانه ، أو
 يعجله قبل مجىء ابائه ، لتفاوت الخلق ، ولتباين الصنع ، ولفسدت السموات
 والأرض ، ولذهب كل اله بما خلق ، كما قال عز وجل - وكذب المبطلين - : (بل
 آتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله إذا للهب كل
 اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون) .

والعجب : كيف يصف مخلوق ربه ، أو يجعل معه الها غيره ، وهو يرى فيما
 ذكر الله من هذه الأشياء صنعة ظاهرة ، وحكمة بالغة ، وتأليفا متفقا ، وتدبرا متصلا ،
 من السماء والأرض ، لا يقوم بعضه الا ببعض ، متجليا بين يديه ، مائلا نصب عينيه ،
 يناديه الى صانعه ، ويدله على خالقه ، ويشهد له على وحدانيته ، ويهديه الى ربوبيته ،
 (فتعالى الله عما يشركون أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون) . حقا ما كرو
 هؤلاء الجاهلون بربهم الضالون عن أنفسهم ، فى خلق الله النظر ، ولا رجعوا كما قال
 الله عز وجل الفكر . ولو أعملوا فكرهم وأجهدوا نظرهم ، فيما تسمع آذانهم وترى
 أبصارهم ، من حوادث حالات الخلق ، وعجائب طبقات الصنع ، لوجدوا فى أقرب
 ما يرون بأعينهم : من التأليف لتركيب خلقهم ، والأثر فى التدبير بصنعهم ، ما يدلهم

(١) فى الأصل : « مائلا » .

على توحيد ربهم ، ويقف بهم على انفرادهم بخلقهم . فانهم يرون في أنفسهم بأعينهم ويجدون بقلوبهم ، أنها مخلوقة صنعة بعد صنعة ، ومجولة طبقة من طبقة ، ومنقولة حالا الى حال : سلاله من طين ، ثم نطفة من ماء مهين ، ثم علقه ، ثم مضطه ، ثم عظاما ، كساه الله عز وجل لحما ، ونفخ فيه روحا ، فاذا هو خلق آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين ، الذى خلق فى قرار مكين ، من ماء قليل ضعيف ذليل ، خلقا مسوره بتخطيط ، وقدره بتركيب ، وألفه بأجزاء متفقه ، وأعضاء متصلة ، من قدم الى ساق الى فخذ الى ما فوق ذلك : من مفاصل ما يعلن أو عجائب ما يبطن ، ليعلم الجاهلون ويوقن الجاحدون ، أن الذى صنع ذلك وخلقه ودبره وقدره وهيا ظاهره وباطنه اله واحد لا شريك معه . فلا يذهبن ذكر هذا صفحا عنكم ، ولا تسقط حكمته جهلا به عليكم . وفكروا فى آيات الرسل وبينات النذر ، فان غى ذلك فكرا للمبصرين ، وبصرا للمعتبرين ، وذكرى للعابدين ، والحمد لله رب العالمين .

وأمر المؤمنين واصف لكم ، ومقتص من ذلك ان شاء الله عليكم ، ما فيه شهادات واضحات ، وعلامات بينات ، ومبتدئ بذكر آيات نبينا صلى الله عليه وسلم فيما أنزل الله منها فى الوحى اليه ، فانه ما أحد يقرع بآيات النبوة قلبه ، ويحصن بينات الهدى عقله ، الا قاداته حتى يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم ، لا يجد الى انكار ما جاء به من الحق سبيلا . فأردت أن تكونوا على علم ومعرفة ويقين وثقة من أمر محمد صلى الله عليه وسلم وحقه ، وما أنزل اليه من ربه عز وجل . فاحضر كتاب أمير المؤمنين فمسك : وألق الى ما هو واصف ان شاء الله سمعك . ان الله عز وجل اصطفى الاسلام لنفسه ، واختار له رسلا من خلقه ، وابتعث كل رسول بلسان قومه ، ليبين لهم ما يتبعون ، ويعلمهم ما يجهلون : من توحيد الرب وشرائع الحق (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما) . فلم تزل رسل الله قائمة بأمره ، متوالية على حقه ، فى مواضى الدهور ، وخوالى القرون ، وطبقات الزمان ، يصدق آخرهم بنبوة أولهم ، ويصدق أولهم قول آخرهم ، ومفاتيح دعوتهم واحدة لا تختلف ، ومجامع ملتهم ملتمة لا تفترق ، حتى تناهت الولاية والوراثة التى بنى عيسى عليه السلام عليها وبشر بها ، الى النبي الأمى الذى انتخبه الله لوجيه ، واختاره بعلمه ، فلم يزل ينقله بالآباء الأخير ، والأمهات الطواهر ، أمة فامة ، وقرنا فقرنا ، حتى استخرجه الله فى خير أوان ، وأفضل زمان ، من أثبت محامد (١) أرومات (٢) البرية

(١) محامد : جمع محمّد ، وهو الأصل .

(٢) أرومات : جمع ارومة ، وهى الأصل .

أصلا ، وأعلى فوائب نبعات (١) العرب فرعا ، وأطيب منابت أعياص (٢) قريش
مغرسا ، وأرفع ذرى مجده بنى هاشم سميكا : محمد صلى الله عليه وسلم خيرها عند
الله وخلقها نفسا ، على حين أوحشت الأرض من أهل الاسلام والايمان ، وامتلات
الآفاق من عبدة الأصنام والأوثان ، واشتعلت البدع في الدين ، وأطبقت الظلم على
الناس أجمعين ، وصار الحق رسما عافيا ، خلقا باليا ، ميتا وسط أموات ، ما ان
يحسون للهدى صوتا يسمعون ، ولا للدين أثرا يتبعونه . فلم يزل صلى الله عليه
وسلم قائما بأمر الله الذي أنزل اليه ، يدعوهم الى توحيد الرب عز وجل ، ويحذرهم
عقوبات الشرك ، ويجادلهم بنور البرهان ، وآيات القرآن ، وعلامات الاسلام ، صابرا
على الأذى ، محتملا للمكروه ، قد ألهمه الله عز وجل أنه مظهر دينه ، ومعز تمكينه ،
وعاصمه ومستخلفه في الأرض ، فليس يشيه ريب ، ولا يلويه هيب ، ولا يعنيه أذى ،
حتى اذا قهرت البيئات ألبابهم ، وبهرت الآيات أبصارهم ، وخضم نور الحق حجتهم ،
فلم (٣) تمتنع القلوب من المعرفة بدون صدقه ، ولم تجد العقول سبيلا الى دفع حقه .
وهم على ذلك مكذبون بأفواههم ، وجاحدون بأقوالهم ، كما قال الله عز وجل العليم
بما يسرون ، الخابر بما يعلنون : (فانهم لا يكذبونك ولئسكن الظالمين بآيات الله
يجحدون) بغيا وعداوة ، وحسدا ولجاجة ، افترض الله عليه قتالهم ، وأمره أن يجرد
السيف لهم ، وهم في عصابة يسيرة ، وعدة قليلة ، مستضعفين مستذلين ، يخافون
أن يتخطفهم العرب وتداعى (٤) عليهم الأمم ، وتستحملهم (٥) الحروب ، فأواهم
في كفه ، وأيدهم بنصره ، وأنذرهم بمقدمة من الرعب ، ومشغلة من الحق ، وجنود
من الملائكة ، حتى هزم كثيرا من المشركين بقلتهم ، وغلب قوة الجنود بضعفهم ،
انجازا لوعده ، وتصديقا لقوله : (وان جندنا لهم الغالبون) فأحسن النظر وقلب
الفكر في حالات النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي قائما لله ، لتجد لمذاهب فكريك
وتصاريف نظرك ، مضطربا واسعا ، ومعتمدا نافعا ، وشعوبا جمعة ، كلمها خير يدعوك
الى نفسه ، وبيان ينكشف لك عن محضه . وأخبر أمير المؤمنين ما كنت قائلا لو لم
تكن البعثة للنبي - صلى الله عليه وسلم - بلغتك ، ولم تكن الأنبياء بأموره تقررت
قبلك ، ثم قامت الحجة بالاجماع عندك ، وقالت الجماعة المختلفة لك : انه نجم بين
ظهراني مثل هذه الضلالات المستأصلة ، والجماعات المستأسدة (٦) ، التي ذكر أمير
المؤمنين : من قبائل العرب ، وجماهير الأمم ، وصناديد الملوك ، ناجم قد نصب لها

(١) نبعات : أصول كريمة .

(٢) أعياص قريش : أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر ، وهم : العاص وأبو العاص والعيص

وأبو العيص والعويص .

(٣) ذي الأصل : دغلا ، .

(٤) أصله تداعى فحذفت إحدى تاءيه ، ومعناها يجتمعون عليهم ويغالبون بالعداوة .

(٥) تستحملهم : تلقى عليهم حملها وعبأها .

(٦) المستأسدة : القوية .

وغرى بها ، يجهل أحلامها ، ويكفر أسلافها ، ويفرق ألانها ، ويلعن آباءها ، ويضلل أديانها . ، وينادى بشهاب الحق بينها ، ويجهر بكلمة الاخلاص الى من تراخي عنها ، حتى حميت العرب ، وأنفت العجم ، وغضبت الملوك ، وهو على حال ندائه بالحق ودعائه اليه ، وحيدا فريدا ، لا يحفل بهم غضبا ، ولا يرهب عنتا . يقول الله عز وجل : (يأيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) أكنت تقول فيما تجرى الأقاويل به وتقع الآراء عليه ، الا أنه أحد رجلين : اما كاذب يجهل ما يفعل ويعمى عما يقول ، وقد دعا الحتف الى نفسه ، وأذن الله لقومه فى قتله ، فليست الأيام بمادة ولا الحال بثابتة له الا ريثما تستلحمه (١) أسبابهم ، وينهض به حلماءهم ، غضبا لربهم ، وأنفة لدينهم ، وحمية لأصنامهم ، وحسدا من عند أنفسهم . واما صادق بصير بموضع قدمه ومرمى نبله ، قد تكفل الله عز وجل بحفظه ، وصحبه بعزه ، وجعله فى حرزه ، وعصمه من الخلق ، فليست الوحشة بواصلة مع صحبة الله اليه ، ولا الهيبة بداخلة مع عصمة الله عليه ، ولا سيوف الأعداء بمأذون لها فيه . ثم ان (٢) آيتكم يا أهل الكتاب لو قيل لكم : ان الرجل الذى يدعى العصمة وينتحل المنعة ، قد نجمت الأمور به على ما قال ، وسلمت الحال له فيما ادعى ، حتى نصب لعمارات (٣) العرب ، وجماعات الأمم ، يقاتل بمن طأوعه من خالفه ، وبمن تابعه من عانده ، جادا مشمرا ، محتسبا واثقا بموعود الله ونصره ، لا تأخذه لومه لائم فى ربه ، ولا يوجد لديه غميمة (٤) فى دينه ، ولا يلفته خذلان خاذل عن حقه ، حتى أعز الله دينه ، وأظهر تمكينه ، وانقادت الأهواء له ، واجتمعت الفرق عليه ، ألم يكن ذلك يزيد حقه يقينا عندكم ، ودعوته ثبوتا فيكم ، حتى تقول الجماعة من حلمائكم وأهل الحنكة من ذوى آرائكم : ما كان الرجل ، اذ كان وحيدا فريدا قليلا ضعيفا ذليلا معروفا بالعقل منسوبيا الى الفضل ، ليجتريء أن يقول : ان الله عز وجل أوحى اليه فيما أنزل من الكتاب عليه أن يعصمه من العرب جميعا ويمنعه من الأمم طرا ، حتى يبلغ رسالات ربه ، ويظهره على الدين كله ، ويدخل الناس أفواجا فى دينه ، الا وهو على ثقة من أمره ، ويقين من حاله .

فسبحان الله ! يا أهل الكتاب ما أبين حق النبى صلى الله عليه وسلم لمن طلبه ، وأسيله لمن قصده له . واستعملوا فى طلبه ألبابكم ، وارفعوا (٥) . أبصاركم

(١) تستلحمه : تعلق به وتنشب .

(٢) كذا فى الأصل .

(٣) عمارات العرب : أحيائها العظيمة .

(٤) غميمة : مطعن .

(٥) بياض فى الأهل بمقدار كلمة .

ينظروا بعون الله اليه ، وتقفوا ان شاء الله عليه ، فان علامات نبوته وآيات رسالته ،
 ظاهرة لا تخفى على من طلبها ، جملة لا يحصى عددها ، منها خواص تعرفها العرب ،
 وعوام لا تدفعها الأمم ، فأما الخواص المعروفة لدينا ، المعلومة عندنا ، التي أخذتها
 الأبناء عن الآباء ، وقبلها الأتباع عن الأسلاف ، فأمور قد كثرت البيئات فيها ،
 وتداولت الشهادات عليها ، وثبتت الحجج بها ، وتراخت الأيام ببعضها ، حتى رأينا
 عيانا وقبلنا ايقانا ، فهي أظهر فينا من الشمس ، وأبين لدينا من النهار ، ولكن
 غيبت الأزمان عنكم بأمرها ، ولم ينقل الآباء اليكم علمها ، وما لا يدرك الا بالسمع
 موضوع الحجة عن العقل ، فليس أمير المؤمنين بحاجة لكم ، ولا قاصد اليكم من قبلها .
 وأما الآيات العوام والدلالات الظاهرة في آفاق الأرضين ، القاطعة لحجج المبطلين ،
 التي لا تنكر عقول الأمم وجوب حقها ، ولا تدفع الباب للأعداء صحة أمرها ، فسيولجها
 أمير المؤمنين مسالك أسماكم ، ويعيد بها حجة الله في أعناقكم ، من وجوه جملة وأبواب
 كثيرة ، ان شاء الله : منها أنه لم تزل الشياطين ، فيما خلا من فترات الرسل
 وندرات النذر ، تصعد الى سماء الدنيا ، وتنصب للملأ الأعلى فتسترق السمع وتحتفظ
 العلم ، وتنزل به الى كل أفاك أثيم ، يبنون أكاذيبهم على واضح صدقه ، وينفقون (١)
 أباطيلهم بحسب حقه ، خلطا للباطل فيه ، وبنو بها (٢) للعباد عليه . فلما بعث
 الله محمدا صلى الله عليه وسلم وأنزل آيات القرآن اليه ، حرست السماء بالنجوم ،
 ورميت الشياطين بالشهب ، وانقطعت الأباطيل ، واضمحلت الأكاذيب ، وخلص
 الوحي ، فبطلت الكهان ، وضلت السحار وكذبت الأحلام ، وتحيرت الشياطين ،
 فكانت آية بيّنة ، وعلامة واضحة وحجة بالغة ، تبهر قرائع العقول ، وتخرق حجب
 الغيوب ، فلا يقوم مع ضيائها ظلمة ، ولا يثبت عند محكمها شبهة ، ولا يقيم معها في
 محمد صلى الله عليه وسلم شك ، ولا من أصحابه خاصة ولا ممن جاء بعده عامة .
 وانما جعلها الله عز وجل آية باقية في الغابرين ، وحراسة ثابتة من الشياطين ،
 لأن الله جل وعلا جعل نبينا صلى الله عليه وسلم آخر النبيين ، فليس باعثا بعده
 نبيا يكذب أقاويل الكهنة ، ويقطع أخابير الجنة .

وستقول ، فيما يذهب اليه الظن ويقع عليه الرأي ، أنت ومن عقل من أمّتك
 وأهل ملتك : هذه آية حاسمة وحجة قاطعة بيّنة قائمة ، مستعلية لأمرها ، مستغنية
 بنفسها ، لا تحتاج الى ما قبلها ، ولا يتكل على ما بعدها ، ان أقرت العقول بما تقول ،
 أو قامت البيّنة على ما تدعى ، بلى ، ثم تقول : وأنى لك بالبيّنة ، ولسنا نقر بكتابك ،
 ولا نؤمن برسولك ، ولا نقبل قولك فيما قد سبقنا وإياك زمانه ، وحجبت الغيوب
 عنا وعنك علمه ، فأرجع اليكم ان قلتم ذلك ، فان وجدان القضاة قبل طلب البيّنات .

(١) ينفقون (بتشديد وكسر الفاء) : يروجون .

(٢) كذا في الأصل .

وليس يجعل أمير المؤمنين فيما ينازعك ويحاجك فيه حاكما غير عقلك ، ولا قاضيا سوى نفسك ، ولكنه يذكرك الله الذي اليه معادك وعليه حسابك ، لما جعلت التفهم لمسأله من بالك ، وركبت حدودها في جوابك ، عادلا بالقسط ، قاضيا بالحق ، قائلا بالصدق ولو على نفسك ، ناظرا بالآثرة لدينك ، فلقد وفق الله لك آية ، وأهدى اليك بينة ، لا تستطيع دفعها لحجبها عن عقلك ، ولا حجابا لنورها دون بصرك ، فلا تدفع الآية بقولك ، والبيئة بلسانك ، جحدا بقطع وصول الحجج اليك ، ويد (١) تغلق أبواب الفهم عنك ، فان اللسان لك مداول حيث شئت ، ومنقاد تصرفه فيما هويت ، ولكن انصب نفسك للفهم وأنت شهيد ، وأرد الحق وقبوله فيما تريد . فاذا تصورت البيئات مجسدة في قلبك ، وتبينت الحجج ممثلة لنظرك ، قد أضاء صوابها لك وقرع حقها قلبك ، فاجعل القول بها شعارا للسان به متصلا . وافهم المسألة فهمك الله الحق ، وجنبك الجحد ، ما تقول أنت ومن قبلك في رجل كان يتيما ضعيفا أجيرا ساهيا لاهيا عائلا خاملا ، (٢) لم يتل كتابا ، ولم يتعلم خطا ، وأم يك في محلة علم ، ولا ارث ملك ، ولا معدن أدب ، ولا بيت نبوة ، فتراقت الأيام به ، واتصلت الحال بأمره ، حتى خرج الى العرب عامة والقبائل كافة ، وحيدا طريدا شريدا ، مخذولا مجهولا ، مجفوا مرميا بالعقوق لآلهتهم ، مقذوبا بالكذب على أصنامهم ، منسوبيا الى الهجر لأديانهم ، وهم مجمعون على دعوة العصبية ، وحمية الجاهلية ، متعادون متباغون ، مختلفة أهواؤهم ، متفرقة أملاؤهم يتسافكون الدماء ، ويتناوحن النساء ، ويستحلون الحرم ، لا تمنعهم ألفة ، ولا تعصمهم دعوة ، [ولا] يحجزهم بر ، فألف قلوبهم ، وجمع شتيتها حتى تناصرت القلوب ، وتواصلت النفوس ، وترافدت الأيدي ، ثم اجتمعت الكلمة ، واتفقت الأفئدة ، حتى صار غاية للمقي رحالهم . ونهاية لمنتجع أسفارهم ، وصاروا له حزبا متفقين ، وجندا مطيعين ، بلا دنيا بسطها لهم ، ولا أموال أفاضها بينهم ، ولا سلطان له عليهم ، ولا ملك سلف لأبائهم فيهم ، ولا نباهة كانت له بين ظهرائهم . أتقول انه [ما] قال ذلك كله الا بوحى عظيم ، وتنزيل كريم ، وحكمة بالغة : فان قلت ذلك فقد أقررت أن محمدا صلى الله عليه وسلم رسول ، وتركت ما كنت تقول انه لم يدركه ولم يبلغه الا بعقل سديد ، ونظر بعيد ، ورفق لطيف ، ورأى وثيق ، استبى به عقول الرجال ، واستمال عليه أفئدة العوام . فان قلت ذلك فأنا سائلكم بالهكم الذي تعبدون ، ودينكم الذي تنتحلون لما صدقتم أنفسكم وتجنبتم الهوى عنكم : أتؤمن قلوبكم ، وتقر عقولكم ، ويحتمل نظركم ، أن محمدا صلى الله عليه وسلم الذي وصفتموه بكمال العقل ، وبيان الفضل ، ورفع التدبير ، كان يقول لرجال العرب ، وجماعات الأمم ، [و]

(١) لعله : ولا تغلق

(٢) في الاصل : لا

دهاة قریش : ان من آیات نبوتی ، ودلالات رسالتی ، وعلامات زمانی ، أن التیاطین ترمى بنجوم السماء ، ولم تك ترمى بها فیما خلا ، تم يجعل ذلك كتابا یقرأ ، وقرآنا یتلى ، وهو كاذب فیما تلا ، ومبطل فیما ادعی ، ابطالا تدركه عیون الناظرین ، وكذبا یتظهر لجميع العالمین ! سبحان الله ! أرأیتم أن لو كان فیما قال من الكاذبین ، وعلى ما ادعی من الآثمین ، ثم حاول ابعاد القلوب ، وانغال الصدور ، وانفار النفوس ، وتفريق الجموع ، آكان یزید على ذلك !

فیا أهل الكتاب لا یحملنكم الالف لدينكم على اللعب بتوحدكم ! فلعمر الله لئن تدارکت أنسكم وناصحتكم نظركم لتعلمن أن محمدا صلى الله علیه وسلم لى حاول الكذب أو رام الافك ، لما كان یترك جميع الأرض ، وما یغیب عن بعض الخلق ویظهر لبعض ، ویقصد للسماء المتصلة بالبصر ، البارزة للنظر ، التی لا تخفى على بشر ، ولا تغیب عن أحد ، فیدعی فیها كذبا ظاهرا ، وافكا بارزا مكشوفاً ، لا یبقى صغیر ولا كبر ولا ذكر ولا أنثى ، الا عرف أنه افك وزور ، وكذب وغرور ، ولا سیما اذا كان یلقى ذلك الى اقوام أكثرهم أعراب ، لیس بینهم و بین السماء حجاب ، انما یراعون الكواكب ویفقدون الغیوم ، فأبعد عهد آخرهم بها تفقده لها ونظره إليها ، ساعة أو ساعتین ، أو ليلة أو لیلتين . لعمر الله لو عثرت العرب من أمر النبی صلى الله علیه وسلم على كذب لكان أول من یواثبه به ویجادله فیہ أعداؤه من قریش عامة ، وحساده من جیرته خاصة ، ونظراؤه من أهل بیته دنیة الذین كانوا یستعیرونه (١) لكل طریق ، ویقعدون له على كل سبیل ، ویتساءلون من أمره عن كل ذی حادت ، فیثعلقون بالحروف المشکلة ، والآیات المشتبهة ، جدلا وخصومة بها ، وطعنا والحادا ومنازعة فیها ، حتی لقد وصفهم الله بفعلهم ، وأخبر عن ذلك من أمرهم ، فقال عز وجل : (بل هم قوم خصمون) وما كان الله عز وجل لیقول ذلك ولا لأحد أن یقوله على الله فى أمرهم الا عن خصومة شديدة ، ومنازعة بلیغة ، ومجادلة معروفة . فأحسن النظر لنفسك ، ولا تهلكن شفقة على ملكك ، فایم الله لئن قلت ان النجوم شیء كانت العرب تراه بعیونها وتعرفه بقلوبها ، فما كان محمد صلى الله علیه وسلم ، وهو عارف بها غیر جاهل لها ، لیقول فیها الا حقا ، وینتحل فیها الا صدقا ، لقد ثبتت فروع كلامك فیها على أسس ، ووصلت آخر قولك له بأواه ، ثبوتاً على ما ذكرت من عقده ، ولزوما لما فرطت من نظره ، ولكنك لا تجد مع الاقرار بذلك بدا من التصدیق برسالتك ، ولا مذهباً عن الايمان بنبوته .

ولئن زعمت أنه ادعی أمر النجوم كذبا وانتحلها باطلا ، عارفاً كان بها أم جاهلا ، لقد نسبته من الخطأ الذى لا یعمى عن بصره الى ما یخطئ فیہ بشر ، فأکذبت نفسك ،

(١) كذا فی الاصل .

وتركت قولك : انه لم يكن التأليف لقلوب العرب والجمع لشتيت القبائل ، الا برأى
سديد ، وعقل أصيل ، ورفق بالغ ، الى أحد أمرين لا تجد لكلامك وجهها تذهب اليه
غيرهما ، ولا محملا تضعه عليه سواهما : اما أن تقول : انه ألف قلوب العرب ، وفرق
جموع الأمم بتنزيل الوحي ، فتؤمن أنه نبي ، واما أن تقول : فعل ذلك بجهل ،
وهذا قول لا يقبل . كيف يصفه أحد من الجاحدين به المكذبين له بغاوة ، أو يرمونه
بجهالة ، وهم يجوزون به حدود الأنبياء ، ويرفعونه فوق أمور العلماء ، ويتخطون
به مراتب الحكماء ، ومنازل الناس كثيرا لعلمه ، وتسديدا لعقله ، وتثبيتا لفضله ،
فيما لا يعلق عليه ولا تهتدي الألسن اليه ، حتى لقد نحلوه فعل الرب الذي لا يقدر
تأنيبه الخلق في وجود كثيرة ، وانحاء جمّة : من ذلك أنه اذا قالت البقايا من أمتنا : كان
محمد صلى الله عليه وسلم يخبرنا بالغيوب قبل ظهورها ، ويصف الأمور قبل حلولها ،
ويتجاوز [ما يكون] في زمانه من ذلك الى ما يكون في زماننا عليه أطلعه الله عز وجل
تأنيبه ، أضافوا ذلك علما اليه . فقالوا : كان أعلم الناس بمواقع النجوم ، وأبصرهم
بمنازل البروج ، وأنظرهم في دقائق الحساب . كيف لم يكن الحجاز دار نجوم
ولا محل حساب ولا معدن أدب ! بل كيف والمنجم يقيس وبخطيء ، ويشك فيما يدعى ،
ويؤخر أخو صواب لا شك فيه ، وفارس صدق لا قياس معه .

ومن ذلك أنه اذا قالت العلماء من المسلمين : كان نبينا صلى الله عليه وسلم
[عليما] بباطن أخبار التبيين ، وخفي قصص القرون الأولين ، قالوا : كان أحيا
الناس قلبا ، وأوسعهم سربا ، وأسرعهم أخذا ، يتتبع ذلك ويحبه ، وقد رواه وعلمه .
سبحان الله ! أولا يعلمون أن المتعلم معروف المعلم ، متفاوت الحالات ، متنقل
الطبقات ، وأنه ما أحد يؤدب صغيرا أو يطلب العلم كبيرا ، الا وله درجات في علمه ،
وتارات في أخذه ، ومنازل في تعلمه ، تارة تلميذ ، وتارة مقارب ، وأخرى حاذق ،
وبكل ذلك موصوف من أهله ، معروف عند قومه ، ظاهر لجيرته ، مستفيض في
عشيرته ، لا يجهل أمره ، ولا يخفي ذكره ، ولا ينسى عند مواضع الحاجة اليه ، وتارات
الاحتجاج به عليه . ولو كان ذلك معروفا فيهم ، أو موجودا لديهم ، أو ظاهرا عندهم ،
لما أمره عز وجل أن يحتج عليهم ويقول في ذلك لهم : لقد لبثت فيكم عمرا من قبله ،
لا أتذكر قرآنا ، ولا أدعى وحيا ، أفلا تعقلون !

وايم الله ! لو كانوا يعقلون أو ينظرون ، لعلموا أن معلمه على غير الملة التي
يعرفون ، لأنه لهم من المخالفين ، وعليهم من الطاعنين ، يذكر فضائح قولهم ، ومعائب
أمرهم ، ومخازي أسلافهم ، وعوثر أديانهم ، وأنه لو كان معلمه نصرانيا لدعاه الى
النصرانية ، أو يهوديا لدعاه الى اليهودية ، أو مجوسيا لدعاه الى المجوسية . ولو لم
يكن له معلم لما وقع على الحقيقة هداية من تلقاء نفسه ومعرفة بقوة عقله . ولو كان
معلمه الشيطان لما دعاه الى عبادة الرحمن ، ولا أمره بهجر الأوثان ، وكسر الأصنام ،
وصلة الأرحام ، والاصلاح في الأرض . كيف [و] كان الشيطان يصد الناس عن

سبيله ، ويزهدهم في دينه ، وينهاهم عن طاعته ، ويخرجهم من عبادته ، ويدخلهم في مساخطه ، ويحملهم على معاصيه ! انه اذن لرحيم بهم ، ناظر لهم ، شفيق عليهم ، كأنه هو المبعوث اليهم ، كلا ! ما كان لينقذهم من حبائله ، ويخلصهم من مصايدهم ، ويخرجهم من ولايته وطاعته وخدعه وفتنته وحزبه ، الى غير ذلك من أمره . وما كان لينهى العرب أن يقتلوا أنفسهم ، ويتناوخوا حرمهم ، ويؤذوا ذريتهم ، ولا ليقول لهم : لم تعبدون نحيت الحجارة التي جعلها الله لكم عارا ، وتذرون عبادة الرب الذي خلقكم أداوارا ! هيهات ! لقد ذهبتُم بالشیطان الرجيم الى صراط العزيز الحكيم ، فقلتم قولا تنكره العقول ، وتدفعه القلوب ، وتستوحش منه النفوس . ألا تسمعون الى قول الله عز وجل : (فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم . أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم) فما كان الشيطان ليرضى للعرب باللعنة والبكم والعمى والصمم ، فاتق الله ولا تكن من الجاحدين .

ومنها أنه اذا قالت الفقهاء والحكماء : آتانا محمد - صلى الله عليه وسلم - بكلام لم تسمع الأذان بمثله ، ولم تقع القلوب على لفته ، له رونق كحجاب الماء ، وزبرج يعلو ولا يعلو وعجائب لا تبلى ولا تفسى ، وجدة لا تتغير ، [قالوا] : كان محمد - صلى الله عليه وسلم - أبلغهم قولا ، وأحسنهم وصفا . فيا سبحان الله ! ألا يعلمون أن لو كان القرآن كلاما للعباد لما أقرت الأعداء من ٠٠٠ ٠٠٠ (١) بفضلته ، ولا عجزت القبائل طرا عن مثله ، وهو يتناديهم في الكتاب ويتحداهم في الوحي ، بصوت رفيع ، ونداء سميع ، فيقول : هاتوا سورة من مثله ان كنتم صادقين ، وهم فرسان الكلام ، واخوان البلاغة ، وأبناء الخطب ، وأهل عداوة له وبغى عليه ، فتستحسر الأبصار ، وتثقل الأسماع ، وتنقد الألسن ، وتخرس الخطباء ، وتعجز البلغاء ، وتحار الشعراء ، وتستسلم الكهان . ثم لقد قايست البصراء بالكلام والعلماء بالمنطق ، بين ما بأيدينا من كلام النبي - صلى الله عليه وسلم - وما جاء به من كلام الوحي ، فاذا بينهما بون بعيد وتفاوت شديد ، ليس بشبه له ولا مدان ولا قريب . وكذلك ينبغي لكلام الرب عز وجل أن يعلو كلام الخلق ، وألا يشبه قول العباد في تأليفه وأحاديثه ومعانيه وجميع ما فيه ، لأن الله عز وجل لا يشبه شيء من ذلك أنه اذا قال المسلمون : كان محمد - صلى الله عليه وسلم - يرى ماضى أسلافنا وصلح آبائنا من العجائب العظام ، والآيات الكبار ، ما هو جديد عندنا ، بين قبلنا فلم يعف أثره ، ولم يدرس خبره ، ولم يتقدم عهده : من شجرة ناداها فأقبلت ثم أمرها فرجعت ، ومن نحو بعير تظلم ، وذئب تكلم ، وأشباه ذلك كثيرة ، ونظائر له عجيبة ، قالوا : كان محمد - صلى الله عليه وسلم - كاهنا حاذقا ، وساحرا ماهرا ، يشبه بالخيال ، ويأخذ بالأبصار . كيف والجموع الكثيرة تصدر عن الأطعمة اليسيرة والمياه القليلة ،

(١) بياض في الأصل بمقدار كلمة .

شباعا رواء ، أيكون ذلك والسحر سواء ! والأخذ بالعيون لا يجرى في البطون ! ولو كانوا ينظرون لدينهم وينصفون من أنفسهم ، لعلموا أن أمر الساحر يدور على أفك وغرور ، وأن لمحمد - صلى الله عليه وسلم - آثارا قائمة ، ومنافع دائمة . ثم لو كانت الكهانة والسحر يبلغان مثل هذا من الأمر ، لبطلت آيات الكتب ، وعلامات الرسل ، ولعلت الشبهة ، وسقطت الحجة ، وكذبت النبوة ، ولبطل ما كان [يفعله] (١) عيسى عليه السلام : من إبرائه الآكمة والأبرص وأحيائه الموتى . فلا يكونن التقليد للرجال مبلغ علمك ، ولا القبول لدعواهم بلا بينة .

ومن ذلك [أنه] إذا قالت البصراء من أمتنا والعلماء بملتنا : كان النبي - صلى الله عليه وسلم - أميا لا يحسن الكتاب وحافظا لا ينسى القرآن ، وقلما يجتمع العقل السديد والحفظ السريع والنسيان البطيء ، قالوا : كان أخط الناس يدا ، وأذكاهم حفظا ، كان يكتب بالنهار ، ويدرس بالليل .

ولعمر الله أن لو كانت الحال كما يقولون والأمر كما يصفون ، لما خفيت الصحف له ، ولا اكتتمت الدراسة عليه ، ولما كان يطبق سترها عن أهله ، ولا حجابها دون قومه . وكيف تؤمن القلوب وتقر العقول أن رجلا كبيرا حمل علما كثيرا وحكما جماء : من آيات متشابهة ، وسور متوالية ، وهو صاحب أسفار مترامية (٢) ، وأخو حرب دائمة ، لا يبطن لفظه ، ولا يسقط حفظه ! لولا (٣) أن الله عز وجل كفاه أن يحرك به لسانه ، وضمن له جمعه وقرآنه ، فقال عز وجل : (ستقرئك فلا تنسى) فلم يكن يسقط واوا ولا ألفا ، ولا ينسى كلمة ولا حرفا . ما أبين هذا وأعجبه ! وأعجب منه المنكر له .

وأما قولهم في الخط واكثرهم في الكتاب ، فان الله عز وجل جعله أميا ليثبت حجته ، ويصدق مقالته ، ولئلا يشك المبطلون في أمره ، ويقولون : تعلمه من غيره ، فانه قد قال ذلك بطائن من منافقة العرب وطوائف من كفره العجم ، فنطقت [به] الأعداء من جيرته ، والحسدة من عشيرته ، الذين بلغوا [ما بلغوا] (٤) من مجادلة حقه ، ومخاصمة ربه ، كفاة لمن قرب ، ووكلاء لمن بعد ، فيما لم تكن العرب واقعة عليه ، ولا الأمم مهتدية اليه ، لأنهم (٥) قد أحاطوا من علم خبره ، وخفي أثره ،

(١) زيادة يقتضيها السياق .

(٢) في الأصل : « متراخية » .

(٣) في الأصل : « ... ولا يسقط حقه ولولا أن ... الخ » .

(٤) زيادة يتطلبها الكلام .

(٥) في الأصل : « الا أنهم ... » .

بما كان عن غيرهم محتجبا ، ومن سواهم مكتتبا • وقالوا : لو كان محمد صلى الله عليه وسلم يتعلم من بشر أو يختاف إلى أحد ، لما خفى عنا ولسقط (١) علينا • وحقا لو كان محمد صلى الله عليه وسلم يختلف إلى أحد صغيرا ، أو يتعلم من بشر كبيرا ، لعرف ذلك أترابه المختلفون معه ورققاؤه والمقتدون ، ولما جهل ذلك من حوله من جبرته نصره ، ولا من معه من أهل بيته دنية ، الذين عليهم يورد ومن قبلهم يصدر ، ولكان شائعا عند حشم معلمه وجيرة موضعه الذين كان يختلف اليهم ، ويتأدب بين ظهرائهم • ولو كانوا بذلك عالمين ، أو فيه من أمره شاكين ، ثم بلغهم وتقرر قبلهم أنه يقول : ان الله عز وجل أوحى اليه ، فيما أنزل من الكتاب عليه : (**وإذا كنت تملو من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك إذا لارتاب المبطون**) لخاصمه منهم من كفر ، ولكفر به منهم من آمن • ثم يدعى ذلك قرآنا ، وينتحلة وحيا ؟ أما كان يرهب أن ينتشر في الأقربين ، ويخرج إلى الأبعدين ، فتبطل حجته ، وتنتقض دعوته ، وتسقط نبوته ، وينفر أصحابه الذين لم يصبروا (٢) معه في المجاهدة أنفسهم ، ويبذلوا عند الشدائد مهجهم ، وينفقوا فيه على الحاجة أموالهم ، مناصبين لأهل الشرق والغرب والعجم وكل الأمم ، وهم قليلون مستضعفون عائلون جائعون ، لا طلبا لدنيا ولا طمعا في منال ، إلا لما تعقبوا من قوله ، وعرفوا من صدقه • ولولا أنه أخبرهم ووعدهم أن يغلب كسرى وقيصر لهم ، فصدقوا بقوله ، وآمنوا بوعده ، حتى قويت البصائر ، وصرمت العزائم ، وقويت النيات ، فنشطت النفوس ، وشجعت القلوب ، وحملت الأبدان ، لما وقع لهم طمع فيه ، ولا ذهب لهم وهل (٣) إليه • فكن من ذلك على يقين لا يخلجه شك ، وسعرفة لا يخطئها ريب ، ان شاء الله •

ومن ذلك أنه إذا قال المسلمون : ما من فعال محمود ، ولا مقال معروف ، ولا خلق كريم ، ولا أدب فاضل ، إلا وقد أدب الله عز وجل به محمدا صلى الله عليه وسلم وأنزله في الكتاب إليه ، فكان يأمر بالمكارم ، ويحض على المحامد ، ويعمل بالمحاسن التي ليس فيها مدخل لشبهة طاعن ، ولا معلق لحجة قائل ، ولا مغمز لبصيرة عائب ، ولا موضع لخصومة بشر ، في وعد أو عهد ، أو حل أو عقد ، أو مقال أو فعال ، أو غير ذلك من الأمور - قالوا : أمور حمل عليها نفسه ، ودعاه إليها عقله ، وصبر عليها ، لما أمل ورجا فيها • سبحان الله ! وما أمل بها وارتجى منها ؟ ان قالوا : الدنيا ، فلقد أكذبهم ادبارها عنها ، حيث أمكنته القدرة منها ، وأعثرته الحال عليها • وان قالوا : حب الأثرة ، فقد جعل نفسه للمسلمين أسوة : في سهامهم وقصاصهم ، وحدودهم وحقوقهم ، وغير ذلك من أمورهم • وان قالوا : الملك ، فلقد

(١) في الأصل « ولا سقط » •

(٢) صبر نفسه : حبسها •

(٣) وهل (بفتحين) • فزع •

كأن أشد الناس لربه تواضعا ، وأعظمهم فى جنبه تصاغرا ، ما ان أكل متكئا قط
 إلا مرة ، ثم قعد كهيئة الفزع لها النادم عليها ، فقال : « اللهم انى عبدك ورسولك » .
 وان قالوا : النعيم ، فمن كان أبيض منه معاشا ، وأخشن ريشا ، وأغلظ مأكلا !
 وكيف يذوق العيش أو يجد لذية النعيم ، من حرم السكر والخمر ، ونهى عن الديباج
 والقز ، وكان أكثر دهره صائما ، وأطول ليله قائما ! فان قالوا : طلب الصوت (١)
 ورغب فى الدين ، فذلك ما لم يطلبه أحد فى حب الصوت والتماس الحمد لما صبر
 مغاضب قومه ، وملاوم أهله ، وشتائم العرب وتوعد العجم ، واستهزاء قريش .
 يرمونه بالعقوق ، ويقذفونه بالجنون ، وييهتونه بالسحر ، وليس يدرى ما يهجم به
 الأمر (٢) .

ام يقولون طلب تأثيل الملك لقومه ، وأراد توطئة الولاية لأقاربه فكيف يطلب
 لقومه ما قد زهد فيه لنفسه ! أم كيف يطلب لهم عز الملك وقد أوطأهم الذل ثم
 القتل . لعمر الله أن لو أراد الملك لأقاربه ، وأراد طلب السلطان لذوى رحمه ،
 لوكد لهم عقدا لا يحل ، ولأبرم لهم أمرا لا ينقض ، ولأثل لهم فى عنفوان أمره ملكا
 لا يخرج من أيديهم ، ولا يبرح (٣) أبدا فيهم ، امثالا لصنيعكم واحتذاء على مثالكم ،
 مع أقاويل جمة ونظائر كثيرة ، لا يستقيم لهم معها أن يقولوا ان محمدا صلى الله عليه
 وسلم غلب العرب وقهر العجم ، أو قال فى أمر السلطان والنجوم بكنب .

فان قلتم ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان فى قوة عقله وبيان فضله ، على
 ما قلنا وقلتم وصدقنا به نحن وأنتم ، ولكن هفت العلماء وزلت الحكماء وأخطأت
 القلوب ، فقد يعلم أمير المؤمنين - وأنتم بذلك من العالمين - أن خطأ قلوب العلماء
 كخطأ دائرة الرجا ، ليست العلماء بمخطئة الا المرة والتنتين ، كما لا تخطئ الرجا
 الا الحبة والحبتين . ومثل الذى نسبتهم الى النبى صلى الله عليه وسلم من الخطأ عندكم
 والجهل فى أنفسكم ، كثير لا يحصيه أحد ، ولا يبلغه عدد . وأمير المؤمنين واصف
 بعضه لكم ، ومورد ما حضر كتابه ان شاء الله لكم . وايم الله على ذلك لو قالت العلماء
 من المسلمين هبوا محمدا صلى الله عليه وسلم كان فى أمر النجوم من المخطئين ، فكيف
 أخطأت العرب وهفت الأمم فى نرك مجادلته ورفض منازعته ، وكيف لم تقل العلماء
 من اصابه (٤) والحكماء من حكمائهم ، توبيخا منهم له ، وتعييرا لمن آمن معه : هذا
 أمر من أوضح الأكاذيب وأبطل الأباطيل ، فلا يثبت مع قولهم ايمان ، ولا يقيم على

(١) الصوت : الذكر الحسن كالصيت .

(٢) كذا وردت هذه الجملة فى الأصل وفى مضطربة .

(٣) فى الأصل . « ولا ينوح ... » .

(٤) كذا فى الأصل .

شرحهم انسان . فان قلت : فلعل ذلك قد كان ، ولكنه درج على طول الأزمان ، فكيف اذا صدقت العرب بنبوته ، ولم تكفر القبائل برسالاته ، وهم يسمعون كذبا لا ينفع معه صدق كان قبله ، وباطلا لا يعصم معه حق حدث بعده . وان قلت : أدخلهم بالقهر وضبطهم بالقتل وأكراههم بالسيف ، فما بال القليل من المسلمين الذين قهرهم الكثير من المشركين ، ما بالهم آمنوا وصدقوا ، وصبروا وصابروا ، وجدوا وجاهدوا ، كيف لم تنكسر عزائمهم ، وتهن بصائرهم ، ويرجعوا الى دينهم ، ويهربوا عن توحيدهم ! كلا ! لو كان الأمر على ما تقول ، لرفض القوم عن الرسول ، ولكان صلى الله عليه وسلم أول مقتول أو مخذول . فأحسن النظر فيما تذهب الأهواء برأيك اليه من آيات النبي صلى الله عليه وسلم . وان جمحت الدعوى بكم ، فقاتل : قد مالت به الأهواء في الباطل ، فقال : انه لا يكن الأنبياء ذكرت النجوم في صحفها بينت الحكماء منها ذكرا في كتبها ، فجعلت المنقضى من الكواكب بين الأعوام ، دليلا على أمر يحدث تلك الأيام ، ولا ما هذا الاختلاق يلط به الجاهل للفساق (١) . ما ان وضعت الحكماء ذلك في الكتب ، الا ليالى ملئت السماء من الشهب . وبالله لو ادعيتهم غير ذلك فكان حقا ، وكانت القالة منكم صدقا ، لما كانت الدعوى بناقضة لآية النجوم حجة ، ولا مدخلة على أحد فيها شبهة ، لأن رميا يقع فرط السنين من الكواكب ، لا يبطل رجما قد ملأ السماء من كل جانب . ثم لو لم تكن النجوم آية دامغة (٢) ، وحجة بالغة ، ودلالة قاهرة ، وعلامة باهرة ، وأمارة ظاهرة ، وشهادة قاطعة ، وبينه عادلة ، وداعية قائمة ، تبطل أظانين المشركين ، وتردع أقاويل المنافقين ، لما كان النبي صلى الله عليه وسلم ليعظم أمرها ، ولا ليكرر في آي القرآن ذكرها ، رهبة لناهضة أحياء العرب ، ومعرفة بمجادلة اخوان الكتب ، الذين لو وجدوا فيما كتب به اليك أمير المؤمنين من أمر النجوم واحتج [به] عليك من ذكر الرجوم ، موقعا لظن أو معلما بطعن أو مغمزا لقول ، لناصبوه اذن بالمجادلة ، وكاشفوه بالمنازعة ، وجاهروه بالقول الذي لا يستطيع له ردا ، ولا يطيق له جحدا ، ولكنها آية ملأت الاقطار كثرة ، وحسرت الأبصار قوة ، قد وجلت العقول ، وولعت القلوب ، وملأت النفوس جزعا ووجعا ، وفزعا شغلهم عن الأولاد ، وأذهلهم عن البلاد ، حتى بلغ أمير المؤمنين وتقرر عند فقهاء المسلمين أن الله عز وجل ، لما ملأ السماء حرسا ، وأحدث لها رسدا ، وخلق فيها شهبا ، ذكرت العقلاء من العرب ، وقعت الله عز وجل في الكتب ، بقوم نوح وعاد وثمود ، وأشباهم من مؤلفي تلك الجنود ، الذين كانوا أشد بطشا ، وأكثر جمعا ، فانفرجت أيديهم عن كرائم أموالهم ، وأرسلت أنفسهم متائن عقدهم . وان أهل الطائف لما فعلوا ذلك بأموالهم ، وأجمعوا فيه الخروج الى فقرائهم ، قام فيهم رجل منهم ذو سن وعقل فقال :

يا معشر العرب ، لا تهلكوا أنفسكم قبل أن تهلكوا ، ولا تخرجوا من أموالكم قبل أن تخرجوا ، تفقدوا مواقع نجوم السماء ، وكواكب بدور الدجى ، فان كانت

(١) في هذا الموضع اضطراب .

(٢) في الأصل « دافعة » .

النجوم التي حدث الرمي بها والنجوم التي أخلتكم الأموال لها ، هي لبروج الشمس والقمر ومسال (١) الحيوان والشجر ، فهي جوائح الاستئصال ، المتلفة الأنفس والأموال ، وإن كانت النجوم التي حدث القذف بها ، إنما هي نجوم خلقت اليوم ، فليست المعرفة بواقعة على مبدأها ، ولا الأبصار بلا حقة منتهاها ، فأمسكوا العقد (٢) عليكم والأموال ، فإنه أمر يحدث في إحدى هذه الليال .

فإن قلت : وكيف وقعت الأدور في هذا الرجل كالعيان ، وصارت المقالة منه كوعى الآذان ، أنبأك أمير المؤمنين أن أوعية الفقه من المسلمين ، الذين حملوا إلينا سنن الدين ، هم أدوا ذلك إلينا ، وأبقوه فخرا (٣) . . . علينا ، فما إن ينفك منهم مفتخر يقول : أبونا الذي حبس على العرب الأموال والعقد ، فما إن يدفع القول في ذلك منا أحد . هيهات ما كانت العرب لتقر عند الفخار ، إلا بطول هو أبين فيها من ضوء النهار . فافهم ما كتب به أمير المؤمنين في هذا اليك ، ولا يكن التعلل فيها بالتبهمات أوثق ما لديك ، فإنه قل حجة إلا وإلى جنبها شبهة تخيل للعقول ، وتعرض للقلوب ، وتجلجل في الصدور ، فلا يثبت مع تخيلها ، ولا يقيم لتعرضها بشر إلا من وزن الحق والباطل بميزان عادل ، لا يميل إلى تفريط ، ولا ينحط في تقصير . وقد جعل الله عز وجل العقول موازين للأمور ، فزنوا ما سمعتم من حجج كلام الرب عز وجل بما تنفون به الشبهة عن الحق ، ولا تميلوا للسان ، فتخسروا الميزان . وسيعلل أمير المؤمنين إن شاء الله بما جاء عن ذكر ما كتب به اليكم من أمر النجوم والرجوم والشهب في القرآن والرواية والكتب ، فالطفوا النظر في صحة معانيه ، ونحو الهوى من شبهة (٤) ما وقعت فيه : قال الله عز وجل : (ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين) وقال : (ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم) وقال : (أنا زيننا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظنا من كل شيطان مارد) . وإن شطب عن الحق شاطب ، أو ذهب إلى الباطل ذاهب ، لا يعرف مذاهب كلام العرب ، ولا وجوه معاني الكتب ، ولا تفسير آي القرآن ، فقال : إنما جعلت الكواكب والمصابيح حفظا من الله عز وجل للسماء ورجوما للشياطين من قبل أن يبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالدين .

فإنه في آيات القرآن ما فيه بيان مما يبطل دعواه التي لا بينة عليها ، ويكنب مقالته التي لا شهود لها ، فقالت الجن - فجعل الله تبارك وتعالى قولها وحيا - وبه

(١) كذا في الأصل .

(٢) العقد : جمع عقدة وهي الضيقة أو العقار الذي اقتناه صاحبه .

(٣) بياض بالأصل بمقدار كلمة .

(٤) في الأصل « عن شبهة إنما » الخ .

منها صدقا : (وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا) . ألا ترون أنها كانت الجن لمست السماء فلم تجدها ملئت حرسا شديدا وشهبا ، وقعدت الشياطين منها مقاعد للسمع فلم تجد شهبا ولا رسدا ، أو (١) لا يسمعون الى ما يحقق ذلك ويسدده ويصدقه ويشهد له من قول الله تعالى : (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يئقون السمع وأكثرهم كاذبون) مع قول الجن : أيام حرسست السماء ورميت الشياطين : (وانا لا ندرى أشر أريد بهن في الأرض أم أراد بهن وبهم وشهدا) . فإذا أعلمتم في ذلك فكركم ، وقلبتهم فيه نظركم ، فكنتهم على برهان يقين ، ونور مستبين ، من استطاعة الجن للاستماع ، وقدرة الشياطين على الاستراق ، وامكان السماء للعود في تلك الحال الأولى ، ففكروا في الحال الأخرى حيث حرسست الآيات أن تعارض باطلا بحق ، ومنعت الشياطين أن تنزل بصدق ، وامتنعت السماء أن يصعد اليها شيطان ، فقال الله عز وجل : (وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون أنهم عن السمع معزولون) . قالت الجن . (وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهبا رسدا) ان في قولهم الآن لأعظم نور وبيان . وأبين من ذلك لكم وأصح لمن عقل ان شاء الله منكم ، اخبر الله عز وجل حين جعلت الكواكب حفظا من كل شيطان مارد ، أنهم (لا يسمعون الى إلا الأعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب) مع اخباره في الحال الأولى أنهم يسمعون ويقعدون وينزلون ويستطيعون ويتلون على ملك سليمان ، فكن لهذا من الحافظين ، وفيه من المفكرين .

ومن آيات النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما نفرت القبائل من أعلام الشرك بجموعها ، وتداعت القادة من صناديد الكفر باتباعها حذرا على غير لها أقبلت من الشام بصنوف رغائب أموال عظام ، فكانت العير والنفير طائفتين : طائفة ذات عدة كثيرة وشوكة شديدة ، وطائفة ذات أموال رغبة ورجال قليلة وفرصة ممكنة ، أخرج الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم ووعدته ومن معه من المسلمين احدهما ، فكره المؤمنون جموع المشركين ، وأراد الله عز وجل أن يقطع دابر الكافرين ، ويشيد بذلك أركان الدين ، فلما تراءت الفئتان ، وتناوشت الفرسان ، وتلاقى الناس ، وقبل ذلك ما قال الله عز وجل : (سيهزم الجمع ويولون الدبر) قبض النبي صلى الله عليه وسلم قبضة [من تراب] حثاها في وجوههم ، فلم يتناه دون مناخرهم وعيونهم ، فاصرفوا منهزمين بلا كثير قتال من المسلمين . يا أهل الكتاب ، فأية آية أعظم حجة وأوضح بينة وأقهر غلبة من هذه التي لو صدرت الأمور بلا تحقيق لها ، لانفضت الجموع من المسلمين كفارا بها . أبشارة الله المسلمين بامداد الملائكة المقربين ،

(١) كذا وردت هذه الجملة في الاصل وهي غير واضحة .

وهزيمة نفي المشركين ، التي نجمت الأمور عليها ، وتناهت الحال بهم ، إليها • أم قبضة من تراب يسير ، ما ملأ المناخر من عدد كثير •

فثبت قلتم : ان هذه آيات بينات ، وعلامات واضحات ، ولكننا [لا] نقر لكم بها ولا نؤمن بقولكم فيها •

أفتؤمنون أن محمدا صلى الله عليه وسلم مع ما نسبتموه من الفضل اليه • كان يختلقها كذبا من تلقاء نفسه ، ثم يدعيها وحيا من عند ربه ، وهو لا يدري لعل الأمور [تقع] بخلاف ما يقول ، فيظهر كذبه ، ويرفض تبعه • وان تزعم (١) أن أصحابه كانوا كثيرا أقوياء ، نشاطا جلداء ، فكان على معرفة بقوتهم ويقين من غلبتهم ، فقد قال الله عز وجل : (وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون) • ولم يكن الرسول ولا غيره ليخبر أصحابه من أمورهم بما يجهلون من أنفسهم ، ثم يدعى ذلك تنزيلا من ربهم • هذا لا تقبله الآراء ، ولا تقر به الحكماء ، ولا يحده النظر •

أم تقولون : انما أراد محمد صلى الله عليه وسلم ببشارته لهم واخباره ما أخبرهم من هزيمة الله عدوهم ، أن يشجع جبنهم ويقوى ضعفهم ، فكيف اذا لم يبق (٢) لما كان يرى من كثرة المشركين وقوتهم ، وضعف المسلمين وقلتهم ، بظهور الأنبياء على خلاف قوله ، وأن محال (٢) الخبر على غير ظنه ، فيقع ظفر بكذب نبوته ، ويقطع حجته ، ويكون له ما بعده ! وكيف اذا لم ينسب الأمر الى نفسه وينحى الخبر عن ربه ، ليكون الخطر أصغر والشأن أيسر ، ان جرت الأقدار بما يحذر ، أو وقعت الأمور على ما يكره • ولكنه أثبتته في كتاب مسطور ، ورق منشور • فعل لعمر الله يدل على النبوة التي كان بها واثقا ، ويهدي الى الوحي الذي كان اليه ساكنا •

وان عرض لنظرك ، أو وقع في خلدك ، أن الله عز وجل عود محمدا صلى الله عليه وسلم الغلبة وأجراه على المنعة ، فكان يجري على عادة قد عرفها ، ويسلك جادة قد خبرها ، فلقد كانت الهزيمة في أول وقعة أوقعها الله ، ثم لقد دالت الحرب فيما بعد (٣) سجلا فيما بينه وبينهم : تارة عليه لهم ، وأخرى له عليهم • فناصرحوا الله عز وجل في نظركم ، وقلبوا فيما يقول أمير المؤمنين فكركم • فلعمر الله ما كان النبي صلى الله عليه وسلم ليقول للملوك المشركين : ان الله هزمكم برمية من تراب

(١) في الأصل « ويزعم أن أصحابه ... » والكلام عليه غير واضح •

(٢) هكذا في الأصل •

(٣) في الأصل : « فيها بعد ... » •

وهو يعلم أنه عنده من الكاذبين • فاحضر كتابي هذا فهمك • واصبر له وان خصمك ،
فان هذه آية عظيمة ، وحجة بليغة ، وبينة عجيبة ، في غلبة العرب •

وأعجب من هذه والطف ، وأكثر منها وأعظم ، الآية في غلبة العجم • واستمع :
أمر الله نبيه - صلى الله عليه وسلم - أن يقول للمؤمنين - وكانوا كما قال الله عز وجل
قليلا مستضعفين - : ان قبائل العرب ستتحزب عليكم ، وان الله سيهزمهم لكم ،
وحيا أنزله في الكتاب ، فقال : (**جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب**) ، فكان أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما نزل هذا القول عليه بدهور طويلة وسنين كثيرة ،
محبوسين محصورين في حومة الموت وعسكر الخوف وخندق القهر وذل الحصر ،
سوادهم الأعم وجلهم الأعظم حفاة عراة عالة ، اخوان دير ، وأصحاب وبر ، لا قوة
بهم ، ولا منعة لهم ، ولا أسلحة عندهم ، ولا عدة معهم ، قد أحذقت العرب بعسكرهم
وأحاطت القبائل بخندقهم ، وسالت الأحزاب تصديقا لحتم الله عليهم ، تريد أن تزلزل
أقدامهم وتهريق دماءهم ، فكان المؤمنون كما وصف عز وجل من سوء الحال ، وضيق
المال ، وشدة الكظاظ (١) ، فان الله قد وصف لهم حالهم ، وأذكركم فعلهم ، ولم يكن
النبي صلى الله عليه وسلم ليصف لهم عن الله ما يجهلون ، ولا ليذكركم من أمره
ما لا يعرفون ، حذارا أن تنكسر عزائمهم وتتغير بصائرهم ، فتنهزم أفئدتهم
 وتموت عزائمهم وتتغير بصائرهم فتنهزم أفئدتهم وتموت نجدتهم وتختلف كلمتهم
فقال الله عز وجل : « **اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذا زاغت الأبصار**
وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلاला
شديدا » حتى قالت طائفة منهم لأهل المدينة يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا وقالت
طائفة أخرى : يا رسول الله ، ان بيوتنا عورة ، فأذن لنا ويقول الله تعالى : وما هي
بعورة ان يريدون الا فرارا • فبينما هم على تلك الحال قد أجمعت العرب بتفريقهم في
الجبال ، وتقسيمهم بالقداح وأخذهم بالأيدي ، اذ قال لهم الرسول صلى الله عليه
وسلم ، فيما ينبئهم به من علم الغيوب ويبشرهم به من أمر الفتوح : « ان الله سينصركم
على جمع الروم ويغلب لكم جنود فارس فيهزم لكم جنودهم ويورثكم قصورهم
ويستخلفكم في الأرض من بعدهم ويبذلكم من بعد خوفكم أمنا » وعدا صدقه الكتاب
وبشارة نطق بها الوحي فقال : (**وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات**
ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى
لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا) فقال أقوام وأناس
ارتابوا حين تضايقت الحال وتزلزلت الأقدام وطارت القلوب ودارت العيون وأشرف
الموت : ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا أبعدنا هزيمة جموع الأضراب وفتح قصور
الشمام وغلبة جنود كسرى ، وقد سالت القبائل علينا من كل جانب وأحذق الموت

(١) الكظاظ : التعب والشدة •

بنا من كل مكان ، فبقينا في مسبغة من الجوع ومجهدة من الخوف وضنك من الحال ، مقهورين مقموعين (١) . وقالت الخاصة من المؤمنين حين عاينوا الجموع من المشركين ، وذكروا ما خبرهم الله من تحزبهم عليهم ومسيرهم اليهم : (هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما) فبينما أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في مضائق تلك الحال ، وشدة ذلك الخصال (٢) ، وعموم تلك البلايا الباهظة ، والأمور الفادحة ، التي قد أخذ بأنفاسهم غمها ، وبلغ مجهودهم كربها ، رافعين الى الله عز وجل أيديهم ، يلقبون في السماء أعينهم ، اذ أرسل الله على تلك الجنود الكثيفة والجموع العظيمة والأحزاب المقتدرة ، ريحا من الأرض وجنودا من السماء ، فقطعت الأبنية ، وطيرت الأمتعة ، وسفت التراب في العيون ، وقذفت الرعب في القلوب ، فولوا مدبرين ، وخرجوا منهزمين ، لا يلوى والد على ولد ، ولا مولود على أحد . أمر صدق الله فيه قوله ، وأنجز به وعده ، وهزم الأحزاب وحده ، وذكر المؤمنين نعمته فيهم ، وعرفهم منته بهم ، فقال : (اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيرا اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذا زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا) . وقال عز وجل : « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا » ما كان الله عز وجل ليقتص على المسلمين في أنفسهم ، الا ما قد رأوه بأعينهم .

لولا أن هذا ما لا ينكره عقلك ولا يدفعه نظرك ، لما جادلتك بالكتاب ، ولا نازعتك بالتنزيل . واني لأترك من آيات النبي صلى الله عليه وسلم وعلامات الوحي ، ما هو أعظم من هذا وأبين وأجل وأوضح . ولكن ليس لي أن أحاجك من آيات القرآن ، الا بما عليه شاهد من برهان ، ومخير من بيان ، لا يستطيع عقلك ردا له ولا قلبك جحدا له . وكيف ينبسط لسانك أو يجترىء قلبك أن يقول : ان محمداً صلى الله عليه وسلم أخبر أصحابه بالكذب وهم يعلمون فاقصص عليهم من أمورهم ما لا يعرفون ! لا ! ما يسوغ لك ولا يجمل بك ، ولا يقبل منك أن محمداً صلى الله عليه وسلم يقول من تلقاء نفسه ، كيف ! أما كان يخاف أن يكذبه أصحابه ، وتنتقل أحواله ، وتنتقض أموره ! لعمر الله لو وصفت بهذا من لا يعرف بفضل ولا ينسب الى عقل ، لما كان سائغا لك ولا جائزا منك ، فكيف تصف به من يرفع عن الناس قدره ، ويفضل عليهم عقله ! وتقر أنك لم تر في الدنيا أحدا صنع [ما صنع] وبلغ ما بلغ ! فآية آية فيما اقتص عليك أمير المؤمنين أعظم أو بينة أعجب : أما كان يتلى على المؤمنين في الكتاب من اجتماع قبائل الأحزاب بجنود عظيمة قبل اجتماعهم بسنين كثيرة ، أم ما كان (٣) يتنادى به القرآن من الهزيمة لهم وينطق به الوحي من الفتح عليهم ،

(١) مقموعين : مقهورين ، مذللين .

(٢) الخصال : الفضائل .

(٣) في الأصل : « أما كان ... » .

أم قول النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه : « ان الله عز وجل يؤمن خوفكم ويعز نصركم على الأمم » وهو على تلك الحال ثم نجمت الأمور على ما قال ، أم عسكريان مطابقان وجيشان متقابلان ، باتت الريح تحوس (١) أحدهما حتى انهزموا ، وبات الآخرون منها في عافية وغفلة حتى أصبحوا ؟ فأحسن النظر في أمرك ، والتثبت في دينك ان شاء الله .

واعلم أن من أعظم الآيات وأبين الدلالات ، على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم رسفه . وأن ليس يتقول شيئاً من تلقاء نفسه ، انه قال في عنفوان أمره : « ان الله عز وجل سيظهر ديني على الدين كله » وجاء مع ذلك بأثرة عن ربه ، في كتاب مخطوط وتنزيل محفوظ . فأى أمره لك (٢) أدل ، أو أيهما عندك أعجب ، اذ كنت بنبوته مصدقا ، ولرسالته محققا : الخبر الذي أخبره . أم الفعل الذي صدقه ؟ لئن نظرت بعقلك وقلت في نفسك : كيف ترقى الى هذا نيته وارتفعت نحوه همته ، أم كيف امتدت اليه فطنته وقويت عليه رويته ؟ بل كيف دعت اليه نفسه ، وشجعه عليه قلبه ، ودخل فيه طمعه ، وطاوعه فيه لسانه ، وهو يذكر جنود كسرى ، وجموع الروم ، وملوك الترك ، وملوك الشرك ، وقيول اليمن ، وصناديد الأمم ؟ ان هذا لعجب . ولا سيما اذا لم يكن في ارث ملك قاهر ، ولا كنف عز غالب ، ولا معدن علم سالف .

ولئن أعدت النظر وكررت ، فقلت : كيف وافق خبره أثره ، وكيف صدق فعله قوله ، حتى غلب الشرق والغرب ! ان هذا لعجب ! وأعجب من هذا أمر يدلك أمير المؤمنين عليه ، ويهديك ان شاء الله اليه : لو قلت لأهل مملكتك ومن قبلك من أمتك : هل بلغكم أو تقرر قبلكم ، أنه كان في الدهر الأول ، والعصر الخالي ، أحد مثل محمد - صلى الله عليه وسلم - بدأت الأمور به مثل حاله من الوحدة والضعف والذلة والقلة ، وصدرت الحال به كفعاله في الغلبة والمنعة ، والقهر والظهور ، وغير ذلك ؟ لقالوا لا .

ثم أنت لا تؤمن بمقالته ، ولا تقر برسالته ، ألفا لدينك ، وضناً بملكك ، وطمعا في قليل من الدنيا قد نعاها الله اليك ، ورغبة في صباغة عيش غير باقية في يديك ، فهذا عجب . وأعجب من هذا أمر يقفك أمير المؤمنين على نور حقه ، ويوضح لك ان

(١) تحوس أحدهما : تغشاه وتهيته . وفي الاصل « تحوش ... » بالشين المعجمة وهو

تحريف .

(٢) في الاصل : « لاى امر بذلك ... » .

شاء الله بيان أمره : أصبحت العرب طرا والأمم جميعا في محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا رابع لهم ولا مخرج للحق من بينهم : رجل مصدق به من المؤمنين ، ورجل مكذب به من الكافرين ، ورجل شاك فيه من المنافقين .

فأما الشاك فلما قيل له : أخرجت نفسك من الحق ، وأبرأتها من الصواب ، وأقررت عليها بالخطأ ، لقولك : لا بد أن يكون الحق في التصديق أو التكذيب ، ولست على واحد منهما ، اعتزل عنها .

وأما المكذب فلما قيل له : أنت منكر والمنكر ليس بمدح ، ومن لم يدع لم تلزمه بينة ولا يسأل عن حجة ، اتبع صاحبه . وإيم الله على ذلك ، لو سئل هذا المدعي عن بينته وكشف حجته ، فقليل له : من أين عرف قلبك ، وأيقنت نفسك إيقانا لا يخالجه شك ، ومعرفة لا يشوبها ريب ولا ينازعها شبهة ، أن محمدا صلى الله عليه وسلم ليس برسول ، لما درى ما يقول ، لأنه لا يستطيع أن يتقول على الرسل ، ولا أن يتكذب على الكتب ، فيقول : قد أخبر الله فيها أنه لا يبعث نبيا ، ولا ينزل وحيا في كتاب مسطور ، بعد التوراة والانجيل والزبور . بل قد يجد أهل الكتاب في أقاويل رسلهم وأخبار كتبهم ، أن الله تبارك وتعالى ينزل كتابا جديدا أو كلاما حديثا ، بعد خراب بيت المقدس في آخر الزمان ، ولم ينزل بعد ذلك كتابا إلا القرآن .

وأما الرجل المصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم فقليل له : أما أنت فقد ادعيت ، والمدعي يسأل عن الحجة وتقبل منه البينة ، فما بينتك ومن يشهد لك ؟ فقال : ألم تقولوا : ان الحق لا يخرج من بيننا ، ولا بد أن يكون مع بعضنا ؟ قالوا بلى ! قال : فاية بينة أحق وأعدل ، وأي شهود أزكى وأفضل من شهادتكم بسقوط صاحبي وثبوت الحق من بعدهما في يدي ؟ قالوا : ان الأمر لكما تقول ، ولكن البينة أشقى للصدور ، فأقام بينة من الكتاب ، وشهودا من الوحي ، وآيات سوى ذلك عظاما ، وبينات عوام ، من كلام لا يقدر عليه الخلق ، وصديق لا يكون إلا من قبل الرب ، شبيها بما أورده أمير المؤمنين عليكم ، وكتب به في صدر كتابه هذا اليكم ، مما قد تشهد له قلوب الأمم ، ويزكيه فعال العرب .

فلما أقام بينته ، وثبتت حجته ، ووجب حقه ، وقضى به له ، قيل له : كيف توسعت الأمور عليك ، وضائق المقالة لك ، أن تقول : ان الله لا يبعث نبيا بعد محمد - صلى الله عليه وسلم - ولا وحيا ينزل غير القرآن ، فأبطلت الكتب المحدثه ، وأكذبت الوثيقة ، ولم تترك وحيا غير القرآن ، ولم يجز للنصارى أن تقول : لا نبي بعد عيسى عليه السلام ، ولا كتاب خلف الانجيل ، وعن ذلك من أخبار الكتب ما قلنا كل متنبئ (١) بعد نبينا كذاب ، فشاعت وجازت الحجة ، ووضح العذر .

(١) في هذه الجملة غموض لم نوفق الى كشف سببه وان كان المراد منها واضحا .

وأما النصارى فيجدون فى أواخر كتبهم ، وأقاويل رسلهم ، ان الله عز وجل ، يبعث نبيا حديثا ، وينزل كتابا جديدا ، فليس لهم أن يكذبوا نبينا - صلى الله عليه وسلم - ولا أن يردوا كتابنا .

فهؤلاء الثلاثة . أما الشاك فسقط وأما المنكر فبطل ، وأما المصدق فتبت ثبوتها ليس فيه مدخل شبهة ، ولا موضع لحجة ، ولا معلق لمنازعة . وذلك أن المنكر لوجوب حقه ، والشاك فى ثبوت صدقه ، لا يجد بدا من أن ينحى الصدق عن الخلق ، يخلى الدنيا من الحق ، وهذا قول المكذبين بربهم ، الشاكين فى بعثهم ، فأحسن النظر فى معانيه ينكشف لك عما فيه ، ان شاء الله .

ومن أبين آياته وأدل علاماته - صلى الله عليه وسلم - ووسع له فيما صدر اليه : أنه لما أخبرت النصارى واليهود أنهم لم يجدوا محمدا - صلى الله عليه وسلم - فى التوراة والانجيل موصوفا مكتوبا ، تجمعت العلماء منهم ، وتدارست الكتب فيما بينهم ، فلما نظروا الى اسمه وعائنه بنعته ، وكانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، ويستفتحون بذكره على من سواهم ، [كبرت] طائفة حسدا من عند أنفسها ، وجحدوا من بعد ما تبين لها ، وآمنت طائفة ، تصديقا بكتابها ، وخوفا من ربها .

فلعمر الله لو [لا] أن الذين آمنوا بحقه وصدقوا بأمره ، رأوا صفته عيانا . وقبلوا نعته ايقانا ، لما فارقوا أديانهم ، ولا جادلوا اخوانهم ، حتى وقفوهم على اسمه ونسبه ، وصفته وعلامته ، وهم علماء بنى اسرائيل ، وحملة الانجيل : من أهل الكتاب الذين احتج الله عز وجل بهم على العرب ، فقال عز وجل : (أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل) . ولعمر الله انها لآية عظيمة ، وحجة بليغة ، ذكرها الله فى كتابه ، وجعلها على العرب من بيناته ، فقال لهم : (قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا) . يقولون : وعدنا أن يرسل رسولا ، فقد أرسله ، وحقق قوله ، وصدق وعده . واحتج النبى صلى الله عليه وسلم بذلك وذكره . ولم يكن النبى صلى الله عليه وسلم ليجادل ويحتج فى أمرهم بكذب وباطل ، ولم يكن ليقول للنصارى واليهود ، فيما ذكر الله من صدق الموعود : انه فى التوراة والانجيل مكتوب موجود ، الا وهو من ذلك على حق يقين ، ونور مستبين . وكيف كان يستشهد من التوراة والانجيل بكذب ، ويتقول عليهم الباطل ، مع حرصه على تصديق أهل الكتاب ليستدعى به ايمان أحياء العرب . أما كان يعلم أنه اذا قال لهم : انه موجود فى مثانى كتبهم ، وسمى على أفواه رسلهم ، فلم يجدوا خبره يقينا ، ولا وصفه مستبين ، أنهم سيدبرون عنه ادبارا ، تزداد به العرب نفارا ، الا أن يقولوا خطأ من علمه ، وهواء من خبره ، فكيف لم يخط اذن فى كتبهم حرفا غيره ، ولم يخالف عنها شيئا سواه ، سبحان الله ! لقد أكثر المؤمنون العجب من ذهاب الأساقفة بكم ،

فأنتم ان تنكروا ما يقولون لكم ، مما ليس لدى لب أن يأذن له أن يؤمن به ، ولا أن ينبذ اليه سمعه (١) ، يقولون : ان أنبياء الله ورسله ، المبعوثين بالرحمة الى خلقه ، لطفت النبوة منهم ، ووقعت الأخبار المنزلة عليهم ، على صفائر الأمور ، وغرامض الخطوب ، فسار الناس عليها ، وأشاروا لهم الى طلبها . فهي مكررة في مثاني كتبهم ، وبطون صحفهم ، وأقاويل رسلهم ، وتركوا من كلام الله النبأ العظيم ، والأمر الكبير ، والذكر الحكيم ، الذي ملك آفاق الأرضين ، واستفاض على جميع العالمين ، لم يذكرود بخير يأترون به ، ولا بشر ينتهون عنه ، كلا ! ما ترك الله على هذا خلقه ، ولا بهذا وصف تبارك وتعالى نفسه ، انه لأرحم الراحمين ، وأحكم الحاكمين .

ولئن رجعت الى قلبك ، لتقولن في نفسك : لعمر الله لو كان هذا الأمر الذي طلع طلوع الشمس ، وامتد امتداد النهار قبلخ مشارق الأرض ومغاربها ، وسهول الآفاق وحزونها ، حقا وصدقا وعدلا ، لبشرت الكتب به ، وتنبأت الرسل عليه ، ودعت النذر اليه ، تزيينا له وترغيبا فيه ، وأمرأ به . ولو كان ضلالة وجهالة وعماية ، لتقدموا في التحذير منه ، والتزهيد فيه ، والتثبيط عنه ، فيدعو ذلك الى أن تنظروا (٢) الى كتب الأنبياء وأقاويل الرسل . فإيم الله لئن طلبت لتجدن ، ولئن اجتهدت لتوفقن . وما الصواب بممنوع ، ولا الخير بمحذور . ولقد كانت العلماء بالكتب والبصراء بالتأويل تجده ، ولكنها كانت نكته بتحريف كلام الكتب عن مواضعه ، وصرف تأويل الحكم الى أشباهه ، حسدا من عند أنفسهم وبغيا بعد ما تبين لهم . ثم لقد اقتديتم بهم وجريتم معهم وأخذتم عنهم ، بلا حجة لكم ، ولا قوة معكم الا الاقتداء بالآباء والاتباع للآثار . فاتق الله في نفسك ، واتهم الرجال على دينك ، ولا تجعل النظر الى غيرك من ذوى الشك في القلوب ، والفسخ في . . . (٣) والتهم في التعطيل ، الذين لعلمهم يعرض لآرائهم ويقع في أوهامهم أن يقولوا : فلعل ما يتلو عليكم أمير المؤمنين من آيات القرآن ، ويقرر لكم من حجج الوحي شيء زيد في المصاحف بعد النبي صلى الله عليه وسلم . وهذا ما لا يحتمله عقل صحيح ولا نظر قوى ، وذاك الشاك في شهادات الرجال ، متفقة من بلدان وأمصار مختلفة ، وشعوب وقبائل متفرقة ، ليس يدعوهم الى ما شهدوا دين ، ولا يحملهم على ما اتفقوا عليه دنيا ، لا يستقيم له أن يؤمن (٤) بما لم تدركه جوارحه وتحيط به حواسه ، لاسقاطه حجة الاجماع وابطاله شهادة العوام . واتفاق المختلفين دلالة واضحة . فهو سائلكم عن الحجة في الانجيل والبينة على التوراة ، سُكا في الرب وتكذيبا بالرسل ، فما كنت

(١) هكذا في الأصل .

(٢) في الأصل « أن ينظروا » ، بياء الغيبة .

(٣) كذا في الأصل : « وظاهر أن كلمة بعد » في « سقطت من الناسخ » .

(٤) في الأصل : « لا يستقيم له أن يؤمن له بما » ، بزيادة « له » . وهي قلقة في موضعها

فلعلها زيدت من الناسخ .

قائله له أو مجيبه به في كتابكم ، فأجبه بمثله في كتابنا وان كانت الأحوال منها غير معتدلة ولا مؤنفة ولا مرتفعة ولا واحدة ، تعتدل حالهما ، وينفق امرهما ، من كتابكم ما تم تنزل به الملائكة وحيا . كالقرآن ، ولم يسانه المسيح به استحابه باللسان ، انما كان فعلا أثبت من بعده ، ولم يكن الفعال موضوعا بعده (١) . وليس يكتب امير المؤمنين بهذا اليكم شكافيه ، ولا يورده عليكم مرية به .

ولقد علم امير المؤمنين أن كتب الله عز وجل محفوظة ، وأن حججه مخزونة ، لا يزداد فيها على تقادم عهد ، ولا ينقص منها على تقارب دهر ، وأن ذلك ثبت في الانجيل من بعد عيسى عليه السلام ، وأنه قال لمن اجتمع اليه من الحواريين : « بالوحي أكلمكم ، والأمثال أضرب لكم » . فأمثاله المضروبة كلام ، وكلامه الرائع وحي . ولكن ما بال الشك ينفي عن كتابكم ، بحجة الاجتماع عليه عندكم ، وهو على ما وصف امير المؤمنين لكم ، وسيان في تنزيل كتابنا ، وقد أدرك شهادة دينه ، اما ما قريبا (١) من عهده ودعايته وحيه واجتماع على حفظه ، هذا حكم مختلف .

فقل للذين يشكون فيه ويرتابون به : أوقعوا أوهامكم على حالات الأوقات التي تعرفون وقوتها (٢) بطبقات الرجال الذين يهتمون .

فان قالوا : أما طبقات الرجال التابعين ، وحالات زمان امير المؤمنين ، فذلك ما لا يسوغ الأقاويل فيه ، ولا تدخل الشبهة عليه ، لانتشار القرآن وامتداد الزمان ، وكثرة الحملة لآياته فيهم ، والحفظ للسانه منهم ، ولكن الدين الذي نزل به القرآن ، وقبض النبي صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم . وكيف بوقوع تهمة أو دخول شبهة ، على اقوام [لبث] النبي صلى الله عليه وسلم عشرين حجة فيهم يتلو كتاب الله عز وجل في كل عام عليهم ، حتى حملوه في صدورهم ، وحفظوه في قلوبهم ، وكرر في آذانهم مسموعا ، وأمر على أبصارهم مكتوبا ، وجرى على ألسنتهم متلوا ، وجمعه كثير منهم محفوظا ، ثم توارثوه فيهم وتداولوه فيما بينهم ، حتى أدوه إلينا ، وأوفوا به عندنا ، من مواضع متفاوتة ، وأصناف وأجناس متباينة ، على كلمة واحدة ! .

فان قالوا : اتفقت الرجال على الزيادة فيه وأمكنتم الحال من الحمل عليه ، فليعلموا أن المؤمنين المخلصين ليسوا في الزيادة متيمين ، وأن المنافقين المايحين ليسوا على ذلك بقادرين . وكيف يقدر القليل من المنافقين على مخالفة الجمع من المؤمنين ، بعد ما حفظته ، قلوبهم ، ووعته أسماعهم ، ثم تكتتم القدرة لهم وتستتر الزيادة منهم !

(١) في هذا الموضع اضطراب في الكلمات ، والمراد واضح .

(٢) كذا في الأصل .

هذا ما لا يقدر عليه منافق ، ولا يطيقه مشرك ولا فاسق . وايم الله أن لو قدرت اليهود على الزيادة في الانجيل ، لأفسدوا كتابكم وغيروا دينكم ، ولو جعل الله المنافقين على الزيادة في كتابه قادرين ، لبدلوا ديننا وغيروا حالنا . ولو كانوا لذلك مقررين وعلى ذلك مقتدرين ، لكان الذين كتب به أمير المؤمنين اليكم ، وأورده من حجج الله عليكم ، أولى ما تلقون ، ورأس ما تقتربون . فلا تلقين الى ما قاله [المضل] سمعك ، ولا تنصت الدهر اليه ذهنك ، فانه اتخذ الشك في كتابنا ذريعة الى الاخلال بكتابك ، وسلمنا الى الشك في دينك (١) وعلة في الطعن على ملتك ، ولكن قل يا ولى الشيطان : أنى وقع لك ايمان بأنك من ولد فلان ؟ أتقول : شهدت الجيرة ، واجتمعت العشيرة ، واتفق المختلفون ، فذهب الشك ، وزال الريب ، ووقع الايقان ، من غير العيان ؟ صدقت . فما بال الشك فيما اجتمعت العامة على القول به ، واتفقت الجماعة في الشهادة عليه من آيات الكتب وبينات الرسل ! وان ذهب بهذا عن أمره ، وباعده (٢) عن شبهه ، فتؤمن أنه من نطفة خلق ، ومن رحم خرج ، فان جحدوا بى ألا يؤمن بما لا يرى ، فقل : أرأيت لو كنت سميعا أعمى ، أكنت تؤمن بشيء مما فى الدنيا : من سماء أو هواء ، أو بحر و سبيع ، أو أرض أو جبل ، أو شبه ذلك مما لم يدركه العيان ولم يقبله الا عن الناس ؟ فان قال نعم ، فقل : فهل لك الا بالاجتماع الكفر بالرب (٣) ، وما لدائه دواء غير الصليب . فاتق الله اذ كنت اماما وقائدا لأهل ملكك ، لا تقدمهم الى النار فتحمل أوزارهم مع وزرك .

فان من أبين آيات الوحي ، وأدل علامات النبى صلى الله عليه وسلم أنه لا يبتدع فى الدين أمرا من تلقاء نفسه ، ولا يتقدم فى الأمور بين يدى ربه . والله أظهر فيما أنزل من الكتاب أمورا كان يحسبها صلى الله عليه وسلم مستورة ، فقال تأديبا له ، واخبارا لمن آمن من بعده (٤) : (واذا تقول للذى انعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) . وقال : (عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتخذه الذكرى أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك ألا يزكى وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى كلاً انها تذكرة) . وقال تعالى : (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا) . وقال له حين صرف قلبه عن بيت المقدس الى البلد الحرام حين سكنت القلوب اليها ، وأنست النفوس بها : (ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك

(١) فى الأصل : فى دينه

(٢) كذا فى الأصل .

(٣) كذا فى الأصل .

(٤) فى الأصل . . لمن آمن من بعده اذ يقول وظاهر أن كلمة : اذ يقول ، غير مفيدة

هنا . فلعلمها زبدت سهوا من الناسخ .

من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير) . وكانت القبلة التي صرفه الله اليها وأمره بها عظيمة على المنافقين واقعة بخلاف الكافرين ، كبيرة (١) الا على الذين هدى الله من المؤمنين ، فانهم قالوا : اذا اختلفت القبلتان وافترقت الجهتان ، كانت الطاعة فيهما واحدة لا اختلاف فيها ولا افتراق عليها . وكيف تختلف الطاعة من رجل بنى بأمر الله عز وجل ثم هدم بوحى الله .

فان قلت : ان الله حوله عن أفضل القبلتين وأقوم الجهتين ، فلا سواء في الفضل البين والخير السر : قبله سلط الله عليها الكافرين ولم يمنعها من الظالمين ، وقبله منعها بجنود من عنده ، وعصمها بغير ما حول من خلقه ولا حرمة يدعيها أحد ممن فيها ، فأرسل طيرا أباييل ترمى الأعداء بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف مأكول . فان نقل : هذا خبر ننكره ، وقول لا نعرفه ، فبأي حديث بعد هذا تؤمن ، وتشهد الله عز وجل أنه من قبله ، وأنتم تعلمون أنه أنزل الله عز وجل سورة الفيل على قوم أدركه منهم بشر كثير .

فان قلت : ان محمدا صلى الله عليه وسلم خبرهم بما عاينوه وأدركوا خلافة ، نقل : انه أراد أن يفرقهم عنه ويوحشهم منه ، وأحب أن يرموه بالكذب ، ويقذفوه بالحق ، ويصمونه بالجنون ، ويظنون (٢) به الظنون ، كلا ! ما كان نبى ولا غير نبى ليجاهد أقواما بخلاف ما رأت أبصارهم وشاهدت آباؤهم ، فيخبرهم بخلاف ما شهدوا ، وتكذيب ما عاينوا . فلا تكونن في هذا من المترين ، ولا بأمر الفيل من المكذبين .

فلعمر الله لو كان من أمر النبى صلى الله عليه وسلم ما تلحد أنت وقومك اليه لما قام معه رجلا ولا اختلف فيه سيفان . وان فيما صنع الله عز وجل بالفيل وأتباعه ، دلالة على قبله الله وأنبيائه . فاتق الله ! فقد شرح أمير المؤمنين علامات النبى صلى الله عليه وسلم وكشف الأغشية لك عن النور بآيات الوحي . فان مالت الأهواء بك ، وغلبت الأساقفة عليك ، وحضرك الرؤساء الذين يجعلون مع الله آلهة أخرى بلا حجة عندهم ، ولا سلطان أتاها فقل : أنبثوني عما اجتمعت عليه النصرانية وذهبت اليه بهم المعاني من تشقيق الكلام وتصريف الكتب : أحروف تتعسفونها ، أم لغة تعرفونها ؟ فان قالوا : انهم بغير لغة يتكلمون ، فهم اذن قوم يلعبون . وان قالوا : انهم يتكلمون بلغة معروفة ومعان معلومة ، فقل : أخبروني عن قولكم : أب وابن ، أهما ما تعترف العقول من المنطق ويقع في القلوب من المعنى أم لا ؟ فان قالوا : لا ،

(١) في الأصل : « كثيرة » .

(٢) كذا في الأصل .

ليس ذلك بالذى تذهب أوهام العباد اليه ، ولا بالذى تقع الحقائق فى الآباء والأبناء عليه ، انما هو كقول الله عز وجل فى التوراة لاسرائيل : « بكرى » لا يعنى ولادة الرحم ، وكقول المسيح عليه السلام للحواريين : « أنتم اخوتى » لا يعنى أخوة النسب . فذلك لا يجدون معه بدا من أن ينسبوا عيسى عليه السلام عبدا . وان قالوا : بل هو ما نجرى به ألسن العباد ، ويقع فى قلوب الخلق من الولادة المعروفة والأبوة المعلومه ، فليخبرونا متى كان الأب والدا ، والابن مولودا : أقبل الولادة أم بعدها ؟ فان قالوا : قبلها ، رجعوا عن القول الأول بتثبيت الأبوة . الا أن ذلك ليس بالشئ الذى تذهب اليه الأوهام ، ولا بالمعنى الذى يقع فى قلوب الأنام .

ولا بد اذا سقطت الولادة المعروفة وبطلت الأبوة الموجودة ، أن يقولوا : ان الأب والابن اسمان علقا على غير معنى ، ونسبان أضيفا الى غير حق ، فيقرون أن عيسى عليه السلام خلق مثلهم ، وأنهم يتكلمون بغير لغة أحد منهم .

وان قالوا : انما كان الابن مولودا والأب والدا بعد الولادة ، فقد أقرروا بأن الابن حدث مخلوق وعبد مربوب ، لقولهم انه لم يكن حتى ولد ، ولم يولد حتى خلق . وقل لمن يقول الزور العظيم ، ويقذف بالافك المبين : أليس الأب أبا على حياله ولم يزل ، والابن ابنا نجل ، وروح القدس كذلك ؟ فان قالوا : نعم ، فقد أقرروا بأنهم ثلاثة متباينة ، وقعت عليهم ثلاثة أسماء متفاوتة ، وتركوا قولهم : انهم ثلاثة أصلهم واحد .

وان قالوا : الأب والابن وروح القدس واحد ، ولكن بعضه أب وبعضه ابن وبعضه روح القدس ، فقد دخلوا فى التحديد الذى هو عيب عندهم ، وقالوا فى التبعض بما هو كفر قبلهم . وان قالوا : ليس مبعضا ، ولا مجزا ، ولا محدودا ولا ثلاثة متباينين ، فاذا هم قوم يلعبون : يقولون : الأب ابن ، والابن أب ، والوالد مولود ، والمولود والد ، والكبير صغير ، والصغير كبير ، والقليل كثير ، والكثير قليل . وهذا من أبين المحال وأخلف المقال . وليس من المنطق ما لا يوجد فى لغة عرب ولا عجم ، ولا لسان أمة من الأمم . وانما أرسل الله عز وجل كل نبي بلسان قومه ليبين لهم ، فيضل الله الظالمين . ولولا ذلك لما فهمت الأمم مذاهب أقاويل الرسل ولا معانى أحاديث الكتب . فلا تطع الذين يلعبون بأنفسهم ، ويتكلمون بغير لغتهم ، ويقولون : الثلاثة واحد ، والواحد ثلاثة ، وهذا محال فى مجارى المقال ، ومعانى الفعال .

لعمرك الله لئن اتهمت عقول الأساقفة على دينك ، واهتممت بالنظر فى توحيدك ، لتعلمن أن الواحد لا يكون ثلاثة وأن الثلاثة لا تكون واحدا ، الا على وجه ما له ثان يقول به ، ولا منه مخرج تستريح اليه . فآلق نحوه سمعك ، وأنصت اليه فهمك ، فان أمير المؤمنين واصفه لك ، وليس واقعا الا على المخلوقين ، ولا لازما غير المحدودين ، ولا داخلا

على رب العالمين : وهو أن يكون الشيء أصله واحد وأجزاؤه كثيرة ، من نحو الانسان ، وهو أصل يجمعه اسم ، وله أجزاء تلزمها أسماء ، فليس الجزء بالأصل ، ولا الأصل بالجزء ، ولكن الجزء بعض الأصل . فإذا أردت الجزء ، قلت يد الانسان وسمع الانسان . ولولا أنه محدود مخلوق مجزأ ببعض لما جاز هذا القول فيه ولا دخل هذا المثل عليه ، وكذلك الشمس : الأصل واحد ، وهي شمس ، والأجزاء كثيرة وهو عين الشمس وضوء الشمس وشعاع الشمس ودقيقتها وغليظها وحرورها وأعلاها وأسفلها وأشباه ذلك .

فلئن قلت : سميت كل جزء من الأجزاء على حياله انسانا ، وكل جزء من الشمس دون أصله شمسا ، ونسبت فعل الأصل الى بعض أجزائه ، وتركت أن تنسب الأصل فاعلا ببعض الأجزاء ، كما تقول : بسط الانسان يديه ، ومشى برجله ، ونظر بعينه ، ثم ضربت ذلك لله عز وجل مثلا وجعلت الله له قياسا ، فقلت : الأصل واحد ، وهو الله عز وجل ، والأجزاء كثيرة وهي أب وابن وروح القدس ، وكل جزء منها اله على حياله ورب دون غيره ، لم تجد بدا أن تلحق اليه والعين والنفس بالأب والابن وروح القدس ، فتكثر آلهتك ، وتحدد ربك ، وتترك قولك : ان الله ليس محدودا ولا مجزأ ولا مبعضا ، الا أن يكون انما تريد مذاهب الأسماء فتقول : المعنى واحد ، وهو الله عز وجل ، والأسماء أب وابن وروح القدس . فان كنت تقول هذا وكنت انما تعبد أسماء ، فما تجد بدا من أن تعبد الأسماء كلها وتقول : انها آلهة على حيالها ، حتى تقول باسم ارحمنى ، وبثان اغفر لى . فاتقوا الله يا أهل الكتاب ، فان الله عز وجل ليس بأب ولا ابن ولا اسم ، ولكن له الأسماء الحسنى فادعوه بها ، وذروا الذين يلحدون فى أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون .

فان أشارت الأساقفة الى بعض الانسان باليد والرجل وأشباه ذلك وقالوا ليس انسانا ، فقل لا ، ولكنه للانسان ، وقل هو انسان بكماله . وكذلك ان أشاروا الى بعض الشمس فقالوا : ليس هذا الشمس طالعا ، فقل لا ، ولكنه بعضها ، ولو كانت الأسماء التى تقع أبصاركم عليها وتشير أيديكم اليها من الشمس والسماء والهواء شمسا وهواء وسماء لكانت الشمس والهواء والسماء أكثر مما يبلغه الاحصاء . ولو قصدت بالاجابة لمسالك هذه الأودية ، لبطلت الحجج الداحضة وانقطعت الأقاويل المتناقضة . وسل من قبلك من أساقف أمتك وشمامسة أهل ملتك الذين يزعمون أن عيسى المسيح ، ويرفعونه أن يكون عبدا : على أى شيء وقع اسم المسيح من عيسى : على الروح أم الجسد أم على كليهما ؟ فان قالوا : وقع على الروح نفسه ، لأن الروح اله دون غيره ، فقد أقروا بأن الههم يأكل ويشرب ، ويمشى ويركب ، لأنهم يجدون ذلك من فعل عيسى مبينا قبلهم ، موصوفا عندهم . فان قالوا : وقع اسم المسيح على الجسد بعينه ، فكان الجسد هو المسيح اذن دون غيره ، والمسيح اذن مخلوق عندهم ، والاله انسان اذن مثلهم ، فلم يعبدون المخلوق ويدعون من خلقه وبراه . وان قالوا :

وقع الاسم على الروح والجسد جميعا ، فلن يجدوا مخرجا ولا بدا ولا محيصا ، اذا أوقعوا الاسم عليهما ، من أن يضيفوا الأعمال اليهما ، فيقولوا : ان الجسد المخلوق هو خلقهم ، وان الروح الخالقة قد ماتت قبلهم ، وذلك لما يجدون من ذكر موت عيسى عليه السلام في الكتب عندهم وفي الانجيل الذي قبلهم . وسل من قبلك عن الأب والابن ، فقل أيهما أعظم وأيهما أصغر ، فان قالوا : الأب أعظم والابن أصغر ، فقد جعلوهما متباينين . وان قالوا : هما واحد وكلاهما عظيم ، وليس الأب بأعظم من الابن ، ولا الابن بأصغر من الأب ، فقد نقض حينئذ جوابهم ، وأكذب المسيح عليه السلام كلامهم ، حيث يقول : « لو كنتم (١) تحبوننى لفرحتهم حيث أذهب الى الهى فان الهى أعظم منى » فلم يقل أعظم منى ، الا وهو مقر بأنه أصغر منه . وسلهم عن قول المسيح (٢) : « أنا أذهب الى الهى والهكم » ، فقل : من هذا الاله الذى ذهب عيسى اليه صلى الله عليه وسلم : اله فى السماء متباين منه منقطع عنه ؟ فهما اثنان متباينان ، أم اله كان به متصلا وكانا جميعا واحدا ؟ فكيف اذن يجوز له أن يقول اذن أذهب اليه ! الا أن يقولوا : ان بعضه ذهب الى بعض ! وهذا مما لا يجوز عندهم فى صفة الرب عز وجل .

وسل من قبلك : أخرج المسيح من بطن أمه مريم بكماله حتى كان البطن منه فارغا وكان هو منه بكماله خارجا ؟ فان قالوا : نعم ، فقد انكسر قولهم : ان الله بكل مكان . وان قالوا : لم يخرج المسيح ولم يخل البطن ، فقد كذبوا اذن فى قولهم : انه قد خرج ، وأقروا أنه قد ولد . فتعالى الله عما يصفون ، وتنزه عما يشركون . وسلهم لم يبط عيسى الى بطن مريم ، وتجسد باللحم والدم ، فان قالوا : ليمحق الخطايا من الأرض ويربط الشيطان عن الخلق ، فقل : كيف اذن لم يربطه عن نفسه ! وكيف جلاباه (٣) من اليهود بصلبه ! ولم سلط على أهل دينه يتبعون فى كل شعب ويقتلون بكل واد !

وقل للذين يقولون : ان الخالق فى كل مكان من السماء والأرض وغير ذلك : أيهما أعظم : المحيط المشتمل ، أم المحيط المشتمل عليه كما يقولون ؟ تعالى الله عما يشركون . فان قالوا : انما التحم بعضه دون بعض ، فقد حدوا وبعضوا ونقصوا وانتقصوا ، واما قالوا فلن يجدوا بدا من أن يقولوا : ان بعض المسيح الذى جعلوه ربهم ، وهو اله عندهم ، ميت بعضه جيفة ، وان بعضه حى طيب ، لأنهم زعموا أنه التحم بجسد حى فيه روح ، فلا بد اذن أن يدخل عليه ما يدخل على الأجسام الحية من الخوف والفرع والفرح والعطش وأشباه ذلك ، وهو عندهم كفر عظيم ، وافك

(١) الوارد فى انجيل يوحنا (فصل ١٤ آية ٢٨ ص ١٨٦ من الكتاب المقدس طبعة بيروت سنة

١٨٨٢ م) : « فلو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون بانى ماض الى الأب لان الأب هو أعظم منى » .

(٢) الوارد فى انجيل يوحنا (فصل ٢٠ آية ١٧ ج ٢ ص ١٩٦ من الكتاب المقدس) : « انى

صاعد الى أبى وأبيكم والهى والهكم » .

(٣) كذا فى الأصل .

مبين . فاتق عقوبة الله ربك ، ولا تمش مكبا على وجهك ، ولكن اطلب والتمس وابحث ، فقد قال عيسى عليه السلام في الانجيل : « من (١) سأل أعطى ومن طلب وجد ومن استفتح فتح له » .

اجمع العلماء والبصراء [الذين] عندك ، والأساقفة والرهبان الذي قبلك ، فقل : لأي شيء نسبتم المسيح الها وجعلتموه ربا ؟ ونجد الله سماه في الكتاب ابنا ، وقد تجدونه قال : « انى اذهب الى أبى وأبيكم والهى والهكم أيضا » . وهذا كلام يحتمل وجهين أحدهما أولى به ، وقول لا يحتمل الا وجهها وهو الربوبية . أم كيف تنظرون الى كلامه : « اذهب الى أبى وأبيكم » . فتفردونها فى نفسه وقد قالها فيه وفى غيره !

فاتق الله وكن من القائمين بالحق ، الموحدين للرب . ان أمير المؤمنين قد ضرب لك أمثالا جمة ، وصرف اليك مسائل كثيرة ، وبين لك من آيات النبى صلى الله عليه وسلم وعلامات الوحى قليلا من كثير ، واضحا من تفسير ، لا تمتنع العقول من التصديق به ، ولا القلوب من الاقرار به .

وسيدكر لك أمير المؤمنين من علامات النبى صلى الله عليه وسلم فى التوراة والانجيل ، ما يكتفى به ، ان شاء الله ، وبالإسیر منه ، لأن كتب الله عز وجل محفوظة ، وحججه محروسة ، لا يزداد فيها ولا ينقص منها . اذا وجدت فيها كلمة تدلك على حق وتهديك الى رشد ، فلست واجدا أخرى تصدك عنه وتشككك فيه ، اذا تلى ذلك بالحق ووضع على الصدق . ولكن ضلت اليهود والنصارى بتحريف تأويل الكلام ، وتصريف تفسير الكتب . وأمير المؤمنين يسأل الله العصمة والتوفيق .

من ذلك ما قد شهد به عيسى عليه السلام عندكم وبينه فى الانجيل لكم ، اذ قال للحواريين (٢) : « انا اذهب وصياتيكم البارقليط روح الحق الذى لا يتكلم من قبل نفسه انما يقول كما يقال له ، وهو يشهد على وأنتم تشهدون لأنكم معى من قبل الناس بالخطيئة ، وكل شيء أعد الله لكم يخبركم به » . وترجمة البارقليط : أحمد . هذا ما لا شك ولا مرية فيه ، وهو الذى يخبر بما وعد الله المؤمنين وصالحى الحواريين فى القرآن ، ولستم تجدون ذلك فى التوراة ولا فى الانجيل .

(١) الوارد فى انجيل متى (فصل ٥ آية ٤٢ ، ج ٢ من الكتاب المقدس) : « من سالك فاعطه . ومن اراد ان يقترض منك فلا تمتعه » . والوارد فى انجيل لوقا (فصل ١١ آية ١٠ ج ٢ من الكتاب المقدس) : « من يسأل يعطى ومن يطلب يجد ومن يقرع يفتح له » .

(٢) راجع انجيل يوحنا (فصل ١٤ آية ٢٦ وفصل ١٥ آية ٢٦ وفصل ١٦ آية ١٢ ج ٢ من ١٨٨ من الكتاب المقدس) .

ومن ذلك قول أشعيا (١) النبي عليه السلام : « قيل لي : اقم بطارا ما ترى يخبري (٢) ؟ قال : أرى راكبين بعيرين مقبلين أحدهما يقول لصاحبه : سقطت بابل وأصنامها (٣) المنحوتة » . ولسنا نعلم نبيا ركب بعد موسى صلى الله عليه وسلم بعيرا الا محمد صلى الله عليه وسلم كثيرا .

ومن ذلك قول داود عليه السلام (٤) : « اللهم ابعث جاعل السنة كي يعلم الناس أنهم بفكر » يقول : كي يتبين الناس أن عيسى عليه السلام انسان . ولسنا نعلم نبيا وضع سنة تنسب اليه الا محمدا صلى الله عليه وسلم . أما عيسى فانه نصب سنة موسى عليه السلام .

ومن ذلك قول حبقوق (٥) المتنبئ في زمان دانيال : « جاء الله من السماء (٦) والقديس من جبال فاران ، وامتلات السماء من تحميد أحمد وتقديسه ، ومسح الأرض يمينه ، وملك رقاب الأمم » . وقال أيضا (٧) : « تضيء لنوره الأرض ، وتحمل خيله في البحر » . فالي من ينحو هذا القول ، والى أين يذهب بهذا المعنى ؟ لئن ذهب به الى غير الذي [تحمل] (٨) خيله في البحر ، وبدأ من جبال فاران أمره ، وغلب على الأرض ومسحها (٩) ، وملك رقاب الأمم كلها ، لقد تركتم الحق وأنتم تعلمون .

ومن ذلك قول داود عليه السلام في الزبور (١٠) : « صدقوا وسبحوا الرب تصبيحا حديثا سببحوا الذي هلكه (٣) الصالحون . ليفرح امرائيل بخالقه ويتوب صهيون من أجل أن الله اصطفى له أمته ، وأعطاه النصر وسدد الصالحين بالكرامة ، يسبحونه على مضاجعهم ، ويكبرون الله بأصوات عالية ، بأيديهم سيوف ذات شفتين ،

-
- (١) راجع نبوءة أشعيا (فصل ٢١ آية ٩ ج ٢ من ٢٤٨ من الكتاب المقدس) .
(٢) كذا في الأصل ، ولم نوفق الى تصحيحه .
(٣) في الأصل : « المنحورة » وقد استأنسنا في اثبات ما أثبتناه بالكتاب المقدس .
(٤) راجع سفر الزامير (فصل ٩ آية ٢١ ج ٢ من ٥٢ من الكتاب المقدس) .
(٥) راجع نبوءة حبقوق (فصل ٢ آية ١٥ ج ٢ من ٧٠٩ من الكتاب المقدس) .
(٦) في الأصل : « من الصمان » .
(٧) راجع نبوءة حبقوق (فصل ٢ آية ١٥ ج ٢ من ٧٠٩ من الكتاب المقدس) .
(٨) زيادة يدل عليها ما قبلها .
(٩) في الأصل : « ومنحها » .
(١٠) راجع سفر الزامير (فصل ١٤٩ آية ١ - ٩ - ج ٢ من ١٥٧ من الكتاب المقدس) .
(١١) في الأصل : « ملكه الصالحون » .

لينتقم الله من الأمم الذين لا يعبدونه ، ثم يقيد ملوكهم بالقيود وأشرافهم بالأغلال ، .
 وآية أمة يكبرون الله بأصوات وأذان الصلوات الدائمة وعلى كل شرف وعند كل
 حرب ، وآية أمة كانت سيوفها ذات شفرتين إلا أمة محمد صلى الله عليه وسلم !

ومن ذلك قول أشعيا (١) : « سبّحوا الرب تسبيحا حديثا ، ويسبّحه من آفاق
 الأرض فرح (٢) يكون في بني فيار » . وينو فيار قريش أهل فاران الذي نزل فيه
 القرآن . وآية أمة تسبّح من آفاق الأرض إلا أمة محمد صلى الله عليه وسلم .
 عدى آكدي (٣) .

ومن ذلك قول أشعيا (٤) : « عبي الذي وجب به حبي الذي بشرت به نفسي
 أبيض عليه روحى ، يوصى الأمم بالوصايا ، لا يضحك ولا يسمع صوته في الأسواق ،
 ويفتح العيون العور ، ويسمع الآذان الصم ، ويحيى القلوب الغلف ، وما أعطيه
 لا أعطى غيره ، أحمد يحمد الله حمدا حديثا ، تهليله يأتى من أقصى الأرض ، يجوز
 الماء بشدة أمواجه ، ويمرح (٥) وكورها ، سكانها يمدون الله على كل شرف ،
 ويكبرونه على كل رابية » .

ومن ذلك قول داود (٦) عليه السلام في المزمور الخامس والأربعين (٧) ، ويقول
 عز وجل لمحمد في الزبور : « أنصبت رحمتى على شفّيتك من أجل ذلك باركتك (٨)
 الدهر ، تقلد السيف على الأمم ، أيها الجبار على الأمم بالقتل والأسر والسبأ بهاك
 وحمدك أحمد يغلب البر منك كلمة الحق وذللت لك الأشياء سيفك بحسبه يمينك
 ونبالك مسمومة ويسقط عند الأمم » . فإى نبى كان على الأمم جبارا ولهم باذن الله
 قتالا إلا نبينا صلى الله عليه وسلم .

-
- (١) راجع نبوءة أشعيا ١ فصل ٤٢ آية ١٠ ج ٢ من ٢٧٦ من الكتاب المقدس .
 (٢) كذا في الأصل ، ولعله محرف عن « فوج » . والفوج : الجماعة من الناس .
 (٣) كذا بالأصل ، ولم ندر لهاتين الكلمتين ولا لذكرهما معنى .
 (٤) راجع نبوءة أشعيا (١ فصل ٤٢ آية ١ - ١٠ ج ٢ ، من ٢٧٦ من الكتاب المقدس) .
 (٥) كذا بالأصل .
 (٦) راجع سفر الزمير (١ فصل ٤٤ « وفى بعض النسخ ٤٥ » آية ٢ - ٨ ج ٢ من ٧٩ من الكتاب
 المقدس) .
 (٧) في الأصل : « فى خمسة وأربعين زمورا » .
 (٨) في الأصل : « من أجل ذلك باركتك الدهر » . وامتنعنا في تصحيحها بالكتاب المقدس الذي
 وردت فيه الجملة هكذا : « وقد أنصبت النعمة على شفّيتك لذلك باركتك الله إلى الأبد » . أما
 الباقي فلم نوفق إلى تصحيحه فالتبتناه كما ورد بالأصل .

ومن ذلك في آخر التوراة (١) : « جاء الله تبارك وتعالى من سيناء وأشرف من ساعير واستبان واستعلن من جبال فاران ، وجاء عن يمينه ربوات القديسين » .
وتفسير هذا أن الله عز وجل أنزل التوراة على موسى في طور سيناء ، وأنزل الانجيل على عيسى عليه السلام في جبل ساعير وهو جبل بالشام ، وأنزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم في جبال فاران وهي بلاد مكة . وأنتم تجدون ذلك في كتبكم مكررا وتعرفونه جميعا بلغتكم .

ومن ذلك قول الله عز وجل لموسى عليه السلام (٢) « سأقيم لهم من اخوتهم مثلك أجعل كلامي على فهمه ولا يتكلم الا بما أمره به » . فمن اخوة بني اسرائيل الا بنو اسماعيل ! أما تعلم أن لو كان الله عز وجل يعني أحدا منهم لقال لهم : أقيم لكم نبيا منكم ! .

فإن قلتم انما قال من اخوتكم ، وهو يريد من أنفسكم ، فهب أمير المؤمنين قبل هذا الخلف منكم ووسع في هذا المجال لكم ، فكيف تصنعون بقول الله عز وجل في التوراة : « مثل موسى في بني اسرائيل لا يقوم » فهل تجدون من هذا مخرجا ، ومن الايمان أن المعنى وقع على محمد صلى الله عليه وسلم بدا .

الا تسمع قول الله عز وجل : « أجعل كلامي على فمه كي يعني به ، أمي لا يقرأ ولا يكتب » .

اوليس قد أمر عيسى عليه السلام حواريه أن يقولوا في صلواتهم (٣) : « يا أبانا الذي في السماء تقدس اسمك » . كيف صار عيسى دونهم ابنا ، وصار له دونهم (٤). أبا ، وهم يقولون : يا أبانا ! أم كيف لم يجعل سليمان بن داود الها وقد قال الله عز وجل لداود : « يولد لك غلام يسمى لي وأسمي له » ! ولم لا يجعلون اسرائيل الها وقد قال الله عز وجل له : « أنت بكرى » ! بل لم لا يسمون المؤمنين عامة والحواريين خاصة [آلهة] ، وقد قال المسيح للحواريين : أنتم اخوتي ، وقد قال في الانجيل (٥) : « أعط كل من آمن بي سلطانا يدعى له » . وان كان هؤلاء كلهم للمسيح اخوة أفلا تجعلونهم كلهم آلهة ! وكيف يقولون : ان عيسى ابن الله ، وهو يقول في مواضع جمة وأماكن كثيرة انه ابن الانسان ! فكيف يكون ابن الانسان

(١) راجع سفر تثنية الاشتراع (فصل ٣٢ آية ٢ ج ١ ، ص ٤٤٣ من الكتاب المقدس) .

(٢) راجع سفر تثنية الاشتراع (فصل ٣٢ آية ٢ ج ١ ، ص ٤٤٣ من الكتاب المقدس) .

(٣) راجع انجيل متى (فصل ٦ آية ٩ ج ٢ ص ١٠ من الكتاب المقدس) .

(٤) لمي الاصل : « وصار دونه ابا ... » .

(٥) لم نجد هذا في الانجيل .

ابن الله ؟ ومتى كان ذلك ؟ لئن قالوا : ان عيسى لم يزل ابن الانسان ، لقد جعلوا مع الله انسانا قديما وجعلوا الله انسانا حديثا ، وجعلوا المسيح ابن الله لم يزل ، وابن الانسان فيما حدث . وهذه أمور متناقضة ، وحجج داحضة ، وأقاويل فاحشة .

فان قالوا : انما نعبد المسيح لأنه رفع الى السماء ، فليعبدوا الملائكة فانهم في السماء قبله . ، وادريس فقد رفعه الله وغيره . وان كانوا يعبدون المسيح لأنه لم يخلق من ذكر ، فأدم وحواء لم يخلقا من ذكر ولا أنثى ، ولم يقعا من غم الرحم وضيق البطن وحال الصبا فيما [وقع] فيه المسيح .

وان قالوا : انما نعبد عيسى لأنه أحيا الموتى ، فما أحيا حزقيل (١) أكثر ، وما كان من اليسع تلميذ الياس أعجب ، لأنه أحيا الموتى بعد مئتين من السنين . وان طلبتم ذلك في سير الملوك عند قصة اليسع أصبتموه ، ان شاء الله .

وان كانوا انما يعبدون المسيح من أجل الأسقام التي أبرأ والعجائب التي أرى ، فعجائب موسى وأعجب وآياته أعظم . أين ما ذكرت لك من [عجائب] عيسى من عجائب موسى : من انقلاب البحر له ، وسلوك الجيش معه ! أم أين ذلك من حجر يضربه فيتفجر بعيون الماء ، ويحمله معه حيث شاء ! بل أين تلك هذه وغيرها من الآيات من حبس يوشع الشمس (٢) ثلاث ساعات ! وكل ما صنع موسى وعيسى وغيرهما بأذن الله وأمره وقدره وقضائه . فاتق الله وكن من القائلين بالحق ، الموحدون للرب ، ولا تقل على عيسى ما لم يقل ، فانكم لا تعبدونه قال لكم في شيء من كتبكم : اعبدوني فاني ربكم . تعالى الله عما يقول الظالمون ، ويذهب اليه الجاحلون .

وان أمير المؤمنين قد أحب أن ينصح لك ، في أولى داريك بك وأهم شأنيك لك ، فدعاك الى الاسلام وأمرك بالايمان الذي به تدخل الجنة وتنجو من النار . فان قبلت فحظك أصبت ، ونفسك أحرزت ، ولك ما للمسلمين ، وعليك ما عليهم . وان رددت نصيحة أمير المؤمنين فيما فيه الحظ في آخرتك ، فان أمير المؤمنين ينصح لك فيما فيه الصلاح في عاجلتك : من اعطاء الجزية التي يحقن الله بها دماءكم ويحرم

(١) حزقيال نبي بعثه الله تعالى الى بني اسرائيل ، وهو الذي أحيا به الله القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم آلاف حذر الموت ، فأحياهم الله تعالى بعد موتهم بدعوته . وهو ما يشير اليه قوله تعالى : (الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم آلاف حذر الموت) الآية .

(٢) اشارة الى قصة يوشع بن نون حتى موسى عليهما السلام واستيقافه الشمس : فقد روى ان يوشع قاتل الجبارين يوم الجمعة ، فلما أدبرت الشمس للغروب خاف أن تغيب قبل فراغه ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فيه ، فدعا الله تعالى ، فغرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم .

بها سبائككم ، ويجعلها قواما لمعاشكم ، وصلاحا لبلادكم ، وتوفيرا لاموالكم ، وأمنا
لجنابكم ، وسعة لسريكم (١) ، وبركة على فقراكم ، وغنى لأهل الحاجة والفاقة
والمسكنة منكم .

ولن يذكر أمير المؤمنين في الجزية لكم من حلول الأمن فيكم ، وعموم العافية
اياكم ، واستقامة البركة عليكم ، وكف أيدي المسلمين عنكم ، وبسطها على الأعداء
منكم ، شيئا الا وفي قليل ما كان من أشياء ذلك أيام تلك الفدية التي كان الله
أجرى نعمتها لكم على يده ، وفتح بركتها عليكم من قبله ، ما يدلکم على صدق أمير
المؤمنين فيما يذكر ، ويشهد له على حقه فيما يقول ان شاء الله . فقد تعلمون أن الله
قد أدخل على كل طرف من أطرافكم ، وصنف من أصنافكم ، بتلك الفدية ، أمورا
عظيمة البركة ، واسعة المنفعة ، في أمور غير واحدة :

منها : أن قادة جنودكم وساسة حربكم ، كانوا بعد وقوع أمرها واستحكام
عقدتها ، فراغا لمحاربة أعدائكم ومناصبه من ناوآكم ، بين أن يستجمعوهم (٢) في
بلادهم وينزلوا عليهم في ديارهم ، ولا يرهبون بشر ان ساروا في أرضهم ، ولا يتخوفون
طرادا ان اجتمعوا لقتالهم أن يقيموا في خفض ودعة ، وأمن وسعة ، مع الأزواج
والأولاد والعيال والأوطان والرباع والمحال ، وهم اليوم يترقبون الجيوش من كل
شعب ويتخوفون الختوف في كل وقت ، لا يهدأ (٣) لهم جاش ، ولا يسكن لهم
فرع ، ولا ينام لهم ليل ، ولا يأمن فيهم حال ، قد قطعت الهموم دابرهم ، واضمرت
المخاوف جنوبهم واستأصلت الجنود أموالهم .

ومنها : أن أهل الحراثة واخوان العمارة ، في بلادك وأطراف أرضك ، كانوا
سراها الى عمارة أرضهم واصلاح ما تحت أيديهم ، فيما لا قوام لهم ولا لمعاشهم الا به ،
ولا بقاء للدينهم الا معه ، قد آمنوا الجيوش ومعرتها ، والجنود وبادرتها ، وانتشروا
للعمارة ، وابتكروا في الزراعة ، فارقوا رموس الجبال واقحام الفياض ، وراحوا في
أوساط أوطانهم وظلال محالهم ، يشققون الأنهار ، ويحرسون الأشجار ، ويفجرون
العيون ، حتى نمت الأموال ، واخضرت الحال ، وأخصب الجناب ، وأصبحوا اليوم
عن الزراعة ممسكين ، وللحراثة تاركين ، وبغيرها مشغولين في اصلاح آلات الهرب ،
واحراز العيال في الحصون ، ورم القلاع للجلاء ، وتحريش الحصون للبلاء ، قد
انتقلوا عن منابت البر وكرائم الأرض ، ومجاري المياه ، الى أوشال الجبال ، وأشجار

(١) السرب : الطريق .

(٢) كذا في الأصل .

(٣) في الأصل : « لا سكن لهم ... الخ » .

الغياض ، وبطون الأودية ، فليس يبلغون من عمارة بلادهم ، ولزوم أوطانهم ، [و] من تناول ثمارهم وقوام معاشهم مثل ما كانوا يبلغون ، ولا ينالون من خفض العيش وطيب الأمن ولذة الدعة ، قريبا مما كانوا ينالون .

ومنها : أن اخوان التجارات ، وأصحاب الأموال وأهل الظلف والحافر ، كانوا يتناولون ما شارفهم من بلادنا (١) وما قاربهم من أسواقنا ، فينفقون تجاراتهم ويغفلون بضائعهم ، فتعظم الأرباح وتضعف الأثمان . وكانت الباعة من تجار المسلمين وغيرهم من الذميين ، يتناولونهم للبيع ويتناولونهم للشراء منهم ، فعمت البركة وسهلت المنفعة ، حتى نالت الرعاء في جبالها وأقبالها (٢) ، والنساء في غزولهن وعمل أيديهن فضلا عن غيرهن .

ومنها : أنك ومن قبلك من ذوى العبادة والزهادة والتأله والنسك والنيات ، كنتم على عافية من أيام الرضا بالحرب ، وسلامة من أوزار الحضر على قتال الخوف . قد نجوتم من معصية المسيح في الدنيا التي نهاكم عنها ، والأمور التي أمركم بها ، من نحو قوله (٣) : « من لطم خدك الأيمن فأمكنه من الأيسر ، ومن انتزع قميصك فأعطه كساءك ، ومن لطمك فاغفر له ، ومن شتمك فأعرض عنه » .

ومنها : أن من بأقاصى بلادك ونواحي حوزتك ، قد ذاقوا تلك الأيام من لذة الخفض ، ودعة الحال ، وحلاوة الأمن ، ورفاهية العيش ، وسعة العافية من سبأ أزواجهم ، وهيب أولادهم ، وحطم معاشهم ، وأسر رجالهم ، وغنيمة بقرهم وغنمهم ، وافساد شجرهم وثمارهم ، واجلاء عن مساكنهم وأوطانهم ، ما لم يكن لهم رأى يعرفه ، ولا ظن يبلغه ، ولا طمع يقاربه ، ولا أمل يذهب إليه . وما قد عرفت الخاصة من بطارقتكم ، والعامّة من أهل ملتكم به ، من رأفتكم بهم ، ورحمتكم لهم ، وشفقتكم عليهم ، وأثرتكم إياهم ، وبركة ولايتكم ملكهم ، ومنفعة سياستكم أمرهم ، ما قد ازدادوا لكم به محبة ، وفي بقائكم رغبة ، ولأمركم طاعة ، وعلى ملككم شفقة ، وفيما نابكم نصيحة ، مع ما قد ازددتم بذلك من الهيبة في صدور الأعداء ، والشرف في قلوب النظراء ، والعظم في عيون الأمم ، حتى أقروا لكم بقوة عزائم العقول ، وفضل سياسة الأمور ، وصحة تدبير الملك ، وصدق النية ، ولطف الحيلة التي جعلوا نسبة حيلكم بها ، ومحل رأيكم فيها ، على أنكم نظرتهم لضعفائكم حتى قووا ، ولفقرائكم

(١) في الأصل : « من بلادهم » .

(٢) كذا في الأصل .

(٣) راجع انجيل متى (فصل ٥ آية ٢٩ ج ٢ ص ٩ من الكتاب المقدس) .

حتى استغنوا ، ولقرا بكم حتى تنبوا وحيوا وقوا المسلمين (١) من أيام الحروب وأوزار القتال ، ومعصية المسيح عليه السلام ، ولأعدائكم الأبعدين وجيرتكم الأقربين ، حتى كنتم من فراغكم لهم ، واشتغالكم من أمركم بها ما أوطأتموه لحر سحر (١) القتل ، وذل الأسر وغلبة القهر ، والاذعان والاستسلام . واما كفيتموهم بالصلح ، واستوثقتهم منهم بالرهن .

فاذا ذكرت ما كان من هذا وأشبابه وأمثاله في القدية ، فاعلموا أن أمثاله وأضعافه مقيم معكم في الجزية ، فلا يكونن لك رأى غيرها ولا أمر سواها ، فلقد أكثر أمير المؤمنين العجب من أمركم ، وأطال تقليب الفكرة في بعضكم ، فظن أن إخراجكم من جميع ما كنتم فيه إلى خلافه مما أصبحتم عليه من انتظار وقعات الحروب ، وصولات الجنود وأكل الحدود ، وتوقع الجلاء والسبأ والقتل ، والأسر والحصر ، شيئا اختدعكم الله عز وجل فيه عن أنفسكم وكيدا استدرككم به لما علم من قلوبكم .

ألا ان أعجب عذركم وأفظعه كان عند أمير المؤمنين إذ بلغته جرأتكم على الله عز وجل في نقض عهده ، واستخفافكم بحقه في خفر ذمته ، وتهاونكم بما كان منكم ، وأنتم تعلمون أن موثيق العهود ونذور الإيمان الذي وضعه الله عز وجل حرما بين ظهرائي خلقه ، وأمانا أفاضه في عبادته ، لتسكن إليه نفوسهم ، وتطمئن به قلوبهم ، وليتعاملوا به فيما بينهم ، ويسيروا به من دنياهم ودينهم ، فما من ملك من الملوك ولا أمة من الأمم ، تبيع حمى الله عز وجل ، تهاونا به وجرأة عليه ، إلا أجرى الله عليهم دائرة من دول الأعداء ، وأنزل عليهم عذابا من السماء . وقد رجا أمير المؤمنين أن يجرى الله نعمته منكم بأيدي المسلمين ، بعد إذ كان اعتقد عهديكم ، وأخذ ميثاقكم بالإيمان المغلظة ، والعهود المؤكدة ، التي قد اعتقدها في رقابكم ، وحملها على ظهوركم ، فأشهدتم الله بها على أنفسكم ، وتسامع بها من حولكم ، وحكم بها بطارقتكم وأساقفتكم . فلا الله اتقيتم ، ولا من الناس استحييتهم ، نكثا للعهد ، وبغضا للمسلمين ، وخترأ بالأمانة ، وإباحة للحمى . فتوقعوا العقوبة ، وانتظروا الغيب ، فلقد وثق أمير المؤمنين أن من عذاب الله ما هو حال ان شاء الله بكم .

ومن أسباب ما يريد الله من الانتقام منكم ، ما قد أزمع أمير المؤمنين وعزم عليه ، وقذف الله في قلبه : من الإرادة والنية والرغبة في إبطاء الجيوش بلادكم ، واستبأء المقاتلة أرضكم ، والتفرغ لكم من كل شغل ، والإيثار لجهادكم على كل عمل ، حتى تؤمنوا بالله وأنتم طائعون أو كارهون ، وتؤدوا الجزية عن يده وأنتم

(١) كذا في الأصل .

صاغرون • فكونوا على عدة من الجزية ، ويقين من الانتجاع الذى لا طاقة لكم ان شاء الله به ، ولا صبر لكم باذن الله عليه ، فان جنود أمير المؤمنين فارغة كثيرة ، وخزائنه عامرة وافرة ، ونفسه سخية بالانفاق ، ويده مطلقة بالبذل ، والمسلمون نشاط اليكم ، منقلبون عليكم ، قد عودهم الله فى لقاءكم عادة يرجون انتظار مثلها ، وأبلاهم فى قتالكم بلاء من أمثالها ، ان شاء الله •

وكتاب أمير المؤمنين نذيره بين يدي جنوده ، ومقدمه ان شاء الله من جيوشه ، الا أن تؤدوا الجزية عن التى دعاك أمير المؤمنين اليها ، وحداك ومن قبلك عليها ، رحمة للضعفاء الذين لا ترحمهم ، وتوجعا للمساكين مما لا توجع منه لهم من الجلاء والسبأ والقتل والأسر والقهر ، وقساوة من قلوبكم ، وأثرة لأنفسكم ، واعتصاما بخواصكم ، واجلاء لعوامكم الضعفاء الفقراء المساكين الذين لا تمنعونهم بقوة ، ولا تدفعون عنهم بحيلة ، ولا تراقبون فى الرحمة لهم والتعطف عليهم ، أدب المسيح اياكم ، وقوله فى الكتاب (١) لكم : « طوبى للذين يرحمون الناس ، فان أولئك أصفياء الله ونور بنى آدم » •

وايم الله لو يعلم من قبلك من المساكين والزراعيين والفقراء والضعفاء والعملة بأيديهم ، ما لهم عند أمير المؤمنين لتحذروا عليه وأقبلوا اليه ، من ايوائهم ، وانزالهم الارض الواسعة ، وامكانهم من مسايل المياه السائحة ، والعدل عليهم بما لا تبلغه أنت ولا تقاربه ، رفقا بهم ونظرا لهم واحسانا اليهم ، مع تخليته اياهم وأديانهم ، لا يكرههم على خلافها ولا يجبرهم على غيرها ، لاختاروا قرب أمير المؤمنين على قربك ، وجواره على جوارك ، ولأنقذوا (٢) أنفسهم وأموالهم وأولادهم وأزواجهم وعيالاتهم ، مما يحل بهم فى كل عام يلقون من كل غزاة • فاتق الله واقبل ما عرض عليك من الجزية ، ولا يمتنعك ما فيه (٣) الحظ لك ولأهل مملكتك • ونحن على رجاء أن الله لا يؤخر ذلك منكم ويدفعه عنكم ، الا ليجعله على يد أهل بيت النبوة والرحمة ، ولأهل الوراثة فيهم للكتاب والحكمة ، الذين لا يدخل عليكم فى الاذعان [لهم] وأداء الجزية اليهم حمية ولا نقيصة ولا عار ، والذين يفون لكم بما يعقدون ، ويتبعون فعلهم ما يقولون •

ثم أمير المؤمنين بخاصة لما جعل الله عليه رأيه وفيه نظره من البر والرحمة والاقساط والوفاء بالعقود والعهود والشروط ، نظرا لدينه وخوفا من ربه ، ولما قذف

(١) راجع انجيل متى (فصل ٥ آية ٧ ج ٢ ص ٧ من الكتاب المقدس) •

(٢) فى الأصل • « ولا تبتذلوا » •

(٣) كذا فى الأصل وهو غير واضح ولعل أصله الجملة « ولا يمتنعك الشيطان مما فيه » الخ •

فسقط هذا أو نحوه سهوا من الناسخ •

الله في قلبه وقلوب المسلمين من المحبة والطاعة والأثرة ، ولما جعلهم الله عليه من اجتماع الكلمة ، واتفاق الأفئدة ، والنصائح في السر والعلانية ، وما عوده الله ممن نصب له بمجازبة ورماء بمكايدة ، وعراه بحيلة : من النصر العزيز ، والفتح القريب ، والظفر المبين . فابذل من الجزية ما شئت ، وسم منها ما هويت . واعلم أن أمير المؤمنين ليس يحدوك عليها لحاجة به اليها ولا للمسلمين ، ولكن طاعة لربه وأثرة لحقه ، وليجعلها سبباً لما يريد . ان يجرى فيما بينه وبينكم . وانه انما كان قبول المهدي - رحمه الله - الفدية منكم ، بطلبه أمير المؤمنين كانت اليه ، والحاجة كانت فيما عليه (١) ، ولم يكن من رغبة فيها ، ولا حاجة اليها ، ولا استعظام لها ، ولقد كان يعطى في المجلس الواحد مرارا أمثالها ، ولكن ذلك كان رأى أمير المؤمنين يومئذ فيكم . فأما اليوم اذ استبان له غدركم وتقضكم ونكثكم واستخفافكم بدينكم وجراتكم على ربكم ، فليس بين أمير المؤمنين وبينكم ، الا الاسلام أو الحرب ، المجلية ، ان شاء الله . ولا حول بأمر المرمين ولا قوة الا بالله ، عليه يتوكل وبه يثق واياه يستعين . والسلام على من اتبع الهدى .

٣ - رسالة يحيى بن زياد في تقریظ الرشيد

أما بعد ، فاني أسأل الله لأمر المؤمنين في غابر أموره ، أحسن ما عوده في سالفها من السلامة التي حرسه بها من المكاره ، والعز الذي قهر له به الأعداء ، والنصر الذي مكن له في البلاد ، والهدى الذي وهب له به المحبة ، والرفق الذي أدر له به الحلب ، والاستصلاح الذي اتسقت له به الرعية ، حتى يكون بما أعطاه من ذلك ، وما هو مستقبل به منه ، أبعد خلفائه في الخير ذكرا ، وأبقاهم في العدل أثرا ، وأطولهم في العمر مدة ، وأحسنهم في المعاد منقلبا .

ثم نحمد الله الذي جعل نعمته على أمير المؤمنين شواهد منه على منزلته منه ومكانه عنده ، لا يحتاج معها الى شهادات المثنين ، ولا صفات المقرطين ، ثم جعل ذكر نعمته على أمير المؤمنين ومناصحتها والمجاهدة لمن كادها فريضة أوجبها على العباد ، ومحبة امتحنهم بها ، وفرقانا ميز به بينهم ، فمن أصبح من رعيته أكثر شغله أن يستعمل لسانه في صفته ، وذكر محاسنه وفضائله ، ووجوب حقه وطاعته ، فقد أصبح أثرا أولى الأمور وأحسنها مغبة في دنياه ودينه ، ومن بدل ذلك من قدرة عليه ، ودفعه بعد معرفة ، فلم يدعه الا عن خذلان حاق به ، أو بدعة استمالته ، كانت حجة الله لأمر المؤمنين عليه هي الكافية لمؤنته . وقد كان علماء الناس وجهالهم

(١) كذا في الاصل .

يسوون فى عام المعرفة بفضل أمير المؤمنين ، فأما الخاص فلاهل الفضل فيه فضلهم ، غير أنه مهما كان من ذلك فقد أصبحوا وهم فيه على منازل ثلاث : حاسد حجب الحسد بصره عن مواقع الصواب أن يراه ، والنعمة أن يشكرها ، والحق أن يؤديه ، وكانت معرفته عليه وبالا ، وحسده الى الضر به (١) قائدا • أو ذو هوى قاده الهوى الى البدعة وأخرجته الضلالة من الجماعة ، فهو عرضة لسوء الأدب أو سيف النكال ، لم يوحش الله أحدا بفقده ، ولم يعزر أحدا بموالاته • وموفق معصوم (٢) استنقذه [الله] بموالاته أمير المؤمنين من غل الحسد وبدع الآراء وجبله على صحة الهوى ، فهو ان نظر فبعينه ينظر ، وان قال فبلسانه يقول ، لا يأمن حتى يعلم أن أمير المؤمنين قد استوطأ مهاد الخفض ، ولا يزال له طبيعة رأى توفى على خطة حزم وغامض فطنة ، تغفل الى لطيف منفعة و [تكون] سهم مكيدة نحو عروة (٣) ، قد علم أن يوم أمير المؤمنين يومه ، وأن غده غده ، فهو وان تعرض لأداء الحق فى نصيحته ينظر لنفسه نظر من لا يأمل السلامة الا بسلامته ، ولا البقاء الا ببقائه • وقد رجوت بالقرابة التى جعلها الله لى به ، والواجب الذى عرفته من حقه ، والعظيم الذى حملته من معروفه ، ألا يكون أحد ينظر اليه بعين الشفاق أقوم ما جعله الله أهله منى ، فان أبلغ الذى أردت فبتوفيق الله ، وان أقصر فعن مثل ما حاولت قصر المجتهد •

فأول ما أنا ذاكره من فضله : أن الله قدم له الصنع فى سابق علمه ، فجعل محتده خير المحاتد عنصرا ، ثم اختار له أبا فأبا لا ينقله من أب الى أب الا نقل معه واليه فضيلة العنصر الذى هو منه حتى صيره بعد فضائل آبائه الى أفضل بدنة • فكان خير خلف من خير سلف ، وأفضل ولد من أفضل أبوة ، وأرضى امام من أركى أئمة ، ثم اختار له مكارم الأخلاق ، وألبسه جمال الصورة ، فلا نعلم نحن ولا آباؤنا خليفة أبعد فى حلمه من ذل ، ولا فى هيئته من تجبر ، ولا فى شدته من عنف ، ولا فى لينه من وهن ، ولا فى أناته من غفلة ، ولا فى اقتصاده من بخل ، ولا فى بذله من اضاغة ، ولا أرق وجها عند لقاء ، ولا أحسن بشرا عند تحية ، ولا أغزر دمعا عند موعظة ، ولا ألين قيادا عند تذكير بالله منه •

ثم أفضت اليه الخلافة وفى المال ما فيه من القلة ، وفى الناس ما فيهم من الاحراج (٤) ، فما دفع عن مال يعطيه عن قلة ، ولا قطع عادة توسعة على رعيته ،

(١) فى الاصل : « الخير » •

(٢) فى الاصل : « موفق معصوم ثم استنقذه بموالاته ... الخ » •

(٣) فى الاصل : « عروة » •

(٤) الاحراج : الضيق وفى الاصل : « الاستخراج » •

ثم استدر الحلب برفقه ، فكلما در له منه شخب (١) فوقه (٢) طائفة من جنده حتى سقاهم بعد التفويق ريا ، وبعد النهل عللا ، ثم ساس رعيته بالين السياسة فعفا عن مذنبها ولو شاء لعاقب ، وأمن خائفها ولو طلب لادرک ، ودفع بالحسنة السيئة ولو كافأ لقدر ، فما برح صنع الله له يفض جموع الضلالة بلا قتال ، ويعز له النصر بلا مكاثرة ، حتى فرغ بشغله من كان لا يفرغ من الوزراء ، وتام بسهره من كان لا ينام من العامة واطمأنت بمنائته (٣) للأسفار دار من كان لا ينال الخفض من الجنود حتى استوطئوا مركب الأمن فكلهم ضنين بمفارقتة . أما ذو النية فركن الى النقض . وأما من لا يبذله ففعل ما كان يؤخذ به من الاستكراه . وأما الحشر من الجند والرعا فقلبت عليهم عادة الهويتنا ، حتى لو رأيناه يجذبه الأمر فما يجد له الأمر غناء عنده ولا نشاطا ولا حدا ان وكله الى قوته ، وقواه بماله (٤) .

فلما رأى ما رأى من تخاذل العامة ، وتواكل الجنود ونزور الفئء ، وجمود الحلب ، واستكلاب العمال على الخيانة ، وجراة الرعية على منع الحق ، وما الفراغ بكثير من الناس عن القصد ، فتحرکت الأهواء ، واستعرت نيران العصبية ، وجاشت صدور الحسدة وأشياعهم بالأمانى ، وظنوا أن لا شدة معه ، وأن عفوه لا نكير بعده ، وأمير المؤمنين يرمقهم بعين بصيرة ، وأذن مصيخة ، وقلب يقظان ، وقد وقر الحلم أن يخف لأول بوارد السفهاء ، فهو ينتظر بالمذير أن يقبل ، وبالمائد أن يعتدل ، وبالمغلوب على رأيه أن يتذكر قبيصر ، شمر فى أثرهم تشمير من قدم الروية قبل العجلة ، والعفو قبل العقوبة ، والتثبت قبل الاقدام ، فاتخذ روابط أنتجها على الجلد والنشاط ، ليست لهم سوابق تدعوهم الى الادلال ، وتسمو بهم الى كثير لم ينالوه ، انما همهم أن يتفاضلوا فى النجدة ، ويستوجبوا بالغناء ، ثم فرقهم على خواص خدمه ، فاذا أراد أن يتناول بهم فرصة ممكنة ، أو عدوا غاط (٥) ، أو راتق فتق قبل الساعة ، يغمس يديه الى أيهم أراد ، فينفذ لأمره ولم يشركه فيه مشير ، ولم يخرج به توقيع ، ولم يخص فيه عامة ، ولم يطلع منه على مكيدة ، فلم نعلم أننا رأينا جندا أسرع نهضة اذا مروا ، وأحسن اجابة اذا دعوا ، وأفضل غناء اذا استكفوا من جنده . ثم قصد بنفسه حتى مثل بين النواحي الى أهمها له فسادا فى البيضة ، وانتقاصا من الأطراف ، فأتى ناحية الشام فوطئها وطأة جمع الله بها لهم شتات الفرقة ، وأحمد بها بينهم نار الفتنة .

وأما الجزيرة فانه ألفاها وهى كالجرح النغل ، فاستأصل الله به منها شأفة الداء ، وأطفأ به عنها بوارد السفهاء ، وخير أمير المؤمنين من منزله الذى هو به منزلا

(١) الشخب (بالضم) : ما خرج من تحت يد الحالب عند كل غمرة وعصرة للضرع .

(٢) فوقه الشيء : اعطاه اياه قليلا قليلا .

(٣) فى الأصل : « بما اته » .

(٤) فى الأصل : « ان وكله الى قوته ولا نشاطا ولا حدا وقواه بماله » .

(٥) غاط : نخل .

جمع من بسطته في الموضع ، ورفاهيته في المعاش ، أنه حامل للجنود ، جامع للمرافق ، فباشروا أمره أمرا أمرا ، حتى إذا استدبر له منها مبرم ، استقبل بعده جسام منتقض ، وإذا أشحن من ثغوره ثغرا لم يرض حتى يفتتح من حصون أعدائه حصنا ، وإذا قضى الله عنه حجة ، وصل خطوه منها عزا ، ثم رأينا ما عزم الله به عليه من ترك الصوائف (١) مراقبا للذي كان من غموط أهل الشام لما كانوا فيه من النعمة ، ولم نتشكك في أنه توفيق من الله له وافق سخطا عليهم حتى استباحوا الحرم ، وتسافكوا الدماء ، ونقضوا ما بينهم من مبرم حبل الاسلام .

ومن ذلك أن أرمينية كانت فيها جنود تخرج عليهم أطماع تحمل اليها ، بعد اعترافهم باخراجهم الأموال من كور الشام ، فلما رأى ذلك فعل كذا وكذا ، فلم يتوكل على الله في أمر فوكله الى نفسه ، ولم يكتف به في حفظ طرف أو قاصية ثغر الا كفاه مؤونته ، وعلم أن ما يدخل ممن أضعاف العافية من عوارض العلل ، انما هو بتقدير من الله لا يمتنع بعذر ، ولا يستطاع دفعه بحيلة ، يصيب فيه أقواما بالبلايا والتمحيص ، ويقسم فيه لأقوام الأجر والجهاد والسعادة ، فرأى أن في عاجل ما يرفع عن أهل أرمينية من ضرر مؤونتهم وغمطهم نفعا للرعية ، واجملا للفيء ، ورفقا بالعامّة مع اقتصاده في الأبواب على أكناف سجيتها ، وفي سائر أرمينية على المقاتلة من أهلها ، ولم يزل منذ أراه الله ذلك ، يكفيه مؤونة ذاك الثغر ، ويكف عنه بوائقه ، حتى كأنه في هدوء الأحداث عنه ، وسكون الأفئدة من روعاته مصر من الأمصار ، واسط المحلة مأمون النائرة . فلما اغتتم خاقان ما اغتتم ، وانتهاز الفرصة مبادرا ، لما قد آيقن من معالجة المؤمنين اياه ، فكأنه حين بلغه ذلك من اعظامه اياه بسببه له ، وما أنصب فيه من بدنه ، وأسهر فيه من ليله ، وأنضب فيه من نهاره ، لم يعلم الذي يكون من اشتباهه في الأزمنة الماضية قبله ، وأنه بذلك لجد عالم ، غير أن حميته للاسلام وشفقته عليه وامتعاضه من أن يتناول شيء من أطرافه ، قد زاد ذلك عنده قدرا في العظم ، وتفاقما في الخطب ، حتى أكمل البعث بأكثر العدد ، وأكمل العدة ، واستقل أهل الكور والأمصار ، وندب له من أهل بيته من لم يترك بعده نهاية في التخير ، وكان قد صرف باله الى هذين الثغرين من الخزر والروم ، والى هذين العدوين المحاربين له من المارقة المتعصبة .

فلما بلغ الله في احكام أمرهما ما بلغ ، لم يستغن عن إعادة النظر في أمر غيرهما من نواحيه ليستبرئ به ، وأرادته في أقوام يدافع ظنونهم به في أخرى ، وعلم غيرهما أن ما شمل من بمدينة السلام من الأمن والفراغ نتيجة مكروهة ، فشخص عنها لتحقيق ذلك مؤثرا لأبغض وطنيه على أحبهما وأخشن عيشيه على أليئهما ، فلما ظهرت له

(١) الصوائف : جمع صائفة وهي الغزوة في الصيد .

العورة أقدم أقدام ذى الحجة ، فلم ير مثلها نارا خبت ، وسحابة أقشعت ، لم يسفك بها دم امرئ مسلم صبورا ، ولم ينتهك فيها حرمة محرم اباحة .

وذلك أنه بسط يده بسط من يريد الاستصلاح لا من يريد الانتقام ، فلم يلبث الظالم أن يرجع عن ظلمه ، والناطق أن صمت عن بدعته ، والناكث أن رجع إلى قصده ، وازداد البرىء على البراءة فرحا ، والسلام بالسلامة اغتباطا ، ولم نر مثله فيما أفضى الله به إليه من خلافته ، وحمله من أمور عبادته ، أما ليله بمناجاة ربه فيها واستعانتة إياه عليها فساھر ، وأما نهاره في حلب فيئها واحكام أدورها فتعب ، وأما صدقاته عنى فقرائها وأهل الحاجة فجارية ، وأما مجلسه من فقائها وصلحائها فغاص ، وأما غلظته على ظالمها فعتيدة ، وأما أفضاله لمظلومها فمبسوطة ، ولئن كان الحق ألزم أقواما استوجبوا في أنفسهم وأموالهم ، انا لنعلم أن ما ترك أكثر ، وأنه أولا ما خفف من الوطأة على أقوام لحمل الواحد منهم مثل الذى حمله للجميع ، ولكنه رضى بالعمو ، وسخا نفسا عن الاستقصاء ، فأرجب أن يبسط يدا بغاظة ويتبعها أخرى بلين ، فكان من ذلك نظره في هذه البقايا التى هى فى المسلمين ومال الله ، غير أن الله جعله قيمة فيه ، وفى أخذه وصرفه فى وجوهه ، فلما رأى ضراوة (١) العمال بها ، وصانعتهم دونها ، وأن قد صارت كالسنة اللازمة لا يدعها عفيفهم تورعا ، ولا شريفهم تنزها ، أحب مع توفيره للمسلمين فيئهم ، أن يحدث لهم أدبا يظم به عنهم أهل الضراوة ، ويعرف به ذوو الاستخفاف بالأمانة ، والأمر للتبعة ، أن عليهم (٢) من تفقده وأدبه عينا ترمق ، ويذا تقبض ، ولو أنه حين هم بأخذ تلك البقايا جعل على المؤسر بتدر يساره ، وأخذ المعسر بطاعته ، كان قد أنصف ، كلا ! ولكنه أحب أن يستبقى قوة ، ولا يبلغ من المكثر جهدا ، واقتصر بهم على العشر من ذلك ، كرما فى القدرة حين رأى موضع الرفق ، وتجافى عن العلة حين عرف مكان الغدر ، فأى نعمة أعظم ، وأى بلاء أحسن من هذه البقايا ! كانت فى أيديهم جماما ، فلما اطلع طلعتها ، وأخذ ما أخذ ، وترك ما ترك ، محلا مع ما جعل الله فى ذلك من [كلمات (٣)] انقصر من الأعمال المؤذية التى لم تكن تعدو أفواههم ، فليس منهم أحد الا وكان منه له واعظ ألا يكسر شيئا من الخراج تضييعا ، أو يأخذه غلولا (٤) أو ينفقه اسرافا ، أو بتركه ارهابا .

فلما تفرغ من علاج الداء المخوف واستأصله ، ومن الفئ المتفرق فجمعه ، ومن الأمور المعطلة فأحكمها ، استخلف على القيام بذلك من يحويه عقله عن حذر ،

(١) الضراوة : اللعج بالشئ والاعراء به .

(٢) فى الأصل : « لهم » والسياق يقتضى ما أثبتناه .

(٣) وضعنا هذه الكلمة لأنها تتفق والسياق ومكانها فى الأصل بياض .

(٤) الغلول : الطعام أو الشراب الذى يسفل فى الجوف .

ولا اضاعة عن حفظ ، ولا لين عن تشدد ، ولا يستحل الأكف عن نقض ما أبرم ،
ولا مزاوله ما أحكم ، ولا فتح ما أغلق ، ولا اغلاق ما فتح ، فلان خيرة أبويه ، ومع
بيضته ، وجوهر أرومته ، الفائت سبقا ، البين عدوا ، الراسخ عرقا ، المنفجر بحرا ،
المحمود أمرا ، القائل فصلا ، الحاكم عدلا ، ثم انصرف بما أفاده الله من الأجر الى
جناحه الذي كان مده على من خلف من الأهل والأموال والرعايا والجنود ، فلان
سلبلة صلبه ، وثورة قلبه ، المحتنك مع فتاء سنه عقلا ، والمأمون مع شدة شكيمته
حملا ، والمحصد مع لينه وتعطفه أمرا ، الشبيه بأمر المؤمنين ان نطق نطقا ، وان
نظر لحظا ، وان سئل جودا ، وان اهتمر عودا ، وان ساس رفقا ، وان غضب حلما ،
وان وصف حلما ، وان كلم فهما ، وان قدر عفوا ، وان لقي بشرا ، وان نازع فلجا ،
وان قسار ظفرا ، فكان عند ظنه به ، رعاية للحرمة ، وحزما في المكيدة ، وحلما
للقى ، وحيطة للغائب ، ومباشرة للشاهد ، هذا قليل من كثير . مما جعلك الله
أمله ، وانما اقتصرت عليه لأنى رأيت المتكلمين من الخطباء تركوه ، وأن ما سمعت
من الكتب المقروءة لم تنظمه ، فأحببت أن يعلم أمير المؤمنين أن له في كل أمر عمل به
في رعبته حجة واضحة ، وعذرا معروفا ، ان قام به متكلم في خاصة حسن موقعه ،
وان قرىء به كتاب في عامة ، قويت به حجته .

والحمد لله الذي جعله وذريته أولياء هذه النعم ، والمخصوصين بهذه الفضائل ،
ونسأله أن يقيه وإياهم للدين الذي سد بهم عورته ، والحق الذي أقر بهم جادته ،
والعدل الذي أوضح بهم أعلامه ، حتى يكونوا ورثة هذه الأمة وخلفاءها في غابر
الدهر ، وباقيات الأيام ، مستقلين بالعدل ، موفقين المسداد ، معصومين من الشبهات ،
مستوجبين مع فضائل الدنيا لأفضل كرامات المعاد والسلام (١) .

(١) هذه الرسالة ورسالة أبي الربيع محمد بن الليث السابقة من كتاب اختيار المنظوم والمنثور
لابن طيفور .

كتب الرشيد

١ - كتاب عهد البيعة (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب لعبد الله هارون أمير المؤمنين ، كتبه محمد بن هارون أمير المؤمنين في صحة من عقله ، وجواز من أمره ، طائعا غير مكره ، ان أمير المؤمنين ولأني العهد من بعده ، وصير البيعة لي في رقاب المسلمين جميعا ، وولي عبد الله بن هارون أمير المؤمنين العهد والخلافة ، وجميع أمور المسلمين بعدى ، برضا منى وتسليم ، طائعا غير مكره . وولاد خراسان وثغورها ، وكورها وحربها ، وجندها وخراجها ، وطرازها وبريدها ، وبيوت أموالها وصدقاتها ، وعشرها وعشورها ، وجميع أعمالها في حياته وبعده ، وشرطت لعبد الله هارون أمير المؤمنين ، برضا منى وطيب نفس ، أن لأخي عبد الله بن هارون على الوفاء بما عقد له هارون أمير المؤمنين : من العهد والولاية والخلافة ، وأمر المسلمين جميعا بعدى ، وتسليم ذلك له وما جعل له من ولاية خراسان وأعمالها كلها ، وما أقطعه أمير المؤمنين من قطيعة ، أو جعل له من عقدة أو ضيعة من ضياعه ، أو ابتاع من الضياع والعقد . وما أعطاه في حياته وصحته من مال ، أو حلي أو جوهر ، أو متاع أو كسوة ، أو منزل أو دواب ، أو قليل أو كثير ، فهو لعبد الله بن هارون أمير المؤمنين ، موفرا عليه مسلما له . وقد عرفت ذلك كله شيئا شيئا ، فان حدث بأمر المؤمنين حدث الموت ، وأفضت الخلافة الى محمد ابن أمير المؤمنين ، فعلى محمد انفاذ ما أمره به هارون أمير المؤمنين ، في تولية عبد الله بن هارون أمير المؤمنين خراسان وثغورها ، ومن ضم اليه من أهل بيت أمير المؤمنين بقرماسين (٢) ، وأن يهضى عبد الله ابن أمير المؤمنين الى خراسان والرى ،

(١) هذا العهد ورد في تاريخ اليعقوبى (ج ٢ ص ٥٠٢ طبعة ليدن) وفيه عبارات تخالف

ما أثبتناه هنا عن الطبرى .

(٢) قرماسين : موضع بين الزبيدية ومكة .

والكور التي سماها أمير المؤمنين حيث كان عبد الله بن منين من معسكر أمير المؤمنين وغيره ، من سلطان أمير المؤمنين ، وجميع من ضم إليه منين حيث أحب من لدن الرى الى أقصى خراسان ، ليس لمحمد ابن أمير المؤمنين يحول عنه قائدا ولا مقودا ولا رجلا واحدا ممن ضم إليه من أصحابه الذين ضمهم أمير المؤمنين ، ولا يحول عبد الله ابن أمير المؤمنين عن ولايته التي ولاه اياها هارون أمير المؤمنين من ثغور خراسان وأعمالها كلها ، ما بين عمل الرى مما يلى همدان الى أقصى خراسان • وثغورها وبلادها ، وما هو منسوب اليها ولا شخصه اليه ، ولا يفرق أحدا من أصحابه وقواده ولا يولى عليه أحدا ، ولا يبعث عليه ولا على أحد من عماله وولاة أموره بئذارا (١) ولا محاسبا ولا عاملا ، ولا يدخل عليه فى صغير من أمره ولا كبير ضررا ، ولا يحول بينه وبين العمل فى ذلك برأيه وتديره ، ولا يعرض لأحد ممن ضم إليه أمير المؤمنين من أهل بيته وصحابته ، وقضاته وعماله ، وكتابه وقواده ، وخدمه ومواليه وجنده ، بما ياتمس ادخال الضرر والمكروه عليهم فى أنفسهم ، ولا قراباتهم ولا مواليتهم ، ولا أحد يتنسل منهم ، ولا فى دمائهم ولا فى أموالهم ، ولا فى ضياعهم ودورهم ، ورباعهم وأمتعتهم ، ورقيقهم ودوابهم ، شيئا من ذلك صغيرا ولا كبيرا ، ولا أحد من الناس بأمره ورأيه وسواء ، وبترخيص له فى ذلك ، وادهان منه فيه لأحد من ولد آدم ، ولا يحكم فى أمرهم ، ولا أحد من قضاته ومن عماله ، ومن كان بسبب منه ، بغير حكم عبد الله ابن أمير المؤمنين ورأيه ورأى قضاته ، وإن نزع اليه أحد ممن ضم أمير المؤمنين الى عبد الله ابن أمير المؤمنين ، من أهل بيت أمير المؤمنين وصحابته ، وقواده وعماله وكتابه وخدمه ، ومواليه وجنده ، ورفض اسمه ومكتبه ومكانه مع عبد الله ابن أمير المؤمنين ، عاصيا له ، أو مخالفا عليه ، فعلى محمد ابن أمير المؤمنين رده الى عبد الله ابن أمير المؤمنين ، بصغر له وقماء (٢) ، حتى ينفذ فيه رأيه وأمره ، فإن أراد محمد ابن أمير المؤمنين خلع عبد الله ابن أمير المؤمنين عن ولاية العهد من بعده ، أو عزل عبد الله ابن أمير المؤمنين عن ولاية خراسان ، وثغورها وأعمالها ، والذي من حد عملها مما يلى همدان ، والكور التي سماها أمير المؤمنين فى كتابه هذا ، أو صرف أحد من قواده الذين ضمهم أمير المؤمنين اليه ، ممن قدم قرماسين ، أو أن ينتقصه قليلا أو كثيرا ، مما جعله أمير المؤمنين له ، بوجه من الوجوه ، أو بحيلة من الحيل ، صغرت أو كبرت ، فلعبد الله بن هارون أمير المؤمنين الخلافة بعد أمير المؤمنين ، وهو المقدم على محمد ابن أمير المؤمنين ، وهو ولى الأمر من أمير المؤمنين ، والطاعة من جميع قواد أمير المؤمنين هارون ، من أهل خراسان وأهل العطاء ، وجميع المسلمين فى جميع الأجناد والأمصار لعبد الله ابن أمير المؤمنين والقيام معه ، والمجاهدة لمن خالفه ، والنصر

(١) البندار : الحافظ •

(٢) انقضاء : النذل والخضوع •

له والذب عنه ، ما كانت الحياة في ابدانهم ، وليس لأحد منهم جميعا من كانوا أو حيث كانوا أن يخالفه ولا يعصيه ، ولا يخرج من طاعته ، ولا يطيع محمد ابن أمير المؤمنين في خلق عبد الله بن هارون أمير المؤمنين ، وصرف العهد عنه من بعده ابن غيره ، أو تنقصه شيئا مما جعله له أمير المؤمنين هارون ، في حياته وصحته ، واشترط في كتابه الذي كتبه عليه في البيت الحرام ، وفي هذا الكتاب ، وعبد الله ابن أمير المؤمنين المصدق في قوله ، وأنتم في حل من البيعة التي في أعناقكم لمحمد ابن أمير المؤمنين هارون ، ان نص شيئا مما جعله له أمير المؤمنين هارون ، وعلى محمد بن هارون أمير المؤمنين أن ينفذ لعبد الله ابن أمير المؤمنين هارون ، ويسلم له الخلافة ، وليس لمحمد ابن أمير المؤمنين هارون ، ولا لعبد الله ابن أمير المؤمنين ، أن يخلعا القاسم ابن أمير المؤمنين هارون ، ولا يقدم عليه أحدا من أولادهما وقربائهما ، ولا غيرهم من جميع البرية ، فإذا أفضت الخلافة الى عبد الله ابن أمير المؤمنين ، فالأمر اليه في امضاء ما جعله أمير المؤمنين من العهد للقاسم بعده ، أو صرف ذلك عنه الى من رأى من ولده وأخوته ، وتقديم من أراد أن يقدم قبله ، وتصيير القاسم ابن أمير المؤمنين بعد من يقدم قبله ، يحكم في ذلك بما أحب ورأى ، فعليكم معشر المسلمين انفاذ ما كتب به أمير المؤمنين في كتابه هذا ، وشروط عليهم وأمر به ، وعليكم السمع والطاعة لأمر المؤمنين فيما الرمكم ووجب عليكم لعبد الله ابن أمير المؤمنين ، وعهد الله وذمته ذلك شيئا ، أو غيرتم أو نكنتم ، أو خالفتم ما أمركم به أمير المؤمنين ، واشترط عليكم على الملائكة المقربين والنبیین والمرسلين ، ووكلها في أعناق المؤمنين والمسلمين ، لتفن لعبد الله أمير المؤمنين بما سمى ، ولمحمد وعبد الله والقاسم بنى أمير المؤمنين بما سمى ، وكتب في كتابه هذا واشترط عليكم ، وأقررتم به على أنفسكم ، فإن أنتم بدلتم من ذلك شيئا ، أو غيرتم أو نكنتم ، أو خالفتم ما أمركم به أمير المؤمنين ، واشترط عليكم في كتابه هذا ، فبرئت منكم ذمة الله ، وذمة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وذم المؤمنين والمسلمين ، وكل مال هو اليوم لكل رجل منكم ، أو يستفيده الى خمسين سنة فهو صدقة على المساكين ، وعلى كل رجل منكم المشى الى بيت الله الحرام الذي بمكة خمسين حجة ، نذرا واجبا ، لا يقبل الله منه الا الوفاء بذلك ، وكل مملوك لأحد منكم ، أو يملكه فيما يستقبل الى خمسين سنة حر ، وكل امرأة له فهي طالق ثلاثا البتة ، طلاق الحرج لا مثنوية فيها ، والله عليكم بذلك كفيل وراع ، وكفى بالله حسبا .

٢ - نسخة الشرط الذي كتب عبد الله ابن أمير المؤمنين

بخط يده في العبة

هذا كتاب لعبد الله هارون أمير المؤمنين ، كتبه له عبد الله بن هارون أمير

المؤمنين ، فى صحة من عقله ، وجواز من أمره ، وصدق نية فيما كتب فى كتابه هذا ، ومعرفة بما فيه من الفضل والصلاح له ولأهل بيته وجماعة المسلمين .

ان أمير المؤمنين هارون ولانى العهد والخلافة ، وجميع أمور المسلمين فى سلطانه ، بعد أخى محمد بن هارون ، وولانى فى حياته ثغور خراسان وكورها وجميع أعمالها ، وشرط على محمد بن هارون الوفاء بما عقد لى من الخلافة ، وولاية أمور العباد والبلاد بعده ، وولاية خراسان وجميع أعمالها ، ولا يعرض لى فى شىء مما أقطعنى أمير المؤمنين ، وابتاع لى من الضياع والعقد والرباح ، وابتعت منه من ذلك ، وما أعطانى أمير المؤمنين من الأموال ، والجوهر والكساء ، والمتاع والدواب ، والرقيق وغير ذلك ، ولا يعرض لى ولا لاحد من عمالى وكتابى بسبب محاسبة ، ولا يتبع لى فى ذلك ، ولا لاحد منهم أبدا ، ولا يدخل على ولا عليهم ، ولا على من كان معى ، ومن استعنت به من جميع الناس مكروها فى نفس ولا دم ولا شعر ولا بشر ولا مال ، ولا صغير من الأمور ولا كبير ، فاجابه الى ذلك وأخر به ، وكتب له كتابا أكد فيه على نفسه ، ورضى به أمير المؤمنين هارون ، وقبله وعرف صدق نيته فيه ، فشرطت لأمر المؤمنين ، وجعلت له على نفسى أن أسمع لمحمد ، وأطيع ولا أعصيه ، وأنصح ولا أغنيه ، وأوفى ببيعته وولايته ، ولا أغدر ولا أنكث ، وأنفذ كتبه وأموره ، وأحسن مؤازرته وجهاد عدوه فى ناحيتى ، ما وفى لى بما شرط لأمر المؤمنين فى أمرى ، وسمى فى الكتاب الذى كتبه لأمر المؤمنين ، ورضى به أمير المؤمنين ، ولم يتبعنى بشىء من ذلك ، ولم ينقض أمرا من الأمور التى شرطها أمير المؤمنين لى عليه ، فان احتاج محمد ابن أمير المؤمنين الى جند ، وكتب الى يأمرنى بأشخاصه اليه ، أو الى ناحية من النواحي ، أو الى عدو من أعدائه خالفه ، أو أراد نقص شىء من سلطانه أو سلطانى الذى اسنده أمير المؤمنين الينا ، وولانا اياه ، فعلى أن أنفذ أمره . ولا أخالفه ولا أقصر فى شىء كتب به الى ، وان أراد محمد أن يولى رجلا من ولده العهد والخلافة من بعدى ، فذلك له ما وفى لى بما جعله أمير المؤمنين الى ، واشترط لى عليه ، وشرط على نفسه فى أمرى ، وعلى انفاذ ذلك والوفاء له به لا أنقص من ذلك ولا أغیره ولا أبدله ولا أقدم قبل أحدا من ولدنى ولا قريبا ولا بعيدا من الناس أجمعين ، الا أن يولى أمير المؤمنين هارون أحدا من ولده العهد من بعدى ، فيلزمى ومحمدا الوفاء له ، وجعلت لأمر المؤمنين ومحمد على الوفاء بما شرطت وسميت فى كتابى هذا ، ما وفى لى محمد بجميع ما اشترط لى أمير المؤمنين عليه فى نفسى ، وما أعطانى أمير المؤمنين من جميع الأشياء المسماة فى هذا الكتاب الذى كتبه لى ، وعلى عهد الله وميثاقه ، وذمة أمير المؤمنين وذمتى ، وذمم آبائى وذمم المؤمنين ، وأشد ما أخذ الله على النبيين والمرسلين من خلقه أجمعين ، من عهوده ومواريقه ، والأيمان المؤكدة التى أمر الله بالوفاء بها ، ونهى عن نقضها وتبديلها ، فان أنا نقضت شيئا مما شرطت وسميت فى كتابى هذا ، أو غيرت أو بدلت أو نكثت أو غدوت ، فبرئت من الله عز وجل ، ومن ولايته ودينه ، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولقيت الله يوم القيامة كافرا مشركا ، وكل امرأة

هني لي اليوم ، أو أتزوجها الى ثلاثين سنة طالق ثلاثا البتة ، طلاق الحرج ، وكل مملوك هو لي اليوم ، أو أملكه الى ثلاثين سنة ، أحرار لوجه الله ، وعلى المشي الى بيت الله الحرام بمكة ثلاثين حجة ، نذرا واجبا على في عنقي ، حاقيا راجلا لا يقبل الله مني الا الوفاء بذلك ، وكل مال لي أو أملكه الى ثلاثين سنة هدى بالغ الكعبة ، وكل ما جعلت لأمير المؤمنين ، وشرطت في كتابي هذا لازم لي ، لا أضمر غيره ، ولا أسوي غيره .
وشيد سليمان ابن أمير المؤمنين ، وفلان وفلان . وكتب في ذي الحجة سنة ست وثمانين ومائة .

٣ - نسخة كتاب الرشيد الى العمال

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد ، فإن الله ولي أمير المؤمنين وولي ما ولاه ، والحافظ لما استرعاه ، وأكرمه به من خلافته وسلطانه ، والصانع له فيما قدم وأخر من أموره ، والمنعم عليه بالنصر والتأييد في مشارق الأرض ومغاربها ، والكافي والحافظ والكافي من جميع خلقه ، وهو المحمود على جميع آلائه ، المستول تمام حسن ما أمضى من قضائه لأمير المؤمنين وعادته الجميلة عنده ، والهام ما يرضى به ويوجب له عليه أحسن المزيد من فضله ، وقد كان من نعمة الله عز وجل عند أمير المؤمنين وعندك وعند عوام المسلمين ما تولى الله من محمد وعبد الله ابني أمير المؤمنين من تبليغه بهما أحسن ما أملت الأمة ومدت إليه أعناقها ، وقذف الله لهما في قلوب العامة من المحبة والمودة والسكون اليهما والثقة بهما لعماد دينهم وقوام أمورهم وجمع ألفتهم وصلاح دهمائهم ودفع المحذور والمكروه من الشتات والفرقة عنهم حتى ألقوا اليهما أزمتهن ، وأعطوهما بيعتهن ، وصفقات أيمانهم بالعهود والمواثيق ووكيد الأيمان المغلظة عليهم ، أراد الله فلم يكن له مرد ، وأمضاه فلم يقدر أحد من العباد على نقضه ولا إزالته ، ولا صرف له عن محبته ومشيبته ، وما سبق في علمه منه ، وأمير المؤمنين يرجو تمام النعمة عليه وعليهما في ذلك ، وعلى الأمة كافة لا عاقب لأمر الله ولا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ، ولم يزل أمير المؤمنين منذ اجتمعت الأمة على عقد العهد لمحمد ابن أمير المؤمنين من بعد أمير المؤمنين ، ولعبد الله ابن أمير المؤمنين من بعد محمد ابن أمير المؤمنين يعمل فكره ورأيه ونظره ورويته ، فيما فيه الصلاح لهما ولجميع الرعية ، والجمع للكلمة ، واللم للشعث ، والدفع المشتات والفرقة ، والحسم لكيد أعداء النعم من أهل الكفر والنفاق ، والغل والشقاق ، والقطع لآمالهم من كل فرصة يرجون ادراكها وانتهازها منهما بانتقاص حقهما ، ويستخير الله أمير المؤمنين في ذلك ويسأله العزيمة له على ما فيه الخيرة لهما ، ولجميع الأمة والقوة في أمر الله وحقه وائتلاف أهوائهما ، وصلاح ذات بينهما ، وتحصينهما من كيد أعداء النعم ، ورد حسدهم ومكرهم وبغيهم وسعيهم بالفساد

بينهما ، فعزم الله لأمر المؤمنين على الشخصوس بهما الى بيت الله وأخذ البيعة منهما لأمر المؤمنين بالسمع والطاعة والانفاذ لأمره ، واكتتاب الشرط على كل واحد منهما لأمر المؤمنين وإلهما بأشد الموائيق والعهود ، وأغلظ الايمان والتوكيد ، والأخذ لكل واحد منهما على صاحبه بما التمس به أمير المؤمنين اجتماع ألفتهم ومودتهم وتواصلهم ومؤازرتهم ومكاتفهم على حسن النظر لأنفسهم ، ولرعية أمير المؤمنين التي استرعاهما ، والجماعة لدين الله عز وجل وكتابه وسنن نبيه صلى الله عليه وسلم ، والجهاد لعدو المسلمين من كانوا وحيث كانوا وقطع طمع كل عدو مظهر للعداوة ومسر لها ، وكل منافق ومارق ، وأهل الأهواء الضالة المضلة من فرقة تكيد بكيد توقعه بينهما ، وبدحس (١) يدحس به لهما ، وما يلتمس أعداء الله وأعداء النعم وأعداء دينه من الضرب بين الأمة والسعى بالفساد فى الأرض ، والدعاء الى البدع والضلالة ، نظرا من أمير المؤمنين لدينه ورعيته ، وأمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، ومناصحة لله ولجميع المسلمين ، وذبا عن سلطان الله الذى قدره وتوحد فيه للذى حملة إياه ، والاجتهاد فى كل ما فيه قربة الى الله ، وما ينال به رضوانه والوسيلة عنده .

فلما قدم مكة أظهر لمحمد وعبد الله رأيه فى ذلك وما نظر فيه لهما ، فقبلا كل ما دعاهما اليه من التوكيد على أنفسهما بقبوله ، وكتبا لأمر المؤمنين فى بطن بيت الله الحرام بخطوط أيديهما بمحضر ممن شهد الموسم من أهل بيت أمير المؤمنين وقواده ، وصحابته وقضاته ، وحجبة الكعبة وشهاداتهم عليهما ، كتابين استودعهما أمير المؤمنين الحجبة ، وأمر بتعليقهما فى داخل الكعبة ، فلما فرغ أمير المؤمنين من ذلك كله فى داخل بيت الله الحرام وبطن الكعبة ، أمر قضاته الذين شهدوا عليهما وحضروا كتابهما أن يعلموا جميع من حضر الموسم من الحاج والعمار ووفود الأمصار ، ما شهدوا عليه من شرطهما وكتابهما وقراءة ذلك عليهم ، ليفهموه ويعوه ويعرفوه ويحفظوه ويؤدوه الى اخوانهم وأهل بلدانهم وأمصارهم ، ففعلوا ذلك ، وقرئ عليهم الشرطان جميعا فى المسجد الحرام ، فانصرفوا وقد اشتهر ذلك عندهم ، وأثبتوا الشهادة عليه ، وعرفوا نظر أمير المؤمنين وعنايته بصلاحهم ، وحقق دمائهم ولم شعثهم ، واطفاء جمرة أعداء الله وأعداء دينه وكتابه وجماعة المسلمين عنهم ، وأظهروا النداء لأمر المؤمنين والشكر لما كان منه فى ذلك ، وقد نسخ لك أمير المؤمنين ذينك الشرطين اللذين كتبهما لأمر المؤمنين إبناء محمد وعبد الله فى بطن الكعبة فى أسفل كتابه هذا ، فاحمد الله عز وجل على ما صنع لمحمد وعبد الله وليي عهد المسلمين حمدا كثيرا ، واشكره ببلائه عند أمير المؤمنين وعند وليي عهد المسلمين وعند جماعة أمة محمد صلى الله عليه وسلم كثيرا ، واقرأ كتاب أمير المؤمنين على من قبلك من المسلمين وأفهمهم إياه ، وقم به بينهم وأثبتته فى الديوان قبلك ، وقبل قواد أمير

(١) الدحس : الفساد .

المؤمنين ورعيته قبلك ، واكتب الى أمير المؤمنين بما يكون في ذلك ، ان شاء الله .
وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وبه الحول والقوة والطول . كتبه اسماعيل بن صبيح يوم
السبت لسبع ليال بقين من المحرم سنة ست وثمانين ومائة .

باب المنظوم

صورنا لك بالمجلد الأول حالة الشعر في صدر الدولة العباسية وذكرنا لك
جملة صالحة من شعراء ذلك العصر ووعدناك بذكر مختارات من شعرهم ، واليك
ما وعدناك به .

١ - بشار بن برد العقيلي (١)

سأله المهدي لما دخل عليه فقال له : فيمن تعتد يا بشار ؟ فقال : أما اللسان
والزى فعربيان ، وأما الأصل فعجمي ، كما قلت في شعري يا أمير المؤمنين :

(١) هو أبو معاذ بشار المرعشي بن برد ، أشعر مخضرمي الدولتين ، ورأس الشعراء المحدثين ،
ومعهد طريق الاختراع ، والبديع - للمتفنين ، وأحد البلغاء المكفوفين . وأصله من فارس طخارستان
من سبي المهلب بن أبي صفرة ، ووقع ملك أبويه لبنى عقيل بن كعب ، فنشأ بشار فيهم
وقربي في منازلهم ، واختلف الى الأعراب الضاربين بالبصرة حتى يخرج نابغة زمانه في الفصاحة
والشعر . وكان أكمه مجدور الوجه ، قبيح المنظر ، مفرط الطول ، ضخم الجثة ، متوقد الذكاء ،
صائق الحس ، لطيف الدراية ، شديد المجون والاستخفاف بالناس ، كثير الاستهتار بالدين ،
قليل المبالاة للوقوع فيه ، متهما بالزندقة شعوبياً ، متعضياً على العرب ، شديد التبرم بالناس ،
نهاشاً لأعراضهم ، لا يسلم من لسانه خليفة ولا سوقة ، وكان من سعادة الرجل من أهل البصرة
الا يعرف بشاراً ولا بشار يعرفه ، فانه ان لم يصبه في عرضه أصابه في ماله . وقال بشار
الشعر ولم يبلغ عشر سنين ، وما بلغ الحلم الا وهو مخشى معرفة لسانه .

وقد أجمع رواة الشعر ونقده على أن بشاراً هو رأس المحدثين وأسيقهم الى معاطاة البديع
وطرق أبواب المجون والخلاعة والغزل الرقيق الحضري والهجاء المقذع .
وانه أول من جمع في شعره بين جزالة العرب ورقة المحدثين ، وفتق عن المعاني الدقيقة ،
والأخيلة اللطيفة ، حتى عد شعره برزخاً بين الشعر القديم والحديث ، ومجازاً يعبر عليه الشعر
من مراحب البداوة الى مقاصير الحضارة .

وقد طرق كل باب من أبواب الشعر التي عرفت قبله وأربى عليها ، وغلب عليه الهجاء والتشبيب
بالنساء والخروج به عن الحد المألوف عند أهل زمانه . حتى أنكروه عليه العلماء المتورعون لما رأوا
من سوء أثره في شبان البصرة .

ونبتت قوما بهم جنة * يقولون من ذا وكنت العلم
ألا أيها السائل جاهدنا * ليعرفني أنا أنف السكرم
نمت في الكرام بنى عامر * فروعى وأصل قریش العجم
فانى لأغنى مقام الفتى * وأصبي الفتاة فما تعصم

وكان أبو دلامة حاضرا ، فقال : كلا ! لوجهك أقبح من ذلك . وجهى مع
وجهك ، فقال بشار : كلا ! والله ما رأيت رجلا أصدق على نفسه وأكذب على جليسه
منك ، والله انى لطويل القامة ، عظيم الهامة ، تام الألواح ، وأسجع الخدين ، ولرب
مسترخى المزورين للعين فيه مراد . ثم قال له المهدي : من أى العجم أصلك ؟ فقال :
من أكثرها فى الفرسان وأشدّها على الأقران ، أهل طخارستان ، فقال بعض القوم :
أولئك الصغد ، فقال : لا ! الصغد تجار ، فلم يرد ذلك المهدي .

وكان بشار كثير التلون فى ولائه ، شديد التشيع والتعصب للعجم ، مرة يقول
يفتخر بولائه فى قيس :

أمنت منرة الفحشاء انى * أرى قيسا تشب (١) ولا تضار
كان الناس حين تغيب عنهم * نبات الأرض أخطاه القطار
وقد كانت بتلمر خيل قيس * فكان لتدمر فيها دمار
بحى من بنى عيلان شوس * يسير الموت حيث يقال ساروا
وما نلقاهم الا صسدنا * برى منهم وهم حرار

ومرة يتبرأ من ولاء العرب فيقول :

= وقد نهاه المهدي عن التشبيب ، فكان اذا مالت له نفسه يذكر منه ما يشاء ويقول : ان الخليفة
منعه من كذا وكذا وأنه له مطيع .

وضمن ذلك بعض قصائد مدح بها الخليفة ، فلم يزد على أن حرمة الجائزة ، وشجعه على ذلك .
وزيهر يعقوب بن داود ، وكان متورعا ، فهاهما ، فكان ذلك الى زندقته سبب . قتله . قوفى سنة ١٦٧ هـ
وقد نيف على التسعين . وتجد ترجمته فى الأغانى (ج ٣ ص ١٩ وج ٦ ص ٧) وابن خلكان
(ج ١ ص ٨٨) والشعر والشعراء (ص ٤٧٦) والفهرست (ص ١٥٩) .

(١) تشب : تزدد وتترقع .

أصبحت مولى ذى الجلال وبعضهم * مولى العريب فجد بفضلك فافخر
مولاك أكرم من تميم كلها * سيحان مولاك الأجل الأكبر

وقال يفتخر بولاء بنى عقيل :

اننى من بنى عقيل بن كعب * موضع السيف من طلى الأعناق

فولد بشار أعمى ، فما نظر الى الدنيا قط ، وكان يشبه الأشياء بعضها ببعض
فى شعره ، فيأتى بما لا يقدر البصراء أن يأتوا بمثله ، ف قيل له يوما وقد أنشد
قوله :

كان مشار النقع فسوق رؤوسنا * وأسيافنا ليل تهاوى كواكبها

ما قال أحد أحسن من هذا التشبيه ، فمن أين لك هذا ولم تر الدنيا قط
ولا شيئا فيها ؟ فقال : ان عدم النظر يقوى ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر
اليه من الأشياء ، فيتوفر حسه وتذكو قريحته ، ثم أنشدهم قوله :

عميت جنينا والذكاء من العمى * فجئت عجيب الظن للعلم مؤثلا
وغاض ضياء العين للعلم رافدا * بقلب اذا ما ضيع الناس حصلا
وشعر كنور الروض لأمت بينه * بقول اذا ما أحزن الشعر أسهلا

وكان من أشد الناس تبرما بالناس . وكان يقول : الحمد لله الذى ذهب
ببصرى . ن قيل له : ولم يا أبا معاذ ؟ قال : لئلا أرى ما أبغض .

قال الأصمعى : بشار خاتمة الشعراء ، والله لولا أن أيامه تأخرت لفضلته على
كثير منهم .

وقيل لأبى عبيدة : مروان أشعر أم بشار ؟ فقال : نحكم بشار لنفسه
بالاستظهار ، انه قال ثلاثة عشر ألف بيت جيد ، ولا يكون عدد الجيد من شعر شعراء
الجاهلية والاسلام هذا العدد ، وما أحسبهم برزوا فى مثلها ، ومروان أمدح
للملوك .

وسئل الأصمعى عن بشار ومروان أيهما أشعر ؟ فقال : بشار ، فسئل عن
السبب لذلك ، فقال : لأن مروان سلك طريقا كثر من يسلكه ، فلم يلحق بمن تقدمه

وشركه فيه من كان في عصره ، وبشار سلك طريقا لم يسلك وأحسن فيه وتفرد به ، وهو أكثر تصرفا وفنون شعر ، وأغزر وأوسع بديعا ، ومروان لم يتجاوز مذهب الأوائسل .

وفيل لبشار : ليس لأحد من شعراء العرب شعر إلا وقد قال فيه شيئا استنكرته العرب من ألفاظهم وشك فيه ، وأنه ليس في شعرك ما يشك فيه ، قال : ومن أين يأتيني الخطأ ؟ وولدت ههنا ، ونشأت في حجور ثمانين شيخا من فصحاء بني عقيل ما فيهم أحد يعرف كلمة من الخطأ ، وإن دخلت إلى نسائهم فنسألوهم أفصح منهم ، وأيفعت فأبديت (١) إلى أن أدركت ، فمن أين يأتيني الخطأ ؟ .

كان جرير بن المنذر السدوسي يفاخر بشارا ، فقال فيه بشار :

أمثل بني مضر وائل * فقدتك من فاخر ما أجن
أفي النوم هذا أبا منذر * فخيرا رأيت وخيرا يكن
رأيتك والفخر في مثلها * كعاجنة غير ما تطحن

كان بشار يهوى امرأة من أهل البصرة ، فراسلها يسألها زيارته ، فوعده بذلك ثم أخلفته ، وجعل ينتظرها ليلته حتى أصبح ، فلما لم تأت أرسل إليها ليعاتبها فاعتذرت بمرض أصابها ، فكتب إليها بهذه الأبيات :

يا ليلتي تزداد نسكرا * من حب من أحبيت بكرة
حسبوا أن نظرت إلي * بك مبعثك بالعينين خمرها
وكان رجوع حديثها * قطع الرياض كسين زهرا
وكان تجت السبانها * هاروت ينفث فيه سحرا
وتخال ما جمعت علي * به ثيابها ذهبها وعطرا
وكانها برد الشرا * ب صفا وصادف منك فطرا
جنية انسية * أو بين ذاك أجل أمرا
ونفك أنى لم أنظ * بشكاة من أحبيت خبرا

(١) أبيات أخرجت إلى البيانية .

إلا مقالة زائر * ثرت لي الأحزان نثرا

متخشا تحت الهوى * عشرا وتحت الموت عشرة

وكان اسحاق الموصلي لا يعتد ببشار ويقول : هو كثير التخليط في نثره ،
وأشعاره مختلفة لا يشبه بعضها بعضا ، أليس هو القائل :

إنما عظم سلمي حبتى * قصب السكر لا عظم الجمل

وإذا أدنيت منها بصلا * غلب المسك على ريح البصل

لو قال : كل شيء جيد ثم أضيف إليه هذا لزيفه . وكان يقدم عليه مروان
ويقول : هو أشد استواء شعر منه ، وكلامه ومذهبه أشبه بكلام العرب ومذاهبها ،
وكان لا يعد أبا نواس البتة ولا يرى فيه خيرا .

قال الجاحظ : كان بشار خطيبا صاحب منشور ومزدوج وسجع ورسائل ، وهو
من المطبوعين أصحاب الابداع والاختراع ، المتفنين في الشعر ، القائلين في أكثر
أجناسه وضروبه . وقال الشعر في حياة جرير وتعرض له ، وحكى أنه قال : هجوت
جريرا فأعرض عني ، ولو هاجاني لكنت أشعر الناس ، وكان يدين بالرجعة ، ويكفر
جميع الأمة ، ويصوب رأى إبليس في تقديم النار على الطين ، وذكر مثل ذلك في
شعره فقال :

لأرض مقلعة والنار مشرقة * والنار معبودة مذ كانت النار

وقال بعض الرواة لأبي عمرو : من أبدع الناس بيتا ؟ قال الذي يقول :

لم يطل ليلى ولكن لم أنم * ونفى عني الكرى طيف ألم

وإذا قلت لها جودي لنا * خرجت بالصمت عن لا ونعم

روحي يا عبد عني واعلمي * أنتى يا عبد من لحم ودم

إن في بردي جسما ناعلا * لو توكلات عليه لانهدم

وهذه الأبيات لبشار .

قال : فمن أمدح الناس ؟ قال الذي يقول :

لمست بكفى كفه أبتفى الفنى * ولم أدر أن الجنود من كفه يمدى

فلا أنا ما أفساد ذرو الغنى * أدت وأعداني فأتلفت ما عندي

وهذه الأبيات لبشار •

ودخل بشار على ابراهيم بن عبد الله بن حسن ، فأنشده قصيدة يبحو فيها المنصور ويشير عليه برأى يستعمله في أمره ، فلما قتل ابراهيم خاف بشار ، فقلب الكنية وأظهر أنه كان قالها في أبي مسلم ، وحذف منها أبياتا ، وأولها :

أبا جعفر ما طول عيش بدائم * ولا سالم عما قليل يسالم

قلب هذا البيت فقال : أبا مسلم :

على الملك الجبار يقتحم الردى * ويصرعه في الأذى المتلاحم

كأنك لم تسمع بقتل متوج * عظيم ولم تسمع بفتك الأناجم

تقسم كسرى رهطه بسيوفهم * وأهسى أبو العباس أحلام نائم

يعنى الوليد بن يزيد •

وقد كان لا يخشى انقلاب مكيدة * عليه ولا جرى النحوس الأشنائم
مغيما على اللذات حتى بدت له * وجوه المنايا حاسرات العهائم
وقد ترد الأيام غرا وربها * وردن كلوحا باديات السكائم
ومروان قد دارت على رأسه الرجا * وكان لما أجمت نزر الجرائم
فأصبحت تجرى سادرا في طريقهم * ولا تتقى أشباه تلك النقائم
تجردت للإسلام تعفو سبيله * وتعزى مطاه (١) لليوث الضراغم
فها زلت حتى استنصر الدين أهله * عليك فمادوا بالسيوف الضوارم
فرم وزدا ينجيك يا بن سلامة * فاست بناج من مضيم وضائم

جعل موضع « يابن سلامة » « يابن وشيكة » وهى أم أبي مسلم •

لحا الله قوما رأسوك عليهم * وما زلت مرعوسا خبيث المطاعم
أقول لبسام عليه جلالة * غدا أريحيا عاشقا للمكارم
من الفاطميين الدعاة إلى الهدى * جبارا ومن يهديك مثل ابن فاطم

(١) مطاه : ظهره •

هذا البيت حذفه بشار من الأبيات :

سراج لعين المستفى وتارة * يكون ظلاما للمدو المزاحم
إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن * برأى نصيح أو نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة (١) * فان الخوافى (٢) قوة للقوادم
وما خير كف أمسك الغل أختها (٣) * وما خير سيف لم يؤيد بقائم
وخل الهوينا للضعيف ولا تكن * تؤوما فان الحزم ليس بنائم
وحارب إذا لم تعط الا ظلالة * شبا (٤) انحرب خير من قبول المظالم
وأذن على القربى المقرب نفسه * ولا تشهد الشورى امرا غير كاتم
فانك لا تستطرد الهم بالمنى * ولا تبلغ العليا بغير المكارم
إذا كنت فردا هرك القوم مقبلا * وان كنت أدنى لم تفز بالعزائم
وما قرع الأقوام مثل مشيع (٥) * أريب ولا جلى العمى مثل عالم

قال أبو عبيدة : ميمية بشار هذه أحب الى من ميميتى جرير والفرزدق . وقال الأصمعي لبشار : يا أبا معاذ ، ان الناس يعجبون من أبياتك فى المشورة ، فقال له : يا أبا سعيد ، ان المشاور بين صواب يفوز بشمرته ، أو خطأ يشارك فى مكروهه ، فقال له : أنت فى قولك هذا أشعر منك فى شعرك .

توفى ابن لبشار فجزع عليه ، ف قيل له : أجر قدمته ، وفرط افترطته ، وذخر أحرزته ، فقال : ولد دفنته ، وثكل تعجلته ، وغيب وعدته فانتظرتة ، والله لئن لم أجزع للنقص لا أفرح للزيادة . وقال يرثيه :

أجارتنا لا تجزعى وأنيسى * أتانى من الموت المثل نصيبى
بنى على وغمى وسخلى رزثته * وبدل أحجارا وجمال (٦) قليب
وكان كريحان الحروس تخاله * ذوى بعد اشراق يسر وطيب

(١) الغضاضة : المنقصة .

(٢) الخوافى : الريشات الصغيرة التى فى جناح الطائر اذا ضمها خفيت ، واحدتها خافية

ضد القوادم .

(٣) الغل بالضم : الحديد التى تجمع بين يد الأسير وعنقه وتسمى الجامعة .

(٤) انتبا بالفتح جمع شباة وهى من كل شىء حده .

(٥) المشيع : الشجاع .

(٦) الجال : جافة القبر ونواحيه .

أصبت به في حين أورد غصنه * وألقى على الهم كل قريب
 عيبت لاسراع النية نحوه * وما كان لو مليته بعجيب
 قيل لبشار : انك لتجىء بالشئ الهجين المتفاوت ، قال : وما ذاك ؟ قيل : بينما
 تقول شعرا يثير النفع ونخلع به القلوب مثل قولك :

إذا ما غضبنا غصبة مضرية * ضكتنا حجاب الشمس أو تظير الدما
 إذا ما أعرنا سييدا من قبيلة * ذرى منبر صلى علينا وسلمنا
 تقول :

ربابة ربابة البيت * تصيب الخل في الزيت
 لها عشر دجاجات * وديك حسن الصوت

فقال : لكل وجه ، فالقول الأول جد ، وهذا قلته في ربابة جاريتي ، وأنا لا أكل
 البيض من السوق ، وربابة لها عشر دجاجات وديك ، فهي تجمع لي البيض ، فهذا
 عندها أحسن من « قفا نيك » عندك . وسألته جارية مغنية لبعض ولد سليمان بن علي ،
 وكانت محسنة بارعة الظرف ، أن يذكرها في قصيدة ولا يذكر فيها اسمها ولا اسم
 سيدها ويكتب بها إليها ، فأنصرف وكتب إليها :

وذا دل كان البدر صورتها	✧	باتت تغنى عميد القلب سكرانا
« ان العيون التي في طرفها حور	✧	قتلنا ثم لم يحين قتلانا »
فقلت أحسنت يا سؤلى ويا أملى	✧	فأسمعني جزاك الله حسنا
« يا جبدا جبل الريان من جبل	✧	وجبدا ساكن الريان من كانا »
قالت فهلا فدتك النفس أحسن من	✧	هذا لمن كان صب القلب حيرانا
« يا قوم أذن لي بعض الحى عاشقة	✧	والأذن تعشق قبل العين أحيانا »
فقلت أحسنت أنت الشمس طالعة	✧	أضمرت في القلب والأحشاء نيرانا
فأسمعني صوتا مطربا هزجا	✧	يزيد صبا محبا فيك أشجعانا
يا ليتني كنت تفاحا مفلجة	✧	أو كنت من قصب الريحان ريحانا
حتى إذا وجدت ريحى فاعجبها	✧	ونحن في خلوة مثلت أنسانا
فجركت عودها ثم انتنت طربا	✧	تشددو به ثم لا تخفيه كتماننا
« أصبحت أطوع خلق الله كلهم	✧	لأكثر الخلق لي في الحب عصيانا »

فقات أطربتنا يا زين مجلسنا * فهسات انك بالاحسان أولانا
لو كنت أعلم أن الحب يقتلني * أعددت لي قبل أن ألقاك أكفانا
قفت الشرب صوتا موقفا رملا * يذكى السرور ويبكى العين ألوانا
« لا يقتل الله من دامت مودته * والله يقتل أهل الغدر أحيانا »

كان الزوار يسمون في قديم الدهر الى أيام خالد بن برمك السؤال (بتشديد
وضم السين وتشديد وفتح الهزة) ، فقال خالد : هذا والله اسم أسنثقله لطلاب
الخير ، وأرفع قدر الكرم عن أن يسمى به أمثال هؤلاء المؤمنين ، لأن فيهم الأشراف
والأحرار وأبناء النعيم ، ومن لعله خير ممن يقصد وأفضل أدبا ، ولكننا نسميهم
الزوار ، فقال بشار يمدحه بذلك :

حذا خالد في فعله حذو برمك * فمجد له مستطرف وأصيل
وكان ذوو الآمال يدعون قبله * بلفظ على الاعدام فيه دليل
يسمون بالسؤال في كل موطن * وإن كان فيهم نابه وجليل
فسماهم الزوار سترا عليهم * فاستقاره في المهتدين سداول

وقال بشار هذا الشعر في مجلس خالد في الساعة التي تكلم خالد بهذا في أمر
الزوار ، فأعطاه لكل بيت ألف درهم .

دخل بشار على عقبة بن سلم فأنشده بعض مدائحه فيه ، وعنده عقبة بن روبة
ينشده رجزا يمدحه به ، فسمعه بشار وجعل يستحسن ما قاله الى أن فرغ ، ثم أقبل
على بشار فقال : هذا طراز لا تحسنه أنت يا أبا معاذ ، فقال بشار : ألى يقال هذا !
أنا والله أرجز منك ومن أبيك وجدك ، فقال له عقبة : أنا وأبى فتحنا للناس باب
الغريب وباب الرجز ، وإنى لخليق أن أسنه عليهم ، فقال بشار : ارحمهم وحمك الله ،
ولما كان من غده غدا على عقبة بن سلم وعنده عقبة بن روبة ، فأنشده أرجوزته التي
مدحه فيها :

يا ظل الحى بذات الصمد * بالله خبر كيف كنت بعدى
أودشت من دعد وترب دعد * سقيا لأسماء ابنة الأسعد
قامت ترائى إذ رأتى وحدى * كالشمس تحت الزبرج (١) المنقصد

(١) الزبرج : الزينة من وشى أو جوهر .

صعدت بخد وجلت عن خد * ثم اثنت كالتفيس المرتد
عهدي بها سقيا له من عهد * تخلف وعدا وتفي بوعده
فمنجن من جهد الهوى في جهد * وزاهر من سبط وجعد
أهدي له الدهر ولم يستهد * أفواف نور الخبر المجعد
يلقى الضحى ريعانه بسجد * بدلت من ذاك بكى لا يجدي
وافق حظا من سعى بجعد * ما ضر أهل النوك ضعف الجعد
الجر يلحى والعصا للعبد * وليس للملحف مثل الرد
والنصف يكفيك من التعدي * وصاحب كاللعل الممد
حملته في رقعة من جلدي * أرقب منه مثل يوم الورد
حتى مضى غير فقيد الفقد * وما درى ما رغبتي من زهد
اسلم وحييت يا الملك * مفتاح باب الحداث المنسد
مشترك النيل وري الزند * أغر لباس ثياب الحمد
ما كان منى لك غير الود * ثم ثناء مثل ربح الورد
نسبته في محكمات الند * فالبس طرازي غير مسترد
لله أيامك في معد * وفي بنى قحطان غير عد
يوما بذي طخفة (١) عند الحد * ومثله أودعت أرض الهند
بالرهفات والحديد السرد * والمقربات (٢) المبعديات الجرد
إذا الحيا أكدي بها لا تكدي * تلحم أمرا وأمورا تسدي
وابن حكيم ان آتاك يردى * أصم لا يسمع صوت الرعد
حيث به بتحفة المعبد * فانهد مثل الجبيل المنهد
كل امرئ رهن بما يؤدي * ووب ذى تاج كريم الجعد
كآل كسرى وكآل برد * أنكب جاف عن سبيل القصد

* فصلته عن ماله والولد *

فطرب عقبة بن سلم وأجزل صلته ، وقام عقبة بن روبة فخرج عن المجلس بخزي
وهرب من تحت ليلته فلم يعد إليه .

(١) طخفة : موضع بعد النباح وبعد امرة في طريق البصرة الى مكة ، ومنه يوم طخفة لبنى
يربوع على قابوس بن المنذر بن ماء السماء .

(٢) المقربات : الخيل التي يقرب مربطها ومعلقها لكرامتها .

قال الجاحظ : فانظر الى سوء أدب عقبة بن ربيعة وقد أجمل بشار محضره وعشرته ، فقابله بهذه المقابلة القبيحة ، وكان أبسوه أعلم خلق الله به ، لأنه قال له وقد فاخره بشعره : أنت يا بنى ذهبان الشعر ، اذا مت مات شعرك معك ، فلم يوجد من يرويه بعدك ، فكان كما قال له ، ما يعرف له بيت واحد ولا خبر غير هذا الخبر القبيح الاخبار عنه ، الدال على سخفه وسقوطه وسوء أدبه .

وقال بشار في هوى له كانت بالبصرة ، ثم خرجت مع زوجها الى عمان :

هوى صاحبي ريح الشمال اذا جرت * واشفى قلبي أن تهب جنوب
وما ذاك الا أنها حين تنتهى * تنهى وفيها من عبدة طيب
عذيري من العذال اذ يعدلوننى * سفاها وما فى العاذلين لبيب
يقولون لو عزيت قلبك لارعوى * فقلت وهل للعاشقين قلوب
اذا نطق القوم الجلوس فأنسى * مكب كائن فى الجميع غريب

جاء أبو الشمقمق الى بشار يشكو اليه الضيقة ويحلف له أنه ما عنده شيء ، فقال له بشار : والله ما عندي ما يغنيك ، ولكن قم معي الى عقبة بن سلم ، فقام معه ، فذكر له أبا الشمقمق وقال : هو شاعر وله شكر وثناء ، فامر له بخمسمائة درهم ، فقال له بشار :

يا واحد العرب الذى * أمسى وليس له نظير
لو كان مثلك آخرا * ما كان فى الدنيا فقير

فامر لبشار بالفى درهم ، فقال أبو الشمقمق : نفعتنا ونفعناك يا أبا معاذ ، فجعل بشار يضحك .

دخل يزيد بن منصور الحميرى على المهدي وبشار بين يديه ينشده قصيدة امتدحه بها ، فلما فرغ منها أقبل عليه يزيد ، وكانت فيه غفلة ، فقال : يا شيخ ، ما صناعتك ؟ فقال : أثقب اللؤلؤ ، فضحك المهدي ، ثم قال لبشار : اغرب ويلك ! أتتنادر على خالى ؟ فقال له : وما أصنع به ؟ يرى شيخا أعمى ينشد الخليفة شعرا ويسأله عن صناعته .

وقف على بشار بعض المجان ، وهو ينشد شعرا ، فقال له : استر شعرك هذا كما تستر عورتك ، فصفق بيديه وغضب ثم قال له : ومن أنت ؟ ويلك ! قال : أنا - أعزك الله - رجل من باهلة ، وأخوالى سلول ، وأصهارى عكل ، واسمى كلب ،

ومولدى بأصاخ (١) ، ومنزلى بظفر بلال ، فضحك بشار ، ثم قال : اذهب ويلك !
فأنت عتيق لؤمك ، قد علم الله أنك استتريت منى يحصون من حديثه .

مر بشار برجل قد رمحته بغلة وهو يقول : الحمد لله شكرا ، فقال له : بشار
استزده يزدك . ومر به قوم يحملون جنازة وهم يسرعون المشى بها ، فقال :
ما لهم مسرعين ؟ أتراهم سرقوه يخافون أن يلحقوا فيؤخذ منهم .

رفع غلام بشار إليه فى حساب نفقته جلاء مرآة عشرة دراهم ، فصاح به بشار
وقال : والله ما فى الدنيا أعجب من جلاء مرآة أعمى بعشرة دراهم ، والله لو صدئت
عين الشمس حتى يبقى العالم فى ظلمة ما بلغت أجرة من يجلوها عشرة دراهم .

قال قدامة بن نوح : كان بشار يحشو شعره اذا أعوزته القافية والمعنى
بالأشياء التى لا حقيقة لها ، فمن ذلك أنه أنشد يوما شعرا له فقال فيه : « غنى
للغريض يا بن قنان » ف قيل له : من ابن قنان هذا ؟ لسنا نعرفه من مغنى البصرة ،
قال : وما عليكم منه ؟ ألكم قبله دين فتطالبوه به ، أو ثار تريدون أن تدركوه ،
أو كفلت لكم به ، فاذا غاب طالبتموني باحضاره ، قالوا : ليس بيننا وبينه شىء من
هذا ، وانما أردنا أن نعرفه ، فقال : هو رجل يغنى لى ولا يخرج من بيتى ، فقالوا له :
الى متى ؟ فقال : مذ يوم ولد والى أن يموت . وذكر أيضا فى هذه القصيدة
« البردان » ف قيل له : يا أبا معاذ ، أين البردان هذا ؟ لسنا نعرفه بالبصرة ،
فقال : هو بيت فى بيتى سميت بالبردان ، أفعليكم من تسميتى دارى وبيوتها شىء .
فتسألوني عنه ؟ .

قالت امرأة لبشار : أى رجل أنت لو كنت أسود اللحية والرأس ، قال :
أما علمت أن بيض البزاة أشهر من سود الغربان ؟ فقالت له : أما قولك فحسن فى
السمع ، ومن لك بأن يحسن شيبك فى العين كما حسن قولك فى السمع ؟ فكان
بشار يقول : ما أفحمنى قط غير هذه المرأة .

دعاه رجل الى منزله فاكل وشرب ، ونا أراد الانصراف قامت جارية للرجل
وأخذت بيده ، فلما صار بالصحن أوما إليها ليقبلها ، فأرسلت يدها من يده ، فجعل
يجول فى العرصة وخرج مولى الجارية فقال : مالك يا أبا معاذ ؟ فقال : أذنبت ذنبا
ولا أبرح أو أقول شعرا ، فقال :

(١) من قرى اليمامة لبني نعيم .

آتوب اليك من السيئات * وأستغفر الله من فعلتي
 تناولت ما لم أرد نيله * على جهل أمرى وفى مسكرتي
 ووالله والله ما جئت به * لعهد ولا كان من همتي
 والا فمت اذا ضائعا * وعذبني الله فى ميتي
 فمن نال خيرا على قبلة * فلا بارك الله فى قبلي

لما كثر استهتار نساء البصرة وشبابها بشعر بشار ، وقال سوار بن عبد الله
 ومالك بن دينار : ما شئ أدعى لأهل هذه المدينة الى الفسق من أشعار هذا الأعمى ،
 وما زالا يعظانه وكان واصل بن عطاء يقول : ان من أخدع حباثل الشيطان وأغواها
 لكلمات هذا الأعمى الملحد ، فلما كثر ذلك وانتهى خبره الى المهدي نهى عن ذكر النساء
 وقول التشبيب ، وكان المهدي من أشد الناس غيرة ، فقال فى ذلك :

يا منظرا حسنا رأيته * فى وجه جارية قديته
 بهشت الى تسوونى * ثوب الشباب وقد طويته
 والله رب محمد * ما ان غدوت ولا نويته
 أهشكت عندك وربما * خرض البلاء وما ابتغيته
 ان الخليفة قد أبى * واذا أبى شيئا أبيتته
 رمت حسب رخص البناء * ن بكى على وما بكيتته
 ويشوقنى بيت الحبيب * ب اذا اذكرت وأين بيته
 قام الخليفة دونه * قصبرت عنه وما قليته
 ونهاني الملك الهما * م عن النساء وما عصيته
 لا بل وفيت فلم أضح * عهدا ولا رأيا رأيته
 وأنا المطل على العدا * واذا غلا الحمد اشتريته
 أصفى الخليل اذا دنا * واذا نأى عنى نأيتته
 وأميل فى أنس الندي * م من الحياء وما اشتهيته

وكان الخليل بن أحمد ينشد هذه الأبيات ويستحسنها ويعجب بها .

وكان لبشار خمسة ندماء ، فمات منهم أربعة وبقي واحد يقال له : البراء ،
 فركب فى زورق يريد عبور دجلة العوراء فغرق ، فكان بشار يقول : ما خير فى الدنيا
 بعد الأصدقاء ، ثم رثى أصدقاءه بقوله :

يا بن موسى ماذا يقول الامسام * في فتاة بالقلب منها اوام
 بت من حبها اوقر بالكأ * س ويهغو على فؤادى الهيسام
 لم يكن بينهما وبينى الا * كنب العاشقين والأحسان
 يا بن موسى اسقنى ودع عنك سلمى * ان سلمى حمى وفى اختشام
 رب كأس كالمسبيل تملك * ست بها والعيون عنى نيام
 حبست الشراة فى بيت (١) رأس * عتقت غانسا عليها الختام
 نفجت زفجة فهزت نديهى * بنسيم وانشق عنها الزكام
 وكان المصلول منها اذا را * ح شج فى لسانه برسام (٢)
 صامته الشمول حتى بعينه * له انكسار وفى المفصل خام
 وهو باقى الأطراف حيت (٣) به الكأ * س وماتت اوصاله والكلام
 وقتى يشرب المدامة بالما * ل ويهشى يروم ما لا برام
 أنفاس كاسه الدنانير حتى * ذهب الهين واستمر السوام
 تركته الصهباء يرنو بين * نام انسانها وليست تنام
 بن من شربة نعل باخرى * وبكى حين سار فيه المدام
 كان لى صاحباً فؤدى به الدهر * سر وقارقه عليه السلام
 بقى الناس بعد هلاك زماما * ي وقوعا لم يشعروا ما الكلام
 كجزور الأيسار (٤) لا كبد فيها * لا لباغ ولا عليها سنام
 يا بن موسى فقد الحبيب على العي * من قذاة وفى الفؤاد سقام
 كيف يصفو لى النعيم وحيدا * والأخلاء فى المقابر هام
 نفسهم (٥) على أم المنايا * فأنامتهم بعنف قناموا
 لا يغيض انسجام عيني عليهم * انما غاية الحزين السجام

وقال فى نهى الخليفة اياه عن ذكر النساء :

(١) بيت رأس : قرية بالشام من قرى حلب ينسب اليها الخير .

(٢) البرسام : علة يهذى فيها وهو ورم حار يعرض للحجاب الذى بين الكبد والأمعاء ثم

يتصل الى الدماغ .

(٣) حيت بالادغام لغة فى حى كرضى .

(٤) الأيسار : جمع يسر ، وهو اللاعب بالقداح .

(٥) نستمهم : حسدتهم .

والله لولا رضا الخليفة ما * أعطيت ضيما على في شجن
 وربما خير لابن آدم في الـ * كره وشق الهوى على البدن
 فأشرب على ابنة الزمان فما * تلقى زمانا صفا من الأبن
 الله يعطيك من فواضله * والمرء يغض عيننا على الكمن (١)
 قد عشت بين الريحان والراح والز * هر في ظل مجلس حسن
 وقد مالت البلاد ما بين يغـ * سور إلى القيروان فاليمن
 شعرا تصلي له العواتق والشـ * سيب صلاة الغواة للوثن
 ثم نهاني المهدي فأنصرفت * نفسي صنيع الموفق اللقن
 فالحمد لله لا شريك له * ليس بيباق شيء على الزمن

وأنشد المهدي قصيدته التي أولها :

تجاللت عن قهر وعن جارتي قهر * وودعت نعمها بالسلام وبالبشر
 وقالت سليمان فيك عنا جلادة * محلك دان والزيارة عن عفر (٢)
 أخى في الهوى ما لي أراك جفوتنا * وقد كنت تقفونا على العسر واليسر
 تناقلت إلا عن يد أستييدها * وزورة أملاك أشد بها أذى
 وأخرجني من وزر خمسين حجة * فتى هاشمي يقشعر من الوزر
 دفنت الهوى حيا فلست بزائر * سليهي ولا صفراء ما قرقر القمري
 ومصفرة باتزعفران جلودها * إذا اجتليت مثل المفرطة الصفر
 قرب ثقال الردف هبت تلومني * ولو شهدت قبري لصلت على قبري
 تركت لمهدي الأنام وصالها * وراعت عهدا بيننا ليس بالختر
 ولولا أمير المؤمنين محمد * لقبلت فاها أو لكان بها فطري
 لعمرى لقد أوقرت نفسي خطيئة * فما أنا بالزداد وقرا على وقر
 تسلي عن الأحباب صرام خلة * ووصال أخرى ما يقيم على أمر
 وكأض أفراس الصبابة والهوى * جرت حججا ثم استقرت فلا تجرى
 فأصبحن ما يركبن إلا إلى الوعي * وأصبحت لا يزري على ولا أذى
 فهذا واني قد شرعت مع التقى * وماتت همومي الطارقات فما تسرى

(١) انكمن واحدها كمنه وهي جرب وحفرة تبقى في العين من رمد يضاء علاجه .

(٢) المعفر : قلة الزيارة ، يقال : ما تأتينا إلا عن عفر أي بعد قلة زيارة وطول عهد .

ثم قال يصف السفينة :

وعذراء لا تجرى بلحم ولا دم * قليلة شكوى الاين ملجمة الدبر
اذا ظعنت فيها الفلول تشخصت * بفرسانها لا فى وعوث ولا وعر
وان قصدت زلت على متنصب * ذليل القوى لا شئ يفرى كما تفرى
تلاعب تيار (١) البحور وربما * رابت نفوس القوم من جريها تجرى
الى ملك من هاشم فى نبوة * ومن حمير فى الملك والعدد الدثر (٢)
من المشترين الحمد تندى من الندى * يده ويندى عارضاه من العطر
فالزمت حبلى حبلى من لا تغبه * عفاة الندى من حيث يدرى ولا يدرى
بنى لك عبد الله بيت خلافة * نزلت بها بين الفراقد والنسر
وعندك عهد من وصاة محمد * فرعت به الاملاك من ولد النضر

ولما أنشد الوليد بن يزيد قول بشار :

ايها الساقيان صبا شرابي * واسقياني من ريق بيضاء (٣) رود
ان دائي الظما وان دوائى * شربة من رصاب ثغر برود
ولها مضحك كفر الاقاحى * وحديث كالوشى وشى البرود
نزلت فى السواد من حبة القل * ب ونالت زيادة المستزيد
ثم قالت نلقاك بعد ليالى * والليالى يبلين كل جديد
عندها الصبر عن لقائى وعندى * سماحا كما در السحاب مع الرعد

طرب الوليد وقال : من لى بمزج كأسى هذه من ريق سلمى ، فيروى ظمئى ،
وتطفأ غمئى ، ثم بكى حتى مزج كأسه بدمعه ، وقال : ان فاتنا ذاك فهذا .

مدح بشار خالد بن برمك فقال فيه :

لعمري لقد اجدى على ابن برمك * وما كل من كان الغنى عنده يجدى
حلبت بشعرى راحتيه قدرتا * سماحا كما در السحاب مع الرعد
اذا جئته للمحمد أشرق وجهه * اليك وأعطاك الكرامة بالحمد

(١) كان قد قال : نينان البحور ، فعابه بذلك سيويه ، فجعله تيار البحور .

(٢) الدثر : الكثير .

(٣) الرود : الشابة الحسنه الناعمة .

له نعم في القوم لا يستثيبها * جزء وكيل التاجر المد بالمد
مفيد ومتلاف سبيل تراثه * اذا ما غدا أو راح كالجزر والمد
أخالد ان الحمد يبقى لأهله * جمالا ولا تبقى الكنوز على الكد
فأطعم وكل من عارة مستردة * ولا تبقيها ان الموارى نلرد

فأعطاه خالد ثلاثين ألف درهم ، وكان قبل ذلك يعطيه في كل وفادة خمسة آلاف درهم ، وأمر خالد أن يكتب هذان البيتان في صدر مجلسه الذي كان يجلس فيه ، وقال ابنه يحيى بن خالد : آخر ما أوصاني به أبي العمل بهذين البيتين .

وكان ادحاق الموصلي يطعن على شعر بشار ويضع منه ، ويذكر أن كلامه مختلف لا يشبه بعضه بعضا ، ف قيل له : أتقول هذا لمن يقول :

إذا كنت في كل الأمور معاتبيا * صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فمضى واحدا أو صل أخاك فانه * مقارف (١) ذنب مرة ومجانبه
إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى (٢) * ظمئت وأى الناس تصفو مشاربته

وهي من غرر قصائده ، مدح بها عمر بن هبيرة ، ومنها قوله :

يخاف المنايا ان ترحلت صاحبي * كأن المنايا في المقام تناسبه
فقلت له ان العراق مقامه * وخيم اذا هبت عليك جنائبه
لألقى بنى عيلان ان فعالمهم * تزيد على كل الفعال مراتبه
أولاك الألى شقوا العمى بسبيوفهم * عن العين حتى أبصر الحق طائبه
وجيش كجئح الليل يزحف بالحصا * وبالشوك والخطى حمرا تغالبه
غدونا له والشمس في خدر أمها * نطالعنا والطل لم يجر ذائبه
بضرب ينوق الموت من ذاق طعمه * وتذكر من نجى الفرار مثالبه
كأن مشار النقع فوق رؤسنا * وأسيافنا ليل تهاوى كواكبـه
بعثنا لهم موت الفجاءة اننا * بنو الموت خفاق علينا سبائبه (٣)
فراحوا فريق في الاسار ومثله * قتيل ومثل لاذ بالبحر هاربـه

(١) مقارف ذنب : مخالطه ومرتكيه من قارف الخطيئة الا خالطها .

(٢) القذى : ما سقط في الشراب من ذباب أو غيره .

(٣) السبائب : جمع سبيبة ، وهي شقة من الكتان رقيقة يريد بها الأولوية .

ومنها :

إذا الملك الجبار صعر خده * مشينا اليه بالسيف نعاتبه
رويدا تصاهل بالعراق جيادنا * كأنك بالضحك قد قام نادبه
وسام لروان ومن دونه الشجا * وهون كلج البحر جاشت غواربه
أحلت به أم المنايا بناتها * بأسياقنا انا ردى من نحاربه
وكنا اذا دب العدو لسخطنا * وراقبنا في ظاهر لا نراقبه
ركبنا له جهرا بكل مشقف * وأبيض تستسقى السماء مضاربه

ومنها :

فلما تولى الحى واعتصر الثرى * انلى الصيف من نعيم توقد لاهبه
وطارت عصافير الشقائق واكتسى * من الال امثال المجرة ناضبه
غدت (١) عانة تشكو بأبصارها الصدى * الى الجاب الا أنها لا تغاطبه

ومن حسن شعره :

لو كنت تلقين ما تلقى قسمت لنا * يوما نعيش به منكم ونبتهج
لا خير فى العيش ان كنا كذا أبدا * ما فى التلاقى ولا فى قلة حرج
من راقب الناس لم يظفر بحاجته * وفاز بالطيبات الفاتك اللهج
أشكو الى الله هما ما يفارقنى * وشرعا فى فؤادى الدهر تعالج

وقال يهجو عبيد الله بن قزعة :

خيلى من كعب أعينا أخاكما * على دهره ان الكريم معين
كان عبيد الله لم يلق ماجدا * مخافة أن يرجو نداء حزين
ولا تبخلا بخل ابن قزعة انه * ولم يدرك أن المكرمات تكون
فقل لأبى يحيى متى تدرك العلا * وفى كل معروف عليك يمين
إذا جئته فى حاجة سد بابه * فلم تله الا وأنت كمين

(١) العانة : القطعة من الحمير . والجاب : نكرها ، ومعنى شكاها الصدى بأبصارها ان العطش قد تبين فى أحداقها فطارت ، وهذا من أحسن ما وصف به الحمار والأتان .

وفد علي خالده بن برمك فأنشده :

أخاك لم أخبط (١) اليك بدمه * سوى أننى عاف وأنت جواد
أخالد بن الأجر والحمد حاجتى * فأيهما تاتى فأنت عماد
فان تعطنى أفرغ عليك مدائحي * وان تاب لم يضرب على سداد
ركابى على حرف (٢) وقلبي مشيع * ومالى بأرض الباخلين بسداد
إذا أنكرتنى بلدة أو نكرتها * خرجت مع البازى على سواد

فدعا خالد بأربعة آلاف دينار فى أربعة أكياس ، فوضع واحدا عن يمينه ،
وواحدا عن شماله ، وآخر بين يديه ، وآخر خلفه ، وقال : يا أبا معاذ ، هل استقل
العماد ؟ فلمس الأكياس ثم قال : استقل والله أيها الأمير .

قال أبان بن عبد الحميد : نزل فى ظاهر البصرة قوم من أعراب قيس
ابن عيلان ، وكان فيهم بيان وفصاحة ، فكان بشار يأتهم وينشدهم أشعاره التى يمدح
بها قيسا ، فيجلونه لذلك ويعظمونه ، وكان نساؤهم يجلسن معه ويتحدثن اليه
وينشدهن أشعاره فى الغزل ، وكنت كثيرا ما آتى فى ذلك الموضع فأسمع منه ومنهم ،
فأتيتهم يوما فإذا هم ارتحلوا ، فبحثت الى بشار فقلت : يا أبا معاذ : أعلمت أن
القوم قد ارتحلوا ؟ قال : لا ، فقلت : فاعلم ، قال : قد علمت لا علمت ، ومضيت ،
فلما كان بعد ذلك بأيام سمعت الناس يتشدون :

دعا بفراق من تهوى أبان * ففاض الدمع واحترق الجنان
كان شرارة وقعت بقلبي * لها فى مقتلتي ودمى استنان
إذا أنشدت أو نسجت عليها * رياح الصيف هاج لها دخان

فعلمت أنها لبشار ، فاتيته فقلت : يا أبا معاذ ، ما ذنبى اليك ؟ قال : ذنب
غراب البين ، فقلت : هل ذكرتني بغير هذا ؟ قال : لا ، فقلت : أنشدك الله ألا تزيد ،
فقال : امض لشأنك فقد تركتك .

مدح بشار المهدي فلم يعطه شيئا ، فقليل له : لم يستجد شعرك ، فقال : والله
لقد قلت فيه شعرا لو قيل فى الدهر لم يخش صرفه على أحد ، ولكننا نكذب فى القول
فيكذب فى الأمل .

(١) أى لم اطلب معروفك متوسلا اليك بعهد او قرابة .

(٢) الحرف : الناقة المهزولة .

مدح بشار سليمان بن هشام بن عبد الملك ، وكان مقيما بحران وخرج اليه
فأنشده قوله فيه :

نأتك على طول التجاور زينب * وما شعرت أن النوى سوف تشعب
يرى الناس ما تلقى بزینب اذ نأت * عجيبا وما تغفى بزینب أعجب
وقائلة لي حين جد رحيلنا * وأجفان عينيها تجود وتسكب
أغار الى حران في غير شيعه * وذلك شأوا عن هواها مغرب
فقلت لها كلفتني طلب الغنى * وليس وراء ابن الخليفة مذهب
سيكفى فتى من سعيه حد ميفه * وكور علافي (١) ووجناء (٢) ذعلب
اذا استوغرت دار عليه رمى بها * بنات الصوى منها ركوب ومصعب
فعدى الى يوم ارتحلت وسائلي * بزورك والرحال من جاء يضرب
لعلك أن تستيقنى أن زورتى * سليمان من سير الهواجر تعقب
اغر هشامى القناة اذا انتمى * نمته بدور ليس فيهن كوكب
وما قصدت يوما فحيلين خيله * فتصرف الا عن دماء تصيب

فوصله سليمان بخمسة آلاف درهم ، وكان يبخل ، فلم يرضها وانصرف عنه
مغضبا ، فقال :

ان أمس منقبض اليدین عن الندى * وعن العدو مخيس الشيطان
فلقد أروح على اللثام مسلطا * ثلج المقييل منعم النسمان
في ظل عيش عشيرة موهودة * تندى يدي ويخاف فرط لساني
أزمان خيبنى الشسباب مطاوع * واذا الأمير على من حران
ريم بأحوية العراق اذا بدا * برقت عليه أكلة المرجان
فاكحل بعبدة مقلتيك من القذى * ويوشك رؤيتها من الهملان
فلقرب من تهوى وانت متيم * أشفى لداك من بنى مروان

قسم بشار على المهدي بالرصافة فدخل عليه في البستان ، فأنشده مديحا
فيه تشبيب حسن ، فنهاه عن التشبيب لغيرة شديدة كانت فيه ، فأنشده مديحا
يقول فيه :

(١) العلافي : الرجل العظيم .

(٢) وجناء ذعلب أى ناقة شديدة سريعة .

كانمسا جئتـه أبـشـره * ولم أجـىء راعـبا ومـحتـلبـا
يزين المنبر أشـمـ بعـطـفـه * وأقـوالـه إذا خـطـبـا
تشم نعلـاه فـى الـندى تـما * يشـم مـاء الـريـحـان مـنـتـهـبا

قال : وقد طلب منه أن ينشده شيئا من غزله :

وقاـنـل هـات شـوقـنا فـقـلت لـه * أناـنـم أنت ياعـمـرو بـن سـمـعـان
أما سـمـعت بـما قـد شـاع فـى مـضـر * وفـى الحـلـيفـين مـن بـكر وقـحـطـان
قال الخـلـيـفة لا تـنـسـب بـجـارىـة * إياك إياك أن تـشـقى بـعـصـيان

وقاـنـل لـه المـهـدى : قـل فـى الحـب شـعـرا ولا تـطل ، واجـعـل الحـب قـاضـيا بـين المـحـبـين
لا تـسـم أحـدا ، فـقال :

اجـعـل الحـب بـين حـبـى وبـيـنى * قـاضـيا انـنى بـه الـيـوم راض
فاجـتـمـعـنا فـقـلت يا حـب نـفـسى * ان عـيـنى قـلـيـلة الاثـمـاض
أنت عـذـبـتـنى وانـجـلت جـسـمـى * فارحـم الـيـوم دائـم الـأمـراض
قال لى لا يـجـل حـكـمى عـلـيـنا * أنت أـولـى بـالسـقـم والاعـراض
قـلت لما أجـابـنى بـهـواها * شـمل الجـور فـى الـهـوى كل قـاض

فبعث اليه المهدي : حكمت علينا ووافقنا ذلك ، فأمر له بألف دينار .

وقال بشار فى عشق السمع :

يا قوم أذنى لـبـعض الحى عاشـقـة * والأذن تـعـشق قـبـل الـمـين أحيانا
قالوا بمن لا ترى تهـلى فـقـلت لـهم * الأذن كالعين توفى القلب ما كانا
هل من دواء لـشـغـوف بـجـارىـة * يلقى بـلقـيانـها روحا وريحانا

وقال فى مثل ذلك :

قالت عقيل بن كعب اذ تعلقها * قلبى فأضحى به من حبها أثر
أنى ولم ترها تهـلى فـقـلت لـهم * ان الفؤاد يرى مالا يرى البصر
أصبحت كالحائم الحيران مجتـنـبا * لم يقـض وردا ولا يـرجـى له صـدر

وقال :

بزهديني في حب عبدة معشر * قلوبهم فيها مغالطة قلبي
فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى * فبالقلب لا بالعين يبصر ذو الشجب
فما تبصر العينان في موضع الهوى * ولا تسمع الأذنان الا من القلب
وما التحسن الا كل حسن دعا الصبا * وألف بين العشق والعاشق الصب
وقال :

يا قلب مالي أراك لا تقر * اياك أعني وعندك الخير
أذعت بعد الألى مضوا حرقا * ما ضاع ما استودعوك اذ بكروا
وقال :

ان سليمان والله يكلؤها * كالسكر يزداد على السكر
بلغت عنها شكلا فأعجبني * والسمع يكفيك غيبة البصر

وقال وفد مدح المهدي فخرمه :

خليلى ان العسر سوف يفيق * وان يسارا في غد لخليق
وما كنت الا كالزمان اذا صبحا * صحوت وان ماق (١) الزمان أموق
أدباء لا يستطيع في قلة الثرا * خروزا ووشيا والقليل محيق
خذى من يدى ما قل ان زماننا * شמוש ومعروف الرجال رقيق
لقد كنت لا أرضى بادننى معيشة * ولا يشتكى بخلا على رفيق
خليلى ان المال ليس بنافع * اذا لم ينل منه أخ وصديق
وكنت اذا ضاقت على محلة (٢) * تيممت أخرى ما على تضيق
وما خاب بين الله والناس عامل * له فى التقى أو فى المحامد سوق
ولا ضاق فضل الله عن متعفف * ولكن أخلاق الرجال تضيق

هجا بشار يعقوب بن داود وزير المهدي فقال :

(١) ماق : حلق فى غيابة .

(٢) المحلة : منزل القوم .

بنى أمية هبوا طال نومكم * ان الخليفة يعقوب بن داود (١)
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا * خليفة الله بين الناي والعود

فاتهمه عند المهدي بالزندقة وقال : انه قد هجا المهدي ، فأمر ، فضرب
بالسياط حتى مات .

٢ - حماد عجرد (٢)

« ولو (٣) أني أحببت أن أشخص حمادا لوصفته قبل كل شيء بحدة الطبع ،
وسوء الخلق ، وحب الانتقام ، والاسراع إليه ، ثم بالصراحة في القول ، والملاءمة بينه
وبين العمل ، وبكره النفاق والانصراف عنه ، لا يعنيه أرضى الناس عنه أم سخطوا
عليه ، ثم بحدة اللسان ومضيه واقداعه وكلفه بفاحش القول وبحته عن أسوته
واقبحه ، ثم بالسخرية من الناس وازدراؤهم ، لا على أنه يتخذ ذلك فلسفة وأصلا من
أصول الحياة كالوليد ومطيع وأبي نواس ، بل على أنه يتخذ ذلك وسيلة من وسائل
الشعراء يخلص بها كلما ضاقت عليه المذاهب وأخذت عليه ، أو دعت إلى ذلك حاجة .
لم يكن حماد يحفل بما يحفل به الناس من الوفاء والانصراف عن التناقض ، وإنما كان
صديقا مخلصا حتى تبدو له حاجة أو تسنح له فرصة أو تضطره ضرورة ، فإذا صداقته
قد استحالت إلى عدا ، وإذا هو ليس أقل صدقا وإخلاصا في العدا منه في المودة
والحب : فقد مدح يحيى بن زياد واتخذ صديقا ونال جوائزه ، ثم كان الخلاف
فهباه . وصادق بشارا وصافاه . ثم اختصما فلم يعرفا في الخصومة رحمة ولا رفا .
وصافى مطيعا وأحبه ومدحه وأكثر من الثناء عليه ، ثم اختصما في امرأة مرة وفي
غلام مرة أخرى ، فهباه وأقذع في هجائه . وكان على هذا كله يؤثر شعره وضروراته

(١) أصله من الموالى ، وقد استوزره الخليفة المهدي وسلمه الأمور كلها واشتغل هو باللهو
(٢) هو حماد بن يحيى بن عمرو مولى عامر بن صعصعة . نشأ في الكوفة ثم واسط . وعاصر
الدولتين ، لكنه نبغ في الدولة العباسية بعد أن تأسس الوليد بن يزيد الأموي . وجاء بخداد أيام
المهدي ومعه مطيع بن أياس ويحيى بن زياد ، وكلهم من المتهمين في دينهم . وحماد من الشعراء
المجيدين ، وكان ماجنا ظريفا خليعا متهما في نيته مرميا بالزندقة . وأدرك بشار بن برد وله
معه أماج فاحشة ، ولم يكن يهاب كبيرا ولا صغيرا ، عالما كان أو خليفة . توفي سنة ١٦١ هـ .
ونجد ترجمته في الأغاني (ج ١٣ ص ٧٣) وابن خلكان (ج ١ ص ١٦٥) والشعر والشعراء
(ص ٤٩٠) والفهرست (ص ٩١) .

(٣) من بحوث صديقي الدكتور طه حسين أستاذ الآداب العربية بالجامعة المصرية .

على البر بالناس في معاملتهم : هجا ذات يوم رجلا يقال له حشيش وجعل اسمه قافية لهذا الشعر وأراد أن يبالغ في ذمه فشبهه ببخيش ، وكان ببخيش هذا رجلا من أهل البصرة وادعا لا يعرف حمادا ولا يعرفه حماد ، فلما قرأ الرجل هذا الشعر جزع له وسافر من البصرة حتى بلغ الكوفة فعاتب حمادا ، فقال له حماد ضاحكا معتذرا : لا بأس عليك فان هذا من آثام القافية ولن أعود إليه ، .

وكان السبب في مهاجمة حماد وبشسار أن حمادا كان تديما لنافع بن عقبة ، فسأله بشار تنجيز حاجة له من نافع فأبطأ عنها ، فقال بشار فيه :

مواعيد حماد سماء مخيلة * فكشف عن وعد ولكن ستبرق
إذا جئته يوما أحال على غد * كما وعد الكمون ما ليس يصدق
وفى نافع عني جفاء وانني * لأطرق أحيانا وذو اللب يطرق
وللنقري (١) قوم فلو كنت منهم * دعيت ولكن دوني الباب مغلق
ومازلت أستأنيك حتى حسرتني * بوعد كجاري الال يخفى ويخفق

فغضب حماد وأنشده نافعا الشعر فمنع بشارا ، فقال بشار :

أبا عمر ما في طلابيك حاجة * ولا في الذي منيتنا ثم أضجرا
وعدت فلم تصدق وقلت غدا غدا * كما وعد الكمون شربا مؤخرا

فكان ذلك سبب التهاجي بين بشار وحماد . وكان بشار يرمى حمادا بالزندقة ، وفى ذلك يقول :

ابن نهبي رأس على ثقيل * واحتمال الرؤوس خطب جليل
ادع غيري الى عبادة الاثني * من فاني بواحد مشغول
يا بن نهبي برئت منك الى الله جهارا وذاك مني قليل

فأشاع حماد هذه الأبيات لبشار ، وجعل فيها مكان : « فاني بواحد مشغول » « فاني عن واحد مشغول » ليصح عليه الزندقة والكفر بالله تعالى . فمازالت الأبيات تدور في الناس حتى انتهت الى بشار . فاضطرب منها وجزع وقال : أشاط

(١) النقري : الدعوة الخاصة .

ابن الفاعلة بدمي ، والله ما قلت الا « فاني بواحد مشغول » فغيرها حتى شهرت في الناس .

كان رجل من أهل البصرة يدخل بين حماد وبشار على اتفاق منهما ورضا بأن ينقل الى كل واحد منهما وعنه الشعر ، فدخل يوما الى بشار فقال له : ايه يا فلان ، ما قال ابن الفاعلة ؟ فأنشده :

ان تاه بشار عليكم فقد * أمكنت بشارا من التيه
فقال بشار : بأى شيء ويحك ؟ فقال :

وذاك اذ سميته باسمه * ولم يكن حرا نسبيه
قال : سخنت عينه ، فبأى شيء كنت أعرف ! ايه ، فقال :

فصار انسانا بذكرى له * ما يبتغي من بعد ذكره !
فقال : ما صنع شيئا ، ايه ويحك ! فقال :

لم أهج بشارا ولكني * هجوت نفسي بهجائيه
فقال : على هذا المعنى دار وحوله حام . وتمام الأبيات :

لم آت شيئا قط فيما مضى * ولست فيما عشت آتية
أسوأ لي في الناس أحوثة * من خطا أخطائه فيه
فأصبح اليوم لسببي له * أعظم شانا من موائيه

وقال بشار لراوية حماد : ما هجاني به اليوم حماد ؟ فأنشده :
ألا من مبلغ عني الـ * لذي الـ الـ الـ الـ
فقال : صدق ابن الفاعلة فما يكون ؟ فقال :

إذا ما سبب الناس * فلا قيل ولا بعد
فقال : كذب ، أين هذه العرصات من عقيل ! فما يكون ؟ فقال :

وأعمى قلطبان (١) ما * على قاذقه حسد

(١) القلطبان : الذي لا يغار .

فقال : كذب ، بل عليه ثمانون جلدة ، هيه ، فقال :

وأعمى يشبه القرد * إذا ما عهى القرد

فقال : والله ما أخطأ حين شبهني بقرد ، حسبك حسبك ! ثم صفق بيده وقال :
ما حيلتي ! يراني فيشبهني ولا أراه فأشبهه . وتمام الأبيات :

ذنى لم يرح يوما * إلى مجد ولم يفد
ولم يحضر مع الحضا * ر في خير ولم يبد
ولم يخش له ذم * ولم يرج له حمد
جرى بالنحس مذ كان * ولم يجر له سعد
هو الكلب إذا مات * فلم يوجد له فقد

وقال على بن مهدي : أجمع علماء البصرة أنه ليس في هجاء حماد عجرد لبشار
إلا أربعون بيتا معدودة ، ولبشار فيه من الهجاء أكثر من ألف بيت جيد . وكل واحد
منهما هو الذي هتك صاحبه بالزندقة وأظهرها عليه ، وكانا يجتمعان عليها ، فسقط
حماد وهتك بفضل بلاغة بشار وجودة معانيه ، وبقي بشار على حاله لم يسقط ، حتى
عرف مذهبه في الزندقة فقتل به .

ومن أغلظ ما هجا به حماد بشارا :

نهاره أخبت من ليله * ويومه أخبت من أمسه
وليس بالقلع عن غيه * حتى يوارى في ثرى رمسه

كان حماد صديقا ليحيى بن زياد ، فظهر يحيى تورعا وقراءة ونزوعا عما كان
فيه وهجر حمادا وأشباهه ، فكان إذا ذكر عنده ثلبه ذكر تهتكه ومجونه ، فبلغ ذلك
حمادا فكتب إليه :

هل تذكرن دلجى اليـ * لك على المضمرة القلاص
أيام تعطينى وتـ * خذ من أباريق الرصاص
إن كان نسكك لا يتـ * سم بغير شتمى وانتقاصى
أو كنت لست بغير ذا * ك تنال منزلة الخصاص
فعليك فاشتم أمـ * كل الأمان من القصاص
واقعد وقم بى ما بدا * لك فى الأدانى والأقاصى

فلطالما زكيتني * وأنا المقيم على انصافي
 أيام أنت اذا ذكر * ت مناضل عني مناصي (١)
 وأنا وأنت على ارتكبا * ب الموبقات من الحراس
 وبننا مواطن ما بنا * في البر أهلة العراض

فاتصل هذا الشعر يحيى بن زياد ، فنسب حمادا الى الزندقة ورماه بالخروج
 عن الاسلام ، فقال حماد فيه :

لا مؤمن يعرف ايمانه * وليس يحيى بالفتى الكافر
 منافق ظاهره ناسك * مخالف الباطن للظاهر

كان حماد صديقا لحريث بن أبي الصلت الثقفي ، وكان يعيبه بالبخل ، وفيه
 يقول :

حريث أبو الفضل ذو خيرة * بما يصلح الممد الفاسده
 تخوف تخمة أضيافه * فمودهم أكلة واحده
 ومن قوله :

ألا قل لعبد الله أنك واحد * ومثلك في هذا الزمان كثير
 قطعت اخائي ظالما وهجرتني * وليس أخى من فى الاخاء يجور
 أديم لأهل السود ودى واننى * لمن رام هجرى ظالما لهجور
 ولو أن بعضى رابنى لقطعته * وانى بقطع الرائبين جدير
 فلاتحسبن منحنى لك الود خالصا * لعز ولا أنى اليك فقير
 ودونك حظى منك لست أريده * طوال الليالى ما أقام ثبير (٢)

كان حماد صديقا لحفص بن أبي بردة . وكان حفص أعمش أفطس أعضب مقبح
 الوجه ، فاجتمعوا يوما على شراب وجعلوا يتناشدون ويتحدثون ، فأخذ حفص يطعن
 على مرقش ويعيب شعره ويلحنه ، فقال له حماد :

(١) مناص : مدافع ، من قولهم ناصاه مناصاة ، أخذ كل بناصية صاحبه .
 (٢) ثبير : اسم جبل .

لقد كان في عينيك يا حفص شاغل * وأنف كليل (١) العود عما تتبع
تتبع لحننا في كلام مرقش * ووجهك مبنى على اللحن أجمع
فأذناك أقواء وأنفك مكفا * وعيناك أيطاء فانت المرقع

ومن قوله :

انسى أحبك فاعلمي * ان لم تكوني تعلمينا
حبا أقل قليله * كجميع حب العالمينا

وأنشد بشار قول حماد عجرد :

أخي كف عن لومي فانك لا تدري * بما فعل الحب المبرح في صدري
أخي أنت تلحاني وقلبك فارغ * وقلبي مشغول الجوانح بالفكر
دوائى ودائى عند من لو رأيت * يقلب عينيه لأقصررت عن زجري
فأقسم لو أصبحت في لوعة الهوى * لأقصررت عن لومي وأطنبت في عذري
ولكن بلائى منك أنك ناصح * وأنك لا تدري بأنك لا تسدى

فطرب بشار ثم قال : ويلكم أحسن والله ! من هذا ؟ قالوا : حماد عجرد ، قال :
أوه وكلتموني والله بقية يومى لهم طويل ، والله لا أطعم بقية يومى طعاما ، ولأصومن
غما بما يقول النبطى مثل هذا .

قال محمد بن الفضل السلولى : لقيت حماد عجرد بواسط وهو يمشى وأنا
راكب ، فقلت له : انطلق بنا الى المنزل ، فانى الساعة فارغ لنتحدث ، وحسبت عليه
الدابة ، فقطع شغل عرض لى لم أقدر على تركه ، فمضيت وأنسيته ، فلما بلغت المنزل
خفت شره فكتبت اليه :

أبا عمر اغفرها هديت فانى * قد أذنبت ذنبا مخطئا غير عامد
فلا تجدن فيه على فانى * أقر باجرامى ولست بمعائد
وهبه لنا تفديك نفسى فانى * أرى نعمة أن كنت لست بواجد
وعد منك بالفضل الذى أنت أهله * فانك ذو فضل طريف وتالد

(١) الكليل : وعاء قضيب البعير ، والعود : البعير .

فأجابني عن الأبيات :

محمد يابا الفضل ياذا المحامد * وبابهة النادى وزين المشاهد
وحقك ما أذنبت منذ عرفتني * على خطا يوما ولا عهد عامد
ولو كان ما ألفتني متسرعا * إليك به يوما تسرع واجد (١)
ولو كان ذو فضل يسمى لفضله * بغير اسمه سميت أم القلائد

فبينما رقعته فى يدي وأنا أقرؤها اذ جاءنى رسوله برقعة فيها :

قد غفرنا الذنب يابن الـ * فضل والذنب عظيم
ومسى أنت يابن الـ * فضل فى ذاك عليهم
حين تغشاني على الذنـ * ب كما يغشى اللثيم
ليس لى ان كان ما خفـ * ت من الأمر حريم
أنا والله ولا أفـ * خر للغيظ كظوم
وبأصحابى ولا رىـ * بة بر ورحبهم
وبما يرضيهم عنـ * سى ويرضيني عليهم

كان عثمان بن شيبة مبخلا وكان حماد يهجوهُ ، فجاء رجل كان يقول الشعر الى حماد فقال له :

أعنى من غناك بيت شعر * على فقرى لعثمان بن شيبة
فقال :

فانك ان رضيت به خيلا * ملأت يديك من فقر وخيبة

فقال له الرجل : جزاك الله خيرا فقد عرفتني من أخلاقه ما قطعنى عن مدحه وصنت وجهى عنه *

لما مات محمد بن أبى العباس طلب محمد بن سليمان حماد عجرد لما كان يقوله فى أخيه زينب من الشعر ، فعلم أنه لا مقام له معه بالبصرة ، فاستجار بتبر أبيه سليمان بن على وقال فيه :

(١) أى لو كان لك ذنب ما صادفتني مسرعا إليك بالمكافاة .

من مقر بالذنب لم يوجب الله * به عليه بسبيء اقرارا
 ليس الا بفضل حادك يعد * قد بلاد وما يعد اغترارا
 يا ابن بنت النبي أحمد لا أج * حتى الا اليك منك الفارارا
 غير أنني جعلت قبر أبي أيو * ب لي من حوادث الدهر جارا
 وحرى من استجار بذلك الـ * سقبر أن يأمن الردى والعشارا
 لم أجد لي من العباد مجيرا * فاستجرت التراب والأحجارا
 لست أعتاض منك في بغية * العزة قحطان كلها أو نزارا
 فانا اليوم جار من ليس في الأر * ض مجير أعز منه جسوارا
 يا ابن بنت النبي يا خير من حط * ست اليه الغوارب الأكسوارا
 ان تكن مذنباً فأنت ابن من كسا * ن أن كان مذنباً غفسارا
 فاعف عني فقد قدرت وخير الـ * عفو ما قلت : كن ، فكان اقتدارا
 لو يطبل الأعماس جار لعز * كان جاري يطول الأعمارا

فقال : والله لأبلى قبر أبي من دمه ، فهرب حماد الى بغداد ، فعاذ بجعفر بن
 المنصور فأجاره ، وقال : لا أرضى أو تهجو محمد بن سليمان ، فقال يهجو :

قل لوجه الخصي ذي العار اني * سوف أهدي لزينب الأشعارا
 قد لعمرى فررت من شدة الخو * ف وأنكرت صاحبي نهارا
 وظننت القبور تمنع جارا * فاستجرت التراب والأحجارا
 كنت عند استجارتى بأبي أيـ * سوب أبغى ضلالة وخسارا
 لم يجرنى ولم أجد فيه حظا * أضرم الله ذلك القبر نارا

فبلغ هجاؤه محمد بن سليمان فقال : والله لا يفلتنى أبدا ، وانما يزداد حيفا
 بلسانه ! ولا والله لا أعفو عنه ولا أتغافل أبدا .

ومن قوله :

ان الكريم ليخفي عنك عسرتة * حتى تراه غنيا وهو مجهود
 وللبخيل على أمواله علل * زرق العيون عليها أوجه سود
 اذا تكرمتم أن تعطى القليل ولم * تقدر على سعة لم يظهر الجود
 أبرق بخير ترجي للنوال فما * ترجي الثمار اذا لم يورق العود
 بث النوال ولا تمنعك قلته * فكل ما ساء فقرا فهو محمود

وتقال أيضا :

كم من أخ لك لست تنكره * ما دمت من دنيائك في يسر
متصنع لك في مودته * بلقائك بالترحيب والبشر
يطرى الوفاء وذا الوفاء ويل * حتى الغدر مجتهدا وذا الغدر
فاذا عدا ، والدهر ذو غير ، * دحر عليك عدا مع الدهر
فأرفض بأجمال مودة من * يقلى المقل ويعشق المترى
وعليك من حاله واحدة * في العسر اما كنت واليسر
لا تخلطنهم بغسيرهم * من يخطئ العقيان بالصفر !

وهو القائل في محمد بن طلحة :

ذرت امرا في بيته مرة * له حياء وله خير
يكره أن يتخم اخوانه * ان أذى التخممة محذور
ويشتهى أن يؤجروا عنده * بالصوم والصائم مأجور
يا ابن أبي شهدة أنت امرؤ * بصحة الأبدان مسرور

وهو القائل في محمد بن أبي العباس السفاح :

أرجوك بعد أبي العباس اذ بانا * يا أكرم الناس أعراقا وأخصانا
لو مج عود على قوم عصارتة * لمج عودك فينا المسك والبان

قيل : ان حمادا مضى الى الأهواز ، فأقام هناك مستترا ، وبلغ محمدا خبره فأرسل
مولى له الى الأهواز ، فلم يزل يطلبه حتى ظفر به فقتله غيلة . وقيل : انه خرج من
الأهواز يريد البصرة ، فمر بشيراز في طريقه ، فمرض بها ، فاضطر الى المقام بسبب
عائلته ، فاشتد مرضه فمات هناك ودفن على تلعة . وكان بشار بلغه أن حمادا عليل ،
ثم نعى اليه قبل موته ، فقال بشار :

لو عاش حماد لهونا به * لكنه صار الى النار

فبلغ هذا البيت حمادا قبل أن يموت وهو في السياق (١) ، فقال يرد عليه :

(١) السياق : الاحتضار .

نبئت بشارا نعانى ولك * موت برانى الخالق البارى
يا ليتنى مت ولم أهجه * نعم ولو صرت الى النار
واى خزى هو اخزى من أن * يقال لى يا سب (١) بشار

فلما قتل المهدي بشارا بالبطيحة اتفق أن حمل الى منزله ميتا ، فدفن مع حماد
على تلك التلعة ، فمر بها أبو هشام الباهلي الشاعر البصري الذي كان يهاجى بشارا ،
فوقف على قبريهما فقال :

قد تبع الأعمى قفا عجرد * فأصبحا جارين فى دار
قالت بقاع الأرض لا مرحبا * بقرب حماد وبشار
تجاورا بعد تنائيهما * ما أبغض الجار الى الجار
صارا جميعا فى يدى مالك * فى النار والكافر فى النار

٣ - مروان بن أبى حفصة (٢)

« لم (٣) يكن مروان متصرفا فى فنون الشعر ، ولعله لم يعد منها فنا أو فنين ،
فلسنا نعرف له غزلا الا هذا الغزل الذى تعود الشعراء أن يبدعوا به مدائحهم ، ولسنا
نعرف له هجاء الا هذا النحو من الهجاء الذى يضطر اليه الشعراء السياسيون حين

(١) السب (بكسر السين وتشديد وفتح الباء) : الكثير السباب .

(٢) هو من الشعراء الموالى أصل جده من سبى اصطخر ، وكان غلاما اشتراه عثمان بن عفان ووجهه
لمروان بن الحكم وأقام بعدئذ باليمامة ، وقد اختلفوا فى حقيقة نسبه . شب مروان على كره الشيعة لأنه
من موالى بنى أمية وقد حارب معهم ، وكان شجاعا مجريا ، فلما نبغ فى الشعر قدم بغداد ومدح المهدي
ثم الرشيد ، وكان يتقرب اليه بهجاء العلويين ، وهو من الفحول المقلمين ، أول من شهره ونوه به معن
ابن زائدة الجواد المشهور بقصيدة نونية مدحه بها ، مطلعها :

معن بن زائدة الذى زيدت به * شرفا على شرف بنو شيبان

ولكنه اشتهر على الخصوص بقصيدة لامية مدح بها (معن) مطلعها :

بنو مطر يوم اللقياء كانهم * اسود فى بطن خفان اشـبـل

فأجازه عليها بـمال كثير ، فكان كلما زاده معن عطاء زاده مروان مدحا . توفى سنة ١٨١ هـ . وتجد
أخباره فى الأغاني (ج ٩ ص ٣٦) وابن خلكان (ج ٢ ص ١٣٠) والشعر والشعراء (ص ٤٨١) وخزانة
الأدب (ج ١ ص ٤٤٧) والفهرست لابن النديم (ص ١٦٠) .

(٣) من بحوث هديقى الدكتور طه حسين أستاذ الآداب العربية بالجامعة المصرية .

يدافعون عن مذهبهم ويهاجمون خصومهم . على أن موقف مروان كان في هذا دقيقا جدا ، فهو لم يكن ينصر بنى العباس على بنى أمية فيبلغ منهم ما يريد ، ويهجوهم في حرية ، وانما كان السيف هو الذي انتصر للعباسيين من بنى أمية ، وكان العباسيون في حاجة الى من ينصرهم على العلويين وأتباعهم من بنى هاشم ، ولم يكن هجاء العلويين سيرا ! كان الدين يأباه في ذلك الوقت ، وكانت كرامة الخلافة العباسية نفسها تأباه أيضا . فالعلويون من بنى هاشم وهجاؤهم هجاء للعباسيين ، ومن هنا سلك مروان وأمناله من الشعراء السياسيين الذين ناضلوا عن حقوق العباسيين مسلك الدفاع والمناظرة الشريفة البريئة من الشتم والقذف ، فكان دفاعهم أبلغ ، وكانت مناظراتهم أحسن وقعا من هجاء أولئك الشتامين المسرفين في الشتم ، ثم لا نعرف لمروان مجونا ولا عبثا ، فلم يكن كما قلنا ماجنا ولا عبثا وانما كان بخيلا ، والبخل والعيب نسيان لا يتفقان ، ومن ضمن على نفسه باللحم وطيبات الطعام لم يستبح لنفسه خمرا ولا ما تستنبعه الخمر . ثم لا نعرف لمروان فخرا وما نحسب أنه فخر أو مال الى الفخر ، فقد كان رجلا عمليا يعنيه أن يظفر بالمكانة والثروة وكان يضمن بوقته وجهده على الفخر الذي لا يفيد . لم يعرض اذن الا لفنين اثنين : المدح والثناء ، وهو في المدح أشعر منه في الثناء وهذا طبعي ، فهو راغب حين يمدح ، يطلب المال ويحرص على أن يظفر به ، فمعقول أن يجيد وأن يبلغ من الاجادة حفا عظيما ، أما في الثناء فهو لا يرغب ولا يطلب مالا وانما يفى بعهد ويشكر صنعة . ومعقول أن موقفه هذا لا يدفعه الى الاجادة الا أن يكون حساسا دقيق الشعور راقى النفس ، ولم يكن مروان من هذا كله في شيء ، وانما كان كما قلت لك رجلا عمليا يريد المال . على أن رثاءه لمعن نيس بالردى وكذلك رثاؤه للمهدى ، وهل نستطيع أن نعد رثاءه للمهدى رثاء ، هو مدح لأنه عزاء للخليفة الجديد ، ففيه ذكر للخليفة الراحل ، والثناء على وارثه ، وفيه المثوبة والعطاء . فهو الى المدح أقرب منه الى الرثاء .

أما مدح مروان فمن آيات المدح العربي ، ونحن لا نحفظ منه الا متفرقات قليلة ولكنها تكفى لنحكم أن مروان كان قد أتقن المدح وبرع فيه ، بل نحسب أنه برز في هذا الفن على غيره من المعاصرين ، ولكن مدح مروان ينقسم الى قسمين متميزين :

أحدهما المدح بالمعنى الشائع المعروف ، وهو موجه لمعن بن زائدة ، فهو يفتن في وصف معن بالجود والكرم والشجاعة والحب ، ثم يفتن في مدح بنى شيبان الذين ينتمى اليهم معن ، وهو لا يخرج في مدحه هذا عن سنة الشعراء من قبله ، ولكنه جب انعاني منتقاها ، حسن الألفاظ صافياها .

وأما القسم الثاني فهو هذا المدح السياسي الذي كان ينشده الخفاف من بنى العباس ، وهو مدح ان شئت ولكنه يمتاز عن المدح المعروف بما فيه من هذا النضال السياسي الذي كان يحتاج الى مهارة وفطنة ودقة وخفة ، والذي كان يضطر صاحبه الى

أن يقهر العلويين دون أن يؤذيهم ، وإلى أن ينصر العباسيين دون أن يزدري خصومهم ، وقد بنى مروان من ذلك ما أراد ، فقد أغضب الساسانيين لا لأنه آذاهم أو هجاهم فيما نعتقد ، بل لأنه كان خصما قويا عنيدا ماهرا في الخصام .

ثم هناك شيثان لابد من الإشارة إليهما ليكمل رأينا في مروان ، ولستطيع أن نحكم على شعره حكما معللا انصح هذا التعبير :

الأول : أن مروان لم يكن عراقيا ولم يرض الإقامة في العراق ولم يطل عشرة العراقيين من أهل المجون والعبث ، وإنما كان من أهل اليمامة أقام فيها لا يبرحها إلا وافدا على أمير أو وزير أو خليفة . فاذا أنشد قصيدته وظفر بجائزته عاد إلى اليمامة وأقام فيها عامه ثم استأنف الرحلة . ولهذا أثره في شعر مروان ، فهو أقرب إلى شعر الجاهليين والاسلاميين منه إلى شعر المحدثين من شعراء الحضارة العباسية ، تفرؤه فتجد عليه هذه المسحة التي تخلو أو تكاد تخلو من الدعابة والخفة ، وتمتاز بشيء من الجلال والرصانة ، يمثل البادية تمثيلا صحيحا ، ولهذا أثره من وجهة أخرى ، فقد رضى علماء اللغة جميعا عن مروان وأحبوه من هذه الناحية ، وما أشك أنا في أنهم كانوا يودون لو استطاعوا إثاره على بشار وأبي نواس ، لأنه كان أقرب منهما إلى الأسلوب البدوي القديم ، ولكن أنى لهم ذلك ! وقد سلط الله عليهم لسان بشار وأبي نواس فاضطروا إلى أن يحابوا هذين الشاعرين ويتملقوهما ، وأجمعوا أو كادوا يجمعون على تقديم بشار وإثاره على مروان . ومع ذلك فليس إلى المقارنة سبيل بين الشاعرين إذا اتخذنا وجهة البحث والنقد ، هذه الوجهة التي كان يعنى بها علماء اللغة وهي وجهة المتانة والرصانة في اللفظ والأسلوب ، لا يقاس إلى مروان في هذا أحد من شعراء العراق ، أما إذا اتخذنا وجهة أخرى للنقد ، إذا اتخذنا اختلاف الفنون التي طرقها الشاعر ، وقرب المآخذ ، والدنو من أذهان الناس والقدرة على تمثيل حياتهم ، فليس مروان يقاس إلى بشار ولا إلى أبي نواس بنوع خاص ، على أن من علماء اللغة من استطاع أن يكون شجاعا شريفا في نفسه لا يخاف ولا يهاب فصدق نفسه وصدق الناس ، وأثر مروان على غيره من الشعراء المعاصرين ، وهذا العالم اللغوي هو ابن الأعرابي الذي ختم الشعر بمروان وأبي أن يدون لأحد من المحدثين بعده ، والذي كان ينشد مع الإعجاب الشديد هذه الأبيات الجيدة من شعر مروان ، وهي :

بنو مطر يوم اللقاء كأنهم * أسود لها في بطن خفان أشبل
هم يمنعون الجار حتى كأنما * لجارهم بين السماكين منزل
لهاميم (١) في الاسلام سادوا ولم يكن * كأولهم في الجاهلية أول

(١) لهاميم واحدا لهوم ، وهو العظيم الكثير الخير .

هم القوم ان قالوا أصابوا وان دعوا * نجابوا وان أعطوا أطابوا واجزلوا
ولا يستطيع الفاعلون فعالهم * وان أحسنوا فى النائبات وأجملوا

وكان ابن الأعرابي يقول : لو أن (معن) أعطى مروان كل ما يملك بهذه
الآيات لما بلغ حقه .

الثانى : أن مروان لم يكن سريعاً فى الشعر ولا متعجلاً ولا مسترسلاً مع الطبع
وانما كان بطيئاً متمهلاً . كان يجيد الشعر لأنه كان يجوده . كان يسلك هذه الطريقة
التي يزعم الرواة أن زهيراً كان يسلكها فى هذه القصائد التي يسمونها الحوليات ،
كان ينفق أشهراً فى انشاء القصيدة وأشهرها فى اصلاحها وأشهرها فى عرضها حتى اذا
استقام له هذا كله أنشد قصيدته لمدوحه خليفة كان أو وزيراً أو أميراً ، فليس
عجيباً مع هذه الأناة أن يخلو شعره مما يستنكر وأن يبرأ من الضعف والوحشية معاً .
ولقد يحدثنا الرواة بطائفة من أخبار مروان مع اللغويين والشعراء الذين كان يعرض
عليهم شعره قبل أن ينشده الخلفاء . ولست أشير إلا الى سيرته مع بشار فلها معناها .
كان مروان يعرض القصيدة على بشار ويسأله رأيه فيها فلا يجيبه بشار بأنها جيدة
أو بأنها رديئة ، بل يقدر له قيمة القصيدة مالياً ، فيقول : سيعطونك عليها كذا
وكذا . . . وقد صدق بشار مرتين فأظهر له مروان العجب من ذلك ، فقال بشار :
ألم أقل لك انى أعلم الغيب ! ولم يكن يعلم الغيب ، وانما كان يفهم الخلفاء ويفهم
الميلول السياسية التي كان من شأنها أن تجزل حظ مروان من العطاء .

كان مروان متناقضاً ولكنه تناقض مفهوم ، كان شديد الحرص على الاجادة ،
فكان يشك فى شعره ، ويستشير فيه الشعراء والنحاة ، ولكنه كان مع ذلك معجباً
بنفسه لا يقدم عليها أحداً بعد هؤلاء الشعراء الثلاثة : الأختل والفرزدق وجريز .
واسمع رأيه فيهم وفى نفسه ، فقد عقده شعرا ليثبت كما يقول :

ذهب الفرزدق بالفخار وانما * حلو القريض وهره لجريز
ولقد هجا فامض اخطل تغلب * وحوى اللهى ببياته المشهور
كل الثلاثة قد اجاد فمدحه * وهجاؤه قد سار كل مسير
ولقد جريت ففت غير مهلل * بجراء لا قرف ولا مبهور
انى لآنف أن احبر مدحة * أبدا لغير خليفة ووزير
ما ضرني حسد اللئام ولم يزل * ذو الفضل يحسده ذوو التقصير

أما رأى مروان فى النقد فبديع ، كان ينشد الشعر لامرئ القيس ويقول : هو
أشعر الناس ، ثم ينشد شعر الأعشى ويقول : هو أشعر الناس ، ثم ينشد شعر زهير
ويقول : هو أشعر الناس ، حتى اذا أنشد لطائفة كثيرة من الشعراء ، فراهم جميعاً

أشعر الناس ، قال صاحبا : الناس أشعر الناس ، ولست أعرف رأيا كهذا الراي
يشل الشك في نقد الناقدين المعاصرين والسخرية بهذا النقد .

وننتقل من ذاك الوصف الرائع الى ذكر نبذة صالحة من أخباره وأشعاره .

دخل مروان بن حفصة على المهدي بعد وفاة معن ، فأنشده مديحا فيه ، فقال له
المهدي : ألسنت القائل :

أقمنا باليهامة بعد معن * مقاما لا نريد به ذوالا
وقلنا أين نرحل بعد معن * وقد ذهب النوال فلا نوالا

قد ذهب النوال فيما زعمت ، فلم جئت تطلب نوالنا ؟ لا شيء لك عندنا .
ولما كان من العام المقبل تطف حتى دخل مع الشعراء ، وانما كانت الشعراء تدخل
على الخلفاء كل عام مرة ، فمثل بين يديه ، وأنشد - بعد رابع أو خامس من
الشعراء :

طرقك زائرة فحي خيالها *	بيضاء تغلط بالجمال دلالها
قادت قوادك فاستقاد ومثلها *	قاد القلوب الى الصبا فامالها
فكانما طرقت بنفحة روضة *	سحت بها ديم الربيع طلالها
باتت تسائل في المنام معرسا *	بالبيد أشعث لا يمل سؤالها
في فتية هجعوا غارا بعد ما *	سثموا مراعشة السرى ومطالها
فكان حشو ثيابهم هندي *	نحلت وأغفلت القيون صقالها
وضعوا الحدود لدى سواهم جنح *	تشكو كلوم صفاحها وكرالها
طلبت أمير المؤمنين فواصلت *	بعد السرى بغدوها أصالها
نزعنا اليك صواديا فتقاذقت *	تطوى الفلاة حزونها ورمالها
يتبعن ناجية يهز مراحها *	بعد النحول تليلها (١) وقدالها
هوجاء تدرع الربا وتشققها *	شق الشموس اذا تراع جلالها
تنجو (٢) اذا دفع القطيع كما نجت *	خرجاء (٣) بادرت الظلام رثالها (٤)
كالقوس ساهمة أتك وقد ترى *	كالبرج تملا رحلها وحبالها

(١) التليل : العنق .

(٢) تنجو : تسرع .

(٣) الخرجاء : النعامة .

(٤) الرثال : فراخ النعامة واحدها رال .

ومنها :

- | | |
|----------------------------|---------------------------------|
| أحيا أمير المؤمنين محمد | * سنن النبي حرامها وحلالها |
| ملك تفرع نبعة من هاشم | * مد الاله على الأنام ظلالها |
| جبل لأمته تلوذ بركنه | * رادى جبال عدوها فأزالها |
| لم يقنصها مما يخاف عزيمة | * الا أجال لها الأمور مجالها |
| حتى يفرجها أغز مهذب | * ألفى أباه منفرجا أمثالها |
| ثبت على زلل الحوادث راكب | * من صرفهن لكل حال حالها |
| كلتا يديك جعلت فضل نوالها | * للمسلمين وللعلماء وبالها |
| وقعت مواقعها بعفوك أنفس | * أذهبت بعد مخافة أوجالها |
| ونصبت نفسك خير نفس دونها | * وجعلت مالك واقيا أموالها |
| هل تعلمون خليفة من قبله | * أجرى لغايته التي أجرى لها |
| طلع الدروب مسمرا عن ساقه | * بالخيول منصلتا يجد نعالها |
| قود تريح الى أغر لوجهه | * نور يقضى أمامها وخلالها |
| قصرت حمائله عليه فقلصت | * ولقد تحفظ قينها فاطالها |
| حتى اذا وردت أوائل خيله | * جيحان بث على العدو رعالها (١) |
| أحمى بلاد المسلمين عليهم | * وأباح سهل بلادهم وجبالها |
| أدمت دوابر خيله وسكيمها | * غاراتهن وألحقت أطلالها |
| لم يبق بعد مغارها وطرادها | * الا نحائزها (٢) والا آلهها |
| دفع الخليفة ناظري وراشني | * بيد مباركة شكرت نوالها |
| وحسدت حتى قيل أصبح باغيا | * فى المتن مترف شيعة مختالها |
| ولقد حدثت لمن أطاع ومن عصى | * نعل ورثت عن النبي مثالها |

فزحف المهدي من صدر مصلاه حتى صار على البساط اعجابا بما سمع ، ثم قال : كم هي ؟ قال : مائة بيت ، فأمر له بمائة ألف درهم ، فكانت أول مائة ألف درهم أعطيها شاعر فى أيام بنى العباس : وهكذا فعل معه الرشيد لما أنشده قصيدته التي يقول فيها :

لعمرك ما أنسى غداة المحصب * إشارة سلمى بالبنان المخضب

(١) الرعال : القطيع من الخيل واحدها رعلة .
(٢) النحائز : الانساع .

وقد صدر الحجاج الا اقلهم * مصادر شتى موكبا بعد موكب

قال مروان : دخلت على المهدي في قصر السلام ، فلما سلمت عليه وذلك بعقب
سخطه على يعقوب بن داود ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، ان يعقوب رجل رافضي ، وانه
سمعني أقول في الورثة :

أني يكون وليس ذاك بكائن * نبي البنات وراثه الأعمام

فذلك الذي حمله على عداوتي ، ثم أنشدته :

كان أمير المؤمنين محمدا * لرأفته بالناس للناس والد

فقال له المهدي : والله ما أعطيك الا من صلب مالي ، فاعذرني ، وأمر لي بثلاثين
ألف درهم وكسائي جبة ومطرفا ، وفرض لي على أهل بيته ومواليه ثلاثين ألفا أخرى .

لما قدم معن من اليمن دخل عليه مروان والمجلس غاص بأهله ، فأخذ بعضادتي
الباب وأنشأ يقول :

أرى القلب أسمى بالأوانس مولعا * وان كان من عهد الصبا قد تمتعا
ويقول فيها :

ولما سرى الهم الغريب قريته	* قري من أزال الشك عنه وأزمعا
عزمت فعجلت الرحيل ولم أكن	* كذي لوثة لا يطلع الهم مطلععا
فأمت ركابي أرض معن ولم تزل	* الى أرض معن حيثما كان نزععا
نجائب لولا أنها سخرت لنا	* أبت عزة من جهلها أن تورععا
كسونا رحال الميس (١) منها غواربا	* تدارك فيها النى (٢) صيفا ومربعا
فما بلغت صنعاء حتى تواضعت	* ذراها وزال الجهل عنها وأقلععا

الى أن قال :

وما الغيث اذ عم البلاد بصوبه	* على الناس من معروف معن بأوسععا
تدارك معن قبة الدين بعد ما	* خشينا على أوتادها أن تنزععا

(١) الميس : شجر عظيم تتخذ منه الرحال .

(٢) النى : الشعم .

أقام على التفرغ المخوف وهاشم * تساقى سباما بالأسنة منقعا
مقام امرئ يابى سوى الخطة التى * تكون لدى غب الأحاديث أنفعا
وما أحجم الأعداء عنك بقيعة * عليك ولكن لم يروا فيك مطمعا
رأوا مخدرا قد جربوه وعانوا * لدى غيلة منهم مجرا ومصرعا
وليس بثانيه اذا شد أن يرى * لدى نحسه زرق الأسنة شرعا
له راحتان الغيث والحتف فيهما * أبى الله إلا أن تضرا وتنفعنا
لقد دوخ الأعداء من فاصبحوا * وأمنعهم لا يدفع الدل مدفعنا
نجيب مناجيب وسيد سادة * ذرى المجد من فرعى نزار تفرعا
لبانت خصال الخير فيه وأكملت * وما كملت خمسا سنوه وأربععا
لقد أصبحت فى كل شرق ومغرب * بسيفك أعناق المربين خضعا
وطئت حدود الحضرمين وطاة * لها هد ركن منهم فتضعضعا
فأقموا على الأذناب أقماء معشر * يرون لزوم السلم أبقي وأودعا
فلو مدت الأيدي الى الحرب كلها * لكفوا وما مدوا الى الحرب أصبعنا

فقال له معن : احتكم ، قال : عشرة آلاف درهم ، فقال معن : ربحنا عليك تسعين ألفا ، قال : أقلنى ، قال : لا أقال الله من يقيلك .

لما مات المهدي وفدت العرب على موسى الهادي يهنئونه بالخلافة ويعزونه عن المهدي ، فدخل مروان فأخذ بعضادتي الباب وقال :

لقد أصبحت تختال فى كل بلدة * بقبر أمير المؤمنين المقابر
ولو لم تسكن بابنه فى مكانه * لما برحت تبكى عليه المنابر

مرض عمرو بن مسعدة فدخل عليه مروان وقد أبل من مرضه ، فأنشأ يقول :

صح الجسم يا عمرو * لك التمحيص والأجر
ولله علينا الحمم * سد والمنة والشكر
فقد كان شكا شوقا * اليك النهى والأمر

قال موسى بن يحيى : أوصلنا الى مروان بن أبي حفصة فى وقت من الأوقات سبعين ألف درهم ، وجمع اليها مالا حتى تمت مائة ألف وخمسين ألف درهم وأودعها يزيد بن يزيد ، فبينما نحن عند يحيى بن خالد اذ دخل يزيد بن يزيد ، وكانت فيه

دعابة ، فقال : يا أبا علي ، أودعني مروان خمسين ومائة ألف درهم ، وهو يستري الخبز من البقال ، فغضب يحيى ثم قال : علي بمروان ، فأتى به ، فقال له : قد أخبرني أبو خالد بما أودعته من المال وما تبتاعه من البقال ، والله لما يرى من أثر البخل عليك أضر من الفقر لو كان بك . ويزوي أنه قال له : والله للبخل أسوأ عليك أثرا من الفقر لو صرت إليه فلا تبخل . وقال عمر بن شبة قال مروان : ما فرحت بشيء قط فرحي بمائة ألف وهبها لي أمير المؤمنين المهدي ، فوزنتها فزادت درهما ، فاشتريت به لحما . وقال جهم بن خلف : أتينا اليمامة فنزلنا على مروان بن أبي حفصة فأطعمنا تمرًا وأرسل غلامه بفلس وسكرجة ليشتري زيتا ، فلما جاء بالزيت قال لغلامه : خنتني ، قال : من فلس ! كيف أخونك ؟ قال : أخذت الفلس لنفسك واستوهبت الزيت . وقال التوزي : مر مروان بن أبي حفصة في بعض سفراته وهو يريد مغنى امرأة من العرب ، فأضافته ، فقال : لله علي ان وهب لي الأمير مائة ألف أن أحب لك درهما ، فأعطاه ستين ألف درهم ، فأعطاهما أربعة دنانق . وقال أبو دعامة : اشترى مروان لحما بنصف درهم فلما وضعه في القدر وكاد ينضج دعاه صديق له ، فردّه علي القصاب بنقصان دنانق ، فشكاه القصاب وجعل ينادي هذا لحم مروان ، وظن أنه يأنف لذلك ، فبلغ الرشيد ذلك فقال : ويلك ! ما هذا ؟ فقال : أكره الاسراف .

دخل مروان علي موسى الهادي فأنشده قوله فيه :

تشابه يوما بأسه ونواله * فما أحد يلدي لأيهما الفضل

فقال له الهادي : أيهما أحب اليك ؟ أثلاثون ألفا معجلة ، أم مائة ألف تدور في الدواوين ؟ فقال له : يا أمير المؤمنين ، أنت تحسن ما هو خير من هذا ، ولكنك أنسيته ، فتأذن لي أن أذكرك ؟ قال : نعم ، قال : تعجل لي الثلاثين ألفا وتدور المائة في الدواوين ، فضحك وقال : بل يعجلان جميعا ، فحمل اليه المال أجمع .

قال محمد النوفلي : اجتاز مروان برجل من باهلة من أهل اليمامة ، وهو ينشد قوما كان جالسا اليهم شعرا مدح به مروان بن محمد ، وأنه قتل قبل أن يلقاه وينشده اياه ، أوله :

مروان يا بن محمد أنت الذي * زادت به شرفا بنو مروان

فأعجبته القصيدة فأهل الباهلي حتى قام من مجلسه ، ثم أتاه في منزله فقال له : اني سمعت قصيدتك وأعجبتني ، ومروان قد مضى ومضى أهله ، وفاتك ما قدرت عنده ، أفتبيعني القصيدة حتى أنتحلها ، فانه خير لك من أن تبقى عليك وأنت فقير ؟ قال : نعم ، قال : بكم ؟ قال : بثلاثمائة درهم ، قال : قد ابتعتها ، فأعطاه الدراهم

وحلفه بالطلاق ثلاثا وبالأيمان المحرجة ألا ينتحلها أبدا ، ولا ينسبها الى نفسه ولا ينشدها ، وانصرف بها الى منزله فغير منها أبياتا وزاد فيها وجعلها فى معن ، وقال فى ذلك البيت :

معن بن زائدة الذى زيدت به * شرفا على شرف بنو شيبان

ووفد بها الى معن حتى أثرى واتسعت حاله ، فكان معن أول من رفع ذكره وتوه به . وله فيه مدائح بعد ذلك شريفة ومراث حسنة . قال مروان : كان المنصور قد طلب معن بن زائدة طلبا شديدا وجعل فيه مالا ، فحدثني معن باليمن أنه اضطر لشدة الطلب الى أن قام فى الشمس حتى لوحت وجهه ، وخفف عارضيه ولحيته ، ولبس جبة صوف غليظة ، وركب جملا من الجمال النقاله يمضى الى البادية فيقيم بها ، وكان قد أبلى فى حرب يزيد بن عمر بن هبيرة بلاء حسنا غاظ المنصور وجد فى طلبه ، قال معن : فلما خرجت من باب حرب تبغى أسود متقلدا سيفا حتى اذا غبت عن الحرس قبض على خطام جملى فأناخه وقبض على ، فقلت له : مالك ؟ قال : أنت طلبة أمير المؤمنين ، قلت : ومن أنا حتى يطلبنى أمير المؤمنين ؟ قال : معن بن زائدة ، قلت : يا هذا ، اتق الله ، وأين أنا من معن ؟ قال : دع هذا عنك ، فانا والله أعرف بك منك ، فقلت له : فان كانت القصة كما تقول ، فهذا جوهر حملته معى يفى بأضعاف ما بذله المنصور لمن جاءه بى ، فخذوه ولا تسفك دمي ، قال : هاته ، فأخرجته اليه ، فنظر اليه ساعة وقال : صدقت فى قيمته ، ولست قابله حتى أسألك عن شيء ، فان صدقتنى أطلقتك ، فقلت : قل ، قال : ان الناس قد وصفوك بالجود فأخبرنى ، هل وهبت قط مالك كله ؟ قلت : لا ، قال : فنصفه ؟ قلت : لا ، قال : فثلثه ؟ قلت : لا ، حتى بلغ العشر ، فاستحييت ، فقلت : أظن أنى قد فعلت هذا ، فقال : ما أراك فعلته ، انا والله راجل ورزقى من أبى جعفر عشرون درهما وهذا الجوهر قيمته آلاف الدنانير وقد وهبته لك ، ووهبتك لنفسك ولجودك المأثور عنك بين الناس ، ولتعلم أن فى الدنيا أجود منك فلا تعجبك نفسك ، ولتتقرب بعد هذا كل شيء تفعله ولا تتوقف عن مكرمة ، ثم رمى بالعقد فى حجرى وخلقى خطام البعير وانصرف ، فقلت :

يا هذا ، قد رائته فضحتني ولسفك دمي أهون على مما فعلت ، فخذ ما دفعته اليك فاني غنى عنه ، فضحك وقال : أردت أن تكذبنى فى مقامى هذا ، والله لا آخذه ولا آخذ بمعروف ثمنا أبدا ومضى ، فوالله لقد طلبته بعد أن أمنت وبذلت لمن جاءنى به ما شاء ، فما عرفت له خبرا وكأن الأرض ابتلعتة . وكان سبب رضا المنصور عن معن أنه لم يزل مستترا حتى كان يوم الهاشمية (١) ، فلما وثب القوم على المنصور وكادوا

(١) مدينة بنما السفاح بالكوفة وذلك أنه لما ولى الخلافة نزل بفصر ابن هبيرة واستتم بناءه وجعله مدينة وسماها الهاشمية ، فكان الناصر ينسبونها الى ابن هبيرة على العادة ، فقال : ما أرى ذكر ابن هبيرة يسقط عنها فرضها وبني حياها مدينة سماها الهاشمية ونزلها .

يقتلونه ، وثب معن وهو متلثم فانتضى سيفه وقاتل فأبلى بلاء حسنا وذب القوم عنه حتى نجا وهم يحاربونه بعد ، ثم جاء والمنصور راكب على بغلة ولجامها بيد الربيع فقال له : تنح فاني أحق باللجام منك في هذا الوقت وأعظم فيه غناء ، فقال له المنصور : صدق فادفعه اليه ، فأخذه ولم يزل يقاتل حتى انكشفت تلك الحال ، فقال له المنصور : من أنت ؟ لله أبوك ! قال : أنا طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة ، قال : قد أمنك الله على نفسك ومالك ومثلك يصطنع ، ثم أخذه معه وخلع عليه وحباه وزينه ، ثم دعا به يوما فقال له : اني قد أملتك لأمر فكيف تكون فيه ؟ قال : كما يحب أمير المؤمنين ، قال : قد وليتك اليمن فابسط السيف فيهم حتى ينتقض حلف ربيعة واليمن ، وابلغ من ذلك ما يحب أمير المؤمنين ، فولاه اليمن وتوجه اليها فبسط السيف فيهم حتى أسرف . قال مروان : وقدم معن بعقب ذلك فدخل على المنصور ، فقال له بعد كلام طويل : قد بلغ أمير المؤمنين عنك شيء لولا مكانك عنده ورأيه فيك لغضب عليك ، قال : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : اعطاؤك مروان بن أبي حفصة ألف دينار لقوله فيك :

معن بن زائدة الذي زيدت به * شرفا على شرف بنو شيبان
ان عد أيام الفصال فانما * يوماه يوم ندى ويوم طمان

فقال : والله يا أمير المؤمنين ما بلغك لهذا الشعر ، وانما أعطيته لقوله :

ما زلت يوم الهاشمية معلنا * بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته وكنت وقاء * من وقع كل مهند وسنان

فاستحيا المنصور وقال : انما أعطيته ما أعطيته لهذا القول ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، والله لولا مخافة الشنعة لأمكنته من مفاتيح بيوت الأموال وأباحتها اياها ، فقال له المنصور : لله درك من أعرابي ! ما أهون عليك ما يعز على الرجال وأهل الحزم !

وأختم هذه الترجمة بموت مروان يقصه قاتله . روى صاحب الأغاني عن رجل يقال له صالح بن عطية الأضجم أنه قال :

لما قال مروان :

أنى يكون وليس ذاك بكائن * لبنى البنات وراثاة الأعمام

لزمته وعاهدت الله أن أغتاله فأقتله أي وقت أمكنني ، وما زلت ألافه وأبره ، وأكتب أشعاره حتى خصصت به فأنس بي جدا ، وعرفت ذلك بنو حفصة جميعا

فأنسوا بي ، ولم أزل أطلب غرة حتى مرض من حمى أصابته ، فلم أرل اظهر له الجزع عليه وألأزمه وألأطفه حتى خلا لي البيت يوما ، فوثبت عليه فأخذت بحلقه فما قارفته حتى مات ، فخرجت وتركته فخرج اليه أهله بعد ساعة فوجدوه ميتا وارتفعت الصيحة ، فحضرت وتباكيت وأظهرت الجزع عليه حتى دفن وما فطن لما فعلت أحد ولا اتهمني به .

٤ - أبو دلامة (١)

كان أول ما حفظ من شعره ومنحت الجوائز السنية له به ، قصيدة مدح بها أبا جعفر المنصور وذكر قتله أبا مسلم يقول فيها :

أبا مسلم (٢) خوفتني القتل فانتحي * عليك بما خوفتني الأسد الورد
أبا مسلم ما غير الله نعمة * على عبده حتى يغيرها العبد

أنشدتها المنصور في محفل من الناس فقال له : احتكم ، فطلب عشرة آلاف درهم ، فأمر له بها ، فلما خلا قال له : ايه ، أما والله لو تعديتها لقتلتك .

أمر أبو جعفر أصحابه بلبس السواد وقلانس طوال تدعم بعيدان من داخلها ، وأن يعلقوا السيوف في المناطق ويكتبوا على ظهورهم : (فسيكفيكم الله وهو السميع العليم) فقال أبو دلامة :

وكننا نرجي من امام زيادة * فجداد (٣) بطول زاده في القلانس
تراها على هام الرجال كانها * دنان يهود جللت بالبرانس

(١) هو زند بن الجون ، وسمى أبا دلامة نسبة الى ابنه دلامة ، وهو كوفي المنشأ أسود اللون مولى لبني أسد ، وكان أبوه عبدا لرجل منهم فاعتقه . أدرك أبو دلامة أواخر الدولة الأموية ، ولكنه نبغ في الدولة العباسية ، وانقطع الى أبي العباس السفاح والمنصور والمهدي ، وكانوا يقدمونه ويصلونه ويستطيبيون محاسنه ونوادره ، وفيه دعاية وظرف ، لا يخلو حديثه من نكتة أو ملحة ، وكان مع ذلك محدودا في جملة المتهمين بالزندقة وفساد الدين ، وكان يشرب الخمر ولا يحضر صلاة ولا فريضة . توفي سنة ١٦١ هـ . وأخباره في الأغاني (ج ٩ ص ١٢٠) وابن خلكان طبع بولاق (ج ١ ص ٢٦٧) والشعر والشعراء (ص ٤٨٧) والدميري (ج ١ ص ١٣٢) والمستطرف (ج ٢ ص ٤٣) .

(٢) في الشعر والشعراء : « أبا مجرم » .

(٣) في الطبري ج ٢ ص ٢٧١ طبع أوربا « فزاد الامام المصطفى » .

ودخل الى المنصور مرة فأنشده :

ان الخليط أجد البين فانتجعوا * وزودوك خبالا ، بشما صنعوا
والله يعلم أن كادت لبيئهم * يوم الفراق حصاة القلب تنصدع
عجبت من صبيتي يوما وأمهم * أم الدلامة لما هاجها الجزع
لا بارك الله فيها من منبهة * هبت تلوم عيالي بعد ما هجعوا
ونحن مشتبهو الألوان أوجهنا * سود قباج وفي أسمائنا شنع
إذا تشكت الى الجوع قلت لها * ما هاج جوعك الا الرى والشبع
لا وانذى يا أمير المؤمنين قضي * لك الخلافة فى أسبابها الرفع
ما زلت أخلصها كسبى فتأكله * دونى ودون عيالى ثم تضطجع
شوها مشناة فى بطنها بجر (١) * وفى المفاصل من أوصالها قدع
ذكرتها بكتاب الله حرمتنا * ولم تكن بكتاب الله تنتفع
فاخرنطمت (٢) ثم قالت وهى مغضبة * أنت تلو كتاب الله يا لكع
اخرج لتبع لنا مالا ومزرعة * كما لجيراننا مال ومزدوع
واخدع خليفتنا عنا بمسألة * ان الخليفة للسؤال ينخدع

فضحك أبو جعفر وكتب له بضيعة .

كان واقفا بين يدى السفاح فقال له : سلنى حاجتك ، قال : كلب أتصيد به ،
قال : أعطوه اياه ، قال : ودابة أتصيد عليها ، قال : أعطوه دابة ، قال : وغلाम يصيد
بالكلب ويقوده ، قال : أعطوه غلاما ، قال : وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه ،
قال : أعطوه جارية ، قال : هؤلاء يا أمير المؤمنين عبيدك ، فلا بد لهم من دار
يسكنونها ، قال : أعطوهم دارا تجمعهم ، قال : فان لم تكن لهم ضيعة فمن أين
يعيشون ؟ قال : قد أعطيتك مائة جريب عامرة ، ومائة جريب غامرة ، قال :
وما الغامرة ؟ قال : ما لا نبات فيه ، فقال : قد أقطعتك يا أمير المؤمنين خمس مائة
آلف جريب غامرة من فيافى بنى أسد ، فضحك وقال : اجعلوها عامرة ، قال :
فأذن لى أن أقبل يدك ، قال : أما هذه فدعها ، قال : والله ما منعت عيالى شيئا أقل
ضررا عليهم منها ، قال الجاحظ : فانظر الى حذقه ولطفه فيها ، ابتداء بكلب فسهل
القصة به وجعل يأتى بما يليه على ترتيب وفكاهة حتى نال ما لو سأل بهديه
لما وصل اليه .

(١) البجر : خروج السرة ونتوؤها وغلظ أصلها . والفدع : اعوجاج فى الرسغ من اليه أو الرجل

حتى ينقلب الكف والقدم الى انسيها .

(٢) أى غضبت .

قال على بن سلام : كنت أسقى أبا دلامة والسندی اذ خرجت بنت لأبي دلامة ،
فقال فيها أبو دلامة :

فما ولدتك مريم أم عيسى * ولا ربك لقمان الحكيم

أجز يا أبا عطاء ، فقال :

ولكن قد تضمك أم سوء * إلى لباتها وأب لئيم

فضحك لذلك ، ثم غدا أبو دلامة إلى المنصور فألقاه في الرحبة يصلح فيها شيئا
يريده ، فأخبره بقصة ابنته وأنشده البيتين ، ثم اندفع فأنشده بعدهما :

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم لقيلا اقعدوا يا آل عباس
ثم ارتقوا في شعاع الشمس كلهم * إلى السماء فأنتم أظهر الناس
وقدموا القائم المنصور رأسكم * فالعين والأنف والأذنان في الراس

فاستحسنها وقال : بأي شيء تحب أن أعينك على قبج ابنتك هذه ؟ فأخرج خريطة
كان قد خاطها من الليل ، فقال : تملأ لي هذه دراهم ، فملئت فوسعت أربعة آلاف
درهم .

لما توفي أبو العباس السفاح دخل أبو دلامة على المنصور والناس عنده يعزونه ،
فأنشأ أبو دلامة يقول :

أمسيت بالأنبار يا ابن محمد * لم تستطع عن عقرها تحويلا
ويلي عليك وويل أهلي كلهم * ويلا وعولا في الحياة طويلا
فلتبكين لك النساء بعبرة * وليبكين لك الرجال عويلا
مات الندي اذ مت يا ابن محمد * فجعلته لك في التراب عديلا
اني سألت الناس بعدك كلهم * فوجدت أسجح من سألت بخيلا
الشقوتي أخرت بعدك للتي * تدع العزيز من الرجال ذليلا
فلأحلفن يمين حق ببرة * بالله ما أعطيت بعدك سويلا

فأبكى الناس قوله ، فغضب المنصور غضبا شديدا وقال : لئن سمعتك تنشد
هذه القصيدة لأقطعن لسانك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ان أبا العباس أمير المؤمنين
كان لي مكرما ، وهو الذي جاء بي من البدو كما جاء الله باخوة يوسف إليه فقل كما

قال يوسف لاختوته : (لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين)
فسرى عن المنصور وقال : قد أقلناك يا أبا دلامة ، فسل حاجتك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد كان أبو العباس أمر لي بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوبا وهو مريض ، ولم أقبضها . فقال المنصور : ومن يعرف هذا ؟ فقال : هؤلاء ، وأشار الى جماعة ممن حضر ، فوثب سليمان بن خالد وأبو الجهم فقالا : صدق أبو دلامة نحن نعلم ذلك ، فقال المنصور لأبى أيوب الخازن وهو مغيط : يا سليمان ، ادفعها اليه وسيره الى هذا الطاغية « يعنى عبد الله بن علي » وقد كان خرج بناحية الشام وأظهر الخلاف ، فوثب أبو دلامة فقال : يا أمير المؤمنين انى أعينك بالله أن أخرج معهم ، فوالله انى لمشتوم ، فقال المنصور : امض ، فان يعنى يغلب شؤمك فأخرج ، فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أحب لك أن تجرب ذلك منى على مثل هذا العسكر ، فانى لا أدري أيهما يغلب ، أيمنك أم شؤمى ، الا أنى بنفسى أوثق وأعرف وأطول تجربة ، قال : دعنى من هذا فمالك من الخروج بد ، فقال : انى أصدقك الآن ، شهدت والله تسعة عشر عسكريا كلها هزمت وكنت سببها ، فان شئت الآن على بصيرة أن يكون عسكري العشرين فافعل ، فاستغرب أبو جعفر ضحكا وأمره أن يتخلف مع عيسى بن موسى بالكوفة .

قال أبو دلامة : أتى بى المنصور أو المهدي وأنا سكران ، فحلف ليخرجنى فى بعث حرب ، فأخرجنى مع روح بن حاتم المهلبى لقتال الشراة ، فلما التقى الجمعان قلت لروح : أما والله لو أن تحتى فرسك ومعى سلاحك لأثرت فى عدوك اليوم أثرا ترتضيه ، فضحك وقال : والله العظيم لأدفعن ذلك اليك ولأخذنك بالوفاء بشرطك ، ونزل عن فرسه ونزع سلاحه ودفعهما الى ودعا بغيرهما فاستبدل بهما ، فلما حصل ذلك فى يدي وزالت عنى حلاوة الطمع قلت له : أيها الأمير هذا مقام العائد بك ، وقد قلت أبياتا فاسمعها ، قال : هات ، فأنشدته :

انى استجرتك أن أقدم فى الوغى * لتطاعن وتنازل وحراب (١)
فهب السيوف رأيتها مشهورة * فتركتها ومضيت فى الهرب
ماذا تقول لما يجىء وما يرى * من واردات الموت فى النشاب

فقال : دع عنك هذا وستعلم ، وبرز رجل من الخوارج يدعو للمبارزة : فقال : اخرج اليه يا أبا دلامة ، فقلت : أنشدك الله أيها الأمير فى دمي ، قال : والله لتخرجن ، فقلت : أيها الأمير فانه أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا وأنا والله

(١) الحراب بمعنى المحاربة فى الاغانى « حراب » .

جائع ما شبع منى جارحة من الجوع ، فمر لى بشيء آكله ثم أخرج ، فأمر لى برغيفين ودجاجة ، فأخذت ذلك وبرزت عن الصف ، فلما رآنى الشارى أقبل نحوى وعليه فرو قد أصابه المطر فابتل وأصابته الشمس فانفعل (١) وعيناه تقدان ، فأسرع الى ، فقلت له : على رسلك يا هذا ، كما أنت ، فوقف ، فقلت : أتقتل من لا يقاتلك ؟ قال : لا ، قلت : أتقتل رجلا على دينك ؟ قال : لا ، قلت : أفستحل ذلك قبل ان تدعو من تقاتله الى دينك ؟ قال ، فاذهب عنى الى لعنة الله ، قلت : لا أفعل أو تسمع منى ، قال : قل ، قلت : هل كانت بيننا قط عداوة أو ثرة أو تعرفنى بحال تحفظك على أو تعلم بينى وبين أهلك وترا ، قال : لا والله ، قلت : ولا أنا والله أضمر لك الا جميل الرأى ، وانى لأهواك وأنتحل مذهبك ، وأدين دينك ، وأريد السوء لمن أرادك لك ، قال : يا هذا جزاك الله خيرا فأصرف ، قلت : ان معى زادا أحب ان آكله معك وأحب مواكلتك لتتأكد المودة بيننا ويرى أهل العسكر هوانهم علينا . قال ، فافعل ، فتقدمت اليه حتى اختلفت أعناق دوابنا ، وجمعنا أرجلنا على معارفها والناس قد غلبوا ضحكا ، فلما استوفينا ودعنى ، ثم قلت له ، ان هذا الجاهل ان أقمت على طلب المبارزة ندهبنى اليك فتتعبنى وتتعب نفسك ، فان رأيت ألا تبرز اليوم فافعل ، قال : قد فعلت ، ثم انصرف وانصرفت فقلت لروح : أما أنا فقد كفيتك قرنى ، فقل لغيرى أن يكفيك قرنه كما كفيتك ، فأمسك ، وخرج آخر يدعو الى البراز (المبارزة) ، فقال لى : اخرج اليه ، فقلت :

انى أعوذ بروح أن يقسمنى * الى البراز فتخزى بى بنو أسد
ان البراز الى الأقران أعلمه * مما يفرق بين الروح والجسد
قد حالفك المنايا ان صمدت لها * وأصبحت لجميع الخلق بالرصد
ان المهلب حب الموت أورثكم * وما ورثت اختيار الموت عن احد
لو أن لى مهجة أخرى لجدت بها * لكنها خلقت فردا فلم أجسد

• فضحك وأعفانى •

قال أبو أيوب المورى لى لأبى جعفر وكان يشنأ أبا دلامة : ان أبا دلامة معتكف على الخمر ، فما يحضر صلاة ولا مسجدا وقد أفسد فتیان العسكر ، فلو أمرته بالصلاة معك لأجرت فيه وفى غيره من فتیان عسكرك بقطعه عنهم ، فلما دخل عليه أبو دلامة قال له : ما هذا المجون الذى يبلغنى عنك ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ما أنا والمجون وقد شارفت باب قبرى ! ، قال : دعنى من استكانتك وتضرعك ، وإياك أن تفوتك الظهر

(١) هكذا بالأصل ولعلها : لتفعل ، من قولهم لقفعلت يده : تقضت •

والعصر فى مسجدى ، فلئن فاتتاك لأحسنن أدبك ولأطيلن حبسك ، فوقع فى شـ
ولزم المسجد أياما ، ثم كتب قصة ودفعها الى المهدي فأوصلها الى أبيه وكان فيها :

ألم تعلمنا أن الخليفة لزنّى (١) * بمسجده والقصر ، مالى وللقصر
أصلى به الأولى جميعا وعصرها * فويل من الأولى وويل من العصر
أصليهما بالكره فى غير مسجدى * فمالى فى الأولى ولا العصر من أجر
لقد كان فى قومي مساجد جمّة * ولم ينشرح يوما لغشيانها صدرى
يكلّفنى من بعد ما شبت خطّة * يحطّ بها عنى الثقيل من الوزر
وما ضره والله يغفر ذنبه * لو ان ذنوب العالمين على ظهري

فقال : صدق ، ما يضرني ذلك ، والله لا يصلى هذا أبدا ، فدعوه يعمل ما يشاء .
وقال الهيثم فى خبره : قد أعفيناك من هذا الحال ، ولكن على ألا تدع القيام
معنا فى ليالى شهر رمضان فقد أظلم ، فقال : أفعل ، قال : فانك ان تأخرت لشرب
الخمير علمت ذلك والله لئن فعلت لأحدنك ، فقال أبو دلالة : البلية فى شهر أخف
منها فى طول الدهر ، سمعا وطاعة ، فلما حضر شهر رمضان لزم المسجد ، وكان المهدي
يبعث اليه فى كل ليلة حارسا يجيء به ، فشقى ذلك عليه وقزع الى الخيزران والى
أبى عبيد الله وكل من يلوذ بالمهدي ليشفعوا له فى الاعفاء من القيام ، فلم يجبههم ،
فقال له أبو عبيد الله : الدال على الخير كفاعله ، فكيف شكرك ؟ قال : أتم شكر ،
قال : عليك بربطة فانه لا يخالفها ، قال : صدقت ، ثم رفع اليها رقعة يقول فيها :

أبلغنا ربطة أنى * كنت عبدا لأبيها
فمضى يرحمه الله * له وأوصى بى اليها
وأراها نسييتنى * مثل نسيان أخيها
جاء شهر الصوم يمشى * مشية ما أشتيها
قائدا لى ليلة القد * ركأنى أبتغيها
تنطح القبلة شهرا * جبهتى لا تأتليها
ولقد عشت زمانا * فى فيافى وجيها
فى ليال من شتاء * كنت شيخا أصطليها
قاعدا أوقد نارا * لضباب أشتويها

(١) لزم بالشئ : ألزمه إياه .

وصبوح وغبوق * في عسلاب احتسيها
ما أبالي ليلة القدر * ر ولا تســــــــــــــــمعنيها
فاطلبني لي فرجا منـــــــــــــــــها * لها وأجرى لك فيها

فلما قرأت الرقعة ضحكت وأرسلت اليه : اصطبر حتى تمضي ليلة القدر ،
فكتب اليها : اني لم أسألك أن تكلميه في اعفائي عما قابلا ، واذا مضت ليلة القدر
فقد فني الشهر ، وكتب تحتها أبياتا :

خافى الهك في نفس قد احتضرت * قامت قيامتها بين المصلينا
ما ليلة القدر من همى فاطبها * انى أخاف المنايا قبل عشرينا
يا ليلة القدر قد كسرت أرجلنا * يا ليلة القدر حقا ما تميننا
لا بارك الله في خير أومله * في ليلة بعد ما قمنا ثلاثينا

فلما قرأت الرقعة ضحكت ودخلت الى المهدي فشفعت له اليه وأنشدته الأبيات ،
فضحك حتى استلقى ودعا به وريطة معه في الحجلة ، فدخل ، فأخرج رأسه اليه
وقال : قد شفعا ريطه فيك وأمرنا لك بسبعة آلاف درهم ، فقال : أما شفاعه سيدتي
في حتى أعفيتني فأعفاها الله من النار ، وأما سبعة الآلاف فما أعجبني ما فعلته اما أن
تتمها بثلاثة آلاف فتصير عشرة أو تنقصني منها ألفين فتصير خمسة آلاف ، فاني
لا أحسن حساب السبعة ، فقال : قد جعلتها خمسة ، فقال : أعيدك بالله أن تختار
أدنى الحالين وأنت أنت ، فعبث به المهدي ساعة ، ثم تكلمت فيه ريطه ، فأتمها له
عشرة آلاف درهم .

شرب أبو دلامة في بعض الحانات فسكر وانصرف وهو يميل ، فلقيه العسس ،
فأخذوه وقالوا له : من أنت ، وما دينك ؟ فقال :

ديني على دين بني العباس * ما ختم الطين على القرطاس
اني اصططبت أربعا بالكاس * فقد أدار شربها براسي

* فهل بما قلت لكم من باس *

فأخذوه ومضوا وخرقوا ثيابه وساجه (١) ، وأتى به أبو جعفر ، وكان يؤتى

(١) الساج : الطيلسان الأخضر ، وقيل. الأسود .

بكل من أخذه العسس ، فحبسه مع الدجاج فى بيت ، فلما أفاق جعل ينادى غلامه مرة وجاريته مرة ، فلم يجبه أحد ، وبينما هو فى ذلك اذ سمع صوت الدجاج وزقاء الديوك ، فلما أكثر قال له السجنان : ما شأنك ؟ قال : ويلك من أنت ؟ وأين أنا ؟ قال : فى الحبس وأنا فلان السجنان ، قال : من حبسنى ؟ قال : أمير المؤمنين ، قال : ومن خرق طيلستانى ؟ قال : الحرس ، فطلب منه أن يأتية بدواة وقرطاس ، ففعل ، فكتب الى أبى جعفر :

أمير المؤمنين فدتك نفس * عسلم حبستنى وخرقت ساجى
أمن صفراء صافية المزاج * كان شعاعها لهب السراج
وقد طبخت بنار الله حتى * لقد صارت من النطف النضاج
تهش لها القلوب وتشتهيها * اذا برزت ترقرق فى الزجاج
أقاد الى السجنون بغير جرم * كأنى بعض عمال الخراج
ولو معهم حبست لكان سهلا * ولكنى حبست مع الدجاج

فدعا به وقال : أين حبست يا أبا دلامة ؟ قال : مع الدجاج ، قال : فما كنت تصنع ؟ قال : أقوق معهن حتى أصبحت ، فضحك وخلي سبيله وأمر له بجائزة ، فلما خرج قال له الربيع : انه شرب الخمر يا أمير المؤمنين ، أما سمعت قوله : وقد طبخت بنار الله ، يعنى الشمس ؟ فأمر برده ، ثم قال : يا خبيث ، شربت الخمر ؟ قال : لا . قال : أفلم تقل : طبخت بنار الله تعنى الشمس ؟ قال : لا والله ما عنيت الا نار الله الموقدة التى تطلع على فؤاد الربيع ، فضحك وقال : خذها يا ربيع ولا تعاود .

صام الناس فى سنة شديدة الحر على عهد المهدي ، وكان أبو دلامة يتنجز (يتعجل) جائزة أمر له المهدي بها ، فكتب اليه أبو دلامة رقعة يشكو فيها أذى الحر والصوم ، وهى :

أدعوك بالرحم التى قد جمعت * فى القرب بين قريننا والأبعد
الا سمعت وأنت أكرم من مشى * من منشد يرجو جزاء المنشد
جاء الصيام فصمته متعبدا * أرجو رجاء الصائم المتعبد
ولقيت من أمر الصيام وحره * أمرين قيسا بالعذاب المؤصد
وسجدت حتى جبهتى مشجوجة * مما ينطحنى الحصا فى المسجد
فأمنن بتسريحى بمظلك بالذى * أسلفتني من البلاء المرصد

فلما قرأ المهدي رقعته وقال : أى قرابة بينى وبينك ؟ قال : رحم آدم وحواء ، أنسيتهما يا أمير المؤمنين ! فضحك وقال : لا والله ما نسيتهما ، وأمر بتعجيل ما أجازه به وزاد فيه ، وأنشده أيضا فى ذم الصوم :

هل فى البسلاد لرزق الله مفترش * أم لا ففى جلده من خشنة برش (١)
أضحى الصيام منيخا وسط عرصتنا * ليت الصيام بأرض دونها جرش
ان صصمت أوجعنى بطنى وأقلقنى * بين الجوانح مس الجوع والعطش
وان خرجت بلينل نحو مسجدهم * أضرنى بصر قد خانه العمش
دخل أبو دلالة على سعيد بن دعلج مولى بنى تميم فقال :

إذا جئت الأمير فقل سلام * عليك ورحمة الله الرحيم
وأما بعد ذاك فلى غريم * من الأعراب قبج من غريم
غريم لأزم بفناء بيتى * لزوم الكلب أصحاب الرقيم
له مائة على ونصف أخرى * ونصف النصف فى صك قديم
دراهم ما انتفعت بها ولكن * وصلت بها شيوخ بنى تميم
أتونى بالعشيرة يسألونى * ولم أك فى العشيرة باللثيم

فأمر له بمائتين وخمسة وسبعين درهما وقال : ما أساء من أنصف ، وقد رفاتك
عن قومك وزدتك مائة .

دخل أبو دلالة على المهدي فأنشده قصيدته فى بغلته المشهورة :

أتانى ، بغلة يستام منى ، * عريق فى الخسارة والضلال
فقال تبيعها قلت ارتبطها * بحكمك ان يبعى غير غمال
فأقبل ضكا نحوى سرورا * وقال أراك سمحا ذا جمال
هلم الى يخلو بى خداعا * وما يدرى الشقى لمن يخال
فقلت بأربعين ، فقال أحسن * الى فان مثلك ذو سجال
فأترك خمسة منها لعلمى * بما فيه يصير من الخبال

فقال المهدي : لقد أفلت من بلاء عظيم ، قال : والله يا أمير المؤمنين لقد مكثت
شهرًا أتوقع صاحبها أن يردّها ، ثم أنشده :

فأبدلنى بها يارب طرفا * يكون جمال مركبه جمالى

فقال لصاحب دوابه : خيره من الاصطبل بين مركبين ، قال : يا أمير المؤمنين ان
كان الاختيار لى وقعت فى شر من البغلة ، ولكن مره أن يختار لى ، فاختر له .

(١) البرش : نقط بيض فى الجلد .

خاصم رجل أبا دلامة في داره فارتفعا الى عافية القاضي ، فأنشأ أبو دلامة يقول :

لقد خاصمتني دهاة الرجال * وخاصمتها سنة وافيته
فما أدحض الله لي حجة * ولا خيب الله لي قافيه
ومن خفت من جوره في القضاء * فلست أخافك يا عافيه

فقال له عافية : والله لأشكونك الى أمير المؤمنين ، ولأعلمنه أنك هجوتني ، قال :
اذن يعزلك ، قال : وله ؟ قال : لأنك لا تعرف المديح من الهجاء ، فبلغ ذلك المنصور
فضحك وأمر لأبي دلامة بجائزة .

دخل أبو دلامة على المهدي وعنده اسماعيل بن محمد وعيسى بن موسى والعباس
ابن محمد ومحمد بن محمد بن إبراهيم الامام وجماعة من بني هاشم فقال له : أنا
أعطى الله عهدا لئن لم تهج واحدا ممن في البيت لأقطعن لسانك ، فنظر اليه القوم ،
فكلما نظر الى واحد منهم غمزه بأن عليه رضاه ، قال أبو دلامة : فعلمت أني قد وقعت
وأنها عزمة من عزماته لا بد منها ، فلم أر أحدا أحق بالهجاء مني ، ولا أدعى الى السلامة
من هجاء نفسي ، فقلت :

ألا أبلغ لديك أبا دلامه * فليس من الكرام ولا كرامه
إذا لبس العمامة كان قردا * وخنزيرا إذا نزع العمامة
جمعت دمامة وجمعت لؤمها * كذاك اللؤم تتبعه الدمامه
فان تك قد أصبت نعيم دنيها * فلا تفرح فقد دنت القيامه

فضحك القوم ولم يبق منهم أحد الا أجاره .

خرج المهدي وعلي بن سليمان الى الصيد ، فسنح لهما قطيع من الظباء ، فأرسلت
الكلاب وأجريت الخيل ، فرمى المهدي ظبيا بسهم فصرعه ، ورمى علي بن سليمان ،
فأصاب بعض الكلاب فقتله ، فقال أبو دلامة :

قد رمى المهدي ظبيا * شك بالسهم فؤاده
وعلي بن سليمان * ن رمى كلبا فصاده
فهنيئنا لهمنا كل امرئ * ياكل زاده

فضحك المهدي حتى كاد يسقط عن سرجه وقال : صدق والله أبو دلامة ، وأمر
له بجائزة سنية ، فلقب علي بن سليمان صائد الكلب ، وعلق به .

أنشد أبو دلامة المنصور يوما :

- | | |
|------------------------------|----------------------------------|
| هاتيك والدتى عجوز همة (١) | * مثل البلية درعها في المشجب (٢) |
| مهزولة اللحيين من يرها يقل | * أبصرت غولا أو خيال القطرب (٣) |
| ما ان تركت لها ولا لابن لها | * مالا يؤمل غير بكر أجرب |
| ودجائبها خمسا يرحن اليهم | * يا يبضن وغير عنز مغرب (٤) |
| كتبوا الى صحيفة مطبوعة | * جعلوا عليها طينة كالتقرب |
| فعلمت أن الشر عند فكاكها | * ففككتها عن مثل ربح الجورب |
| واذا شبيهه بالأفاعى رقصت | * يوعدننى بتامظ وتثوب |
| يشكون أن الجوع أهلك بعضهم | * لزبا فهل لك فى عيال نرب |
| لا يسألونك غير طل سحابة | * تغشاهم من سليلك المتحلب |
| يا باذل الخيرات يا بن بذولها | * وابن الكرام وكل قزم منجب |
| انتم بنو العباس يعم أنكم | * قدما فوارس كل يوم أشهب |
| احلاس (٥) خيل الله وهى مغيرة | * يخرجن من خلل الغبار الأكهب |

فأمر له بدار يسكنها وكسوة ودراهم ، وكانت الدار قريبة من قصره ، فأمر أن تزداد فى قصره بعد ذلك لحاجة دعتة اليها ، فدخل عليه أبو دلامة فأنشده قوله :

- | | |
|--------------------------------|-----------------------------|
| يا بن عم النبی دعوة شيخ | * قد دنا هدم داره ودماره |
| فهو كالمأخض التى اعتادها الطلـ | * فققرت وما يقر قراره |
| ان تحز عسرة بكفيك يوما | * فبكفيك عسره ويسـاره |
| أو تدعه فلبوار وانى | * ولماذا وانت حى بـواره |
| هل يخاف الهلاك شاعر قوم | * قلمت فى مديتهم أشـاره |
| لكم الأرض كلها فأغبروا | * شيخكم ما احتوى عليه جداره |
| فكأن قد مضى وخلف فيكم | * ما أعرتهم وأقشرت منه داره |

(١) همة : همة .

(٢) المشجب : خشبات موثقة منصوبة توضع عليها الثياب وتنتشر .

(٣) القطرب : ذكر الغيلان .

(٤) المغرب : الأبيض من كل شيء .

(٥) يقال : قلان من أحلاس الخيل ، أى من راضتها وساستها والملازمين ظهورها .

فاسنعب المنصور وأمر بتعويضه دارا خيرا منها ووصله .

دخل على المهدي يوما وعنده محرز ومقاتل ابنا ذوال يعاتبانه على تقريبه أبا دلامة ويعيبانه عنده فقال :

ألا أيها المهدي هل أنت مخبري * وان أنت لم تفعل فهل أنت سائل
ألم ترحم اللحين من لحيتهما * وكلتاهما في طولها غير طائل
وان أنت لم تفعل فهل أنت مكرمي * بحلقهما من محرز ومقاتل
فان يأذن المهدي لي فيهما اقل * مقالا كوقع السيف بين المقاتل
والا تدعني والهموم تنسوبي * وقلبي من العلجين جم البلائل

فقال : أو آخذ لك منهما عشرة آلاف درهم يفديان بهما أعراضهما منك ، قال :
ذلك الى أمير المؤمنين ، فأخذها له منهما وأمسك عنهما .

دخل على أم عبيدة حاضنة موسى وهارون ، فدفع اليها رقعة قد كتبها الى
الخيزران فيها :

أبلغني سيديتي بالـ * هـ يا أم عبيدة
أنها أرشدها إلـ * هـ وان كانت رشيدة
وعدتني قبل أن تخـ * رج للحج وليده
فتأيت وارسلـ * ت بعشرين قصيدة
كلما أخلقن أخلفـ * ت لها أخرى جديدة
ليس في بيتي لتهيـ * د فراشي من قعيد
غير عجباء عجوز * ساقها مثل القديده
وجهها أقبح من حو * ت طرى في عصيدة
ما حياة مع أنثى * مثل عرسي بسعيد

فلما قرئت عليها الأبيات ضحكت واستعادتها منه لقوله : « حوت طرى في
عصيدة » وجعلت تضحك ووهبت له جارية .

دخل يوما على المهدي فحدثه ساعة وهو يضحك وقال له : هل بقي أحد من
اهلي لم يصلك ؟ قال : ان أمنتني أخبرتك وان أعفيتني فهو أحب الي ، قال : بل
تخبرني وانت آمن ، قال : كلهم قد وصلني الا حاتم بنى العباس ، قال : ومن هو ؟

قال : عمك العباس بن محمد ، فالتفت الى خادم على رأسه وقال : جأ عنقه ، فلما دنا منه صاح به أبو دلامة : تنح يا عبد السوء لا تحنث مولاك وتنكثه عهده وأمانه ، فضحك المهدي وأمر الخادم فتنحى عنه ، ثم قال لأبي دلامة : ويلك ! والله عمي أبخل الناس ، فقال أبو دلامة : بل هو أسخى الناس ، فقال له المهدي : والله لو مت ما أعطاك شيئا ، قال : فان أنا أتيتك فأجازني ؟ قال : لك بكل درهم تأخذه منه ثلاثة دراهم ، فانصرف أبو دلامة فحبر للعباس قصيدة ، ثم غدا بها عليه وأنشده :

قف بالديار وای الدهر لم تقف	* على المنازل بين الظهر والنصف
وما وقوفك في أطال منزلة	* لولا الذي استدرجت من قلبك الكلف
ان كنت أصبحت مشغوبا بساكنها	* فلا وربك لا تشفيك من شغف
دع ذا وقل في الذي قد فاز من مضر	* بالمكرمات وعز غير مقترف
هذي رسالة شيخ من بني أسد	* يهدي السلام الى العباس في الصحف
تخطها من جوارى مصر كاتبة	* قد طالما ضربت في اللام والألف
وطالما اختلفت صيفا وشتا	* الى معلمها باللوح والكتف (١)
حتى اذا نهى الشديان وامتلا	* منها وخيفت على الاسراف والقرف
صينت ثلاث سنين ما ترى احدا	* كما يصون تجار درة الصدف
فبينما الشيخ يهوى نحو مجلسه	* مبادرا لملاة الصبح بالسدف (٢)
حانت له لمحة منها فابصرها	* مظلة بين سجنيتها من الغرف
فخر والله ما يدرى غدا تئسد	* آخر منكشفا ام غير منكشف
وجاءه الناس أفواجا بمائهم	* ليغسلوا الرجل المغشى بالنطف
ووسوسوا بقران في مسامعه	* فخافه الجن والانسان لم يخف
شيئا ولكنسه من حب جارية	* أمسى وأصبح موقوفا على التلف
قالوا لك الويل ما أبصرت قلت لهم	* تطلعت من أعالي القصر ذي الشرف
فقلت أيكم والله يأجـره	* يعين قـوته فيها على ضعف
فقام شيخ بهي من رجالهم	* قد طالما خدع الأقوام بالحلف
فابتاعها لي بألفي درهم فأتى	* بها الى فالقاهها على كتفي

(١) الكتف : عظم عريض يكون في أصل كنف الحيوان كانوا يكتبون فيه لقلة القراطيس .

(٢) السدف : الضوء واقبال الصبح .

فبين ذاك كذا اذ جاء صاحبها * يعني الدراهم بالميزان ذى الكف
 وذكر حق على زناد وصاحبه * والحق فى طرف والطين فى طرف
 وبين ذاك شهود لا يضرهم * أكنت معترفا أم غير معترف
 فان يكن منك شيء فهو حقهم * أو لا فانى مدفوع الى التلف

فضحك العباس وقال : ويحك ! أصادق أنت ؟ قال : نعم والله ، قال : يا غلام
 ادفع اليه ألفى درهم ثمنها ، فأخذها ثم دخل على المهدي فأخبره القصة وما احتال له ،
 فأمر له المهدي بستة آلاف درهم ، وقال له المهدي : كيف لا يضرهم ذلك ؟ قال :
 لأنى معلوم لا شيء عندي .

دخل على اسحاق الأزرق يعوده ، وكان اسحاق قد مرض مرضا شديدا ثم
 تعافى منه وأفاق ، فكان من ذلك ضعيفا وعند اسحاق طبيب يصف له أدوية تقوى
 بدنه ، فقال أبو دلامة للطبيب : أتصف هذه الأدوية لرجل أضعفه المرض ؟ ما أردت
 والله الا قتله ، ثم التفت الى اسحاق فقال : اسمع أيها الأمير منى ، قال : هات ما عندك
 يا أبا دلامة ، فأنشأ يقول :

نح عنك الطبيب واسمع لنعنى * اننى ناصح من النصاح
 ذو تجارب قد تقلبت فى الصبح * سة دهرا وفى السقام المتاح
 غاد هذا الكباب كل صباح * من متسون الفتية السباح
 فاذا ما عطشت فاشرب ثلاثا * من عتيق فى الشيم كالتفاح
 ثم عند المساء فاعكف على ذا * وعلى ذا باعظم الأقداح
 فتقوى ذا الضعف منك وتلقى * عن ليل أصبح هذى الصراح

فضحك اسحق وعواده وأمر لأبى دلامة بخمسمائة درهم ، وكان الطبيب نصرانيا
 فقال : أعوذ بالله من شرك يا ركل « يريد يا رجل » وقال الطبيب : اقبل منى أصلحك
 الله ولا تسألنى عن شيء قدامه ، فقال أبو دلامة : أما وقد أخذت أجرة صفقتى وقضيت
 الحق فى نصيح صديقى فانعت له الآن أنت ما أحببت .

دخل على المهدي وبين يديه سلمة الوصيف واقفا ، فقال : انى أهديت اليك
 يا أمير المؤمنين مهرا ليس لأحد مثله ، فان رأيت أن تشرفنى بقبوله ، فأمر بادخاله
 اليه ، فخرج وأدخل اليه دابته التى كانت تحته ، فاذا برذون محطم أعجف هرم ،

فقال له المهدي : أى شيء هذا ؟ ألم تزعم أنه مهر ؟ قال له : أوليس هذا سلمة الوصيف بين يديك قائما ، تسميه الوصيف وله ثمانون سنة ، وهو عندك وصيف ؟ فإذا كان سلمة وصيفا فهذا مهر . فجعل سلمة يشتمه والمهدي يضحك ، ثم قال المهدي لسلمة : ويلك ! ان لهذه منه أخوات ، وإن أتى بها فى محفل فضحك ، فقال أبو دلامة : والله لأفضحنه يا أمير المؤمنين ، فليس من عوالمك أحد الا وقد وصلنى خيره ، فانى ما شربت له الماء قط ، قال : فقد حكمت عليه أن يشرب نفسه منك بألف درهم حتى يتخلص من يدك ، قال : قد فعلت على ألا يعاود ، فقال له : ما ترى ؟ قال : أفعل ، فلولا أنى ما أخذت منه شيئا قط. ما فعلت معه مثل هذه ، فمضى سلمة فحملها اليه .

٥ - أبان بن عبد الحميد اللاحقي (١)

ذكرنا في المجلد الأول أن أبان كان صديقا للبرامكة متصلا بهم أشد اتصال ، يستشيرونه ويعتمدون عليه في تدبير أمورهم ، جدها وهزلها ، صعبها وهينها • وكانوا قد اتخذوه أديبهم الرسمي ، وبالغوا في ذلك حتى جعلوا اليه امتحان الشعراء وتقدير ما يستحقون من الجوائز والصلوات • فغضب الشعراء لذلك ، وكان أشدهم غضبا أبو نواس الذي كان يكره البرامكة كرها شديدا ، وكانت بينه وبين أبان مهاجمة ذكرها صاحب الأغاني •

وكان أبان صديقا للمعذل بن غيلان ، وكانا مع صداقتهما يتعابشان بالهجاء ، فيهجوه المعذل بالكفر وينسبه إلى الشؤم • ويهجوه أبان وينسبه إلى الفساد الذي تهجى به عبد القيس وبالقصر ، وكان المعذل قصيرا • فسعى في الإصلاح بينهما أبو عيينة المهلبى ، فقال له أخوه عبد الله وهو أسن منه : يا أخى ان فى هذين شرا كثيرا ولا بد من أن يخرجاه ، فدعهما ليكون شرهما بينهما والا فرقاه على الناس •

ومن قوله يهجو أبا النضير :

إذا قامت بوايك	* وقد هتكن استارك
أيشين على قبر	* ك أم يلعن احجارك
وما تترك فى الدنيا	* اذا زرت غدا نارك
ترى فى سقر المشوى	* وابليس غدا جارك
بل تترك بايك	* ودنياك وأوتارك
وخمسا من بنات اللي	* ل قد ألبن اطمارك
تعالى الله ما أقب	* ح اذ وليت ادبارك

خرج أبان من البصرة طالبا للاتصال بالبرامكة ، وكان الفضل بن يحيى غائبا فقصده ، فأقام ببابه مدة مديدة لا يصل اليه ، فتوصل إلى من وصل له شعرا اليه ، وقال له :

(١) تجد ترجمته فى الجزء الأول من هذا الكتاب وقد ذكرناه هنا لمناسبة ذكر ما عثرنا عليه من منظومته لكتاب كلبلة ودمعة • وقد أضفنا هنا ما لم نذكره فى ترجمته هناك •

يا عزيزى الندى ويا جوهر الجوى * هر من آل هاشم بالبطاح
 ان ظنى ، وليس يخلف ظنى * بك فى حاجتى سبيل النجاح
 ان من دونها لمصمت باب * أنت من دون قفله مفتاحى
 تاقى النفس يا خليل السماح * نحو بحر الندى مجارى الرياح
 ثم فسكرت كيف لى واستخرت الله عند الامساء والاصباح
 وامتدحت الأمير أصلحه الله بشعر مشعر الأوضاح

فقال : هات مديحك ، فأعطاه شعرا فى هذا الوزن وقافيته ، ترى فيه أن
 الرجل معجب بنفسه ، مدلل بعلمه وأدبه ، تياه لا حد لتيهه وغروره :

أنا من بغية الأمير وكثر * من كنوز الأمير ذو أدباج
 كاتب حاسب خطيب أديب * ناصح زائد على النصباح
 شاعر مفلق أخف من الريد * شمة مما يكون عند الجناح
 وهى طويلة ذكرناها فى المجلد الأول .

وكان أبان شديد الحرص على المال يضحى فى سبيله بأشياء كثيرة ، منها
 العقيدة والرأى . وكان يحسد مروان بن أبى حفصة لمكانه من الرشيد ولظفره
 بالصلوات الضخمة والجوائز السنية ، فقد انتهى الأمر ببني العباس مع مروان بن
 أبى حفصة الى أن كانوا يمنحونه بالبيت ألف درهم ، فغاض ذلك أبان وأراد أن يصيب
 من أموال الرشيد ما كان يصيب مروان ، فعاتب أبان البرامكة على تركهم إيصاله
 للرشيد وإيصال مديحه اليه ، فقالوا له : ما تريد من ذلك ؟ فقال : أريد أن أحظى
 منه بمثل ما يحظى به مروان بن أبى حفصة ، فقالوا : ان لذلك مذهبا فى هجاء
 آل أبى طالب وذمهم ، به يحظى وعليه يعطى ، فاسلكه حتى تفعل . قال :
 لا أستحل ذلك ، قالوا : فما تصنع ، لا يجىء طلب الدنيا الا بما لا يحل !
 فقال أبان :

نشأت بحق الله من كان مسلما * أعم بما قد قلته العجم والعرب
 أعم رسول الله أقرب زلفة * لديه أم ابن العم فى رتبة النسب
 وأيهما أولى بینه ويعهده * ومن ذا له حق التراث بما وجب
 فان كان عباس أحق بقلكم * وكان على بعد ذاك على سبب
 فأبناء عباس هم يرثونه * كما العم لابن العم فى الارث قد حجب
 وهى طويلة .

فقال الفضل : ما يرد على أمير المؤمنين اليوم شيء أعجب من أبياتك . فركب
فأنشدها الرشيد ، فأمر لأبان بعشرين ألف درهم . ثم اتصل مدحه للرشيد بعد
ذلك وخص به .

وكان أبان هجاء قبيح اللسان ، وكان مع هذا شريفا قاسيا يؤثر الشر ويوجد
فيه لذة . وقد روى له أبو الفرج قصة تمثل نصيبه من القسوة وحب الشر ، كما أنها
تعطينا صورة من شعره ومن الحياة في عصره . قالوا : كان يقيم بالقرب من أبان
رجل ثقفى يقال له : محمد بن خالد ، وكان عدوا لأبان ، فتزوج محمد هذا ثقفية
معروفة هى عمارة (بتشديد مع فتح الميم) بنت عبد الوهاب ، وكانت عمارة موفورة
الثروة ، فاغتاز أبان لهذا الزواج ، وقال هذه القصيدة التى بلغت عمارة فأفسدت
زواجها :

لما رأيت البز والشاره *	والفرش قد ضاقت به الحاره
واللوز والسكر يرمى به *	من فوق ذى الدار وذى الداره
واحضروا الملهين لم يتركوا *	طبلا ولا صاحب زماره
قلت : لماذا قيل : أعجوبة *	محمدك زوج عماره
ماذا رأت فيه وماذا رجت *	وهى من النسوان مختاره
أسود كالسفود ينسى الت *	نور بل محراك قياره (١)
يجرى على أولاده خمسة *	أرغفة كالريش طياره
وأهله فى الأرض من خوفه *	ان أغرطوا فى الأكل سياره
ويحك فرى واعصى ذا به *	فهيئه اختك فراره
إذا غفا بالليل فاستيقظى *	ثم اطفرى (٢) انك طفاره
فصعدت نائلة سلما *	تخاف أن تصعبه الفاره
« سرور » غرتها فلا أفلحت *	فأنهيا اللخنا غراره
لو نلت ما أبعدت من ريقها *	ان نهيا نفثة سحاره

فلما بلغت هذه القصيدة عمارة هربت ، فحرم من جهتها مالا عظيما . وثلاثة
الآبيات الأخيرة التى أولها * فصعدت نائلة سلما * زادها فى القصيدة بعد أن
هربت .

جلس أبان ليلة فى قوم فثلب أبا عبيدة فقال : يقدح فى الأنساب ولا نسب
له . فبلغ ذلك أبا عبيدة فقال فى مجلسه : لقد أغفل السلطان كل شيء حين أغفل أخذ

(١) القيارة : محل اسالة القار .

(٢) طفر : وثب فى ارتفاع .

الجزية من أبان اللاحق ، وهو وأهله يهود ، وعنده منازلهم فيها أسفار التوراة وليس فيها مصحف ، وأوضح الدلالة على يهوديتهم أن أكثرهم يدعى حفظ التوراة ولا يحفظ من القرآن ما يصلى به . فبلغ ذلك أبان فقال :

لا تمن عن صديق حديثا * واستعد من تسرد التهام
واخفض الصوت ان نطقت بليل * والتفت بالنهار قبل الكلام

قال عيسى بن اسماعيل : كنا فى مجلس أبى زيد الأنصارى فذكروا أبان بن عبد الحميد ، فقالوا : كان كافرا ، فغضب أبو زيد وقال : كان جارى فما فقدت قراءته فى ليلة قط .

وكان أبان يفوق الشعراء فى شىء . نحسب أنه هو الذى سبق إليه ، فقد ابتكر فى الأدب العربى فنا لم يتعاطه أحد من قبله ، وهو فن الشعر التعليلى ، طرق فيه فنونا مختلفة من العلم والحكمة والدين . وقد تحدث أبو الفرج أنه نظم للبرامكة كتاب « كليلة ودمنة » ليسهل عليهم حفظه ، فأعطاه يحيى بن خالد عشرة آلاف دينار ، وأعطاه الفضل بن يحيى خمسة آلاف واكتفى جعفر بأن يكون راويته . وروى أبو الفرج أبياتا أربعة من هذا النظم ، وقد عثرنا على قطعة من كتاب مخطوط يوجد فى دار الكتب المصرية تحت رقم (٥٩٤) تاريخ ، وهو كتاب « الأوراق » للصوى . وفى هذا الكتاب قطعة صالحة من نظم أبان لكليلة ودمنة ، فرأينا أن نثبتها هنا ، لأن المنظومة ضاعت ولم يبق منها الا الأبيات الأربعة التى رواها أبو الفرج . وها هى ذى :

هذا كتاب كذب ومجنه *	وهو الذى يدعى كليله دمنه
فيه دلالات وفيه رشد *	وهو كتاب وضعته الهند
فوصفوا آداب كل عالم *	حكاية عن السن البهائم
فالحكماء يعرفون فضله *	والسخفاء يشتهون هزله
وهو على ذاك سير الحفظ *	كذ على اللسان عند اللفظ
يا نفس لا تشاركى الجهالا *	فى حب ملموم كان قد زالا
يا نفس لا تشسقى ولا تعنى *	فى طلب الدنيا ولا تمنى
ما لم ينله أحد الا ندم *	إذا تولى ذاك عنه وسدم (١)
دنياك بالأحباب والاخوان *	كثيرة الآلام والأحزان
وهى وان نيل بها السرور *	آفاتهما وغمهما كثير

يا نفس لا يحملك حب أهك * ولا أدانيك على أن تهلكى
 فى جمع ما يرضيهم فانه * يضرب من أمثال ذاك الدخنة (١)
 ينال قوم عرفها وتحترق * رأى به يرضى أخو رأى الحمق
 وجدت ذا النسيك الذى قد فكرا * فزاده تفكيره تـوقرا
 وقل لا رضى اهتمامه * ونم من سروره تمامه
 وترك الدنيا لمن يشقى بها * ومن يقاسى الكد من أنصابها
 فعندها نجا من الشرور * ونال أقصى غاية السرور
 ثم سحت عن كل فان نفسه * فلقى السعد وغاب نحسه
 وأبصر الثواب فى القيامة * فسأمن الحسرة والندامة
 ومثل الدنيا كبرق الخلب * من يغترر منه بسقى يكذب
 وهو قياسا مثل نوم النائم * تفرحه أضغاث حلم الحالم
 حتى اذا استيقظ صار هما * ما كان فى النوم به الما
 فكيف بالصبر على أيام * عما قليل هن لانصرام
 وكيف والدنيا بلا كلها * لا يامن الآفات فيها أهلها
 أشهد أن الله فرد واحد * أقر أو أنكر ذاك جاحد
 ليس له كفوا ولا ندا أحد * لم يلد الله ولا له ولد
 واننى بما عملت مرتهن * ما كان منه من قبيح وحسن

من باب الأسد والثور

من كان دنى النفس * يرضى من الأرفع بالأخس
 كمثل الكلب الشقى البائس * يفرح بالعظم العتيق اليأس
 وان أهل الفضل لا يرضيهم * شئ اذا ما كان لا يهنيهم
 كالأسد الذى يصيد الأرنب * ثم الى العير (٢) المجـد هربا
 فيرسل الأرنب من أظفاره * ويتبع العير على أدباره
 والكلب من رقتة ترضيه * باقمة تقلدتها فى فيه

(١) الدخنة : نحو يدخل به الثياب أو البيت وفى الأصل : « الدخنة » بالجيم وهو تحريف .

(٢) فى الأصل : « ثم للعير » ، والعير : الحمار .

فمن يعيش ما عاش غير خامل * له سرور دائم ونائل
 فهو وان كان قصير العمر * أطول عمرا من حليف فقر
 ومن يعيش في وحشة وضيق * وقلة المعروف في الصديق
 فهو وان عمر طويل دهره * ليس بمقبوط بطول عمره
 وقيل أيضا انه قد ينبغي * للرجل الفاضل فيما يتقى
 ألا يرى الا مع الأملاك (١) * أو يعبد الله مع النسيك
 كالقيل لا يصلح الا مركبا * ملك أو راعيا مسييا
 قال له السبع لقد سمعت * وكل ما تقول قد فهمت
 لكنني لست أظن ما تظن * بالثور من غش بلى ظنى حسن (٢)
 قال له دمنة من ثم أتى * وهذه من حاله هي التي
 رفعتني حتى تعدى طوره * وكان هذا لك عنه شكره
 وتلك أخلاق اللئيم الفاجر * الكافر المغرور غير الشاكر
 ما ان يزال ناصحا نفاعا * حتى يرى من حاله ارتفاعا
 فعندها يسمو الى ما فوقها * الى التي لا تستطيع أوقها (٣)
 وربما كان هلاك الشجر * في حسن الفصن وطيب الثمر
 وذنب الطاووس فهو زينه * كذاك أحيانا وفيه حينه
 وبأذل النصيح لمن لم يشكره * كطيارح في سبج ما يبذره
 لا خير للعاقل في ذي المنظره * ان هو لم يحمده عند المخبره
 وليس في الصديق ذي الصفاء * خير اذا لم يك ذا وفاء
 الرجل العاقل من لا تسكره * كاس سمو واقتدار يبطره (٤)
 فالجبل الثابت في أصوله * لا تقدر الريح على تحويله
 والناقص العقل الذي لا رأى له * يطغى اذا ما نال أدنى منزله
 مثل الحشيش أيما ريح جرت * مانت به فأقبلت وأدبرت
 الأهل والأخوان والأعوان * عند ذوى الأموال حيث كانوا

(١) الأملاك : الملوك .

(٢) كذا في الأصل ولعله : « بل الظن الحسن » .

(٣) أوقها : ثقلها .

(٤) في الأصل هكذا « ينظر » .

والمال هادى الرأى والمروه * وهو على كل الامور قسوه
 والمال فيه العز والجهال * والذل حيث لا يكون المال
 وربها دعا الفقير فقره * الى التى يحبط فيها اجره
 فيخسر الدين كما كان خسر * دنياه والخسران ما لا ينجبر
 ولبس من شىء يكون مدحا * لذى الغنى الا يكون برحا
 على الفقير ويكون ذما * كذاك يدعى وبه يسمى
 فان يكن نجدا يقولوا أهوج (١) * كذاك عند الحرب لا يعرج
 وهو اذا كان جوادا سيذا * سمي الفقير مضيعا مفسدا
 أو يك ذا حلم يقل ضعيف * أو يك بساما يقل سخي
 الرجل العاقل فيما يسدى * مفتبط بكسبه الحمد
 لأنه بساع قليلا فائيا * واعتاض من ذاك كثيرا باقيا
 فأغبط الناس الكثير نائله * ومدرك النجح آديه سائله
 فلا تمدن ذا غنى غنيا * حتى يكون ماجدا سريا
 وأعلم بأن الملك المشاورا * ذا العقل فيما نابه المؤازرا
 فإنه يعضد بالتأييد * يغنى به عن كثرة الجنود
 والحازم التابع أمر الحزمه * النعمتاء غير أهل التهمه
 يزداد حزما بهم ورشدا * زيادة البحر اذا ما مدا
 بما يصب فيه من أنهاره * حتى يهيج الموج من تياره
 والموت من مات كريما صابرا * غير من العيش ذليلا صاغرا

ولم ينقل لنا الصولى فى كتابه الا هذه القطعة . وبعد أبان فى هذا ناظما
 لكتاب معروف ، ولكنه قد تجاوز نظم الكتب المعروفة الى تأليف كتب منظومة ، فنظم
 قصيدة طويلة فى الصوم والزكاة ، روى منها الصولى طرفا .

فقل لأبان بعد أن نظم كليلة ودمنة : ألا تعمل شعرا فى الزهد ؟ فعمل قصيدة
 مزدوجة فى الصيام والزكاة . وترجمتها :

« قصيدة الصيام والزكاة * نقل أبان من قسم الرواة »

(١) الهوج : الحق . وفى الأصل : « لهوج » باللام وهو تحريف .

وما هي ذى القصيدة :

- هذا كتاب الصوم وهو جامع * لكل ما قامت به الشرائع
من ذلك المنزل في القرآن * فضلا على من كان ذا بيان
ومنه ما جاء عن النبي * من عهد المتبع المرضى
صلى الله عليه وسلم * كما هدى الله به وعلمنا
وبعضه على اختلاف الناس * من أثر ماض ومن قياس
والجامع الآن إليه صاروا * رأى أبى يوسف مما اختاروا
قال أبو يوسف أما المقترض * فرمضان صومه اذا عرض
والصوم في كفارة الأيمان * من حيث ما يجرى على اللسان
ومعه الحج وفي الظهار (١) * الصوم لا يدفع بالانكار
وخطأ القتل وحلق المحرم * لرأسه فيه الصيام فافهم
فرمضان شهره معروف * وصومه مقترض موصوف (٢)
والصوم في الظهار ان لم يقدر * مظاهر يوما على محرر
والقتل ان لم يك عمدا قتله * فان ذاك في الصيام مثله
شهران في العدة كاملان * متصلا لا مفترقان
والحنث في رواية مقبولة * ثلاثة أيامها موصولة
ومثلها في عدة الأيام * للمحرم الحلق في الاحرام
ثلاثة بصومها ان حلقا * لا بأس ان تابها أو فرقا
والصوم في المتعة ان لم يجد * هدايا وكان بالصيام يفتدى
صيام أيام مؤقتات * ثلاثة في الحج مفروضات
وبعد ما يرجع صوم سبعة * عشرة كاملة في المتعة
أما الثلاثة التي في الحج * فكان من أدركت من محتج
أو غيره ممن يرى أن يرويه * يقول يوما قبل يوم الترويه
ويومها وصوم يوم عرفه * مؤلفات الصوم لا مختلفه
قالوا وان أحب أن يفرقا * فذاك ما ليس عليه ضيقا

(١) الظهار مصدر ظاهر الرجل من امرأته اذا قال لها : أنت على كظهر أمي ، فكنى بالظهر عن البطن تاديبا .

(٢) في الأصل : « موطوف » .

ان كان ذاك الصوم منه بعدما * يكون في عمرته قد أحرم^ص
ولو أراد الصوم في شوال * من بعد أن يوجب بالهلال
عمرته فكان ذاك مجزيا * بذلك يفتى من أنى مستفنيا

وهي طويلة جدا .

ونحسب أن مكانه من البرامكة هو الذى حمله على اختراع هذا الفن ، فقد كان مكانة منهم مكان المؤدب لصبيانهم وشبابهم ، وكان من الحق عليه أن يسهل لهم العلم تسهيلا . وليس من شك فى أن هذه الأموال التى أصابها من البرامكة حينما نظم كلية ودمنة قد أطمعته ، فنظم القصائد الأخرى ليصيب مثل ما أصاب .

أخبار حمدان بن أبان بن عبد الحميد بن أبان ومختار من شعره

قال أبو بكر الصولى : حدثنى محمد بن زياد قال : كانت فى عبد الصمد بن المعذل عريضة اذا سكر ، فعربد يوما فى مجلس فيه حمدان بن أبان بن عبد الحميد بن أبان ، وكان ايدا (١) ، فقال لهم : كلوه الى وحدى ، وأخذه وكتفه وجعله فى بيت وأغلق بابيه ، ثم قال : اذا أصبحتم فأطلقوه ، وانصرف ، فبلغه أن عبد الصمد حلف ليهجونه سنة ، فقال حمدان يهجوه :

قل لعبد الصمد الأح * همق لا تغضب عليه
وعلى أمك فاغضب * واكوها فى الهن كيه
أمك العفلاء جاءت * نى بسلمى ورقيه
وهى سبقت ليلة فا * طمة أخرى اليه
فقضينا فيهم الحق * وقلبنا السوويه

وقد ذكر الصولى فى كتابه الأوراق ما اختاره من قصيدة حمدان بن أبان بن عبد الحميد بن أبان فى وصف الحب وأهله وهى طويلة ، قال :

ما بال أهل الأدب * منا وأهل الكتب
قد وضعوا الآدابا * واتعبوا الكتابا
لكل فن دفتر * منقط مجسر

(١) ايدا : قويا .

ففرقت أجناسنا	*	وعلموها الناسنا
بالحيل الرقيقه	*	والفطن الدقيقه
قارشدوا الضلالا	*	وعلموا الجهالا
سوى المحبين فلم (١)	*	يرعوا لهم حق الذمم
فى علم ما قد جهلوا	*	وما به قد ابتلوا
قد غلقت رهونهم	*	واستعبرت عيونهم
وخالفوا السهادا	*	وخالفوا الرقادا
فليلهم طويل	*	وتومهم قليل
أبدانهم نحيله	*	متعبه عليه
نفوسهم حزينه	*	مشغوفة رزينه
ظاهرة غمومهم	*	باطنة كاومهم
باكية عيونهم	*	قريحة جفونهم
ان ظلموا لم يظلموا	*	وان شكوا لم يرحموا
أحبابهم فى لعب	*	وفى دوام الطرب
صافية ألوانهم	*	ضاحكة أسنانهم
قد سكنوا القصورا	*	قارنوا السرورا
تفرغوا للهجر	*	وللنوى والغدر
بعاشق يهواهم	*	بالله ما أقسامهم
وعمدهم وعيد	*	اقرارهم جحود
بؤسى لأهل العشق	*	أهل الضنا والرق
ليس لهم وسيلة	*	ولا وجوه وحيله
رأيت لما خذلوا	*	وفى هواهم وحسلا
أن أرشد المغلا	*	الجاهل المضلا
الى الطريق الواضح	*	عند البلاء الفادح
وابتدى كتابا	*	لأوصف بابا بابا (٢)
يا أيها الناس فعوا	*	وصيتى واستمعوا

(١) فى الأصل : د فكم . .

(٢) فى الأصل : * لوصف باب بابا *

ففي صفاتي عجب	* وفي كتابي أدب
قصيدتي مقبومه	* ألفاظها منظمه
فيها هوى العشاق	* ومنية المشتاق
وصفت أهل العشق	* ولم أمل عن حق
فاسمع مقالا صادقا	* يا من بيت عاشقا
للحب خلتان	* هما هما اللتان
الصبر والرفق معا	* يوما اذا ما اجتمعا
في عاشق مهجور	* مباعد مفرور
قضى قريبا وطرا	* وبلغاه الوطرا
ما الحسن والاحسان	* والملك والسلطان
يعدل وصل الالف	* وكسره للطير
ما حسن في العين	* أحسن من الفين
يوما اذا ما التقيا	* في مجلس فاشتيا
مداومين للنظر	* قد أمنا كل حذر
يمادران الخلوه	* ويظهران الصبروه
مساعدين اتفقا	* باتنا ولم يفترقا
هواهها مخزون	* سرهما مدفون
مدارين أصابحا	* للناس لم يفتضحا
من جرب الحب عرف	* ما بين ملك وأسف
لن يبلغ الصب المنى	* الا بصبر وعنا
ان الهوى ضروب	* وأميزه عجيب
وأهله أطوار	* فيه لهم أوطار
للمنازل الشريف	* والآخرى السخيف
فمنهم مرزوق	* محبب معشوق
على اضطراب الخلق	* منه وسوء الخلق
تقضى له الأوطار	* وتعمل الأشعار
مقرب ما يقصى	* مطبوع ما يعصى

ومنهم محروم	* محارِف (١) مشنوم
على جمال هيئته	* وحسنه وبهجته
ومنهم من يبتدا	* ينال عيشا رغدا
من غير سعي وطلب	* وغير كد ونصب
فجد ذاك الاسعد	* والبخت منه أجود
اذ فاز بالذات	* ودرك الحاجات
ومنهم من يتعب	* فى حبه ويدأب
أسقمه طول الهوى	* وشقه وجد الجوى
فذاك صب قد شقى	* بؤسى له ماذا لقى
ومنهم البصير	* الماقل النحرير
يحمل الهجرانا	* ويحمل الأحزانا
فلا يزال مبتلى	* حتى ينال املا
ومنهم العميد	* الجاهل البليد
يحسب بالتضجر	* والجهل والتكبر
يلقى الحبيب باهتبا	* فلا يزال ساكتا
ومنهم من يهوى	* بالغيب يأتى عفوا
فيزرع الغموما	* مستجلبا هموما
فذاك حسب الغيب	* ليس به من عيب
من دونه حجاب	* ودونه ابواب
فما لذاك لبث	* وليس منه مكث
حتى يرى مقهورا	* فى حبه محسورا
ومنهم جبار	* فى حبه ازورار
يزهى اذا ما عشقا	* ورهنه قد غلقا

(١) محارِف : محروم محدود اذا طلب لا يروق .

يلتزم اللجاجة	* فليس يبدى الحاجة
فذاك حب الفسوت	* وفيه كرب الموت
ومنهم من للنظر	* يهوى ولم يعد البصر
إذا رأى خليله	* داوى به غليله
يكتم ما يقاسى	* من أعين الجلاس
ومنهم من اقتصر	* على الحديث والنظر
غايته السلام	* واللحظ والكلام
مدافع عن حبه	* يكتم وجد قلبه
ينفى الهوى وينكره	* وبالتبرى يستتره
فذاك حب العاقل	* حب أديب كامل
وبعضهم لا يقنعه	* إلا عمود يودعه
قد طلب الحراما	* والتمس الآثاما
فذاك حب النهم	* الماجن المقتبل
حق له الحرمان	* والمنع والغدلان
وبعضهم مذاق	* معانت ملاق
مستعمل للكذب	* محرف فى الكتب
فذاك حب الزور	* يلسع كالزنبور
وبعضهم عميد	* غاية ما يريد
خلوة من يهواه	* فى مشهد يلقاه
لحظته مسارقه	* مبيتته معانقه
مكاتم لحبه	* فى بعده وقربه
فذاك حب يكمد	* نيرانه لا تخمد
ومنهم من يهتف	* بالحب حين يشغف
إذا الحبيب صيدا	* ولم ينبله ودا
تاه عليه وحرق (١)	* وصمد عنه وحمق

(١) حرق : ضن عليه وبخل .

وقال في آخرها :

قد تم مني وصف * ولم يخني الرصف
وانقضت القصيدة * محبوبة حميدة
والحمد للرحمن * ذي العز والسلطان
واللم للشيطان * ذي العرم (١) والظيان

٦ - منصور النمرى (٢)

كان ذا حيلة سياسية ، فأدرك أن الرشيد يسره أن يمدح بنفى الامامة عن علي والظعن عليه ، لما كان يراه من تقديم مروان بن أبي حفصة بسبب ذلك ، فسلك مذهبه ونجا نحوه - والشعراء يومئذ انما يطلبون الكسب - لكنه لم يصرح بالهجاء والسب كما فعل مروان ، ومن قوله فيه قصيدة مطلعها :

أمير المؤمنين اليك خضنا * غمار الهول من بلد شطير
بخصوص كالأهله خافقات * تلين على السرى وعلى الهجير
حملن اليك احمالا ثقالا * ومثل الصخرة الدر النشير
فقد وقف المديح بمنتهاه * وغايته وصار الى المصير
الى من لا تشير الى رسول * اذا ذكر الندى كف المشير

(١) العرم : الشدة والشراسة . وفي الأصل : « العزم » .

(٢) هو منصور بن الزبرقان بن سلمة الربيعي ، من النمر بن قاسط ، ثم من ربيعة بن نزار . شاعر من شعراء الدولة العباسية . من أهل الجزيرة ، وهو تلميذ كلثوم بن عمرو العتابي وراويته عنه أخذ ، وبن بجره اسنقى ، وبمذهبه تشبه . وصفه العنابي للفضل بن يحيى بن خالد وقرطه عنده حتى استقدمه من الجزيرة واستصحبه ، ثم وصله بالرشيد وجرت بعد ذلك بينه وبين العتابي وحشة حتى تهاجرا وتناقضا وسعى كل واحد منهما في هلاك صاحبه ، وكان النمرى قد مدح الفضل بقصيدة وهو مقيم بالجزيرة ، فأوصلها العتابي اليه واسترفده له وسأله استصحابه ، فأتى له في القдом . فحظي عنده ، وعرف مذهب الرشيد في الشعر وادته أن يصل مدحه ايام بنفى الامامة عن ولد علي ابن أبي طالب عليهم السلام والظعن عليهم وعلم مغزاه في ذلك مما كان يبلغه من تقديم مروان بن أبي حفصة وتفضيله اياه على الشعراء في الجوائز ، فسلك مذهب مروان في ذلك ونجا نحوه ، ولم يصرح بالهجاء والسب كما كان يفعل مروان ولكنه حام ولم يقع وأوماً ولم يحقق ، لأنه كان يتشيع ، وكان مروان شديد العداوة لآل أبي طالب وكان ينطق عن نية قوية يقصد بها طلب الدنيا فلا يبقى ولا يذر . وتجد أخباره في الأغاني (ج ١٢ ص ١٦ و ج ١٧ ص ٣٢ و ١٤١) .

وذكر في القصيدة يحيى بن عبد الله بن حسن فقال :

يذل من رقاب بني علي * ومن ليس بالبن الصغير
مننت علي ابن عبد الله يحيى * وكان من الحتوف علي شفير
ولقد تخلص الى شيء ليس عليه فيه شيء وهو قوله :

من شكروا فقد أنعمت فيهم * ولا فالندامة للكفور
وان قالوا بنو بنت فحق * وردوا ما يناسب للذكور
وما لبني بنات من تراث * مع الأعمام في ورق الزبور
ومنها :

بني حسن ورهط بني حسين * عليكم بالسداد من الأمور
فقد ذقتهم قراع بني أبيكم * غداة الروح بالبيض الذكور
أحين شفوكم من كل وتر * وضموكم الى كنف وثير
وجادوكم على ظمأ شديد * سقيتم من نوالهم الغزير
فما كان العقوق لهم جزاء * بفعلهم وادى للشثور
وانك حين تبلغهم أذاة * وان ظلموا يحزون الضمير

فقال له : صدقت والا فعلى وعلى ، وأمر له بثلاثين ألف درهم . وأنشد الرشيد
يوما قصيدته التي أولها :

ما تنقضي حسرة منى ولا جزع * اذا ذكرت شبابا ليس يرتجع
بان الشباب وفاتني بلذته * صروف دهر وأيام لها خدع
ما كنت أوقى شبابي كنه غرته * حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع

فقال الرشيد : أحسن ! والله لا يتهنى أحد بعيش حتى يخطر في رداء الشباب .

ومن قوله فيها يمدح الرشيد :

أي امرئ بات من هارون في سخط * فليس بالصلوات الخمس ينتفع
ان المكسارم والمعروف أودية * أحلك الله منها حيث تجتمع (١)

(١) رواية الأغاني : « تسع » .

إذا رفعت امرءاً فالله يرفعه * ومن وضعت من الأقوام متضع
نفسى فداؤك والأبطال معلمة * يوم الوغى واننايا صابها فزع

ومن قوله يمدح الرشيد :

يامنزل الحى ذا المغانى * انعم صباحا على بلاكا
هارون ياخير من يرجى * لم يطع الله من عصاكا
فى خير دين و خير دنيا * من اتقى الله واتقأكا

وناهيك بقصيدته التى رفعت السيف عن ربيعة بنصيبين بعد أن جرده فيها
الرشيد وهى التى يقول فيها :

وقد علم العدوان والأجور والخنأ * بأنك عياف نهن مزاييل
ولو عملوا فينا بأمرك لم يكن * ينال بريأ بالأذى متناول
لنا منك أرحام ونعتد طاعة * وبأسا إذا أصطك القنا والقنابل (١)
وما يحفظ الأحسان مثلك حافظ * ولا يصل الأرحام مثلك واصل
جعلناك فامنعنا معاذاً ومفرعا * لنا حين عضتنا الخطوب الحلائل
لأنت إذا عاذت بوجهك عوذ * تطامن خوف واستقرت بلايل

اجتمع جماعة من الشعراء ببغداد وفيهم منصور النمرى ، وكانوا على نبىذ ،
قأبى منصور أن يشرب معهم ، فقالوا له : انما تعاف الشراب لأنه رافضى ، وتسمع
وتصغى الى الغناء ، وليس تركك النبىذ من ورع ، فقال :

خلا بين ندمانى موضع مجلسى * ولم يبق عندى للوصال نصيب
وردت على الساقى تفيض وربما * رددت عليه الكأس وهو سليب
وأى امرئ لا يستهش إذا جرت * عليه بنان كفهن خضيب

قال النمرى : كنت واقفا على جسر بغداد أنا وعبيد الله بن هشام ، وقد
وخطنى الشيب يومئذ ، وعبيد الله شاب حديث السن ، فاذا أنا بقصرية ظريفة قد
وقفت ، فجعلت أنظر إليها وهى تنظر الى عبيد الله ثم انصرفت ، وقلت فيها :

لما رأيت سوام الشيب متشرا * فى لمتى وعبيد الله لم يشب
سللت سهمين من عينيك فانتضلا * على سبية ذى الأذيال والطرب

(١) مفردة قنبل بفتح مسكون ثم فتح : الطائفة من الناس .

كذا الغواني نرى منهن قاصدة * الى الفروع معراة عن الخشب
لا أنت أصبحت تعقد بيننا أربا (١) * ولا وعيشك ما أصبحت من أربي
احدى وخمسين قد أنضيت جدتها * تحول بينى وبين اللهو واللعب
لاتحسبىنى وان أغضيت عن بصرى * غفلت عنك ولا عن شأنك العجب

غضب الرشيد على منصور النمرى لما أنشد قصيدته فى مدح العلويين وأولها :

شاء من الناس راتع هامل * يعللون النفوس بالباطل

وفيهما يقول :

ألا مساعير (٢) يغضبون لها * بسلة البيض والقنا الدابل

فغضب من ذلك غضبا شديدا وقال للفضل بن الربيع : أحضره الساعة ، فبعث
الفضل فى ذلك ، فوجده قد توفى ، فأمر بنبشه ليحرقه ، فلم يزل الفضل يلطف له
حتى كف عنه .

واليك قصيدته فى مدح العلويين نقلا عن الشعر والشعراء لابن قتيبة ، لأن
صاحب الأغاني أغفلها ولم يذكر منها الا البيتين السابقين :

شاء من الناس راتع هامل * يعللون النفوس بالباطل
تقتل ذرية النبی وير * جون جنان الخلود للقاتل
ويلك يا قاتل الحسين لقد * نؤت بعمل ينوء بالحامل
أى حباء حبوت أحمد فى * حفرة من حرارة الثاكل
بأى وجه تلقى النبی وقد * دخلت فى قتله مع الداخل
هلم فاطلب غدا شفاعته * أولا فرد حوضه مع الناهل
ما الشك عندى فى حال قاتله * لكننى أشبك فى الخاذل
نفسى فداء الحسين حين غدا * الى المنايا غدا لا قافل
ذلك يوم انحى بشفرته * على سنام الاسلام والكاھل
حتى متى أنت تعجبین ألا * تنزل بالقوم نقمة العاجل

(١) كذا فى الأصل ولعله : * لا أنت أصبحت يعقد بيننا أرب * بتسكين الفعل يعقد للضرورة
وتسكين الفعل فى الضرورة وارد ومثله قول امرئ القيس : فالليوم اشرب غير مستحقب * اثما من الله
ولا واغل .

(٢) فى الشعر والشعراء « مصاليت » .

لا يجعل الله ان عجلت وما * ربك عما يريد بالغافل
وعاذل انى أحب بنى * احمد فالترب فى فم العاذل
قد ذقت ما دينكم عليه فما * وصلت من دينكم الى طائل
دينكم جفوة النبى وما الـ * بجافى لآل النبى كالواصل
مظلومة والنبى والدها * نذير أرجاء مقلة حافل
ألا مصاليت يغضبون لها * بسلة البيض والقنا الذابل

وقال أيضا :

آل النبى ومن يحبهم * يتظامنون مخافة القتل
أمنوا النصارى واليهود وهم * من أمة التوحيد فى أزل (١)

• نشيد الرشيد هذا بعد موته فقال : لقد هممت أن أنبشه ثم أحرقه •

من جيد شعراء قوله فى الرشيد :

يا زائرينا من الخيام * حياكما الله بالسلام
يحزننى أن أطفئما بى * ولم تنالا سوى الكلام
لم تطرقانى وبى حراك * الى حلال ولا حرام
هيهات للهو والتصابى * وألغىـوانى وللمـدام
أقصر جهلى وثاب حلمى * ونهنه الشيب من عرامى (٢)
عمر أبيتها لقد تولت * سالة الخد من عدامى (٣)
لله حبى وترب حبى * ليلة أعياهما مرامى
أذنتانى بطول هجر * وغرتانى مع السوام
وانطوتا لى على ملام * والشيب شر من الملام
بورك هارون من امام * بطاعة الله ذى اعتصام
له الى ذى الجلال قربى * ليست لعادل ولا امام

(١) الأزل : الضيق والشدة •

(٢) العرام : الحدة •

(٣) العلام بالشفة كالعرض بالاسنان •

يسعى على أمة تمنى * أن لو تقيه من الحمام
لو استطاعت لقاسمته * أعمارها قسمة السهام
يا خير ماض وخير باق * بعد النبيين في الأنام
ما استودع الدين من امام * حامى عليه كما تحامى
يؤنس من رأيه برأى * أصابق من سلة الحسام

وقال :

أعير كيف حاجة * طلبت الى صم الصغور
لله در عداكم * كيف انتسبن الى الغرور
ان الليالى ضمني * ووسمتنى سمة الكبر
أطفان نور شبيبتي * وفرشنتى كنف الغيور
ولقد تبيت أنا على * يجنين رمان النحرور

٧ - السيد الحميرى (١)

« لم يكن (٢) السيد الحميرى من أنصار الحسن والحسين ، أو بعبارة أصح لم يكن من أنصار ولد الحسن والحسين ، وإنما كان من الكيسانية الذين كانوا ينصرون الابن الثالث من أبناء على : محمد بن خولة الحنفية ، والذين كانوا يدينون بأنه لم يمت وإنما تغيب عن الناس واحتجب عنهم حيناً وسيعود فيملاً الأرض عدلاً

(١) هو اسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مغرغ الحميرى والسيد لقبه ويكنى أبا هاشم ، كان شاعراً منقداً مطبوعاً ، يقال ان أكثر الناس سعرا في الجاهلية والاسلام ثلاثة : بشار وأبو العنابية والسيد ، فإنه لا يعلم أن أحدا قدر على تحصيل شعر أحد منهم أجمع ، وإنما مات ذكره وهجر الناس شعره لما كان يفرط فيه من سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه في شعره ويستعمله في قذفهم والطعن عليهم فتحرمي شعره من هذا الجنس وغيره لذلك وهجره الناس تخوفاً وترقباً ، وله طراز من الشعر ومذهب قلما يلحق فيه أو يقارب ، ولا يعرف له من الشعر كثير ، وليس يخلو من مدح بنى هاشم أو ذم غيرهم ممن هو عنده ضد لهم . توفي سنة ١٧٣ هـ . وتجد ترجمته وأخباره في الأغاني (ج ٢ ص ١٩) وفوات الوفيات (ج ١ ص ١٩) .

(٢) من بحوث صديقى الدكتور طه حسين أستاذ الآداب العربية بالجامعة المصرية .

كما ملئت جورا ، فلم يكن على السيد الحميري بأس أن يمدح بنى العباس ويتقرب منهم مادام صاحبه محمد بن الحنفية لم يعد من غيبته بعد . ثم نستطيع أن نميز هذا الشاعر بخصلة لم نرها في شاعر من الذين تحدثنا عنهم ، وهي أنه كان سخيفا ضعيف العقل شديد الايمان بالخرافات والأوهام ، ويظهر أن هذه الخصلة جاءت من مذهبه نفسه في الرجعة ، فقد أسرف في هذا المذهب كما أسرف في مدح العلويين والايان بهم حتى وصفهم من الخير والكرامة بما يقبل وما لا يقبل ، فكان كل خير يمكن أن ينسب الى العلويين ، رضيهم العقل أم لم يرضه ، وكان كل شر يمكن أن ينسب الى خصوم العلويين ، رضيهم العقل أم لم يرضه ، وكان يكفي أن يسمع رجلا من أهل القصص ورواة الأساطير يروي كرامة من الكرامات يضيفها الى أحد العلويين حتى ينظم فيها قصيدة طويلة جيدة ، ويتخذ هذه القصيدة وسيلة الى ذم السلف والنعي عليه .

وخصلة أخرى تقربه من الزنادقة الذين عاصروه ولكنها تجعل الصلة بينه وبينهم ضعيفة واهية في الوقت نفسه .

وهي أنه كان يستبيح ضروبا من اللهو والمنكر ، ويسرف في شرب الخمر وغير ذلك من ألوان العبث ، لا لأنه كان يجحد الدين أو يزدرية بل لأنه كان يدل على صاحب الدين ، كان يحب النبي صلى الله عليه وسلم وآله ويمنحهم مودته ونصره ، ويعتقد أنهم سيعرفون له ذلك وسيشفعون له في ذنوبه وآثامه لما قدم بين يديه من مدح العلويين ونصرهم على خصومهم ، وكان بنو هاشم وبنو علي خاصة يطمعون في ذلك ويعترفون له به ، فاذا ذكر لهم أنه يلهو ويشرب الخمر قالوا : وأى ذنب يعظم على الله أن يغفره لرجل من أنصار أهل البيت ! بل قال أحدهم : ان من أحب آل علي لم تزل له قدم الا ثبتت له أخرى ، وعلى هذا كان السيد الحميري يلهو آمنا في دينه ودنياه ، يعتمد في دينه على العلويين ، ويعتمد في دنياه على العباسيين ، يقدر أن العلويين، سيشفعون له عند الله ، ويعلم أن العباسيين يتقون شره ويؤثرون مدحه على هجائه ، وكان من معاصريه من يكره ذلك ويمقته كل المقت ، ويضمر للسيد عداً وحقدا لا يعدلها عداً ولا حقداً ، ومن هؤلاء سوار بن عبد الله العنبري قاضي البصرة المنصور ، فقد كان العداً بينه وبين السيد شديداً ، وكان قد أجمع ألا يقبل للسيد شهادة ، وكان قد سعى بالسيد عند المنصور غير مرة ، وكان السيد قد هجاء فأسرف في هجائه ، فشكا ذلك الى المنصور فنهاء المنصور عنه وأمره أن يذهب الى القاضي فيعتذر اليه ، وأبى القاضي أن يقبل معذرتة ، فاستأنف السيد الهجاء وألح فيه . ويقال ان سوارا أعد شهودا يشهدون على السيد بالسرقة ليقطع يده ، فعلم السيد ذلك فجزع وفزع الى المنصور ، فعزل المنصور سوارا من القضاء للسيد أو عليه ، ولم يلبث سوار أن مات فتبعه السيد بعدائه وبغضه وهجائه .

قال أبو جعفر الأعرج : كان السيد أسمر نام الفامة ، أشنب ذا وفرة .
حسن الألفاظ جميل الخطاب ، اذا تحدث في مجلس قوم أعطى كل رجل في المجلس نصيبه من حديثه ، وقال الفرزدق : ان ههنا لرجلين لو أخذوا في معنى الناس لما كنت معها في شيء : السيد الحميري وعمران بن حطان السدوسي ، ولكن الله عز وجل قد شغل كل واحد منهما بالقول في مذهبه ، وقال الاصمعي لما أنشد شيئا من شعره :
ما أسلكه لطريق الفحول لولا مذهبه ، ولولا ما في شعره ما قدمت عليه أحدا من طبقته ، وكان أبو عبيدة يقول : أشهر المحدثين السيد الحميري وبشار .

وكان السيد يذهب مذهب الكيسانية ويقول بإمامة محمد بن الحنفية ، وله في ذلك شعر كثير .

وقف السيد على بشار وهو ينشد الشعر ، فأقبل عليه وقال :

أيها المادح العباد ليعطى * ان لله ما بأيدي العباد
فاسأل الله ما طلبت اليهم * وارج نفع المنزل العواد
لا تقل في الجواد ما ليس فيه * وتسمى البخل باسم الجواد

قال بشار : من هذا ؟ فعرفه ، فقال : لولا أن هذا الرجل قد شغل عنا بمدح بني هاشم لشغلنا ، ولو شاركنا في مذهبنا لتعبنا .

ومن قول السيد :

أتعرف رسما بالثوين قد دثر * عفته أهاضيب السحائب والمطر
وجرت به الأذيال ريحان خلفه * صبا ودبور بالعشيات والبكر
منازل قد كانت تكون بجوها * هضيم الحشى ريا الشوى سحرها النظر
قطوف الخطا خمصانة بخرية * كأن مجياها سنا دارة القمر
رمتني ببعده بعد قرب بها النوى * فبانت ولما أقضى من عبدة الوطر
ولما رأني خشية البين موجعا * أكفك مني أدمعا ييضها درر
أشارت بأطراف الى ودمعها * كنظم جمان خانه السلك فانتشر
وقد كنت مما أحدث البين حاذرا * فلم يغن عني منه خوفى والحذر

ع

لما استقام الأمر لبني العباس قام السيد الى أبي العباس السفاح حين نزل عن

المنبر فقال :

دوتكموها يا بنى هاشم * فجددوا من عهدها الدار
دوتكموها لا علا كعب من * كان عليكم ملكها نافسا
دوتكموها فالبسوا تاجها * لاتعدموا منكم له لابس
لو خير المنبر فرسانه * ما اختار الا منكم فارسا
قد ساسها قبلكم ساسة * لم يتركوا وطبا ولا يابسا
ولست من أن تملكوها الى * مهبط عيسى فيكم آيسا

وبعث بهذه الأبيات الى المهدي يسأله ألا يعطى آل بكر وعمر من مال الدولة :

قل لابن عباس سمى محمد * لاتعطين بنى على درهم
احرم بنى تيم بن مرة انهم * شر البرية آخرا ومقصد
ان تعطهم لن يشكروا لك نعمة * ويكافئوك بأن تلم وتشتما
وان ائتمنتهم أو استعملتهم * خازوك واتخذوا خراجك مغنما
ولئن منعتهم لقد بدوكم * بالمنع اذ ملكوا وكانوا اظلم
منعوا تراث محمد أعمامه * وبنيه وابنيه عذيلة مريما
وتأمروا من غير أن يستخلفوا * وكفى بما فعلوا هنالك مائما
ثم يشكروا لحمد انعامه * أفيشكرون لغيره ان انعاما
والله من عليهمو بمحمد * وهداهم وكسا الجنوب وأطعما
ثم انبروا لوصيه وولييه * بالمنكرات فجرعوه العلقما

أنشد السيد جعفر بن محمد هذه الأبيات بذكر فيها قبر الحسين :

امرد على جدت الحسين * ن فقل لأعظمه الزكية
أعظمها لا زلت من * وطفاء ساكية رويه
واذا مررت بقبره * فاطيل به وقف المطيه
وابك المطهر للمطر * هر والمظهرة النقيه
كبكاء معولة آتت * يوما لواحداه المنيه

فانحدرت دموع جعفر على خديه وارتفع الصراخ والبكاء من داره حتى أمره
بالامساك فأمسك .

ومن قول السيد في امامة ابن الحنفية :

ألا يا أيها الجدل المعنى	✽	لنا ما نحن ويحك والعناء
أتبصر ما تقول وأنت كهل	✽	تراك عليك من ورع رداء
ألا إن الأئمة من قریش	✽	ولاة الحق أربعة سواء
على والثلاثة من بنيه (١)	✽	هم أسباطه والأوصياء
فأني في وصيته اليهم	✽	يكون الشك منا والمراء
بهم أوصاهم ودعا اليه	✽	جسيم الخلق لو سوح اللئاء
فسبط سبط ايمان وحلم	✽	وسبط غيبته كربلاء
سقى جدثا تضمنه ملت	✽	هتوف الرعد مرتجز رواء
تظل مظلة منها عزال (٢)	✽	عليه وتغدى أخرى دلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى	✽	يقود الخيل يقدمها اللواء
من البيت المحجب في سراة	✽	شراة لنى بينهم الاخلاء
عصائب ليس دون اغر أجلى	✽	بمكة قائم لهم انتهاء

وأنشد العنبي قصيدته اللامية التي أولها :

هل عند من أحبت تنويل	✽	أم لا فان اللوم تضليل
أم في الحشى منك جوى باطل	✽	ليس تداويه الأباطيل
علقت يا مغرور خداعة	✽	بالوعد منها لك تخيل
ريا رداح النوم خمصانة	✽	كأنها أدماء عطبول
يشفيك منها حين تخلو بها	✽	ضم الى النحر وتقيل
وذوق ريق طيب طعمه	✽	كأنه بالمسك معلول
في نسوة مثل المها خرد	✽	تضيق عنهن الخلاخيل

يقول فيها :

(١) هم الحسن والحسين ومحمد .

(٢) العزلاء : مصب الماء من الراوية ونحوها ، ويقال : أنزلت السماء عزاليها اشارة الى شدة وقوع المطر على الشبيه بنزوله من أفواه المزادات .

أَقْسِمُ بِاللَّهِ وَآلِهِ * وَالْمَرْءُ عَمَّا قَالَ مُسْتُول
أَنْ عَلَى بَنِ أَبِي طَالِبٍ * عَلَى اتَّقَى وَالْبِرُّ مَجْبُول

فقال : أحسن والله ما شاء ، هذا والله الشعر الذى يهجم على القلب بلا حجاب .
فيل للسيد : مالك لا تستعمل فى شعرك من الغريب ما تسأل عنه كما يفعل
الشعراء ؟ قال : لأن أقول شعرا قريبا من القلوب يلذه من سمعه ، خير من أن أقول
شيئا معقدا تضل فيه الأوهام .

تقدم السيد الى سوار القاضى ليشهد عنده ، فلم يرض به ، فقام مغضبا من
مجلسه ، وكتب رقعة يقول فيها :

يَا آمِينَ اللَّهُ يَامُنْ * مَسُورٌ يَا خَيْرَ الْوَلَاةِ
أَنْ سَوَارٌ بِنْ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ شَرِّ الْقَضَاةِ
نَعَثَلِي جَمَلِي * لَكُمْ غَيْرَ مَوَاتِ
جَدُهُ سَارِقُ عَنَزٍ * فَجَرَةٌ مِنْ فَجَرَاتِ
لِرَسُولِ اللَّهِ وَالْقَا * ذِفُهُ بِالْمُتَكْرَرَاتِ
وَابْنُ مَنْ كَانَ يَنَادِي * مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرَاتِ
يَاهُنَاةُ أَخْرَجَ إِلَيْنَا * إِنَّا أَهْلُ هُنَاتِ
مَدَحْنَا الْمَدْحَ وَمَنْ نَرِ * مَ يَصِيبُ بِالزَّفَرَاتِ
فَاكْفَيْهِهِ لَأَكْفَاهُ اللَّهُ شَرَّ الطَّارِقَاتِ

قيل : فلما قرأها سوار وثب من مجلسه وقصد أبا جعفر المنصور ، وهو يومئذ
نازل بالجسر ، فسبقه السيد اليه فأنشده :

قُلْ لِلَّامِامِ الَّذِي يَنْجِي بِطَاعَتِهِ * يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ بَحْبُوحَةِ النَّارِ
لَا تَسْتَعِنْ وَجْزَاكَ اللَّهُ صَالِحَةٌ * يَا خَيْرَ مَنْ دَبَّ فِي حَكْمِ سَوَارِ
لَا تَسْتَعِنْ بِخَبِيثِ الرَّأْيِ ذِي صُلْفٍ * جَمَّ الْعَيُوبِ عَظِيمِ الْكِبَرِ جِبَارِ
يَضْحَى الْخُصُومَ لَدَيْهِ مِنْ تَجْبِرِهِ * لَا يَرْفَعُونَ إِلَيْهِ لِحْظَ أَبْصَارِ
تِيهَا وَكَبْرًا وَلَوْلَا مَا رَفَعَتْ لَهُ * مِنْ ضَمْبَعِهِ كَانَ عَيْنُ الْجَائِعِ الْعَارِي

ودخل سوار ، فلما رآه المنصور تبسم وقال : أما بلغك خبر اياس بن معاوية
حيث قبل شهادة الفرزدق واستزاد فى الشهود ؟ فما أحوجك للتعرض للسيد
ولسانه ! ثم أمر السيد بمصالحته .

دخل السيد على المهدي لما بايع لانيه موسى وهارون ، فأنشأ يقول :

ما بال مجرى دمك الساجم	* أمن قذى بات بها لازم
أم من هوى أنت ته ساهر	* صباة من قلبك الهائم
أليت لا أمدح ذا نائل	* من معشر غير بنى هاشم
أوليتهم عندي يد المصطفى	* ذي الفضل وابن أبي القاسم
فانها بيضاء محمودة	* جزاؤها الشكر على العالم
جزاؤها حفظ أبي جعفر	* خليفة الرحمن والقائم
وظاعة المهدي ثم ابنه	* موسى على ذي الاربعة الحازم
وللرشيد الرابع المرتضى	* مفترض من حقه اللازم
ملكهم خمسون معلومة	* برغم أنف الحاسد الراغم
ليس علينا ما بقوا غيرهم	* في هذه الأمة من حاكم
حتى يردوها الى هابط	* عليه عيسى منهم ناجم

ومن شعر السيد :

ما جرت خطرة على القلب مني	* فيك الا استترت عن اصحابي
من دموع تجرى فان كنت وحدي	* خائيا أسعدت دموعي انتحابي
ان حبي اياك قد سل جسمي	* ورماني بالشيب قبل الشباب
لو منحت اللقا شفى بك صبا	* هائم القلب قد ثوى في التراب

ومما قاله في الحبس :

قف بالديار وحيها يا مريع	* واسأل وكيف يجيب من لا يسمع
ان الديار خلت وليس بجوها	* الا الضوايح والحمام الوقع
ولقد تكون بها اوانس كالنمي	* جمل وعزة والرباب وبروع
حور نواعم لا ترى في مثلها	* امثالهن من الصياة اربع
فهرين بعد تألف وتجمع	* والدهر صاح مشيت ما يجمع
فاسلم فانك قد نزلت بمنزل	* عند الأمير تضر فيه وتنفع
تؤتى هواك اذا نطقت بحاجة	* فيه وتشفع عنده فتشفع
قل للأمير اذا ظفرت بخلوة	* منه ولم يك عنده من يسمع

هب لي الذي أحبته في أحمد * وبنيه انك حاصد ما تزرع
يختص آل محمد بمحبة * في الصدر قد طويت عليها الأضلع

وقال ينجو امرأة وارث موسر من خلانه ، وكانت تعذل زوجها على اسرافه :

أقول ياليت ليلى في يدي حنق * من العداوة من أعدى أعاديها
يعلو بها فوق رعن (١) ثم يحدرها * في هوة فتدهدى يومها فيها
أوليتها في غمار البحر قد عصفت * فيه الرياح فهاجت من أواذيتها (٢)
أوليتها قد دنت يوما الى فرسى * قد شد منه الى هاديه هاديتها
حتى يرى لحدها من حضرة زيم (٣) * وقد أتى القوم بعد الموت نسيها
فمن بكاهها فلا جفت مدامعه * لا أسخن الله الا عين باكيها

وقيل : ان آخر قصيدة له هي قوله :

أشأقتك المنازل بعد هند * وتربيتها وذات الدل دعاء
منازل أقفرت منهن محت * معالمهن من سليل ورعاء
وريح حرجف تستن فيها * بساقي القرب تلجم ماء تسدي
ألم يبلغك والآنباء تنمى * مقال محمد فيما يؤدي
الى ذي علمه الهادي على * وخولة خادم في البيت تردي
ألم تر أن خولة سوف تأتي * بوارى الزند صاقي الخيم نجد
يفوز بكنتي واسمى لأنى * نجلتهما هو المهدي بعدي
يغيب عنهم حتى يقولوا * تضمنه بطيبة بطن لحد
سنين وأشهرا ويرى برضوى * بشعب بين أنمار وأسد
مقيم بين آرام وعين * وحفان (٤) تروح خلال ربد

(١) الرعن : أنف يقدم الجبل جمعه رعون ورعان ، والجبل : الطويل ودمدى الحجر فتدهدى

أي دحرجه فتدحرج .

(٢) الأواذي : أمواج البحر مفردا آذى .

(٣) الريم : المتفرق من اللحم .

(٤) الحفان : صغار النعام .

نراعيها السباع وليس منها * ملاقيهن مفترسا بحسد
 آمن به الردى فرتعن طورا * بلا خوف لدى مرعى وورد
 حلفت برب مكة والمصل * وببيت طاهر الأركان فرد
 يطوف به التحجيج وكل عام * يحل لديه وقد بعد وفد
 لقد كان ابن خولة غير شك * صفاء ولايتي وخلوص ودي
 دما أحد أحب الى فيما * أسر وما أبسوح به وأبدى
 سوى ذي الوحي أحمد أو على * ولا أزكى وأطيب منه عندي
 ومن ذا يابن خولة اذ رمتني * بأسهمها المنية حين وعلى
 يذيب عنكم ويسد مما * تثلم من حصونكم كسدي
 وما لي أن أمر به والسكن * أوئل أن يؤخر يوم فقدي
 فأدرك دولة لك لست فيها * بجبار فتوصف بالتعدي
 على قوم بغوا فيكم علينا * لتعدي منكم ياخير معد
 لتعل بنا عليهم حيث كانوا * بغور من تهامة أو بنجد
 اذا ما سرت من بلد حرام * الى من بالمدينة من معد
 وماذا عزهم واتخير منهم * بأشوس أعصل الأنيا بورد
 وأنت لمن بغى وعدا واذكى * عليك الحرب واسترداك مرد

٨ - سلم بن عمرو الخاسر (١)

كان منقطعا الى البرامكة والى الفضل بن يحيى خصوصا من بينهم ، وفيه يقول
 أبو العناهية :

(١) هو سلم (ويقال سالم) بن عمرو أحد موالى أبي بكر الصديق ، نشأ في البصرة ، وكان شاعرا
 مطبوعا متصرفا في فنون الشعر ، وكان متظاهرا بالخلاعة والفسوق والمجون ، وزاد شاعرية وتمرسا
 بالشعر على يد بشار ، لأنه كان راويته وتلميذه ، أخذ عنه واغترف من بحره ونسج على متواله ، وكثيرا
 ما كان يأخذ أقواله فيسلخها ويمسخها كما مسخ هذا البيت :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته * وفاز بالظيـمات الفاتك اللهج
 فجعله :

من راقب الناس مات غما * وقاز باللذة الجسور
 فبلغ بيته بشارا فغضب وأقسم ألا يدخل عليه ولا يفيد ما دام حيا ، فاستشع اليه بكل صديق
 حتى رضى ووبخه وقنعه بمخضه كانت بيده . وكان صديقا لابراهيم الموصلي المغنى المشهور ولأبى العناهية .
 وكان يمدح البرامكة وخصوصا الفضل بن يحيى . توفي سنة ١٨٦ هـ . وتجد ترجمته في الأغاني
 ج ٢١ ص ١١٠ وابن خلكان ج ١ ص ١٩٨ .

انما الفضل لسلم وحده * ليس فيه لسوى سلم درك

وكان هذا أحد الأسباب الى فساد ما بينه وبين أبى العتاهية . ولسلم يقول
أبو العتاهية وقد حج مع عتبة :

والله والله ما أبالي متى * ما مت ياسلم بعد ذا السفر

اليس قد طفت حيث طافت وقب * لت الذى قبلت من الحجر

وله يقول أبو العتاهية وقد حبس ابراهيم الموصلى :

سلم يا سلم ليس دونك سر * حبس الموصلى فالعيش مر

ما استطاب اللذات ، مذ سكن المط * سبق رأس اللذات والله ، حر

ترك الموصلى من خاق الل * له جميعا وعيشهم مقشعر

لما قال بشار قصيدته الميمية فى عمر بن العلاء وهى التى يقول فيها :

إذا نيهتك صعب الأمور * فنبه لها عمرا ثم نـ

فتى لا يبيت على دمنة (١) * ولا يشرب الماء الا بدم

بعث بها مع سلم الى عمر بن العلاء ، فوافاه ، فأنشده اياها ، فأمر لبشار
بمائة ألف درهم ، فقال له سلم : ان خادمك - يعنى نفسه - قد قال فى طريقه فيك
قصيدة ، قال : فانك لهنالك ! قال : تسمع ثم تحكم ، قال : هات ، فأنشده :

قد عزنى الداء فما لى دواء * مما ألقى من حسان النساء

قلب صحيح كنت استطوبه * أصبح من سلمى بداء عيـاء

أنفاسها مسك وفى طرفها * سحر وما لى غيرها من دواء

وعدتنى وعدا فأوفى به * هل تصلح الخمرة الا بهـاء

ويقول فيها :

(١) الدمنة : الحقد .

كم كربة قد مسنى ضرها * ناديت فيها عمر بن العلاء

فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فكانت أول عطية سنية وصلت إليه .

ومن قوله يرثى باقونة بنت المهدي :

أودى بباقونة ريب الزمان * مؤسمة المهدي والخيزران
لم تنطو الأرض على مثلها * مولودة حن لها الوالدان
باقون يا بنت امام الهدي * أصبحت من زينة أهل الجنان
بكت لك الأرض وسكانها * في كل أفق بين انس وجان

دخل سلم على الفضل بن يحيى في يوم نيزوز والهدايا بين يديه ، فأنشد :

أمن ربع تسائله * وقد أقوت مآزله
بقلبي من هوى الأطلا * ل حب ما يزايله
رويدكم عن المشغو * ف ان الحب قاتله
بلابل صدره تسرى * وقد نامت عواذله
أحق الناس بالتفضي * ل من ترجى فواضله
رأيت مكارم الأخلا * ق ما ضمت حمائله
فلست أرى فتى في النا * س الا الفضل فاضله
يقول لسائله خيرا * فان الفضل فاعله

وكان ابراهيم الموصلى وابنه اسحاق حاضرين ، فقال لابراهيم : كيف ترى وتسمع ؟ قال : أحسن مرثى ومسموع ، وفضل الأمير أكثر منه ، فقال : خذوا جميع ما أهدي الى اليوم فاقتسموه بينكم أثلاثا الا ذلك التمثال ، فاني أريد أن أهديه اليوم الى دنير ، ثم قال : لا والله ما هكذا تفعل الأحرار ، يقوم ويدفع اليهم ثمنه ثم نهديه ، فقوم بألفى دينار ، فحملها الى القوم من بيت ماله واقتسموا جميع الهدايا بينهم .

كان المهدي يعطي مروان وسلمة الخاسر عطية واحدة ، فكان سلم يأتي باب المهدي على البرذون الفاره ، قيمته عشرة آلاف درهم بسرج ولجام مفضضين ، ولباسه الخز والوشى وما أشبه ذلك من الثياب الغالية الأثمان ، ورائحة المسك والطيب الغالية تفوح منه ، ويجيء مروان بن أبي حفصة عليه فرو كبل (١) وقميص.

(١) كبل (بفتحين) : قصير .

كرابيس (١) وعمامة كرابيس وخفا كبل (٢) وكساء غليظ ، وهو منتن الرائحة ، وكان لا يأكل اللحم حتى يقرم اليه بخلا ، فاذا قرم أرسل غلامه فاشترى له رأسا وأكله ، فقال له قائل : أراك لا تأكل الا الرأس ، قال : نعم أعرف سعره فأمن خيانة الغلام ولا أشتري لحما فيطبخه فيأكل منه ، والرأس آكل منه ألوانا : اكل من عينيه لونا ومن غلصمته (٣) لونا ومن دماغه لونا .

كان سلم قد بلى بالكيمياء ، فكان يذهب بكل شيء له باطلا ، فلما أراد الله عز وجل أن يصنع له عرف أن يباب الشام صاحب كيمياء عجيبا ، وأنه لا يصل اليه أحد الا ليلا ، فسأل عنه ، فدلوه عليه . قال : فدخلت اليه الى موضع معور (٤) ، فدفقت الباب فخرج الى ، فقال : من أنت عافاك الله ؟ فقلت : رجل معجب بهذا العلم ، قال : فلا تشهرني فاني رجل مستور انما أعمل القوت ، قلت : انى لا أشهرك انما أقتبس منك ، قال : فاکتم ذلك ، وبين يديه كوز شبه (٥) صغير ، فقال لي : اقلع عروته ، فقلعتها ، فقال : اسبكها في البوتقة (٦) ، فسبكتها ، فأخرج شيئا من تحت مصلاه فقال : ذره عليه ، ففعلت ، فقال : أفرغه ، فأفرغته ، فقال : دعه معك ، فاذا أصبحت فاخرج فبعه وعد الى ، فأخرجته الى باب الشام فبعت المثلقال بأحد وعشرين درهما ورجعت اليه فأخبرته ، فقال : اطلب الآن ما سئلت ، قلت : تفيدني ؟ قال : بخمسمائة درهم على ألا تعلمه أحدا ، فأعطيته وكتب لي صفة فامتحنتها فاذا هي باظلة ، فبئت اليه ، فقبل لي : قد تحول واذا عروة الكوز الشبه من ذهب مركبة عليه ، والكوز شبه ، ولذلك كان يدخل اليه من يطلبه ليلا ليخفى عليه ، فانصرفت وعلمت أن الله عز وجل أراد بي خيرا وأن هذا كله باطل .

قال أبو المستهل : دخلت يوما على سلم واذا بين يديه قراطيس فيها أشعار يرثي ببعضها أم جعفر ، وبعضها جارية غير مسماة ، وبعضها أقواما لم يموتوا ، وأم جعفر يومئذ باقية ، فقلت له : ويحك ما هذا ؟ فقال : تحدث الحوادث فيطالبوننا بأن نقول فيها ويستعجلوننا ولا يجمل بنا أن نقول غير الجيد ، فنعد لهم هذا قبل كونه ، فمتى حدث حادث أظهرنا ما قلناه فيه قديما على أنه قيل في الوقت .

(١) الكرابيس . جمع كرابيس وهو القطن .

(٢) أى خفا فرو كثير الصوف غليظه .

(٣) انخلصمة : انحسل اللسان .

(٤) معور : مخوف .

(٥) الشبه : النحاس الأصفر .

(٦) البوتقة : الوعاء الذى يذيب فيه الصائغ .

دخل سلم على الرشيد فأنشده : * حي الأوبة بالسلام * فقال الرشيد :
حياهم الله بالسلام ، فقال سلم : * أعلى وداع أم مقام * فقال الرشيد : حياهم الله
على أي ذلك كان ، فأنشده :

لسم يبق منك ومنهم * غير الجلود على العظام

فقال له الرشيد : بل منك ، وأمر بإخراجه ، وتطير منه ومن قوله ، فلم يسمع
منه باقى الشعر ولا أثابه بشيء .

استوهب اسحاق الموصلى من الرشيد تركة سلم ، وكان قد مات عن غير
وارث . فوهبها له قبل أن يتسلمها صاحب المواريث ، فحصل منها على خمسين ألف
دينار ، وروى أنه رفع الى الرشيد أن سلما قد توفى وخلف مما أخذه منه خاصة
ومن زبيدة ألف ألف وخمسمائة ألف درهم سوى ما خلفه من عقار وغيره مما
اعتقده (١) قديما ، فقبضه الرشيد وتظلم اليه مواليه من آل أبى بكر الصديق رضوان
الله عليه ، فقال : هذا خادمى ونديمى ، والنزى خلفه من مالى فأنا أحق به . فلم يعطهم
إلا شيئا يسيرا من قديم أهلاكه .

٩ - ربيعة الرقى (٢)

كان منقطعا عن الحضارة ، بعيدا عن مجالسة الخلفاء ، فأخمل ذكره بسبب
ذلك ، لكنهم كانوا يستقدمونه اليهم . وأول من فعل ذلك المهدي ، فمدحه ونال
جوائز ، وكان ابن المعتز يرى ربيعة أشعر غزلا من أبى نواس ، لأن فى غزل
أبى نواس برذا كثيرا ، وغزل هذا سليم عذب سهل ، ولذلك فان شهرته بلغت
الى بلاط الخليفة . وكان يمدح غير الخلفاء وينال جوائزهم ويعود الى بلده ، وان
قصر أحد فى إعطائه هجاء ، وله فى ذلك حديث مع العباس بن محمد بن على من
أمراء بنى العباس .

(١) امتلكه .

(٢) هو أبو أسامة ربيعة بن ثابت من موالى سليم ، ويكنى أبا شباية ، وكان ينزل الرقة ، وبها
مولده ومنشؤه فأشخصه المهدي اليه ، فمدحه بعدة قصائد وأثابه عليها ثوابا كبيرا ، وهو من الكثيرين
النجدين ، وكان ضريرا وانما أخمل ذكره وأسقطه عن طبيعته بعده عن العراق وتركه خدمة الخلفاء
ومحالة الشعراء . ومع ذلك فما عدم مفضلا مقدما له . وتجد أخباره فى الأغاني (ج ١٥ ص ٢٨)
وخزانة الأدب للبغدادي (ج ٣ ص ٥٥) .

حلفت يميناً غير ذي مشوية (١) * يمين امرئ آلى بها غير آثم
لشتان ما بين اليزيدين في الندى * يزيد سليم والأعر ابن حاتم
يزيد (٢) سليم سالم المال ، والفتى * أخو الأزد للأموال غير مسالم
فهم الفتى الأزدي اتلاف ماله * وهم الفتى القيسي جمع الدراهم
فلا يحسب التمتام أنى هجوته * ولكننى فضلت أهل المكارم

قال رجل لربيعة : يا أبا أسامة ، ما حملك على أن هجوت رجلاً من قومك
وفضلت عليه رجلاً من الأزد ؟ فقال : أخبرك ، أملت فلم يبق لي إلا داري ، فرهنتها
على خمسمائة درهم ، ورحلت إليه إلى أرمينية ، فأعلمته بمكاني ومدحتي ، وأقمت
عنده حولاً ، فوهب لي خمسمائة درهم ، فتحملت وصرت بها إلى منزلي ، فلم يبق
معي كبير شيء ، فنزلت في دار بكراء ، فقلت : لو أتيت يزيد بن حاتم ، ثم قلت :
هذا ابن عمي فعل بي هذا الفعل فكيف بغيره ! ثم حملت نفسي على أن آتيه ، فأعلم
بمكاني ، فتركني أشهراً حتى ضجرت ، فأكريت نفسي من الحماليين * وكتبت بيتاً في
رقعة فألقيته في دهليزه ، والبيت :

أراني ولا كفران لله واجعا * بخفي حنين من يزيد بن حاتم

فوقعت الرقعة في يد حاجبه ، فأوصلها إليه من غير علمي ولا أمرى ، فبعث
خلفي ، فلما دخلت عليه قال : هيه أنشدني ما قلت ، فتمنعت ، فقال : والله
لتنشدني ، فأنشدته ، فقال : والله لا ترجع كذلك ، ثم قال : انزعوا خفيه ،
فنزعوا فحشاهما دنائير وأمر لي بغلمان وجوار وكسي ، ألا ترى لي أن أمدح هذا
وأهجو ذاك ؟ قلت : بلى والله ، وسار شعري حتى بلغ المهدي ، فكان سبب
دخولي إليه .

قيل لأبي زيد النحوي : إن الأصمعي قال : لا يقال شتان ما بينهما ، وإنما
يقال : شتان ما هما ، وأنشد قول الأعشى : شتان ما يومى على كورها * فقال :
كذب الأصمعي ، يقال : شتان ما هما وشتان ما بينهما ، وأنشد لربيعة الرقي :
« لشتان ما بين اليزيدين » وفي استشهاده مثل أبي زيد على دفع قول مثل الأصمعي
بشعر ربيعة كفاية له في تفضيله .

(١) أى لا استثناء فيها .

(٢) هو يزيد بن أسيد (بضم الهمزة) من بهثة بن سليم ، وأخو الأزد هو يزيد بن حاتم بن قبيصة
ابن المهلب .

امتدح ربيعة العباس بن محمد بن علي بقصيدة لم يسبق اليها حسنا ، وهي
طويلة ، يقول فيها :

لو قيل للعباس يا بن محمد * قل « لا » وأنت مخلص ما قالها
ما ان أعد من المكارم خصلة * الا وجدتك عمها أو خالها
واذا الملوك تسايروا في بلدة * كانوا كواكبها وكنت هلالها
ان المكارم لم تزل معقولة * حتى حلت براحتيك عقالها
فبعث اليه بدينارين ، وكان يقدر فيه ألفين ، فلما نظر الى الدينارين كاد
يجن غيظا وقال للرسول : خذ هذين الدينارين فهما لك على أن ترد الرقعة الى من
حيث لا يدري العباس ، ففعل الرسول ذلك ، فأخذها ربيعة وأمر من كتب في
ظهرها :

مدحتك مدحة السيف المحلى * لتجري في الكرام كما جريت
فهبها مدحة ذهب ضياعا * كذبت عليك فيها وافترت
فانت المرء ليس له وفاء * كأنى ان مدحتك قد ذنبت

ثم دفعها الى الرسول وقال : ضعها في الموضع الذي أخذتها منه ، فردها
الرسول ، فلما كان من الغد أخذها العباس فنظر فيها ، فلما قرأ الأبيات غضب
وقام من وقته فركب الى الرشيد ، وكان أثيرا (١) عنده يبجله ويقدمه ، وكان قد
هم أن يخطب اليه ابنته ، فرأى الكراهة في وجهه ، فقال : ما شأنك ؟ فقال : هجاني
ربيعة الرقي ، فأحضر ، فقال له الرشيد : تهجو عمي وآثر الخلق عندي ؟ لقد هممت
أن أضرب عنك ، فقال : والله يا أمير المؤمنين لقد مدحتك بقصيدة ما قال مثلها أحد
من الشعراء في أحد من الخلفاء ، ولقد بالغت في الثناء وأكثر في الوصف ،
فان رأى أمير المؤمنين أن يأمره باحضارها ! فلما سمع الرشيد ذلك منه سكن غضبه
وأحب أن ينظر الى القصيدة ، فأمر العباس باحضار الرقعة ، فتلكأ عليه العباس ،
فقال له الرشيد : سألتك بحق أمير المؤمنين الا أمرت باحضارها ، فعلم العباس أنه
قد أخطأ وغلط ، فأمر باحضارها ، فأحضرت ، فأخذها الرشيد واذا فيها القصيدة
بعينها ، فاستحسنها واستجادها وأعجب بها وقال : والله ما قال أحد من الشعراء في
أحد من الخلفاء مثلها ، لقد صدق ربيعة وبر ، ثم قال للعباس : بم أثبتت عليها ؟
فسكت العباس وتغير لونه وجرض (٢) بريقه ، فقال ربيعة : أثابني عليها يا أمير

(١) أثيرا : مكرما .

(٢) جرض بريقه : ابتلعه بالجهد على هم وحزن

المؤمنين بدينارين ، فتوهم الرشيد أنه قال ذلك من الموجدة على العباس ، فقال :
 بحياتي يا رقي بكم أثابك ؟ قال : وحياتك يا أمير المؤمنين ما أثابني عليها
 إلا بدينارين ، فغضب الرشيد غضبا شديدا ونظر في وجه العباس وقال : سوء
 لك ! أي حال فعلت بك عن اثابته ؟ الأموال ؟ خواله لقد مولتك جهدي ، أم انقطاع
 المادة عنك ؟ فوالله ما انقطعت ، أم أصلك ؟ فهو الأصل لا يدانيه شيء ، أم نفسك
 فعلت ذلك بك حتى فضحت آباءك وأجدادك وفضحتني ونفسيك ؟ فنكس العباس
 رأسه ولم ينطق ، فقال الرشيد : يا غلام ، أعط ربيعة ثلاثين ألف درهم وخلعة
 واحمله على بغلة ، فلما حمل المال بين يديه وألبس الخلعة قال : بحياتي يارقي
 لا تذكره في شعرك لا تعريضا ولا تصريحاً ، وفتر الرشيد عما كان هم به أن يتزوج
 إليه ، وظهر له منه بعد ذلك جفاء كثير واطراح له .

قال أبو بشر : كنت حاضرا ربيعة الرقي يوما وجاءته امرأة فقالت : تقول لك
 فلانة ان بنت مولاي محموعة فان كنت تعرف لها عوذة (١) فافعل ، فقال اكتب لها
 أبا بشر هذه العوذة :

ثَقُوا ثَقُوا بِاسْمِ الْهَى الَّذِي * لَا يَعْزُضُ السَّقْمَ لِمَنْ قَدْ شَفَى
 أَعْيَدْ مَوْلَاتِي وَمَوْلَاتِهَا * وَابْتِهَا بِعَوْدَةِ الْمَصْطَفَى
 مِنْ شَرِّ مَا يَعْزُضُ مِنْ عِلَّةٍ * فِي الصَّبْحِ وَاللَّيْلِ إِذَا اسْتَدْفَا

فقلت له : يا أبا ثابت ، لست أحسن أن أكتب ثقوا ثقوا ، فكيف أكتبها ؟
 قال انضح المداد من رأس القلم في موضعين حتى يكون كالنفث (٢) ، وادفع العوذة
 إليها فانها نافعة ، ففعلت ودفعتها إليها ، فلم تلبث أن جاءت الجارية وهي لا تتمالك
 ضحكا ، فقالت له : يامجنون ما فعلت بنا ! كدنا نفتضح بما صنعت ! قال : فما
 أصنع ! أشاعر أنا أم صاحب تعاويد !

واتفق للرقى أيضا مثل ذلك مع معن بن زائدة ، وقد لقيه في بعض قدماته الى
 العراق ، فملسه ، فلم يهش له ، فهجاه بقصيدة مطلعها :

معن يا معن يابن زائدة الكلب * سب الذي في الدراع لا في البنان
 لا تفاخر اذا فخرت بابا * فك وافخر بعمك الحوفزان (٣)

(١) العوذة : الرقية يرقى بها الانسان من فزع أو جنون أو مرض .

(٢) النفث البصاق اليسير ينثنه الراقي في العقدة عند الرقية .

(٣) الحوفزان هو الحارث بن شريك الشيباني ، سمى بذلك لأن قيس بن عاصم بن التميمي حفزه
 بالرمح حين خاف أن يفوته ، وقد فخر بذلك سوار بن حيان المنقري فقال :

ونحن حفسرنا الحوفزان بطعنة * سقته نجيعا من دم الجوف الشكلا

ومن غزله أبيات يغنى بها ، وهي :

وتزعم انى قد تبدلت خلة (١) * مسواها وهذا انباض المتقوسول
لحا الله من باع الصديق بغيره * فقالت نعم حاشاك ان تك تفعل
ستصرم انسانا اذا ما صرمتى * بحبك فانظر بعده من تبدل

١٠ - الرقاشى (٢)

كان سهل الشعر مطبوعا ، وكان منقطعا الى آل برمك ، مستغنيا بهم عن سواهم ،
وكانوا بصولون به على الشعراء ، ويروون أولادهم أشعاره ، ويدونونها القليل والكثير
منها ، تعصبا له ، وحفظا لخدمته ، وتنويها باسمه ، وتحريكا لنشاطه . فحفظ ذلك
نهم . فلما نكبوا صار اليهم فى حبسهم ، فأقام معهم مدة أيامهم ينسدهم ويسارههم
حتى ماتوا ، ثم رثاهم فأكثر من رثائهم ، فمن ذلك قوله فى جعفر :

كم هاتف بك من باك وباكىة * يا طيب المضيف اذ تدعى وللجار
ان يعدم القطر كنت المزن بارقه * اح الدنانير لا ما خيل السارى

وقوله :

لعمرى ما بالموت عار على الفتى * اذا لم تصبه فى الحياة المعابر (٣)
وما أحد حى وان كان سالما * بأسلم مما غيبته المقابر
ومن كان مما يحدث الدهر جازعا * فلا بد يوما ان يرى وهو صابر
وليس الذى عيش عن الموت مقصر * وليس على الأيام والدهر غابر
وكل شباب أو جديد الى البلى * وكل امرئ يوما الى الله صائر
فلا يبعدنك الله عنى جعفرا * بروحى ولو دارت على الدوائر
فأليت لا أنفك أبكيك ما دعت * على فنن ورقاء أو طار طائر

(١) الخلة : الخلية .

(٢) هو الفضل بن عبد الصمد مولى رقاش ، وهو من أهل البصرة . توفى سنة ٢٠٠ هـ . وتجده
ترجمته فى الاغانى (ج ١٥ ص ٢٥) وفوات الوفيات (ج ٢ ص ١٢) والشعر والشعراء (ص ٥١٥) .

(٣) المعابر : المعايير .

ومن ذلك قوله لما صلب الفضل بن يحيى واجتاز به الرقاشى وهو مصلوب على الجذع ، فوقف يبكى ثم قال :

أما والله لولا خوف واش * وعين للخليفة لا تنام
لطفنا حول جذعك واستلمنا * كما للناس بالحجر استلام
فما أبصرت قبلك يا بن يحيى * حساما حقه السيف الحسام
على اللذات ، والدنيا جميعا * ودولة آل برمك السلام

فكتب أهل الأخبار بذلك الى الرشيد ، فأحضره فقال : ما حملك على ما قلت ؟ فقال : يا أمير المؤمنين كان الى محسنا ، فلما رأيته على الحال التى هو عليها حركنى احسانه فما ملكت نفسى حتى قلت الذى قلت ، قال : وكم كان يجرى عليك ؟ قال : ألف دينار فى كل سنة ، قال : انا قد أضعفناها لك .

ومن قوله يصف جارية :

صفات وحسن اورثا القلب لوعة * تضرم فى أحشاء قلب متيم
تمثلها نفسى لعينى فأنشنى * عليها بطرف الناظر المتبسم
يحملنى حبى لها فوق طاقتى * من الشوق داب الحائر المتقسم

١١ - أبو العتاهية (١)

قال أحمد بن زهير : سمعت مصعب بن عبد الله يقول : أبو العتاهية أشعر الناس ، فقلت له : بأى شئ استحق ذلك عندك ؟ فقال بقوله :

(١) هو أبو اسحاق اسماعيل بن الفاسم بن سويد ، أطبع أهل زمانه شعرا وأكثرهم قولا واسهلهم لفظا ، وأسرعهم بديهة وارتجالا ، وأول من فتح للشعراء باب الوعظ والتزهيد فى الدنيا والنهى عن الاغترار بها ، وأكثر من الحكمة .
ولد بعين التمر سنة ١٣٠ هـ ونشأ بالكوفة فى عمل أهله . وكانوا باعة جرار ، الا أنه ربأ بنفسه عن عمله وقال الشعر فى صباه وامتزج بلحمه ودمه حتى صار كما قال هو عن نفسه « لو شئت أن أجعل كلامى كله شعرا لفعلت » فذاع صيته وسلك طريق خلفاء الكوفة . ثم قدم بغداد ومدح المهدي وتعرف ببعض خدم قصر الخلافة وجواريه فتعشق منهن فتاة تدعى عتبة ، ولما يؤس منها لها عنها بعض الشئ . =

تعلمت بآمال * طموال أي آمال
واقبلت على الدنيا * ملحا أي اقبسال
أيأ هذا تجهز لـ * فراق الأهل والمال
فلا بد من الموت * على حال من الحال

ثم قال مصعب : هذا كلام سهل حق لا حشو فيه ولا نقصان ، يعرفه العاقل
ويقربه الجاهل . وكان الأصمعي يستحسن قوله :

أنت ما استغنيت عن صا * حبك الدهر أخوه
فاذا احتجت إليه * ساعة مجك قوه

وانشد له سلم الخاسر :

سكن يبقى له سكن * ما بهذا يؤذن الزمن
نحن في دار يخبرنا * بيلاها ناطق لسن
دار سوء لم يدم فرح * لامرئ فيها ولا حزن
في سبيل الله أنفسنا * كلنا بالموت مرتهن
كل نفس عند ميتتها * حظها من مالها الكفن
ان مال المرء ليس له * منه الا ذكره الحسن

وقال عبد الله بن عبد العزيز العمري : أشعر الناس أبو العتاهية حيث يقول :

ما ضر من جعل التراب مهاده * ألا ينسام على الحرير اذا قنع

= ودرس كثيرا من مذاهب المتكلمين والشيعة والجبرية والزهاد فكان يسلك كل مذهب منها مدة ثم ينتقل
عنه الى الآخر حتى اختار له من كل ذلك عقيدة مختلطة أفضت به الى العبادة والزهد في الدنيا قولا
ومعيشة على افراط منه في حب المال والجمع له والبخل به على الأهل والولد والخدم .

ولم يأت عصر الرشيد حتى أضرب عن الغزل وقصر قوله على الزهد في الدنيا والتذكير بالموت وأهله ،
وهو في خلال ذلك يمدح الخليفة وملوك الدولة ويأخذ جوائزهم ، ثم عرضت له حال امتنع فيها عن
قول الشعر البنية حتى حبسه الرشيد لعدم تلبية ما اقترحه عليه من القول فيه ثم أطلقه بعد أن أجاب
طلبته ، وعاد الى قول الشعر على عاداته فيه وترك الغزل والهجاء ، وبقي على ذلك مدة الرشيد والأمين
وأكثر أيام المأمون . توفي سنة ٢١١ هـ .

وله ديوان مطبوع في بيروت سنة ١٨٨٧ وتجد أخباره في الأغاني ج ٣ ص ١٢٦ وج ٦ ص ١٨٦
وج ٨ ص ٢٤ وابن خلكان ج ١ ص ٧١ وطبقات الشعراء ص ٤٩٧ والفهرست ص ١٦٠ .

وقيل لأبي العتاهية : كيف تقول الشعر ؟ قال : ما أردته قط إلا مثل لي .
 فأقول ما أريد وأترك ما لا أريد . وكان يقول : لو شئت أن أجعل كلامي شعرا كله
 لفعلت .

حم الرشيد فصار أبو العتاهية الى الفضل بن الربيع برقة فيبا :

لو علم الناس كيف أنت لهم * ماتوا إذا ما أتت أجمعهم
 خليفة الله أنت ترجح بالناس * س إذا ما وزنت أنت وهم
 قد علم الناس أن وجهك يغ * نى إذا ما رآه معيهم

فأنشدها الفضل بن الربيع الرشيد ، فأمر باحضار أبي العتاهية ، فمزال
 يسامره ويحدثه الى أن برىء ، ووصل اليه بذلك السبب مال جليل . وقد حدث
 ابن الأعرابي بهذا الحديث ، فقال له رجل بالمجلس : ما هذا الشعر بمستحق
 لما قلت ، قال : ولم ؟ قال : لأنه ضعيف ، فقال ابن الأعرابي ، وكان أحد الناس ،
 الضعيف والله عقلك لا شعر أبي العتاهية ، لأبي العتاهية تقول انه ضعيف الشعر !
 فوالله ما رأيت شاعرا قط أطبع ولا أقدر على بيت منه ، وما أحسب مذهبه الا ضربا
 من السحر ، ثم أنشده له :

قطعت منك حبال الآمال * وحطت عن ظهر المطى رحال
 وثبتت أن أبقي شيء نلت مما فيك يا دنيا وأن يبقى لي
 فوجدت برد الياس بين جوانحي * وأرحت من حل ومن ترحال
 يأيها البطر الذي هو من غد * في قبره متمزق الأوصال
 حلف المنى عنه المشمر في الهدى * وأرى منك طويلا الأذيال
 حيل ابن آدم في الأمور كثيرة * والموت يقطع حيلة المحتال
 مالي أراك لحر وجهك مخلقا * أخلقت يا دنيا وجوه رجال
 قست السؤال فكان أعظم قيمة * من كل عارفة جرت بسؤال
 فاذا ابتليت بيدك وجهك سائلا * فابذله للمتكرم المفضال
 واذا خشيت تعذرا في بلدة * فاشدد يديك بعاجل الترحال
 واصبر على غير الزمان فانما * فرج الشدائد مثل حل عقال

ثم قال للرجل : هل تعرف أحدا يحسن أن يقول مثل هذا الشعر ؟ فقال له
 الرجل : يا أبا عبد الله ، جعلني الله فداءك ، انى لم أردد عليك ما قلت ، ولكن الزهد
 مذهب أبي العتاهية ، وشعره في المديح ليس كشعره في الزهد ، فقال : أفليس هو
 الذي يقول في المديح :

وهارون ماء المزن يشفى من الصدى * إذا ما الصدى بالريق غصت حناجره
 وأوسط بيت في قريش لبيته * وأول عز في قريش وأخسره
 وزحف له تحكى البروق سيوفه * وتحكى الوعود القاصفات حوافره
 إذا حميت شمس النهار تضاحكت * إلى الشمس فيه بيضه ومغافره
 إذا نكب الاسلام يوما بنكبة * فهارون من بين البرية ثأثره
 ومن ذا يفوت الموت والموت مدرك * كذا لم يفت هارون ضده ينافره

فتخلص الرجل من شر ابن الأعرابي بأن قال له : القول كما قلت ، وما كنت
 سمعت له مثل هذين الشعرين ، وكتبهما عنه .

قال ثمامة بن أشرس أنشدني أبو العتاهية :

إذا المرء لم يعتق من المال نفسه * تملكه المال الذي هو ماله
 ألا انه ما مالى الذى أنا منفق * وليس لى المال الذى أنا تاركه
 إذا كنت ذا مال فبادر به الذى * يحرق والا استهلكته مهالكه

فقلت له : من أين قضيت بهذا ؟ فقال : من قول رسول الله صلى الله عليه
 وسلم : « إنما لك من مالك ما أكلت فأفنيته أو لبست فأبليت أو تصدقت
 فأمضيت » . فقلت له : أتؤمن بأن هذا قول رسول الله صلى الله عليه وأنه
 الحق ؟ قال : نعم ، قلت : فلم تجبى عندك سبعا وعشرين بدره في دارك ولا تأكل
 منها ولا تشرب ولا تزكى ولا تقدمها ذخرا ليوم فقرك وفاقتك ؟ فقال : يا أبا معن ،
 والله إن ما قلت لهو الحق ، ولكنى أخاف الفقر والحاجة إلى الناس ، فقلت : وبم تزيد
 حال من افتقر على حاله وأنت دائم الحرص ، دائم الجمع ، شحيح على نفسك ،
 لا تشتري اللحم إلا من عيد إلى عيد ؟ فترك جواب كلامي كله . ثم قال لى : والله
 لقد اشتريت في يوم عاشوراء لحما وتوابله وما يتبعه بخمسة دراهم ، فلما قال هذا
 القول أضحكنى حتى أذهلنى عن جوابه ومعاتبته ، فأمسكت عنه وعلمت أنه ليس
 ممن شرح الله صدره للاسلام .

زار مرة عمرو بن مسعدة فحجب عنه ، فلزم منزله ، فاستبطأه عمرو ،
 فكتب إليه :

كسلنى الياس عنك فما أر * فع طرقتك اليك من كسل
 انى إذا لم يكن أخى ثقة * قطعت منه حبائل الأمل

وكتب اليه مرة أخرى :

مالك قد حلت عن اخائك واسـ * تبدلت يا عمرو شيمة كدره
انى اذا الباب تاه حاجبه * لم يك عندي في هجره نظره (١)
لستم ترجون للحساب ولا * يوم تكون السماء منقطره
لكن لدينا كالظل بهجتها * سريعة الانقضاء منشمه
قد كان وجهي لديك معرفة * فاليوم اضحى حرفا من النكره

جلس المهدي للشعراء يوما فأذن لهم ، وفيهم بشار وأشجع ، وكان أشجع يأخذ
عن بشار ويعظمه ، وكان في القوم غير هذين أبو العتاهية ، قال أشجع : فلما سمع
كلام أبي العتاهية قال : يا أخا سليم ، أهذا ذلك الكوفي الملقب ؟ قلت : نعم ،
قال : لا جزى الله خيرا من جمعنا معه ، ثم قال له المهدي : أنشد ، فقال : ويحك !
أويستنشد أيضا قبلنا ؟ فقلت : قد ترى ، فأنشد :

ألا ما لسيدتي ما لها * أدلا فاحمل ادلالها
والا فليم تجنت وما * جنيت سقى الله اطلالها
ألا ان جارية للاما * م قد أسكن الحسن سربالها
مشت بين حور قصار الخطا * تجاذب في لمشي أكفالها
وقد أتعب الله نفسي بها * وأتعب باليوم عذالها

فقال بشار لأشجع : ويحك يا أخا سليم : ما أدري من أى أمره أعجب ، أمن
ضعف شعره ، أم من تشبيهه بجارية الخليفة وهو يسمع ذلك بأذنه ؟ حتى أتى
على قوله :

أتته الخلافة منقادة * اليه تجرر اذبالها
فلم تك تصلح الا له * ولم يك يصلح الا لها
ولو رامها أحد غيره * لزلزلت الأرض زلزالها
ولو لم تطمه بنات القلوب * لما قبل الله أعمالها
وان الخائفة من بغض « لا » * اليه ليبغض من قالها

(١) النظرة : التأخير والامهال .

فقال بشار لأشجع وقد اهتز طربا : ويحك يا أخا سليم ، أترى الخليفة لم يطر
عن فراشه طربا لما يأتى به هذا الكوفى !

ولما اتهمه منصور بن عمار بالزندقة ، لأنه لا يذكر فى شعره الجنة والنار وانما
يذكر الموت ، قال فيه :

يا واعظ الناس قد أصبحت متهما * اذ عبت منهم أمورا أنت تاتيا
كاللبس الثوب من عرى وعورته * للناس بادية ما ان يواريهما
فأعظم الأثم بعد الشرك نعلمه * فى كل نفس عماها عن مساويها
عرفانها بعيوب الناس تبصرها * منهم ولا تبصر العيب الذى فيها

وقيل له : زعم الناس أنك زنديق ، فقال : والله ما دينى الا التوحيد ، ف قيل له
قل شيئا يتحدث به عنك ، فقال :

ألا اننا كلنا بئد * وأى بنى آدم خالدا
وبؤهم كان من ربهم * وكل الى ربه عائد
فياعجبا كيف يعصى الاله * به أم كيف يججده الجاحد
وفى كل شئ له آية * تدل على أنه واحد

وسمع الجاحظ مرة من ينشد أرجوزة أبى العتاهية التى سماها « ذوات الأمثال »
حتى أتى على قوله :

بالتشبيب المرح التصابى * روائج الجنة فى الشباب

فقال للمنشد : قف ، ثم قال : انظروا الى قوله : « روائج الجنة فى الشباب »
فان له معنى كمعنى الطرب لا يقدر على معرفته الا القلوب ، وتعجز عن ترجمته الألسنة
الا بعد التطويل وإدامة التفكير ، وخير المعانى ما كان القلب الى قبوله أسرع من اللسان
الى وصفه . وهذه الأرجوزة من بدائع أبى العتاهية ، ويقال : ان فيها أربعة آلاف
مثل ، منها قوله :

حسبك مما تبتغيه القوت * ما أكثر القوت لمن يموت
الفقر فيما جاوز الكفا * من اتقى الله رجا وخافا
هى المقادير فلمنى أو فذر * ان كنت أخطأت فما أخطأ القدر
لكل ما يؤذى وان قل ألم * ما أطول الليل على من لم ينم
ما انتفع المرء بمثل عقله * وخير ذخى المرء حسن فعله

ان الفساد ضده الصلاح * ورب جدد جريه المزاج
 من جعل النمام عينا هلكا * مبلغك الشر كباغيه لكا
 ان الشبَاب والفراغ والجده * مفسدة للمرء اى مفسده
 يغنيك عن كل قبيح تركه * يرتهن الراى الاصيل شكه
 ما عيش من آفته بقاؤه * نغص عيشنا كله فناؤه
 يارب من أسخطنا بجهده * قد سرنا الله بغير حمده
 ما نطلع الشمس ولا تغيب * الا لأمر شأنه عجب
 لكل شيء معدن وجوهر * وأوسط وأصغر وأكبر
 من لك بالمحض وكل ممتزج * وسأوس فى الصدر منه تعتلج
 وكل شيء لاحق بجوهره * أصغره متصل بأكبره
 ما زالت الدنيا لنا دار أذى * مهزوجة الصفو بالوان القذى
 الخير والشر بهما أزواج * لىذا نتاج ولذا نتاج
 من لك بالمحض وليس محض * يثبت بعض ويطيب بعض
 لكل انسان طبيعتان * خير وشر وهما ضدان
 انك لو تستشيق الشحيحا * وجردته أنتن شيء ريحا
 والخير والشر اذا ما عدا * بينهما بون بعيد جدا
 عجبت حتى غمى السكوت * صرت كائن حائر مبهوت
 كذا قضى الله فكيف أصنع * الصمت ان ضاق الكلام أوسع

ومن قول أبى العتاهية فى الوحدة والتبرم بالناس :

برمت بالناس وأخلاقهم * فصرت أستاذ بالوحده
 ما أكثر الناس لعمري وما * أقلهم فى حاصل العده

قال الأصمعى : شعر أبى العتاهية كساحة الماوك ، يقع فيها الجوهر والذهب والتراب والخزف والنوى .

كان أبو العتاهية لا يفارق الرشيد فى سفر ولا حضر الا فى طريق الحج ، وكان يجرى عليه فى كل سنة خمسين ألف درهم سوى الجوائز والمعاون ، فلما قدم الرشيد الرقة لبس أبو العتاهية الصوف وتزهد ، وترك حضور المنادمة والقول فى الغزل ، وأمر الرشيد بحبس فحبس ، فكتب اليه من وقته :

أنا اليوم لي والحمد لله أشهر * يروح على الهيم منكم ويبكر
تذكر أمين الله حقى وحرمتى * وما كنت تولينى كذلك يذكر
ليالى تدنى منك بالقرب مجلسى * ووجهك من ماء البشاشة يقطر
فمن لى بالعين التى كنت مرة * الى بها فى سائف الدهر تنظر
فلما قرأ الرشيد الأبيات قال : قولوا له : لا بأس عليك ، فكتب اليه :

أرقت وطار عن عيني النعاس * ونام السامرون ولم يراسوا
أمين الله أمنك خير أمن * عليك من التقى فيه لباس
تساس من السماء بكل بر * وأنت به تسوس كما تساس
كان الخلق ركب فيه روح * له جسد وأنت عليه راس
أمين الله ان الحبس بلس * وقد أرسلت : ليس عليك بأس

وكتب اليه أيضا فى الحبس :

وكلفتني ما حلت بينى وبينه * وقلت سائغى ما تريد وما تهوى
فلو كان لى قلبان كلفت واحدا * هواك وكلفت الخلى لما يهوى

فأمر بإطلاقه :

كان الهادى واجدا على أبى العتاهية ملازمته أخاه هارون فى خلافة المهدي ،
فلما ولي موسى الخلافة قال أبو العتاهية يملحه :

يضطرب الخوف والرجاء اذا * حرك موسى القضييب أو فكر
ما أبين الفضل فى معيب وما * أورد من رأيه وما أصدر
فكم ترى عز عند ذلك من * معشر قوم وذل من معشر
يثمر من مسه القضييب ولو * يمسه غيره لما اثمر
من مثل موسى ومثل والده الـ * سميدى أو جده أبى جعفر

فرضى عنه - فلما دخل عليه أنشده :

لهفى على الزمن القصير * بين الخورتق والسدير
اذ نحن فى غرف الجنا * ن نعوم فى بحر السرور

في فتية ملكوا عنا * ن الدهر أمثال الصقور
 ما منهم الا الجسو * ر على الهوى غير الحصور
 يتعمدون مداممة * صهباء من حلب العصور
 عذراء رباهن شعا * ع الشمس في حر الهجير
 لم تدن من نار ولم * يعلق بها وضر القصور
 ومقرطق يمشى أما * م القوم كالرشا الغرير
 بزجاجة تستخرج الـ * سر الدفين من الضمير
 زهراء مثل الكوكب الـ * لدى في كف المدير
 تدع الكريم وليس يد * رى ما قبيل من دير
 ومخصرات زرننا * بعد الهلو من الخدور
 ربا روادفهن يد * بسن الخواتم في الخصور
 غر الوجوه محجبا * ت قاصرات الطرف حور
 متنعمات في النعم * يم مضمخات بالعير
 يرفلن في حلل المحا * سن والمجاسد والحرير
 ما ان يرين الشمس الا القـ * رط من خلل الستور
 والى أمين الله مهر * ربنا من الدهر العثور
 واليه اتعبنا المطا * يا بالرواح وبالبكور
 صعر الخدود كأنما * جنح أجنحة النصور
 متربلات بالظلا * م على السهولة والوعور
 حتى وصلن بنا الى * رب الملائن والقصور
 مازال قبل قطامه * في سن مكتهل كبير

استنشده المأمون أحسن ما قال في الموت فأنشده :

أنسك محياك المماتا * فطلبت في الدنيا الثباتا
 أوثقت بالدنيا وأنـ * ت ترى جماعتها شتاتا
 وعزمت منك على الحيا * ة وطولها عزما بتاتا
 يا من رأى أبويه فيـ * من قد رأى كانا فماتا
 هل فيهما لك عبرة * أم خلت أن لك انفلاتا
 ومن الذي طلب التفلـ * ت من منيته ففاتا

كل تصبحه المنية * ة أو تيته يياتا

دخل أبو العتاهية على المأمون فأنشده :

ما أحسن الدنيا واقبالها * اذا أطاع الله من نالها
من لم يواس الناس من فضلها * عرض لادبار اقبالها

فقال له المأمون : ما أجود البيت الأول ، فأما الثاني فما صنعت فيه شيئا ، الدنيا تدبر عمن واسى منها أو ضن بها ، وانما توجب السماحة بها الأجر والضن بها الوزر ، فقال : صدقت يا أمير المؤمنين ، أهل الفضل أولى بالفضل وأهل النقص أولى بالنقص ، فلما كان بعد أيام عاد فأنشده :

كم غافل أودى به الموت * لم ياخذ الأهبة للموت
من لم تزل نعمته قبله * زال عن النعمة بالموت

فقال له : أحسنت ، طيببت المعنى ، وأمر له بعشرين ألف درهم .

كان أبو العتاهية يحج كل سنة ، فاذا قدم أهدى الى المأمون بردا ومطرفا ولعلا سوداء ومساويك أراك ، فيبعث اليه بعشرين ألف درهم ، فأهدى مرة له كما كان يهدى كل سنة اذا قدم ، فلم يشبه ولا بعث اليه بالوظيفة ، فكتب اليه أبو العتاهية :

خبروني أن من ضرب السنه * جددا بيضا وصفرا حسنه
أحدثت لكننى لم أرها * مثل ما كنت أرى كل سنه

فأمر المأمون بحمل العشرين ألفا وقال : أغفلناه حتى ذكرنا .

أنشد المأمون بيت أبي العتاهية يخاطب سلما الخاسر :

تعالى الله ياسلم بن عمرو * أذل الحرص اعناق الرجال

فقال المأمون : ان الحرص لمفسد للدين والمروءة ، والله ما عرفت من رجل قط حرصا ولا شرها فوجدت فيه مصطنعا ، فبلغ ذلك سلما فقال : ويلى على الجرار الزنديق جمع الأموال وكنزها وعبأ البدور فى بيته ثم تزهد مرأاة ونفاقا ، فأخذ يهتف بى اذا تصديت للطلب .

كان الرشيد مما يعجبه غناء الملاحين فى الزلاات اذا ركبها ، وكان يتأذى بفساد

كلامهم ولحنهم ، فقال : قولوا لمن معنا من الشعراء : يعملوا لهؤلاء شعرا يغنون فيه ، فقبل : ليس أحد أقدر على هذا من أبي العتاهية وهو في الحبس ، فوجه اليه الرشيد : قل شعرا حتى أسمعهم منهم ، ولم يأمر بإطلاقه ، فغاضه ذلك وقال : والله لأقولن شعرا يحزنه ولا يسر به ، فعمل شعرا ودفعه الى من حفظه من الملاحين ، فلما ركب الحراقة سمعه وهو :

خانك الطرف الطموح	* أيها القلب الجموح
لسدواعي الخير والشـ	* ر دنو ونزوح
هل لمطلوب بذنب	* توبة منه نصوح
كيف اصلاح قلوب	* انما هن قروح
أحسن الله بنسا	* ان الخطايا لا تفوح
فاذا المستور منا	* بين ثوبيه فضوح
كم راينا من عزيز	* طويت عنه الكشوح
صباح منه برجيل	* صائح الدهر الصلوح
موت بعض الناس في الآر	* ض على قوم فتوح
سيصير المرء يوما	* جسدا ما فيه روح
بين عيني كل حي	* علم الموت يصلوح
كلنا في غفلة والـ	* موت يغدو ويروح
لبنى الدنيا من الدنـ	* ما غبوق وصروح
رحن في الوشي وأصبحـ	* من عليهم المسروح
كل نطاح من الدهـ	* سر نه يوما نطوح
نح على نفسك يا مسـ	* سكين ان كنت تنوح
لتموتن وان عمـ	* مرت ما عمر نوح

فلما سمع ذلك الرشيد جعل يبكي وينتحب ، وكان الرشيد من أغزر الناس دموعا في وقت الموعظة ، وأشدهم عسفا في وقت الغضب والغلظة ، فلما رأى الفضل ابن الربيع كثرة بكائه أوما الى الملاحين أن يسكتوا .

لما عقد الرشيد العهد لبنيه الثلاثة : الأمين والمأمون والمؤتمن ، قال أبو العتاهية :

رحلت عن الربع المحيل قعودي	* الى ذي زحوف جمة وجنود
وداع يراعى الليل في حفظ أمة	* يدافع عنها الشر غير رقود

بالؤية جبريل يقدم أهلها * ورايات نصر حوله وبنود
تجافى عن الدنيا وأيقن أنها * مفارقة ليست بدار خلود
وشد عرى الاسلام منه بفتية * ثلاثة أملاك ولاة عهد
هم خير أولاد لهم خير والد * له خير آباء مضت وجود
بنو المصطفى هارون حول سريره * فخير قيام حوله وقعود
تقلب الحاظ المهابة بينهم * عيون ظباء فى قلوب أسود
جلودهم شمس آتت فى أهلة * تبدت لراء فى نجوم سعود
فوصله الرشيد بصلة ما وصل مثلها شاعرا قط .

١٢ - مسلم (١) بن الوليد

أحد الشعراء المفلقين والبلغاء المبتدئين

قال الشعر فى صباه ، ولم يتجاوز به الأمراء والرؤساء ، مكتفيا بما يناله من قليل العطاء ، وينفقه على ملاذه مع اخوانه من خلعاء الشعراء ، ثم انقطع الى يزيد ابن يزيد الشيباني قائد الرشيد ، ثم اتصل بالخليفة هارون الرشيد وعده من شعرائه ، ومدحه ومدح البرامكة وحسن رأيهم فيه . ولما أصبح الحل والعقد بيد ذى الرياستين الفضل بن سهل وزير المأمون فى أول خلافته قربه وأمانه : لأنه كان من خاصته قبل وزارته ، وولاه أعمالا بجرجان اكتسب منها ألف ألف درهم ثم لزم منزله الى أن أنفقها فى اللذات ، وعاد الى الفضل فقلده الضياع بأصبهان فاكسب منها ألف ألف أيضا . ولما قتل الفضل لزم منزله ونسك ولم يمدح أحدا الى أن مات بجرجان .

(١) هو مسلم بن الوليد مولى الانصار يلقب « حريع الخوانى » ، شاعر متقدم من شعراء الدولة العباسية ، حنشؤه ومولده الكوفة . وهو فيما زعموا أول من قال الشعر المعروف بالبديع ، وهو لقب هذا الجنس البديع واللطيف ، وتبعه فيه جماعة ، وأشهرهم فيه أبو تمام الطائي ، فانه جعل شعره كله مذهباً واحداً فيه ، ومسلم كان متفننا متصرفا فى شعره . قال محمد بن يزيد : كان مسلم شاعرا حسن النمط ، جيد القول فى الشراب ، وكثير من الرواة يقرنه بأبى نولس فى هذا المعنى ، وهو أول من عتق هذه المعانى الظريفة واستخرجها . وقال القاسم بن مهرويه : أول من أقسد الشعر مسلم ابن الوليد ، جاء بهذا الفن الذى سماه الناس البديع ثم جاء الطائي بعده فتفنن فيه . توفي بجرجان سنة ٢٠٨ هـ وله ديوان مطبوع فى لندن سنة ١٨٧٥ م . وتجد أخباره فى الأغاني (ج ١٣ ص ٩) والشعر والشعراء (ص ٥٢٨) والعقد الفريد (ج ١ ص ١٤٢) .

ومسلم أول من تكلف البديع في شعره واستكثر منه في قوله ، وسبقه بشار
إلى ذلك إلا أنه لم يبلغ شأو مسلم فيه . وقد عد العلماء هذا التصنع والتكلف
إفسادا للشعر ، إذ قد تبعه في ذلك الشعراء مثل البحتري وأبى تمام وابن المعتز
وغيرهم .

وقد مزج مسلم كلام البدويين بكلام الحضريين ، فضمنه المعاني اللطيفة ، وكساه
الآلفاظ الظريفة ، فله جزالة البدويين ، ورقة الحضريين .

لقى مسلم أبا نواس فقال له : ما أعرف لك بيتا إلا فيه سقط ، قال له :
فما تحفظ من ذلك ؟ قال : قل أنت ما شئت حتى أريك سقطك فيه ، فأنشد :

ذكر الصبوح بسحرة فارتاحا * وأمله ديك الصباح صياحا

فقال له مسلم : فلم أمله وهو الذي أذكره وبه أرتاح ؟ فقال أبو نواس :
فأنشدني شيئا من شعرك ليس فيه خلل ، فأنشده مسلم :

عاصي الشباب قراح غير مفند * وأقام بين عزيمة وتجلد

فقال له أبو نواس : قد جعلته رائحا مقيما في حالة واحدة وبيت واحد ،
فتشاعبا وتسابا ساعة . وكلا البيتين صحيح المعنى .

اجتمع أصحاب المأمون عنده يوما ، فأفاضوا في ذكر الشعر والشعراء ، فقال
له بعضهم : أين أنت يا أمير المؤمنين من مسلم بن الوليد ؟ قال : حيث يقول ماذا ؟
قال : حيث يقول وقد رثى رجلا :

أرادوا ليخفوا قبره عن علوه * فطيب تراب القبر دل على القبر

وحيث مدح رجلا بالشجاعة فقال :

يجود بالنفس إذ غن الجواد بها * والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وهجا رجلا بقبح الوجه والأخلاق فقال :

قبحت مناظره فحين خبرته * حسنت مناظره لقبح المخبر

وتغازل فقال :

هوى يجد وحبيب يلعب * أنت لقي بينهما معذب

فقال المأمون : هذا أشعر من خضتم اليوم في ذكره .

قال يزيد بن يزيد : أرسل الى الرشيد يوما فى وقت لا يرسل فيه الى مثلى ،
فأتيته لابسا سلاحى مستعدا لأمر ان أراده منى ، فلما رآنى ضحك الى ثم قال :
يا يزيد ، خبرنى من الذى يقول فيك :

تراء فى الأمن فى درع مضاعفة * لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل
ضافى العنان طموح العين همته * فك العناة وأسر الفاتك الخطل

فقال : لا أعرفه يا أمير المؤمنين ، فقال : سوء لك من سيد قوم يمدح بمثل
هذا الشعر ولا يعرف قائله ، وقد بلغ أمير المؤمنين فرواه ووصل قائله ، وهو مسلم
ابن الوليد ! فأنصرفت فدعوت به ووصلته ووليته .

وروى أنه دخل على الرشيد فقال له : يا يزيد ، من الذى يقول فيك :

لا يعبق الطيب خديه ومفرقه * ولا يمسح عينيه من الكحل
إذا انتضى سيفه كانت مسالكه * مسالك الموت فى الأبدان والقلل
وان خلت بحديث النفس فكرته * حتى الرجاء ومات الخوف من وجل
كأليث ان هجته فالوت راحته * لا يستريح الى الأيام والدول

فقال : لا أعرف قائله يا أمير المؤمنين ، فقال له هارون : أيقال فيك مثل هذا
الشعر ولا تعرف قائله ! فخرج من عنده خجلا ، فلما صار الى منزله دعا حاجبه فقال
له : من بالباب من الشعراء ؟ قال : مسلم بن الوليد قال : وكيف حجبته عنى ،
فلم تعلمنى بمكانه ! فقال : أخبرته أنك مضيق ، وأنه ليس فى يدك شئ تعطيه
إياه ، وسألته الامساك والمقام أياما الى أن تتسع ، فأنكر ذلك وقال : أدخله ، فأدخله
إليه ، فأنشده قوله فيه :

أجرت (١) حبل خليع فى الصبا غزل * وشمرت همم العذال فى على
هاج البكاء على العين الطموح (٢) هوى * مفرق بين توديع ومحتمل
كيف السلو لقلب راح مختبلا * يهنى بصاحب قلب غير مختبل
عاصى العزاء غداة البين منهمل * من الدموع جرى فى اثر منهمل
لولا مداراة دمع العين لانكشفت * منى سرائر لم تظهر ولم تغل (٣)

(١) أجرت فلانا رسنه : تركته وشأنه ، والخليع : الذى خلع عذاره فى الصبا .

(٢) الطموح : المرهقة فى النظر الى الاحبة . ومفرق : مقسم .

(٣) أى لم تظن بى .

أما كفى البين أن أرمى باسمه * حتى زمانى بلحظ الأعين النجل
 مما جنى لى وإن كانت منى صدقت * صباية خلس التسلیم بالمقل
 ماذا على الدهر لو لانت عريكته * ورد فى الرأس منى سكرة الغزل
 جرم الحوادث عندى أنها اختلست * منى بنات غذاء الكرم والكلل (١)
 ورب يسوم من اللذات محستضر * قصرته بلقاء الراح والخلل (٢)
 وليلة خاست للعين من ستة * هتكت فيها الصبا عن بيضة الحجل
 قد كان دهرى وما بى اليوم من كبر * شرب المدام وعزف القينة العطل
 اذا شكوت اليها الحب خفرها (٣) * شكواى فاحمر خذاها من الخجل
 كم قد قطعت وعين الدهر راقدة * أيامه بئس صبا واللهو والجذل
 وطيب الفرع أصفانى مودته * كافاته بمديح فيه منتخل (٤)
 وبلدة لطايا الركب منضية (٥) * أنصيتها بوجيف الأيتق الذلل
 فيم المقام وهذا النجم (٦) معترضا * دنا النجاء وحان السير فارتحل
 يا مائل الرأس ان الليث مفترس * ميل الجماجم والأعناق فاعتدل
 حذار من أسد ضرامة بطل * لا يولغ السيف الا مهجة البطل
 لولا يزيد لأضحى الملك مطردا (٧) * أو مائل السمك أو مسترخى الطول
 سل الخليفة سيفاً من بنى مطر * أقام قائمه من كان ذا ميل
 كم صائل فى ذرا تهيد مملكة * لولا يزيد بنى شيبان لم يصل
 ناب الامام الذى يفتز عنه اذا * ما افترت الحرب عن أنيابها العصل
 من كان يختل قرنا عند موقفه * فسان قرن يزيد غير مختل
 سد الثغور يزيد بعد ما انفجرت * بقائم السيف لا بالختل والحيل
 كم قد أذاق حمام الموت من بطل * حامى الحقيقة لا يؤتى من الوهل
 أغر أبيض يفشى البيض أبيض لا * يرضى لولاه يوم الروع بالفشل

(١) يريد الخمر والجوارى .

(٢) محستضر ، أى حضرته اللذات . والخلل : جمع خلة وهى الصدبة .

(٣) خفرها ، أى ولد عليها الخفر وهو شدة الحياء .

(٤) أى مختار .

(٥) منضية : متعبة . والوجيف : ضرب من السير . والذلل : الضامرات .

(٦) يريد بالنجم : الثريا . ومعترضا : متصيا .

(٧) مطردا ، أى مخذولا . وضرب السمك والطول مثلاً .

يغشى النوى وشهاب الموت فى يده * يرمى الفوارس والأبطال بالشعن
يفتر عند اقترار الحرب مبتسما * ١٦ تغير وجه الفارس البطل
موف على مهج واليوم ذو وهج * كأنه أجمل يسعى الى أمل
ينال بارفق ما يصيا الرجال به * كالموت مستعجلا يأتى على مهل
لا يلقح الحرب الا ريث ينتجها * من هالك وأسير غير مختل
ان شميم بارقه حالت خلائقه * بين العطية والامساك والعلل
يغشى المنايا المنايا ثم يفرجها * عن النفوس مطلات على انهبل (١)
يرجل الناس الا نحو حجرته * كذبيت (٢) يضحي اليه منتقى السبل
يقرى المنية ارواح انكناة كما * يقرى الضيوف شحوم الكوم والبزل (٣)
يكسو السيوف دماء الناكثين به * ويجعل الهام تيجان القنا الذبل
يفد فتعدو المنايا فى أسنته * شوارعا تتحدى الناس بالأجل
اذا طغت فئة عن غب طاعتها * عبي لها الموت بين البيض والأسل
فد عود الطير عادات وثقن بها * فهن يتبعنه فى كل مرتحل
تراء فى الأمن فى درع مضاعفة * لا يأمن الدهر ان يدعى على عجل
ضافى العنان طموح العين همته * فك العناة (٤) وأسر الفاتك الخطل
لا يعبق الطيب خديه ومفرقه * ولا يمسح عينيه من الكحل
اذا انتضى سيفه كانت مسالكة * مسالك الموت فى الأبدان والقلل
وان خلت بحديث النفس فكرته * حى الرجاء ومات الخوف من وجل
كأليل ان هجته فالموت راحته * لا يستريح الى الأيام والدول
ان الحوادث لما رمن هضيبته (٥) * أزمعن عن جار شيبان بمنتقل
فالدهر يغبط اولاه وأواخره * اذا لم يكن كان فى اعصاره الاول
اذا الشريكى (٦) لم يفخر على أحد * تكلم الفخر عنه غير منتحل
لا تكذب فان الحسام معدنه * وراثته فى بنى شيبان لم تزل

(١) الهبل : فقدان .

(٢) يعنى البيت الحرام .

(٣) الكوم : العظام الاسنمية واحدها كوما . والبزل : جمع بازل وهو ما له تسعة أعوام .

(٤) جمع عان وهو الأمير : والخيل : ذو الخطل وهو الخطأ .

(٥) هذا مثل ، يريد لما رمت الحوادث من استخبار به .

(٦) نسبة الى شريك ، وهو أحد أجدها يزيد .

سلوا السيوف فأغشوا من يحاربهم * خبطا بها غير ما نكل ولا وكل
 الزائديون قسوم في رماحهم * خوف الخائف وأمن الخائف الوجل
 كبيرهم لا تقوم الراسيات له * حلما وطفلهم في هدى مكتهل
 اسلم يزيد فما في الدين من أود * اذا سلمت وما في الملك من خلل
 أثبت سوق بنى الاسلام فاطادت (١) * يوم الخليج وقد قامت على زلل
 لولا دفاعك بأس الروم اذ بكرت * عن (٢) عترة الدين لم تأمن من الشكل
 ويوسف (٣) البرم قد صبحت عسكره * بعسكر يلفظ الأقدار ذى زجل
 غافصته (٤) يوم عبر النهر مهلته * وكان محتجزا فى الحرب بالمهل
 والمارق ابن طريف (٥) قد دلفت له * بعسكر للمنايا مسبل هطل
 لما رآك مجدا فى منيته * وأن دفعك لا يسطاع بالحيل
 شام النزال فابرت اللقاء له * مقدم الخطو فيها غير متكل
 ماتوا وأنت غليل فى صدورهم * وكان سيفك يستشفى من الغل
 لو أن غير شريكى أطاف به * فاز الوليد بقدر الناضل (٦) الخصل
 وقمت بالدين يوم الرس (٧) فاعتدلت * منه قوائم قد أوفت على ميل
 عما كان جمعهم لما لقيتهم * لآب جيشك بالأسرى وبالنفل
 تابوا ولو لم يتوبوا من ذنوبهم * الا كمثل نعام ريع منجفل
 كم آمن لك نائى الدار ممتنع * أخرجته من حصون الملك والحوّل
 يابى لك الدم فى يوميك ان ذكرنا * غضب حسام وعرض غير مبتدل
 ومارقين غزاة من بيوتهم * لا ينكلون ولا يؤتون من تكل
 خلفت أجسادهم والطين عاكفة * فيها وأقفلتهم هاما مع القفل

(١) هكذا فى الأصل . وعندنا أن الكلمة معرفة عن (اطلت) أى ثبتت . وهى وزان افتعل

من وطلد . وكانت أوتلد ثم قبلت فاء الافتعال تاء وأدغم المثل فى المثل .

(٢) عترة الدين : جماعة الاسلام .

(٣) أحد الخوارج على الرشيد .

(٤) غافصه : فاجاه على غرة

(٥) هو الوليد بن طريف الضارى .

(٦) الناضل : المصيب . والخصل مثله .

(٧) الرس : وادى أنريجان .

فافخر فما لك في شيبان من مثل * كذاك ما لبني شيبان من مثل
 كم مشهد لك لا تحصى مآثره * قسمت فيه كرزق الانس والخبيل
 لله من هاشم في أرضه جبل * وأنت وابنك ركن ذلك الجبل
 قد اعظموك فما تدعى لهيئة * الا لمعضلة تستن (١) بالمعضل
 يا رب مكرمة أصبحت واحدا * أعيت صناديد راموها فلم تنل
 تشاغل الناس بالدنيا وزخرفها * وأنت من بذلك المعروف في شغل
 أقسمت ما ذب عن جدواك طالبها * ولا دفعت اعتزام الجسد بالهزل
 يابى لسانك منع الجود سائله * فما يلجلج بين الجود والبخل
 صدقت ظني وصدقت الظنون به * وحط جودك عقد الرجل عن جهل

فقال له يزيد : قد أمرنا لك بخمسين ألف درهم فاقبضها واعذر ، فخرج
 الحاجب فقال لمسلم : قد أمرني أن أرهن ضيعة من ضياعه على مائة ألف درهم :
 خمسون ألفا منها لك وخمسون ألفا لنفقتك ، فأعطاه أياها . وكتب صاحب الخبر
 بذلك الى الرشيد ، فأمر ليزيد بمائتي ألف درهم وقال : اقض الخمسين ألفا التي
 أخذها الشاعر وزده مثلها ، وخذ مائة ألف لنفقتك ، فافتك ضيعة وأعطى مسلما
 خمسين ألفا أخرى . ولما أنشده : « لا يعبق الطيب » البيت . قال لجاريتته : حرم
 علينا مسلم الطيب .

كان داود بن يزيد بن حاتم المهلبى يجلس للشعراء في السنة مجلسا واحدا ،
 فيقصدهونه لذلك اليوم وينشدونه ، فوجه اليه مسلم راويته بقصيدته التي
 أولها : « لا تدع بى الشوق » فقدم عليه يوم جلوسه للشعراء ولحقه بعقب خروجهم
 عنه ، فتقدم الى الحاجب وحسر لثامه عن وجهه ، ثم قال له : استأذن لى على الأمير ،
 قال : ومن أنت ؟ قال : شاعر ، قال : قد انصرم وقتك وانصرف الشعراء وهو
 على القيام ، فقال له : ويحك ! انى قد وفدت على الأمير بشعر ما قالت العرب مثله ،
 وكان مع الحاجب أدب يفهم به ما يسمع ، فقال : هات حتى أسمع ، فان كان الأمر
 كما ذكرت أوصلتك اليه ، فأنشده بعض القصيدة ، فسمع شيئا يقصر عنه الوصف ،
 فدخل على داود فقال له : قدم على الأمير شاعر بشعر ما قيل فيك مثله ، فقال : أدخل
 قائله ، فلما مثل بين يديه سلم وقال : قدمت على الأمير - أعزه الله - بمدح يسمعه
 فيعلم تقدمى على غيرى ممن امتدحه ، فقال : هات ، فلما افتتح القصيدة وقال :
 « لا تدع بى الشوق » استوى جالسا وأطرق حتى أتى الرجل على آخر الشعر ،
 ثم رفع رأسه اليه فقال : أهذا شعرك ؟ قال : نعم أيها الأمير ، قال : فى كم قلته يا فتى؟

(١) تستن بالعضل : تتابع بالعصر . والمعضلة : الداهية .

قال : فى أربعة أشهر أبقاك الله ، قال : لو قاتله فى ثمانية أشهر لكنت محسنا ، وقد اتهمتك ، لجودة شعرك وخمول ذكرك ، فان كنت قاتل هذا الشعر فقد أنظرتك أربعة أشهر فى مثله ، وأمرت بالاجراء عليك ، فان جئتنا بمثل هذا الشعر وهبت لك مائة ألف درهم والا حرمتك ، فقال : أو الاقالة أعز الله الأمير ، قال : قد أقنتك ، قال : الشعر لمسلم بن الوليد وأنا راويته والوافد عليك بشعره ، فقال : أنا ابن حاتم ، انك لما افتنعت شعره فقلت : « لاتدع بى الشوق انى غير معمود » سمعت كلام مسام ينادينى ، فأجبت ندائه واستويت جالسا ثم قال : يا غلام ، أعطه عشرة آلاف درهم ، واحمل الساعة الى مسلم مائة ألف درهم . وهذه هى القصيدة :

لا تدع بى الشوق انى غير معمود	* نهى النهى عن هوى الهيف الرعايد-(١)
لو شئت لا شئت راجعت الصبا ومشت	* فى العيون وفاتتنى بمجلود (٢)
سل ليلة الخيف هل أمضيت آخرها	* بالراح تحت نسيم الخرد الفيد
شجبت بها بلعاب المزن فاغترلت (٣)	* نسجين من بين محلول ومعمود
كلا الجديدين قد أطعمت خبرته (٤)	* لو آل حى الى عمر وتخليد
أهلا بوافدة للشيب واحدة	* وان تراءت بشخص غير مودود
لا أجمع الحلم والصهبا قد سكنت	* نفسى الى الماء عمن ماء العنايد
لم ينهني فند (٥) عنها ولا كبر	* لكن صحوت وغصنى غير مخضود
أوفى بى الحلم واقتاد النهى طلقا	* شاوى وعفت الصبا من غير تفنيد
اذا تجافت بى الهمات عن بلد	* نازعت أرضا ولم أحفل بتهييد
لا تطبيني (٦) المنى عن جهد مطلب	* ولا أحول لشيء غير موجود
ومجهل كاطراد السيف محتجز	* عن الأدلاء مسجور الصياخيد
تمشى الرياح به حصى مولهة	* حوى تلوذ بأطراف الجلاميد

(١) لا تدع بى الشوق ، أى لا تدعنى مشتاقا . وسأله دعبل عن معنى ذلك فقال : لا تدعنى صريح الفوائى فليست كذلك ، وكان لهذا اللقب كارها . ومعمود : عاشق ، والهيف : الضامرات النصور .

(٢) أى ذهبت بيجليدى .

(٣) اغترلت : اختلطت ، ويريد بالتسجين : ما ولى الماء من الخمر أسرع فيه الماء فحله . وما ولى منها القاع بقى على حاله لم يحله لاء بعد .

(٤) العبرة : النعيم .

(٥) الفند : اللوم . والمخضود : الواهن .

(٦) أى لا تدعونى الى نفسها .

موقف المتن لا تهضى السبيل به * الا التخلل ريشا بعد تجهيد
 قريته الوخد من خطارة سرح (١) * تفسرى الفلاة بارقال وتوخيد
 اليك بادرت اسفار انصباح بها * من جنح ليل رحيب الباع ممدود
 وبلدة ذات غول لا سبيل بها * الا الظنون والا سرح السبيد
 كان اعلامها والال يركبها * بدن توافى بها نذر الى عيد
 تلفت أهوالها عينا مؤرقة * اليك لولاك لم تكحل بتسهيده
 حتى أتنك بى الآمال مطلعا * ليسر عنذك فى سربال محسود
 من بعد ما ألت الأيام لى عرضا * ملقى رهين (٢) لحد السلف مصفود
 وساورتنى بنات الدهر فامتحننت * ربحى بمحلة (٣) شهباء جارود
 الى بنى حاتم أدى ركائبنا * خوض الدجى وسرى المهرية القود
 تطوى النهار فان ليل تخمطها (٤) * باتت تخمط هامات القرايد
 مثل السمام (٥) بعيدات المقيلا اذا * ألقى الهجير يدا فى كل صيخود
 حلت بدود فامتاحت وأعجلها * حلو النصال على أين وتحرید (٦)
 أعطى فافنى المنى أدنى عطيته * وأرهق الوعد نجحا غير منكود
 والله أظفا نار الحرب اذ سعرت * شرقا بموقدها فى الغرب داود
 لم يات أمرا ولم يظهر على حدث * الا أعين بتوفيق وتسبيد
 موحد الراى تنشق الظنون له * عن كل ملتبس منها ومعقود
 تمنى الأمور له من نحو أوجهها * وان سلكن سبيلا غير مورود
 اذا أباحت حمى قوم عقوبته * غادى له الغفو قوما بالراصيد
 كالثيث بل مثله الليث الهصور اذا * غنى الحديد غنبا غير تغريد
 يلقي المنية فى أمثال عدتها * كالسيل يقدف جلودا بجلمود
 ان قصر الرمح لم يمش الخطا عددا * أو عرد السيف لم يهزم بتعريد

(١) الخطارة : الناقة تحرك ذنبها • والسرح الخفية •

(٢) الرهين : الأسير • والمصفود : الموثق بالحديد •

(٣) المحلة : السنة الجديدة • والجارود المنجدة من اللبثات •

(٤) تخمطها : سال بها • والقرايد : جمع قرودة ، وهو من الجبال •

(٥) السمام : ضائق يشبه القطا • والصيخود : شدة الحر •

(٦) التحريد من الحرد ، وهو داء يصيب الابل فى قوائمها • والأين : التعب •

اذا رعى بلدا داني مناهله * وان بنين على شـحـط وتبعيد
 جرى فأدرك لم يعنف بمهلتـه * واستودع البهر (١) أنفاس المجاويد
 آل المهلب قوم لا يزال لهم * رق الصريح (٢) وأسـلـاب المداويد
 مظفرون تصيب الحرب أنفسهم * اذا الفرار تمطي بالحاييد (٣)
 نجل مناجيب لم يعدم تلادهم * فتي يرجى لنقض أو لتوكيد
 قوم اذا هدأة (٤) شامت سيوفهم * فانها عقل الكوم المقاحيد
 نفسي فداؤك يا داود اذ علقت * أيـدى الردى بنواصي الضمر القود
 داويت من داتها كرمـان وانتصفت * بك المنون لأقوام مجاهيد
 ملأتهـا فرعا أخلـى معاقلها * من كل أبلخ (٥) سامى الطرف صنديد
 لما نزلت على أدنى بلادهم * أنقى اليك الأقاصى بالمقاليد
 لمستهم ييد للعفو متصل * بها الردى بين تلين وتشديد
 آتيتهم من وراء الأمن مطالعا * بالخيـل تـردى بأبطال مناجيد
 وطار فى اثر من طار الفرار به * خوف يعارضه فى كل أخيد
 فاتوا الردى وظلمات الموت تشدهم * وأنت نصب المنايا غير مشود
 ولو تلبث ديان لها رويت * منه ولكن شأها علو مزود (٦)
 أحرزه أجل ما كاد يحـرـزه * فـمر يطوى على أحشاء مفثود (٧)
 ورأس مهران قد ركبـت قـلتـه * لدنا كفاه مكان الكليت والجيد
 قد كان فى معزل حتى بعثت له * أم المنية فى ابنائها الصيد
 آجن أم أسلمته الفاضحات الى * حد من السيف من يعلق به يود
 الحقته صاحبيه فاستمر بهم * ضرب يفرق ضـمـبات (٨) المقاحيد

(١) البهر : هو ما يعترى الانسان عند العدو من اللهث وتتابع النفس .

(٢) رق الصريح ، أى استعباد الحر . والمداويد : الاتجاد واحده مذود .

(٣) الحاييد : الجبناء جمع حيايد .

(٤) الهدأة : الفترة .

(٥) الأبلخ : التكبـير .

(٦) شأها : سبقها . ومزود : مرعوب .

(٧) المفثود : الذى أصيب فـؤاده .

(٨) الضمبات : أوصال الرأس . والمقاحيد : جمع قمحودة وهى العظم الناتئ فى مؤخرة الرأس

بين القتا وأعلى الرأس .

أعذر (١) من فر من حرب صبرت لها * يوم استضيت سجستان (٢) طوائفها
ناهضتهم ذائد الاسلالم تفرعهم * تجود بالنفس اذ أنت الضنين بها
تلك الأزارق اذ ضل الدليل بها * كان الحصين يرجى أن يفوز بها
ما زال يعنف بالنعى ويفمطها * وضعت حيث ترتاب (٣) الرياح به
تغدو الضواري فترميها بأعينها * يتبعن أفياء (٤) طورا وموقعه
فكان فارط قوم حان مكرهم * يوم جراشة اذ شيبان موجفة (٥)
زاحفته بابن سفيان فكان له * نجا قليلا ووافى زجر عائفه
ولى وقد جرعت منه القنا جرعا * زالت حشاشته عن صدر معتدل
اذا السيوف أصابته تقطع فى * يفدى بها نعلته من خلافته
حل اللواء وخال الخدر عاتده * وان يكن شبها حربا وقد خملت
كل مثلت به فى مثل خطه *

يوم الحصين شمعار غير مجود * عليك من طالب وترا ومقود
عنه ثلاث ومثنى بالواحييد * والجود بالنفس أقصى غاية الجود
لم يخطها القصد من أسياف داود * حتى أخذت عليه بالأخايد
حتى استقل به عود على عود * وتحسد الطير فيه أضبع البيد
تستشق الجو أنفاسا بتصيد * يلغن فى علق منه وتجسيد
بارض زادن شتى فى المواريد * ينجون منك بشلو منه مقدود
ثباء يوم بظهر الغيب مشهود * يسومه طير منحوس ومسعود
حي المخافة ميتا غير مودود * داني الكعوب بعيد الصدر أملود (٦)
سراق بحوامي الخيل ممدود * حشاشة الركض من جرداء (٧) قيدود
فعاذ بالخدر ترب الكاعب الرود * فنائيا حيث لا هيد ولا هيد (٨)
قتلا وأضجعتة فى غير ملحود *

(١) أعذر : جاء بما يعذر عليه .

(٢) أى أغرت طوائفها .

(٣) ترتاب : أى تستنكر .

(٤) الأفياء : جمع فئ وهو الظل آخر النهار . والجسد : العم .

(٥) موجفة : سريعة .

(٦) أملود : أملس .

(٧) الجرداء : قصيرة الشعر . والقيدود : الناقة الطويلة الظهر .

(٨) كلمتان يزجر بهما الابل .

عاقوا رضاك فعاقبتهم بعقوتهم (١) *
 وأنت بالسند اذ هاج الصريح بها *
 واستغزر القوم كأسا من دماهم *
 رددت أهملها (٢) القصوى مخيصة *
 كنت المهلب حتى شك عالمهم *
 لم تقبل السلم الا بعد مقدرة *
 حتى أجابوك من مستأمن حذر *
 اهلى اليك على الشحاء ألفتهم *
 وفي يديك بقايا من سرائهم *
 أن تعف عنهم فأهل العفو أنت وإن *
 اسمع فانك قد هيئت ملحمة *
 اقلق أبا مالك فيها يكنك بها *
 يمضى بعزمك أو يجرى بشأوك أو *
 لا يعدمك حمى الاسلام من ملك *
 كفيت في الملك حتى لم يقف احد *
 اعطيتهم منك نصحا لا كفاء له *
 لم يبعث الدهر يوما بعد ليلته *
 أجرى لك الله أيام الحياة على *
 لا يفقد الدين خيلا أنت قائدها *
 مجملات اذا آبت غنائمها *
 هناك أنك مغلى كل ملتص *
 تستأنف الحمد في دهر أوائله *
 اذا عزمت على أمر بطشت به *
 عودت نفسك عادات خلقت لها *

* عن الحياة منايهم لمعود
 * واستنفدت حربها كيد المكاييد
 * وأحلق الموت بالكرار والحديد
 * وشممت بالبيض عورات المراضيد
 * ثم انفردت ولم تسبق بتسويد
 * ولا تألفت الا بعد تبسيد
 * راج ومنتظر حثفا ومثمود
 * موت تفرق في شتى عباديد
 * هم لديك على وعد وتوعيد
 * تمض العقاب فأمر غير مردود
 * وفدت منها بأرواح الصناديد
 * ويسع فيها بجد منك مجود
 * يفرى بحدك كل غير مجود
 * أقمت قتلته من بعد تأويد
 * على ضياع ولم يحزن لفقود
 * وأيدوك بركن غير مهود
 * الا انبعثت له بالبأس والجود
 * فعل حميد وجد غير منكود
 * يعهدن في كل ثغر غير معهود
 * ومقدمات على نصر وتأيد
 * جودا وأنت ماوى كل مطرود
 * موسومة بفعال منك محمود
 * وان أنلت فيلا غير تصريد
 * صدق الحديث وانجاز المواعيد

(١) بعقوتهم ، أى بفنائهم .

(٢) الأهمال ، جمع همل ، وهو الشراء المسيب ، ويراد به الصعب ، ومخيصة : منزلة .

دخل الوليد على الفضل بن سهل لينشده شعرا ، فقال له : أيها الكهل ،
انى أجلك عن الشعر فسل حاجتك ، قال : بل تستتم اليد عندي بأن تسمع ،
فأنشده :

دموعها من حذار الين تنسكب * وقلبها مغرم من حرها يجب
جد الرحيل به عنها ففارقها * لبينه اللهو واللذات والطرب
يهوى المسير الى مرو ويحزنه * فراقها فهو ذو نفسين يرتقب

فقال له الفضل : انى لأجلك عن الشعر ، قال : فأغنى بما أحببت من عملك ،
فولاه البريد بجرجان (١) .

هجا مسلم قریشا وفخر بالأنصار بشعر يمثل لك ناحية من نواحي العصبية
بين القبائل وهو يعتبر ، الى حد ما ، من الشعر السياسى ، فقال :

قل لمن تاه اذ بنا عز جهلا *	ليس بالتيه يفخر الأحرار
فتناهاوا وأقصروا فلقد جا *	رت عن القصد منكم الأبصار
أيكم حاط ذا جوار بعز *	قبل أن تحتويه منا الدار
او رجا أن يفوت قوما بوتر *	لم تزل تمتطيهم الأوتار
لم يكن ذاك فيكم قدعوا الفخ *	مر بما لا يسوغ فيه افتخار
ونزارا ففاخسروا تفضلوهم *	ودعوا من له عبيد نزار
فبنا عز منكم الذل والده *	مر عليكم بربسه كرار
حاذروا دولة الزمان عليكم *	انه بين أهله أطوار
فتردوا ونحن للحالة الأو *	لى وللأوحد الأذل الصغار
فاخرتنا لما بسطنا لها الفخ *	مر قریش وفخرها مستعار
ذكرت عزها وما كان فيها *	قبل أن تستجيرنا مستجار
انما كان عزها فى جبال *	ترقيها كما ترقى الوبار
أيها الفاخرون بالعز والع *	ز لقوم سواهم والفخار
أخبرونا من الأعز أئمة *	صور حتى أم الأنصار
فلنسا العز قبل عز قریش *	وقریش تلك الدهور تجار

(١) بلدة عظيمة كانت بالقرب من بحر قزوين الى الجنوب الشرقى منه .

فانبرى له ابن قنبر يجيبه فقال :

- ألا أمثل أمير المؤمنين بمسلم *
ولا ترجع عن قتله باستتابة *
ولا عن مساواة له ولقومه *
ويفخر بالأنصار جهلا على الذي *
وسموا به الأنصار لا عز قائل *
ومنهم رسول الله أذكى من انتمى *
وما كانت الأنصار قبل اعتصامها *
ولا بالألى يعلنون أقدار قومهم *
ولكنهم بالله عاذوا ونصبرهم *
فعرزوا وقد كانوا وفطيون فيهم *
يسومهم الفطيون مالا يسامه *
وان قریشا بالآثر فضلت *
فما بال هذا العليج ضل ضلاله *
يسامى قریشا مسلم وهم هم *
إذا قام فيه غيرهم لم يكن لهم *
جعاسيس (١) أشباه القروذ لو انهم *
وما مسلم من هؤلاء ولا إلى *
تولى زمانا غيرهم ثم ادعى *
فان يك منهم فالنضير ولفهم *
وان تدعه الأنصار مولى أسهم *
عقبا لهم في افكهم وادعائهم *
فلا ندعوه وانتفوا منه تسلموا *
والا ففضوا الطرف وانتظروا الردى *
ولم تجلوا عنها مجنا يجنكم *
وانتم بشو اذئاب من انتم له *
ولا ببني الراس الرفيع محله
- * وأقلق به الأحشاء من كل مجرم *
* فما هو عن شتم النبي بمحرم *
* قریشا بأصدااء لعاد وجرحهم *
* بنصرته فاثروا بحظ ومقنم *
* أراد قریشا بالمقام المذم *
* إلى نسب ذاك ومجد مقدم *
* بنصر قریش في المحل المعظم *
* صدااء وخولان ولخم وسلمهم *
* قریشا ومن يستعصم الله يعصم *
* من الدل في باب من العز مبهم *
* كريم ومن لا ينكر الظلم يظلم *
* على الخلق طرا من فصيح وأعجم *
* يمد اليهم كف أجلم أعسم *
* بمولى يمانى وبیت مهسلم *
* مقام به من لؤم مبنى ومدعهم *
* يباعون ما ابتيعوا جميعا بدرهم *
* ولكنة من نسل عليج ملكم *
* اليهم فلم يكرم ولما يكرم *
* موالیه لا من يدعى بالتزعم *
* بقافية تستكره الجلد بالدم *
* لأقلق منقوش الذراع موشم *
* بنفيكموه من مقال ومأثم *
* إذا اختلفت فيكم صوارد أسهمى *
* إذا اطلعت من كل فج ومعلم *
* ولستم بأبناء السنام المقدم *
* فيسمو بكم مولى مسام وينتهى

(١) الجعاسيس : اللثام فى الخلق والخلق .

فكيف رضيتم أن يسامى نبيكم * بييتكم الرث القصير المهدم
 ساحتهم من سامى النبی تطاولا * عليه وأكوى منتماه بهيمى
 أيعدل بيت يثربى بكعبه * ثوتها قریش فى المكان المحرم
 قریش خيار الله والله خصهم * بذلك فاتعس أيها العالج وارغم
 ومن تدعى منه الولاء مؤخر * اذا قيل للجارى الى المجد أقدم

وكان مسلم قال قصيدته فى قریش وكتما ، فوقعت الى ابن قنبر وأجابه عنها ،
 فاستعلى عليه وهتكه وأغرى به السلطان ، فلم يكن عند مسلم فى هذا جواب أكثر من
 الانتفاء منها ونسبتها الى ابن قنبر والادعاء عليه أنه ألصقها به ونسبها اليه ليعرضه
 للسلطان وخافه ، فقال ينتفى من هذه القصيدة :

دعوت أمير المؤمنين ولم تكن * هنالك ولكن من يخف يتجشم
 وانك اذ تدعو الخليفة ناصرا * لكالمترقى فى السماء بسلم
 كذاك الصدى تدعوه من حيث لا ترى * وان تتوهمه تمت فى التوهم
 هجوت قریشا عامدا ونحلتنى * رويدك يظهر ما تقول فيعلم
 اذا كان مثلى فى قبيل فانه * على ابن لوى قصرة غير متهم
 سيكشفك التعديل عما قذفتنى * به فتاخر عارفا أو تقدم
 فان قریشا لا يغادر ودها * ولا يستمال عهدا بالترحم
 مضى سلف منهم وصلى بعقبهم * لنا سلف فى الأول المتقام
 جروا فجرينا سابقين بسبقهم * كما اتبعت كف نواشر معصم
 وان الذى يسعى ليقطع بيننا * كملتس اليربوع فى حجر ارقم
 أضلك قرع الآبدات طريقها * فأصبحت من عميائها فى تهيم
 وخانتك عند الجرى لما اتبعها * تميم فحاولت العلا بالتقجم
 فأصبحت ترمينى بسهمى وتبقى * يلى يلى أصليت نارك فاضرم

ثم هجاه ابن قنبر بقصيدة أولها :

قل لعبد النضير مسلم الوغ * لى الدنى اللئيم سنخ النصاب
 اخس يا كلب اذ نبحت فانى * لست ممن يجيب نبج الكلاب
 أفأرضى ومنصبى منصب العمد * عز وبيتى فى ذروة الأحساب
 أن أحط الرفيع من سمك بيتى * بمهاجاة أوشب الأوشاب

من اذا سيل من أبوه بدا من * له حياء يحميه رجع الجواب
واذا قيل حين يقبل من أن * ت بذكرى فخرا لدى النسب
قلت هاجى ابن قنبر فتسربا * ت ومن تعتريه فى الأنساب

وهى قصيدة طويلة فلم يجبه عنها مسلم بشيء فقال فيه ابن قنبر أيضا :

لست أنفيك ان سواى نفاكا * عن أيك الذى له متماكا
ولماذا أنفيك يا بن الوليد * من أب ان ذكرته أخزاكا
ولسو انى طلبت آلام منه * لم أجده ان لم تكن أنت ذاكا
لو سواه أبوك كان جعلنا * ه اذا الناس طاوعونا أبساكا
حاك دهرنا بغير خلق لبرد * وتحوك الأشعار أنت كذاكا

ثم هجاه بشعر أقذع فيه ، فمشى اليه قوم من مشايخ الأنصار واستعانوا بمشيخة من قراء تميم وذوى الفضل والعلم ، فمشوا معهم اليه ، فقالوا : ألا تستحي من أن تهجو من لا يجيبك ! أنت بدأت الرجل فأجابك ، ثم عدت فكف ، وتجاوزت ذلك الى ذكر أعراض الأنصار التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحميها ويذب عنها ويصونها لغير حال أحلت ذلك منهم ، فما زالوا به يعظونه ويقولون له كل قول حتى أمسك عن المناقضة لمسلم فانقطعت .

ولمسلم بن الوليد :

وانى واسماعيل يوم وداعه * لكالعمد يوم الروع فارقه النصل
أما والجبال الممرات بيننا * وسائل أدتها المودة والوصل
لما خنت عهدا من اخاء ولا نأى * بذكرك نأى عن ضميرى ولا شغل
وانسى فى مالى وأهلى كائننى * لنأيك لا مال لدى ولا أهل
يذكرنيك الدين والفضل والحجا * وقيل الخنا والحلم والعلم والجهل
فألفاك عن مدمومها متزها * وألقاك فى محمودها ولك الفضل
وأحمد من أخلاقك البخل انه * بعرضك لا بالمال حاشا لك البخل
أمنتجعا مروا بأثقال همة * دع الثقل واحمل حاجة ما لها ثقل
ثناء كعرف الطيب يهدى لأهله * وليس له الا بنى خالد أهل
فان أغش قوما بعدهم أو أزورهم * فكألو حش يستدنيه للقنص المحل

- أحرق أنه أودى يزيد * تأمل أيها الناعي المشيد
أتدري من نعت فكيف فاهت * به شفتاك كان به الصعيد
أحامي المجد والاسلام أودى * فما للأرض ويحك لا تميد
تأمل هل ترى الاسلام مالت * دعائمه وهل شاب الوليد
وهل شيمه، صيوف بنى نزار * وهل وضعت عن الخيل اللبود
وهل تسقى البلاد عشار مزن * بدرتها وهل يخضر عود
أما هدت لمصره نزار * بلى وتقوض المجد المشيد
وحل ضريحه اذ حل فيه * طريف المجد والحسب التليد
أما والله ما تنفك عيني * عليك بدمعها أبدا تجود
فان تجمد دموع لئيم قوم * فليس لدمع ذي حسب جمود
أبهد يزيد تختزن البواكي * دموعا أو تصان لها خلود
لتبكك قبة الاسلام لما * وهت أظنا بها وهى العمود
ويبكك شاعر لم يبق دهر * له تشبها وقد كسد القصيد
فمن يدعو الامام لكل خطب * ينوب وكل معضلة تؤود
ومن يعمى الخميس اذا تعايا * بحيلة نفسه البطل النجيد
فان تهلك يزيد فكل جى * فريس للمنية أو طريد
ألم تعجب له أن المنبايا * فتكن به وهن له جنود
لقد عزى ربيعة ان يسوما * عليها مثل يومك لا يعود

١٣ - العباس بن الأحنف (١)

قال ابراهيم بن العباس يصفه : كان والله ممن اذا تكلم لم يحب سامعه أن يسكت ، وكان فصيحاً جميلاً طريفاً اللسان ، لو شئت أن تقول كلامه كله شعر نقلت .

وقال صالح بن عبد الوهاب : كان العباس من عرب خراسان ومنشؤه ببغداد ، ولم تزل العلماء تقدمه على كثير من المحدثين ، ولا تزال قد ترى له الشيء البازع جدا حتى تلحقه بالمحسنين .

وقال الجاحظ : لولا أن العباس بن الأحنف أحذق الناس وأشعرهم ، وأوسعهم كلاماً وخاطراً ، ما قدر أن يكثر شعره في مذهب واحد لا يجاوزه ، لأنه لا يهجو ولا يمدح ولا يتكسب ولا يتصرف ، وما نعلم شاعراً لزم فنا واحداً لزومه فأحسن فيه وأكثر .

انشد الحرمازي للعباس بن الأحنف :

لا جزى الله دمع عيني خيراً * وجزى الله كل خير لسانى
ثم دمعى فليس يكتم شيئاً * ورأيت اللسان ذا كتمان
كنت مثل الكتساب أخفاء طي * فاستدلوا عليه بالعنوان

ثم قال : هذا والله طراز يعقلب الشعراء مثله فلا يقدرُونَ عليه .

(١) كان العباس شاعراً غزلاً مطبوعاً من شعراء الدولة العباسية ، وله مذهب حسن ، ولد بباجة شعره رونق ، ولعانيه عذوبة ولطف ، ولم يكن يتجاوز الغزل إلى مديح ولا هجاء ، ولا يتصرف في شيء من هذه المعاني . وقدمه أبو العباس الجبوري في كتاب الروضة على نظرائه وأطلب في وصفه ، وقال : رأيت جماعة من الرواة للشعر يقدمونه ، قال : وكان العباس من الطلقاء . ولم يكن من العلماء ، وكان غزلاً ولم يكن فاسقاً ، وكان ظاهر الفحمة مملوكاً المذهب شديد الخلف ، وذلك بيننا في شعره ، وكان قصده الغزل وتخلله التصيب ، وكان حلواً مقبولا غزلاً غدير الفكر واسع الكلام كثير التصريف في الغزل وحده ، ولم يكن هجاء ولا مدحاً . وله ديوان طبع مع ديوان أبيه مطبوع بالستان سنة ١٢٩٨ هـ وتجد أخباره وأشعاره في الأغاني (ج ٨ من ١٥) وأيضاً خلكاه (ج ١ من ٣٤٦) والشعر والشعراء (ص ٥٢٥) .

وكان أبو الهذيل العلاف يبالغه ويلعنه لقوله :

إذا أردت سلوا كان ناصركم * قلبي وما أنا من قلبي بهنتهم
ذاكروا أو أقلوا من أساءتكم * فكل ذلك محمول على القدر

فكان أبو الهذيل يلعنه ويقول : يعقد الكفر والفجور في شعره ، فقال العباس -
وقال محمد يحيى : وأظن أنه يهجو به أبا الهذيل وما سمعت للعباس
هجا غيره :

يا من يكذب أخبار الرسول لقد * أخطأت في كل ما تأتي وما تذر
كذبت بالقدر الجارى عليك فقد * أتاك مني بما لا تشتهي القدر

قيل للأصمعي : ما أحسن ما تحفظ للمحدثين ؟ قال : قول العباس بن الأحنف :
لو كنت عاتبة لسكن روعتي * أمل رضاك وزرت غير مراقب
لكن مللت فلم تكن لي حيلة * صد الملول خلاف صد العائب
ودما أنشده له إبراهيم بن العباس :

قالت ظلوم سمية الظلم * مالى رأيتك ناكل الجسم
يا من رمى قلبى فأقصده * أنت العليم بموضع السهم

ولشعره الغزلى وقع فى النفس ، فأنهم كانوا يغنون كثيرا منه كقوله :

لو كنت عاتبة لسكن روعتي * أمل رضاك وزرت غير مراقب
لكن مللت فلم تكن لي حيلة * صد الملول خلاف صد العائب
وأنشده له الأصمعي :

اتأذنون لعصب فى زيارتهم * فعندكم شهوات السمع والبصر
لا يضر السوء ان طال الجلوس به * عف الضمير ولكن فاسق الظن

فقال : ما زال هذا الفتى يلدخل يده فى جرابه فلا يخرج شيئا حتى أدخلها
فأخرج هذا ، ومن آدمى فطلب شيء ففقد بيعة

وقال سعيد بن جنيده : ما أعرف أحسن من شعري للعباس فى الخفضاء أمره
سبب يقول :

أريدك بالسلام فأتقيهم * فأعمد بالسلام الى سواد
وأكثر فيهم ضحكى ليخفى * فسنى ضاحك والقلب باك

ومما تمثل به الوائق فى شر كان بينه وبين بعض جواريه :

عدل من الله أبكاني وأضحكها * فالحمد لله عدل كل ما صنعنا
اليوم أبكى على قلبى وأندبه * قلب ألح عليه الحب فأنصدعا

ومما تمثل به أيضا فى مثل ذلك :

أما تحسبىنى أرى العاشقين * بلى ثم لست أرى لى نظيرا
لعل الذى بيديه الأمور * سيجعل فى الكره خيرا كثيرا

وقال الزبير : ابن الأحنف أشعر الناس فى قوله :

تعمل بالشغل عنا ١٠ تكلمنا * الشغل للقلب ليس الشغل للبدن

ويقول : لا أعلم شيئا من أمور الدنيا خيرا وشرها الا وهو يصلح أن يتمثل فيه
بهذا النصف الأخير .

وقال اسحاق : لقد ظرف ابن الأحنف فى قوله - يصف طول عهده بالنوم - :

قلبا خبرانى أيها الرجلان * عن النوم ان الهجر عنه نهانى
وكيف يكون النوم أم كيف طعمه * صفا النوم لى ان كنتما تصفان

على قلة إعجابه بمثل هذه الأشعار .

قال أحمد بن إبراهيم : رأيت سلمة بن عاصم ومعه شعر العباس بن الأحنف ،
وقلت مثلك أعزك الله يحمل هذا ! فقال : ألا أحمل شعر من يقول :

أسأت إذ أحسنت ظنى بكم * والحرم سوء الظن بالناس
يقاقتنى الشقوق فأتىكم * القلب مملوء من اليأس

وقال أحمد بن إبراهيم : أتاني أعرابي فصيح ظريف ، فجعلت أكتب عنه أشياء حسنا ، ثم قال : أنشدني لأصحابكم الحضريين ، فأنشدته للعباس بن الأحنف :

ذكرتك بالتفاح لما شجته * وبالراح لما قابلت أوجه الشرب
تذكرت بالتفاح منك سوالفا * وبالراح طعما من مقبلك العذب

فقال : هذا عندك وأنت تكتب عني ! لا أنشدك حرفا بعد هذا .

وقال عبد الله بن العباس بن الفضل : ما أعرف في العراق أحسن من قول ابن الأحنف :

سبحان رب العلا ما كان أغفلني * عما رمتني به الأيام والزمن
من لم يلق فرقة الأحباب ثم يرى * آثارهم بعدهم لم يدرك ما الحزن

قال حسين بن الضحاك : لو جاء العباس بقول ما قاله في بيتين في أبيات لعذر ، وهو قوله :

لعمرك ما يستريح المحب حتى ينسوح بأسراره
فقد يكتنم المرء أسراره * فتظهر في بعض أشعاره
ثم قال : أما قوله في هذا المعنى الذي لم يتقدمه فيه أحد فهو :

الحب أملك للفؤاد بقره * من أن يرى للستر فيه نصيب
وإذا بدا سر اللبيب فانه * لم يبدا إلا والفتى مغلوب

وقال أبو العتاهية : ما حسدت أحدا إلا العباس بن الأحنف في قوله :

إذا امتنع القريب فلم تنله * على قسرب فذاك هو البعيد

وقال الكندي : العباس بن الأحنف مليح ظريف حكيم جزل في شعره ، وكان قليلا ما يرضيني الشعر ، فكان ينشد له كثيرا :

ألا تعجبون كما أعجب * حبيب يسي ولا يعتب
وأبغى رضاه على سخطه * فيأبسى على ويستصعب
فيأليت حظي إذا ما أسا * ت أنك ترضي ولا تغضب

وكان ابراهيم الموصلي مشغولاً بشعر العباس فيغنى في كثير من شعره ،
خمنا غنى فيه :

وقد ملئت ماء الشبّاب كأنها * قضيب من الريحان ريان أخضر
هم كتموني سيرهم حين أزمعوا * وقالوا اتصدنا للرواح وبكروا
ومنه :

تمنى رجال ما أحبوا وانما * تمنيت أن أشكو اليك وتسمعا
أرى كل معشوقين غيري وغيرها * قد استعذبا طول الهوى وتمتعا

ومنه :

بكت عيني لأنواع * من الحزن وأوجاع
وانى كل يوم عنـ * سدكم يحظى بي الساع
أعيش الدهر ان عشت * بقلب منك مرتاع
وان حل بي البعد * سيعناني لك الناع

وقال الواثق لجلسائه : أريد أن أصنع لحنا في شعر معناه أن الانسان كائنا من
كان لا يقدر على الاحتراس من عدوه ، فهل تعرفون في هذا شيئا ؟ فأنشدوه ضروبا من
الأشعار ، فقال : ما جئتم بشئ مثل قول العباس بن الأحنف :

قلبي الى ما خرنى داعى * يكثر اسقامى وأوجاعى
كيف احتراسى من عدوى اذا * كان عدوى بين اضلاعى
اسلمتى للحب أشياعى * لما سعى بي عندها الساعى
لقاما أبقي على كل ذا * يوشك أن ينعاني الناعى

ومما غنى فيه من شعره :

أبكى الذين أذاقوني مودتهم * حتى اذا أيقظوني للهوى رقدوا

وقال ابراهيم بن العباس : ما رأيت كلاما محدثا أجزل في رقة ، ولا أصعب في
سهولة ، ولا أبلغ في إيجاز ، من قول العباس بن الأحنف :

تعالى نجد دارس العهد بيتنا * تالانا على طول الجفاء ملوم

وأنشد ابراهيم بن العباس للأحنف :

ان قال لم يفعل وان سيل لم * يبذل وان عوتب لم يعتب
 صيب بعصيانى ولو قال لى * لا تشرب البارد ليم اشرب
 ايك اشكو رب ما حبل لى * من صد هذا الذنب المفضى
 ثم قال : هذا والله الكلام الحسن المعنى ، السهل المورد ، القريب المتناول ،
 المليح اللفظ ، العذب المستمع .

ومما غنى فيه من شعره :

نام من أهلى لى الأرقا * مستريحاً سامنى قلنا
 لو يبيت الناس كلهم * بسهادى بىض الحدقا
 كان لى قلب أعيش به * فاصطلى بالحب فاحترقا
 انا لم أرزق مودتكم * انما للعبد ما رزقا

وقال ابن المعتز : لو قيل : ما أحسن شئ تعرفه لقلت : شعر العباس بن الأحنف :

قد سحب الناس أذيال الظنون بنا * وفرق الناس فينا قولهم فرقا
 فكاذب قد رمى بالحسب غيركم * وهائق ليس يدري أنه صدقا

ومما تمثل به الفضل بن الربيع فى أمر كان بينه وبين احدى جواريه :

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه * وان كنت مظلوما فقبل انا ظالم
 فانك الا تغفر الذنب فى الهوى * يفارقك من تهوى وانفك راغم

أنشد مخلد الموصلى قصيدته التى يقول فيها :

كل شئ أقوى عليه ولكن * ليس لى بالفراق منك يدان
 فجعل يستحسنه ويردده ، فقال له عبد الله بن ربيعة الرقى : أنت الفداء

لمن ابتدا هذا المعنى فأحسن فيه حيث يقول - وهو العباس بن الأحنف - :

سلبتنى من السرور ثيابا * وكستنى من الهموم ثيابا
 كلما أغلقت من الوصل بابا * فتحت لى الى المنية بابا

عذبتنى بكل شئ سوى الصد فما ذقت كالصدود عذابا

قال الرياشى - وقد ذكر عنده العباس بن الأحنف - : والله لو لم يقل من الشعر

الا هذين البيتين لكفيا :

أحرم منكم بها أقول وقد * نال به العاشقون من عشقوا
صرت كاني ذبالة نصبت * تضيء للناس وهي تحترق

ألف الرشيد العباس بن الأحنف ، فلما خرج الى خراسان طال مقامه بها ، ثم
خرج الى أرمينية والعباس معه ، فاشتاق الى بغداد ، فعارضه في طريقه ، فأنشده :

قالوا خراسان أقصى ما يراد بنا * ثم القبول فقد جئنا خراسانا
ما أقدر الله أن يدني على شحط * سكان دجلة من سكان جيحانا
مضى الذي كنت أرجوه وآمله * أما الذي كنت أخشاه فقد كانا
عين الزمان أصابتنا فلا نظرت * وعذبت بصنوف الهجر ألوانا

فقال له الرشيد : قد اشتقت يا عباس ، وأذنت لك خاصة ، وأمر له
بثلاثين ألف درهم .

وقال مصعب الزبيري : العباس بن الأحنف وعمر بن أبي ربيعة ما ابتذلا
شعرهما في رغبة ولا رهبة ، ولكن فيما أحباه ، فلزما فنا واحدا لو لزمه غيرهما ممن
يكثر اكثارهما لضعف فيه .

١٤ - ابن منذر (١)

كان ينحو نحو عدي بن زيد في شعره ، ويميل اليه ويقدمه ، وقد مدح آل برمك
وغيرهم . ولما نكبت البرامكة وآلت الوزارة الى عدوهم الفضل بن الربيع أصبح شعراء
البرامكة في خطر ، فأراد ابن منذر أن يتقرب الى الرشيد طلبا للرزق ، فاعتنم ذهابه
الى الحج وتقدم اليه يوم التروية بقصيدة ، فلاح البشر في وجه الرشيد ، فقال
الفضل بن الربيع للرشيد : هذا شاعر البرامكة ! فعبس الرشيد ، فقال الفضل :
مره أن ينشدك قوله فيهم : أتاننا بنو الأملاك من آل برمك . فأمره ، فاعتذر ، فألح
عليه ، فأنشده هذه القصيدة التي يطرى بها البرامكة :

(١) هو محمد بن منذر ، مولد لبني يربوع ، ويكنى أبا جعفر ، شاعر فصيح ، مقدم في العلم باللغة
وامام فيها ، حتى اخذ عنه أكابر أهلها . وكان في أول أمره يتعبد ثم عدل عن ذلك ، فهجا الناس وتهتك.
وخلع وقذف أعراض أهل البصرة حتى نفى عنها الى الحجاز ، فمات هناك سنة ١٩٨ هـ . وتجد أخباره
في الأغاني (ج ١٧ ص ٩) والشعر والشعراء (ص ٥٥٣) .

أتانا بنو الأملاك من آل برمك * فياطيب أخبار ويا حسن منظر
إذا وردوا بطحاء مكة أشرقت * يحيى وبالفصل بن يحيى وجعفر
فتظلم بغداد ويجلو لنا الدجى * بمكة ما حجوا ثلاثة أقهر
فما صلحت إلا لجود أكفهم * وأرجلهم إلا لأعواد منبر
إذا راض يحيى الأمر ذلت صعا به * وحسبك من راع له ومدبر
تري الناس اجلالا له وكأنهم * غرائيق (١) ماء تحت باز مصرصر (٢)

ولما فرغ منها اتبع ذلك قوله : « كانوا أولياءك يا أمير المؤمنين لما مدحتهم » فأمر
الرشيد أن يلطم ، فلطموه ، وأمر أن يسحب ، فسحبوه وخرج لا يلوى على شيء ،
فلقيه أبو نواس فدفع إليه صرة فيها ثلثمائة دينار ، وقال له : استعن بهذه واعذرني .
ولم بعد ابن مناذر يرى خيرا بعد البرامكة .

قال الحسن بن علي كنا عند باب سفیان بن عيينة وقد هرب منا وعنده
الحسن بن علي التختاخ ورجل من أصحاب الرشيد ، فخلا بهم وليس يأذن لنا ،
فجاء ابن مناذر فقرب من الباب ثم رفع صوته فقال :

بعمرو وبالأزهرى والسلف الالى * يوم ثبتت رجلاك عند المقادم
جعلت طوال الدهر يوما لصالح * ويوما لهسباح ويوما لحاتم
وللحسن التختاخ يوما ودونهم * خصصت حسينا دون أهل المواسم
نظرت وطال الفكر فيك فلم أجد * رجلك جوت الا لأخذ الدراهم

فخرج سفیان وفي يده عصا وصاح : خذوا الفاسق ، فهرب ابن مناذر منه
وأذن لنا فدخلنا .

كان الرشيد قد وصل ابن مناذر مرات صلات سنية ، فلما مات الرشيد
رثاه بقوله :

من كان يبكي للعلا * ملكا وللهم الشريفة
فليبك هارون الخليفة * سفة الخليفة للخليفة

(١) الغرائيق : جمع غرنوق ، وهو طائر مائي أسود وقيل أبيض يشبه الكركي .

(٢) مصرصر : صائح بشدة .

قال علي بن محمد النوفلي : رأيت ابن منذر في الحج سنة ثمان وتسعين ومائة وهو قد كف بصره تقوده جويرية حرة وهو واقف يشتري ماء قربة ، فرأيتسه وسخ الثوب والبدن ، فلما صرنا الى البصرة آتينا وفاته في تلك الأيام .

كان يحيى بن زياد يرمى بالزندقة ، وكان من أطرف الناس وأنظفهم ، فكان يقال : أطرف من الزنديق ، وكان الحاركي ، واسمه محمد بن زياد ، يظهر الزندقة تظاهراً ، فقال فيه ابن منذر :

يا ابن زياد يا ابا جعفر * اظهرت ديننا غير ما تخفي
مزنق الظاهر باللفظ في * باطن اسلام فتى عفا
لست بزندق ولكنهما * اردت أن توسم بالطرف

ومن قوله يرثي سفيان بن عيينة :

يجنى من الحكمة نوارها * ما تشتهي الأنفس ألوانا
يا واحد الأمة في علمه * لقيت من ذي العرش غفرا
راحوا بسفيان على نعشه * والعلم مكسوين أكفانا
ان الذي غودر بالمنحني * هد من الاسلام أركانا
لا يبعدك الله من ميت * وراثنا علما واحزانا

خطب أبو أمية امرأة من ثقيف فرد عنها ، وتصدى للقاضي أن يضمه مالا من أموال اليتامى فلم يجبه الى ذلك ولم يثق به ، فقال فيه ابن منذر :

أبا أمية لا تغضب على فما * جزاء ما كان فيما بيننا الغضب
ان كان ردك قسوم عن فتاتهم * ففي كثير من الخطاب قد رغبوا
قالوا عليك ديون ما تقوم بها * في كل عام بها تستحدث الكتب
وقد تقجم من خمسين غايتهما * مع انه ذو عيال بعد ما انشعبوا
وفي التي فعل القاضي فلا تجدن * فليس في تلك لي ذنب ولا ذنب
أردت أموال أيتام تضمنها * وما يضمن الا من له نسب

قال له جعفر بن يحيى وفي الرشيد شعرا تصف فيه الألفة بيننا ، فقال :

قد تقطع الرحم القريب وتكفر له * معي ولا كتقارب القلبين
يدني الهوى هذا ويدني ذا الهوى * فاذا هما نفس ترى نفسين

١٥ - صالح بن عبد القدوس (١)

كان متهما بالزندقة ، فبلغ الى المهدي خبر زندقته ، فبعث اليه يستقدمه من دمشق ، وكان قد رحل اليها وهو شيخ طاعن في السن ، فلما جاء بغداد ومثل بين يدي المهدي قال له المهدي : ألسنت القائل :

والشيخ لا يترك أخلاقه * حتى يوارى في ثرى رمسه

قال : بلى يا أمير المؤمنين ! قال : وأنت لا تترك أخلاقك حتى تموت ، فأمر به ، فقتل وصلب على جسر بغداد سنة ١٦٧ هـ . وأكثر شعره في الحكم الفلسفية .

من أحسن أقواله القصيدة التي منها ذلك البيت ، وهو يقول فيها :

لا يبلغ الأعداء من جاهل * ما يبلغ الجاهل من نفسه
والشيخ لا يترك أخلاقه * حتى يوارى في ثرى رمسه
إذا ارعوى عاد الى جهله * كذى الضنا عاد الى نكسه
وان من أدبته في الصبا * كالعود يسقى الماء في غرسه
حتى تسراه مورقا ناضرا * بعد الذي أبصرت من يبرسه

وقوله :

لا يعجبك من يصون ثيابه * حذر الغبار وعرضه مبدول
ولربما افتقر الفتى فرأيته * دنس الثياب وعرضه مغسول

وكان فيه ميل الى العزلة والانقطاع عن الناس شأن الفلاسفة ، ومن ذلك قوله :

(١) هو صالح بن عبد القدوس بن عبد الله بن عبد القدوس ، من حكماء الشعراء ، متهم بالزندقة ، قوي الحجج ، له منزلة سامية عند أهل مذهبه . نشأ في البصرة ، وكان يقص على الناس ويعظمهم . توفي سنة ١٦٧ هـ : وتجد أكثر أخباره في فوات الوفيات (ج ١ ص ١٩١) والديري (ج ١ ص ٢٦) .

أنست بوحدتى ولزمت بيتى * فتم العز لى ونما السروز
 وأدبنى الزمان فليت أنى * هجرت فلا أزار ولا أזור
 ولست بقاتل ما دمت حيا * أقام الجند أم نزل الأمير

وهو القائل :

إذا لم تستطع شيئا فله * وجاوزه الى ما تستطيع
 وله قصيدة حكيمية أخلاقية بديعة ، وهى التى يقول فيها :

المرء يجمع والزمان يفسق * ويظل يرقع والخطوب تمزق
 ولأن يعادى عاقلا خير له * من أن يكون له صديق أحق
 فأربا بنفسك أن تصادق أحقا * أن الصديق على الصديق مصدق
 وزن الكلام إذا نطقت فانها * يبدى عقول ذوى العقول المنطق
 ومن الرجال إذا استوت أخلاقهم * من يستشار إذا استشير فيطرق
 حتى يعمل بكل واد قلبه * فبرى ويمرف ما يقول فينطق
 لا ألفينك ثاويا فى غربة * أن الغريب بكل سهم يرشق

وله منها :

ما الناس الا عاملان فعامل * قدمات من عطش وآخر يفرق
 والناس فى طلب المعاش وانما * بالجد يرزق منهم من يرزق
 لو يرزقون الناس حسب عقولهم * ألفيت أكثر من ترى يتصدق
 لكنه فضيل المليك عليهم * هذا عليه موسع ومضيق
 وإذا الجنازة والعروس تلاقيا * ورأيت دمع نوائح يترقق
 سكت الذى تبع العروس مبهتا * ورأيت من تبع الجنازة ينطق
 بقي الذين اذا يقولوا يكذبوا * ومضى الذين اذا يقولوا يصدقوا

وله من قصيدته المعروفة بالزينبية :

وأبدأ عسوك بالتحية ولتكن * منه زمانك خائفا تترقب
 واحسره ان لاقيته متبسما * فاليث يبدو قابسه اذ يغضب

ان العدو وان تقادم عهده * فالحقد باق في الصدور مغيب
 واذا الصديق لقيته متملقا * فهو العدو وحقبه يتجنب
 لا خير في ود امرئ متملق * حلو اللسان وقلبه يتلهب
 يلقياك يحلف انه بك واثق * واذا توارى عنك فهو العقرب
 يعطيك من طرف اللسان حلاوة * ويروغ منك كما يروغ الثعلب
 وصل الكرام وان رموك بجفوة * فالصفح عنهم والتجاوز أصوب
 واختر قرينك واصطفه تفاخرا * ان القرين الى المقارن ينسب
 ان الغنى من الرجال مكرم * وتبراه يرجى ما لديه ويرهب
 ويبش بالترحيب عند قنومه * ويقام عند سلامه ويقرب
 والفقر شين الرجال فانه * حقا يهون به الشريف الأنسب
 واخفض جناحك للأقارب كلهم * بتذل واسمح لهم ان اذنبوا
 ودع الكلوب فلا يكن لك صاحب * ان الكلوب يشين حرا يصحب
 وزن الكلام اذا نطقت ولا تكن * ثرثرة في كل ناد تخطب
 واحفظ لسانك واحترز من لفظه * فالراء يسلم باللسان ويعطب
 والسر فاكتمه ولا تنطق به * ان الزجاجة كسرهما لا يشعب
 وكذاك سر المرء ان لم يطبوه * نشرته السنة تزيد وتكذب
 لا تحرصن فالحرص ليس بزائد * في الرزق بل يشقى الحريص ويتعب
 وارع الأمانة والخيانة فاجتنب * واعدل ولا تظلم يظلم لك مكسب
 واذا أصابك نكبة فاصبر لها * من ذا رايت مسلما لا ينكب
 واذا رميت من الزمان بريئة * او نالك الأمر الأشق الأصعب
 فاضرع لرئيسك انه ادنى لمن * يدعو من حبل الوريد وأقرب
 واحذر مصاحبة اللئيم فانه * يعدى كما يعدى الصحيح الأجرب
 واحذر من المظلوم سهما صائبا * واعلم بان دعاءه لا يحجب
 ولقد نصحتك ان قبلت نصيحتي * والنصح أغلى ما يباع ويوهب

١٦ - سعيد بن وهب (١)

كان شاعرا مطبوعا ومات في أيام المأمون ، وأكثر شعره في الغزل والتشبيب بالذكر ، وكان مشغوبا بالغلman والشراب ، ثم تنسك وتاب وحج راجلا على قدميه ومات على توبة واقلاع ومذهب جميل ، ومات وأبو العتاهية حي وكان صديقه قرئاه .

أخبر علي بن سليمان الأخفش عن محمد بن يزيد قال : حدثت عن بعض أصحاب أبي العتاهية قال : جاء رجل الى أبي العتاهية ونحن عنده ، فساره في شيء ، فبكى أبو العتاهية ، فقلنا له : ما قال لك هذا الرجل يا أبا اسحاق فأبكاك ؟ فقال - وهو يحدثنا لا يريد أن يقول شعرا - :

قال لي مات سعيد بن وهب * رحم الله سعيد بن وهب
يا أبا عثمان أبكيت عيني * يا أبا عثمان أوجعت قلبي

قال : فعجبنا من طبعه ، وانه يحدث فكان حديثه شعرا موزونا .

وكان سعيد بن وهب الشاعر البصري مولى بنى سامة قد تاب وتزهد وترك قول الشعر ، وكان له عشرة من البنين وعشر من البنات ، فكان اذا وجد شيئا من شعره خرقه وأحرقه ، وكان امرا صدق ، كثير الصلاة ، يزكى في كل سنة عن جميع ما عنده ، حتى انه ليزكى من فضة كانت على امرأته .

وكان سعيد بن وهب يتعشق غلاما يتشطر يقال له سعيد ، فبلغه أنه توعدده أن يجرسه ، فقال فيه :

من عذيري من سمى * من عذيري من سعيد
أنا بالعم أجاء * وبجاني (٢) بالعيد

ونظر سعيد بن وهب الى قوم من كتاب السلطان في أحوال جميلة ، فأنشأ يقول :

(١) هو سعيد بن وهب أبو عثمان مولى بنى سامة بن لؤى بن نصر ، مولده ومنشؤه بالبصرة ثم صار الى بغداد فقام بها . وكانت صناعته ، قصوف مع البرامكة فاصطنعوه وتقدم عندهم . وتجد أخباره في الأثافي ج ٢١ ص ١٠٤٠ .

(٢) وجاء يوجاه ويجاه : ضرب به باليد أو بالمسكين . وظفت الهنزة ههنا للشعر .

من كان في الدنيا له شارة * فتحن من نظارة الدنيا
نرمقها من كذب حسرة * كأننا لفظ بلا معنى
يعلو بها الناس وأيامنا * تذهب في الأرحل والأدنى

وحدث حماد بن اسحاق عن أبيه قال : كان سعيد بن وهب لي صديقا ، وكان له ابن يكنى أبا الخطاب من آكيس الصبيان ، وأحسنهم وجها وادبا ، فكان لا يكاد يفارقه في كل حال ، لشدة شغفه به ورقته عليه ، فمات وله عشر سنين ، فجزع عليه جزعا شديدا وانقطع عن لذاته ، فدخلت إليه يوما لأعاتبه على ذلك وأستعطفه ، فحين رأى ذلك في وجهي فاضت دموعه ، ثم انتحب حتى رحمته ، وأنشدني :

عين جودي على أبي الخطاب * إذ تولى غضا بهاء الشباب
لم يقارب ذنبا ولم يبلغ الحد * ثم مزجي مطهر الأثواب
فقدته عيني إذا ما سعى آت * رابه من جماعة الأتراب
إن غدا موحشا لداري فقد أصه * ببح أنس الثرى وذين التراب
أحمد الله يا حبيبي فاني * بك راج منه عظيم الثواب

البحر

ثم ناشدني ألا أذاكره بشيء مما جئت إليه ، فقلت ولم أخاطبه بحرف .

دخل سعيد بن وهب على الفضل بن يحيى في يوم قد جلس فيه للشعراء ، فجعلوا ينشدونه ويأمر لهم بالجوائز حتى لم يبق منهم أحد ، فالتفت إلى سعيد بن وهب كأنه يستنطق ، فقال له : أيها الوزير ، اني ما كنت استعددت لهذه الحال ، ولا تقسمت لها عندي مقدمة فأعرفها ، ولكن قد حضرني بيتان أرجو أن يلوبا عن قصيدة ، فقال : هاتهما ، فرب قليل أبلغ من الكثير ، فقال سعيد :

مدح الفضل نفسه بالعمالي * فعلا عن مديحنا بالمال
أمروني بمدحه قلت كلا * كبر الفضل عن مديح الرجل

فتان : فطرب الفضل وقال له : أحسنت والله وأجبت ، ولئن قل القول ونزر ، لقد اتسع المعنى وكثر ، ثم أمر له بمثل ما أعطاه كل من أقدمه مديحا يومئذ ، وقال : لا خير فيما يجيء بعد بيتي ، وغام من المجلس ، وخرج الناس يومئذ بالبيتين لا ينشأ من شبراهما .

وحدث الخريمي قال : كان الفضل بن يحيى ينافس أخاه جعفرا وينافسه جعفر ، وكان أنس بن أبي شيخ خاصا بجعفر ، يناديه ويأنس به في خلواته ، وكان سعيد بن وهب بهذه المنزلة للفضل ، فدخلت يوما الى جعفر ودخل اليه سعيد بن وهب فحدثه وأنشده وتنادر له ، وحكى عن المتنادرين وأتى بكل ما يسر ويضطرب ويضحك ، وجعفر ينظر اليه لايزيد على ذلك ، فلما خرج سعيد من عنده تجاهلت عليه وقلت له : من هذا الرجل الكثير الهذيان ؟ قال : أو ما تعرفه ؟ قلت : لا ، قال : هذا سعيد بن وهب صديق أخي أبي العباس وخلصانه وعشيقه ، قلت : وأى شيء رأى فيه ؟ قال : لا شيء والله إلا القدر والبرد والغثاء ، ثم دخلت بعد ذلك الى الفضل ، ودخل أنس بن أبي شيخ فحدث وندر وحكى عن المضحكين وأتى بكل طريفة ، فكانت قصة الفضل معه قصة جعفر مع سعيد ، فقلت له بعد أن خرج من حضرته : من هذا المبرم ؟ قال : أولا تعرفه ؟ قلت : لا ، قال : هذا أنس بن أبي شيخ صديق أخي الفضل وعشيقه وخاصته ، قلت : وأى شيء أعجبه فيه ؟ قال : لا أدري والله إلا القدر والبرد وسوء الاختبار ، قال : وأنا والله أعرف بسعيد وأنس من الناس جميعا ، وتأنى تجاهلت عليهما وساعدتهما على هواهما .

وحدث عمرو بن بانه قال : كان في جوارى رجل من البرامكة ، وكانت له جارية شاعرة طريفة يقال لها حسناء ، يدخل اليها الشعراء ويسألونها عن المعاني ، فتأثر بكل مستحسن من الجواب ، فدخل اليها سعيد بن وهب يوما وجلس اليها فحدثها طويلا ثم قال لها بعد ذلك :

حاجيتك يا حسنا * في جنس من الشعر
وفيها طوله شبر * وقد يوثى على الشبر
له في رأسه شق * نطوف بالندى يجرى
إذا ما جف لم يجر * لدى بر ولا بحر
وان بل أتى بالعب * بعب العاجب والسحر
أجيبى لم أرد فحشا * ورب الشفع والوتر
ولكن صغت أيباتا * لها حظ من الزجر

قال : فغضب هولاء وتغير لونه وقال : أتفحش على جاريتي تخاطبها بالخنى ؟ فقالت له : خفض عليك ، فما ذهب الى ما ظننت وإنما يعنى القلم ، فسرى عنه ، وضحك سعيد وقال : هي أعلم منك بما سمعت .

١٧ - الحسن بن وهب

حدث ميمون بن هارون : قال : كنا عند الحسن بن وهب فقال لبنان :
غنيني :

أتأذنون لصب فسي زيارتكم * فعندكم شهوات السمع والبصر
لا يضر السوء ان طال الجلوس به * عف الضمير ولكن فاسق النظر

قال فضحكت ، ثم قالت : فأى خير فيه ان كان كذا أو أى معنى ؟ فنجل الحسن
من بادرته عليه ، وعجبنا من حدة جوابها وقطنتها .

وحدث محمد بن عيسى قال : جاء عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع الى
الحسن بن وهب ، وعنده بنان جارية محمد بن حماد ، وهى نائمة سكرى وهو يبكى
عندها ، فقال له : مالك ؟ قال : قد كنت نائما فجاءتنى فأنبهتنى وقالت : اجلس حتى
تشرب فجلست ، فوالله ما غنت عشرة أصسوات حتى نامت ، وما شربت الا قليلا ،
فتذكرت قول أشعر الناس وأظرفهم العباس بن الأحنف :

أبكي الذين اذاقوني مودتهم * حتى اذا أيقظوني للهوى وقبوا

فأنا أبكي وأنشد هذا البيت .

وحدث محمد بن موسى بن حماد قال : دعا الحسن بن وهب ابراهيم بن العباس
فقال له : اركب وأجيئك عشيا فلا تنتظرني بالغداة ، فأبطأ عليه ، وأسرع الحسن في
شربه فسكر ونام ، وجاء ابراهيم فرآه على تلك الحال ، فدعا بدواة وكتب :

وحنا اليك وقد راحت بك الراح * واسرعت فيبك اوتار وافراح

وحدث أيضا محمد بن موسى قال : نظر ابراهيم بن العباس الحسن بن وهب
وعمره مخمور فقال له :

عيناك قد حكتبا مي * تك كيف كنت وكيف كانا

ولرب عين قد ارتب * لك مبيت صاحبها عيانا

فاجابه الحسن بن وهب بعشرين بيتا وطالبه بمثلها ، فكتب اليه أربعة أبيات
وطالبه بأربعين بيتا . وأبيات ابراهيم :

أبى على خير قولك ما * حصلت أنجمه ومختصره
ما عندنا فى البيع من غبن * للمستقل بواحد عشره
أنا أهل ذلك غير محتشم * أرضى القديم وأقتفى أثره
ها نحن وفيناك أربعة * والأربعون لديك منتظره

وقال عبيد الله بن سليمان : لعمرى ما فى الكتاب أشعر من أبى اسحاق وأبى على
(يعنى عمه الحسن بن وهب) .

حدث على بن يحيى قال : قلت لاسحاق بن ابراهيم الموصلى ، وقد جرى ذكر
أحمد بن يحيى الملكى : يا أبا محمد ، لو كان أبو جعفر أحمد بن يحيى الملكى مملوكا
كم كان يساوى ؟ فقال : أخبرك عن ذلك ، انصرفت ليلة من دار الواثق ، فاجتزت
بدار الحسن بن وهب فدخلت اليه ، فاذا أحمد عنده ، فلما قام لصلاة العشاء الآخرة
قال لى الحسن بن وهب : وكم يساوى أحمد لو كان مملوكا ؟ قلت : يساوى
عشرين ألف دينار . قال : ثم رجع فغنى صوتا ، فقال لى الحسن بن وهب :
يا أبا محمد ، أضعفها . قال : ثم تغنى صوتا آخر ، فقلت للحسن : يا أبا على
أضعفها ، ثم أردت الانصراف فقلت لأحمد غنى :

لولا الحياء وإن السير من خلقى * اذا قعدت اليك الدهر لم أثم
أليس عندكم سكر للتى جعلت * ما ابيض من قدمات الراس كالحم

فغناه أحمد بن يحيى الملكى فأحسن فيه كل الاحسان ، فلما قمت للانصراف قلت
للحسن : يا أبا على ، أضعف الجميع ، فقال له أحمد : ما هذا الذى اسمعكما تفولانه
ولست أدرى ما معناه ؟ قال نحن نبيحك ونشتريك منذ الليلة وأنت لا تدري .

وحدث محمد بن موسى قال : كان أبو تمام يعشق غلاما خزرىا للحسن بن وهب ،
وكان الحسن يتعشق غلاما روميا لأبى تمام ، فرآه أبو تمام يوما يعبث بغلامه ،
فقال له : والله لئن أعنقت (١) الى الروم لتركضن الى الخزر ، فقال له الحسن :
لو شئت حكمتنا واحتكمت ، فقال له أبو تمام : أنا أشبهك بداود عليه السلام وأشبهه
نفسى بخصمه ، فقال الحسن : لو كان هذا منظوما خفناه ، فأما وهو منشور فلا ، لأنه
عارض لا حقيقة له ، فقال أبو تمام :

(١) أعنقت : أسرعت .

أبسا على بصرف الدهر والغير * وبالحوادث والأيام فاعتبر (١)
أذكرتني أمر داود وكنت فتى * مصرف القلب في الأهواء والفكر
أعندك الشمس لم يحظ المغيب بها * وأنت مضطرب الأحشاء للقمر
إن أنت لم تترك السير الحثيث إلى * جاذر الروم أعنقنا إلى الخزر
إن القطوب له منى محل هوى * يحل منى محل السمع والبصر
ورب أمتع منه جانباً وحمى * أمسى وتكتبه منى على خطر
جردت فيه جنود العزم فأنكشت * عنه غيابه عن فجرة هدر
سبحان من سبحته كل جارحة * ما فيك من طمحان العين بالنظر
أنت المقيم فما تغدو راحله * وفعله أبداً منه على سفر

وحدث وهب بن سعيد قال : جاء دعبل إلى الحسن بن وهب في حاجة بعد موت
أبي تمام ، فقال له رجل في المجلس : يا أبا عبي ، أنت الذي تطعن على من يقول :

شهدت لقد أقوت مغانيكم بعدى * ومحت كما محت وشائع من برد
وأنجدتم من بعد اتهام داركم * فيا دمع أنجدني على ساكني نجد
فصاح دعبل : أحسن والله ! وجعل يردد :

* فيا دمع أنجدني على ساكني نجد *

ثم قال : رحمه الله ، لو كان ترك لي شيئاً من شعره لقلت : إنه أشعر الناس .
وحدث أحمد بن عبيد الله بن ناصح قال : قلت لدعبل وقد عرض على قصيدة له
يمدح بها الحسن بن وهب أولها :

* أعاذلتني ليس الهوى من هوانيا *

فقلت له : ويحك أتقول فيه هذا بعد قولك :

أين محل الحي يا حادي * خبر سقاك الراح الغادي

(١) وردت هذه الأبيات في الأغاني وفيها بعض الفاظ تخل بالأدب ، فثبتناها كما وردت في ديوان.
أبي تمام .

وبعد قولك :

قالت سلامة أين المال قلت لها * المال ويحك لاقى الحمد فاصطحبا

وبعد قولك :

فعل أيماننسا يجرى الندى * وعلى أسيافنا تجرى المهج

والله انى أراك لو أنشدته اياها لأمر لك بصفح ، فقال : صدقت والله ، ولقد نبهتني وحذرتني ، ثم مزقها .

وحدث محمد بن موسى قال : أنشدني الحسن بن وهب لمحمد بن عبد الملك أبياتا يرثى بها سكرانه أم ابنه عمر ، وجعل الحسن يتعجب من جودتها ويقول :

يقول لى الخلان لو زرت قبرها * فقلت هل غير الفؤاد لها قبر
على حين لم أحدث فأجهل قبرها * ولم أبلغ البسن التى معها الصبر

وحدث محمد بن يزيد قال : دامت الأمطار بـ « سر من رأى » ، فتأخر الحسن بن وهب عن محمد بن عبد الملك الزيات ، وهو يومئذ وزير والحسن يكتب له ، فاستبطاه محمد ، فكتب اليه الحسن يقول :

أوجب العذر فى تراخى اللقاء * ما تسوالى من هذه الأنسواء
لست أدري ماذا أقول واشكو * من سماء تعوقنى عن سماء
غير أنسى ادعوا على تلك بالثك * لى وأدعوا لهذه بالبقاء
فسلام الاله أهديه غصبا * لك منى ياسيد الوزراء

وحدث محمد بن موسى قال : اعتل الحسن بن وهب فتأخر عن محمد بن عبد الملك أياما كثيرة ، فلم يأته رسوله ، ولا تعرف خبره ، فكتب اليه الحسن قوله :

أيهذا الوزير أيدك الله * به وأبقاك لى بقاء طويلا
أجميلا تراه يا أكرم الناس * سى لكىما أراه أيضا جميلا
اننى قد أقمت عشرا عليلا * ما ترى مرسللا الى رسولا
ان يكن موجب التعمد فى الصم * حجة منا على منك طويلا
فهو أولى ياسيد الناس برا * وافترقادا لمن يكون عليلا

فلماذا تركتني عرضة الظ	* ن من الحاسدين جيلا فجيلا
الذنب؟ فما علمت سوى الشك	* سر قرينا لنتي ودخيلا
أم مال؟ فما علمتك للما	* حب مثلي على الزمان ملولا
قد أتى الله بالشفاء فما أع	* عرف مما أنكرت الا قليلا
وأكلت الدراج وهو غداء	* أفليست عنتي عليه أفولا
بعد ما كنت قد جهلت من الع	* لة عبثا على الطباع ثقيل
ولعل قلمنت قبلك آتين	* لك غدا ان وجئت فيه سبيلا

فأجابه محمد بن عبد الملك :

دفع الله عنك نائبة الله	* سر وحاشاك أن تكون عليلا
أشهد الله ما علمت وما ذا	* لك من العذر جائزا مقبولا
ولعمري أن لو علمت فلازم	* تك حولا كان عندي قليلا
اننى أرتجى وأن لم يكن ما	* كان مما نقتت الا جليلا
أن آكون الذى اذا أضمر الاخ	* لأص لم يتلمس عليه كفيلا
ثم لا يبدل المسودة حتى	* يجعل الجهد دونها مبدولا
فاذا قال كان ما قال اذ كا	* ن بعيدا عن طبعه أن يقولا
فاجعلن لى الى التعلق بالعذ	* ر سبيلا ان لم اجدى سبيلا
فقدىما ما جاد بالصفح والعذ	* و وما سامح الخليل الخيلا

وكتب محمد بن عبد الملك الى الحسن بن وهب وقد تأخر عنه :

قالوا جفاك فلا عهد ولا خبر	* ماذا تراه دهاه قلت ايلول
شهر تجد حبال الوصل فيه فما	* عقد من الوصل الا وهو محلول

وكان محمد قد ندبه لأن يخرج فى أمر مهم فأجابه الحسن فقال :

انى بحول امرى اعليت رتبته	* فحظه منك تعظيم وتبجيل
وأنت عدته فى نيل همته	* وأنت فى نكل ما يهواه مامول
ما غالى عنك ايلول ببلدته	* وطيبه ولنعم الشهر ايلول
الليل لا قصر فيه ولا طول	* واجو صاف وظهر الكاس مرحول

والعود مستنطق عن كل معجبة * يضحي بها كل قلب وهو متبول
 لكن توقع وشبك البين عن بلد * تحله فوكاء العين محلول
 ما لي اذا شمريت بي عنك مبتكرا * دهم البغال أو الهوج المراسيل
 الا رعاياتك اللاتي يعود بها * حد الحوادث عني وهو مفيلول

وكان الحسن بن وهب يساير محمداً على مسناة (١) ، فعدل عن المسناة لئلا
 يضيق لمحمد الطريق ، فظن محمد أنه أشفق على نفسه من المسناة ، فعدل عنها ولم
 يساعده على طريقه ، وظن بنفسه أن يصيبها ما يصيبه ، فقال له محمد :

قد رأيناك اذ تركت المسناة * وحاذيتني يسار الطريق
 ولهم ما ذاك منك وقد جد * بك الجد من فعال الشفيق

فقال له الحسن :

ان يكن خوفي الحتوف اراني * أن ترائني مشبها بالعقوق
 فلقد جارت الظنون على المش * وفق والظن مولع بالشفيق
 عذر السيد الأجل وقد سا * ر على الخوف من يمين الطريق
 فأخذت الشمال بقيا على الس * يد اذ هالتي سلوك المضيق
 ان عندي مودة لك حازت * ما حوى عاشق من المعشوق
 طود عز خصصت منه ببر * صار قدرى به مع العيوق
 بنفسى واخوتى وأبى البر وعمى وأسرتى صديقى
 من اذا ما روعت أمن روغى * واذا ما شرقت سوغ ريقى

وحدث المبرد قال : استسقى الحسن بن وهب من محمد بن عبد الملك ببلد
 الروم وهو المعتصم ، فسقاه وكتب اليه :

لم تلق مثلي صاحباً * أندى يدا وأعم جوداً
 يسقى النديم بقفزة * لم يسق فيها الماء عوداً

(١) المسناة : ما يبنى في وجه السيل .

صفراء صافية كان بكاسها درا نضيدا
واجود حين أجود لا * حصرا بذاك ولا بليدا
واذا استقل بشكرها * أوجبت بالشكر المزيد
خذها اليك كأنما * كسيت زجاجتها عقودا
واجعل عليك بأن تقو * م بشكرها أبدا عهدا

ومن جيد شعره قوله :

بأبى كرهت النار لما أوقدت * فعرفت ما معنك فى إبعادها
هى ضرة لك بالتماع ضيائها * وبحسن صورتها لدى إيقادها
وأرى صنيعك بالقلوب صنيعها * بسيالها وأراكها وعرادها
شركتك فى كل الأمور بحسنها * وضيائها وصلاحها وفسادها

ومات الحسن بن وهب فرثاه أخوه سليمان بن وهب :

هضى مذ مضى عز المعالى وأصبحت * لآلى الحجا والقول ليس لها نظم
واضحى نجى الفكر بعد فراقه * اذا هم بالافصاح منطقهم كظم

وكتب الحسن بن وهب يشكر :

من شكرك على درجة رفعتك اليها ، أو ثروة أقدرته عليها ، فان شكرى لك على
مهجة أحبيتها ، وحشاشة أبقيتها ، ورمق أمسكت به ، وقمت بين التلف وبينه ،
فلكل نعمة من نعم الدنيا حد تنتهى اليه ، ومدى يوقف عنده ، وغاية من الشكر يسمو
اليها الطرف ، خلا هذه النعمة التى فاقت الوصف ، وأطالت الشكر وتجاوزت قدره ،
وأنت من وراء كل غاية ، رددت عنا كيد العدو ، وأرغمت أنف الحسود ، فنحن نلجأ
منك الى ظل ظليل ، وكنف كريم ، فكيف يشكر الشاكر ، وأين يبلغ جهده المجتهد ، -

١٨ - أشجع الشلمن (١)

كان متصلا بالبرامكة وله فيهم أشعار كثيرة ، منها قوله فى يحيى بن خالد وكان قد غاب :

قد غاب يحيى فما أرى أحدا * يأنس الا بذكره الحسن
أوحشت الأرض حين فارقها * من الأيادى العظام والمن
لولا رجاء الأيادى لانصدت * قلوبنا بعده من الحزن
وقال فيه أيضا :

رأيت بغاة الخير فى كل وجهة * لغيبة يحيى مستكين خضعا
فان يمس من فى الرقتين مؤملا * لأوبة يحيى نخوها متطلعا
فما وجه يحيى وحده غاب عنهم * ولكن يحيى غاب بالخير أجمعا
وقال فيه أيضا :

إذا غاب يحيى عن بلاد تغيرت * وتشرق ان يحتلها فتطيب
وان فعال الخير فى كل بلدة * اذا لم يكن يحيى بها لغريب
وقال فيه حين اعتل :

لقد قرعت شكاة أبى على * قلوب معاشر كانت ضنحاحا
فان يدفع لنا الرحمن عنه * صروف الدهر والأجل المتاحا

(١) هو أشجع بن عمرو بن ولد الشريد بن مطرود السلمى ، وكان يكنى أبا الوليد ، شاعر اسلامى عباسى ، نشأ بالبصرة ، وقال الشعر وأجاد فيه حتى عد من الفحول ، وكان الشعر يومئذ فى ربيعة واليمن ، ولم يكن لقيس شاعر ، فلما نجم أشجع وقال الشعر افتخرت به قيس . واتقطع الى البرامكة ومدحهم واختص بجعفر فأصفاه مدحه ، فأعجب به جعفر ووصله الى الرشيد ومدحه فأعجب به أيضا وأمده بالمال فأثرى وحسنت حاله فى أيامه ، وفقد عنده ، وله فيه المدايح المختارة ، والقصائد السائرة . وتجد أشعاره وأخباره فى الأغانى (ج ١٧ ص ٢٠) والشعر والشعراء (ص ٥٦٢) .

فقد أمسى صلاح أبي علي * لأهل الأرض كلهم صلاحه
إذا ما الموت أخطاه فلسنا * نبالي الموت حيث غدا وراحا
وهو القائل :

ليس للحاجيات إلا * من له وجه وقاح
ولسان طرمذار (١) * وغلبوا ورواح
ان أكن أبطلات الحا * جبة عني فاللحاح
فعلى الجهد فيها * وعلى الله النجاح

ويستجاد له في مدح الرشيد :

وصلت يداك السيف يوم تقطعت * أيدي الرجال وزلت الأقدام
وعلى عدوك يا ابن عم محمد * رصدان ضوء الصبح والاضلام
فاذا تنبه رعبه واذا غفا * سلت عليه سيوفك الأحلام

ويستجاد له أيضا قوله :

غدا يتفرق أهل الهوى * ويكثر بباك ومسترجع
وتختلف الأرض بالطاعنين * وجوها تشد (٢) ولا تجمع
وتفنى الطلول ويبقى الهوى * ويصنع ذو الشوق ما يصنع
وانت تبكى وهم جيرة * فكيف يسكون اذا ودعوا
اتطمع في العيش بعد الفراق * فبئس لعمرك ما تظمع

وفيها يقول في جعفر بن يحيى :

بديته مثل تديره * متى هجته فهو مستجمع
إذا هم بالأمر لم يثبه * هجوع ولا شادن أفرع
ففي كفه للغنى مطلب * وللسر في صدره موضع

(١) الطرمذار : المتكرر بما لا يقل .

(٢) تفرق .

وكم قائل اذ راي بهجتي * وما في فضول الغنى اصنع
غدا في ظلال ندى جعفر * يجر ثياب الغنى اشجع
وما خلفه لامرئ مطمع * ولا دونه لامرئ مقنع

وهو القائل في محمد بن منصور بن زياد يرثيه :

أنعى فتى الجود الى الجود * ما مثل من أنعى بموجود
أنعى فتى أصبح معروقه * منتشرا في البيض والسود
أنعى فتى مص الثرى بعده * بقية الماء من العود
قد تلم الدهر به قلعة * جانبها ليس بمسدود
أنعى فتى كان ومعروفه * يملأ ما بين ذرى اليد
فأصبحا بعد تساميهما * قد جمعا في بطن ملحود
الآن نخشى عشرات الندى * وعدوة البخل على الجود

ويستجاد له قوله في ابراهيم بن عثمان بن نهيك وكان صاحب شرط الرشيد
وكان جبارا عبوسا :

في سيف ابراهيم خوف واقع * بذوى النفاق وفيه أمن المسلم
وبييت يكلا والعيون هواجع * مال المضيع ومهجة المستسلم
جعل الخطام بأنف كل مخالف * حتى استقام له الذى لم يخطم
لا يصلح السلطان الا شدة * تغشى البرى بفضل ذنب المجرم
ومن الولاة مقجهم لا يتقى * والسيف تقطر شفرتاه من الدم
منعت مهابتك النفوس حديثها * بالامر تكرهه وان لم تعلم

وقال لأخيه :

أبت غفلات قلبك ان تروحا * وكأس لا تزايلها صبوحا
كأنك لا ترى حسنا جميلا * بعينك يا اخى الا قبيحا

ويستجاد له قوله في الرشيد :

لا زلت تنشر أعيادا وتطويها * تمضى بها لك أيام وتثنيها
مستقبلا جلة الدنيا وبهجتها * أيامها لك نظم فى لياليها

العيد والعيد والأيام بينهما * موصولة لك لا تفنى وتفتنيها
وليتهنك النصر والأيام مقيلة * اليك بالفتح معقودا نواصيها

ويستجاد له قوله يمدح اسماعيل بن صبيح :

له نظر لا يغمض الأمر دونه * تكاد ستور الغيب عنه تمزق

وهو القائل :

وما ترك المداح فيك مقالة * ولا قال إلا دون ما فيك قائل

وقال أيضا :

مضى ابن سعيد حين لم يبق مشرق	* ولا مغرب إلا له فيه مداح
وما كنت أدري ما فواضل كفه	* على الناس حتى غيبته الصفائح (١)
فأصبح في لحد من الأرض ميتا	* وكانت به حيا تضيق الصحاح (٢)
سأبكيك ما فاضت دموعي فان تغض	* فحسبك مني ما تجن الجوانح (٣)
فما أنا من رء وان جل جازع	* ولا يسرور بعد موتك فارح
كان لم يمت حتى سواك ولم يقم	* على أحد إلا عليك النوائج
لئن حسنت فيك المراثي وذكرها	* لقد حسنت من قبل فيك المدائح

(١) الصفائح : أحجار عراض تغطي بها القبور .

(٢) الصحاح : جمع صحح : وهي الأرض الجرداء المستوية الواسعة ذات حصى صفار .

(٣) الجوانح : الضلوع .

١٩ - علي بن الجهم (١)

كان علي بن الجهم قد هجا بختيشوع ، فسبه عند المتوكل فحبسه المتوكل .
فقال علي بن الجهم في حبسه عدة قصائد كتب بها الى المتوكل ، فأطلقه بعد سنة
ثم نفاه بعد ذلك الى خراسان . فقال أول ما حبس قصيدة كتب بها الى أخيه ،
أولها قوله :

توكلنا على رب السماء *	وسلمنا لأسباب القضاء
ووطننا على غير الليالي *	نفوسا سامخت بثقل الإباء
وأفنية الملوك محجبات *	وباب الله مبدول الفناء
هي الأيام تكلمنا وتأسو *	وتأتى بالسعادة والشقاء
وما يجبدى الثراء على غنى *	إذا ما كان محظور العطاء
حلبنا الدهر اشطره ومرت *	بنا عقب الشدائد والرخاء
وجربنا وجرب أولونا *	فلا شيء أعز من الوفاء
ولم ندع الحياء لمس ضر *	وبعض الضر يذهب بالحياء
ولم نحزن على دنيا تولت *	ولم نسبق الى حسن العزاء
توق الناس يا بن أبى وأمى *	فهم تبع المخافة والرجاء
ولا يفرك من وغد اخاء *	لأمر ما غدا حسن الاخاء
ألم تر مظهرين على عتبا *	وهم بالأمس اخوان الصفاء

(١) هو عربي قرشي شاعر فصيح مطبوع ، وفد خص بالمتوكل حتى صار من جلسائه ثم أبغضه
لأنه كان كثير السعاية اليه بندمائه فكان إذا خلا به عرفه أنهم يعيونه ويثلبونه ، فيكشف الخليفة عن
ذلك فلا يجد له حقيقة ، فنفاه الى خراسان بعد أن حبسه مدة . وكان مذهبه في الشعر مذهب مروان
ابن أبي حفصة في هجاء آل أبي طالب ولمهم والاعراء بهم وهجاء الشيعة كقوله :

ورافضة تقول بشعب وضوى * امام ، خساب ذلك من امام
امام من له عشرون ألفا * من الأتراك مشرعة السهام

وله أقوال في الغزل والعتاب وفي الوصف ، توفي سنة ٢٤٩ هـ . وتجد أخباره في الأغاني (ج ٩
ص ١٠٤) وابن خلكان (ج ١ ص ٤٩٧) .

فلما أن بليت غدوا وراحوا * على أشد أسباب البلاء
أبت أخطارهم أن ينصروني * بمال أو بجاه أو ثراء
وخافوا أن يقال لهم خذتم * صديقا فادعوا قدم الجفاء
تظافرت الروافض والنصارى * وأهل الاعتزال على هجائي
وعابوني وما ذنبى اليهم * سوى علمى بأولاد الزناء
فبختيشوع يشهد لابن عمرو * وعيزون لهارون المرائي
وما الجلماء بنت أبي سمير * بجنماء اللسان على الخناء
إذا ما عد مثلكم رجيسا * فما فضل الرجال على النساء
عليكم لعنة الله ابتداء * وعودا في الصباح وفي المساء
إذا سميتم للناس قالوا * أولئك شر من تحت السماء
أنا المتوكلى هوى ورأيا * وما بالواقعية من خفاء
وما حبس الخليفة لي بعار * وليس بمؤسى منه التنائى

كان سبب حبس المتوكل على بن الجهم أن جماعة من الجلساء سـعوا به اليه وقالوا له : انه يـخـمـش الخدم ويغـمـزهم ، وانه كثير الطعن عليك والعيب لك والازراء على أخلافك ، ولم يزالوا به يوغرون صدره عليه حتى حبسه ، ثم أبلغوه عنه أنه هجاه ، فنقاه الى خراسان وكتب بأن يـصـلب اذا وردھا يوما الى الليل ، فلما وصل الى الشاذياخ حبسه طاهر بن عبد الله بن طاهر بها ، ثم أخرج فـصـلب يوما الى الليل مجردا ثم أنزل ، فقال في ذلك :

لم ينصبوا بالشاذياخ عشية الاثنين مسـبـوقا ولا مجـهـولا
نصبوا بحمد الله ملء قلوبهم * شرفا وملء صدورهم تـجـيـلا
ما ازداد الا رفعة بتكوله * وازدادت الأعداء عنه نكولا
هل كان الا الليث فارق غـيـله * فرأيتـه في مجمل معـمـولا
لا يأمن الأعداء من شـبـداته * شـدا يفصل هامهم تفصيلا
ما عابه أن بز عنه لباسه * فالسيف أهول ما يرى مسلولا
ان يبتدل فالبلد لا يـزرى به * ان كان لـيـلة تمه مسلولا
أو يسلبوه المال يحزن فقده * ضيفا ألم وطـنارقا ونـزينا
أو يحبسوه فليس يحبس سائر * من شعره يدع العزيز ذليلا
ان المصائب ما تعبت دينه * نعم وان صعبت عليه قليلا

والله ليس بغافل عن أمره * وكفى بربك نصرا ووكيلا
ولتعلمن اذا القلوب تكشفت * عنها الاكنة من اضل سبيلا

وكتب المتوكل الى طاهر بن عبد الله باطلاق علي بن الجهم ، فلما أطلقه قال :

أطهر انى عن خراسان راحل * ومستخبر عنها فما أنا قائل
أصدق أم أكنى عن الصدق أيما * تغيرت أدته اليك المحافل
وسارت به الركبان واصطفقت به * أكف قيان واجتبتة القبائل
وانى بعالي الجمد والذم عالم * بما فيهما نامى الرمية ناضل
وحقا أقول الصدق انى لائل * اليك وان لم يحظ بالود مائل
ألا حرمة ترعى ألا عقد ذمة * لجار ألا فعل لقول مشاكل
ألا منصف ان لم نجد متفضلا * علينا ألا قاض من الناس عادل
فلا تقطن غيظا على أناملا * فقبلك ما غضت على الأنامل
أطهر ان تحسن فانى محسن * اليك وان تبخل فانى باخل

فقال له طاهر : لا تقل الا خيرا ، فانى لا أفعل بك الا ما تحب ، فوصله وحمله
وكسب به .

وقال على بن الجهم للمتوكل :

عفا الله عنك ! الا حرمة * تجود بعفوك أن أبعدا
لئن جل ذنب ولم اعتمد * لأنت أجل وأعلى يدا
ألم تر عبدا عدا طوره * ومولى عفا ورشيذا هدى
ومفسد أمر تلافيته * فعاد فأصلح ما أفسدا
أقلنى أقالك من لم يزل * يقيك ويصرف عنك الردى

وأحسن شعر قاله فى الحبس قصيدته التى أولها :

قالوا حبست فقلت ليس بغنائرى * حبسى وای مهند لا يغمس
او ما رأيت الليث يالف غياله * كبرا وأوباش السباع تردد
والشمس لولا أنها محجوبة * عن ناظريك لما أضياء الفرقد

والبدر يدركه السرار فتجلى * أيامه وكأنه متجدد
 والغيث يحصره الغمام فما يرى * إلا وريقه يراع ويرعد
 والزاعبية لا يقيم كهوبها * إلا الثفاف وجذوة تتوقد
 والنار في أحجارها مخبوءة * لا تصطلي أن لم تشرها الأزد
 والحبس ما لم تغشه لدية * شنعاء نعم المنزل المتوود
 بيت يجدد للكريم كرامة * ويزار فيه ولا يزور ويحمد
 لو لم يكن في الحبس إلا أنه * لا يستدلك بالحجاب الأعد
 كم من عليل قد تخطاه الردى * فنجاً ومات طبيبه والعود
 يا أحمد بن أبي دواد انما * تدعى لكل عظمة يا أحمد
 أبلى أمير المؤمنين ودونه * خوض الردى ومخاوف لا تنفد
 أنتم بنو عم النبي محمد * أولى بها شرع النبي محمد
 ما كان من كرم فأنتم أهله * كرمت مغارسكم وطاب المحتد
 أمن السوية يا بن عم محمد * خضم تقربه وآخر تبعه
 أن الذين سـعوا اليك يبطل * حساد نعمتك التي لا تجدد
 شهدوا وغبنوا عنهم فتحكموا * فينا ، وليس كغائب من يشهد
 لو يجمع الخصماء عندك مجلس * يوما لبان لك الطريق الأقصد
 فباى جرم أصبحت أعراضنا * نهبا تقسمها اللئيم الأوغد

خرج على بن الجهم الى الشام فى قافلة فخرجت عليهم الأعراب فى خساف (١) ،
 فهرب من كان فى القافلة من المقاتلة وثبت على بن الجهم ، فقاتلهم قتالا شديدا وثاب
 الناس اليه فدفعهم ولم يحظوا بشيء . فقال فى ذلك :

صبرت ومثلى صبره ليس ينكر * وليس على ترك التقم يهذر
 غريزة حر لا اختلاق تكلف * اذا خام (٢) فى يوم الوغى المتصبر
 ولما رأيت الموت تهفو بنوده * وبانت علامات له ليس تنكر
 وأقبلت الأعراب من كل جانب * وثار عجاج أسود اللون أكثر
 بكل مشيح (٣) مستميت مشمر * يجول به طرف أقب مشمر

(١) برية بين بالس وحلب .

(٢) خام : فكس وجبن .

(٣) المشيح : المانع لما وراء ظهره . والأقب من الخيل : الدقيق النضر الضامر البطن .

بأرض خساف حين لم يك دافع * ولا مانع الا الصفيح المذكر
 فقلل في عيني عظيم جموعهم * عزيزة قلب فيه ما جل يصغر
 بمعترك فيه المنايا حواسر * ونار الوغى بالشرقية تسمر
 فما صنت وجهي عن ظبات سيوفهم * ولا انحزت عنهم والقنا تتكسر
 ولم ألك في حر الكريهة محجما * اذا لم يكن في الحرب للورد مصدر
 اذا ساعد الطرف الفتى وجنانه * وأسمر خطي وأبيض مبتر
 فلناك وان كان الكريم بنفسه * اذا اصطلت الأبطال في النقع عسكر
 منعته من أن ينالوا قسامة * وكنت شجاهم والأسنة تقطر
 وتلك سجايانا قديما وحادثا * بها عرف الماضي وعز المؤخر
 أبت لي قسروم أنجبتني أن أرى * وان جل خيل خاشعا إتضجر
 أولئك آل الله فهر بن مالك * بهم يجبر العظم الكسير ويكسر
 هم المنكب العالي على كل منكب * سيوفهم تفنى وتبقى وتفقر

كان على بن الجهم يعاشر جماعة من فتيان بغداد لما أطلق من حبسه ورد من
 النفي ، وكانوا يتقايئون ببغداد ويلزمون منزل مغن بالكرخ يقال له المفضل ، فقال فيه
 على بن الجهم :

نزلنا بباب الكرخ أطيب منزل * على محسنات من قيان المفضل
 فلا بن سريج والغريض ومعبود * بدائع في أسماءنا لم تبدل
 أوانس ما للضيف منهن حشمة * ولا دهن بالجليل المبجل
 بسر اذا ما الضيف قل حياؤه * ويغفل عنه وهو غير مغفل
 ويكثر من ذم الوقار وأهله * اذا الضيف لم يانس ولم يتبدل
 ولا يدفع الأيدي المريبة غيرة * اذا نال حظا من لبوس وماكل
 ويطلق اطراق الشجاع مهابة * ليطلق طرف الناظر المتأمل
 أشر بيد وأغمز بطرف ولا تخف * رقبيا اذا ما كنت غير مبخل
 وأعرض عن المصباح والهج بمثله * فان خمد المصباح فادن وقبل
 وسل غير ممنوع وقل غير مسكت * ونم غير مدعور وقم غير معجل
 لك البيت مادامت هداياك جمة * وكنت مليا بالنبذ المعسل
 فبادر بأيام الشبيب فانها * تقضى وتبقى والفواية تنجلي
 ودع عنك قول الناس آتلف ماله * فلان فأصحتي مدبرا غير مقبل

هل الدهر الا ليلة طرحت بنا * او اخرها في يوم لهو معجل
سقى الله باب الكرخ من متنزه * الى قصر وضاح فبركة زلزل
مساحب اذبال القيان ومسرح الـ * حسان ومشوى كل خرق معذل
لو ان امرا القيس بن حجر يحلها * لا قصر عن ذكر الدخول وحومل
اذا لراى ان يمنح الود شادنا * مقصر اذبال القنا غير مسبل
اذا الليل ادنى مضجعى منه لم اقل * « عقرت بعيرى يا امرا القيس فانزل »

دخل على بن الجهم يوما على عبد الله بن طاهر في غداة من غدوات الربيع وفي
السماء غيم رقيق ، والمطر يجىء قليلا ويسكن قليلا ، وقد كان عبد الله عزم على
الصباح فغاضبته حظية له ، فتنغص عليه عزمه وفتر ، فخير على بن الجهم بالخبر
وقيل له : قل في هذا المعنى لعله ينشط للصباح ، فدخل عليه فأنشده :

اما ترى اليوم ما احلى شمائله * صحو وغيم وابراق وازعاد
كانه انت يا من لا شبيه له * وصل وهجر وتغريب وابعاد
فباكر الراح واشربها معتقة * لم يدخر مثلها كسرى ولا عاد
واشرب على الروض اذ لاحت زخارفه * زهر ونور واوراق واورداد
كانها يومنا فعل الحبيب بنا * بذل وبخل وايماد وميماد
وليس يذهب عنى كل فعلكم * غنى ورشد واصلاح وافساد

فاستحسن الأبيات وأمر له بثلاثمائة دينار وحمله وخلع عليه .

لما أطلق عبد الله بن طاهر على بن الجهم من الحبس أقام معه بالشاذياخ مدة ،
فخرجوا يوما الى الصيد . واتفق لهم مرج كثير الطير والوحش وكانت أيام الزعفران ،
فاضطادوا صيدا كثيرا حسنا ، وأقاموا يشربون على الزعفران ، فقال على بن الجهم
يصف ذلك :

وطئنا رياض الزعفران وامسكت * علينا البزاة البيض حمر الدراج (١)
ولم تحمها الأدغال منا وانما * أبجنا حماها بالكلاب البوارج
بمستروحات سباحات بطونها * على الأرض أمثال السهام الزوالج (٢)

(١) واحده دراج (يضم الدال وتشديد الراء) وهو طائر على خلقه القطا الا انه اللفظ .

(٢) الزالج من السهام : الذى يمشى على وجه الارض ثم يمضى .

ومستشرفات بالهـوادي كأنها * وما عفت منها رؤوس الصوالج
ومن دائيات السنا فكانها * نحي من رجال خاضعين كواسج
فليثا بها الفيطان فليا كأنها * أنامل إحدى الغانيات الحوالج
فقل لبغاة الصيد هل من مفاخر * بصيد وهل من واصف أو متخرج
قرنا بزاة بالصقور وحومت * شواهيننا من بعد صيد الروامج (١)

لما فلج ابن أبي دواد شمت به على بن الجهم وأظهر ذلك له وقال فيه :

لم يبق منك سوى خيالك لامعا * فوق الفراش مههدا بوسماد
فرحت بمصرعك البرية كلها * من كان منهم موقنا بمعاد
كم مجلس لله قد عطته * كي لا يحدث فيه بالاسناد
ولكم مصابيح لنا أطفأتها * حتى نزول عن الطريق الهادي
ولكم كريهة معشر أرملتها * ومحدث أوثقت في الأقياد
وغدا لمصرعك الطبيب فلم يجد * شيئا لدائك حيلة المرتاد
فلق الهوان معجلا ومؤجلا * والله رب العرش بالمرصاد
لازال فالجك الذي بك دأبا * وفجعت قبل الموت بالأولاد

ومن جيله شعره قوله :

نطق الهوى بجوى هو الحق * وملكنتي فليهنك الرق
رفقا بقلبي يا معذبه * رفقا وليس لظالم رفق
واذا رأيتك لا تكلمني * ضاقت على الأرض والأفق

وله أيضا :

يا رحمة للغريب بالبلد الناء * زح ماذا بنفسه صنعنا
فارق أحبابه فما انتفعوا * بالمش من بعده وما انتفعنا

(١) الروامج : الملواح الذي يصاد به الصقور ونحوها من جوارح الطير .

٢٠ - علي بن جبلة (١)

قال المأمون يوما لبعض جلسائه : أقسم علي من حضر ومن يحفظ قصيدة علي ابن جبلة الأعمى في القاسم بن عيسى الا أنشدنيها ، فقال له بعض الجلساء : قد أقسم أمير المؤمنين ولا بد من ابرار قسمه ، وما أحفظها ولكنها مكتوبة عندي ، قال : قم فاجئني بها ، فمضى وأتاه بها وأنشده اياها ، وهي :

ذاد رد الغي عن صدره * وارعوى واللهم من وطره
 وأبت الا البكاء له * ضحكات الشيب في شعره
 ندمي أن الشباب مضى * لم أبلغه مدى أثره
 وانقضت أيامه سلما * لم أجد حولا على غيره
 حسرت عني بشاشته * وذوى الحمود من ثمره
 ودم أهدرت من وشأ * لم يرد عقلا على هدره
 فأتت دون الصبا هنة * قلبت فوقى على وتره
 جارتا ليس الشباب لمن * راح مخنيا على كبره
 ذهبت أشياء كنت لها * صارها (٢) حلمي الى صوره
 دع جدا قحطان أو مضر * في يهـانيه وفي مضره
 وامتدح من وائل رجلا * عصر الآفاق في عصره

(١) هو علي بن جبلة الأنباري والعكوك لقبه ، وهو من الموالى أبناء الشيعة الخراسانية من أهل بغداد ، ولد في الحرية منها ونشأ فيها ، وكان ضريرا منذ ولادته مثل بشار بن برد ، وهو شاعر مطبوع عذب اللفظ جزله ، لطيف المعاني ، مداح حسن التصرف ، وقد استنفذ شعره في مدح أبي دلف العجلي وأبي غانم حميد بن عبد الحميد الطوسي ، وزاد في تفضيلهما وتفضيل أبي دلف خاصة حتى فضل ربيعة على مضر ، فاستاء المأمون من ذلك وبلغه آيات قالها العكوك في أبي دلف منها :

كل من في الأرض من عرب * بن باديـه الى حضـره
 مستعير منك مكرمة * يكتسيها يوم مفتخره

توفي سنة ٢١٣ هـ . وتجد أكثر أخباره في الأغاني (ج ١٨ ص ١٠٠) وابن خلكان طبع بولاق (ج ١ ص ٤٩٥) والشعر والشعراء (ص ٥٥٠) .

(٢) صاردا : أمالها .

المنيا في مناقبه	✽	والطيا في ذرا حجره
ملك تنلى أنامله	✽	كانبلاج النوء عن مطره
مستهل عن مواهبه	✽	كانبسام الروض عن زهره
جبل عزت مناكبه	✽	أمنت عدنان في ثغره
انما الدنيا أبو دلف	✽	بين مبداه ومحتضره
فاذا ولي أبو دلف	✽	رئت الدنيا على أثره
لست أدري ما أقول له	✽	خير أن الأرض في خفـره
يادواء الأرض ان فسدت	✽	ومديـل اليسر من عـره
كل من في الأرض من عرب	✽	بين باديـه الى حضره
مستعير منك مكرمة	✽	يكتسيها يوم مفتخره

وفيها يقول :

وزحوف في صواهله	✽	كصيام الحشر في أثره
قلده والموت مكنه	✽	في مذاكيه ومشـجـره
فرمت حقويه منه يد	✽	طوت المنشور من نظره
زرتة والخيـل عابسة	✽	تحمل البؤسى على عقـره
خارجات تحت رايـتها	✽	كخروج الطير من وكـره
وعلى النعمان عجت به	✽	عوجة ذادته عن صدره
غمط النعمان صفوتها	✽	فرددت الصفو في كـره
ولقرقور أدت رحا	✽	لم تكن ترتد في فـكره
قد تأنيت البقاء له	✽	فأبى المحتوم من قلـده
وطغى حتى رفعت له	✽	خطة شنعاء من ذكـره

فغضب المأمون واغتاظ ، وقال : لست لأبى ان لم أقطع لسانه أو أسفك دمه .

وكان يمدح حميد بن عبد الحميد ، فلما سمع حميد هذا في أبى دلف قال :
أى شيء بقيت لنا بعد هذا من مدحك ؟ فقال :

انما الدنيا حميد	✽	وأياديه الجسام
فاذا ولي حميد	✽	فملى الدنيا السلام

وهو القائل في حميد :

دجلة تسقى وأبو غانم * يطعم من تسقى من الناس
والناس جسم وامام الهدى * رأس وانت العين في الراس

وقال للحسن بن سهل :

أعطيتني يا ولي الحق مبتدئا * عطية كافات مدحي ولم ترني
ما شمت بركك حتى نلت ريقه * كأنما كنت بالجلوى تبادرني

وهو القائل في حميد :

إلى أكرم قحطان * وصلنا السهب بالسهب
إلى مجتمع النيل * وملقى أرحل المركب
حميد مفزع الأم *ة في الشرق وفي الغرب
كان الناس جسم وهـ *و منه موضع القلب
إذا سالم أرضا غـ * نيت آمنة السرب
وان حاربها جلت * بها رغبة السقب
إذا لاقى رغيل المو *ت بالشطبة والشطب
وبالهاذية الغضر * وبالهندية القضب
غدا مجتمع القلب * له جند من الرعب
فيا فوز الذي والى * ويابؤسى أخى الذنب
أيا ذا الجود فاسلم ما * جرت حطب إلى حطب
فأنت الغيث في السلم * وأنت الموت في الحرب
وانت الجامع الفار *ق بين البعد والقرب
بك الله تلافى النا *س بعد العشر والنكب
ورد البيض والبيض * إلى الأغمد والحجب
باقدامك في الحرب * واطعامك في اللزب
فكم أمنت من خوف * وكم أشفبت من شغب
وكم أصلحت من خطب * وكم أيمت من خطب
ومما تمهرها الا * دراك الطعن والضرب
تفاهت بك قحطان * إلى الغاية والحسب

ففاتت شرف الأحياء * فوت الرأس للمعجب (١)

ومما أسرف فيه فكفر أو قارب الكفر قوله في أبي دلف :

أنت الذي تنزل الأيام منزلها * وتنقل الدهر من حال إلى حال
وما مدت مدى طرف إلى أحد * إلا قضيت بأرزاق وآجال
تزور سخطا فتمسى البيض راضية * وتستهل فتبكي أوجه المال

وقال فيها :

كان خيلك في أثناء غمرتها * أرسل قطر تهاوى فوق أرسل
يخرجن من غمرات الموت سائمة * نشر الأنامل من ذى القررة الصالى

وقال أيضا :

جلاء مشيب نزل * وأنس شباب رحل
طوى صاحب صاحبها * كذاك اختلاف الدول
أعذلتى أقصرى * كفاك المشيب العذل
بدا بدلا بالشباب * ب ليت الشباب البذل
جلال ولكنسه * تحاماه حور المقل

وقد كان حميد ركب يوم عيد في جيش عظيم لم ير مثله ، فقال على بن جبلة يصف ذلك :

غدا بامير المؤمنين ويمنه * أبو غانم غنو الندى والسحاب
وضاقت فجاج الأرض عن كل موكب * أحاط به مستعليا للمواكب
كان سمو النقع والبيض فوقهم * سماوة ليل قرنت بالكواكب
فكان لأهل العيد بنسكهم * وكان حميد عيدهم بالمواهب
ولولا حميد لم تبلغ عن الندى * يمين ولم يدرك غنى كسب كاسب

(١) العجب (بفتح فسكون) : أصل الذنب .

ولو ملك الدنيا لما كان سائل * ولا اعتم فيها صاحب فضل صاحب
له ضحكة تستغرق المال بالندی * على عبسة تشجى القنا بالترائب
ذهبت بأيام العلا فاردا بها * وصرمت عن مسعاك شاو المطالب
وعادت ميل الأرض حتى تعدلت * فلم ينأ منها جانب فوق جانب
بلغت بأدنى الحزم أبعد قطرها * كأنك منها شاهد كل غائب
فأجزل

شخص على بن جبلة الى عبد الله بن طاهر الى خراسان ، وقد مدحه فأجزل
صلته ، واستأذنه في الرجوع فسأله أن يقيم ، وكان بره يتصل عنده ، فلما طال مقامه
اشتاق الى أهله فدخل اليه فأنشده :

داعه الشيب اذ نزل * وكفاه من العذل
وانقضت مدة الصبا * وانقضى اللهو والغزل
قد لعمري دملته * بنضاب فما انمل
فابك للشيب اذ بدا * لا على الربيع والطلل
وصل الله للأمير * سر عرى الملك فاتصل
ملك عزمه الزما * ن وأفعاله السول
كسروى ، بهجده * يضرب الضارب المثل
والى ظلل عزه * يلجأ الشائف الوجمل
كل خلق سوى الاما * م لانعامه خول
ليتسه حين جاد لي * بالفنى جاد بالقفل

فضحك وقال : أبيت الا أن توحشنا ، وأجزل صلته وأذن له .

دخل على بن جبلة العكوك على حميد الطوسي في أول يوم من شهر رمضان ،
فأنشده :

جعل الله مذخل الصوم فوزا * لحميد ومتمعة في البقاء
فهو شهر الربيع للقراء * وفراق الندمان والصهباء
وأنا الضامن الملى لمن عا * قرها مفطرا بطول الظماء
وكانى أرى الندامى على الخسب * ف يرجون صبحهم بالساء
قد طوى بعضهم زيارة بعض * واستعاضوا مصاحفا بالغناء

وفيها يقول :

بحميد - واين مثل حميد - * فخرت طيبى على الأحياء
جوده أظهر السباحة فى الار * ض وأغنى المقوى عن الاقواء
ملك يامل العباد نداء * مثل ما ياملون قطر السماء
صاغه الله مطعم الناس فى الار * ض وصاغ السحاب للاستقاء

فأمر له بخمسة آلاف درهم ، وقال : استعن بهذه على نفقة صومك ، ثم دخل
اليه ثانى شوال فأنشده :

علانى بصفو ما فى الدنان * واتركا ما يقوله العاذلان
واسبقا فاجع المنية بالعيب * ش فكان على الجديدين فانى
علانى بشربة تذهب الهـ * سم وتنفى طوارق الأحزان
والقيا فى مسامع سدها الصو * م رقى الموصلى او دحمان
قد آتانا شوال فاقتبل العيب * ش وأعدى قسرا على رمضان
نعم عون التى على نوب الدهـ * ر سماع القيان والعيدان
وكؤوس تجرى بماء كروم * ومطى الكؤوس أيدى القيان
من عقار تميت كل احتشام * وتسر النلمان بالنلمان
وكان المزاج يقدح منها * شردا فى سبائك العقيان
فاشرب الراح واعص من لام فيها * انها نعم عدة الفتيان
واصحب الدهر بارتحال وحل * لا تخف ما يجسره الحادثان
حسب مستظهر على الدهر ركننا * بحميد ردا من الحادثان
ملك يقتنى المكارم كنزا * وتراه من أكرم الفتيان
خلقت راحتاه للجود والبـ * س وأمواله لشكر اللسان
ملكته على العباد معد * وأقرت له بنو قحطان
أريحي النداء جميل الحيا * يله والسماح معتقدان
وجهه مشرق الى معتفيه * ويدها بالغيث تنفجران
جمل الدهر بين يوميه قسميه * من يعرف جزل وحر طعان
فاذا سار بالخميس لحرب * كل عن نص جريه الخافقان
واذا ما هزرتيه لنوال * ضاق عن رحب صدره الاققان
غيث جذب اذا أقام ربيع * يتغشى بالسبيب كل مكان
يا أبا غانم بقيت على الدهـ * ر وخلدت ما جرى العيران

ما نبأ إذا عدت المنايا * من أصابت بكل كل وجران
 قد جعلنا إليك بعث المطايا * هربا من زماننا الخوان
 وحملنا الحاجات فوق عتاق * ضامات حوائج الركبان
 ليس جود وراء جودك ينتا * ب ولا يعتفى لفسرك عانى

فأمر له بعشرة آلاف درهم ، وقال : تلك كانت للصوم فخففت وخفنا ، وهذه
 للفرط فقد زدتنا وزدناك .

ولما مات حميد الطوسي رثاه بقصيدته العينية المشهورة التي تعد من نادر الشعر
 وبديعه ، وهي :

ألدهر تبكى أم على الدهر تجزع * وما صاحب الأيام إلا مفع
 ولو سهلت عنك الأسى كان في الأسى * عزاء معز للبيب ومقنع
 تهر بما عزيت غيرك أنها * سهام المنايا حاثات ووقع
 أصبنا بيوم في حميد لو أنه * أصاب عروش الدهر ظلت تضع
 وادبنا ما أدب الناس قبلنا * وتكنه لم يبق للصبر موضع
 ألم تر للأيام كيف تصرمت * به ، وبه كانت تزداد وتدفع
 وكيف التقى مشوى من الأرض ضيق * على جبل كانت به الأرض تمنع
 ولما انقضت أيامه انقضت العلا * وأضحى به أنف الندى وهو أجدع
 وراح علو الدين جلدان ينتحي * أمانى كانت في حشاه تقطع
 وكان حميد معقلا ركعت به * قواعد ما كانت على الضيم تركع
 وكنت أراه كالرزايا رزتها * ولم أدر أن الخلق تبكيه أجمع
 حمام رماه من مواضع أمه * حمام ، كذاك الخطب بالخطب يقدع
 وليس بغرو أن تصيب منية * حمى اختها أو أن يذل المنع
 لقد أدركت فينا المنايا بشارها * وحلت بخطب وهيه ليس يرقع
 نداء حميدا للسرايا إذا غدت * تزداد بأطراف الرماح وتوزع
 وللهرق المكروب ضاقت بأمه * فلم يدرك في حوماتها كيف يصنع
 وللبيض خلتها البعول ولم يدع * لها غيره داعي الصباح المزع
 كان حميدا لم يقدر جيش عسكر * إلى عسكر أشياعه لا تروع
 ولم يبعث الخيل المغيرة بالضجى * مراحا ولم يرجع بها وهي ظلع
 رواجه يحمان النهاب ولم تكن * كتابه إلا على النهب ترجع

هوى جبل الدنيا المنيع وغيثها الـ *
 وسيف أمير المؤمنين ورمحه *
 فأقنعه من ملكه ورباعه *
 على أى شجوة تشبكي النفس بعده *
 ألم تر أن الشمس حال ضياؤها *
 وأوحشت الدنيا وأودى بهاؤها *
 وقد كانت اندنيا به مطهنة *
 بكى فقده روح الحياة كما بكى *
 وفارقت البيض الخدور وأبرزت *
 وأيقظ أحفانا وكان لها الكرى *
 ولكنه مقدار يوم ثوى به *
 وقد رآب الله الملا بمحمد *
 أثر ، على أسيافه ورماحه *
 حوى عن أبيه بذل راحته الندى *
 -دريع وحاميه الكهى المشيع *
 ومفتاح باب الخطب والخطب أفظع *
 ونائله قفر من الأرض بلقع *
 الى شجوه أو يذخر الدمع ملمع *
 عليه وأضحى لونها وهو أسفع *
 وأجذب مرعاها الذى كان يمرع *
 فقد جعلت أوتادها تتقلع *
 نداء الندى وابن السبيل المدفع *
 نواطل حسرت بعده لا تقنع *
 ونامت عيون لم تكن قبل تهجع *
 لكل امرئ منه نهال ومشرع *
 وبالأصل ينمى قرعه المتفرع *
 تقسم أنفال الخميس وتجمع *
 وطن الكلى والزعية شرع *

ملحق

الكتاب الثالث

باب المتشور

(١) نصوص كتب الأمين والمأمون

١ - نص كتاب الأمين الى المأمون ، وهو الكتاب الذى أشرنا اليه فى الجزء الأول .

إذا ورد عليك كتاب أخبك - أعاده الله من فقدك - عند حلول ما لا مرد له ولا مدفع ، مما قد أخلف وتناسخ الأمم الخالية ، والقرون الماضية ، بما عزاك الله به . واعلم أن الله جل ثناؤه ، قد اختار لأمير المؤمنين أفضل الدارين ، وأجزل الحظين ، فتبضه الله طاهرا زاكيا ، قد شكر سعيه ، وغفر ذنبه ، أن شاء الله . فقم فى أمرك قيام ذى الحزم والعزم ، والناظر لأخيه ونفسه ، وسلطانه وعامة المسلمين . وإياك أن يغلب عليك الجزع ، فانه يحبط الأجر ، ويعقب الوزر ، وصلوات الله على أمير المؤمنين حيا وميتا ، وأنا لله وأنا اليه راجعون . وخذ البيعة على من قبلك ، من قوادك وجندك ، وخاصتك وعامتك ، لأخيك ثم لنفسك ، ثم المقاسم ابن أمير المؤمنين ، على الشريطة التى جعلها لك أمير المؤمنين : من نسخها له وإثباتها ، فانك مقلد من ذاك ، ما قللك الله وخليفته .

وأعلم من قبلك رأى فى صلاحهم ، وسد خلتهم ، والتوسعة عليهم ، فمن أنكرته عند بيعته ، أو اتهمته على طاعته ، فابعث الى برأسه مع خبره . وإياك وأقالتة ، فان النار أولى به . واكتب الى عمال ثغورك ، وأمرأ أجنادك ، بما طرقتك من المصيبة بأمر

المؤمنين ، وأعلمهم أن الله لم يرض الدنيا له ثوابا ، حتى قبضه الى روحه وراحته وجنته ، مغبوطا محمودا ، قائدا لجميع خلقائه الى الجنة ان شاء الله . ومرهم أن يأخذوا البيعة على أجنادهم ، وخواصهم وعوامهم ، على مثل ما أمرتك به ، من أخذها على من قبلك ، وأوعز اليهم في ضبط ثغورهم ، والقوة على عدوهم ، انى متفقد حالاتهم ، ولام شعشهم ، وموسع عليهم ، ولا أن فى تقوية أجنادى وأنصارى . ولتكن كتبك اليهم كتباً عامة لتقرأ عليهم ، فان ذلك ما يسكنهم ، ويبسط أملهم . واعمل بما نأمر به لمن حضرك ، أو نأى عنك من أجنادك على حسب ما ترى وتشاهد . فان أخاك يعرف حسن اختيارك ، وصحة رأيك . وبعد نظرك ، وهو يستحفظ الله لك ، ويسأله أن يشد بك عضده ، ويجمع بك أمره ، انه لطيف لما يشاء . وكتب بكر بن المعتمر بن يدى واملأنى فى شوال سنة ١٩٢ هـ .

٢ - وهذا كتاب محمد الأمين الى أخيه صالح .

بسم الله الرحمن الرحيم

إذا ورد عليك كتابى هذا ، عند وقوع ما قد سبق فى علم الله ، ونفذ من قضائه ، فى خلقائه وأوليائه ، وجرت به سنته فى الأنبياء والمرسلين ، والملائكة المقربين ، فقال : (كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون) . فاحمدوا الله على ما صار اليه أمير المؤمنين ، من عظيم ثوابه ومرافقة أنبيائه ، صلوات الله عليهم ، انا اليه راجعون ، وإياه نسأل أن يحسن الخلافة على أمة محمد صلى الله عليه وسلم . وقد كان لهم عصمة وكهفا ، وبهم رءوفا رحيم .

فשמرو فى أمرك ، وإياك أن تلقى بيديك ، فان أخاك قد اختارك لما استنهضك له ، وهو متفقد مواقع فقدائك ، فحقق ظنه ، ونسأل الله التوفيق . وخذ البيعة على من قبلك ، من ولد أمير المؤمنين ، وأهل بيته ومواليه وخاصته وعامته لمحمد أمير المؤمنين ، ثم لعبد الله ابن أمير المؤمنين ، ثم للقاسم ابن أمير المؤمنين ، على الشريطة التى جعلها أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - من فسحها على القاسم أو اثباتها . فان السعادة واليمن فى الأخذ بعهدته والمضى على مناهجه .

وأعلم من قبلك من الخاصة والعامة رأى فى استصلاحهم ، ورد مظالمهم ، وتفقد حالاتهم ، وأداء أرزاقهم ، وأعطياتهم عليهم . فان شغب شاغب ، أو نعر ناعر ، فاسط به سطوة تجعله نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين . واضمم الى الميمون ابن الميمون الفضل بن الربيع ولد أمير المؤمنين وخدمه وأهله ، ومره بالمسير معهم

فيمن معه ، وجنده ورابطته ، وصير الى عبد الله بن مالك أمر العسكر وأحداثه ، فانه ثقة على ما يلي ، مقبول عند العامة ، واضمم اليه جميع جند الشرط ، من الروابط وغيرهم ، الى من معه من جنده ، ومعه بالجد والتيقظ ، وتقديم الحزم في أمره كله ، ليله ونهاره . فان أهل العداوة والنفاق لهذا السلطان يغتنمون مثل حلول هذه المصيبة ، وأقر حاتم بن هرثمة على ما هو عليه ، ومعه بحراسة ما يحفظ به قصور أمير المؤمنين ، فانه ممن لا يعرف الا بالطاعة ، ولا يدين الا بها ، بمعاقبة من الله ، مما قدم له من حال أبيه المحمود عند الخلفاء ، ومن الخدم باحضار روابطهم ، من يسد بهم وبأجنادهم مواضع الخلل من عسكرك ، فانهم حذ من حدودك ، وصير مقدمتك الى أسد بن يزيد بن مزيد ، وسأقتك الى يحيى بن معاذ ، فيمن معه من الجنود ، ومرهما بمناوبتك في كل ليلة .

والزم الطريق الأعظم ، ولا تعدون المراحل ، فان ذلك أرفق بك ، ومر أسد بن يزيد ، أن يتخير رجلا من أهل بيته أو قواده ، فيصير الى مقدمته ، ثم يصير أمامه ، لتهيئة المنازل ، أو بعض الطريق ، فان لم يحضر في عسكرك بعض من سميت ، فاختر لموضعهم من تثق بطاعته ، ونصيحتته وهيئته ، عند العوام ، فان ذلك لن يعوزك ، من قوادك وأنصارك ، ان شاء الله .

واياك أن تنفذ رأيا ، أو تبرم أمرا ، الا برأى شيخك ، وبقية آبائك ، الفضل ابن الربيع ، وأقرر جميع الخدم على ما في أيديهم من الأموال والسلاح والخزائن وغير ذلك ، ولا تخرجن أحدا منهم ، من ضمن ما يلي ، الى أن تقسم على . وقد أوصيت بكر بن المعمر بما سيبلغه ، وأعمل في ذلك بقدر ما تشاهد وترى . وان أمرت لأهل العسكر بعتاء أو رزق فليكن الفضل بن الربيع المتولى لاعطائهم ، على دواوين يتخذها لنفسه ، بمحضر من أصحاب الدواوين ، فان الفضل بن الربيع لم يزل مثل ذلك لمهمات الأمور . وأنفذ الى عند وصول كتابي هذا اليك اسماعيل ابن صبيح ، وبكر بن المعتمر ، على مركبيهما من البريد ، ولا يكون لك عرجة ولا مهلة ، بموضعك الذي أنت فيه ، حتى توجه الى عسكرك بما فيه من الأموال والخزائن ان شاء الله . أخوك يستدفع الله عنك ، ويسأله لك حسن التأييد برحمته . وكتب بكر ابن المعتمر بين يدي وأملأني في شوال سنة ١٩٢ هـ .

(ب) القول بخلق القرآن

وهاك مثلا مما كتبه المأمون الى ولاته في الأخذ بمذهبه في القول بخلق القرآن ، وهو ما أرسله الى عاله اسحاق بن ابراهيم وما يرويه لنا الطبري مما حصل .

أما الكتاب فهو :

أما بعد ، فإن حق الله على أئمة المسلمين وخلفائهم الاجتهاد في إقامة دين الله الذي استحفظهم ، ومواريث النبوة التي أورثهم . وأثر العلم الذي استودعهم ، والعمل بالحق في رعيتهم ، والتشهير لطاعة الله فيهم ، والله يسأل أمير المؤمنين ، أن يوفقه لعزيمة الرشد وصريته ، والاقساط فيما ولاه الله من رعيته ، برحمته ومنته ، وقد عرف أمير المؤمنين أن الجمهور الأعظم ، والسواد الأكبر ، من حشو الرعية ، وسفلة العامة ، ممن لا نظر له ولا روية ، ولا استدلال له بدلالة الله وهدايته ، ولا استضاءة بنور العلم وبرهانه ، في جميع الأقطار والآفاق ، أهل جهالة بالله وعمى عنه ، وضلالة عن حقيقة دينه وتوحيده والايان به ، ونكوب عن واضحات أعلامه وواجب سبيله ، وقصور أن يقدروا الله حق قدره ، ويعرفوه كنه معرفته ، ويفرقوا بينه وبين خلقه ، لضعف آرائهم ، ونقص عقولهم ، وجفائهم عن التفكير والتذكر ، وذلك أنهم ساووا بين الله تبارك وتعالى ، وبين ما أنزل من القرآن ، فأطبقوا مجتمعين ، واتفقوا غير متعاجمين ، على أنه قديم أول ، لم يخلقه الله ، ويحدثه ويخترعه ، وقد قال الله عز وجل في محكم كتابه ، الذي جعله لما في الصدور شفاء ، وللمؤمنين رحمة وهدى : (انا جعلناه قرآنا عربيا) . فكل ما جعله الله فقد خلقه ، وقال : (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور) . وقال عز وجل : (كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق) . فأخبر أنه قصص لأمر أحدثه بعدها ، وتلا به متقدمها ، وقال : (الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) . وكل محكم مفصل ، فله محكم مفصل ، والله محكم كتابه ومفصله ، فهو خالقه ومبتدعه ، ثم هم الذين جادلوا بالباطل ، فدعوا إلى قولهم ، ونسبوا أنفسهم إلى السنة ، وفي كل فصل من كتاب الله قصص من تلاوته ، مبطل قولهم ، ومكذب دعواهم ، يرد عليهم قولهم ونحلتهم ، ثم أظهروا مع ذلك أنهم أهل الحق والدين والجماعة ، وأن من سواهم أهل الباطل والكفر والفرقة ، فاستطالوا بذلك على الناس ، وغرروا به الجهال ، حتى مال قوم من أهل السمات الكاذب ، والتخشح لغير الله ، والتقشف لغير الدين إلى موافقتهم عليه ومواطأتهم على سيئ آرائهم ، تزيينا بذلك عندهم ، وتصنعا للرياسة والعدالة فيهم ، فتركوا الحق إلى باطلهم ، واتخذوا دون الله وأيجة إلى ضلالتهم ، فقبلت بتزكيتهم لهم شهادتهم ، ونفذت أحكام الكتاب بهم ، على دغل دينهم ، ونغل أديهم ، وفساد نياتهم ويقينهم ، وكان ذلك غايتهم التي إليها جروا ، وأياها طلبوا في متابعتهم ، والكذب على مولاهم ، وقد أخذ عليهم ميثاق الكتاب ، ألا يقولوا على الله إلا الحق ، ودرسوا ما فيه ، أولئك الذين أصمهم الله ، وأعمى أبصارهم ، (أفلا يتدبرون القرآن ، أم على قلوب أقفالها) . فرأى أمير المؤمنين أن أولئك شر الأمة ، ورعوس الضلالة المنقوصون من التوحيد حظا ، والمخسوسون من الايمان نصيبا ، وأوعية الجهالة وأعلام الكذب ، ولسان ابليس الناطق في أوليائه ، والهائل على أعدائه ، من أهل دين الله ، وأحق من يتهم في

صدقته ، وتطرح شهادته ، ولا يوثق بقوله ولا عمله ، فانه لا عمل الا بعد يقين ، ولا يقين الا بعد استكمال حقيقة الاسلام ، واخلاص التوحيد ، ومن عمى عن رشمه وحظه ، من أهل الايمان بالله وبتوحيده ، كان عما سوى ذلك من عمله ، والقصد في شهادته ، أعمى وأضل سبيلا ، ولعمر أمير المؤمنين أن أحجى الناس بالكذب في قوله ، وتخرص الباطل في شهادته من كذب على الله ووحيه ، ولم يعرف الله حقيقة معرفته ، وأن أولاهم برد شهادته ، في حكم الله ودينه من رد شهادة الله على كتابه ، وبهت حق الله بباطله ، فاجمع من بحضرتك من القضاة ، واقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين هذا اليك ، فابدأ بامتحانهم فيما يقولون ، وتكشيفهم عما يعتقدون ، في خلق الله القرآن واحداثه ، وأعلمهم أن أمير المؤمنين غير مستعين في عمله ، ولا واثق فيما قلده الله ، واستحفظه من أمور رعيته بمن لا يوثق بدينه ، وخلوص توحيده ويقينه ، فاذا أقرأوا بذلك ، ووافقوا أمير المؤمنين فيه ، وكانوا على سبيل الهدى والنجاة ، فمرهم بنص من يحضرهم من الشهود على الناس ، ومسألتهم عن علمهم في القرآن ، وترك اثبات شهادة من لم يقر أنه مخلوق محدث ولم يره ، والامتناع من توقيعها عنده ، واكتب الى أمير المؤمنين بما يأتيك ، عن قضاة أهل عملك في مسألتهم ، والأمر لهم بمثل ذلك ، ثم أشرف عليهم ، وتفقد آثارهم ، حتى لا تنفذ أحكام الله ، الا بشهادة أهل البصائر في الدين ، والاخلاص للتوحيد ، واكتب الى أمير المؤمنين بما يكون في ذلك ان شاء الله . وكتب في شهر ربيع الأول سنة ٢١٨ هـ .

وكتب المأمون ، الى اسحاق بن ابراهيم ، في اشخاص سبعة نفر ، منهم : محمد ابن سعد كاتب الواقدي ، وأبو مسلم مستمل يزيد بن هارون ، ويحيى بن معين ، وزهير بن حرب أبو خيثمة ، واسماعيل بن داود ، واسماعيل بن أبي مسعود ، وأحمد بن الدورقي ، فأشخصوا اليه فامتحانهم ، وسألهم عن خلق القرآن ، فأجابوا جميعا أن القرآن مخلوق ، فأشخصهم الى مدينة السلام ، وأحضرهم اسحاق بن ابراهيم داره ، فشهروا أمرهم وقولهم بحضرة الفقهاء ، والمشايخ من أهل الحديث ، فأقرأوا بمثل ما أجابوا به المأمون فخلى سبيلهم ، وكان ما فعل اسحاق بن ابراهيم من ذلك بأمر المأمون .

وكتب المأمون بعد ذلك الى اسحاق بن ابراهيم :

أما بعد ، فان من حق الله على خلفائه في أرضه ، وأمنائه على عبادته ، الذين ارتضاهم لاقامة دينه ، وحملهم رعاية خلقه ، وامضاء حكمه وسنته ، والائتمام بعباده في بريته ، أن يجهدوا لله أنفسهم ، وينصحوا له فيما استحفظهم وقلدهم ، ويدلوا عليه - تبارك اسمه وتعالى - بفضل العلم الذي أودعهم ، والمعرفة التي جعلها فيهم ، ويهدوا اليه من زاغ عنه ، ويردوا من أدبر عن أمره ، وينهجوا لرعاياهم سمت نجاتهم ، ويفقروهم على حدود ايمانهم ، وسبيل فوزهم وعصمتهم ، ويكشفوا لهم عن مغطيات

أمورهم ، ومشتبهاتها عليهم ، بما يدفعون الريب عنهم ، ويعود بالضياء والبيئة على كافتهم ، وأن يؤثروا ذلك من ارشادهم وتبصيرهم ، اذ كان جامعا لفنون مصانعهم ، ومنتظما لحظوظ عاجلتهم وآجلتهم ، ويتذكروا أن الله مرصد من مساءلتهم عما حملوه ، ومجازاتهم بما أسلفوه ، وقدموا عنده ، وما توفيق أمير المؤمنين ، الا بالله وحده ، وحسبه الله وكفى به . ومما بينه أمير المؤمنين برويته ، وطالعه بفكره ، فتبين عظيم خطره ، وجليل ما يرجع في الدين من وكفه وضرره ما ينال المسلمون بينهم من القول في القرآن الذي جعله الله اماما لهم ، وأثرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصفيه محمد صلى الله عليه وسلم باقيا لهم ، واشتباهاه على كثير منهم ، حتى حسن عندهم ، وتزين في عقولهم ، الا يكون مخلوقا ، فتعرضوا بذلك لدفع خلق الله ، الذي بان به عن خلقه ، وتفرد بجلالته من ابتداع الأشياء كلها بحكمته ، وانشائها بقدرته ، والتقدم عليها بأوليته ، التي لا يبلغ أولها ، ولا يدرك مداها ، وكان كل شيء دونه ، خلقا من خلقه ، وحدثا هو المحدث له ، وان كان القرآن ناطقا به ، ودالا عليه ، وقاطعا للاختلاف فيه ، وضاهوا به قول النصارى ، في ادعائهم في عيسى بن مريم أنه ليس بمخلوق ، اذ كان كلمة الله ، والله عز وجل يقول : (انا جعلناه قرآنا عربيا) . وناول ذلك : انا خلقناه ، كما قال جل جلاله : (وجعل منها زوجها ليسكن اليها) . وقال : (وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا) . (وجعلنا من الماء كل شيء حي) . فسوى عز وجل ، بين القرآن ، وبين هذه الخلائق ، الذي ذكرها في شية الصنعة ، وأخبر أنه جاعله وحده ، فقال : (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ) . فقال ذلك على احاطة اللوح بالقرآن ، ولا يحاط الا بمخلوق ، وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم : (لا تحرك به لسانك لتعجل به) . وقال : (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) . وقال : (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته) . وأخبر عن تورم ذمهم بكذبهم ، أنهم قالوا : (ما أنزل الله على بشر من شيء) . ثم أكذبهم على لسان رسوله ، فقال لرسوله : (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى) . فسمى الله تعالى القرآن قرآنا وذكرنا ، وإيمانا ونورا وهدى ومباركا وعربيا وقصصا ، فقال : (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن) . وقال : (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) . وقال : (قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) . وقال : (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) . فجعل له أولا وآخرا ، ودل عليه ، أنه محدود مخلوق ، وقد عظم هؤلاء الجهلة بقولهم في القرآن ، الثلم في دينهم ، والخرج في أمانتهم ، وسهلوا السبيل لعمى الاسلام ، واعترفوا بالتبديل والالحاد على قلوبهم حتى عرفوا ، ووصفوا خلق الله وفعله بالصفة التي هي لله وحده وشبهوه به ، والاشباه أولى بخلقه ، وليس يرى أمير المؤمنين ، لمن قال بهذه المقالة حظا في الدين ، ولا نصيبا من الايمان واليقين ، ولا يرى أن يحل أحدا منهم محل الثقة في أمانة ولا عدالة ولا شهادة ، ولا صدق في قول ولا حكاية ، ولا تولية لشيء من أمر الرعية ، وان ظهر قصد بعضهم ، وعرف بالسداد مسدد فيهم ، فان الفروع مردودة الى أصولها ، ومحمولة في الحمد والذم عليها ، ومن

كان جاهلاً بأمر دينه ، الذى أمره الله به ، من وحدانيته ، فهو بما سواه أعظم جهلاً ،
ومن ارشده فى غيره أعمى وأضل سبيلاً .

فأقرأ على جعفر بن عيسى وعبد الرحمن بن اسحاق القاضى كتاب أمير المؤمنين ،
بما كتب به اليك ، وانصصهما عن علمهما فى القرآن ، وأعلمهما أن أمير المؤمنين
لا يستعين على شيء من أمور المسلمين ، الا بمن وثق باخلاصه وتوحيده ، وأنه لا توحيد
لمن لم يقر بأن القرآن مخلوق ، فان قالوا يقول أمير المؤمنين فى ذلك فتقدم اليهما فى
امتحان من يحضر مجالسهما ، بالشهادات على الحقوق ، ونصهم عن قولهم فى القرآن ،
فمن لم يقل منهم انه مخلوق ، أبطلا شهادته ، ولم يقطعا حكما بقوله ، وان ثبت عفاfe
بالقبض والسداد فى أمره ، وافعل ذلك بمن فى سائر عملك من القضاة ، وأشرف عليهم
عليهم اشرافا يزيد الله به ذا البصيرة فى بصيرته ، ويمنع المرتاب من اغفال دينه ،
واكتب الى أمير المؤمنين بما يكون منك فى ذلك ان شاء الله .

ثم لننظر ما حصل بعد ذلك مما يرويه لنا الطبرى قال :

فأحضر اسحاق بن ابراهيم لذلك جماعة من الفقهاء والحكام والمحدثين ، وأحضر
أبا حسان الزيادى ، وبشر بن الوليد الكندى ، وعائى بن أبى مقاتل ، والفضل بن غانم ،
والذيال بن الهيثم ، وسجادة ، والقواريرى ، وأحمد بن حنبل ، وقتيبة ، وسعدويه
الواسطى ، وعلى بن الجعد ، واسحاق بن أبى اسرائيل ، وابن الهرش ، وابن عليه
الأكبر ، ويحيى بن عبد الرحمن العمري ، وشيخا آخر من ولد عمر بن الخطاب ،
كان قاضى الرقة وأبا نصر التمار وأبا معمر القطيعى ، ومحمد بن حاتم بن ميمون ،
ومحمد بن نوح المضراب ، وابن الفرخان ، وجماعة منهم النضر بن شميل ، وابن على
ابن عاصم ، وأبو العوام البزاز ، وابن شجاع ، وعبد الرحمن بن اسحاق ، فأدخلوا
جميعا على اسحاق ، فقرأ عليهم كتاب المأمون هذا مرتين ، حتى فهموه ، ثم قال
لبشر بن الوليد : ما تقول فى القرآن ؟ فقال : قد عرفت مقالتي لأمر المؤمنين غير
مرة ، قال : فقد تجدد من كتاب أمير المؤمنين ما قد ترى ، فقال : أقول القرآن كلام
الله ، قال : لم أسألك عن هذا ، أمخلوق هو ؟ قال : الله خالق كل شيء ، قال :
ما القرآن شيء ؟ قال : هو شيء ، قال : فمخلوق ؟ قال : ليس بخالق ، قال : ليس
أسألك عن هذا ، أمخلوق هو ؟ قال : ما أحسن غير ما قلت لك ، وقد استعهدت
أمير المؤمنين ألا أتكلم فيه ، وليس عندي غير ما قلت لك ، فأخذ اسحاق بن ابراهيم
رقعة كانت بين يديه ، فقرأها عليه ، ووقفه عليها ، فقال : أشهد أن لا اله الا الله
أحدا فردا لم يكن قبله شيء ، ولا بعده شيء ، ولا يشبهه شيء من خاقه ، فى معنى من
البحانى ، ولا وجه من الوجوه ، قال : نعم ، وقد كنت أضرب الناس على دون هذا ،
فقال للكاتب : اكتب ما قال .

ثم قال لعلي بن أبي مقاتل : ما تقول يا علي ؟ قال : قد سمعت كلامي لأمر المؤمنين في هذا غير مرة ، وما عندي غير ما سمع ، فامتحنه بالرقعة ، فأقر بما فيها ، ثم قال : القرآن مخلوق ؟ قال : القرآن كلام الله ، قال : لم أسألك عن هذا ، قال : هو كلام الله وإن أمرنا أمير المؤمنين بشيء سمعنا وأطعنا ، فقال للكاتب : اكتب مقالته .

ثم قال للذيال نحوا من مقالته لعلي بن أبي مقاتل ، فقال له مثل ذلك . ثم قال لأبي حسان الزياتي : ما عندك ؟ قال : سل عما شئت ، فقرأ عليه الرقعة ، ووقفه عليها فأقر بما فيها . ثم قال : من لم يقل هذا القول فهو كافر ، فقال : القرآن مخلوق هو ؟ قال : القرآن كلام الله والله خالق كل شيء ، وما دون الله مخلوق ، وأمير المؤمنين إمامنا وبسببه سمعنا عامة العلم ، وقد سمع ما لم نسمع ، وعلم ما لم نعلم ، وقد قلده الله أمرنا ، فصار يقيم حجنا وصلاتنا ، ونؤدي إليه زكاة أموالنا ، ونجاهد معه ، ونرى إمامته إمامة ، وإن أمرنا ائتمرنا ، وإن نهانا انتهينا ، وإن دعانا أجبنا ، قال : القرآن مخلوق هو ؟ فأعاد عليه أبو حسان مقالته ، قال : إن هذه مقالة أمير المؤمنين ، قال : قد تكون مقالة أمير المؤمنين ولا يأمر بها الناس ، ولا يدعوهم إليها ، وإن أخبرتني أن أمير المؤمنين أمرك أن أقول قلت ما أمرتني به ، فانك الثقة ، المأمون عليه ، فيما أبلغتني عنه من شيء ، فإن أبلغتني عنه شيء صرت إليه ، قال : ما أمرني أن أبلغك شيئا ، قال علي بن أبي مقاتل : قد يكون قوله كاختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفرائض والمواثيق ، ولم يحملوا الناس عليها ، قال له أبو حسان : ما عندي إلا السمع والطاعة ، فمرني آتمر ، قال : ما أمرني أن آمرك ، وإنما أمرني أن أمتحنك .

ثم عاد إلى أحمد بن حنبل ، فقال له : ما تقول في القرآن ؟ قال : هو كلام الله ، قال : أم مخلوق هو ؟ قال : هو كلام الله لا أزيد عليها ، فامتحنه بما في الرقعة ، فلما أتى إلى (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) وأمسك عن لا يشبهه شيء من خلقه ، في معنى من المعاني ، ولا وجه من الوجوه ، فاعترض عليه ابن البكاء الأصغر ، فقال - أصلحك الله - : إنه يقول : سميع من أذن ، بصير من عين ، فقال إسحاق لأحمد بن حنبل : ما معنى قوله سميع بصير ؟ قال : هو كما وصف نفسه ، قال : فما معناه ؟ قال : لا أدري هو كما وصف نفسه ، ثم دعا بهم رجلا رجلا كلهم يقول : القرآن كلام الله ، إلا هؤلاء نفر : قتيبة ، وعبيد الله بن محمد بن الحسن ، وابن علي الأكبر ، وابن البكاء ، وعبد المنعم بن إدريس ابن بنت وهب بن منبه ، والمظفر ابن مرجا ، ورجلا ضريرا ليس من أهل الفقه ، ولا يعرف بشيء منه إلا أنه دس في ذلك الموضع ، ورجلا من ولد عمر بن الخطاب قاضي الرقة ، وابن الأحمر ، فأما ابن البكاء الأكبر فإنه قال : القرآن مجعول لقول الله تعالى : (أنا جعلناه قرآنا عربيا) ،

والقرآن محدث لقوله : (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) قال له اسحاق : فاجعلوا مخلوق ؟ قال : نعم ، قال : فالقرآن مخلوق ؟ قال : لا اقول مخلوق ولكنه مجعول ، فكتب مقالته ، فلما فرغ من امتحان القوم وكتب مقالاتهم اعترض ابن البكاء الأعمى فقال - أصلحك الله - : ان هذين القاضيين أثمة ، فلو أمرتهما فأعادا الكلام ! قال له اسحاق : هما من يقوم بحجة أمير المؤمنين ، قال : فلو أمرتهما أن يسمعا مقالتهما لنحكي ذلك عنهما ! قال له اسحاق : ان شهدت عندهما بشهادة فستعلم مقالتهما ان شاء الله ، فكتب مقالة القوم رجلا رجلا ووجهت الى المأمون ، فمكث القوم تسعة أيام ثم دعا بهم . وقد ورد كتاب المأمون ، جواب كتاب اسحاق بن ابراهيم في أمرهم . وهاك هو ما نجعله ختاماً لكلمتنا .

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فقد بلغ أمير المؤمنين كتابك جواب كتابه ، كان اليك فيما ذهب اليه متصنعة أهل القبلة ، وملتمسو الرياسة فيما ليسوا له بأهل من أهل الملة ، من القول في القرآن ، وأمرك به أمير المؤمنين ، من امتحانهم ، وتكشيف أحوالهم ، واحلالهم محالهم ، تذكر احضارك جعفر بن عيسى ، وعبد الرحمن بن اسحاق ، عند ورود كتاب أمير المؤمنين ، مع من أحضرت ممن كان ينسب الى الفقه ، ويعرف بالجلوس للحديث ، وينصب نفسه للفتيا بمدينة السلام ، وقراءتك عليهم جميعاً كتاب أمير المؤمنين ، ومسألتك اياهم عن اعتقادهم في القرآن ، والدلالة لهم على حظهم ، واطباقهم على نفى التشبيه ، واختلافهم في القرآن ، وأمرك من لم يقل منهم انه مخلوق بالامساك عن الحديث والفتوى ، في السر والعلانية ، وتقديمك الى السندی ، وعباس مولى أمير المؤمنين بما تقدمت به فيهم الى القاضيين بمثل ما مثل لك أمير المؤمنين ، من امتحان من يحضر مجالسهما من الشهود ، وبث الكتب الى القضاة في النواحي من عملك بالقدوم عليك ، لتحملهم وتمتحنهم على ما حده أمير المؤمنين ، وتثبيتك في آخر الكتاب أسماء من حضر ومقالاتهم ، وفهم أمير المؤمنين ما اقتضت ، وأمر المؤمنين بحمد الله كثيراً كما هو أهله ، ويسأله أن يصلي على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، ويرغب الى الله في التوفيق لطاعته ، وحسن المعونة ، على صالح نيته برحمته .

وقد تدبر أمير المؤمنين ما كتبت به من أسماء من سألت عن القرآن ، وما رجع اليك فيه كل امرئ منهم ، وما شرحت من مقالاتهم ، فأما ما قال المغرور بشر بن الوليد في نفى التشبيه ، وما أمسك عنه من أن القرآن مخلوق ، وادعى من تركه الكلام في ذلك واستغفاده أمير المؤمنين ، فقد كذب بشر في ذلك وكفر ، وقال الزور والمنكر ، ولم يكن جرى بين أمير المؤمنين وبينه في ذلك ، ولا في غيره ، عهد ولا نظر أكثر من اخباره أمير المؤمنين من اعتقاده كلمة الاخلاص والقول بأن القرآن مخلوق ، فادع به اليك ، وأعلمه ما أعلمك به أمير المؤمنين من ذلك ، وانصصه عن قوله في القرآن ، واستتبّه منه ، فان أمير المؤمنين يرى أن تستتيب من قال بمقالته اذ كانت تلك المقالة

الكفر الصراح والشرك المحض عند أمير المؤمنين ، فان تاب منها فأشهر أمره ، وأمسك عنه ، وان أصر على شركه ، ودفع أن يكون القرآن مخلوقا بكفره والحذره ، فاضرب عنقه ، وأبعث الى أمير المؤمنين برأسه ، ان شاء الله ، وكذلك إبراهيم بن المهدي فأتته بمثل ما تمتحن به بشرا ، فانه كان يقول بقوله ، وقد بلغت أمير المؤمنين عنه بوالغ ، فان قال ان القرآن مخلوق ، فأشهر أمره واكشفه ، والا فاضرب عنقه ، وأبعث الى أمير المؤمنين برأسه ان شاء الله .

وأما علي بن أبي مقاتل فقل له : ألسنت القائل لأمر المؤمنين انك تحلل وتحرم والكلم له بمثل ما كلمته به مما لم يذهب عنه ذكره ، وأما الذيال بن الهيثم ، فأعلمه أنه كان في الطعام الذي كان يسرقه في الأنبار ، وفيما يستولي عليه من أمر مدينة أمير المؤمنين أبي العباس ما يشغله ، وأنه لو كان مقتفيا آثار سلفه ، وسالكا مناهجهم ، ومحتذيا سبيلهم ، لما خرج الى الشرك بعد إيمانه ، وأما أحمد بن يزيد المعروف بابن العوام ، وقوله انه لا يحسن الجواب في القرآن ، فأعلمه أنه صبي في عقله ، لا في سنه ، جاهل ، وأنه ان كان لا يحسن الجواب في القرآن فسيحسنه ، اذا أخذه التأديب ، ثم ان لم يفعل كان السيف من وراء ذلك ان شاء الله .

وأما أحمد بن حنبل ، وما تكتب عنه ، فأعلمه ان أمير المؤمنين قد عرف فحوى تلك المقالة ، وسبيله فيها ، واستدل على جهله ، وآفته بها ، وأما الفضل بن غانم ، فأعلمه أنه لم يخف على أمير المؤمنين ما كان منه بمصر ، وما اكتسب من الأول في أقل من سنة ، وما شجر بينه وبين المطلب بن عبد الله في ذلك ، فانه من كن شأنه شأنه ، وكانت رغبته في الدينار والدرهم رغبته ، فليس بمستنكر أن يبيع إيمانه طمعا فيهما ، وإشارا لعاجل نفعهما ، وأنه مع ذلك القائل لعلي بن هشام ما قال ، والمخالف له فيما خالفه فيه ، فما الذي حال به عن ذلك ، ونقله الى غيره ، وأما الزيادي ، فأعلمه أنه كان منتحلا لأول دعي كان في الاسلام خولف فيه حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان جديرا أن يسلك مسلكه فأنكر أبو حسان أن يكون مولى لزياد ، أو يكون مولى لأحد من الناس ، — وذكر انه انما نسب الى زياد لأمر من الأمور — وأما المعروف بابن نصر التمار ، فان أمير المؤمنين شبهه خساسة عقله بخساسة متجره ، وأما الفضل بن الفرخان ، فأعلمه أنه حاول بالقول الذي قاله في القرآن أخذ الودائع التي أودعها إياه عبد الرحمن بن اسحاق وغيره ، تربصا بمن استودعه ، وطمعا في الاستكثار لما صار في يده ، ولا سبيل عليه عن تقادم عهده ، وتطاول الأيام به ، فقل لعبد الرحمن بن اسحاق لا جزاك الله خيرا عن تقويتك مثل هذا ، وأثمتانك إياه ، وهو معتقد للشرك ، بمنسليخ من التوحيد .

وأما محمد بن حاتم ، وابن نوح ، والمعروف بابن معمر ، فأعلمهم أنهم مشاغيل بكل الربا ، عن الوقوف على التوحيد ، وأن أمير المؤمنين لو لم يستجل مجاريبتهم في

الله ومجاهدتهم ، الا لاربائهم ، وما نزل به كتاب الله فى أمثالهم ، لاستحل ذلك ، فكيف بهم وقد جمعوا مع الارباء شركا ، وصاروا للنصارى مثلا ، وأما أحمد بن شجاع ، فأعلمه أنك صاحبه بالأمس ، والمستخرج منه ما استخرجته من المال الذى كان استحله من مال على بن هشام ، وأنه ممن الدينار والدرهم دينه ، وأما سعدويه الواسطي فقل له : قبح الله رجلا بانغ به التصنع للحديث ، والتزين به ، والحرص على طلب الرئاسة فيه ، أن يتمنى وقت المحنة فيقول بالتقرب بها : متى يمتحن فيجلس للحديث ، وأما المعروف بسجادة ، وانكاره أن يكون سمع ممن كان يجالس من أهل الحديث ، وأهل الفقه ، القول بأن القرآن مخلوق ، فأعلمه أنه فى شغله بأعداد النثرى ، وحكه لأصلاح سجادته ، وبالودائع التى دفعها اليه على بن يحيى وغيره من أذهاله عن التوحيد وألهاه ، ثم سله عما كان يوسف بن أبى يوسف ، ومحمد ابن الحسن ، يقولانه ان كان شاهدهما وجالسهما ، وأما القواريرى ففيما تكشف من أحواله ، وقبوله الرشا والمصانعات ما أبان عن مذهبه ، وسوء طريقته ، رسد خافة عقله ودينه ، وقد انتهى الى أمير المؤمنين أنه يتولى لجعفر بن عيسى الحسنى مسائله ، فتقدم الى جعفر بن عيسى فى رفضه ، وترك الثقة به ، والاستئانة اليه .

وأما يحيى بن عبد الرحمن العمري ، فان كان من ولد عمر بن الخطاب فجوابه معروف ، وأما محمد بن الحسن بن على بن عاصم فانه لو كان مقتديا بمن مضى من سلفه لم ينتحل النحلة التى حكيت عنه ، وانه بعد صبي يحتاج الى تعلم ، وقد كان أمير المؤمنين وجه اليك المعروف بأبى مسهر ، بعد أن نصه أمير المؤمنين عن محنته فى القرآن ، فجمجم عنها ، ولجلج فيها ، حتى دعا له أمير المؤمنين بالسيف ، فأقر ذميما ، فانصصه عن اقرازه ، فان كان مقيما عليه فأشهر ذلك وأظهره ان شاء الله ، ومن لم يرجع عن شركه ممن سميت لأمر المؤمنين فى كتابك ، وذكره أمير المؤمنين لك ، أو أمسك عن ذكره فى كتابه هذا ، ولم يقل ان القرآن مخلوق ، بعد بشر بن الوليد ، وإبراهيم بن المهدي ، فأحملهم أجمعين ، موثقين الى عسكر أمير المؤمنين مع من يقوم بحفظهم ، وحراستهم فى طريقهم ، حتى يؤديهم الى عسكر أمير المؤمنين ، ويسلمهم الى من يؤمر بتسليمهم اليه ، لينصهم أمير المؤمنين ، فان لم يرجعوا ويتوبوا حملهم جميعا على السيف ان شاء الله ، ولا قوة الا بالله ، وقد أنفذ أمير المؤمنين كتابته هذا فى خريطة بندارية ، ولم ينظر به اجتماع الكتب الخرائطية معجلا به ، تقربا الى الله عز وجل بما أصدر من الحكم ، ورجاء ما اعتمد ، وادراك ما أمل ، من جزيل ثواب الله عليه ، فأنفذ لما أتاك من أمر أمير المؤمنين ، وعجل اجابة أمير المؤمنين بما يكون منك فى خريطة بندارية مفردة عن سائر الخرائط ، لتعرف أمير المؤمنين ما يعملونه ان شاء الله . وكُتِبَ سَنَةَ ٢١٨ هـ .

(ج) عهد طاهر بن الحسين

قال ابن طيفور : ولما عهد طاهر بن الحسين الى عبد الله ابنه هذا العهد ، تنازعه الناس وكتبوه وتدارسوه ، وشاع أمره حتى بلغ المأمون ، فدعا به وقرىء عليه ، وقال : بما أبقي أبو الطيب شيئا من الدين والدنيا ، والتدبير والرأى ، واصلاح الملك والرعية ، وحفظ البيعة ، وطاعة الخلفاء ، وتقويم الخلافة الا وقد أحكمه ، وأوصى به ، وتقدم فيه . وأمر أن يكتب بذلك الى جميع العمال في نواحي الأعمال . ولما كان هذا العهد من الوثائق التاريخية التي لها قيمتها العلمية والأدبية والاجتماعية والسياسية أثرنا ذكره على ما فيه من طول رغبة منا في ألا يخلو كتابنا من هذا الأثر العظيم القيمة والخطر ، وماكه :

« عليك بتقوى الله وحده لا شريك له ، وخشيته ومراقبته ومزايلة سخطه ، وحفظ رعيته ، والزم ما البسك الله في العافية بالذكر لمعاذك ، وما أنت صائر اليه ، وموقوف عليه ، ومستول عنه ، والعمل في ذلك كله بما يعصمك الله وينجيك يوم القيامة من عذابه وأليم عقابه ، فإن الله قد أحسن اليك ، وأوجب عليك الرأفة بمن استرعاك أمرهم من عباده ، وألزمك العدل عليهم ، والقيام بحقه وحدوده فيهم ، والذب عنهم ، والدفع عن حريتهم وبيضتهم ، والحقن لدمائهم ، والأمن لسبيلهم ، وإدخال الراحة عليهم في معاشهم ، ومؤاخذك بما فرض عليك من ذلك ، وموقفك عليه ، ومسائلك عنه ، ومثيبك عليه بما قدمت وأخرت ، ففرغ لذلك فكرك وعقلك وبسرك ورويتك ، ولا يذهلك عنه ذهل ، ولا يشغلك عنه شغل ، فانه رأس أمرك وملاك شأنك ، وأول ما يوفقك الله به لرشدك ، وليكن أول ما تلزم به نفسك وتنسب اليه فعالك ، المواظبة على ما افترض الله عليك من الصلوات الخمس ، والجماعة عليها بالناس قبلك في مواقيتها على سننها في اسباغ الوضوء لها وافتتاح ذكر الله فيها ، وترتل في قراءتك ، وتمكن في ركوعك وسجودك وتشهدك ، ولتصدق فيها لربك نيتك ، واحضض عليها جماعة من معك وتحت يدك ، وادأب عليها فانها كما قال الله تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، ثم أتبع ذلك الأخذ بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمثابرة على خلائقه ، واقتفاء آثار السلف الصالح من بعده ، واذا ورد عليك أمر فاستعن عليه باستخارة الله وتقواه ، ولزوم ما أنزل الله في كتابه ، من أمره ونهيته ، وحلاله وحرامه ، وإتتمام ما جاءت به الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قم فيه بما يحق لله عليك ، ولا تمل عن العدل فيما أحببت أو كرهت ، لقريب من الناس أو بعيد ، وآثر الفقه وأهله ، والدين وحملته وكتاب الله والعاملين به ، فان أفضل ما تزين به المرء الفقه في دين الله ، والطلب له والحث عليه ، والمعرفة بما يتقرب به الى الله ، فانه الدليل على الخير كله ، والقائد له ، والآمر به ، والناهي عن المعاصي والموبقات كلها ، وبها مع توفيق الله تزداد العباد معرفة بالله ، عز وجل ، واجلالا له ودركا للدرجات العلى في المعاد ، مع ما في ظهوره للناس من التوقير لأمره

والهيبة لسلطانك ، والأنسة بك والثقة بعدك . عليك بالاقتصاد في الأمور كلها فليس شيء أبين نفعا ولا أحضر أمنا ولا أجمع فضلا من القصد ، والقصد داعية إلى الرشيد ، والرشيد دليل على التوفيق ، والتوفيق منقاد إلى السعادة ، وقوام الدين والسنن الهادية بالاقتصاد ، فآثره في دنياك كلها ، ولا تقصر في طلب الآخرة والأجر والأعمال الصالحة ، والسنن المعروفة ومجالم الرشيد ، فلا غاية للاستكثار من البر والسعي له ، إذا كان يطلب به وجه الله ومرضاته ، ومرافقة أوليائه ، في دار كرامته .

واعلم أن القصد في شأن الدنيا يورث العز ، ويحصن من الذنوب وأنتك لن تحوط نفسك ومن يليك ، ولا تستصلح أمورك ، بأفضل منه ، فآته ، واهتد به تتم أمورك ، وتزد مقدرتك ، وتصلح خاصتك وعامتك ، وأحسن الظن بالله عز وجل ، تستقم لك رعيته ، والتمس الوسيلة إليه في الأمور كلها ، نستدم به النعمة عليك ، ولا تنهض أحدا من الناس ، فيما توليه من عملك ، قبل تكشف أمره بالتهمة ، فاق إيتاع النهم بالبراء والظنون السيئة بهم مآثم ، واجعل من شأنك ، حسن الظن بأصحابك ، واطرد عنك سوء الظن بهم ، وارضضه عنهم ، يعنك ذلك على اصطناعهم ورباضتهم ، ولا يجدن عدو الله الشيطان في أمرك مغمزا ، فانه انما يكتفى بالقليل من وهناك فيدخل عليك من الغم ، في سوء الظن ، ما ينغص عليك لذاعة عيشك ، واعلم أنك تجد بحسن الظن ، قوة وراحة ، وتكفى به ما أحببت كفايته من أمورك ، وتدعو به الناس إلى محبتك ، والاستقامة في الأمور كلها لك . ولا يمنعك حسن الظن بأصحابك ، والرافة برعيتك ، أن تستعمل المسئلة والبحث عن أمورك والمباشرة لأمر الأولياء ، والحيطة للرعية ، والنظر فيما يقيمها ويصلحها ، بل لتكن المباشرة لأمر الأولياء ، والحيطة للرعية ، والنظر في حوائجهم ، وحمل مؤوناتهم ، آثر عندك مما سوى ذلك ، فانه أقوم للدين ، وأحيا للسنة ، وأخلص نيتك في جميع هذا ، وتفرد بتقويم نفسك ، تفرد من يعلم أنه مسئول عما صنع ، ومجزى بما أحسن ، فان الله جعل الدين حرزا وعزا ، ورفع من اتبعه وعززه ، فاسلك بمن تسوسه وترعاه ، نهج الدين ، وطريقة الهدى ، وأقم حدود الله في أصحاب الجرائم على قدر منازلهم ، وما استحقوه ، ولا تعطل ذلك ولا تهاون به ، ولا تؤخر عقوبة أهل العقوبة ، فان في تفريطك في ذلك ، لما يفسد عليك حسن ظنك ، واعزم على أمرك في ذلك بالسنن المعروفة ، وجانب الشبه والبدعات ، يسلم لك دينك ، وتقم لك مروءتك ، وإذا عاهدت عهدا فف به ، وإذا وعدت الخير فأنجزه ، واقل الحسنه ، وادفع بها ، وأغمض عن عيب كل ذي عيب من رعيته ، واشدد لسانك عن قول الكذب والزور ، وأبغض أهله ، وأقص أهل النميمة ، فان أول فساد أمرك في عاجل الأمور وأجلها ، تقريب الكذوب ، والجراة على الكذب ، لأن الكذب رأس المآثم ، والزور والنميمة خاتمها ، لأن النميمة لا يسلم صاحبها ، وقائلها لا يسلم له صاحب ولا يستقيم لطيعها أمر ، وأحب أهل الصدق والصلاح ، وأعن الأشراف بالحق ، وواصل

الضعفاء ، وصل الرحم ، وابتغ بذلك وجه الله ، وعزة أمره ، والتمس فيه ثوابه والدار الآخرة ، واجتنب سوء الأهواء والجور ، واصرف عنهما رأيك ، وأظهر من ذلك لرعييتك ، وأنعم بالعدل سياسيتهم ، وقم بالحق فيهم ، وبالمعرفة التي تنتهي بك الى سبيل الهدى ، واملك نفسك عند الغضب ، وآثر الوقار والخلم ، وإياك والحدة والطيش والغرور فيما أنت بسبيله ، وإياك أن تقول : انى مسلط أفعل ما أشاء فان ذلك سريع فيك الى نقص الرأى ، وقلة اليقين بالله وحده لا شريك له ، وأخلص لله وحده النية فيه ، واليقين به ، واعلم أن الملك لله ، يعطيه من يشاء ، وينزعه ممن يشاء ولن تجد تغير النعمة ، وحلول النعمة ، الى أحد أسرع منه ، الى حملة النعمة ، من أصحاب السلطان ، والمبسوط لهم فى الدولة ، اذا كفروا بنعم الله واحسانه واستطالوا بما آتاهم الله من فضله ، ودع عنك شره نفسك ، ولتكن ذخايرك وكنوزك التي تدخر وتكنز ، البر والتقوى ، والمعدلة ، واستصلاح الرعية وعمارة بلادهم ، والتفقد لأموارهم ، والحفظ لدمائهم ، والاغاثة للمهوفهم ، واعلم أن الأموال اذا كثرت وذخرت فى الخزائن ، لا تثمر ، واذا كانت فى اصلاح الرعية ، واعطاء حقوقهم ، وكف المؤونة عنهم ، نمت وربت ، وصلحت به العامة ، وتزيتت به الولاة ، وطلب به الزمان ، واعتقد فيه العز والمنفعة ، فليكن كنز خزائنك تفريق الأموال فى عمارة الاسلام وأهله ، ووفر منه على أولياء أمير المؤمنين قبلك حقوقهم ، وأوف رعييتك من ذلك حصصهم ، وتعهد بما يصلح أمورهم ومعايشهم ، فانك اذا فعلت ذلك قوت النعمة عليك ، واستوجبت المزيد من الله ، وكنت بذلك على جباية خراجك ، وجمع أموال رعييتك وعملك أقدر ، وكان الجميع لما شملهم من عدلك واحسانك أسلس لطاعتك ، وأطيب نفسا بكل ما أردت ، فاجهد نفسك ، فيما حددت لك فى هذا الباب ، ولتعظم حسبتك فيه ، فانما يبقى من المال ، ما أنفق فى سبيل حقه ، واعرف للشاكرين شكرهم ، وأثبهم عليه ، وإياك أن تنسيك الدنيا وغرورها هول الآخرة ، فتتهاون بما يحق عليك ، فان التهاون يوجب التفريط والتفريط يورث البوار ، وليكن عملك لله ، وفيه تبارك وتعالى ، وارج الثواب ، فان الله قد أسبغ عليك نعمته فى الدنيا ، وأظهر لديك فضله ، فاعتصم بالشكر ، وعليه فاعتمد ، يزدك الله خيرا واحسانا . فان الله يذيب بقدر شكر الشاكرين وسيرة المحسنين ، وقضاء الحق فيما حمل من النعم ، والبس من العافية والكرامة ، ولا تحتقرن ذنبا ، ولا تمالئن حاسدا ، ولا ترحمن فاجرا ، ولا تصلن كفورا ، ولا تدهنن عدوا ، ولا تصدقن نماما ولا تأمنن غدارا ، ولا توالين فاسقا ، ولا تتبعن غاويا ، ولا تحمدن هراثيا ، ولا تحقرن انسانا ، ولا ترذن سائلا فقيرا ، ولا تجيبن باطلا ، ولا تلاحظن مضحكا ، ولا تخلفن وعدا ، ولا تذهبن فخرا ، ولا تظهرن غضبا ، ولا تأتين بذخا ، ولا تمشين مرحا ، ولا تركبن سفها ، ولا تفرطن فى طلب الآخرة ، ولا تدفع الأيام عيانا ، ولا تغمضن عن الظالم رهبة منه ، أو مخافة ، ولا تطلبن ثواب الآخرة فى الدنيا ، وأكثر مشاورة الفقهاء ، واستعمل نفسك بالحلم ، وخذ عن أهل التجارب وذوى العقل والرأى والحكمة ، ولا تدخلن فى مشورتك أهل الدقة والبخل ، ولا تسمعن لهم قولا ، فان ضررهم أكثر

من منفعتهم ، وليس شيء أسرع فسادا لما استقبلت في أمر رعيته من النسخ ، واعلم أنك إذا كنت حريصا ، كنت كثير الأخذ ، قليل العطية ، وإذا كنت كذلك لم يستقم لك أمرك الا قليلا ، فان رعيته انما تعتقد على محبتك بالكف عن أموالهم ، وترك الجور عليهم ، ويهدوم صفاء أوليائك لك ، بالافضال عليهم ، وحسن العطية لهم ، فاجتنب الشح ، واعلم أنه أول ما عصي به الانسان ربه ، وان العاصي بمنزلة خزي ، وهو قول الله عز وجل ، (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) فسهل طريق الجود بالحق ، واجعل للمسلمين كلهم من نيتك حظا ونصيبا ، وأيقن أن الجود من أفضل أعمال العباد ، فأعده لنفسك خلقا ، وارض به عملا ومذهبا ، وتفقد أمور الجند في دواوينهم ، ومكاتبهم ، وأدرر عليهم أرزاقهم ، ووسع عليهم في معاشهم ، ليذهب بذلك الله فاقتهم ، ويقوم لك أمرهم ، ويزيد به قلوبهم في طاعتك وأمرك ، خلوصا وانشراحا ، وحسب ذي سلطان من السعادة ، أن يكون على جنده ورعيته ، رخصة في عدله وخيطة وانصافه وعنايته ، وشفقته وبره وتوسعته ، فزایل مكروه احدي البليتين ، باستشعار تكملة الباب الآخر ولزوم العمل به تلقى ان شاء الله نجاحا وصلاحا وفلاحا .

واعلم أن القضاء من الله ، بالمكان الذي ليس مثله شيء من الأمور ، لأنه ميزان الله الذي تعادل عليه الأحوال في الأرض ، وباقامة العدل في القضاء والعمل تصالح الرعية ، وتؤمن السبل ، وينتصف المظلوم ، ويأخذ الناس حقوقهم ، وتحسن المعيشة ، ويؤدي حق الطاعة ، ويرزق الله العافية والسلام ، ويقوم الدين ، وتجري السنن والشرائع ، وعلى مجاريها ينتجز الحق والعدل في القضاء . واشتد في أمر الله وتوزع عن النطف وامض لاقامة الحدود ، وأقلل العجلة ، وابعد من الضجر والقلق ، واقنع بالقسم ، ولتسكن ريحك ، ويقر جدك ، وانتفع بتجربتك ، وانتبه في صمتك ، واسدد في منطقك ، وأنصف الخصم ، وقف عند الشبهة ، وأبلغ في الحجة ، ولا يأخذك في أحد من رعيته محاباة ولا مجاملة ، ولا لوم لائم ، وتثبت وتأن ، وراقب وانظر ، وتدبر وتفكر ، واعتبر وتواضع لربك ، وارأف بجميع الرعية ، وسلط الحق على نفسك ، ولا تسرعن الى سفك دم ، فان الدماء من الله بمكان عظيم انتهاكا لها بغير حقها ، وانظر هذا الخراج الذي استقامت عليه الرعية ، وجهله الله للاسلام عزا ورفعة ، ولأهله سعة ومنعة ، ولعدوه وعدوهم كبتا وغيظا ، ولأهل الكفر من معاهدتهم ذلا وصغارا ، فوزعه بين أصحابه بالحق والعدل والتسوية ، والعموم فيه ، ولا تدفع منه شيئا عن شريف لشرفه ، وعن غنى لغناه ، ولا عن كاتب لك ، ولا أحد من خاصتك ، فلا تأخذن منه ، فوق الاحتمال له ، ولا تكلفن أمرا فيه شطط ، واحمل الناس كلهم على مر الحق ، فان ذلك أجمع لألفتهم ، وألزم لرضى العامة ، واعلم أنك جعلت بولايتك خازنا وحافظا ، وراعيا ، وانما سمي أهل عملك رعيته ، لأنك راعيتهم ، وقيمهم ، تأخذ منهم ما أعطوك ، من عفوهم ومقدراتهم ، وتنفق في قوام أمرهم وصلاحتهم ، وتقويم أودهم ، فاستعمل عليهم في كور عملك ، ذوى الرأي والتدبير

والتجربة والخبرة بالعمل ، والعلم بالسياسة والعفاف ، ووسع عليهم فى الرزق ،
 فان ذلك من الحقوق اللازمة لك فيما تقلدت ، وأسند اليك ، ولا يشغلنك عنه شاغل ،
 ولا يصرفنك عنه صارف ، فانك متى آثرته ، وقمت فيه بالواجب ، استدعيت به
 زيادة النعمة من ربك ، وحسن الأحداث فى عملك ، واستجرت به المحبة من رعيتك ،
 وأعنت على الصلاح ، فدرت الخيرات ببلدك ، وفشت العمارة بناحيتك ، وظهر
 الخصب فى كورك ، وكثر خراجك ، وتوفرت أموالك ، وقويت بذلك على ارتباط
 جنودك ، وارضاء العامة ، بإفاضة العطاء فيهم من نفسك ، وكنت محمود السياسة ،
 مرضى العدل فى ذلك عند عدوك ، وكنت فى أمورك كلها ، ذا عدل وقوة ، وآلة وعدة ،
 فنافس فى هذا ، ولا تقدم عليه شيئاً ، تحمله مغبة أمرك ، ان شاء الله ، واجعل فى
 كل كورة من عملك أميناً ، يخبرك أخبار عمالك ، ويكتب اليك بسيرتهم وأعمالهم ،
 حتى كأنك مع كل عامل فى عمله ، معاين لأمره كله ، وان أردت أن تأمره بأمر ،
 فانظر فى عواقب ما أردت من ذلك ، فان رأيت السلامة فيه والعافية ، ورجوت فيه
 حسن الدفاع ، والنصح فامضه ، والا فتوقف عنه ، وراجع أهل البصر والعلم ،
 ثم خذ فيه عدته ، فانه ربما نظر الرجل فى أمر من أمره ، قد واتاه على ما يهوى ، فقواه
 على ذلك وأعجبه ، وان لم ينظر فى عواقبه أهلكه ، ونقض عليه أمره ، فاستعمل
 الحزم فى كل ما أردت وباشره بعد عون الله بالقوة ، وأكثر استخارة ربك ، فى
 جميع أمورك ، وافرغ من عمل يومك ، ولا تؤخره لغدك ، وأكثر مباشرته بنفسك ،
 فان لغد أموراً وحوادث تلهيك عن عمل يومك الذى أخرت ، واعلم أن اليوم اذا مضى
 ذهب بما فيه ، واذا أخرت عمله اجتمع عليك أمر يومين ، فشغلك ذلك حتى تعرض
 عنه ، فاذا أمضيت لكل يوم عمله ، أرحت نفسك وبدنك ، وأحكمت أمور سلطانتك ،
 وانظر أحرار الناس وذوى الشرف منهم ، ثم استيقن صفاء طويتهم ، وتهذيب مودتهم
 لك ، ومظاهرتهم بالنصح والمحافظة على أمرك ، فاستخلصهم ، وأحسن اليهم ،
 وتعاهد أهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة ، فاحتمل مؤونتهم وأصلح حالهم ،
 حتى لا يجدوا لخلتهم مسا ، وأفرد نفسك للنظر فى أمور الفقراء والمساكين ، ومن
 لا يقدر على رفع مظلمة اليك ، والمحتقر الذى لا علم له بطلب حقه ، فاسأل عنه أخفى
 مسألة ، ووكل بأمثاله أهل الصلاح من رعيتك ، ومرهم برفع حوائجهم وحالاتهم
 اليك ، لتنظر فيها بما يصلح الله به أمرهم ، وتعاهد ذوى البأساء ويتاماهم وأراملهم .
 واجعل لهم أرزاقاً من بيت المال اقتصداء بأمر المؤمنين أعزه الله فى العطف عليهم
 والصنة لهم ، ليصلح الله بذلك عيشهم ، ويرزقك به بركة وزيادة ، وأجر للأمراء من
 بيت المال ، وقدم حملة القرآن منهم ، والحافظين لأكثره ، فى الجراية على غيرهم ،
 وانصب لمرضى المسلمين دوراً تؤويهم ، وقواماً يرققون بهم ، وأطباء يعالجون أسقامهم ،
 وأسعفهم بشبهواتهم ، ما لم يؤد ذلك الى سرف فى بيت المال ، واعلم أن الناس اذا
 أعطوا حقوقهم ، وأفضل أمانيتهم لم يرضهم ذلك ، ولم تطب أنفسهم ، دون رفع
 حوائجهم الى ولايتهم ، طمعا فى نيل الزيادة ، وفضل الرفق منهم ، وربما برم المتصفح
 لأمر الناس لكثرة ما يرد عليه ، ويشغل فكره وذهنه ، ومنها ما يناله به مؤونة

ومشقة ، وليس من يرغب في العدل ويعرف محاسن أموره في العاجل وفضل ثواب الآجل ، كالذي يستقبل ما يقربه الى الله ، ويلتمس رحمته به ، وأكثر الاذن للناس عليك ، وأبرز لهم وجهك ، وسكن لهم أحراسك ، وانخفض لهم جناحك ، وأظهر لهم بشرك ، ولن لهم في المسألة والمنطق ، واعطف عليهم بجودك وفضلك ، وإذا أعطيت فأعط بسماحة وطيب نفس ، والتمس الصنيعة والأجر ، غير مكدر ولا منان ، فان العطية على ذلك تجارة مربحة ان شاء الله ، واعتبر بما ترى من أمور الدنيا ، ومن مضى من قبلك ، من أهل السلطان والرياسة ، في القرون الخالية والأمم البائدة ، ثم اعتصم في أحوالك كلها بأمر الله ، والوقوف عند محبته ، والعمل بشريعته وسنته وإقامة دينه وكتابه ، واجتنب ما فارق ذلك وخالفه ، ودعا الى سخط الله ، واعرف ما تجمع عمالك من الأموال ، وينفقون منها ، ولا تجمع حراما ، ولا تنفق اسرافا ، وأكثر مجالسة العلماء ، ومشاورتهم ومخالطتهم ، وليكن هواك اتباع السنن وإقامتها ، وإيثار مكارم الأمور ومعاليها ، وليكن أكرم دخلائك وخاصتك عليه من اذا رأى عيبا فبك لم تمنعه هيبتك من انهاء ذلك اليك ، في سر ، واعلامك ما فيه من النقص ، فان أولئك انصح أوليائك ومظاهريك ، وانظر عمالك الذين بحضرتك ، وكتابك فوقت لكل رجل منهم في كل يوم وقتا يدخل عليك فيه بكتبه ومؤامراته وما عنده من حوائج عمالك وأمر كورك ورعيتك ، ثم فرغ لما يورده عليك من ذلك سمعك وبصرك ، وفهمك وعقلك ، وكرر النظر اليه والتدبير له ، فما كان موافقا للحزم والحق فامضه واستخر الله فيه ، وما كان مخالفا لذلك فاصرفه الى التثبيت فيه والمسألة عنه ، ولا تمن على رعيتك ولا على غيرهم بمعروف تأتيه اليهم ، ولا تقبل من أحد منهم الا الوفاء والاستقامة والعون في أمور أمير المؤمنين ، ولا تضعن المعروف الا على ذلك ، وتفهم كتابي اليك ، وأكثر النظر فيه ، والعمل به ، واستعن بالله على جميع أمورك واستخره ، فان الله مع الصلاح وأهله ، وليكن أعظم سيرتك ، وأفضل رغبتك ، ما كان لله رضا ، ولدينه نظاما ، ولأهله عزا وتمكينا ، وللذمة والملة عدلا وصلاحا ، وأنا أسأل الله أن يحسن عونك وتوفيقك ، ورشدك وكلاءك ، وأن ينزل عليك فضله ورحمته ، بتمام فضله عليك ، وكرامته لك ، حتى يجعلك أفضل أمثالك نصيبا ، وأوفرهم حظا ، وأستأمرهم ذكرا وأمرأ ، وأن يهلك عدوك ومن ناوأك ويغنى عليك ، ويرزقك من رعيتك العافية ، ويحجز الشيطان عنك ووساوسه ، حتى يستعلى أمرك بالعرز والقوة والتوفيق ، انه قريب مجيب .

(د) رسالة الخميس

من عبد الله الامام المأمون أمير المؤمنين ، الى المبايعين على الحق ، والناصرين للدين ، من أهل خراسان وغيرهم من أهل الاسلام : سلام عليكم ، فان أمير المؤمنين يحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو ، ويسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله .

أما بعد ، فالحمد لله القادر القاهر ، الباعث الوارث ، ذى العز والسلطان ، والنور والبرهان ، فاطر السموات والأرض وما بينهما ، والمتقدم باليمن والطول على أهلها ، قبل استحقاقهم لمثوبته بالمحافظة على سرائع طاعته ، الذى جعل ما أودع عباده من نعمته ، دليلا هاديا لهم الى معرفته ، بما أقادهم من الأبواب ، التى يفهمون بها فصل الخطاب ، حتى اقتنوا علم موارد الاختبار ، وثقفوا مصادر الاعتبار ، وحكموا على ما بطن بما ظهر ، على ما غاب بما حضر ، واستدلوا بما أراهم من بالغ حكمته ، ومتقن صنعتته ، وحاجة متزاييل خلقه وفتواصله ، الى القوم (١) بما يلزمه ويصلحه ، على أن له بارثا أنشأه وابتدأه ، ويسر بعضه لبعض . فكان من أقرب وجودهم ، ما يباشرون به من أنفسهم فى تصرف أحسوالهم ، وفنون انتقاليهم ، وما يظهرون عليه من العجز عن التأتى لما تكاملت به قواهم ، وتفتت به أدواتهم ، مع أثر تدبير الله عز وجل وتقديره فيهم ، حتى صاروا الى الخلقة المحكمة ، والضرورة المعجبة ، ليس لهم فى شىء منها تल्प يتضمونه ، ولا مقصد يعتمدونه من أنفسهم ، فانه قال تعالى ذكره : **(يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى اثنى صورة ما شاء وكتبك)** . ثم ما يتفكرون فيه من خلق السموات ، وما يجرى فيها من الشمس والقمر والنجوم مسخرات على مسير لا يثبت العالم الا به من تصارييف الأزمنة التى بها صلاح الحرث والنسل ، وحياء الأرض ، ولقاح النبات والأشجار ، وتعاود الليل والنهار ، ومر الأيام والشهور والسنين التى تخصى بها الأوقات ، ثم ما يوجد من دلائل التركيب فى طبقات السقف المرفوع ، والمهاد الموضوع ، باختلاف أجزائه والثامها ، وخلق الأنهار ، وارساء الجبال . ومن البيان الشاهد ما أخبر الله عز وجل به من انشائه الخلق ، وحدثه بعد أن لم يكن مترقيا فى النماء ، وثباته الى أجله فى البقاء ، ثم محاربه منقضيا الى غاية الفناء . ولو لم يكن له مفتتح عدد ولا منقطع أمد ، ما ازداد بنشوء ، ولا تحيفه نقصان ، ولا تفاوت على الأزمان ، لأن ما لا حد له ولا نهاية ، غير ممكن الاحتمال للنقص والزيادة . ثم ما يوجد عليه منفعتة من ثبات بعضه لبعض ، وقوام كل شىء منه بما يسر له ، فى بدء استمداده الى منتهى نفاذه ، كما احتج الله عز وجل على خلقه ، فقال : **(او لا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا)** . وقال عز وجل : **(كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام)** . وكل ما تقدم من الاخبار عن آيات الله عز وجل ودلالاته فى سمواته التى بنى ، وأطباق الأرض التى دحا ، وآثار صنعه فيما برأ وذرا ، ثابت فى فطر العقول ، حتى يسخر أولى الزين ما يدخلون على أنفسهم من الشبهة فيما يجعلون له من الأضداد والأنداد . جل عما يشركون . ولولا توحده بالتدبير ، عن كل معين وظهير ، لكان الشركاء جدراء أن تختلف بهم ارادتهم فيما يخلقون ، ولم يكن التخلف فى اثباته وازالته ليخلو من أحد وجهيه ، وأيهما كان فيه

(١) القوم كالقيام مصدر قام .

فالعجز والنقص مما أتاه وبراه . جل البديع خالق الخلق ومالك الأمر عن ذلك وتعالى علوا كبيرا ، كما قال سبحانه : (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله إذا ذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون) . ثم من عظيم نعمة الله عز وجل على خلقه اقتقاده إياهم ، وأنه يسددهم ويدلهم على منافعهم ، ويجنبهم مضارهم ، ويهديهم لما فيه صلاحهم ، ويرغبهم في المحافظة على التمسك بدين الله عز وجل ، الذي جعله عصمة لهم وحاجزا بينهم .

ولولا ما تقدم به من تلافيهم واستدراكهم بفضل رحمته ، لاجتاحهم التلبف ، لتصور معرفتهم عن الثاني لأقواتهم ومعاشهم ، ولم يكونوا ليقترصوا على حظوظهم وأقسامهم عما بنوا عليه من الجمع والرغبة ولتهالكوا ببغى بعضهم على بعض ، وعدوان قوتهم على ضعيفهم ، ولكنه بعد تعريفه إياهم بملك قدرته وجلالة عزته ، بعث إليهم أنبياء ورسله مبشرين ومنذرين ، بالآيات التي لا تنالها أيدي المخلوقين ، فرضوا بما قسبط بينهم ، وارتدعوا عن التباغى والتظالم ، لما وعدوا من الثواب الجسيم وخوفوا من العقاب الأليم ، ولم يكونوا ليطيعوا أمرا لآمر ولا نهيا لناه ، إلا بحجة يتبين بها الحق على من خالفه من المبطلين ، وتخويف يتقون به بمقارفة ما حرم عليهم ، ورجاء ينحشمون له مؤونة ما تعبدوا به . فافتتح الله عز وجل بأبيهم آدم عليه السلام ، فعلمه الأسماء كلها ، وأمر الملائكة بالسجود له - كما اقتص في وحيه المنزل - وكرم ولده وفضلهم ، فقال جل وعز : (ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) وجعل ما فطرهم عليه من العطف على ذراريهم وأبنائهم سببا لما أراد من بقائهم وتناسلهم ، وما اختصاصهم به من العلم والفهم ججة عليهم ، ليمتحن طاعتهم ، ويبلوهم أيهم أحسن عملا . ولم يزل رسل الله عز وجل إلى خلقه تترى بالنور الساطع ، والبرهان القاطع ، لا يجدون إلا يوردون عليهم من الحق القاهر مردا ولا مدفعا ، لقول الله عز وجل : (ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا وكان حقا علينا نصر المؤمنين) . فلم يجد المكذبون مساعدا إلى دفع ما أقيم عليهم من لازم المحجة ، إلا المعاندة والمجادلة . وكان أنبياء الله صلوات الله عليهم ، يبعثون في أعصيار الحقب ، نذرا للآم ، حتى ختمهم الله عز وجل بالنبي الأمي محمد صلى الله عليه وسلم ، فبعثه فريدا وحيدا لا عاضد له ولا رافد ، إلى قوم يعبدون أصناما بكما ، وججارة صما ، فكذب به القوم الذين بعث فيهم أول ما دعاهم ، ورامه ملوك أقطار البلاد بتوجيه الأجناد ، ومرافدة القوة والعتاد وبغى الغوائل ، ونصب الحبائل ، وهو يدعو إلى سبيل ربه بما أمره به ، إذ يقول تعالى : (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن) . ثم جاهد بمن أطاعه من عصاه ، وبمن أتبعه من خالفه ، حتى أعز الله كلمته ، وأظهر دعوته ، وأكمل لعباده دينهم الذي ارتضى لهم . فلما اختار الله له ما لديه ، واختصه بما عنده : من النعيم المقيم ، والجزاء الكريم ، بعد استقامة الدين ودخول الناس فيه أفواجا ، خلقه ، إذ ختم به الأنبياء .

بالبرزة النجباء من أدانيه ولحمته ، لاقامة الشرائع المفترضة ، وانفاذ حكم الله المنزل ، واقتفاء السنة الماثورة وحفظا له في قرابته ومجيبى دعوته ، واثاما لما أوجب له من الفضيلة ، وقريب الوسيلة ، وانجازا لما وعده من اظهار ما بعثه به ، من دينه الذى اصطفاه وارتضاه . وكان اختيار أولى الفضل من لحمته وعصبته لارث خلافته ، ومن عظيم الزلف التى رغب الى الله فيها أنبياءه ، وبما اقتصر فى منزل وحيه ، واختص تبارك وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بما أمره به من مسألة أمته تصير مودته فى القربى . جزاءه ممن تبعه على الرسالة ، وهداه من الضلالة ، فكانت فضيلتهم عزيمة من الله عز وجل . دون طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنزله تأديته الى خلقه وألزمهم أداءه ، فقال عز وجل : (قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى) . ودل بما أخبر به وأظهره من تطهيره اياهم وازهايه الرجس عنهم ، على اصطفاؤه لهم ، فقال تعالى : (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا) . وكان مما أوجب لهم به حق الوراثه فى محكم تنزيله قوله تعالى : (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله) . ثم قرن طاعتهم بطاعته ، فقال : (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) . وأحلهم من النباهة والوصيت بالمحل الذى أعلى به أمرهم ورفع به ذكرهم ، لما أحب من النبيين فى الدلالة عليهم ، والهداية اليهم ، فانه يقول عز وجل : (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) . ولو كان الأئمة المقلدون أمر عباده خاملة أنسابهم ، متقطعة أسبايهم ، غير مخصوصين بفضيلة يرونهم بها دون غيرهم ، لم تعد طلبتهم عقد الخلافة لهم ، وأن تكون من المفترضات على كافة الأمة ، أو على بعض دون بعض ، فان كان لأهل الشرق والغرب من ذوى النقص والكمال أن يختاروا لأنفسهم ، فليس فى اجتماع آرائهم مع تفرقهم واختلافهم طمع آخر أيام الدهر . وان كان الى خاصة دون عامة ، فستحتاج العامة من طلب معرفة تلك الحال الى مثل ما احتاجوا اليه فى أئمتهم ، اذ لم يكن أهل الارتياح والطلب من أعلام الآفاق ليتواطئوا على اتفاق ، لنفاذ آجالهم قبل بلوغهم غاية الاجتهاد فى الفحص والتكشيف . وحاجتهم الى اختبار البلدان ، وتمحيص أولى الفضائل بالامتحان ، وما هو حاق عليهم من الشبه فى اختيارهم ، والاختلاف فيمن عسوا أن يجتبوه ويقدموه ، حتى تنهالك الرعية بتظالمها بينها ، ويترك من يليها من الأمم اياها ، اذ لا ذائد عنها ولا محامى . فاذا ألزمت الأمة الحاجة الى نصب الحكام لاقامة الدين ، وتقسيط الحقوق من المسلمين ، ومجاهدة عدوهم من المشركين ، لم يكن لهم فى الامام عليهم مجاز الى التخلص من حقه اليهم ، ولا ريب عند المعرفة برأفة الله ورحمته ، ولطفه وحكمه ، فى دفعه عن عباده ما لم يجعل فى حيلتهم له وسعا ، ولا فى حيلتهم له دركا ، وكفايته اياهم ما يعجزهم من البحث والتنقيب عن ولاية أمرهم ، بنصبه اياهم ، وما رفعهم اليه من الدرجة التى أعلاها وأسناها ، اذ وصل نسبهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وافترض مودتهم على خلقه ، ولم يشنهم جهلهم للغرض الذى ألزمهم له ، ولم يجب عليهم قرض فى معرفة من سواهم . ولم يزل سياق أئمة الهدى مطردا ، ونظامهم متصلا ، يتلقاه كابر عن كابر ، ويؤديه أول الى آخر ، حتى تناهى

الى أمير المؤمنين ، وهو حال دار دعوته ، وبين أنصاره من أهل خراسان ، فنظر به خیرهم ، وعرفوا ما تصرفت به أحوالهم ، وظهر لهم من بيان حجته على من نازعه في الأمر ، وشاهدوا من إبلاغه في العذر ، واستظهاره بالتأني والصبر ، ما أزاح عنهم الشبهة وكشط الحيرة ، حتى استزالوا (١) نهوضه بحقه ، وخافوا على أديانهم فيما أعطوه من صفقة إيمانهم ، وهو ماض على عادته ، مستديم للموادعة ، متلوم على المراجعة ، بالغ ما في وسعه من الرخصة في دفع الولاية التي نهته بها الرعية ، حتى ضاق عليه في دينه ترك القيام بما أنهضه الله به من ثقلها وقلده من حملها ، وخاف المخلوع فانبعث بالشر والفرقة ، فتناول أولياء الحق باغيا طاغيا ، لما أراد الله من تأييدهم عليه بالبيان والحجة التي يجب لها قلبه ، ويقت بها في عضده ، ويقبل الله ما شرفكم به من النصر والغلبة فيه التي جعلها الله للمتقين . فاجتمع لكم معشر أهل خراسان في دولة أمير المؤمنين ثلاث خلال اختصكم الله بفضيلتها وسنى مراتبها ، دون ثلاث شملتكم وغيركم .

أما الأولى من اللواتي خصكم الله بهن ، فما تقدم لأسلافكم من نصرة أهل بيت النبي ، والقائمين بميراثه من آباء أمير المؤمنين .

وأما الثانية ، فما آثركم الله به من نصرته في دعوته الثانية .

وأما الثالثة ، فما تقدمتم به من صحة ضمائركم ومحض مناصحتكم .

وأما الثلاث اللواتي هن لكم ولغيركم :

فمنهن ما أكد الله لأمر المؤمنين في أعناق المسلمين : من العهد الذي أخذه إصره ، وألهمهم الوفاء به والتمسك بوثائق عصمته ، عند محاولة المخلوع ما حاول من الاعلان بالردة ، والتمس من تبديل معالم الدين وتعفيه آثاره ، فلم يلف الرعية سسدي مهملين ، لا جامع لأمرهم ، ولا ضام لنثرهم .

ومنهن ما أفادكم الله وإياهم من العبر ، عند حلول الغير بمن غدر وختر ، تذكرة لأولى النهي ، وحجة بالغة على من أدبر وتولى ، ليهتدي متحير ويتعظ مزدجر ، (ولیمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين) . ومنهن اجتماع أهل الفضل من المسلمين : ممن لم يكن له نصر ولا أزر في الدعوة الأولى على المشايعة في الدعوة الثانية ، فأصبح دعاة أمير المؤمنين من أهل الحرمين والمصرين ومدينة السلام والمشرق ومدينة السلام والمشرق والمغرب ممن غار أو أنجد من المتمسكين بذمهم الموفين بندورهم ، من اخوانكم ، وإن كان الله قد قدمكم في الأمور جميعا بتفوق حالكم على غيركم ، يعتدون من معاضدتكم ومكانفتكم بما جعله الله عز وجل ألفة لكم ومودة بينكم ، يبيد بها ما كان الشيطان ينزغ به أهل التباعد في الأنساب ، والتناهي في الأوطان من ایفاع العداوة والبغضاء ، والانطواء على الأحقاد والدمن ، وطلب تقديم الاحن ،

(١) كذا في الاصل .

وصار أهل السمو الى الدرجة العليا والاعتصام بالعروة الوثقى من أولياء أمير المؤمنين وشيعته ، منشرحة صدورهم بمكانته ، منبسطة أيديهم بمعاونته على حقه ، منفسحة آمالهم في اذكاء ناره على عدوه والاثخان في بلاده واقتتاج ممتنع حصونه ، بما جمعهم الله عليه من الألفة ، ورفع عنهم من الحمية والعصبية ، راجين عودتهم الى أحسن ما مضى عليه سلفهم ، في عهد نبيه صلى الله عليه وسلم ، من سلامة الصدور ، وصلاح ذات البين ، واجتماع القوى على مجاهدة من شاقهم ، قد أفرد الله عنهم نفرة التحارب والتجاذب ، وجعل ما كان يسعى به بعضهم من الاعداد لبعض ، زيادة في ربحهم ، وحدا في شوكتهم ، لائتلافهم في دولة أمير المؤمنين المجدودة المؤيدة بصدق الضمائر ، ونفاذ البصائر . والى الله يرغب أمير المؤمنين في اعانتة على صالح نيته ، وتبليغه منتهى سؤله وغاية همته ، في اعزاز دينه واذلال من صد عن سبيله ، انه سميع قريب .

ومن أقوى الأسباب الى استدعاء الشكر على النعمة تذكر ما كانت عليه الحال قبلها ، فاستديموا الافاضة فيما رفع الله من خصاصتكم وأعلى من أقداركم ، بنصرة أهل بيت نبيكم صلى الله عليه وسلم ، وما أبلاكه الله في الدعوة الأولى مما لا يؤدي حقه الا بعون الله وتوفيقه ، فانه ارتاح لهم بلطفه وتوفيقه ، فأناهم رغائب الأقسام وسنى الحظوات ، ورفع درجهم ودرج خلوفهم وأعقابهم من بعدهم ، بعد اذ هم مستضعفون يخافون أن يتخطفهم الناس ، مذعنون بقهر عدوهم واستثثاره عليهم ، ثم لم يلبثوا أن صاروا الى الحال التي يرونهم بها من الغبطة والبهجة ، الا أنهم أخذوها بحقها ، وكانت في أيدي الظلمة من أهل بيت اللعنة وأتباعهم بحدسه (١) الباطل ومحنة الابتلاء (وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز) . وليس أحد منكم بخارج من المحنة بما ألبس من النعمة ، وان كنتم أهلها الآخذين لها بحقها ، بل الذين يلزمكم استدامتها والقيام بحفظها ، على حسب ما أولاكم الله منها ، فربما كان الذي يعقب أهلها من الغفلة والاغترار ويلهيهم بها من حبورها وسرورها ، أعظم اثما وجوبا مما يخاف على أهل البطالة والصبر من ضعف العزم وقلة الصبر ، لما يستولى عليهم من استكانة الذلة ، والاغترار بالتقصير ، والفرع الى ربهم في تنفيس كربهم ، فانه تبارك وتعالى قد وصف أهل الطبقتين فقال : (وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا ميسر الشئ قلوا دعاء عريض) . فحاجتكم اذا أنجح الله سعيكم وأظفركم بطلبتكم ، الى حياطة ما أودعكم الله من مننه وجراحة ما آتاكم من فضله ، بالنكر المتري للمزيد . فتعهدوا معشر شيعة أمير المؤمنين أنفسكم بتذكر ما سهل الله لكم من الجزونة ، وذل لكم من الصعوبة ، وحكم لكم به من النصر ، على مراق الملة ومخالفي أهل القبلة ، وأباحكم من ديارهم وأموالهم ، فأصبحتم بمن

(١) كذا في الاصل .

الله عليكم حماة الدين ، وأنصار الأئمة الراشدين ، وحصون كافة المسلمين ، بعد ما اجتث الله بكم قرون النفاق ، وأباد بكم صناديد الضلالة وشرذ من لم تستحمله سيوفكم وأضرع اليكم من أذعن واستسلم ، وقد استشرفكم معشر شيعة أمير المؤمنين أهل الشنآن ، ولاحظوكم بأعين الحسد والمنافسة ، فبين ذلك مجهر معالن ، ومستسر مداهن ، وداخل في عدادكم ، ووالج في سوادكم ، يرى أمانه بين ظهوركم ، فطعنه عليكم في دولتكم بريبة التمويه وخدع التشبيه ، أيسر عليه كلفه وأعظم فيكم جرحا ونكاية ، فتوقوا هذه الطبقة أشد التوقي ، فان أكثر من يلجأ الى استباحة الحيلة ، من عجز عن المباداة والاصحار ، وعند ظهور الحازم وغلبته يحترز من لطيف الخدع وخفى الاستدراج .

واحدروا معشر شيعة أمير المؤمنين من استدراء الطراءة ، والركون الى راحة الدعة ما قد رأيتم وباله عاد على أهله ، وأورثتهم عواقبه طول الندم والحسرة ، فانكم قد كنتم في حال المراقبة لعدوكم ، والخوف لبائقتهم متيقظين متحفظين لما كان يرومكم به من ختله وحيله ، تم أفضيتم الى الحج وقد جهدكم السعي ومسكم النصب ، وسيلقى الشيطان في أمانيكم ان قد اكتفتيم بسالف ما قاسيتم ، ويجد من ضعف العزائم معينا داعيا الى اغتنام الخفض ، والاخلاد الى الأرض ، ما لم تعتصموا بما عاينتكم من الاعتبار وتمثلوا مواضي الآثار فيمن سلف من القرون الخالية ، وما أفضت به اليه العزة من زوال النعم ووقوع الغير ، فان جميع ما خولكم الله وأفادكم مرتهن بما الزمكم من حياطته واستنماؤه ، فقد وجبت عليكم الحجة بما حضكم الله عليه ، وعظمت عليكم المنة بما هداكم اليه ، وأراكم من آياته ومثلاته فيمن خلا قبلكم ما فيه أبلغ الاذار والانذار لكم . ومن اجتمع له اقتناء صواب من تقدمه الى ما ينبعث من نفسه ، فكأنه قد اختبر بالتجربة ، مع استمداده بما يستفيد ، ويستزيد ما يفتح ليه ورأيه ، وايقنوا أنكم لن تصلوا الى من سواكم ، ممن هو أعسر طاعة عليكم وأعذر بمعصيتكم ، حتى تبدءوا باستصلاح أنفسكم ، وأنه لن يرجي لكم القوة على مجاهدة عدوكم حتى تقووا على مجاهدة أهوائكم ، فان على كل امرئ ريبة من أمره ، وغطاء من غيبة ، لا يكشفه الا صحة المعرفة ، والاذعان بالنصفة ، فهناك يؤمن عليه الجهل والمعاندة ، واذا أمنت هاتان الخلتان انسدت باذن الله ثلم الآفات ، وفتوق المكاره ، فانه لا يخاف الضلال على من اهتدى ، ولا اعتماد الجور على من انتصف من هوى .

وليكن أول ما تتعهدون به أنفسكم وتثابرون عليه من صالح أدبكم تناصف الحق بينكم ، بتقديم أهل الفضائل والآثار المحمودة منكم وتفخيم أمركم ، فقد علمتم أن منكم المبرز الفائق الذي لا يدرك شأوه ولا يوازي بلاؤه ، حين كشف الابلأ ضمائر القلوب وجلا مشتهيات الظنون ، فصرح بالمحاربة بعد التقدم في الحجة ، وفاء بمؤكد العهد وركوبا منه لهائل الخطر ، غير هائب مع صحبة الحق ما برق لديه الناكس المخلوع ورعد ، ولا مستوحش فيما تقرد به الى من تولى وأدبر ، حتى أتى الغاية التي أجرى اليها في الله عز وجل وفي خليفته ، ثم لرؤسائكم من أهل المشايعة والمكانفة

والنصرة والحظ الجزيل والأثر المبين ، ثوابهم واجب وحققهم لازم ، ثم منكم من يحفظ لسلفه وأوله من الآباء الذين يحفظون ولايتهم ، فإن الله عز وجل يقول في ذكر اليتيمين : (وأما الجدار فكان لفلان يتيمن في المدينة) الآية . وقال على لسان يعقوب لابنه يوسف : (وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث) الآية . وأمير المؤمنين يرى توريث الحكمة والذمام سنة عليه في أخلاقه التي يرعاها ويحافظ عليها ، كما أنه يرى وراثة التركة فريضة واجبة ، فيخلف السلف الصالح عنده من المزية والفضل ما يتلون به أهل الغناء بأنفسهم ، ثم يتلوهم من اقتدى [بهم] واهتدى بهديهم . والسابق المتقدم من اعتد بلاء نفسه إلى بلاء سلفه ، ثم يتبعه بعد المبلى بنفسه ، ثم يتلوها بآبائه ، ثم الصاعد به هواء ورأيه ، طبقة طبقة ، فليقتصر كل امرئ منكم على المرتبة التي أحله بها سعيه ، وليسلك إلى الازدياد فيها بالزيادة من نفسه ، فإن من الفتوق العظيمة على أهل الدول ما ينزغ به الشيطان بينهم ، ويكثر عندهم ما يكون منه ، فيوافق من الحيف للأنفس ما يجد به مساغا إلى ما يروم من إيقاع الشحنة بينهم ، وتثبيت الأحن في صدورهم ، بعد التآزر والتناصر . ومتى يجمع المرء لمزية من فوقه ، واعتباط من دونه كفى ما ترك . ولن تخلص نياتكم . وتسلم ضمائركم ، حتى تمحضوا شكر ما أوليه اخوانكم ، وتعتدوا ما نالهم شاملا لكم ، وتجانبوا طريقة من اقتصر بأمنيته على خاصته ، وتعتب فيما أوتر به أهل الفضل دونه . وكفى عظة فيما نهاكم الله عنه من ذلك . يقول الله عز وجل : (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) الآية . ولا يلتمس أحد مودته عن سوء نية بحسن مداراة في ظاهر ، فإن الله مقلد كل امرئ ربة عمله ومطوقه طوق سريره . ولا يغدرن فيما يلزمه لامامه ، فإنه إنما يغدر في حظه وينحس قسمه ، وينحس نفسه . ثم لا يقتصرن على استصلاحها حتى يتناول من كانت منته عليه من أقربيه وحسويه (١) ، فإن يسير ما هو معان من تأديتهم لا ينشب أن يتجاوز أدنى المراتب إلى أقاصيها ، وقريبها إلى متناهيها ، حتى يستفيض شاملا عاما ، بعد أن بدأ محلا خاصا .

واعلموا أن أمير المؤمنين متفقد من تثقيفكم وتقويمكم على صالح الأدب ومحمود السيرة ، ما لا يتفقد به من سواكم ، فإنه إن كان يوجب على نفسه استصلاح الرعية وحملهم على ما فيه رشدهم وقوامهم ، لما يلزمه من فضل العناية بالأخص والأولى فالأولى ، فإن في أخلائكم من التقديم في التأديب والتعهد ، وحوها من الضرر : منها : أنكم أولى بحسن الطاعة وسرعة الإجابة ، للطف محلكم وقرب مكانكم عند أمير المؤمنين . ومنها : أنكم يأنس بكم المؤمنون ويقتدى بكم التابعون ، فمتى قصرتم وأخللتم ، اقتفى أثركم من نصبتهم له أعلاما ، ثم لم يكن لكم أن تزرروا عليه ، ولا أن تأخذوا فوق

(١) كذا في الأصل .

يده ، بل كان قمينا أن يكون يسومكم الرضا بمثل ما سمعتموه ، ثم تجرى هذه العادة في الطبقات ، حتى يطرد السياق ، الى أن يستفيض الفساد في حشو الناس وعامتهم ، فلا تغني قوة ولا حزم ولا شدة ، الا العجز والاصاغة ، ثم يجد الأعداء مساغا الى الطعن والعيب ، فلا يملكون أن يرهقوكم ويستولي عليكم القشل ، فإن الأيدي انما نبسط بنفاذ العزائم ، والعزائم انما تنفذ بثبات الحجة ، والحجة انما تثبت اذا كانت عن الحق . واذا أضيع أول هذه الرسوم ، التي رسم لكم أمير المؤمنين ، تبعته نواليه وشفعته لواحقه ، ووجد العدو الملاحظ مكان العورة ، مطمعا في اهمال ما كان يعد له من الغرة ، ويتوفق به من مناهزة الفرصة ، وليكن ما تفيضون فيه وتعدونه ظهيرا على طاعن ان طعن في دولتكم ، ما ألهم الله أمير المؤمنين : من شمول رعيته بالعدل ، وفرش الأمر في مضمراتها ومنقلبها ، ورفع به عنهم من سير الجود ، وبسط به يده من اثابة أهل البلاء ، وتغمد الجرائم لأولى الزلل ، والابلاغ في دعاء من عاند وشاقد الى التوبة والانابة ، واقالة العثرة بعد القدرة ، والحقن لمباح الدماء ، فلم تعلموه صبر محملا ، ولا هتك لأحد ممن أظفروه الله به سترا ، ولا وقفه على عورة . ثم تولى الله أمير المؤمنين ، في حروبه شرقا وغربا ، التي أغناه الله عن الاطناب في وصف صنع الله لكم فيها ، لاستفاضة أخبارها في دهمائكم ، مع ما أحب من مطالعته اياكم ببالح أدبه وشفافي عطفه ، أن يتنكب من الاسهاب ، في غير ما صمد له ورأى من تقرير أسماعكم وأذهانكم ، لوعى ما التمس أن تعوه من تبصيركم حظكم وتنبيهكم على رشدكم . وحسب أمير المؤمنين في نفسه وحيكم الله ، وكفى به مبينا .

وان أمير المؤمنين مع ما تقدم به اليكم لعل ثقة من حيطة الله خلافته التي جعلها عزا لدينه وقواما لخلق ، وأنه ليس بها ممن أدبر عن حقها اختلال بل من خلع ربقتها وأضاع حظه منها ، جلب الخلة والحاجة وخسران الدنيا والآخرة . وانما أتى المقصرون في اعظام حقها من ضعف الروية عن بلوغ ما تفضي بهم اليه مصادر العواقب ، وتؤديهم اليه رواجع ما قدموا ، فلا يكونون بعملهم غير متجاوزين بهمهم ، وفيهم الذي هم فيه الى ما يمنعه (١) .

واستديموا معشر المسلمين سابغ النعمة بحمد موليا والمتطول بها . وقد ترون ما كنتم فيه قبلها وما آلت اليه حال من سلبها ، ثم يعقب الندامة حين لا مستعجب ولا نظرة يمكن فيها استقالة الفارط بتقصير ولا هفوة زلل . وثقوا من رعاية أمير المؤمنين محمود آثاركم ، وما مضى من بلاء كل امرئ منكم ، بما تطمئنون اليه وتثقون عادته ، بأسنى ما ترتفع اليه آمالكم وتسمو اليه هممكم الى ما يدخر الله لمن تمسك بهداه ، واعتصم بتقواه ، وجاهد عن حقه ، واخيا بأمر عهده من جزيل ثوابه وكريم مأبه ، الى الدار التي هي أكبر درجات : وأكبر تفضيلا .

(١) كذا في الأصل .

أحب أمير المؤمنين أن يتعهدكم بعظة تنبهكم على خطاكم ، وتثبت من بصائركم ،
وتقطع من طمع الشيطان وحزبه فيكم ، لما يجب عليه من ارشادكم ، ويرجو من تأدية
حق الله عز وجل فيكم ، ولما يروى من اتصالكم بحبله ، وما يشمله من الصنيع فيما
ولاكم الله به ، وتولاه لكم .

وأمير المؤمنين يسأل الله الذي دل على الدعاء تطولا ، وتكفل بالاجابة حتما ،
نقال عز وجل : (ادعوني استجب لكم) ، أن يجمع على رضاه ألفتكم ، وأن يصل
على الطاعة حبلكم ، وأن يمتعكم بأحسن ما أودعكم من مننه ، ويوزعكم عليها من
شكره ، ما يواصل لكم مزيده ، وأن يكفيكم كيد الكافرين ، وحسد الباغين ، ويحفظ
أمير المؤمنين فيكم بأفضل ما حفظ به أمام هدى في أوليائه وشيعته ، ويحمل عنه
ثقل ما حملة منكم . وبالله يستعين أمير المؤمنين ، على ما ينوى من جزائكم بالحسنى ،
وحملكم على الطريقة المثلى ، وبه يرضى ناصرا ووليا ، وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وللمأمون — لما كتبت اليه السيدة زبيدة بعد مقتل ولدها الأمين خطابها الآتى
تستعطفه :

كل ذنب يا أمير المؤمنين وان عظم صغير في جنب عفوك . وكل زلل وان جل
حقير عند صفحك . وذلك الذي عودك الله ، فأطال مدتك ، وتم نعمتك ، وأدام بك
الخير ، ورفع بك الشبر .

هذه رقعة الواله التي ترجوك في الحياة لنوائب الدهر ، وفي الممات لجميل
الذكر . فان رأيت أن ترجم ضعفي ، واستكانتي ، وقلة حيلتي ، وأن تصل رحمي ،
وتحتسب فيما جعلك الله له طالبا وفيه راغبا فافعل ، وتذكر من لو كان حيا لكان
شفيعي اليك .

فكتب اليها المأمون :

وصلت رقعتك يا أماء ، أحاطك الله وتولاك بالرعاية ، وقفت عليها وساءني
— شهد الله — جميع ما أوضحت فيها ، لكن الأقدار نافذة ، والأحكام جارية ، والأمور
متصرفة ، والمخلوقون في قبضتها ، لا يقدرُونَ على دفاعها ، والدنيا كلها الى شتات ،
وكل حي الى ممات ، والغدر والبغي حتف الانسان ، والمكر راجع الى صاحبه . وقد
أمرت برد جميع ما أخذ لك ، ولم تفقدني ممن مضى الى رحمة الله الا وجهه . وأنا بعد
ذلك لك على أكثر مما تختارين ، والسلام .

رسالة ممتعة لأحمد بن يوسف ذكرها ابن طيفور في اختيار المنظوم والمنثور وهي :

أما بعد فالحمد لله القاهر القادر ، الخالق الرازق ، فاطر السموات والأرض ، الذي أحاط بكل شيء علما ، ونطق به خبرا ، وأتقنه حكمة وعلما ، وألف بين مختلفه ومتفقه ، ليدل بقوام بعضه على بعض ، على اتصال تدبير مشيئته ومبتدعه ، وأنه أحد صمد ، لا ضد له ولا ند ، إذ قدر له حاجته ثم شدها ببلاغها إلى الغاية التي جعلها ، فقال جل وعز : (وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم) وحكى عن نبيه موسى عليه السلام ، (قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) ، وقال الله تعالى : (وكل شيء فصلناه تفصيلا) ثم لم يكلف العباد من شكره كفاء نعمته ، بل رضى منهم باليسير ، وقبل منهم العفو ، وجعل طاعتهم آياه عائدة عليهم بجزيل الحظ في دينهم ودنياهم ، لغناه عن عبادتهم ، واتساع قدرته بالتطول عليهم ، مفتتحا وخاتما ، وبادئا وعائدا .

والحمد لله الذي اصطفى محمدا صلى الله عليه وسلم ، نبيا لرسالته ، وأتمنه عني وحيه ، وأنزل عليه كتابه العزيز ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، فآدى إلى خلقه الرسالة ، واستنقذهم من الضلالة ، وصدق بامر ربه وجاهد في سبيله ، ونصح لأمته حتى أتاه اليقين من ربه ، بعد استشارة الحق ، وظهور الحجة ، فصلى الله عليه بشيرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بأذنه وسراجا منيرا قد تلافى من الهلكة ، وجمع الألفة بعد الفرقة ، وأوضح الهدى بعد الدروس ، ومعالم الرشد بعد الظموس ، وكان بالمؤمنين رحيمًا ،

والحمد لله الذي قفى على آثار المرسلين ، والأئمة الراشدين ، الهادى التقى ، الطاهر الزكى ، الإمام المأمون أمير المؤمنين ، أعز الله نصره ، فسد نلمتهم ، ورأب صدعهم وقلده خلافتهم ، وجعله لكافة المسلمين غياثا ورحمة ، وجعل ما ألهمه من العدل والاحسان اليهم ، منة عليه ورحمة ذخرها له ، دون الخلفاء قبله ، فيما أظهر من فضل زمانه على الأزمنة ، وسياسة من تقدمه ، ومنح الرعية من عطفه ونظره ، ما لا يحمل عنهم أو به ولا يؤدي عنهم شكره ، إلا هو لا شريك له ، وأحسن الله جزاء أمير المؤمنين ومثوبته ، على صلة رحم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، التي هي رحمه وقرابته ، واختياره لولاية عهده الأمير الرضى على بن موسى ، حفظه الله ، حين أحمد

(١) راجع ما كتبناه عنه في الفصل العاشر من الكتاب الثالث في المجلد الأول .

سيرته ، ورضى محبته ، وعرف استقلاله ، بما قامه في هديه ، ودينه ووفائه ، بما أكد الله به عليه ، من عهد أمير المؤمنين أيده الله ، في اعتيابه من ازره وأسامه بما شفع رأيه ، وأنفذ تدبيره ، حين هم لاستصلاح ما استرعاه الله ، من أمور عبادته ، لما انتقى القسائم بدعوته ، ورئيس شريعته ، الأمير ذا الرياستين رحمه الله ، فاتخذ مكاتفاً ظهيراً ووزيراً دون من سواه ، فاتبع منهاج أمير المؤمنين أيده الله ، وسار بسيرته ، شرقاً وغرباً ، وغوراً ونجداً ، موفياً بعهد ، قائماً بدعوته ، مقتفياً لأثره وسنته ، فحسم الله به الأدواء ، وقمع به الأعداء ، من عتاة الأمم ، وطواغيت الشرك ، وأباد على يده ، أهل الشقاق والنفاق ، في كل أفق وطرف ، بجده أمير المؤمنين أعزه الله ، وبركة سياسته ودولته ، ونجح سعي من قام بنصرة من قام بحقه ، وأثار برهانه ، حتى توفاه الله عز وجل ، حين بلغ همته وغايته ، وحمل أجله ، وانقطعت مدته ، سعيداً حميداً ، شهيداً فقيداً ، عند امامه أكرمه الله ، وعند الخاصة والعامة ، وكان من اجلال أمير المؤمنين ، الحادث الذي نزل به ، فأحيا آثاره ، بوصف محاسنه ، في شأهده ومجامعه ، وترحمه عليه عند ذكره ، وحفظه في لحمته ، وأهل حرمة ، وفيمن كان يحمده الله على طاعته ونصيحته ، ما أتم به نعمته ، عندنا وعندكم معشر الشيعة ، فقد أصبح أمره بكم متصلاً ، وموقعه من جماعتكم متمكناً ، يقبضكم ما قبضه ، ويبسطكم ما بسطه من لومة المصيبة ، وحسن العقبي ، وقد علمتم معشر أهل انحجاء والنهي ، والطاعة لله عز وجل وخليفته ، وذوى الغناء والبلاء في دعوته من أهل خراسان وغيرهم ممن حضر ممن امتحن الله قلبه بإفائه العهد والاستبصار في حق أمير المؤمنين أبقاه الله ، والمجاهدة دونه ، والصبر على مواطن الصدق والأداء ، والذب عن البيضة والحريم ، والمتحملين للنصب ، والمصابين التي انجلت ، حتى كأن لم تكن ، وبقي أجرها على الله عز وجل ، ومحمود ذكرها شائعاً في الناس ، ان نعم الله ، قد جلت ولطفت ، وخصت وعمت ، وعلت وسمفت ، وتمت ودامت ، حتى قصرنا عن موازينها ، والاحاطة بأدائها ، فاذا لم يكن لنا معشر اخواننا سبب الى مكافاة بلائه بالعمل ، فنحن جدراء أن نجتهد في القول ، ونطلب في الوصف ان شاء الله جل وعز ، فقد جعل ذكر النعم من أسباب الشكر ، وقد جدد لنا أمير المؤمنين أيده الله من الحياة والكرامة ، وجزيل الحيلة ، وسنى الرتبة التي قرى بها عليكم كتابه ما يستغرق جهداً ، ويستفرغ وسعنا ، فنرغب الى الله عز وجل ، ولي الرغبة ، ومؤتى السؤل والطلب ، في اعانتنا على تأدية ما وجب له ، فيما منحنا من فوائده ونحله ، ثم نسترفدكم ونستعينكم على شكره ، وامدادنا بما بلغته طاقتكم في السعي له فقد آدنا ثقل ما حملنا ، وثقل ما طوقنا ، وعظمت فاقتنا الى استعمال القوى من الأنفس والحامة ، والخاصة والعامة ، في جزاء ما جلل أمير المؤمنين فينا من سنته ، وشملنا من تالذ أياديهِ وطارفها ، وقديمها وحديثها ، وكيف يوجد الى موازاة أمير المؤمنين سبيل ببذل جهد ، أو بلوغ حشد ، فانما نقتدى بهداه ، ونعشو بنوره في ديننا ، وليس عجزنا عن أن نجزي حقه ، بواضع عنا مؤونة الدؤوب في التحري

لتأديته ، فان الله عز وجل ، قد أخبر بفضائل الشكر ومناقبه ، وجعله من أسمائه ، .
(ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم) ، وقد قال تعالى : (ما يفعل الله بعذابكم ان
شكرتم وآمنتُمْ وكان الله شاكرا عليهما) . وقال تعالى : (ان تقرضوا الله قرضا حسنا
يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حلِيم) . ولولا أن الله عز وجل رضىه لنفسه ،
لأجللناه عن التسمية اذ كان أكثر ما نستعمله ، ونعرفه في مكافأة من من وتطول ،
ثم تنى بذكر فضله في العباد ، فان الله تبارك وتعالى افتتح أول ما علم خلقه
بالحمد ، وجعله بدء كتابه ، وخاتمة دعوة أهل جنته ، فقال عز وجل : (وآخر
دعواهم ان الحمد لله رب العالمين) ، وخلق الله السموات والأرض ، ومن برا وذرا في
الحياة ليبلو عباده بشكره ، وأعد الجنة في الآخرة لمن شكره ، والنار لمن كفره ،
وقال الله تعالى : (واذا تاذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد) ،
وقال الله تعالى : (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون) ،
فجعل التقوى واقعة ، والشكر مرجوا ليدل على ارتفاع رتبته ، وعلو درجته عنده ،
وقال لنبيه موسى عليه السلام : (انى اصطفتك على الناس برسالاتى وبكلامى فتخذ
ما آتيتك وكن من الشاكرين) . فلم يكلفه الا أخذ ما أعطاه ، والشكر على ما آتاه ،
واخبر بعزته في العباد ، فقال تعالى : (وقليل من عبادى الشكور) ، فاية نعمة
أجل قدرا ، وأسنى أمرا ، معشر الشيعة من نعمة أمير المؤمنين ، أيده الله ، عند الأمير
ذى الرياستين ، ومراتبه التى رتبها بها ، فانه أعطاه رياسة الحرب ، ورياسة التدبير ،
وعقد له على رأسهما علما فى رواية دعوته ، وقلده سيفهما وختمه بخاتم الخلافة ،
وخاتم الدولة ، وجعل صلاته بين صاحب حرسه ، وصاحب شرطته ، ومسيره بين
أمير المؤمنين وبينهما ، أمامه وخلفه ، وصبر له الجلوس على الكرسي بحضرته ، فى
صدر كل مجلس جلس ، الا أن يؤثر به من أحب من أبناء الخلفاء ، وقدمه فى دخول
دار الأمير راكبا الى أقصى مكان ينتهى اليه أحد من بنى هاشم ، لأنه منهم ، وأعظمهم
غناء عنهم ، فسماه صاحب دعوته وسيفه على عدوه وبابه الذى يدخل اليه منه ، وولاه
خيوله فى أقطار الأرض ، ومقدمته بحضرته ، وقلده من الثغور ما قد علمت ، بما أفرد
فى تهده ، الى ما أنفذه من أمره ، فى جميع سلطانه وملكه ، من مشنارق الأرض
ومغاربها ، وأين يأتى الوصف على ما فضله به ، وقدمه وشرفه على الناس كافة ،
ولكننا نخطر بذكره ، ثم نكل السامعين الى ما يرجعون اليه من المعرفة التى لا تبلغها
الصفة ، ثم لم يكن ما أكرمه به فى حياته بأعلى مما أكرمه به فى وفاته ، تولى غسله
وتكفينه ، ومباشرة لجهازه ، الى حفرة بيده ، وقاسى من الغصص ، وبرحاء الحزن ،
واذراء العبرة ، وازاقة الدمة ما حال بينه وبين الكلام ، وكاد يمنعه من القول والدعاء
فى صلاته عليه ، من الحكم ، وحفظ أهل الحرمة ، به رعاية له فيهم ، ووفاء بعهد

من بعده ، وأقر خاصته ، وقواده وعماله • وكتابه على مراتبهم ، وحمد بحمده ، وذم بذمه ، وجدد لجنده ، وتل (١) كريتته ، نظرا وعظما ، فلم يبق عليه في احياء ذكره ، وبلوغ كل ما يحبه في حياته غاية الا أتى من ورائها ، وأمر بقراءة فتوحه ، كما كانت تقرأ على عهده ، وأضاف كل ما حدث من بعده الى ما تقدم من سعيه ، وأخبر أنه كان سببه ، والمفتتح به ، وولى محمد بن الحسن خلافته ، ونصبه منصبه ، وأقامه مقامه الى أن جدد العهد لي ، فاستخلفته على ما ولى بحضرته ، ثم تتابعت كتب أمير المؤمنين ، أكرمه الله بعد مصاب الأمير ذي الرياستين ، بما لا يقارب التفضيل ، والاطلاق والتفويض الذي كنتم سمعتم به وبلغكم ، فلم يكن يرى وراءه مجاراة ، ولا فوقه مصعدا ، حتى جدد لنا من كرامته ، ما قد قرئ عليكم في كتابه ، فبلغ بنا ما لم تكن الهمم تبلغه ، والأمانى لتحيط به ، لولا ما منحنا الله عز وجل من الترقى في الفضل ، الى ما تنحسر من دونه الأبصار ، وتنقطع دونه الآمال ، وانما اقتصصناه وذكرنا ما أبلانا واصطنع عندنا من بلائه بدعائنا الى الله عز وجل ، والى طاعته بالعدل والاحسان الى رعيته والنظر بالصفح ، والأخذ بالفضل ، والأمر بالمعروف ، وصلة المروءة بالوفاء بالعهد ، والشكر للمنن ، ورعاية الأخلاق الحمودة ، واحطاء أهلها ، واقامة سوقها ، حتى تنافسوها وتشاحوا فيها ، وصارت هي الذرائع اليه ، والوسائل عنده ، فلو تأمل متأمل أهل الزلفة ، والأثرة لديه ، لوجد الأخص فالأخص ، والأعلى قدرا عنده هو الأفضل ديناً ومروءة ، فلو لم يكن في الحظوة عنده الا ايجابها لصاحبها صحة المحبة ، والنزاهة عن كل ظنة ، لكان فيها أعظم الغبطة ، وأعدل الشهادة والدلالة ، وسنقص عليكم بما أخبرناكم عنه ما لا سبيل الى جحده وانكاره ، بوضوح معالمة ومناثره ، أو ليس المجاهد عن دين الله ، والمحامي عن بيضة المسلمين ، والمواتي لأغلظ عدوهم شوكة ، وأخوفهم عداوة ، والمنجح في بلادهم ، بمن كان لا يرام ، ولا يحاول لاستتصعابه وشدة مقاساته ، حتى أذعن جيغويه بالعبودية له ، ثم أباح حريمه حين تمرد عليه ، حتى بلغ السبى الى ولده ، وحاربونا به ، وتغلغلت خيوله ، حتى توصلت الى قبته ، ومنتهى عزه ، أو ليس مسكن التهيج بالشرق ، حتى خبت النيران فيه ، وأذعن رؤساؤها وقاداتها • أو ليس غازي بلاد بابل حين طغى أميرها ، وبدل ، ونكث ونقض ، حتى اجتثت أرومتيه ، وأباح حريمه ، وأراح المسلمين من معرفته ، أو ليس ساد الثغور ، ومحصن عوراتها ، والمباشر لتدبيرها ، والمساعد لمكايدة المنجح فيمن أرادها ، وفاك العناة ، من رق الاسار ، وناشر الرحمة على فقراء المسلمين وضعفائهم وأهل المسكنة ، والخلة منهم ، وقاسم الصدقات في أهلها ، وعامر الموسم ومحصنه من الآفات حياطة للمسلمين في حجهم ، وما يتقربون به الى ربهم ، وهل اقترن لأحد من الأئمة ما اقترن له في الملك والدين والعز ، والتواضع والسعة ،

(١) كذا في الأصل .

والبذل والقدرة ، والعفو والغلظة ، والليان في مواضعها ، والنسك مع الهممة ،
والسطوة مع الاقالة ، وهل ترك معشر الأولياء والاخوان في الدين غاية لم يسم بنا الى
شرفها ، وعلى مراتبها ، ومستزاد الحظ في عاجل وآجل ، لم يبلغناه ويختار لنا خاض
مكرمه ، ومدخر عاقبته . أرشدنا الى الدين ، وسلك بنا سبل الجنة ، ونحاز لنا
الملك ، فلم يبق وراء ما ملكنا غاية ، وورد بنا الحروب وساسها لنا ، فلم يدع غاية
للتعليم والدراية ، سلط علينا بسلطان الله الذي آتاه فلم يدع غاية في التقليد والفقه .
فكم علمنا الفضائل ، ثم فضلنا بها ، غلب لنا الأمم ، ثم خولناها . علمنا طرائق
الشرف ، ثم شرفنا بها . أخبرنا عن الأنبياء فكفانا مؤونة التماسها ، وأغنانا بما عنده
فيها ، أخذ على أيدينا الخير للرعية ، فوهب لنا شكرها ، وصدق مقالتنا عند الشبهة .
وأنفذ أمرنا في التدبير .

فيايها الامام المنصور المهدي الرشيد حزت فضائل الآباء ، واهتديت بهدي
الأنبياء ، اشكرك عن الاسلام ، فانت القائم به الداعي له ، والناصر بحجه ، ام
نشكرك عن الامصار ، فانت المفتتح لمتنوعها عنوة ، والمتطول على اهنها بالرحمة ،
والمتعطف عليهم بحسن الفائدة بعد ما هيجت منك سورة الغضب ، فاطقات نارها ،
وأخمدت لهبها ، وعدت على من سفه ، وأضاع حظه ، ام نشكرك على المساجد ، فانت
الذي أسستها على التقوى ، وعمرتها بتلاوة القران ، وطهرت المنابر وركبتها ، تعلوها
صائما ، وتنطق عليها صادقا ، وتدعو الى الرشيد عليها ناصحا ، وتختتم القرآن قبل
أن تبدأها محسنا ، وتتلو من قوارعه ، ما تصيخ له الأسماع وتلين له القلوب ،
ام نشكرك على البيت العتيق ، والركن والمقام ، والحجر وزمزم ، ومشاعر الحج ،
وأنت ذبيت عنها ، وأعدت اليها عهدا ، في مبعث نبيها ، صلى الله عليه وسلم ،
فأمنت النازع اليها ، من كل فج عميق ، والحالين بها من الركوع والسجود ، ام
نشكرك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما حفظت فيه من عترته ، بعفوك عن
مجرمهم ، ومضاعفتك ثواب محسنهم ، وأحيائك من أمرهم ، ما كان قد اندرس
وانطمس ، بعد اللقاء بنبي الله صلى الله عليه وسلم ، وقد راعيت منه في قرابته
وقرابتك ، وذوى رحمه ورحمك ، ما ضيع الناس . ووصلت منهم ما كان وصله ،
اذ كان الله عز وجل ، قد فرض صلة الأرحام ، فكان أطوع خلق الله عز وجل فيما فرض
عليه . ام نشكرك عن العوام ، فقد ألبست المسلمين ثوب الأمن ، وأذقتهم طعم السعة
والرفاهة ، وعدلت بينهم بالانصاف ، وتوليت دونهم النصب ، وآثرتهم الراحة .
ام نشكرك عن الملوك والقواد والأجناد ، فأنت الذي رفعت منازلهم ، ووفرت عددهم ،
فلم يكن في دهر أحد من الخلفاء أسعد ولا أحظى منهم في سلطانك ، بما بذلت لهم
من معاون ، ووليتهم من الثغور والأمصار ، وأدررت عليهم من الأرزاق والخواص .
ام نشكرك عن الأحكام والسنن ، فأنت الذي أنهجت سبيلها ، فأوجبت فرضها ،
ونافست في أهلها ، ام نشكرك عن الأعداء فأنت الذي بدأتهم بالحجة ، ودعوتهم الى

الفية والانابة ، ثم ثنيت معقبا بالعفو ، ونعشتهم بعد البؤس ، وأنستهم من
 الوحشة ، أم نشكرك على مكارم الأخلاق ، وأنت الذى ثبت وطأتها ، ونفيت عنها
 أضدادها ، ولو نطق بالفضل ، لنطق بشكرك ، فى ازالتك اياها عن اللئام ،
 واخطائك من اعتزى اليها . أم نشكرك عن الثغور ، فأنت الذى تمتتها ، وحصنت
 عوراتها ، أم نشكرك عن السلف ، فأنت الذى أشدت بفعالهم ، وحفظتهم فى أبنائهم ،
 أم نشكرك عن برد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن القضيبي الذى شخص به ،
 حتى جعلتهما زينتك ، وسموت بهما فى أعيادك ، عند حشدك ، على الطهر والزكاة ،
 والنسك والتقوى ، أم نشكرك عن المسلمين فى رعايتك اياهم ، وما ترعيهم من
 جنابك ، وتنفى عنهم من الآفات ، وتقل عنهم من جبابرة الكفر ، وتفض من جيوش
 الشرك والنكث ، وتفتح من الحصون المستعصية ، وتسهل من الطرق الوعرة ، أم
 نشكرك عن تواضعك لله عز وجل ولصالح المسلمين طلبا للرفعة عند الله . أم نشكرك
 عن الدين وقد جعلت السلطان عبدا وقائدا ومنفذا . وكان مأمورا فجعلته آمرا ،
 وآلة للقوة فجعلت القوة له آلة ، فيا من اتصل شكره بشكر الله عز وجل ، ونعمته
 بنعمة الله تعالى وطاعته ، بطاعة الله فوهب الله لك شرف المنازل ، ورقاك درج
 الفضائل ، وجزاك الله عنا وعن غيرنا ، مما شكر من ناطق أو صامت ، جزيل الثواب
 ورفيع الدرجات ، وأمتحك ما أتاك وأمتع الأمة ما آتاهم منك ، والحمد لله ذى الرغبات ،
 ومتم الصالحات ، شكرا لرب العالمين ، فانه مبلغ طاقتنا ، ومنتهى جهدنا ، وبه
 نستعين على تأدية فرائضه ، انه لا يعين على ذلك الا هو ، أحببت أن نشكر اليكم أمير
 المؤمنين أيده الله ، اذ ورد على من أنعمه وافضاله ، ما لا يبلغه بالفعل ، وأن يكون
 ما اقتصصنا عليكم ، داعيا لكم ، الى أن تشكروه عنا ، وعن أنفسكم ، وعن الاسلام
 والمسلمين ، ورجوت بما وفقنا الله له ، فيما شرحنا وأوضحنا ، من الدلالة والبيان أن
 يكون مجتمعا ينتفع به من حضرنا ، ومن عسى أن يؤدي اليه الخبر عنا ، أو حدث
 بعدنا ، وضمنت بهذه المكرمة الرائعة ، والمأثرة البارعة ، التى ادخرها الله لأمر
 المؤمنين ، أعز الله نصره ، وأفرده بها ، دون الأئمة والخلفاء ، أن تمر بالاسماع
 صفحا ، وتجتاز على القلوب سهوا ، حتى تؤكد بالشواهد والبرهان ، ليبقى ذكرها
 ونفعها فى الخلوف والأعقاب ، ونحن نسأل الله عز وجل الذى جمع بأمر المؤمنين
 - مد الله فى عمره - ألفتنا ، وعلى طاعته أهواءنا وضمائرنا ، وأنالنا من الغبطة فى
 دولته وسلطانه ، ما لم تحوه شيعة امام ، ولا أنصار خليفة ، يتم نور أمير المؤمنين ،
 ويعلى كعبه ، ويمتعا ببقائه ، حتى يبلغه سؤله وهمته فى الاستكثار من البر وادخار
 الأجر ، واستيجاب الحمد والشكر ، وأن يأم به الشعب ، ويرأب به الصدع ، ويصلح
 على يديه الفساد ويرتق به شقوق هذه الأمة ، ويشحن بسياسته ونكايته فى عدوها ،
 ويتابع الفتوح فى بلدانهم حتى يؤتية من نجح السعى ، ورغائب الحظ فى الدنيا ،
 ما يجزل عليه ثوابه فى الآخرة ، وأرشد نجباءه وأصفياه ، الذين يقول لهم ،
 (فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين) .

ومن توقيعاته نقلا عن كتاب الصولي .

وقع الى عامل ظالم « احق طريق واضح لمن طلبه تهديه محبته ولا تخاف عثرته
ونؤمن في السر مغيبته فلا تستقلن منه ولا تعدلن عنه فقد بالغت في مناصحتك
فلا تحوجني الى معاودتك فليس بعد المقدمة اليك الا سطوة الانكار عليك » .

ووقع في عناية بانسان الى بعض العمال « أنا بفلان تام العناية وله شديده
انرعاية وكنت أحب أن يكون ما أرعيتك طرفك من أمره في كتابي مستودعا سمعك
من خطايي فلا تعدلن بعنايتك الى غيره ولا تمنحن بعقدك سواء حتى تنيله ارادته
وتتجاوز به أمنيته ان شاء الله » .

وفي كتاب ابن طيفور من توقيعات أحمد بن يوسف الشيء الكثير فارجع اليه
أن شئت .

(و) رسائل سهل بن هارون (١)

من كلامه :

حكى الجاحظ قال : - لقي رجلا سهلا بن هارون فقال : هب لي ما لا ضرر به

(١) هو من أبناء الفرس وكان من رجالات البلاغة والعلم والحكمة في دولي الرشيد والمأمون ، وقد
وضع كتابا حاكي به كتاب كليله ودمعة وسماه « ثعلبة وعفرة » . وكان قيم بيت الحكمة (مدير دار
الكتب) في عهد المأمون . ولد سهل بن هارون في مدينة ميسان بين واسط والبصرة ، وفي رواية
في دستميسان كورة بين الأهواز وواسط والبصرة ، في أواخر النصف الأول من القرن الثاني تقديرا ،
ولا يعرف من نسبه الا أنه سهل بن هرون بن راهيون (راهيون) وكنيته أبو عمرو ، فارسي الجنس ،
أهوازي أو خوزي المولد ، عراقي المنشأ ، تحول الى البصرة في سن لم تعرف ، وكانت البصرة اذ ذاك
مدينة العلم في الدولة الاسلامية ، بل مدينة العلم في العالم كله ، أو كما قيل فيها « قبة الاسلام ،
وخزانة العرب » حوت من العلم الانساني أصوله وفروعه ، ومن القائمين على تنميته مصاقفه وفحوله ،
فغذى روحه بلبان مجالسها ومجامعها ، واستنار عقله بما اقتبس من نور معارفها فتخرج بعلمائها ،
ولا شك في أنهم كانوا طبقة عالية جدا ، في كل مطلب من مطالب الآداب . وقيل : أن سهل بن هارون
كان شيعيا ، وشيعة العراق في زمنه كانوا على الاطلاق معتزلة ، ولم يؤثر عنه أنه تنقص أحدا من الصحابة
الكرام ، بل عرف بالاعتدال مع الأموات ، اعتداله مع الأحياء ، وما أثر عنه أنه خاض غمار مباحث الكلام
التي كانت على أشد حرارتها اذ ذاك ولا سيما في البصرة ودار السلام بغداد ، واتهموه بأنه كان مع
الشعوبيين الذين يصغرون شأن العرب ، ولا يرون لهم على العجم فضلا ، واذا صحت هذه التهمة فمن
الصعب التوفيق بين مذهب من يقول بالشعوبية ومن يقول بالتشيع ، على المعنى الذي فسر به بعد قرون . =

عليك ، فقال : وما هو يا أخي ، قال : درهم ، قال : لقد هونت الدرهم وهو طائع
الله في أرضه لا يعصى ، وهو عشر العشرة ، والعشرة عشر المائة ، والمائة عشر الألف ،
والألف دية المسلم ، ألا ترى الى أين انتهى الدرهم الذي هونت ، وهل بيوت الأموال
الا درهم على درهم ! فانصرف الرجل ، ولولا انصرافه لم يسكت .

وحكى دعبيل الخزاعي الشاعر قال : أقمنا يوما عند سهل بن هارون ، وأطلنا
الحديث حتى أضر به الجوع ، فدعا بغذائه فأتى بصحفة فيها مرق تحته ديك هرم ،
فأخذ كسرة وتفقد ما في الصحيفة فلم يجد رأس الديك فيبقى مطرقا ، ثم قال للغلام :
أين الرأس ؟ قال : رميت به ، قال : ولم ؟ قال : لم أظنك تأكله ، قال : ولم ظننت
ذلك ! فوالله اني لأمقت من يرمى برجله فكيف برأسه ! ولو لم أكره ما صنعت
الا للطيرة والغال لكرهته ، أما علمت أن الرأس رئيس يتفائل به ، وفيه الحواس
الخمس ، ومنه يصيح الديك ، ولولا صوته ما أريد ، وفيه فرقه الذي يتبرك به ،
وعينه التي يضرب بصفتائها المثل فيقال : شراب كعين الديك ، ودماغه عجب لوجع
الكلية ، ولم أر عظما قط أهش تحت الأسنان منه ، وان كان بلغ من نبلك أنك
لا تأكله ، فعندنا من يأكله ، أو ما علمت أنه خير من طرف الجناح ومن رأس العنق !
انظر أين رميته ، فقال : والله ما أدري ، قال : أنا والله أدري ! انك رميت به ، والله
في بطنك ، فالله حسيبك .

ومن مؤلفاته كتاب البخلاء .

ولما صنف سهل كتابه في البخل أهداه الى الحسن بن سهل واستماحه ، فكتب
اليه الحسن : قد مدحت ما ذمه الله ، وحسنت ما قبحه الله ، وما يقوم بفساد معنك
صلاح لفظك ، قد جعلنا ثواب مدحك فيه قبول قولك ، فما نعطيك شيئا .

= وصفه الجاحظ فقار : « كان سهل سهلا في نفسه ، عشيق الرجة ، حسن الشارة ، بعيدا عن
القدامة (العي) معتدل القامة ، مقبول الصورة ، يقضى له بالحكمة ، قبل الخيرة ، وبرقة الذهن ، قبل
المخاطبة ، وبرقة المذهب ، قبل الامتحان ، وبالنبل ، قبل الكشف (الظهور) » . وكان الجاحظ مازجه
وثاقفه . وغيال للحرائي ولعله ابراهيم بن ذكوان كاتب الهادي ووزيره : بينك وبين سهل بن هارون
صداقة فأنعته لنا كي نعرف ، فقال : « هو كالخير ، وازن العلم ، واسع الحلم ، ان حدث لم يكتب ،
وان موزح لم يغضب ، كالفيث أين وقع ، نفع ، وكالشمس حيث أولت ، أحييت ، وكالارض ما حملتها
حملت ، وكالماء ظهور للتمسه ، وناقع لقله من أحر اليه ، وكالهواء الذي تغطف منه الحياة بالسسم ،
وكالنار التي يعيش بها الموقرور ، وكالسماء التي قد حسنت بأصناف النور » . صورتان جميلتان
في وصف سهل صورهما مصوران مبدعان عاشا بقربه ، وفتنهما بخلقه وخلقه .

واتهموا سهل بن هارون بالبخل وأوردوا له قصصا ونوادير ، وربما كان اتهامه بالبخل مبالغا فيه
تراد به البكثة والنادرة . من محاضرة للأستاذ الباحث المعيد محمد كرد علي ألقاها بالمجمع العلمي
العربي بدمشق ونشرها بمجلتي المجمع والمقتطف .

واتهم سهل بن هارون بالبخل وأورد له في ذلك قصص ونوادر وعده الجاحظ
من « متعاقلي البخلاء وأشحاء العلماء » قال : ما علمت أن أحدا جرد في البخل كتابا
الا سهل بن هارون ، وأبا عبد الرحمن الثوري ، والبخل في الفرس غالب في الجملة ،
غلبة الكرم على طبائع العرب ، فاقترض ذلك التفريط الذي رآه سهل في تبذير
العرب ، أن يدل لقومه بآرائه المفرطة في الاقتصاد والامساك . وما شوهه قط تفريط
الا والى جانبه افراط .

كتبه وطريقته في التأليف :

كان سهل بن هارون منقطع القرين في صنوف العلم والآداب ، وناهيك بعالم
كبير كالجاحظ كان يؤلف الكتاب الكثير المعاني ، الحسن النظم ، فينسبه الى نفسه
فلا يرى الأسماع تصغي اليه ، ولا القلوب تيمم نحوه ثم يؤلف كما قال عن نفسه ،
ما هو أنقص منه مرتبة وأقل منه فائدة ، فينحله عبد الله بن المقفع ، أو سهل
ابن هارون ، فيقبل الناس عليها ، ويسارعون الى نسخها .

ويقال ان طريقة سهل في كتابته طريقة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لا يتكلف
لكلامه ، فلا يشاهد فيه الناقد أثر العمل ، بل لا يكلف بغير ارسال النفس على
سجيته ، فهو وابن المقفع والجاحظ على غرار واحد .

وقيل ان سهلا كاتب سلاطين ، والجاحظ مؤلف دواوين . وكان كلامه نغمة
موسيقية تعرف انتهاء جملته من رنتها بعد أن ملكت عليك مشاعرك ، لا يحفل
بالأسجاع الا اذا جاءت عفو خاطر ، شأن بلغاء الصدر الأول . وكان يقول الشعر
وأكثر شعره مما أملاه قلبه ، في غرض من أغراض المجتمع . وعده الجاحظ من الخطباء
والشعراء الذين جمعوا الشعر والخطب والرسائل الطوال والقصار ، والكتب الكبار
المجلدة ، والسير الحسان المولدة ، والأخبار المدونة . ولقبه مرة بالكاتب ، ولعل
لقب الكاتب في شرفه أكبر من عالم . وذكره ابن النديم في البلغاء وقال : انه شاعر
مقل ، وعده في الشعراء الكتاب . وقال : انه كان ممن يعمل الأسمار والخرافات
على السنة الناس والبطير والبهايم هو وعبد الله بن المقفع وعلي بن داود كاتب زبيده .
وشعره خمسون ورقة . أما الدهشة ففي تأليفه ، فله ديوان رسائله ، وكتاب النمر
والثعلب ، وكتاب اسباسيوس (أسانوس) في اتخاذ الأخوان ، كتاب أسد بن أسد ،
كتاب سحرة العقل ، كتاب تدبير الملك والسياسة ، كتاب الى عيسى بن أبان في
القضاء ، كتاب الفرس ، كتاب الغزالين ، كتاب ندود ودود ولدود ، كتاب الرياض ،
وكتاب ثعل وعفراء ، (وفي رواية ثعل وعفر) على مثال كتاب كليله ودمنة ، قلبه
في أبوابه وأمثاله .

وقال المسعودي : يزيد عليه أى على كليلة ودمنة فى حسن نظمه وقد صنّفه للمأمون . ومن تأليفه : كتاب الهزلية والمخزومي ، كتاب الوامق والعذراء الى غير ذلك من المصنفات التى لم تبق الايام ويا للأسف على واحد منها فيما علمنا .

دخل سهل على الرشيد وهو يضاحك المأمون ، فقال : اللهم زده من الخيرات ، وابسط له من البركات ، حتى يكون فى كل يوم من أيامه مرييا على أمسه ، مقصرا عن غده ، فقال الرشيد : يا سهل ، من روى من الشعر أحسنه وأرصنه ، ومن الحديث أفصحه وأوضحه ، اذا رام أن يقول لا يعجزه القول ؟ فقال سهل : يا أمير المؤمنين ، ما ظننت أن أحدا تقدمنى الى هذا المعنى ، قال بل أعشى همدان حيث يقول :

رايتك أمس خير بنى لؤى * وأنت اليوم خير منك أمس
وأنت غدا تزيد الخير ضعفا * كذاك تزيد سعادة عبد شمس

وقد شهد مقتل البرامكة فى سنة ١٨٧ هـ وحدث فيما كان عليه يحيى وجعفر من البلاغة فقال : ان سجاعى الخطب ، ومجبرى القريض عيال على يحيى بن خالد ابن برمك وجعفر بن يحيى ، ولو كان كلام يتصور درا ، ويحيله المنطق السرى جوهرا ، لكان كلامهما ، والمتقى من لفظهما ، ولقد كانا مع هذا عند كلام الرشيد فى بديته وتوقيعاته فى كتبه ، قدمين عيين ، وجاهلين أميين ، ولقد عمرت معهم ، وأدركت طبقة المتكلمين فى أيامهم ، وهم يرون أن البلاغة لم تستكمل الا فيهم ، ولم تكن مقصورة الا عليهم ، ولا انقادت الا لهم ، وأنهم محض الأنام ، ولباب الكرام ، وملح الايام ، عشق منظر ، وجودة مخبر ، وجزالة منطق ، وسهولة لفظ ، ونزاهة نفس ، واكتمال خصال ، حتى لو فاخرت الدنيا بقليل أيامهم ، والمأثور من خصالهم ، كثير أيام من سواهم من لدن آدم أبيهم الى النفخ فى الصور ، وابتعث أهل القبور ، حاشا أنبياء الله المكرمين ، وأهل وحيه المرسلين ، لما باهت الا بهم ، ولا عولت فى الفخر الا عليهم ، ولقد كانوا مع تهذيب أخلاقهم ، وكريم أعراقهم ، وسعة آفاقهم ، ورفق ميثاقهم ، ومعسول مذاقهم ، وبهاء اشراقهم ، ونقاوة أعراضهم ، وتهذيب أغراضهم ، واكتمال خلال الخير فيهم ، الى ملء الأرض مثلهم فى جنب محاسن المأمون كالنفثة (التفلّة) فى البحر ، والخردلة فى المهمة القفر .

قيل : وهذا الكلام على ما فيه من حقيقة فى بيان سجايا البرامكة والرشيد والمأمون لم يختتم بالنصفة الحقة ، ومال به سهل الى المصانعة ، وخرجه على نحو مبالغة الفرس ، فى الاطراء والملق لولى الأمر .

وروى بعض الرواة أن المأمون كان استقل سهل بن هارون ، وقد دخل عليه يوما والناس على مراتبهم ، فتكلم المأمون بكلام ذهب فيه كل مذهب ، فلما فرغ من

كلامه أقبل سهل بن هارون على الجمع فقال : ما لكم تسمعون ولا تعون ، وتشاهدون ولا تفقهون ، وتفهمون ولا تتعجبون وتتعجبون ولا تنصفون ! والله إنه ليقول ويفعل في اليوم القصير ما فعل بنو مروان في الدهر الطويل ، عربكم كعجمكم ، وعجمكم كعبيدكم ، ولكن كيف يعرف بالدواء من لا يشعر بالداء . فرجع المأمون فيه الى الرأي الأول ، وعرف أنه الرجل كل الرجل ، فقربه وأدناه على النحو الذي كان عليه في عهد والده .

ومن كلام له في كتابه ثعلة وعفرة :

« اجعلوا أداء ما يجب عليكم من الحقوق تتدما قبل الذي تجودون به من تفضلكم ، فان تقديم النافلة مع الابطاء في الفريضة شاهد على وهن العقيدة ، وتقصير الروية ، ومضر بالتدبير ، ومخل بالاختيار ، وليس في نفع تحمد به عوض من فساد المروءة ، ولزوم النقيصة » .

وهذا مأخوذ من قوله في يحيى بن جعفر :

عدو تلاد المال فيما ينوبه . * منوع اذا ما منعه كان أحزمه
مذلل نفس قد أبت غير أن ترى * مكاره ما تأتي من العيش مغنما

وكتب الى صديق له أبل من ضعف :

« بلغني خبر الفترة في المامها وانحسارها ، والشكاة في حلولها وارتحالها ، فكاد يشغل القلق بأوله عن السكون لآخره ، وتذهل الحيرة في ابتدائه ، عن المسرة في انتهائه ، وكان تغير في الحالين بقدرهما ارتياحا للأولى ، وارتياحا للآخري » .

وكتب في البنخل :

بسم الله الرحمن الرحيم

أصلح الله أمركم وجمع شملكم وعلمكم الخير وجعلكم من أهله . قال الأحنف ابن قيس : يا معشر بني تميم ، لا تسرعوا الى الفتنة فان أسرع الناس الى القتال أقلهم حياء من الفرار . وقد كانوا يقولون : اذا أردت أن ترى العيوب جمة فتأمل عيابا فانه انما يعيب الناس بفضل ما فيه من العيب . ومن أعيب العيب أن تعيب ما لبس بعيب . وقبيح أن تنهى مرشدا وأن تغري بمشفق . وما أردنا بما قلنا

إلا هدايتكم وتقويمكم ، واصلاح فاسدكم ، وابقاء النعمة عليكم . وما أخطأنا سبيل حسن النية فيما بيننا وبينكم . وقد تعلمون أنا ما أوصيناكم الا بما اخترناه لكم ، ولأنفسنا قبلكم ، وشهرنا به في الآفاق دونكم . ثم نقول في ذلك ما قال العبد الصالح لقومه : ﴿ وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ان أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب ﴾ فما كان أحقنا منكم في حرمتنا بكم أن ترعوا حق قصدنا بذلك اليكم على ما رعيناه من واجب حقكم ، فلا العذر المبسوط بلغتم ولا بواجب الحرمة قتمتم . ولو كان ذكر العيوب يراد به فخر لرأينا في أنفسنا من ذلك شغلا .

عبتوموني بقولي لخادمي : أجيدي العجين فهو أطيب لطعمه وأزيد في ريعه (١) .
وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أملكوا (٢) العجين فإنه أحد الريعين .
وعبتوموني حين ختمت على ما فيه شيء ثمين من فاكهة رطبة نقية ومن رطبة غريبة على عبد نهم وصبي جشع وأمة لكهاء (٣) وزوجة مضیعة .

وعبتوموني بالختم وقد ختم بعض الأئمة على مزود سويق (٤) وعلى كيس فارغ .
وقال : طينة خير من طية ، فأمسكتم عن ختم على لا شيء وعبتم من ختم على شيء .
وعبتوموني أن قلت للغلام : اذا زدت في المرق فزد في الانضاج ليجتمع مع التادم باللحم طيب المرق .

وعبتوموني بخصف (٥) النعل وبتصدير (٦) القميص وحين زعمت أن المخصوفة من النعل أبقي وأقوى وأشبه بالشد وأن الترقيع من الحزم والتفريط من التضييع .
وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله ويرقع ثوبه ويقول : لو أهدي الى ذراع لقبلت ، ولو دعيت الى كراع لأجبت . وقالت الحكماء : لا جديد لمن لم يلبس الخلق . وبعث زياد رجلا يرتاد محدثا واشترط عليه أن يكون عاقلا فأتاه به موافقا فقال له : أكنت به ذا معرفة ؟ قال : لا ، ولكني رأيته في يوم قائط يلبس خلقا ويلبس الناس جديدا ، فتفرست فيه العقل والأدب . وقد علمت أن الخلق في موضعه مثل الجديد في موضعه . وقد جعل الله لكل شيء قدرا وسما به موضعا كما جعل لكل

(١) الريع : النماء والزيادة .

(٢) أملك العجين : انعام عجنه .

(٣) اللكهاء : الحكماء .

(٤) المزود : وعاء الزاد . والسويق : طعام يتخذ من الحنطة أو الشعير .

(٥) خصف النعل : خرزها .

(٦) تصدير القميص : أن يجعل لصدره بطانة .

زمان رجالا ولكل مقام مقالا • وقد أحيا الله بالسهم وأمات بالدواء وأغص بالماء • وقد زعموا أن الإصلاح أحد الكاسبين كما زعموا أن قلة العيال أحد اليسارين • وقد جبر الأحنف بن قيس يد عنز وأمر مالك بن أنس بفرك النعل • وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : من أكل بيضه فقد أكل دجاجة • ولبس سالم بن عبد الله جلد أضحية • وقال رجل لبعض الحكماء : أريد أن أهدي إليك دجاجة • فقال : ان كان لابد فاجعلها بيوضا •

وعبتموني حين قلت : من لم يعرف مواضع السرف في الموجود الرخيص لم يعرف مواضع الاقتصاد في الممتنع الغالي • ولقد أتيت بماء للوضوء على مبلغ الكفاية وأشد من الكفاية ، فلما صرت إلى تفريق أجزاءه على الأعضاء وإلى التوفير عليها من وضیعة (١) الماء وجدت في الأعضاء فضلا عن الماء ، فعلمت أن لو كنت سلكت الاقتصاد في أوائله لخرج آخره على كفاية أوله ولكان نصيب الأول كنصيب الآخر ، فعبتموني بذلك وشنعتم علي ، وقد قال الحسن وذكر السرف : أما انه ليكون في الماء والكلا فلم يرض بذكر الماء حتى أردفه الكلا •

وعبتموني أن قلت : لا يغترون أحدكم بطول عمره وتقويس ظهره ورقة عظمه ووهن قوته وأن يرى نحوه أكثر ذريته ، فيدعوه ذلك إلى اخراج ماله من يده وتحويله إلى ملك غيره وإلى تحكيم السرف فيه وتسليط الشهوات عليه ، فلعله يكون معمرا وهو لا يدري ، وممدودا له في السن وهو لا يشعر ، ولعله أن يرزق الولد على اليأس ويحدث عليه من آفات الدهر ما لا يخطر على بال ولا يدركه عقل ، فيسترده ممن لا يرده ويظهر الشكوى إلى من لا يرحمه أصعب ما كان عليه الطلب وأقبح ما كان به أن يطلب ، فعبتموني بذلك ، وقد قال عمرو بن العاص : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » •

وعبتموني بأن قلت : بأن السرف والتبذير إلى مال الموارث وأموال الملوك وأن الحفاظ للمال المكتسب والغنى المجتلب وإلى من لا يعرض فيه بذهاب الدين واهتضام العرض ونصب البدن واهتمام القلب أسرع ومن لم يحسب نفقته لم يحسب دخله ومن لم يحسب الدخل فقد أضاع الأصل • ومن لم يعرف للغنى قدره فقد أودن بالفقر وطاب نفسا بالذل •

وعبتموني بأن قلت : أن كسب الحلال يضمن الاتفاق في الحلال • وإن الخبيث ينزع إلى الخبيث ، وإن الطيب يدعو إلى الطيب ، وإن الاتفاق في الهوى حجاب دون

(١) الوضیعة هنا : النقص •

الهدى ، فعبتم على هذا القول ، وقد قال معاوية : لم أر تبذيرا قط الا والى جنبه حق مضيع . وقد قال الحسن : ان أردتم أن تعرفوا من أين أصاب الرجل ماله فانظروا فيماذا ينفقه فان الخبيث انما ينفق فى السرف . وقلت لكم بالشفقة عليكم وحسن النظر منى لكم وأنتم فى دار الآفات ، والجوائح غير مأمونات : فان أحاطت بمال أحدكم آفة لم يرجع الا الى نفسه . فاحذروا النقم باختلاف الأمكنة فان البلية لا تجرى فى الجميع الا بموت الجميع .

وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى العبد والأمة والشاة والبعير : فرقوا بين المنايا . وقال ابن سيرين لبعض البحرين : كيف تصنعون بأموالكم ؟ قالوا : نفرقها فى السفن فان عطب بعض سلم بعض . ولولا أن السلامة أكثر ما حملنا أموالنا فى البحر . قال ابن سيرين « تحسبها خرقاء وهى صناع (١) » .

وعبتمونى بأن قلت لكم عند اشفاقي عليكم : ان للغنى لسكرا وللمال لنزوة (٢) فمن لم يحفظ الغنى من سكره فقد أضاعه ، ومن لم يرتبط المال لخوف الفقر فقد أهمله .

فعبتمونى بذلك وقد قال زيد بن جبة : ليس أحد أقصر عقلا من غنى أمن الفقر ، وسكر الغنى أكثر من سكر الخمر . وقد قال الشاعر فى يحيى بن خالد ابن برمك :

وهوب تلاد المال فيما ينوبه * ممنوع اذا ما منعه كان أحزما

وعبتمونى حين زعمتم أنى أقدم المال على العلم ، لأن المال به يفاد العلم وبه تقوم النفس قبل أن تعرف فضل العلم ، فهو أصل ، والأصل أحق بالتفضيل من الفرع ، فقلت : كيف هذا ؟ وقد قيل لرئيس الحكماء : الأغنياء أفضل أم العلماء ؟ قال : العلماء . قيل له : فما بال العلماء يأتون أبواب الأغنياء أكثر ما يأتى الأغنياء أبواب العلماء ؟ قال : ذلك لمعرفة العلماء بفضل المال وجهل الأغنياء بحق العلم . فقلت : حالهما هى القاضية بينهما . وكيف يستوى شئ حاجة العامة اليه وشئ يغنى فيه بعضهم عن بعض .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يأمر الأغنياء باتخاذ الغنم والفقراء باتخاذ الدجاج . وقال أبو بكر رضى الله عنه : انى لأبغض أهل بيت ينفقون نفقة الأيام فى

(١) هذا مثل يضرب لمن تظن به النقلة وهو فطن يتفكر .

(٢) النزوة : الثورة أو الوثبة .

اليوم الواحد • وكان أبو الأسود الدؤلي يقول لولده : اذا بسط الله لك الرزق فابسط واذا قبض فاقبض •

وعبتموني حين قلت : فضل الغنى على القوت انما هو كفضل الآلة تكون في البيت اذا احتيج اليها استعملت وان استغنى عنها كانت عدة • وقد قال الحصين ابن المنذر : وددت أن لي مثل أحد ذهباً لا أنتفع منه بشيء • قيل له : فما كنت تصنع به ؟ قال : لكثرة من كان يخدمني عليه لأن المال مخدوم • وقد قال بعض الحكماء : عليك بطلب الغنى فلو لم يكن فيه الا أنه عز في قلبك وذل في قلب عدوك لكان الحظ فيه جسيماً والنفع فيه عظيماً •

ولسنا ندع سيرة الأنبياء وتعليم الخلفاء وتأديب الحكماء لأصحاب اللهو ، ولستم على تردون ولا رأي تفندون ، فقدموا النظر قبل العزم وأدركوا ما لكم قبل أن تدركوا مآلكم • والسلام عليكم •

وسهل هو القائل :

تقسمني همان قد كسفا بالي	* وقد تركا قلبي محبة بلبال
هما أذريا دمعي ولم تدر عبرتي	* رهينة خذ ذات سميط وخلخل
ولا قهوة لم يبق منها سوى الذي	* على أن تحاكي النور في رأس ذيال
تحلل منها جرمها وتماسكت	* لها نفس معدوم على الزمن الخالي
ولكنما أبكى بعين سخية	* على حدث تبكى له عين أمثالي
فراق خليل لا يقوم به الأسى	* وخلة حر لا يقوم بها مالى
فواحسرتى حتى متى القلب موجه	* لنفر خليل او تعدد افضال
وما الفضل الا أن تجود بنائل	* والا لقاء الخل ذي الخلق العالي

وهو القائل :

اذا امرؤ ضاق غنى لم يضق خلقى	* من أن يرائي غنيا عنه بالياس
لا أطلب المال كي أغنى بفضلته	* ما كان مطلبه فقرا من الناس

(ز) عمرو بن مسعدة (١)

كان كاتباً بليغاً ، جزل العبارة وجيزها ، سديد المقاصد ، فضله شائع ، ونبله ذائع ، أشهر من أن ينبه عليه ، أو يدل بالوصف اليه ، قد ولى للمأمون الأعمال الجليلة ، وألحق بذوى المراتب النبيلة . وسماه بعض الشعراء وزيراً لعظم منزلته لأنه كان وزيراً ، وهو قوله :

لقد أسعد الله الوزير بن مسعدة * وبث له في الناس شكر ومحبة

(١) هو عمرو بن مسعدة بن سعد بن صول بن صول (بضم الصاد) كان رجلاً تركياً . وكان ملك وأخوه فيروز على جرجان وتمجسا بعد التركية وتشبها بالفرس .

بدأ عمرو بن مسعدة في خدمة الدولة عاملاً من العمال فظهرت كفايته وبلاغته ، وبالبلاغة توصل إلى الخليفة فعد أحد أفراد قلائل في رجاله ، قال أحمد بن يوسف الكاتب : دخلت يوماً على المأمون وبيده كتاب يعاود قراءته تارة بعد أخرى ، ويصعد فيه ويصوب ، فلما مرت على ذلك مدة من زمانه التفت إلى وقال : يا أحمد أراك مفكراً فيما تراه مني ، قلت : نعم ، فقال : ان في هذا الكتاب كلاماً نظير ما سمعت الرشيد يقول في البلاغة ، زعم أن البلاغة إنما هي التباعد عن الاطالة ، والتقريب من معنى البقية ، والدلالة بالقليل من اللفظ ، على الكثير من المعنى ، وما كنت اتوهم أن أحداً يقدر على ذلك . وقال : هذا كتاب عمرو بن مسعدة إلينا ، ففككته فإذا فيه : « كتابي إلى أمير المؤمنين ، ومن قبلي من قواده ، ورؤساء أجناده ، في الانقياد والطاعة ، على أحسن ما تكون طاعة جند تأخرت أرزاقهم ، وانقياد كفاة تراخت أعطيائهم ، فاخملت لذلك أحوالهم ، والتأثت بهم أمورهم » . فلما قرأته قال : ان استحسانى أياك بعثنى أن أمرت للجند قبله بأعطيائهم لسبعة أشهر ، وأنا على مجازاة الكاتب بما يستحقه من حل محله في صناعته . وفي رواية أن المأمون أمر لعمرو بن مسعدة برزق ثمانية أشهر وأنه قال لأحمد ابن يوسف : لا تدر عمرو ما أبلغه ! الا ترى إلى ادماجه المعالة في الأخبار ، واعفائه سلطانه من الاكثار .

وكان عمرو بن مسعدة وكنيته أبو الفضل أبيض أحمر الوجه ، وكان المأمون يسميه الرومي لبياض وجهه وكان يخضب وتوفي بأذنه سنة سبع عشرة ومائتين . ولم نعرف منشأه ومولده وأسائذه وغاية ما عرفناه أنه كان أحد أخوة أربعة أحسن أبوهم . وكان كاتباً أيضاً - تربيتهم كل الاحسان حتى جاءت من أحدهم هذه البلاغة النادرة التي كان من أثرها أن أصبح عشير المأمون ، وكان هو وأبو عباد ثابت ابن يحيى يكتبان بين يديه ويخلوان معه ويمارحانه . ولكي يصل الرجل إلى هذا المقام مع مثل هذا الخليفة العظيم في كل شؤونته يجب أن ينطوى على صفات عالية يعز مثلها في الأقران والأتراك .

قال عمرو بن مسعدة : كنت أوقع بين يدي جعفر بن يحيى البرمكي فرفع إليه غلماناً وربة يستزيدونه في روايتهم لرمي بها إلى وقال : اجب عنها فكتبت : « قليل دائم خير من كثير منقطع » فضرب بيده على ظهره وقال : أي وزير في جلدك ! . وقد شهد لعمرو بن مسعدة بالبلاغة أعيان البيان في عصره ومنهم الفضل بن سهل فقال فيه : انه أبلغ الناس . ومن بلاغته أن كل أحد اذا سمع كلامه ظن أنه -

فهو كما كتب الحسن بن سهل الى محمد بن سماعة القاضى وقد احتاج الى رجل يوليه بعض الأعمال فقال : انه يريد رجلا جامعا لخصال الخير ، ذا عفة ونزاهة طعنة (١) ، قد هذبت له الآداب ، وأحكمت التجارب ، ليس بظنين فى رأيه ، ولا بمطعون فى حسبه ان أؤتمن على الأسرار قام بها ، وان قلده مهما من الأمور أجزأ (٢) فيه ، له سن مع أدب ولسان ، تعقده الرزانة ، ويسكته الحلم ، قد فر (٣) عن ذكاء وفطنة ، وعرض (٤) على قارحة من الكمال ، تكفيه اللحظة ، وترشده السكينة ، قد أبصر خدمة الملوك وأحكمها ، وقام فى أمور فحمد فيها ، له أناة الوزراء ، وصوله الأمراء ، وتواضع العلماء ، وفهم الفقهاء ، وجواب الحكماء ، لا يبيع نصيب يومه بحرمان غده ، يكاد يسترق قلوب الرجال بحلاوة لسانه ، وحسن بيانه ، دلائل الفضل عليه لائحة ، وأمارات العلم له شاهدة ، مضطلعا بما استنهض ، مستقلا بما حمل .

= يكتب مثله فاذا رآه بعد عليه . وهذا كما قيل لأحد البلغاء : ما حد البلاغة ؟ فقال : التى اذا سمعها الجاهل ظن انه يقدر على مثلها ، فاذا رآها استصعب عليه .

ولم يؤثر عن عمرو انه ألف فى موضوع خاص وأفرد مسألة فى التأليف ، وعده ابن النديم فى الشعراء الكتاب ولم يذكر الا أن له ولأخيه مجاشع خمسين ورقة من الشعر وهى من الضائع أيضا . والقالب أن مهام الدولة لم تترك له وقتا يصرفه فى درس خاص ، أو وضع كتاب أو رسالة : وما تلقطه العلماء والأدباء من كلامه ، فهو مما صدر عنه بالمناسبات ، ورواه له المعبجون به ، وما أعظم المفقود منه . والمظنون أن لو كانت جمعت له رسائله على إيجازها لكان منها ديوان كبير ، لأن من صرف أعواما طويلة وهو قابض على يراعتة يعالج بها الموضوعات السياسية والإدارية فى ذاك المجتمع العظيم لا شك أنه يجتمع له صفحات كثيرة مهما كان مقلدا معروفا بالإيجاز . من محاضرة للأستاذ الباحث محمد كرد على نشرها بمجلة المجمع العلمى العربى . وفى عمرو بن مسعدة قال محمد السيدى وقد اعتل :

قالوا أبو الفضل معتل فقلت لهم ❀ نفسى الفداء له من كل معسود

يا ليت علته بى غير أن له ❀ أجر العليسل وانى غير ماجسود

وتجد ترجمته فى معجم الأدباء لساموت (ج ٦ ص ٨٨) وابن خلكان (ج ١ ص ٥٥٥) والواقى بالوفيات للصفدى (ج ٥ ص ٥٠٢ قسم ثالث من الأصل الفوتوغرافى المحفوظ بدار الكتب المصرية) .

(١) فى الأساس : ومن المجاز فلان طيب الطعمة وخبيث الطعمة (بالكسر) وهى الجهة التى منها يرتقى (بوزن الحرفة) .

(٢) أجزأنى كذا : كفانى .

(٣) فر عن لكاء ، ولطنة ، أى جرب واختبر لهما .

(٤) وعرض على قارحة ، كناية عن بلوغه درجة الكمال .

ومن كلام عمرو بن مسعدة :

أعظم الناس أجرا ، وأنبههم ذكرا ، من لم يرض بموت العدل في دولته ، وظهور
الحجة في سلطانه ، وإيصال المنافع الى رعيته في حياته ، وأسعد الرعاة من دامت
سعادة الحق في أيامه ، وبعد وفاته وانقراضه .

وقال : الخط صور الكتب ترد اليها أرواحها .

وقال : الخط صورة ضئيلة لها معان جليلة ، وربما ضاق عن العيون ، وقد ملأ
أخطار الفنون .

وقال : لا تستصحب من يكون استمتاعه بمالك وجاهك ، أكثر من امتاعه لك
بشكر لسانه وقوائد علمه ، ومن كانت غايته الاحتيال على مالك واطراءك في وجهك ،
فإن هذا لا يكون الا ردىء الغيب ، سريعا الى الذم .

وكتب الى الحسن بن سهل :

أما بعد ، فأنك ممن اذا غرس سقى ، واذا أسس بنى ، ليستتم تشييد أسسه ،
ويجتنى ثمار غرسه ، وثناؤك عندي قد شارف الدروس ، وغرسك مشف على
اليبوس ، فتدارك بناء ما أسست ، وسقى ما غرست ان شاء الله .

وكتب الى بعض أصحابه في شخص يعز عليه :

لأما بعد ، فموصل كتابي اليك سالم والسلام . أراد قول الشاعر :

يديروني عن سالم وأديرهم * وجلة بين العين والأنف سالم

أى يحل منى هذا المحل .

وكتب الى المأمون في رجل من بني ضبة يستشفع له بالزيادة في منزلته وجعل
كتابه تعريضا :

أما بعد ، فقد استشفع بى فلان يا أمير المؤمنين لتطولك على ، في الحاقه بنظرائه
من الخاصة فيما يرتزقون به ، وأعلمته أن أمير المؤمنين لم يجعلنى في مراتب
المستشفعين ، وفي ابتدائه بذلك تعدى طاعته والسلام .

فكتب اليه المأمون : « قد عرفنا توطئتك له ، وتعريضك لنفسك ، وأجبتك
اليهمسا ، ووافقناك عليهمسا » . وقوله : « ان أمير المؤمنين لم يجعلنى في مراتب
المستشفعين ، وفي ابتدائه بذلك تعدى طاعته » : من الكلام السرى الذى يدل على مبلغ
أدب عمرو وبعد غوره في السياسة ووقوفه على روح عصره ونفسية الخلفاء .

قدم رجل من أبناء دهاقين (١) قريش ، على المأمون لعدة سلفت منه ، فطال على الرجل انتظار خروج أمر المأمون ، فقال لعمر بن مسعدة : توصل مني رقعة الى أمير المؤمنين تكون أنت الذي تكتبها تكن لك على نعمتان . فكتب : « ان رأى أمير المؤمنين أن بفك أسر عبده من ربة المظل بقضاء حاجته ، أو يأذن له بالانصراف الى بلده فعل ان شاء الله » .

فلما قرأ المأمون الرقعة دعا عمرا فجعل يعجب من حسن لفظها ، وابعاز المراد . فقال عمرو : فما نتيجتها يا أمير المؤمنين ؟ قال : الكتاب له في هذا الوقت بما وعدناه ، لئلا يتأخر فضل استحساننا كلامه ، وبجائزة مائة ألف درهم ، صلة عن دناءة المظل . وسماجة الاغفال .

وهذا مما يدل على سعة عقل المأمون وولوعه بالبلاغة وقدره أهلها حق قدرهم ، دع ما هنالك من نفس ما أحبت الا الجود والعطاء .

ومن حكم عمرو بن مسعدة :

العبودية عبودية الاخاء . لا عبودية الرق . الود أعطف من الرحم . ان الكريم ليرعى من المعرفة ما رعى الوصل من القرابة . عليكم بالاخوان فانهم زينة في الرخاء ، وعدة للبلاء . مثل الاخوان مثل النار ، قليلها متاع ، وكثيرها بوار . النفس بالصديق ، آنس منها بالعشيق ، وغزل المودة ، أرق من غزل الصباية . من حقوق المودة ، عفو الاخوان ، والاغضاء عن تقصير ان كان . ذكر رجل رجلا فقال : حسبك أنه خلق كما تشتهي اخوانه . المودة قرابة مستفادة . ما تواصل اثنان فدام تواصلهما ، الا لفضلهما أو فضل أحدهما . أسرع الأشياء انقطاعا مودة الأشرار . المحروم من حرم صالحى الاخوان . لقاء الخليل شفاء الغليل . قلة الزيارة ، أمان من الملامة . اخوان السوء كشجر النار يحرق بعضه بعضا . علامة الصديق اذا أراد القطيعة أن يؤخر الجواب ، ولا يبتدىء بالكتاب . لا يفسدك الظن على صديق قد أصلحك اليقين له . من لم يقدم الامتحان قبل الثقة ، والثقة قبل الأنس ، وأثمرت مودته ندما . اذا قدمت الحرمة ، تشبهت بالقرابة . العتاب حياة المودة . ظاهر العتاب خير من باطن الحقد . ما أكثر من يعاتب لطلب علة ، ويبقى الود ما بقى العتاب . كمن الحقد فى الفؤاد ككمن النار فى الزناد . القريب بعيد بعداوته ، والبعيد قريب بمودته . لا تأمنن عدوك وان كان مقهورا ، واحذره وان كان مفقودا ، فان حد السيف فيه وان كان مغمودا . لا تتعرض لعدوك فى دولته ، فانها اذا زالت كفتك مؤونته . نصح الصديق تأديب ، ونصح العدو تأليب .

(١) الدهاقين : الزعماء أرياب الأملاك بالسواد ، وأحدهم دهقان (بكسر الدال معرب) .

روى البيهقي قال : أخبرنا بعض أصحابنا قال : شهدت المأمون يوما وقد خرج من باب البستان ببغداد فصاح به رجل بصرى : يا أمير المؤمنين انى تزوجت بامرأة من آل زياد وان أبا الرازى فرق بيننا وقال : هى امرأة من قریش ؟ قال : فأمر عمرو بن مسعدة فكتب الى أبى الرازى :

انه قد بلغ أمير المؤمنين ما كان من الزيادة وخلصك اياها اذ كانت من قریش . فمتى تحاكمت اليك العرب ؟ لا أم لك فى أنسابها ، ومتى وكلتك قریش بابن اللخناء بأن تلصق بها من ليس منها ؟ فخل بين الرجل وامراته ، فلئن كان زياد من قریش ، انه لابن سمية بغى عاهرة ، لا يفتخر بقرابتها ، ولا يتطاول بولادتها . ولئن كان ابن عبيد ، لقد باء بأمر عظيم ، اذ ادعى الى غير أبيه ، لحظة تعجله ، وملك قهره .

وأمر المأمون عمرو بن مسعدة أن يكتب لرجل به عناية الى بعض العمال فى قضاء حقه ، وأن يختصر كتابه ما أمكنه ، حتى يكون ما يكتب به فى سطر واحد ، لا زيادة عليه . فكتب عمرو :

كتابى اليك كتاب واثق بمن كتبت اليه ، معنى بمن كتب له ، ولن يضيع بين الثقة والعناية حامله .

وكتب الى بعض الرؤساء ، وقد تزوجت أمه فسأه ذلك ، فلما قرأها ذلك الرئيس تسلى بها ، وذهب عنه ما كان يجده . وقيل : ان هذه الرسالة من انشاء ابن العميد وهى :

الحمد لله الذى كشف عنا ستر الحيرة ، وهدانا لستر العورة . وجدع بما شرع من الحلال أنف الغيرة ، ومنع من عضل الأمهات ، كما منع من وأد البنات ، استنزالا للنفوس الأبية ، عن الحمية حمية الجاهلية ، ثم عرض لجزيل الأجر ، من استسلم لواقع قضائه ، وعوض جليل الذخر من صبر على نازل بلائه ، وهناك الذى شرح لملتقى صدرى ، ووسع فى البلوى صبرك ، وألهمك من التسليم لمشيئته ، والرضا بفضيئته ، ما وفقك له من قضاء الواجب فى أحد أبويك ، ومن عظم حقه عليك ، وجعل تعالى جده ، وتقدسست أسماؤه ، جارية على غير مراد المخلوقين ، لكنه تعالى يختار ويعزل عليه ذخرك ، وقرن بالحاضر من امتعاضك بفعلها ، المنتظر من ارتماضك بدفنها ، فتستوفى بها المصيبة ، وتستكمل عنها المثوبة ، فوصل الله لسيدى ما استشعره من الصبر على عرسها ، بما يكتسبه من الصبر على نفسها ، وعوضه من أسرة فرشها ، أعواد نعشها ، وجعل تعالى جده ما ينعم به عليه بعدها من نعمة ، معرى من نقمة ، وما يوليه بعد قبضها من منحة ، مبرا من محنة ، فأحكام الله تعالى جده ، وتقدسست أسماؤه ، جارية على غير مراد المخلوقين ، لكنه تعالى يختار

لعباده المؤمنين ما هو خير لهم في العاجلة ، وأبقى لهم في الآجلة ، اختار الله لك في قبضها اليه ، وقدومها عليه ، ما هو أنفع لها ، وأولى بها ، وجعل القبر ، كفوا لها والسلام .

وقال عبد العزيز يحيى المكي الذي ناظر بشر بن غياث المريسي بحضرة أمير المؤمنين في مسألة خلق القرآن :

جاءني خليفة عمرو بن مسعدة ومعه جمع من الفرسان والرجالة فحملني مكرما على دابته حتى صار الى باب أمير المؤمنين فأوقفني حتى جاء عمرو بن مسعدة فدخل فجلس في حجرته التي كان يجلس فيها ثم أذن لي بالدخول عليه فدخلت فلما صرت بين يديه أجلسني ثم قال لي : أنت مقيم على ما كنت عليه أو قد رجعت عنه ؟ فقلت : بل مقيم على ما كنت وقد ازددت بتوفيق الله تعالى إياي بصيرة في أمري ، فقال لي عمرو بن مسعدة : أيها الرجل ، قد حملت نفسك على أمر عظيم ، وبلغت الغاية في مكروهاها ، وتعرضت لما لا قوام لك به في مخالفة أمير المؤمنين ، وادعيت بما لا يثبت لك به حجة على مخالفتك ، ولا لأحد غيرك ، وليس وراءك بعد الحجة عليك الا السيف ، فانظر لنفسك وبادر أمرك ، قبل أن تقع المناظرة وتظهر عليك الحجة ، فلا تنفك الندامة ولا يقبل منك معذرة ولا تقال لك عثرة ، فقد رحمتك وأشفقت عليك مما هو نازل بك ، وأنا أستقيل لك أمير المؤمنين وأسأله الصفح عن جرمك ، وعظيم ما كان منك اذا أظهرت الرجوع عنه والندم على ما كان ، وأخذ لك الأمان منه والجائزة ، فان كانت لك ظلامة أزلتها عنك وان كانت لك حاجة قضيتها لك ، فانما جلست رحمة لك مما هو نازل بك بعد ساعة ان أقمت على ما أنت عليه ورجوت أن يخلصك الله تعالى على يدي من عظيم ما أوقعت نفسك فيه .

شعره :

نقلنا أمثلة قليلة من نثر عمرو بن مسعدة ، أما شعره فقليل جدا . ذكر المترجمون له أنه كان له فرس أدهم أغر ، لم يكن لأحد مثله فراهة وحسنا . فبلغ المأمون خبره ، وبلغ عمرو بن مسعدة ذلك . فخاف أن يأمر بقوده اليه فلا يكون له فيه محملة ، فوجه به اليه هدية وكتب معه :

يا اماما لا يدا * نيه اذا عد امام
فصل الناس كما يف * فصل نقصانا تمام
قد بعثنا بجواد * مثله ليس يرام
فرس يزهي به لك * تحسن سرج ولجام

دونه الخيل كما مث * لك في الفصل الأنام
وجهه صبح ولكن * سائر الجسم ظلام
والذي يصلح الممو * لي على العبد حرام

وعمر هو القائل :

ومستعذب للهجر والوصل أعذب * أكاته حبي فينأى وأقرب
إذا جدت مني بالرضا جاد بالجفا * ونزعم أني مذنب وهو أذنب
تعلمت ألوان الرضا خوف هجره * وعلمه حبي له كيف يقضب
ولي غير وجهه قد عرفت طريقه * ولكن بلا قلب إلى أين أذهب

ووقع مرة في ظهر رقعة لرجل :

أعزز على بأمر أنت طالبه * لم يمكن النجح فيه وانقضى أمده

ولعمرو بن مسعدة حكايات منها ما حكاه القاضي التنوخي في كتاب الفرج (١)
بعد الشدة : قال عمرو بن مسعدة : كنت مع المأمون عند قدومه من بلاد الروم حتى
إذا نزلت الرقة قال : يا عمرو ، ما ترى الرجحي قد احتوى على الأهواز ، وهي سلة
الخير وجميع المال قبله وطمع فيها ، وكتبه متصلة بحملها ، وهو يتعلل ويتربص بي
الدوائر ؟ فقلت : أنا أكفى أمير المؤمنين هذا ، وأنفذ من يضطره إلى حمل ما عليه ،
فقال : ما يقنعني هذا ، فقلت : فيأمر أمير المؤمنين بأمره ، فقال : فأخرج إليه بنفسك
حتى تصفده بالحديد ، فتحمله إلى بغداد وتقبض على جميع ما في يده من أموالنا ،
وتنظر في أعمالنا وترتب لها عمالا ، فقلت : السمع والطاعة ، فلما كان في غد دخلت
عليه فقال : ما فعلت فيما أمرتك به ؟ قلت : أنا على ذلك ، قال : أتريد أن تجيء في
غد مودعا ؟ قلت : السمع والطاعة ، فلما كان في غد جئته مودعا ، فقال : أريد أن
تحلف لي أنك لا تقيم ببغداد إلا يوما واحدا ، فاضطربت من ذلك إلى أن حضنتي
واستحلفني ألا أقيم فيها أكثر من ثلاثة أيام ، فخرجت حتى قدمت ببغداد ، فلم أقم بها
إلا ثلاثة أيام وانحدرت في زلال أريد البصرة وجعل لي في الزلال خيش واستكثرت من
الثلج لشدة الحر .

(١) راجع (ج ٢ ص ٣٥ طبعة الهلال) . والعقد الفريد لابن عبد ربه (ج ٢ ص ٢١١ طبعة بولاق) .

فلما صرت بين جرجان (١) وجبل سمعت صوتا من الشاطئ يصيح : يا ملاح ، فرفعت سجد الزلاى واذا بشيخ كبير السن جالس حاسر الرأس حافى القدمين خلق القميص ، فقلت للغلام : أجبه فأجابه ، فقال : يا غلام ، أنا شيخ كبير السن على هذه الصورة التى ترى ، وقد أحرقتنى الشمس وكادت تقتلنى ، وأريد جبل ، فأحملونى معكم فان الله يحسن أجر صاحبكم ، قال : فشتمه الملاح وانتهره ، فأدركتنى رقة عليه وقلت : خذوه معنا ، فتقدمنا الشط وصحنا به وحملناه ، فلما صار معنا فى الزلاى وانحدرنا نتقدم فدفعت اليه قميصا ومنديلا وغسل وجهه واستراح وكأنه كان ميتا وعاد الى الدنيا فحضر وقت الغداء وتقدمت وقلت للغلام : هاته يأكل معنا ، فجاء وقعد على الطعام ، فأكل أكل أديب نظيف غير أن الجوع أثر فيه ، فلما رفعت المائدة أردت أن يقوم ويغسل يده ناحية كما تفعل العامة فى مجالس الخاصة فلم يفعل ، فغسلت يدي وتذمت أن أمر بقيامه ، فقلت : قدموا له الطست فغسل يده ، وأردت بعدها أن يقوم لأنام فلم يفعل ، فقلت : يا شيخ ، أى شىء صناعتك ؟ قال : حائك أصلحك الله ، فقلت فى نفسى : هذه الحياكة علمته سوء الأدب ، فتناومت عليه ومددت رجلى فقال : قد سألتنى عن صناعتى وأنت أعزك الله ما صناعتك ؟ فأكبرت ذلك وقلت : أنا جنيت على نفسى هذه الجناية ولا بد من احتمالها ، أترأه الأحق لا يرى زلاى وغلمانى ونعمتى وأن مثلى لا يقال له هذا ! فقلت : كاتب ، فقال : كاتب كامل أم كاتب ناقص فان الكتاب خمسة ، فأيهم أنت ؟ فورد على قول الحائك موردا عظيما وسمعت كلاما أكبرته وكنت متكئا فجلست ، ثم قلت : فصل الخمسة قال :

نعم ، كاتب خراج يحتاج أن يكون عالما بالشروط والطسوت والحساب والمساحة والبتوق والفتوق . وكاتب أحكام يحتاج أن يكون عالما بالحلال والحرام والاحتجاج والاجماع والأصول والفروع . وكاتب معونة يحتاج أن يكون عالما بالقصاص والحدود والجراحات والمواثبات والسياسات . وكاتب جيش يحتاج أن يكون عالما بحلى الرجال وشيات الدواب ومدارة الأولياء وشيئا من العلم بالنسب والحساب . وكاتب رسائل يحتاج أن يكون عالما بالصدر والفصول والاطالة والايجاز وحسن البلاغة والخط ، قال : فقلت : انى كاتب رسائل ، قال : فأسألك عن بعضها ، قلت : قل ، فقال لى :

أصلحك الله ، لو أن رجلا من اخوانك تزوج أمك فأردت أن تكاتبه مهنئا فكيف كنت تكاتبه ؟ ففكرت فى الحال فلم يخطر ببالى شىء ، فقلت : ما أرى للتهنئة وجهها ، قال : فكيف تكتب اليه تعزية ففكرت فلم يخطر ببالى شىء ، فقلت : اعفى ، قال :

(١) فى العقد الفريد : « بين دير هرقل ودير العاقول » .

قد فعلت ، ولكنك لست بكاتب رسائل ، قلت : أنا كاتب خراج ، قال : لا بأس ، لو أن أمير المؤمنين ولاك ناحية وأمرك فيها بالعدل والانصاف وتقضى حاجة السلطان فيتظلم اليك بعضهم من مساحيك وأحضرتهم للنظر بينهم وبين رعييتك ، فحلف المساح بالله انعطيم لقد أنصفوا وما ظلموا ، وحلفت الرعية بالله انهم لقد جاروا وظلموا ، وقالت الرعية : قف معنا على ما مسحوه وانظر من الصادق من الكاذب ، فخرجت لتقف عليه ، فوقفوا على براح شكله قاتل قثا ، كيف كنت تمسحه ؟ قلت : كنت آخذ طوله على انعراجه وعرضه ثم أضربه في مثله ، قال : ان شكل قاتل قثا أن يكون زاويتاه محدودتين وفي تحديده تقويس ، قلت : فأخذ الوسط فأضربه في العرض ، قال : اذا ينثنى عليك العمود ، فأسكتني ، فقلت : ولست كاتب خراج ، قال : فاذا ما أنت ؟ قلت : أنا كاتب قاض ، قال : رأيت لو أن رجلا توفي وخلف امرأتين حاءلتين احدهما حرة والأخرى سرية ، فولدت السرية غلاما والحرة جارية ، فهدت الحرة الى ولد السرية فأخذته ، وتركت بدله الجارية فاختصمتا في ذلك ، فكيف الحكم بينهما ؟ قلت : لا أدري ، قال : فلست بكاتب قاض ، قلت : فأنا كاتب جيش ، فقال : لا بأس ، رأيت لو أن رجلين جاءا اليك لتحليهما وكل واحد منهما اسمه واسم أبيه الآخر الا أن أحدهما مشقوق الشفة العليا ، والآخر مشقوق الشفة السفلى ؟ كيف كنت تحليهما ، قال : قلت : فلان الأفلح وفلان الأعلم ، قال : ان رزقهما مختلفان وكل واحد منهما يجيء في دعوة الآخر ، قلت : لا أدري ، قال : فلست بكاتب جيش ، قلت : أنا كاتب معونة ، قال : لا تبال ، لو أن رجلين رفعوا اليك قد شج أحدهما الآخر شجة موضحة (١) ، وشج الآخر شجة مأمونة ، كيف كنت تفصل بينهما ؟ قلت : لا أدري ، قال : لست اذا كاتب معونة ، اطلب لنفسك أيها الرجل شغلا غير هذا ، قال : فصغرت الى نفسي وغازطني ، فقلت : قد سألت عن هذه الأمور ويجوز ألا يكون عندك جوابها كما لم يكن عندي ، فان كنت عالما بالجواب فقل ، فقال :

نعم ، أما الذي تزوج أمك فتكتب اليه : أما بعد ، فان الأمور تجري من عند الله بغير محبة عباده ولا اختيارهم ، بل هو تعالى يختار لهم ما أحب ، وقد بلغني تزويج الوالدة خاار الله لك في قبضها ، وان القبور أكرم الأزواج وأستر العيوب والسلام .

وأما براح قاتل قثا فتمسح العمود حتي اذا صار عددا في يدك ضربته في مثله ومثل ثلثه فما خرج فهو المساحة .

(١) الموضحة : الشجة التي تبدي وضع العظام .

وأما الجارية والغلام فيوزن لبن الاثنتين ، فأيهما كان أخف فالجارية له .
وأما الجنديان المتفقا الاسمين ، فان كان الشق في الشفة العليا قيل فلان
الأعلم ، وإذا كان في الشفة السفلى قلت فلان الأفلح .

وأما صاحب الشجيتين فلصاحب الموضحة ثلث الدية ، ولصاحب المأمونة نصف
الدية ، فلما أجاب بهذه المسائل تعجبت منه وامتحنته بأشياء كثيرة غيرها فوجدته
ماهرا في جميعها حاذقا بليغا ، فقلت : ألسنت زعمت أنك حائك ، فقال : أنا أصلحك
الله حائك كلام ولست بحائك نساجة ، وأنشأ يقول :

ما مر بؤس ولا نعيم * إلا ولى فيهما نصيب
فذقت حلوا وذقت مرا * وانما يوعظ الأديب
نوائب الدهر أدبتني * كذاك عيش الفتى ضروب

قلت : فما الذي بك من سوء الحال ؟ قال : أنا رجل كاتب دامت عطيتي ، وكثرت
عيلتي ، وتواصلت محنتي ، وقلت حيلتي ، فخرجت أطلب تصرفا فقطع على الطريق
فصرت كما ترى ، فمشيت على وجهي ، فلما لاح لي الزلال استغثت بك ، قلت : فاني
قد خرجت الى متصرف جليل أحتاج فيه الى جماعة مثلك ، وقد أمرت لك بخلعة حسنة
تصلح لمثلك وخمسة آلاف درهم تصلح بها أمرك ، وتنفذ منها الى عيالك ، وتقوى
نفسك بباقيها ، وتصير معي الى عملي فأوليك أجله ، فقال : أحسن الله جزاك اذا
تجدنى بحيث أسرك ، ولا أقوم مقام معذر اليك ان شاء الله ، وأمرت بتقبيضه ما رسمت
له قبضه ، وانحدر الى الأهواز معي ، فجعلته المناظر للرجحى والمحاسب له بحضرتي ،
والمستخرج لما عليه فقام بذلك أحسن قيام وعظمت حاله معي ، وعادت نعمته الى أحسن
ما كانت عليه .

وفى عمرو بن مسعدة يقول أبو محمد عبد الله بن أيوب التيمي :

اعنى على بارق ناضب * خفى كوحيك بالحاجب
كان تآلقه في السماء * يدا كاتب أو يدا حاسب
فروى منازل تذاكرها * يهيج من شوقك الغالب
غريب يحسن لأوطانه * ويبكى على عصره الزاهب
كفاك أبو الفضل عمرو الندى * مطالعة الأمل الكاذب
وصلق الرجاء وحسن الوفاء * لعمرو بن مسعدة الكاتب
عريض الفناء طويل البناء * في العز والشرف الثاقب

بنى الملك طود له بيته	✽	وأهل الخلافة من غالب
هو المرتجى لصروف الزمان	✽	ومعتصم الراغب الراهب
جسود بما ملكت كفه	✽	على الضيف والجار والصاحب
بأدم الركاب ووشى الثيا	✽	ب والطرف والطفلة الكاعب
نؤمله لجسام الأمور	✽	ونرجوه للجلل الكارب
خصيب الجناب مطير السحاب	✽	بشيمته لين الجناب
يروى القنا من تحور العدا	✽	ويغرق فى الجود كاللاعب
إليك تبدت باكوارها	✽	حراجيج فى مهمه لاحب
كان نعاما تبارى بنا	✽	بوابل من برد عاصب
يردن ندى كفك المرتجى	✽	ويقضين من حقك الواجب
ولله ما أنت من خاير	✽	بسجل لقوم ومن خارب
فتسقى العدا بكؤوس الردى	✽	وتسبق مسئلة الطالب
وكم راغب نلته بالعطا	✽	وكم نلت بالعطف من هارب
وتلك الخلائق أعطيتها	✽	وفضل من المانع الواجب
كسبت الثناء وكسب الثنا	✽	أفضل مكسبة الكاسب
يقينك يجلو ستور الدجى	✽	وظنك يخبر بالقائب

رسائل الجاحظ

رسالته في بني أمية

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (١) : أطال الله بقاءك ، وأتم نعمته عليك ، وكرامته لك . أعلم أرشد الله أمرك ، أن هذه الأمة قد صارت بعد اسلامها ، والخروج من جاهليتها ، الى طبقات متفاوتة ، ومنازل مختلفة : فالطبقة الأولى عصر النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبى بكر وعمر . رضى الله عنهما ، وست سنين من خلافة عثمان رضى الله عنه ، كانوا على التوحيد الصحيح ، والاخلاص المحض (٢) ، مع الألفة واجتماع الكلمة على الكتاب والسنة ، وليس هناك عمل قبيح ، ولا بدعة فاحشة ، ولا نزع يد من طاعة ، ولا حسد ولا غل ولا تأول ، حتى كان الذي كان : من قتل عثمان ، رضى الله عنه ، وما انتهك منه ، ومن خبطهم اياه بالسلاح ، وبيع بطنه بالحرا ، وفرى أوداجه بالمشاقص ، وشدخ هامته بالعمد ، مع كفه عن البسط ، ونهيه عن الامتناع ، مع تعريفه لهم قبل ذلك : من كم وجه يجوز قتل من شهد الشهاداة ، وصلى القبلة ، وأكل الذبيحة ، ومع ضرب نسائه بحضرته ، واقحام الرجال على حرمة ،

(١) هو امام الأدب أبو عثمان عمرو الجاحظ بن بحر بن محبوب الكنانى البصرى صاحب التصانيف المتعة والرسائل المبدعة . وقد تقدم الكلام عليه فى المجلد الاول من هذا الكتاب (ص ٤٢١) . ولد حوالى سنة ١٦٠ هـ بمدينة البصرة ونشأ بها فتناول كل فن ومارس كل علم عرف فى زمانه مما وضع فى الاسلام أو نقل عن الأئمة الأوائل فأصبع له مشاركة فى علم كل ما يقع عليه الحس أو يخطر بالبال فهو راوية . منكلم . فيلسوف . كاتب . مصنف . مترسل . شاعر . مؤرخ . عالم بالحيوان والنبات والموات . وصاف لأحوال الناس ووجوه معاشهم واضطرابهم وأخلاقهم وحيلهم الا أنه غلب عليه أمران : الكلام على طريقة المعتزلة فهو بذلك امام الطائفة الجاحظية من المعتزلة والأدب المزوج بالفلسفة والفكاهة فهو أول من ألف الكتب الجامعة لغتونه ككتاب البيان والتبيين وكتاب الحيوان وغيرهما .

وكان غاية فى الذكاء ودقة الحس وحسن الفراسة الى دعاية فاشية ، وقلة اعتداد بما يأخذ به الناس أنفسهم ويشتغلونه من الرسوم والعادات وأنواع العصبية المذهبية وعدم مبالاة بوقوع المتورعين فيه . وكان سمحا جوادا كثير المواساة لآخوانه وكان على سماعة خلقه وتناقض خلقه خفيف الروح ، فكه المجلس ، غاية فى الظرف وطيب الفكاهة وحلاوة الكلام وهو على الجملة أحد أفذاذ العالم وأحد نجج اللسان العربى . توفى سنة ٢٥٥ هـ ببغداد بمقبرة الخيزران . وتجد ترجمته فى معجم الأدياء لياقوت (ج ٦ ص ٥٦ - ٨٠) وابن خلكان (ج ١ ص ٥٥٣) .

(٢) فى الأصل : « المخلص » .

مع اتقاء نائلة بنت الفرافصة (١) عنه ييدها ، حتى أطنوا (٢) اصبعين من أصابعها ، وقد كشفت عن قناعها ، ورفعت عن ذيلها ليكون ذلك رادعا لهم ، وكاسرا من غريبتهم ، مع وطئهم في أضلاعه بعد موته ، والقائهم على المزيلة جسده مجردا بعد سحبه ، وهي الجزيرة التي جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم كفتا لبناته وأياماه وعقائله ، بعد السب والتعطيش والحصص الشديد ، والمنع من القوت ، مع احتجاجه عليهم وافحامه لهم : ومع اجتماعهم على أن دم الفاسق حرام ، كدم المؤمن ، إلا من ارتد بعد اسلام ، أو زنى بعد احصان ، أو قتل مؤمنا على عمد ، أو رجل عدا على الناس بسيفه فكان في استناعهم منه عطبه ، ومع اجتماعهم على ألا يقتل من هذه الأمة ، ولا يجهز منها على جريح ، ثم مع ذلك كله ذمروا (٣) عليه وعلى أزواجه وحرمة وهو جالس في محرابه ومسحفه يلوح في حجره ، لن يرى أن موحدا يقدم على قتل من كان في مثل صفته وحاله .

لا جرم لقد احتلبوا به دما لا تطير رغوته ، ولا تسكن فورته ، ولا يموت نائره ، ولا يكل طالبه ، وكيف يضيع الله دم وليه ، والمنتقم له ، وما سمعنا بدم بعده دم يحيى ابن زكريا عليهما السلام ، غلا غليانه ، وقتل سافحه ، وأدرك بطائلته ، وبلغ كل محبته ، كدمه رحمة الله عليه .

ولقد كان لهم في أخذه ، وفي اقامته للناس ، والاقتصاص منه ، وفي بيع ما ظهر من رباعه ، وحدائقه ، وسائر أمواله ، وفي حبسه بما بقي عليه ، وفي طمره حتى لا يحس ، بذكره ، ما يغنيهم عن قتله ان كان قد ركب كل ما قذفوه به ، وادعوه عليه ، وهذا كله بحضرة جلة المهاجرين والسلف المقدمين ، والأنصار والتابعين .

ولكن الناس كانوا على طبقات مختلفة ، ومراتب متباينة : من قاتل ومن شاد على عضده ، ومن خاذل عن نصرته ، والعاجز ناصر بارادته ، ومطيع بحسن نيته ، وأما الشك منا فيه ، وفي خاذله ، ومن أراد عزله والاستبدال به ، فأما قاتله ، والمعين على دمه ، والمريد لذلك منه ، فضلال لا شك فيهم ، ومراق لا امتراء في حكمهم ، على أن هذا لم يعد منهم الفجور : أما على سوء تأويل ، وأما على تعمد للشقاء ، ثم مازالت الفتن متصلة ، والحروب مترادفة ، كحرب الجمل ، وكوقائع صفين ، وكيوم

(١) قال في شرح القاموس : كل ما في العرب من هذا الاسم « فرافصة » فهو بضم الفاء إلا فرافصة أبا نائلة فهو بالفتح لا غير .

(٢) أطنوا : قطعوا .

(٣) حض بعضهم بعضا عليه مهددين .

النهر ران ، وقبل ذلك يوم الزابوقة (١) ، وفيه أسر ابن حنيف ، وقتل حكيم بن جبلة ، الى أن قتل أشقاها على بن أبي طالب رضوان الله عليه ، فأسعده الله بالشهادة ، وأوجب لقاتله النار واللعنة ، الى أن كان من اعتزال الحسن عليه السلام الحروب وتخليته الأمور ، عند انتشار أصحابه ، وما رأى من الخلل في عسكره ، وما عرف من اختلافهم على أبيه ، وكثرة تلونهم عليه ، فعندها استوى معاوية على الملك ، واستبد على بقية الشورى ، وعلى جماعة المسلمين ، من الأنصار والمهاجرين ، في العام الذي سموه عام الجماعة ، وما كان عام جماعة ، بل كان عام فرقة وقهر وجبرية وغلبة ، والعام الذي تحولت فيه الإمامة ملكا كسرويا ، والخلافة غصبًا قيصريًا ، ولم يعد ذلك أجمع الضلال والفسق . ثم مازالت معاصيه من جنس ما حكينا ، وعلى منازل ما رتبنا ، حتى رد قضية رسول الله صلى الله عليه وسلم ردا مكشوفًا ، وجحد حكمه جحدًا ظاهرًا ، في ولد الفراش وما يجب للعاهر . مع اجتماع الأمة ان سمية لم تكن لأبي سفيان فراشا ، وأنه إنما كان بها عاهرا . فخرج بذلك من حكم الفجار الى حكم الكفار ، وليس قتل حجر بن عدي ، واطعام عمرو بن العاص خراج مصر ، وبيعة يزيد الخليع ، والاستئثار بالفى ، واختيار الولاة على الهوى ، وتعطيل الحدود بالشفاعة والقراءة ، من جنس جحد الأحكام المنصوصة ، والشرائع المشهورة ، والسنن المنصوبة ، وسواء في باب ما يستحق من الكفار جحد الكتاب ، ورد السنة اذا كانت السنة في شهرة الكتاب وظهوره ، الا أن أحدهما أعظم ، وعقاب الآخرة عليه أشد ، فبئذ أول كفره ، كانت من الأمة ، ثم لم تكن الا فيمن يدعى امامتها ، والخلافة عليها ، على أن كثيرا من أهل ذلك العصر قد كفروا بترك اكفاره ، وقد أربت عليهم نابتة عصرنا ، ومبتدعة دهرنا ، فقالت : لا تسبوه ، فان له صجبة ، وسب معاوية بدعة ، ومن يبغضه فقد خالف السنة ، فزعمت أن من السنة ترك البراءة ، ممن جحد السنة ، ثم الذي كان من يزيد ابنه ، ومن عماله ، وأهل نصرته ، ثم غزو مكة ، ورمى الكعبة ، واستباحة المدينة ، وقتل الحسين عليه السلام ، في أكثر أهل بيته ، مصابيح الظلام ، وأوتاد الاسلام ، بعد الذي أعطى من نفسه ، من تفريق أتباعه ، والرجوع الى داره وحرمة ، أو الذهاب في الأرض ، حتى لا يحس به أو المقام حيث أمر به ، فأبوا الا قتله ، والنزول على حكمهم ، وسواء قتل نفسه بيده ، أو أسلمها الى عدوه ، وخير فيها من لا يبرد غليله الا بشرب دمه ، فاحسبوا قتله ليس بكفر ، وإباحة المدينة ، وهتك الحرمه ، ليس بحجة ، كيف تقولون في رمي الكعبة ، وهدم البيت الحرام ، وقبله المسلمين ؟ فان قلت ليس ذلك أرادوا بل إنما أرادوا التحرز به ، والمتحصن بحيطانه ، أفما كان في حق البيت وحريمه أن يحصروه فيه ، الى أن يعطى بيده ! وأى شيء بقى من رجل ، قد أخذت عليه الأرض الا موضع قدمه ! واحسبوا ما رووا عليه من الأشعار ، التي قولها شرك ، والتمثل بها كفر ، شيئا مصنوعا ،

(١) انزابوقة : موضع قريب من البصرة كانت فيه وقعة الجمل أول النهار .

كيف تصنع بنقر القضيب بين ثنيتي الحسين عليه السلام ، وحمل بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم حواسر على الأقتاب العارية ، والابل الصعاب ، والكشف عن عورة علي بن الحسين عند الشك في بلوغه ! على أنهم إن وجدوه ، وقد أنبت قتلوه وإن لم يكن أنبت حملوه ، كما يصنع أمير جيش المسلمين ، بذراري المشركين ، وكيف تقول في قول عبيد الله بن زياد لاختوته وخاصته ، دعوني أقتله ، فانه بقية هذا النسل ، فأحسم به هذا القرن ، وأميت به هذا الداء ، وأقطع به هذه المادة !

خبرونا علام تدل هذه القسوة ، وهذه الغلظة ! بعد أن شفوا أنفسهم بقتلهم ، ونالوا ما أحبوا فيهم ، أتدل على نصب ، وسوء رأى وحقد ، وبغضاء ونفاق ، وعلى يتين مدخول وإيمان مخروج ! أم تدل على الاخلاص ، وعلى حب النبي صلى الله عليه وسلم ، والحفظ له ، وعلى براءة الساحة وصحة السريرة ! فان كان على ما وصفنا لا يعدو الفسق والضلال ، وذلك أدنى منازل ، فالفاسق ملعون ، ومن نهى عن نهى الملعون فملعون .

وزعمت نابئة عصرنا ، ومبتدعة دهرنا ، أن سب ولاية السوء فتنة ، ولعن الجورة بدعة ، وإن كانوا يأخذون السمي بالسمي ، والولي بالولي ، والقريب بالقريب ، وأخافوا الأولياء ، وأمنوا الأعداء ، وحكموا بالشفاعة والهوى ، وأظهروا الغدرة والتهاون بالأمة ، والقمع للرعية ، وأنهم في غير مداراة ولا تقية ، وإن عدا ذلك إلى الكفر ، وجاوز الضلال إلى الجحد ، فذاك أضل ممن كف عن شتمهم ، والبراءة منهم ، على أنه ليس من استحق اسم الكفر بالقتل كمن استحقه برد السنة وهدم الكعبة ، وليس من استحق اسم الكفر بذلك كمن شبه الله بخلقه ، وليس من استحق الكفر بالتشبيه كمن استحقه بالتجوير (١) ، والنابئة في هذا الوجه أكفر من يزيد وأبيه ، وابن زياد وأبيه ، ولو ثبت أيضا على يزيد أنه تمثل بقول ابن الزبير :

ليت أشياخي بيدر شهدوا * جزع الخزرج من وقع الأسل
لاستطاروا واستهلوا فرحا * ثم قالوا يا يزيد لا تسل
قد قتلنا الغر من ساداتهم * وعدلناه بيدر فاعتدل

كان تجوير النابتى لربه ، وتشبيهه بخلقه ، أعظم من ذلك وأقطع ، على أنهم مجمعون على أنه ملعون من قتل مؤمنا ، متعمدا أو متأولا ، فاذا كان القاتل سلطانا جائرا ، أو أميرا عاصيا ، لم يستحلوا سبه ، ولا خلعه ، ولا نفيه ، ولا عيبه ، وإن

(١) نسبه الله إلى الجور .

أخاف الصلحاء ، وقتل الفقهاء ، وأجاع الفقير ، وظلم الضعيف ، وعطل الحدود والثغور ، وشرب الخمور ، وأظهر الفجور ، ثم مازال الناس يتسكعون مرة ، ويداهنونهم مرة ، ويقاربونهم مرة ، ويشاركونهم مرة إلا بقية ممن عصمه الله تعالى ذكره ، حتى قام عبد الملك بن مروان ، وابنه الوليد ، وعاملهما الحجاج بن يوسف ، ومولاه يزيد بن أبي مسلم ، فأعادوا على البيت بالهدم ، وعلى حرم المدينة بالغزو ، فهدموا الكعبة ، واستباحوا الحرم ، وحولوا قبلة واسط ، وأخروا صلاة الجمعة ، إلى مغربان الشمس ، فان قال رجل لأحدهم : اتق الله فقد أخرت الصلاة عن وقتها ، قتله على هذا القول جهارا غير ختل ، وعلانية غير سر ، ولا يعلم القتل على ذلك إلا أقبح من انكاره ، فكيف يكفر العبد بشيء ولا يكفر بأعظم منه !

وقد كان بعض الصالحين ربما وعظ الجبابرة ، وخوفهم العواقب ، وأراهم أن في الناس بقية ينهون عن الفساد في الأرض ، حتى قام عبد الملك بن مروان ، والحجاج ابن يوسف ، فزجرا عن ذلك ، وعاقبا عليه ، وقتلا فيه ، فصاروا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، فاحسب تحويل القبلة كان غلطا ، وهدم البيت كان تأويلا ، واحسب ما روي من كل وجه ، أنهم كانوا يزعمون أن خليفة المرء في أهله (١) أرفع عنده من رسوله اليهم ، باطلا ومسموعا مولدا ، واحسب وسم أيدي المسلمين ونقش أيدي المسلمين ، وردهم بعد الهجرة إلى قراهم ، وقتل الفقهاء ، وسب أئمة الهدى ، والنصب لعثرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يكون كفرا ، كيف تقول في جمع ثلاث صلوات فيهن الجمعة ، ولا يصلون أولاهن ، حتى تصير الشمس على أعالي الجدران ، كالملاء المعصفر ، فان نطق مسلم ، خبط بالسيف ، وأخذته العمد ، وشك بالرماح ، وان قال قائل : اتق الله أخذته العزة بالاثم ، ثم لم يرض إلا بنثر دماغه على صدره ، وبصلبه حيث تراه عياله ، ومما يدل على أن القوم لم يكونوا إلا في طريق التمرد على الله عز وجل ، والاستخفاف بالدين ، والتهاون بالمسلمين ، والابتذال لأهل الحق ، أكل أمرائهم الطعام ، وشربهم الشراب على منابرهم أيام جمعهم وجموعهم ، فعلم ذلك حبيش (٢) بن دلجة ، وطارق مولى عثمان ، والحجاج بن يوسف ، وغيرهم ، وذلك ان كان كفرا كله فلم يبلغ كفر نابذة عصرنا ، وروافض دهرنا ، لأن جنس كفر هؤلاء غير كفر أولئك . كان اختلاف الناس في القدر على أن طائفة تقول كل شيء بقضاء وقدر ، وتقول طائفة أخرى كل شيء بقضاء وقدر إلا المعاصي ، ولم يكن أحد

(١) يشير بذلك إلى ما ورد عن الحجاج أنه قال في كلام له : ويحكم خليفة أحدكم في أهله أكرم عليه أم رسول الله اليهم ، يريد بذلك تفضيل مقام الخلافة على مقام الرسالة وبمثل هذا رمى الحجاج بالكفر وقد عقد ابن عبد ربه في العقد الفريد فصلا فيمن زعم أن الحجاج كان كافرا . راجع العقد الفريد ج ٣ ص ٢٣ .

(٢) في الأصل : « حسن » وهو خطأ والنسواب ما أثبتناه كما في شرح القاموس والطبري .

يقول ان الله يعذب الأبناء ليغيظ الآباء ، وان الكفر والايمان مخلوقان في الانسان ، مثل العمى والبصر ، وكانت طائفة منهم تقول ان الله يرى ، لا تزيد على ذلك ، فان خافت أن يظن بها التشبيه قالت يرى بلا كيف تقززا من التجسيم والتصوير ، حتى نبتت هذه النابتة ، وتكلمت هذه الرافضة ، فقالت جسيما ، وجعلت له صورة وحدا ، وأكفرت من قال بالرؤية على غير التجسيم والتصوير ، ثم زعم أكثرهم أن كلام الله حسن وبين وحجة وبرهان ، وأن التوراة غير الزبور ، غير الانجيل ، والانجيل غير القرآن ، والبقرة غير آل عمران ، وأن الله تولى تأليفه ، وجعله برهانه على صدق رسوله ، وأنه لو شاء أن يزيد فيه زاد ، ولو شاء أن ينقص منه نقص ، ولو شاء أن يبدله بدله ، ولو شاء أن ينسخه كله بغيره نسخا ، وأنه أنزله تنزيلا ، وأنه فصله تفصيلا ، وأنه بالله كان دون غيره ، ولا يقدر عليه الا هو ، غير أن الله مع ذلك كله لم يخلقه ، فأعطوا جميع صفات الخلق ، ومنعوا اسم الخلق .

والعجب أن الخلق عند العرب انما هو التقدير نفسه ، فلذا قالوا : خلق كذا وكذا ، ولذلك قال : (أحسن الخالقين) . وقال : (وتخلقون افكا) وقال : (واذا تخلق من الطين كهيئة الطير) فقالوا : صنعه وجعله وقدره ، وأنزله وفصله وأحدثه ، ومنعوا خلقه ، وليس تأويل خلقه أكثر من قدره ، ولو قالوا بدل قولهم : قدره ولم يخلقه خلقه ولم يقدره ما كانت المسألة عليهم الا من وجه واحد ، والعجب أن الذي منعه بزعمه أن يزعم أنه مخلوق ، أنه لم يسمع ذلك من سلفه ، وهو يعلم أنه لم يسمع أيضا من سلفه أنه ليس بمخلوق ، وليس ذلك يهيم ، ولكن لما كان الكلام من الله تعالى عندهم على مثل خروج الصوت من الجوف ، وعلى جهة تقطيع الحروف ، وأعمال اللسان والشفقتين ، وما كان على غير هذه الصورة والصفة فليس بكلام ، ولما كنا عندهم على غير هذه الصفة ، وكنا لكلامنا غير خالقين ، وجب أن الله عز وجل لكلامه غير خالق ، اذ كنا غير خالقين لكلامنا ، فانما قالوا ذلك ، لأنهم لم يجدوا بين كلامنا وكلامه فرقا ، وان لم يقرؤا بذلك بالسنتهم فذلك معناهم وقصدهم .

وقد كانت هذه الأمة لا تجاوز معاصيها الاثم والضلال ، الا ما حكيت لك عن بنى أمية ، وبنى مروان ، وعمالهم ، ومن لم يدن باكفارهم حتى نجمت النوايت ، وتابعتيا هذه العوام ، فصار الغالب على هذا القرن الكفر ، وهو التشبيه والجبر ، فصار كفرهم أعظم من كفر من مضى في الأعمال التي هي الفسق ، وشركاء (١) من كفر عنهم بتوليهم ، وترك اكفارهم ، قال الله عز وجل من قاتل : (ومن يتولهم منهم فإنه منهم) .

وأرجو أن يكون الله قد أغاث المحقين ، ورحمهم وقوى ضعفهم ، وكثر قلتهم ، حتى صار ولادة أمرنا في هذا الدهر والزمن الفاسد أشد استبصارا في التشبيه من

(١) كذا في الأصل . ولعله : وصاروا شركاء الخ .

عائيتنا ، وأعلم بما يلزم فيه منا ، واكشف للقناع من رؤسائنا ، وصارفوا الناس وقد انظروا معان (١) الفساد أجمع ، وبلغوا غايات البدع ، ثم قرنوا بذلك العصبية التي هلك بها عالم بعد عالم ، والحمية التي لا تبقى دينا الا أفسدته ، ولا دنيا الا أهلكتها ، وهو ما صارت اليه العجم من مذهب الشعوبية . وما قد صار اليه الموالي من الفخر على العجم والعرب ، وقد نجمت من الموالي ناجمة ، ونبتت منهم نابذة ، تزعم أن المولى بولائه قد صار عربيا ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « مولى القوم منهم » ولقوله : « الولاء لحمه كلحمه النسب لا يباع ولا يوهب » .

قال : فقد علمنا أن العجم حين كان فيهم الملك والنبوة كانوا أشرف من العرب ، ولما حول ذلك الى العرب صارت العرب أشرف منهم ، قالوا : فنحن معاشر الموالي بقديمتنا في العجم أشرف من العرب ، وبالحديث الذي صار لنا في العرب أشرف من التجم . وللعرب القديم دون الحديث ، ولنا خصلتان جميعا وافرتان فينا ، وصاحب الخصلتين أفضل من صاحب الخصلة ، وقد جعل الله المولى بعد أن كان أعجميا عربيا بولائه ، كما جعل حليف قريش من العرب قرشيا بحلفه ، وجعل اسماعيل بعد أن كان أعجميا عربيا ولولا قول النبي صلى الله عليه وسلم : « أن اسماعيل كان عربيا » ما كان عندنا الا أعجميا لأن الأعجمي لا يصير عربيا ، كما أن العربي لا يصير أعجميا ، فانما علمنا أن اسماعيل صيره الله عربيا بعد أن كان أعجميا ، بقول النبي صلى الله عليه وسلم : « فذلك حكم قوله : « مولى القوم منهم » وقوله : « والولاء لحمه » . قالوا : وقد جعل الله ابراهيم عليه السلام أبانا لمن لم يلد ، كما جعله أبانا لمن ولد ، وجعل أزواج النسي أمهات المؤمنين ، ولم يلدن منهم أحدا ، وجعل الجار والد من لم يلد في قول غير هذا كثير قد أتينا عليه في موضعه ، وليس أدعى الى الفساد ، ولا أجلب للشر من المفاخرة ، وليس على ظهرها الا فخور (الا قليل) وأى شيء أغيظ من أن يكون عبدك يزعم أنه أشرف منك ، وهو مقر أنه صار شريفا بعثتك اياه .

وقد كتبت - مد الله في عمرك - كتبا في مفاخرة قحطان ، وفي تفضيل عدنان ، وفي رد الموالي الى مكانهم من الفضل والنقص ، والى قدر ما جعل الله تعالى لهم بالعرب من الشرف ، وأرجو أن يكون عدلا بينهم ، وداعية الى صلاحهم ، ومنبهة عليهم ولهم ، وقد أردت أن أرسـل بالجزء الأول اليك ثم رأيت ألا يكون الا بعد استئذانك ، واستئمارك ، والانتهاء في ذلك الى رغبتك ، فأريك فيه موفق ان شاء الله عز وجل وبه الثقة .

(١) معان بفتح الميم والعين : المباشرة والمنزل .

وكتب الى بعض اخوانه في ذم الزمان

بسم الله الرحمن الرحيم

حفظك الله حفظ من وفقه للقناعة ، واستعمله بالطاعة ، كتبت اليك وحالي حال من كثفت غمومه ، وأشكلت عليه أموره ، واشتبه عليه حال دهره ، ومخرج أمره ، وقل عنده من يثق بوفائه ، أو يحمد مغبة اخائه ، لاستحالة زماننا ، وفساد أيامنا ، ودولة أئدالنا ، وقدا كان من قدم الحياء على نفسه ، وحكم الصدق في قوله ، وأثر الحق في أموره ، ونبد المشتبهات عليه من شؤونه ، تمت له السلامة وفاز بوفور حظ العافية ، وحمد مغبة مكروه العاقبة ، فنظرنا اذ حال عندنا حكمه ، وتحولت دولته ، فوجدنا الحياء متصلا بالحرمان والصدق آفة على المال ، والقصد في الطلب بترك استعمال القحة ، واخلاق العرض من طريق التوكل دليلا على سخافة الرأي ، اذ صارت الحظوة البالغة ، والنعمة السابغة ، في لؤم المشيئة ، وسناء الرزق من جهة محاشاة الرخاء ، وملابسة معرة العار ، ثم نظرنا في تعقب المتعقب لقولنا والكاشر لحجتنا ، فأقمنا له علما واضحا ، وشاهدا قائما ، ومنارا بينا ، اذ وجدنا من فيه السفواية الواضحة ، والمثالب الفاضحة ، والكذب المبرح ، والخلف المصرح ، والجهالة المفرطة ، والركاكة المستخفة ، وضعف اليقين والاستثبات ، وسرعة الغضب والجراة ، قد استكمل سروره ، واعتدلت أموره ، وفاز بالسهم الأغلب ، والحظ الأوفر ، والقدر الرفيع ، والجواز الطائع ، والأمر النافذ ، ان زل قيل حكم ، وان أخطأ قيل أصاب ، وان هذى في كلامه وهو يقظان قيل رؤيا صادقة من نسمة مباركة ، فهذه حجتنا والله على من زعم أن الجهل يخفى ، وأن النوك يردى ، وأن الكذب يضر ، وأن الخلف يزرى ، ثم نظرنا في الوفاء والأمانة والنبيل والبلاغة وحسن المذهب وكمال المروءة وسعة الصدر وقلة الغضب وكرم الطبيعة ، والفائق في سعة علمه ، والحاكم على نفسه ، والغالب لهواه ، فوجدنا فلان بن فلان ، ثم وجدنا الزمان لم ينصفه من حقه ، ولا قام له بوظائف فرضه ، ووجدنا فضائله القائمة له قاعدة به ، فهذا دليل أن الطلاح أجدى من الصلاح ، وأن الفضل قد مضى زمانه ، وعفت آثاره ، وصارت الدائرة عليه كما كانت الدائرة على ضده ، ووجدنا العقل يشقى به قرينه ، كما أن الجهل والحمق يحظى به خدينه ، ووجدنا الشعر ناطقا على الزمان ، ومعربا عن الأيام حيث يقول :

تحاتق مع الحمقى اذا ما لقيتهم * ولاقهم بالجهل فعل اخى الجهل
وخلط اذا لاقيت يوما مغلطا * يغلط في قول صحيح وفي هزل

فانى رايت المرء يشقى بعقله * كما كان قبل اليوم يسعد بالعقل

فبقيت - أبقاك الله - مثل من أصبح على أوفاز (١) ، ومن النقلة على جهاز ، لا يسوغ له نعمة ، ولا تطعم عينه غمضة ، فى أهاويل يباكره مكروها ، ويراوحه عقائبها ، فلو أن الدعاء أجيب ، والتضرع سمع ، لكانت العدة العظمى ، والرجفة الكبرى ، فليت أى أخى ما أستبطئه من النفخة ، ومن فجأة الصيحة ، قضى فحان ، وأذن به فكان ، فوالله ما عذبت أمة برجفة ، ولا ريح ولا سخطه ، عذاب عيني برؤية المغايظة المدمنة ، والأخبار المهلكة ، كأن الزمان يوكل بعذابي ، أو ينصب بأيامى ، فما عيش من لا يسر بأخ شفيق ، ولا يصطبغ فى أول نهاره ، الا برؤية من يكرهه ، ويغمه بطلعته ، فقد طالت الغمة ، وواظبت الكربة ، وادلهمت الظلمة ، وخمد السراج ، وتباطأ الانفراج .

وصف الجاحظ لقريش وبني هاشم

قد علم الناس كيف كرم قريش وسخاؤها ، وكيف عقولها ودهاؤها ، وكيف رأيها وذكاؤها ، وكيف سياستها وتدبيرها ، وكيف ايجازها وتحسيرا ، وكيف رجاحة أحلامها اذا خف الحليم ، وحدة أذهانها اذا كل الحديد ، وكيف صبرها عند اللقاء ، وثباتها فى اللأواء ، وكيف وفاؤها اذا استحسن الغدر ، وكيف جودها اذا حب المال ، وكيف ذكرها لأحاديث غد ، وقلة صدودها عن جهة القصد ، وكيف اقرارها بالحق وصبرها عليه ، وكيف وصفها له ودعاؤها اليه ، وكيف سماحة أخلاقها ، وصونها لأعراقها ، وكيف وصلوا قديمهم بحديثهم ، وطريفهم بتليدهم ، وكيف أشبهه علانيتهم سرهم ، وقولهم فعلهم ، وهل سلامة صدر أحدهم الا على قدر بعد غديره ، وهل غفلته الا فى وزن صدق ظنه ، وهل ظنه الا كيقين غيره .

وكتب فى الاعتذار :

أما بعد فنعم البديل من الزلة الاعتذار ، وبشس العوض من التوبة الاصرار ، وان أحق من عطفك عليه بحلمك من لم يستشفع اليك بغيرك ، واننى بمعرفتى بمبلغ حلمك وغاية عفوك ، ضمننت لنفسى العفو من زلتها عندك ، وقد مسنى من الألم ما لم يشفه غير مواصلتك .

وله فى الاستعطاف :

ليس عندى أعزك الله سبب ولا أقدر على شفيح الا ما طبعك الله عليه من الكرم

(١) أى على مدار .

والرحمة والتأميل الذى لا يكون الا من نتاج حسن الظن واثبات الفضل بحال :المؤمن وأرجو أن تكون من الشاكرين فتكون خير معتب ، وأكون أفضل شاكر ، ولعل الله يجعل هذا الأمر سببا لهذا الانعام ، وهذا الانعام سببا للاتقطاع اليكم والكون تحت أجنحتكم ، فيكون لا أعظم بركة ، ولا أنمى بقية من ذنب أصبحت فيه ، وبمثلك - جعلت فداك - عاد الذنب وسيلة ، والسيئة حسنة ، ومثلك من انقلب به الشر خيرا والغرم غنما .

من عاقب فقد أخذ حظه ، وانما الأجر فى الآخرة ، وطيب الذكر فى الدنيا ، على قدر الاحتمال وتجرع المرائر وأرجو ، ألا أضيع وأهلك فيما بين كرمك وعقلك ، وما أكثر من يعفو عمن صغر ذنبه وعظم حقه ، وانما الفضل والثناء العفو عن عظيم الجرم ضعيف الحرمة ، وان كان العفو عظيما مستطرفا من غيركم فهو تلاد فيكم ، حتى ربما دعا ذلك كثيرا من الناس الى مخالفة أمركم ، فلا أنتم عن ذلك تنكلون ، ولا على سالف احسانكم تندمون ، وما مثلكم الا كمثله عيسى بن مريم عليه السلام حين كان لا يمر بملا من بنى اسرائيل الا أسمعوه شرا وأسمعهم خيرا ، فقال له شمعون الصفا : ما رأيت كاليوم كلما أسمعوك شرا أسمعتهم خيرا فقال : كل امرئ يتفق مما عنده وليس عندكم الا الخير ولا فى أوعيتكم الا الرحمة « وكل انا بالذى فيه ينضح » .

وله فى ذم الحسد :

الحسد - أبغاك الله - داء ينهك الجسد ، علاجه عسير وصاحبه ضجر وهو باب غامض ، وما ظهر منه فلا يداوى وما بطن منه فمداويه فى عناء ، ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم : « دب اليكم داء الأمم من قبلكم : الحسد والبغضاء » . الحسد عقيد الكفر ، وحليف الباطل ، وضد الحق منه تتولد العداوة وهو سبب كل قطيعة ومفرق كل جماعة ، وقاطع كل رحم من الأقرباء ومحدث التفرق بين القرناء ، وملقح الشر بين الحلفاء .

دفاع الجاحظ عن مؤلفاته :

وقد ذكر الجاحظ جل مؤلفاته فى كتاب « الحيوان » ودافع عنها بعد أن وصفها فقال (١) : جنبك الله الشبهة ، وعصمك من الحيرة وجعل بينك وبين المعرفة نسبا ،

(١) اعتمدنا فى تصحيح هذه الفصول على الأصل الفوتوغرافى المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٢٨٥ آداب ، لأن النسخة المطبوعة من كتاب الحيوان بمطبعة السعادة بمصر فى غاية التحريف وملأ بالأخطاء .

وبين الصدق سببا ، وحبب اليك التثبت ، وزين فى عينك الانصاف ، وأذاقك حلاوة التقوى ، وأشعر قلبك عز الحق ، وأودع صدرك برد اليقين ، وطرده عنك ذل الطمع ، وعرفك ما فى الباطل من الذلة ، وما فى الجهل من القلة ، ولعمري لقد كان غير هذا الدعاء أصوب فى أمرك ، وأدل على مقدار وزنك ، وعلى الحال التى وضعت نفسك فيها ، ووسمت عرضك بها ، ورضيتها لدينك حظا ولمروءتك شكلا ، فقد انتهى الى ميلك على أبى اسحاق ، وحملك على ، وطعنك على معبد ، وتنقصك له فى الذى كان جرى بينهما فى مساوى الديك ومحاسنه ، وفى ذكر منافع الكلب ومضاره ، والذى خرجا اليه من استقصاء ذلك وجمعه ، ومن تتبعه ونظمه ، ومن الموازنة بينهما ، والحكم فيهما .

ثم عبتنى بكتاب حيل اللصوص ، وكتاب غش الصناعات ، وعبتنى بكتاب الملح والطرف ، وما حر من النوادر وبرد ، وعاد باردها حارا بفرط برده ، حتى أمتع بأكثر من امتاع الحار ، وعبتنى بكتاب احتجاجات البخلاء ، ومناقضتهم للسمحاء ، والقول فى الفرق بين الصدق اذا كان ضارا فى العاجل ، والكذب اذا كان نافعا فى الآجل ، ولم جعلنا الصدق أبدا محمودا ، والكذب أبدا مذموما ، والفرق بين الغيرة واضاعة الحرمة ، وبين الافراط فى الحمية والأنفة ، وبين التقصير فى حفظ حق الحرمة ، وقلة الاكتراث بسوء القالة ، وهل الغيرة اكتساب وعادة ، وبعض ما يعرض من جهة الديانة ولبعض التزيد فيه والتحسين به ، أو يكون ذلك شيئا فى طبع الحرية وحقيقة الجوهرية ، ما كانت العقول سليمة ، والآفات منفية ، والأخلاق معتدلة ، وعبتنى بكتاب الصرحاء والهجناء ، ومفاخرة السودان والحميران ، والموازنة بين حق الخؤولة والعمومة ، وعبتنى بكتاب الزرع والنخل ، والزيتون والأعناب ، وأقسام فضول الصناعات ، ومراتب التجارات ، وبكتاب فضل ما بين الرجال والنساء ، وفرق ما بين الذكور والاناث ، وفى أى موضع يغلبن ويفضلن ، وفى أى موضع يكن المغلوبات والمفضولات ، ونصيب أيهما فى الولد أوفر ، وفى أى موضع يكون حقهن أوجب ، وأى عمل هو بهن أليق ، وأى صناعة هن فيها أبلغ ، وعبتنى بكتاب القحطانية وكتاب العدنانية فى الرد على القحطانية ، وزعمت أنى تجاوزت فيه حد الحمية ، الى حد العصبية ، وأنى لم أصل الى تفضيل العدنانية الا بتنقص القحطانية ، وعبتنى بكتاب العرب والموالى ، وزعمت أنى بخست الموالى حقوقهم ، كما أنى أعطيت العرب ما ليس لهم ، وعبتنى بكتاب العرب والعجم ، وزعمت أن القول فى فرق ما بين العرب والعجم هو القول فى فرق ما بين الموالى والعرب ، ونسبتنى الى التكرار والترداد ، والى التكثير والجهل بما فى المعاد من الخطل ، وحمل الناس المؤن ، وعبتنى بكتاب الأصنام ، وبذكر اعتلالات الهند لها ، وسبب عبادة العرب اياها ، وكيف اختلفا فى جهة العلة مع اتفاقهما على جملة الديانة ، وكيف صار عبادة

البددة (١) والمتمسكون بعبادة الأوثان المنحوتة ، والأصنام المنجورة ، أشد الناس الفأ لما دانوا به ، وشغفا بما تعبدوا له ، وأظهرهم جدا ، وأشدهم على من خالفهم ضغنا ، وبما دانوا صباة وعجبا ، وما الفرق بين البد والوثن ، وما الفرق بين الوثن والصنم ، وما الفرق بين الدمية والجنّة ، ولم صوروا في محاريبهم وبيوت عباداتهم صور عظمائهم ورجال دعوتهم ، ولم تأنقوا في التصوير ، وتجردوا في إقامة التركيب ، وبالفوا في التحسين والتفخيم ، وكيف كانت أولية تلك العبادات ، وكيف افترقت تلك النحل ، ومن أي شيء كانت خدع تلك السدنة ، وكيف لم يزالوا أكثر الأصناف عددا ، وكيف شمل ذلك المذهب الأجناس المختلفة !

وعبّنتي بكتاب المعادن ، والقول في جواهر الأرض ، وفي اختلاف أجناس الفلز ، والاختلاف عن ذائبها وجامدها ، ومخلوقها ومصنوعها ، وكيف يسرع الانقلاب إلى بعضها ويبطئ عن بعضها ، وكيف صار بعض الألوان يصبغ ولا يصبغ ، وبعضها ينصبغ ولا يصبغ ، وبعضها يصبغ وينصبغ ، وما القول في الأكسير والتلطيف ، وعبّنتي بكتاب فرق ما بين هاشم وعبد شمس ، وبكتاب فرق ما بين الجن والانس ، وفرق ما بين الملائكة والجن ، وكيف القول في معرفة الهدهد واستطاعة العفريت ، وفي الذي كان عنده علم من الكتاب ، وما ذلك العلم ، وما تأويل قولهم : كان عنده اسم الله الأعظم ، وعبّنتي بكتاب الأوقاف والرياضيات ، وما القول في الأرزاق والانفاقات ، وكيف أسباب التثمير (٢) والترقيع وكيف تجتلب التجار الحرفاء ، وكيف الاحتياال للودائع ، وكيف التسبب إلى الوصايا ، وما الذي يوجب لهم التعديل ، ويصرف اليهم باب حسن الظن ، وكيف ذكرنا غش الصناعات والتجارات ، وكيف التسبب إلى تعرف ما قد ستروا ، وكشف ما موهوا ، وكيف باب الاحتراس منه والسلامة من أهله ، وعبّنتي برسائلي ، وبكل ما كتبت به إلى اخواني وخطائى من مزح وجد ، ومن افصاح وتعريض ، ومن تغافل وتوقيف ، ومن هجاء لا يزال وسمه باقيا ، ومديح لا يزال أثره ناميا ، ومن ملح ، تضحك ، ومواعظ تبكى ، وعبّنتي برسائلي الهاشميات ، واحتجاجي فيها ، واستقصائي معانيها ، وتصويري لها في أحسن صورة ، واطهارى لها في أتم حلية ، وزعمت أنى قد خرجت بذلك من حد المعتزلة إلى حد الزيدية ، ومن حد الاعتدال في التشيع والاقتصاد فيه إلى حد السرف والافراط فيه ، وزعمت أن مقالة الزيدية خطبة مقالة الرافضة ، ومقالة الرافضة خطبة مقالة الغالية ، وزعمت أن في أصل القضية ، والذي جرت عليه العادة أن كل كبير فأوله صغير ، وأن كل كثير فانما هو قليل جمع إلى قليل ، وأنشدت قول الراجز :

(١) البددة جمع بد ، وهو بيت فيه الصنم أو الصنم نفسه كما قال ابن دريد .

(٢) التثمير والترقيع : نمو المال واصلاحه .

قد يلحق الصغير بالجليل * وانما القرم من الأفيال (١)

* وسحق النخل من الفسيل *

وأنشدت قول الشاعر :

رب كبير هاجسه صغير * وفي البحور تفرق البحور

وقلت وقال يزيد بن الحكم :

واعلم بنى فانه * بالعلم ينتفع العليم

ان الأمور دقيقتها * مما يهيج له العظيم

وقلت وقال الآخر :

صار جدا ما مزحت به * رب جسد سساقه اللعب

وأنشدت قول الآخر وهو عنتره (٢) :

ما تنظرون بعق وردة فيكم * تقضى الأمور ورهط وردة غيب

قد يبعث الأمر الكبير صغيره * حتى تظل له الدماء تصيب

وقالت كبشة بنت معديكرب :

جاعتكم بعبد الله آنف قومه * بنى مازن أن سب راعي المخزم

وقال الآخر :

اية نار قدح القادح * وای جسد بلغ المازح

(١) الأفيال : صخر الابل .

(٢) والصواب ان البيتين لطرفة وهما من جملة أبيات في ديوانه .

وتقول العرب : « العصى من العصية ولا تلد الحية الا حية » ، وعبت كتابى فى خلق القرآن . كما عبت كتابى فى الرد على المسيهة ، وعبت كتابى فى أصول الفتيا والأحكام ، كما عبت كتابى فى الاحتجاج لنظم القرآن ، وغريب تأليفه ، وبديع تركيبه ، وعبت معارضتى الزيدية ، وتفضيلى الاعتزال على كل نحلة ، كما عبت كتابى فى الوعد والوعيد ، وكتابى على النصارى واليهود ، ثم عبت جملة كتبى فى المعرفة ، والتمست تهجينها بكل حيلة ، وصغرت من شأنها ، وحططت من قدرها ، واعترضت على ناسخيتها والمنتفعين بها .

وعبت كتاب الجوابات وكتاب الرسائل ، وكتاب الرد على أصحاب الالهام ، وكتاب الحجة فى تثبيت نبوة النبى صلى الله عليه وسلم ، وكتاب الأخبار ، ثم عبت كتابى انكارى بصيرة غنام المرتد ، وبصيرة كل جاحد وملحد ، وتفريقى بين اعتزام الغمر (١) وبين استبصار المحق ، وعبت كتابى الرد على الجهمية فى الادراك ، وفى قولهم فى الجهالات ، وكتساب الفرق ما بين النبى والمتنبى ، والفرق بين الحيل والمخاريق ، وبين الحقائق الظاهرة والأعلام القاهرة ، ثم قصدت الى كتابى هذا بالتصغير لقدره ، والتهجين لنظمه ، والاعتراض على لفظه ، والتحقيق لمعانيه فزريت على نحته وسبكه ، كما زريت على معناه ولفظه ، ثم طعنت فى الغرض الذى اليه نزعنا ، والغاية التى اليها أجرينا (٢) ، وهنا كتاب معناه أنبه من اسمه ، وحقيقته آنق من لفظه ، هو كتاب يحتاج اليه المتوسط العامى ، كما يحتاج اليه العالم الخاصى ، ويحتاج اليه الرىض ، كما يحتاج اليه الحاذق .

أما الرىض فملتعلّم والدربة ، وللترتيب والرياضة ، وللتمرين وتمكين العادة ، اذ كان جليله يتقدم دقيقه ، واذا كانت مقدماته مرتبة ، وطبقات معانيه منزلة ، وأما الحاذق فلكفاية المؤونة ، ولأن كل من التقط كتابا جامعا ، وبابا من أمهات العلم مجموعا كان له غنمه ، وعلى مؤلفه غرمه ، وكان له نفعه ، وعلى صاحبه كده ، مع تعرضه لمطاعن البغاة ولاعتراض المنافسين ، ومع عرضه عقله المكدود على العقول الفارغة ، ومعانيه على الجهابذة ، وتحكيمة فيه المتأولين والحسدة . ومتى ظفر بمثله صاحب علم ، أو هجم عليه طالب فقه ، وهو وادع رافه ونشيط جام ، ومؤلفه متعب مكدود ، فقد كفى مؤونة جمعه ، وخزنه وتبعه ، وطلبه ، وأغنائه ذلك عن طول التفكير ، واستنفاد العمر ، وفل الحد ، وأدرك أقصى حاجته ، وهو مجتمع القوة ،

(١) الغمر مثلثة الغين : من لم يجرب الأمور ، والجاهل الأبله .

(٢) أجريا : قصدا .

وعلى أن له عند ذلك أن يجعل هجومه عليه ضرباً من التوفيق ، وظفّره به باباً من التسديد .

(وهذا كتاب) تستوى فيه رغبة الأمم ، وتتشابه فيه العرب والعجم ، لأنه وإن كان عربياً أعرابياً ، وإسلامياً جماعياً ، فقد أخذ من طرف الفلسفة ، وجمع بين معرفة السماع وعلم التجربة ، وأشرك بين علم الكتاب والسنة ، وبين وجدان الحاسة وإحساس الغريزة ، ويشتهيه الفتيان كما يشتهيه الشيوخ ، ويشتهيه الفاتك كما يشتهيه الناسك ، ويشتهيه اللاعب ذو اللهو كما يشتهيه الجدّ ذو الحزم ، ويشتهيه الغفل كما يشتهيه الأريب ، ويشتهيه الغبي كما يشتهيه الفطن ، وعبّنتى بحكاية قول العثمانية والضرارية وأنت تسمعتنى أقول فى أول كتابى : وقالت العثمانية والضرارية ، وكما سمعتنى أقول : وقالت الرافضة والزيدية ، فحكمت على بالنصب لحكايتى قول العثمانية ، فهلا حكمت على بالتشيع لحكايتى قول الرافضة ، وهلا كنت عندك من الغالية لحكايتى حجج الغالية ، كما كنت عندك من الناصبة لحكايتى قول الناصبة ، وقد حكينا فى كتابنا قول الإباضية والصفورية ، كما حكينا أقاويل الأزارقة والنجدية ، وعلى هذه الأركان الأربعة بنيت الخارجية ، وكل اسم سواها فانما هو فرع ونتيجة واشتقاق منها ، ومحمول عليها ، فهلا كنا عندك من المحكمة الخارجية ، كما صرنا عندك من الضرارية ، والناصبة ! وكيف رضيت بأن تكون الشيعة الى أعراض الناس أسرع من المارقة ! اللهم الا أن تكون وجدت حكايتى عن العثمانية والضرارية أشبع وأجمع ، وأتم وأحكم وأجود صنعة ، وأبعد غاية ، ورأيتنى قد وهنت حق أوليائك بقدر ما قويت باطل أعدائك ، ولو كان ذلك كذلك لكان شاهدك من الكتاب حاضراً ، وبرهانك على ما ادعيت واضحاً .

وعبّنتى بكتاب العباسية فهلا عبّنتى بحكاية مقالة من ادعى وجوب الإمامة ، ومن يرى الامتناع من طاعة الأئمة الذين زعموا أن ترك الناس سدى بلا قيم أرد عليهم ، وهملوا بلا راع أربح لهم ، وأجدر أن يجمع لهم ذلك بين سلامة العاجل ، وغنيمة الآجل ، وأن تركهم نشر لا نظام لهم أبعد لهم من المفسد ، وأجمع لهم على المرشد ! بل ليس ذلك بك ، ولكنه لما بهرك ما سمعت ، وملاً صدرك الذى قرأت ، وأبعلك وأبطرك فلم تتجه للحجة وهى لك معرضة ، ولم تعرف المقاتل وهى لك بادية ، ولم تعرف باب المخرج اذ جهلت باب المدخل ، ولم تعرف المصادر اذ جهلت الموارد ، ورأيت أن سب الأولياء أشفى لدائك ، وأبلغ فى شفاء سقمك ، ورأيت أن ارسال اللسان أحضر لذّة ، وأبعد من النصب ، ومن اطالة الفكرة ، ومن الاختلاف الى أرباب هذه الصناعة ، ولو كنت حين فطنت لعجزك وصلت نقصك بتمام غيرك ، واستكفيت من هو موقوف على كفاية مثلك ، وحبيس على تقويم أشباهك ، كان ذلك أزين فى العاجل ، وأحق بالثوبة فى الآجل ، وكنت ان أخطأتك الغنيمة لم تخطئك

السلامة ، ولقد سلم عليك المخالف ، بقدر ما ابتلى به منك الموافق ، وعلى أنه لم
يبتل منك الا بقدر ما ألزمته من مؤونة تثقيفك ، والتشاغل بتقويمك ، وهل كنت
فى ذلك الا كما قال العربى : * وهل يضر السحاب نبح الكلاب * ؟ والا كما قال
الشاعر :

هل يضر البحر أسمى زائرا * أن رمى فيه غلام بحجر

وهل حالنا فى ذلك الا كما قال الأول :

ما ضر تغلب وائل أهجوتها * أم بليت حيث تنسأطح البحران

وقال حسان :

ما أبالى أنب بالحزن تيس * أم لحانى بظهر غيب لئيم

وما أشك أنك قد جعلت طول اعراضنا عنك مطية لك ، ووجهت حلمنا عنك الى
الخوف منك ، وقد قال زفر بن الحارث لبعض من لم ير حق الصفح فجعل العفو سببا
الى سوء انقول :

فان عدت والله الذى فوق عرشه * منحتك مسنون الغارين أزرقا
فان دواء الجهل أن تضرب الطلى (١) * وأن يغمس العريض (٢) حتى يفرقا

وقال الأول :

وما نفى عنك قسوما أنت خائفهم * كمثل وقمك جهالا بجهال
فاقعس اذا حذبوا واحذب اذا قعسوا * ووازن الشر مثقالا بمثقال

وقال الآخر :

وضغائن داويتها بضغائن * حتى يمتن وبالحقود حقودا

وانى وان لم يكن عندى سنان زفر بن الحارث ، ولا معارضة هؤلاء : الشر
بالشر ، والجهل بالجهل ، والحق بالحق ، فان عندى ما قال المسعودى :

(١) الطلى : الأعناق

(٢) العريض : الذى يتعرض للناس بالشر .

فمسا تراب الأرض منها خلقتما * وفيها المعاد والمصير الى الحشر
ولا تعجبا أن ترجعا فتسلما * فما حشى الأقوام شر من الكبر
فلو شئت أدلى فيكما غير واحد * علانية أو قال عندي في ستر
فان أنا لم أمر ولم أنه عنكما * ضحكت (١) له حتى يلج ويستشري

وقال النمر بن تولب :

جزى الله عنى حمزة بنه نوفل * جزاء مغل بالأمانة كاذب
بما خبرت عنى الوشاة ليكذبوا * على وقد أوليتها فى النوائب

يقول : أخرجت خبرى الى من يشتهى أن أعاب عندها .

ولو شئنا لعارضناك من انقول بما هو أقبح أثرا ، وأبقى وسما ، وأصدق
قيلا ، وأعدل شاهدا ، وليس كل من ترك المعارضة فقد صفح ، كما أنه ليس كل من
عارض فقد انتصر ، وقد قال الشاعر قولا ان فهمته كفيتنا مؤونة المعارضة ، وكفيت
نفسك لزوم العار ، وهو قوله :

ان كنت لا ترهب ذمى لما * تعرف من صفحى عن الجاهل
فاخش سكوتى آذنا منصتا * فيك لمسموع خنا القائل
فالسامع الدم مقر به * كالمطعم المأكول للأكل
مقالة السوء الى أهلها * أسرع من منحدر سائل
ومن دعا الناس الى ذمه * ذموه بالحق وبالباطل
فلا تهج ان كنت ذا اربة * حرب أخى التجربة العاقل
فان ذا العقل اذا هجته * هجت به ذا خبل خابل
يبصر فى عاجل شداته * عليك غب الضرر الآجل

وقد يقال : ان العفو يفسد من اللئيم بقدر اصلاحه من الكريم ، وقد قال
الشاعر :

والعفو عند لبیب القوم موعظة * وبعضه لسفيه القوم تدريب

(١) كذا فى الاصل ، وفى اللسان فى عادة لجج : تضحكت حتى يثلج ويستشري .

فان كنا قد أسأنا في هذا النقرع والترقيف ، فالذى لم يأخذ فينا بحكم القرآن ، ولا بأدب الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولم يفزع الى ما فى الفطن الصحيحة ، أو الى ما توجيهه المقاييس المطردة ، والأمثال المضروبة ، والأشعار النسيئة ، أولى بالاساءة ، وأحق باللائمة ، قال الله جل ثناؤه : (وإبراهيم الذى وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى) وقد قال النبی علیه السلام والسلام : « لا تبجن يمينك على شمالك » وهذا حكم الله جل وعز ، وآداب رسوله ، والذى أنزل به الكتاب ، ودل عليه فى حجج العقول .

أخذ البرىء بذنب المذنب

ثم قال فى أخذ البرىء بذنب المذنب : فأما ما قالوا فى المثل المضروب ، « رمتنى بدائها وانسلت » . وأما قول الشعراء وذم الخطباء لمن أخذ انسانا بذنب غيره ، وما ضربوا فى ذلك من الأمثال ، كقول النابغة حيث يقول فى شعره :

وكلفتني ذنب امرئ وتركته * كذى العر يكوى غيره وهو راتع

وكانوا اذا أصاب ابلهم العر كروا السليم ليذهب العر عن السقيم فأسقموا الصحيح من غير أن يبرئوا السقيم ، وكانوا اذا كثرت ابل أحدهم فبلغت الألف فقتلوا عين الفحل ، فان زادت الابل على الألف فقتلوا عينه الأخرى ، فذلك المفقأ والمععى اللذان سمعت بهما قال الفرزدق :

غلبتك بالمفقأ والمععى (١) * وبیت المجتبى (٢) والخافقات

وكانوا يزعمون أن المفقأ يطرد عنها العين والسواف (٣) والغارة فقال الأول :

فقات لها عين الفحل تعيفا * وفيهن رعلاء المسامع والجام

الرعاء : التى تشق أذننها وتترك مدلاة لكرمها .

(١) نى اللسان مادة « فقا » « المعنى » .

(٢) كذا فى الاصل وفى اللسان « المجتبى » بالحاء المهملة .

(٣) السواف : مرض الابل .

وكانوا يقولون في موضع الكفارة والأمنية ، كقول الرجل اذا بلغت ابل كذا وكذا ، وكذلك غنمي ذبحت عند الأوثان كذا وكذا عتيرة ، والعتيرة : من نسلك الرجبية ، والجمع عتائر ، والعتائر من الشاء ، فاذا بلغت ابل أحدهم أو غنمه ذلك العدد استعمل التأويل وقال : انما قلت : اني اذبح كذا وكذا شاة ، والظباء : شاء ، كما أن الغنم شاء ، فجعل ذلك القربان كله مما يصيد من الظباء ، فلذلك يقول الحارث بن حلزة اليشكري :

عننا باطلا شدوخا (١) كما تعد * ستر عن حجرة الريض الظباء

بعد أن قال :

أم علينا جناح كنلة أن يغ * نهم غازيهم ومننا الجزاء

وكانوا اذا أوردوا البقر فلم تشرب ، اما لكدر الماء واما لقله العطش ، ضربوا الثور ليقتحم الماء لأن البقر تتبعه كما تتبع الشول الفجل ، وكما تتبع أتن الوحش الحمار ، فقال في ذلك عوف بن الخرع :

تمنت طيى جهلا وجبنا * وقد خاليتهم فأبوا خلائي
هجونى أن هجوت جبال سلمى * كضرب الثور للبقر الظماء

وقال في ذلك أنس بن مدركة في قتله سليك بن السلكة :

انى وقتلى سليكا ثم اعقله * كالثور يضرب لما عافت البقر
أنفت (٢) للمرء اذ تغشى حليته * واذا (٣) يشد على وجعائها الثفر (٤)
وقال الهيبان الفهمي :

كما ضرب اليسوب أن عاف باقر * وما ذنبه أن عافت الماء باقر
ولما كان الثور أمير البقر ، وهى تطيعه طاعة إناث النحل لليعسوب سماه باسم
أمير النحل .

(١) كذا في الاصل وفي اللسان حادة عتر « وظلما » .

(٢) في اللسان : « غضيت » .

(٣) في الاصل « وان » ، وانتصوب عن اللسان .

(٤) انظر : السير الذي في مؤخر السرج .

وكانوا يزعمون أن الجن هي التي تصد الثيران عن الماء حتى تمسك البقر
عن الشرب حتى تهلك ، وقال في ذلك الأعشى :

واني وإن كلفتموني وربكم * لأعلم من أمسى أحق وأحوبا
لكالثور والجنى يضرب ظهره * وما ذنبه أن عافت الماء مشربا
وما ذنبه أن عافت الماء باقر * وما أن تعاف الماء إلا لتضربا

كأنه قال : إذ كان يضرب أبدا لأنها عافت الماء ، فكأنها إنما عافت الماء
لضرب ، وقال يحيى بن منصور الذهلي في ذلك :

لكالثور والجنى يضرب وجهه * وما ذنبه أن كانت الجن ظالمة
وقال نهشل بن جرى :

أترك عارض وبثو عدى * وتغرم دارم وهم يراء
كذاب الثور يضرب بالهراوى * إذا ما عافت البقر الظماء
وكيف تكلف الشعرى سهيلا * وبينهما الكواكب والسماء
وقال أبو نؤيرة بن حصين حين أخذه الحكم بن أيوب بذنب العطرق :

أبا يوسف لو كنت تعلم طاعتي * ونصحتي إذا ما بعنتى بالخلق
ولا ساق سراق العرافة صالح * بنى ولا كلفت ذنب العطرق

وقال خداش بن زهير حين أخذ بدماء بنى محارب :

أكلف قتلى معشر لست منهم * ولا دارهم دارى ولا نصرهم نصرى
أكلف قتلى العيص عيص شواحل * وذلك أمر لم تشف له قلدري

وقال الآخر :

إذا عركت عجل بنسا ذنب طيء * عركنسا بتيمة اللات ذنب بنى عجل

ولما وجد اليهودى أخا حنبص الضبابى فى منزله فخصاه فمات ، وأخذ حنبص
بنى عباس بجناية اليهودى قال قيس بن زهير : أتأخذنا بذنب غيرنا ، وتسالنا العقل ،

والقاتل يهودى من أهل تيماء ؟ قال : والله لو قتلته هيف الريح لوديتموه ، فقال قيس
لبنى عبس : الموت فى بنى ذبيان خير لكم من الحياة فى بنى عامر ، تم أنشأ يقول .

أكلف ذا الخصيين ان كان ظالما * وان كنت مظلوما وان كنت شاطنا
خصاه امرؤ من أهل تيماء طابن * ولا يعلم الانسى والجن طابنا
فهلا بنى ذبيان أمك هابل * رهنت بهيف الريح ان كنت راهنا
اذا قلت قد أفلت من شر حنبص * أتانى بأخرى وشمره متباطنا
فقد جعلت أكبادنا تجتويكم * كما تجتوى سوق العضاه الكرازنا

ولما قتل لقمان بن عاد ابنته وهى صحر بنت لقمان قال حين قتلها : ألسنت
امراة ؟ وذلك أنه تزوج عدة نساء وكلهن خنه فى أنفسهن ، فلما قتل أخراهن ونزل
من الجبل كان أول من تلقاه صحر ابنته ، فوثب عليها فقتلها ، وقال وأنت أيضا
امراة ، وكان قد ابتلى أيضا بأن أخته كانت محمقة ، وكذلك كان زوجها ، فقالت
لاحدى نساء لقمان : هذه ليلة طهرى وهى ليلتك ، قدعيني أنم فى مضجعك ، فان
لقمان رجل منجب ، فعسى أن يقع على فأنجب فوقع على أخته فحملت بلقيم وفى ذلك
قول النمر بن ثولب :

لقيم بن لقمان من أخته * فكان ابن أخت له وابنهما
ليالى حمق فاستحصنت * عليه فغر بها مظما
فاحبلها رجل محكم (١) * فجاءت به رجلا محكما

فضربت العرب فى ذلك المثل بقتل لقمان بنته صحرا فقال خفاف بن ندبة
فى ذلك :-

وعباس يدب لى المنايا * وما أذنت الا ذنب صحر

وقال فى ذلك ابن أذينة :

اتجمع تهما بليلى اذا تات * وهجرانها ظلما كما ظلمت صحر

(١) وروى : تاته .

وقال الحارث بن عباد :

قربا مربط النعامة منى * لقتت حرب وائل عن حيان
لم أكن من جناتها علم الله * له واني بحرهما اليوم صالي

وقال الشاعر وأظنه ابن المقفع :

فلا تلم المسرء في شماته * فرب ملوم ولم يذنب

وقال آخر :

لعل له عذرا وأنت تلوم * وكم لائم قد لام وهو مليم

وقال بعض العرب في قتل بعض الملوك سنمار الرومي : فانه لما علا الخورنق ،
ورأى بنيانا لم ير مثله ، ورأى ذلك المستشرف ، وخاف ان هو استبقاه أن يموت
فيبنى مثل ذلك البنيان لملك آخر ، فأمر به فرمى من فوق القصر ، فقال في ذلك
الكلبي في شيء كان بينه وبين بعض الملوك :

جزاني جزاء الله شبر جزائه * جزاء سنمار وما كان ذا ذنب
سوى رصه البنيان سبعين حجة * يعلى عليه بالقرايمد والسكب
فلما رأى البنيان تم سحوقه * وآض كمثل الطود ذي الباذخ الصعب
فطن سنمار به كل حيلة * وفاز لديه بالعودة والقرب
فقال اقلدوا بالعليج من رأس شاهق * فذاك لعمر الله من أعظم الخطب

ونجاء المسلمون يروى خلف عن سلف ، وتابغ عن سابق ، وآخر عن أول ، أنهم
لم يختلفوا في عيب قول الحجاج : لأخذن ، السمي بالسمي والولي بالولي ، والجار
بالجار ، ولم يختلفوا عن لعن شاعرهم حيث يقول :

إذا أخذ البريء بغير جرم * تجنب ما يحاذره السقيم

قال : وقيل لعمر بن عبيد ان فلانا لما قدم رجلا ليضرب عنقه ف قيل له : انه
مجنون ، قال : أولا أن المجنون يلد عاقلا لخليت سبيله ، قال فقال عمرو : وما خلق
الله النار الا بالحق .

ولما قالت التغلبية للجحاف بن حكيم في وقعة البشر : فض الله عمادك ، وأطال
سهادك ، وأقل رمادك ، فوالله ان قتلت الا نساء أسافلهن دمي ، وأعاليهن ثدي ، فقال

لمن حوله : لولا أن تلد هذه مثلها لخليت سبيلها . فبلغ ذلك الحسن فقال : ان الجحاف جذوة من نار جهنم . قال وذم رجل عند الأحنف بن قيس الكماة بالسمن ، فقال عند ذلك الأحنف : رب ملوم لا ذنب له ، فبهذه السيرة سرت فينا ، وما أحسن ما قال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان :

وان امرا يهسى ويصبح سالما * من الناس الا ما جنى لسعيد

وقلت : وما بال أهل العلم والنظر ، وأصحاب الفكر والعبر ، وأرباب النحل ، والعلماء بمخارج المثل ، وورثة الأنبياء ، وأعوان الخلفاء ، يكتبون كتب الظرفاء والملحاء ، وكتب الفراغ والخلعاء ، وكتب الملاحى والفكاهات ، وكتب أصحاب الخصومات والمرء ، وكتب أصحاب العصبية ، وحمية الجاهلية ، حتى كأنهم لا يحاسبون أنفسهم ، ولا يوازنون بين ما عليهم ولهم ، ولا يخافون تصفح العلماء ، ولا لائمة الأدباء وشنف الأكفاء ، ومساءة الجلساء ، فهلا أمسكت رحمك الله عن عيبنا ، والظعن عليها ، وعن المشورة والموعظة ، وعن تخويف ما فيه سوء العاقبة الى أن تبلغ حال العلماء ، ومراتب الأكفاء .

أقسام البيان

وبعد أن تكلم فى تقسيم العالم الى ثلاثة أقسام ، وذكر أقسام الحيوان ، قال فى أقسام البيان :

ووجدنا الحكمة على ضربين : شئ جعل حكمة وهو لا يعقل الحكمة ولا عاقبة الحكمة ، وشئ جعل حكمة وهو يعقل الحكمة وعاقبة الحكمة ، فاستوى بدين الشئ العاقل وغير العاقل فى جهة الدلالة على أنه حكمة ، واختلفا من جهة أن أحدهما دليل لا يستدل ، والآخر دليل يستدل ، فكل مستدل دليل ، وليس كل دليل مستدل ، فشارك كل الحيوان سوى الانسان جميع الجماد فى الدلالة وفى عدم الاستدلال ، واجتمع للانسان بان كان دليلا مستدلا ، ثم جعل للمستدل سبب يدل به على وجوه استدلاله ، ووجوه ما نتج له الاستدلال ، وسموا ذلك بيانا ، وجعل ذلك البيان على أربعة أقسام : لفظ وخط وعقد وإشارة ، وجعل بيان الدليل الذى لا يستدل تمكينه المستدل من نفسه واقتياده كل من فكر فيه الى معرفة ما استخزن من البرهان ، وحشى من الدلالة ، وأودع من عجيب الحكمة ، فالأجسام الخرس الصامتة ناطقة من جهة الدلالة ، ومعربة من جهة صحة الشهادة ، على أن الذى فيها من التدبير والحكمة

تلوحان لمن استخبرهما ، وينطقان لمن استنطقهما كما يخبر الهزال وكمود اللون عن سوء الحال ، وكما ينطق السمن والنضرة عن حسن الحال ، وقد قال الشاعر :

فعا جوا فآثنوا بالذى أنت أهله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقايب

وقال آخر :

متى تك فى عىء أو صديق * تخبرك العيسون عن القلوب

وقد قال العكلى فى صدق شبه الذئب ، وفى شدة حسه واسترواحه :

يستخبر الريح اذا لم يسمع * بمثل مقراع الصفا الموقع

وقال عنتره وهو يصف نعيم غراب :

حرق الجناح كأن لحى رأسه * جلمان بالأخبار هش مولع

وقال الفضل بن عيسى بن أبان فى قصصه : سل الأرض فقل : من شق أنهارك ، وغرس أشجارك ، وجنى ثمارك ، فان لم تجبك حوارا ، أجابتك اعتبارا ، فموضوع الجسم ونصبته دليل على ما فيه ، وداعية اليه ومنبهة عليه ، فالجماد الأبكى الأخرس من هذا الوجه قد شارك فى البيان الانسان الحى الناطق ، فمن جعل أقسام البيان خمسة فقد ذهب أيضا مذهبا له جواز فى اللغة ، وشاهد فى العقل ، فهذا أحد قسمى الحكمة ، وأحد معنى ما استخزنها الله تعالى من الوديعه .

القسمه الأخرى ما أودع صدور صنوف سائر الحيوان من ضروب المعارف ، وفطرها على غريب المهاديات ، وسخر حناجرها له بضرب النغم الموزونة ، والأصوات الملحنة ، والمخارج الشجية ، والأغاني المطربة ، فقد يقال : ان جميع أصواتها معدلة ، وموزونة موقعة ، ثم الذى سهل لها من الرفق العجيب فى الصنعة مما دلله الله تعالى لمناقيرها وأكفها ، وكيف فتح لها من باب المعرفة على قدر ما هيا لها من الآلة ، وكيف أعطى كثيرا منها من الحس اللطيف ، والصنعة البديعة عن غير تأديب وتثقيف ، وعن غير تقويم وتلقين ، وعن غير تدريج وتعمير ، فبلغت بعقوها ومقدار قوى فطرتها من البديهة والارتجال ، ومن الابتداء والاقتضاب ، مالا يقدر عليه حذاق رجال الرأي ، وفلاسفة علماء البشر بيد ولا آلة ، بل لا يبلغ ذلك من الناس أكملهم خصالا ، وأتمهم خلا ، من جهة الارتجال والاقتضاب ولا من جهة التعسف والاقتدار ، ولا من جهة

التقديم بيه ، والثاني له ، والترتيب لمقدماته . وتمكين الأسباب المعية عليه فصار جهد الانسان الثاقب الحس . الجامع القوى ، المتصرف في الوجوه المندم في الامور يعجز عن عفو كثير منها ، وينظر اذ نظر الى ضروب ما يجيء منها كما اعطيت العنكبوت . وكما اعطيت السرفة ، وكما علم النحل . بل عرف التنوط من يديع المعرفة ، ومن غريب الصنعة في غير ذلك من اصناف الخلق ثم لم يوجد لهم العجز في انفسهم في أكثر ذلك الا عما قوى عليه الهمج والخشاش وصغار الحضرات ، ثم جعل الانسان ذا العقل والتمكين ، والاستطاعة والتصريف ، وذا التكلف والتجربة ، وذا التاني والمنافسة ، وصاحب الادخار والمتفقد لشأن العاقبة متى أحسن شيئاً كان كل شيء دونه في الغموض عليه أسهل ، وجعل سائر الحيوان وان كان يحسن أحدها ما لا يحسن أحذق الناس متى أحسن شيئاً عجيباً لم يمكنه أن يحسن ما هو أقرب منه في الظن ، وأسهل منه في الرأي ، بل لا يحسن ما هو أقرب منه في الحقيقة ، فلا الانسان جعل نفسه كذلك ، ولا شيء من الحيوان اختار ذلك ، فأحسننت هذه الأجناس بلا تعلم ما يمتنع على الانسان ، وان تعلم فصار لا يحاوله اذ كان لا يطمع فيه ، ولا يحسدها اذ كان لا يأمل اللحاق بها ، ثم جعل تعالى وعز هاتين الحكمتين ازاء عيون الناظرين ، وتجاه أسماع المعتبرين ، ثم حث على التفكير والاعتبار ، وعلى الاتعاظ والازدجار ، وعلى التعرف والتبين ، وعلى التوقف والتذكر ، فجعلها مذكرة منبهة ، وجعل الفطر تنشيء الخواطر ، وتجول بأهلها في المذاهب ، ذلك رب العالمين ، سبحان الله رب العالمين .

وهذا كتاب موعظة وتعريف ، وتفقه وتنبيه ، وأراك قد عبته قبل أن تقف على حدوده ، وتتفكر في فصوله ، وتتذكر آخره بأوله ، ومصادره بموارده ، وقد غلظك فيه بعض ما رأيت في أثنائه من مزح لم تعرف معانيه ، ومن بطالة لم تدرك غورها ، ولم تدرك لم اجتلبت ولأى علة تكلفت ، وأى مغنى أريخ بها ، ولأى جند احتمل ذلك الهزل ، ولأى رياضة تجشمت تلك البطالة ، ولم تدرك أن المزاح جند اذا اجتلب لأن يكون علة للجد ، وأن البطالة وقار وزمانة اذا تكلفت لتلك العاقبة ، ولما قال الخليل بن أحمد : لا يصل أحد من علم النحو الى ما يحتاج اليه حتى يتعلم ما لا يحتاج اليه ، قال أبو شمر : اذا كان لا يصل الى ما يحتاج اليه الا بما لا يحتاج اليه فقد صار ما لا يحتاج اليه يحتاج اليه ، وذلك مثل كتابنا هذا ، لأننا ان حملنا جميع من يتكلف قراءة هذا الكتاب على مر الحق ، وصعوبة الجهد ، وثقل المؤونة وحقيقة الوقار ، لم يصبر عليه مع طوله الا من قد تجرد للعلم وفهم معناه وذاق من ثمرته ، واستشعر من عزه ، ونال من سروره على حسب ما يورث الطول من الكد ، والكثرة من السامة ، وما أكثر من يقاد الى حظه بالسواجير ، وبالسوق العنيف ، وبالاخافة الشديدة ! .

مدح الكتب

ثم ذكر فقرات حسانا في مدح الكتب فقال :

ثم لم أرك رضيت بالطعن على كل كتاب لي بعينه ، حتى تجاوزت ذلك ، الى ان عبت وضع الكتب كيفما دارت بها الحال ، وكيف تصرفت بها الوجوه ، وقد كنت أعجب من عيبك البعض بلا علم ، حتى عبت الكل بلا علم . ثم تجاوزت ذلك الى التشنيع ، ثم تجاوزت التشنيع الى نصب الحرب ، فعبت الكتاب ونعم الذخر والعدة ، ونعم المجلس والعمدة ، ونعم النشوة والنزهة ، ونعم المشتغل والحرفة ، ونعم الأنيس ساعة الوحدة ، ونعم المعرفة ببلاد الغربية ، ونعم القرين والدخيل ، ونعم الوزير والنزيل ، والكتاب وعاء مليء علما ، وظرف حشى ظرفا ، واءاء شحن مزاحا وجدا ، ان شئت كان أبين من سحبان وائل ، وان شئت كان أعيا من باقل ، وان شئت ضحكت من بواده ، وان شئت عجبت من غرائب فوائده ، وان شئت ألهمت نواده ، وان شئت شجعت مواعظه ، ومن لك بواعظ مله ، وبزاجر مغر ، وبناسك غاتك ، وبناطق أخرس ، وببارد حار ، وفي البارد الحار يقول الحسن بن هانئ :

قل لزهير اذا انتحي وشدا * اقل او أكثر فانت مهتدار
سختت من شسلة البرودة حتى صرت عندي كأنك النار
لا يعجب السامعون من صفتي * كذلك الشبلج بارد حار

ومن لك بطبيب (١) أعرابي ، وبرومي هندي ، وبفارسي يوناني ، وبقديم مولد ، وببيت ممتع ، ومن لك بشيء يجمع لك الأول والآخر ، والناقص والوافر ، والخفي والظاهر ، والشاهد والغائب ، والرفيع والوضيع ، والغث والسمين ، والشكل وخلافه ، والجنس وضده .

وبعد ، فمتى رأيت بستانا يحمل في ردن ، أو روضة تتقلب في حجر ، وناطقة ينطق عن الموتى ، ويترجم كلام الأحياء ، ومن لك بمؤنس لا ينام الا بنومك ، ولا ينطق الا بسا تهوى ، آمن من الأرض ، وأكتم للسر من صاحب السر ، وأضبط للوديعه من أرباب الوديعه ، وأحفظ لما استحفظ من الأميين ، ومن الأعراب العربيين ، بل من

(١) كذا في الأصل ، ولعلها : « بنيطي » .

الصبيان قبل اعراض الاتغال ، ومن العميان قبل التمتع بتمييز الأشخاص ، حين
العناية تامة لم تنقص ، والأذهان فارغة لم تقتسم ، والارادة وافرة لم تستعب ،
والطينة لينة فهي أقبل ما تكون للطابع ، والقضيب رطب فهو أقرب ما يكون من
العلوق ، حين هذه الخصال لم يبيل جديدها ، ولم يفل غربها ، ولم تتفرق قواها ،
وكانت كما قال الشاعر :

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى * قصادف قلبا فارغا فتمكنا

وقال عبدة (١) بن الطيب :

لا تأمنسوا قوما يشب صبيهم * بين القوابل بالعداوة ينشع

هذا مع قولهم : التعلم في الصغر كالنقش في الحجر ، وقال جرير العود :

**تركن برحلة الروحاء حتى * تنكرت الديار على البصير
كوحى في الحجارة أو وشوم * بأيدي الروم باقية النور**

النور : شيء كان يعمل في الجاهلية مثل الحضرة اليوم .

وقال آخر وهو صالح بن عبد القدوس :

**وان من أدبتسه في الصنبا * كالعود يسقى الماء في غرسه
حتى تراه مورقا أخضرأ * بعد الذي أبصرت من يبسه**

وقال آخر :

يقوم من ميل الفلام المؤدب * ولا ينفع التأديب والرأس أشيب

وقال آخر :

أدبت عرسي بعيد ما هزمت * ومن العناء رياضة الهرم

وقد قال ذو الرمة لعيسى بن عمر : اكتب شعري فالكتاب أعجب الى من الحفظ ،

(١) في الأصل : « تميرة » وهو خطأ صوابه ما انتباه عن الشعر والشعراء لابن قتيبة .

ان الأعرابي ينسى الكلمة قد سهرت في طلبها ليله . فيضع في موضعها كلمة في وزنها ثم ينشدها الناس ، والكتاب لا ينسى ، ولا يبدل كلاما بكلام .

وعبت الكتاب ولا أعلم جارا أبر ، ولا خليطا أنصف . ولا رفيقا أطوع ، ولا معلما أخضع ، ولا صاحباً أظهر كفاية ، ولا أقل جناية ، ولا أقل املا لا وإبراما ، ولا أقل خلافا وإجراما ، ولا أقل غيبة ، ولا أبعد من عضيهة ، ولا أكثر أعجوبة وتصرفا ، ولا أقل صلفا وتكلفا ، ولا أبعد من وراء ، ولا أترك شغب ، ولا أزهد في جدال ، ولا أكف عن قتال ، من كتاب ، ولا أعلم قرينا أحسن مواتاة ، ولا أعجل مكافأة ، ولا أحضر معونة ، ولا أخف مؤونة ، ولا شجرة أطول عمرا ، ولا أجمع أمرا ، ولا أطيب ثمرة ، ولا أقرب مجنى ، ولا أسرع ادراكا ، ولا أوجد في كل إبان من كتاب ، ولا أعلم نتاجا في حداثة سنه ، وقرب ميلاده ، ورخص ثمنه ، وإمكان موجوده ، يجمع من التداير العجيبة ، والعلوم الغريبة ، ومن آثار العقول الصحيحة ، ومحمود الأذهان اللطيفة ، ومن الحكم الرفيعة ، والمذاهب القديمة ، والتجارب الحكيمة ، ومن الأخبار عن القرون الماضية ، والبلاد المتراخية ، والأمثال السائرة ، والأمم البائدة ما يجمع لك الكتاب .

وقد قال الله عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام : (اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم) وصف نفسه تبارك وتعالى جده بأن علم بالقلم . كما وصف نفسه بالكرم ، واعتد ذلك في نعمة العظام ، وفي أياديه الجسام ، وقد قالت العرب : القلم أحد اللسانين ، وقالوا : كل من عرف فضل النعمة في بيان اللسان كان بفضل النعمة في بيان القلم أعرف ، ثم جعل هذا الأمر قرآنا ، ثم جعله في أول التنزيل ، ومستفتح الكتاب ، ثم أعلم - يرحمك الله تعالى - ان حاجة بعض الناس الى بعض صفة لازمة لطبائعهم ، وخلقة قائمة في جواهرهم ، وثابتة لا تزيلهم ، ومحيطة بجماعتهم ، مشتملة على أدانيهم وأقاصيهم ، وحاجتهم الى ما غاب عنهم ، مما يعيشهم ويحييهم ، ويأخذ بأرماقهم ، ويصلح بالهم ، ويجمع شملهم ، والى التماسون على درك ذلك ، والتوازر عليه كمحاجتهم الى التعاون على معرفة ما بحضرتهم ، والتوازر على ما يحتاجون من الارتفاق في أمورهم التي لم تغب عنهم ، فحاجة الغائب موصولة بحاجة الشاهد ، لاحتياج الأدنى الى معرفة الأقصى ، واختلال الأدنى الى معونة الأقصى ، معان متضمنة ، وأسباب متصلة ، وحيال متقيدة ، وجعل حاجتنا الى معرفة أخبار من كان قبلنا كحاجة من كان قبلنا الى أخبار من كان قبلهم ، وحاجة من يكون بعدنا الى أخبارنا ، ولذلك تقدمت في الكتب البشارات بالرسول ، ولم يسخر لهم جميع خلقه الا وهم يحتاجون الى الارتفاق بجميع خلقه ، وجعل الحاجة حاجتين : احدهما قوام وقوت ، والاخرى لذة وامتاع ، وازدياد في الآلة ، وفي كل ما أجدل النفوس ، وجمع لهم العتاد ، وذلك المقدار من جميع الصنفين وفق لكثرة حاجاتهم وشهواتهم ، وعلى قدر اتساع معرفتهم ، وبعد غورهم ، وعلى قدر احتمال طبع البشرية ، وفطرة الانسانية ،

ثم لم يقطع الزيادة عنهم الا لعجز خلقهم عن احتمالها ، ولم يجز أن يفرق بينهم وبين العجز الا بعدم الأعيان ، اذا كان العجز صفة من صفات الخلق ، ونعتا من نعوت العبيد ، ولم يخلق الله تعالى أحدا يستطيع بلوغ حاجته بنفسه دون الاستعانة ببعض من سخر له ، فأدناهم مسخر لأقصاهم ، وأجلهم ميسر لأدقهم ، وعلى ذلك أحوج الملوك إلى السوق في باب ، وأحوج السوق إلى الملوك في باب ، وكذلك الغنى والفقر ، والعبد وسيد .

ثم جعل الله تعالى كل شيء للانسان خولا وفي يده مذلا ميسرا ، اما بالاحتياج له ، والتلطف في اراغته واستمالته ، واما بالصولة عليه والفتك به ، واما أن يأتيه سهوا ورهوا ، وعلى أن الانسان لولا حاجته اليها لما احتال لها ، ولما صال عليها ، الا أن الحاجة تفترق في الجنس والجهة ، وفي الحظ والتقدير ، ثم تعبد الانسان بالفكر فيها ، والنظر في أمورها وبالاعتبار بما يرى ، ووصل بين عقولهم ، وبين معرفة تلك الحنك الشريفة ، وتلك الحاجات اللازمة بالنظر والتفكير ، والتنقيب والتنقيب ، والتثبت ، والتوقف ، ووصل معارفهم بمواقع حاجاتهم اليها ، وتشاعرهم بمواضع الحكم فيها بالبيان عنها ، وهو البيان الذي جعله الله تعالى سببا فيما بينهم ، ومعبرا عن حقائق حاجاتهم ، ومعرفا لمواضع سد الخلة ، ودفع الشبهة ، ومداواة الحيرة ، ولأن أكثر الناس عن الناس أفهم منهم عن الأشباح المائلة ، والأجسام الجامدة ، والأجرام الساكنة التي لا يتعرف ما فيها من دقائق الحكم وكنوز الأدب ، وينابيع العلم ، الا بالعقل اللطيف الثاقب ، وبالنظر التام النافذ ، وبالأداة الكاملة ، وبالأسباب الواضحة ، والصبر على مكروه الفكر ، والاحتراس من وجوه الخدع ، والتحفظ من دواعي الهوينى ، ولأن الشكل أفهم عن شكله وأسكن اليه وأصعب به ، وذلك موجود في أجناس البهائم وضروب السباع ، والصبي عن الصبي أفهم وله ألف ، واليه أنزع ، وكذلك العالم والعالم ، والجاهل والجاهل ، وقال الله عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام : (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا) لأن الانسان عن الانسان أفهم ، وطباعه بطباعه أنس ، وعلى قدر ذلك يكون موقع ما يسمع منه ، ثم لم يرض من البيان لهم بصنف واحد ، بل جمع ذلك ولم يفرق ، وكثر ولم يقل ، وأظهر ولم يخف ، فجعل أصناف البيان التي بها يتعارفون معانيهم ، والترجمان الذي اليه يرجعون عند اختلافهم في أربعة أشياء وفي خصلة خامسة ، وان نقصت عن بلوغ هذه الأربعة في جهاتها ، فقد تكمل بجنسه الذي وضع له ، وصرف اليه .

وهذه الخصال الأربع : هي اللفظ والخط والاشارة والعقد ، والخصلة الخامسة : ما أوجد من صفة الدلالة ، وصدق الشهادة ، ووضوح البرهان في الأجرام الجامدة الصامتة ، والساكنة الثابتة ، التي لا تنبش ولا تفهم ، ولا تحس وتتحرك إلا بداخل دخل عليها ، أو عند ممسك خلى عنها بعد تقييده كان لها ، ثم قسم الأقسام ، ورتب المحسوسات ، وحصل الموجودات ، فجعل اللفظ للسامع ، وجعل

الإشارة للناظر ، وأشرك بين الناظر واللامس ، في معرفة العقد إلا بما فضل الله به نصيب الناظر في ذلك على نصيب اللامس ، وجعل الخط دليلا على ما غاب من حوائجه عنه ، وسببا موصولا بينه وبين أعوانه ، وجعله خازنا لما لا يأمن بسيانته مما قد أحصاه وحفظه ، وأتقنه وجمعه ، وتكلف الإحاطة به ، ولم يجعل للشام والذائق في ذلك نصيبا .

ولولا خطوط الهند لضاع من الحساب الكثير البسيط ، ولبطلت معرفة التضاعيف ، ولعدموا الإحاطة بالباورات ، وباورات الباورات ، ولو أدركوا ذلك لما أدركوه إلا بعد أن تغلظ المؤونة ، وتتنقص المنة ، ولصاروا إلى حال معجزة وحسور ، وإلى حال مضیعة وكلال حد ، مع التشاغل بأمور لولا فقد هذه الآلة لكان أربح لهم ، وأرد عليهم أن يصرفوا ذلك الشغل في أبواب منافع الدين والدنيا ، ونفع الحساب معلوم ، والحلة في موضع فقدته معروفة ، قال الله تعالى : (الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان) ثم قال : (الشمس والقمر بحسبان) وبالبيان عرف الناس القرآن ، قال الله تبارك وتعالى : (هو الذي جعل الشمس فسياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب) فأجرى الحساب مجرى البيان وألحق البيان بالقرآن ، وبحسبان منازل القمر عرفنا حالات المد والجزر ، وكيف تكون الزيادة في الأهلة وأنصاف الشهور ، وكيف يكون النقصان في خلال ذلك ، وكيف تلك المراتب وتلك الأقدار .

ولولا الكتب المدونة ، والأخبار المخلدة ، والحكم المخطوطة التي تحصر الحساب وغير الحساب ، لبطل أكثر العلم ، ولغلب سلطان النسيان سلطان الذكر ، ولما كان للناس مفرع إلى موضع استذكار ، ولو تم ذلك لحرمنا أكثر النفع ، إذ كنا قد علمنا أن مقدار حفظ الناس لعوامل حاجاتهم وأواجلها لا يبلغ من ذلك مبلغا مذكورا ، ولا يغني فيه غناء محمودا ، ولو كلف عامة من يطلب العلم ، ويصطنع الكتب ، ألا يزال حافظا لفهرس كتبه لأعجزه ذلك ، ولكلفه شططا ، ولشغله ذلك عن كثير مما هو أولى به ، ففهمك لمعاني كلام الناس ينقطع قبل انقطاع فهم عين الصوت مجردا ، وأبعد فهمك لصوت صاحبك ومعاملتك ، والمعاون لك ما كان صياحا صرفا ، وصوتا مصمتا ، ونداء خالصا ، ولا يكون مع ذلك إلا وهو بعيد من المفاهمة ، وعطل من الدلالة ، فجعل الله جل وعز اللفظ لأقرب الحاجات ، والصوت لأنفس من ذلك قليلا ، والكتاب للنارح من الحاجات .

فأما الإشارة فأقرب منها رفع الحواجب ، وكسر الأجفان ، ولي الشفاه ، وتحريك الأعناق ، وقبض جلدة الوجه ، وأبعدها أن تلوى بثوب على مقطع جبل تجاه عين الناظر ، ثم ينقطع عملها ، ويدرس أثرها ، ويموت ذكرها ، وتصير بعد كل شيء

فضل عن انتهاء مدة الصوت ، ومنتهى الطرف في الحاجة ، الى التفاهم بالخطوط والكتب ، فأى نفع أعظم وأى مرفق أعون من الخط ، والحال فيه كما ذكرنا !

وليس للعقد حظ الاشارة في بعد الغاية ، ولا للاشارة حظ الخط في بعد الغاية . فلذلك وضع الله عز وجل القلم في المكان الرفيع ، ونوه بذكره في المنصب الشريف حين قال : (ن والقلم وما يسطرون) فأقسم بالقلم كما أقسم بما يخط بالقلم اذ كان اللسان لا يتعاطى شأوه ، ولا يشق غباره ، ولا يجرى في حليته ، ولا يتكلف بعد غايته ، ولكن لما كانت حاجات الناس بالحضرة أكثر من حاجاتهم في سائر الأماكن ، وكانت الحاجة الى بيان اللسان حاجة دائمة راکدة ، وراهنه ثابتة ، وكانت الحاجة الى بيان القلم أمرا يكون الغيبة وعند النائية ، الا ما خصت به الدواوين . فان لسان القلم هناك أبسط ، وأثره أعم ، فلذلك قدموا اللسان على القلم ، فاللسان الآن انما هو في منافع اليد والمرافق التي فيها ، والحاجات التي تبلغها ، فمن ذلك حظها وقسطها من منافع الاشارة ، ثم نصيبها في تقويم القلم ، ثم حظها في التصوير ، ثم حظها في الصناعات ، ثم حظها في العقد ، ثم حظها في الدفع عن النفس ، ثم حظها في ائصال الطعام والشراب الى الفم ، ثم التوضؤ والامتناع ، ثم انتقاد الدناير والدراهم ، ثم لبس الثياب ، وفي الدفع عن النفس أصناف اليرمى ، وأصناف الضرب ، وأصناف الطعن ، ثم الضرب التقن بالعود وتحريك الوتر ، ولولا ذلك لبطل الطرب كله أو عامته ، وكيف لا تكون كذلك ولها ضرب الطبل والدف وتحريك الصفاقتين ، وتحريك مخارق خروق المزامير ، وما في ذلك من الاطلاق والحبس ، ولو لم يكن في اليد الا امساك العنان والزماد والخطام ، لكان ذلك من أعظم الحظوظ .

وقد اضطربوا في الحكم بين العقد والاشارة ، ولولا أن مغرانا في هذا الكتاب سوى هذا الباب لقد كان هذا مما أحب أن يعرفه اخواننا وخطاؤنا ، ولا ينبغي لنا أيضا أن نأخذ في هذا الباب من الكلام الا بعد الفراغ مما هو أولى بنا منه ، اذ كنت لم تذازعنى ، ولم تعب كتبي من طريق فضل ما بين العقد والاشارة ، ولا في تمييز ما بين اللفظ وبينهما ، وانما قصدنا بكلامنا الى الاخبار عن فضل الكتب .

والكتاب هو الذى قيد على الناس كتب علم الدين ، وحساب الدواوين ، مع خفة ثقله ، وصغر حجمه ، صامت ما أسكته ، وبليغ اذا استنطقته ، ومن لك بمسام لا يبتدئك في حال شغلك ، ويدعوك في أوقات نشاطك ، ولا يجوجك الى التجميل له ، والتدميم منه ، ومن لك بزائر ان شئت جعل زيارته غبا ، ووزوده خمسين ، وان شئت لزمتك ازوم ظلك ، فكان منك مكان بعضك .

والقلم مكتف بنفسه ولا يحتاج الى ما عند غيره ، ولا بد لبيان اللسان من أمور ،
منها : اشارة اليد ، ولولا الاشارة لما فهموا عنك خاص الخاص ، اذا كان أخص الخاص
قد يدخل فى باب العام ، الا أنه أدنى طبقاته ، وليس يكتفى خاص الخاص باللفظ
عما أداه ، كاكْتفاء عام العام ، والطبقات التى بينه وبين أخص الخاص .

والكتاب هو الجليس الذى لا يطربك ، والصديق الذى لا يفريك ، والرفيق
الذى لا يملك ، والمستمخىج الذى لا يستزيدك ، والجار الذى لا يستبطنك ، والصاحب
الذى لا يريد استخراج ما عندك بالملق ، ولا يعاملك بالمر ، ولا يخدعك بالنفاق ،
ولا يجتال لك بالكذب .

والكتاب هو الذى ان نظرت فيه أطال امتاعك ، وشجذ طباعك ، وبسط لسانك ،
وجود بيانك ، وفخم الفاظك ، وبجع نفسك ، وعمر صدرك ، ومنحك تعظيم العوام ،
وصداقة الملوم ، وعرفت به فى شهر ما لا تعرفه من أفواه الرجال فى دهر مع السلامة
من الغرم ، ومن كد الطلب ، ومن الوقوف بباب المتكسب بالتعليم ، وبالجلوس بين
يدين من أنت أفضل منه خلقا ، وأكرم غرقا ، ومع السلامة من مجالسة البغضاء ،
ومقارنة الأغبياء .

والكتاب هو الذى يطيعك بالليل كطاعته بالنهار ، ويطيعك فى السفر كطاعته
فى الحضر ، ولا يعتل بنوم ، ولا يعتريه كلال السهر ، وهو المعلم الذى ان افتقرت
لم يحقرك ، وان قطعت عنه المادة لم يقطع عنك الفائدة ، وان عزلت لم يدع طاعتك ،
وان هبت ريح أعاديك لم ينقلب عليك ، ومتى كنت منه متعلقا بسبب ، أو معتصما
بأدنى حبل ، لم تضطرك معه وحشة الوحدة الى جليس السوء ، ولو لم يكن من فضله
عليك ، واحسانه اليك ، الا منعه لك من الجلوس على بابك ، والنظر الى المارة بك ،
مع ما فى ذلك من التعرض للحقوق التى تلزم ، ومن فضول النظر ، ومن عادة الخوض
فيما لا يعينك ، ومن ملايسة صغار الناس ، ومن حضور أفاظهم الساقطة ، ومعانيهم
الفاسدة ، وأخلاقهم الرديئة ، وجهالاتهم المذمومة ، لكان فى ذلك السلامة ثم الغنيمة ،
واحراز الأصل مع استفادة الفرع ، ولو لم يكن فى ذلك الا أن يشغاك عن سخط
المنى ، وعن اعتياد الراحة ، وعن اللعب ، وكل ما أشبه اللعب ، لقد كان فى ذلك
على صاحبه أسبغ النعمة ، وأعظم المنة ، وقد علمنا أن أمثل ما يقطع به الفراغ
نهارهم ، وأصحاب الفكاهات ساعات ليلهم ، هو الشئ الذى لا ترى له فيهم مع
النيل أثرا فى ازدياد فى تجربة ولا فى عقل ، ولا فى مروعة ولا فى صون عرض ،
ولا فى اصلاح دين ، ولا فى تثير مال ، ولا فى تربية صنيعة ، ولا فى ابتداء بانعام .

قال أبو عبيدة قال المهلب لبنيه في وصيته : يا بني لا تقفوا في الأسواق الا على زراد أو ورق .

وحدثني صديق لي قال : قرأت على شيخ شامي كتابا فيه مآثر غطفان ، فقال لي : ذهبت المكارم الا من الكتب ، وسمعت الحسن اللؤلؤي يقول : عبرت أربعين عاما ما قلت ولا بت التكات الا والكتاب موضوع على صدرى ، وقال ابن الجهم : اذا غشيتي النعاس في غير وقت نوم وبئس الشيء النوم الفاضل عن الحاجة ، تناولت كتابا من كتب الحكم فأجد اهتزازي للفوائده ، والأريحية التي تعتريني عند الظفر ببعض الحاجة ، والذي يغشى قلبي من سرور الاستبانة ، وعز التبين ، أشد ايقاظا من نهيق الحمير ، وهذه الهدى .

وقال ابن الجهم : اذا استحسنت الكتاب واستجدته ، ورجوت منه الفائدة ، ورأيت ذلك فيه ، فلو تروني وأنا ساعة بعد ساعة أبصر كم بقي من ورقه مخافة استنفاده ، وانقطاع المادة من قبله ، وان كان المصحف في عظيم الحجم ، وكان الورق كثير العدد ، لرأيت كيف تم عيشي ، وكمل سروري .

وذكر القيني كتابا لبعض القدماء فقال : لولا طوله ، وكثرة ورقه ، لنسخته ، قال ابن الجهم : لكنني ما رغبت فيه الا الشيء الذي زهدك فيه ، وما قرأت كتابا قط كبيرا فأخلاني من فائدة ، وما أحصى كم قرأت من صغار الكتب فخرجت منها كلما دخلت .

وقال القيني ذات يوم لابن الجهم : ألا تتعجب من فلان ! نظر في كتاب الاقليدس مع جارية سلمويه في يوم واحد وساعة واحدة ، فقد فرغت الجارية من الكتاب وهو بعد لم يحكم مقالة واحدة ، على أنه حر مخير وتلك أمة مقصورة ، وهو أحرص على قراءة الكتب من سلمويه على تعليم جاريته ، قال ابن الجهم : قد كنت أظن أنه لا يفهم منه شيئا واحدا ، وأراك تزعم أنه قد فرغ من مقالة ، قال القيني : وكيف ظننت به هذا الظن كله وهو رجل ذو لسان وأدب ؟ قال : لأنني سمعته يقول لابنه : كم أنفقت على كتاب كذا وكذا ؟ قال : أنفقت كذا وكذا ، قال : انما رغبتني في العلم أني ظننت أني أنفق قليلا واكتسب كثيرا ، فأما اذ صرت أنفق الكثير وليس في يدي منه الا المواعيد فاني لا أريد العلم بشيء : والانسان لا يعلم حتى يكثر سماعه ، ولا بد من أن تصير كتبه أكثر من سماعه ، ولا يعلم ولا يجمع ولا يختلف حتى يكون الاتفاق عليه من ماله الذي عنده من الاتفاق من مال عدوه ، ومن لم تكن نفقته التي تخرج في الكذب الذي عنده من عشاق القيان ، والمستهترين بالبنيان ، لم يبلغ في العلم مبلغا رضيا . وليس ينتفع بانفاقه حتى يؤثر لذة اتخاذ الكتب ايثار الأعرابي فرسه باللبن على عياله ، وحتى يؤمل في العلم ما لا يؤمل الأعرابي في فرسه .

وقال ابراهيم بن السندی مرة : وددت أن الزنادقة لم يكونوا حرضاء على المغالاة بالورق النقي الأبيض ، ولا على تخير الحبر الأسود البراق ، ولا على استجادة الخط والارغاب لمن يخط ، فاني لم أر كورق كتبهم ورقا ، ولا كالخطوط التي فيها خطأ . واني غرمت مالا عظيما مع حبي للمال وبغضى للغرم ، لأن سخاء النفس بالانفاق على الكتب دليل على تعظيم العلم ، وتعظيم العلم دليل على شرف النفس وعلى السلامة من سكر الآفات . وقلت لابراهيم : ان انفاق الزنادقة على الكتب كانفاق النصارى على البيع ، ولو كانت كتب الزنادقة كتب حكمة ، وكتب فلسفة ، وكانت مقاييس تبين ، أو لو كانت كتبهم كتبيا تعرف الناس أبواب الصناعات ، أو سبل التكسب والتجارات ، أو كتب ارفاق ورياضات ، أو بعض ما يتعاطاه الناس من الفطن والأدب ، أو كان ذلك لا يقرب من غنى ، ولا يباعد من مآثم ، لكانوا ممن قد يجوز أن يظن بهم تعظيم البيان والرغبة في التبيين ، ولكنهم ذهبوا فيها مذهب الديانة على طريق تعظيم الملة ، فأنما انفاقهم في ذلك كانفاق المجوس على بيت النار ، وكانفاق النصارى على صلبان الذهب ، أو كانفاق الهند على سدنة البد ، ولو كانوا العلم أرادوا لكان العلم لهم مغرضا ، وكتب الحكمة لهم مبدولة ، والطرق اليها سهلة معروفة ، فما بالهم لا يصنعون ذلك الا يكتب ديانتهم كما يزخرف النصارى بيوت عبادتهم ، ولو كان هذا المعنى مستحسنا عند المسلمين ، وكانوا يرون أن ذلك داعية الى العبادة وباعثة على الخشوع ، لبلغوا في ذلك بعفوههم ما لا يبلغه النصارى بغاية الجهد .

وقد رأيتم مسجد دمشق حين استجاز هذا السبيل ملك من ملوكنا ، ومن رآه فقد علم أن أحدا لا يرومه ، وأن الروم لا تسخو أنفسهم به ، فلما قام عمر بن عبد العزيز جلله بالجلال وغطاه بالكراميس (١) ، وطبخ سلاسل القناديل حتى ذهب عنها ذلك التلألؤ والبريق ، وذهب إلى أن ذلك الصنيع مجانب لسنة الاسلام ، وأن ذلك الحسن الرائع والمحاسن الدقاق مذهلة للقلوب ، مشغلة دون الخشوع ، وأن البال لا يكون مجتمعا وهناك شيء يفرقه ويعترض عليه .

والذي يدلنا على ما قلنا أنه ليس في كتبهم مثل سائر ، ولا خبر طريف ، ولا صنعة أدب ، ولا حكمة غرزية ولا فلسفية ، ولا مسألة كلامية ، ولا تعريف صناعة ، ولا استخراج آلة ، ولا تعليم فلاحه ، ولا تدبير حرب ، ولا مقارعة عن دين ، ولا مناضلة عن نحلة ، وجله ذكر النور والظلمة ، وتناكح الشياطين ، وتسافد العفاريت ، وذكر الصنديد والتهويل بعمود السنخ ، والاخبار عن شقلون وعن الهامة والهمامة ، وهذر وعى ودعوى وخرافة وسخف وتكذب ، لا ترى فيه موعظة حسنة ، ولا حديثا مؤثقا ، ولا تدبير معاش ولا سياسة عامة ، ولا ترتيب خاصة ، فأى كتاب

(١) الكراميس جمع كراميس : ثوب من القطن الأبيض وقيل : الثوب الخشن ، فارسي معرب .

أجهل ، وأى تدبير أفسد من كتاب يوجب على الناس الطاعة والبخوع بالديانة على الاستبصار والمحبة ، وليس فيه صلاح معاش ، ولا تصحيح دين ، والناس لا يجيبون إلا ديناً أو دنياً .

فأما الدنيا فاقامة سوقها واحضار نفعها . وأما الدين فأقل ما يطمع في استجابة العامة واستمالة الخاصة ، أن يصور في صورة مغلفة ، ويموه تمويه الدينار البهرج والدرهم الزائف الذى يغلط فيه الكثير ويعرف حقيقته القليل . فليس انفاقهم عليها من حيث ظننت . وكل دين يكون أظهر اختلافاً وأكثر فساداً يحتاج من الترقيع والتبويه ومن الاحتشاد له والتغليظ فيه إلى أكثر من غيره .

وقد علمت أن النصرانية أشد انتشاراً من اليهودية تعبدًا ، فعلى حسب ذلك يكون تزيدهم في توكيده ، واحتفالهم في اظهار تعظيمه .

وقال بعضهم : كنت عند بعض العلماء فكنت أكتب عنه بعضاً وأدع بعضاً ، فقال لى : اكتب كل ما تسمع ، فإن أخس ما تسمع خير من مكانه أبيض . وقال الخليل ابن أحمد : تكثر من العلم لتعرف ، وتقلل منه لتحفظ . وقال أبو اسحاق : القليل والكثير للكتب ، والقليل وحده للصدر ، وأشد قول ابن يسير :

أما لو أعى كل ما أسمع * واحفظ من ذاك ما أجمع
ولم استفد غير ما قد جمع * ست لقل هو العالم المقنع
ولكن نفسى إلى كل نـو * ع من العلم تسمعه تنزع
أشاهد بالعى فى مجلسى * وعلمى فى البيت مستودع
فلا أنا أحفظ ما قد جمع * ست ولا أنا من جمعه أشبع
ومن يك فى علمه هكذا * يكن دهره القهقرى يرجع
إذا لم تكن حافظاً واعياً * فجمعك للعالم لا ينفع

قال أبو اسحاق : كلف ابن يسير الكتب ما ليس عليها ، إن الكتب لا تحي الموتى ، ولا تحول الأحق عاقلاً ، ولا البليد ذكياً ، وذلك أن الطبيعة إذا كان فيها أدنى قبول فالكتب تشحن وتفتق وترهف وتشفى ، ومن أراد أن يعلم كل شئ فينبغى لأهله أن يداووه ، فإن ذلك إنما تصور له لشيء اعتراه . فمن كان عاقلاً ذكياً حافظاً فليقصد إلى شيئين أو ثلاثة أشياء : فلا ينزع عن الدرس والمطارحة ، ولا يدع أن يمر على سمعه وعلى بصره وعلى ذهنه ما قدر عليه من سائر الأصناف فيكون عالماً بخواص ويكون غير غفل من سائر ما يجرى فيه الناس ويخوضون فيه ، ومن كان مع الدرس لا يحفظ شيئاً إلا نسي أكثر منه فهو من الحفظ من أفواه الرجال أبعد .

رحدتنى موسى بن يحيى قال : ما كان فى خزانة كتب يحيى وفى بيت مدرسه كتاب الا وله فيه ثلاث نسخ .

وقال أبو عمرو بن العلاء : ما دخلت على رجل قط ولا مررت ببابه فرايته ينظر فى دفتر وجليسه فارغ اليد الا اعتقدت أنه أعقل منه وأفضل .

قال أبو عمرو وقيل لنا يوما : ان فى دار فلان ناسا قد اشتملوا على سوءة ، وهم جلوس على خميرة لهم وعندهم طيبور ، قال : فذمرنا عليهم فى جماعة من رجال الحى ، فاذا فتى جالس فى وسط الدار واذا أصحابه حوله ، واذا هم بيض اللحي ، واذا هو يقرأ عليهم كتاب شعر ، فقال الذى كان سعى بهم : السوءة فى ذلك البيت ، وان دخلتموه عثرتم بها ، قال قلت : والله لا أكشف فتى أصحابه شيوخ وفى يده دفتر علم ولو كان فى ثوبه دم يحيى بن زكريا . قال وأنشد رجل يونس النحوى قوله :

أستودع العلم قرطاسا فضيعة * فبئس مستودع العلم القراطيس

قال فقال يونس : قاتله الله ، ما أشد ضيافته بالعلم وأحسن صيانتة له ! ان عامك من روحك ، ومالك من بدنك ، فضعه منك بمكان الروح ، وضع مالك بمكان البدن .

وقيل لابن داحة وأخرج كتاب أبى الشمقمق واذا هو فى جلود كوفينة ودفنتين طائفتين ويخط عجيب ، فقيس (١) له : لقد ضيع درهمه من تجود لشعر أبى الشمقمق ، قال : لا جرم والله ان العلم ليعطيكم على حساب ما تعطونه ، ولو استطعت أن أودعه سويداء قلبى وأجعله مخطوطا على ناظرى لفعلت .

ولقد دخلت على اسحاق بن سليمان فى امرته ، فرأيت السماطين بين يديه والرجال مثولا كأن على رؤوسهم الطير ، ورأيت فرشته (٢) وبزته ، ثم دخلت عليه وهو معزول ، واذا هو فى بيت كتبه وحواليه الأسفاط والرفوف والقماطر والدفاتر والمساطر والمحابر ، فما رأيته قط أفخم ولا أنبل ولا أهيب ولا أجزل منه فى ذلك اليوم ، الا أنه جمع مع المهابة المحبة ، ومع الفخامة الحلاوة ، ومع السودد الحكمة .

(١) كذا فى الاصل ، ولعلها زلعة .

(٢) الفرشة : الهيئة .

وقال ابن داحية : كان عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب لا يجالس الناس ، ونزل مقبرة من المقابر ، وكان لا يكاد يرى الا وفي يده كتاب يقرؤه . فسئل عن ذلك وعن نزوله المقبرة ، فقال : لم أر أوعظ من قبر ، ولا أمتع من كتاب ، ولا أسلم من الوحدة ، فقليل له : فقد جاء في الوحدة ما قد جاء ، قال : ما أفسدها للجاهل وأصلحها للعاقل^١

وضروب من الخطوط بعد ذلك تدل على قدر منفعة الخط ، قال الله تبارك وتعالى : (كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون) وقال الله عز وجل : (في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة) وقال : (فأما من أوتي كتابه يمينه) وقال : (وأما من أوتي كتابه وراء ظهره) وقال : (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا)

الترغيب في اصطناع الكتب

(وبعد أن تكلم عن الخط في الأرض عند التفكير وما قيل في ذلك من الأشعار ، وذكر الخط ومقدار الحاجة اليه ، وتاريخ الشعر قبل الاسلام ، وبيان أن فضيلته مقصورة على العرب ، استطراد القول بالترغيب في اصطناع الكتب) فقال :

« أن على من شكر المعرفة بمغاوى الناس ومراشدهم ومضارهم ومتأفغهم ، أن يحتمل ثقل مؤونتهم في معرفتهم ، وأن يتوخى ارشادهم وأن يجهلوا فضل ما يشهدون اليهم . ولن يصاب العلم بمثل بذله ، ولن تستبقى النعمة فيه بمثل نشره . على أن قراءة الكتب أبلغ في ارشادهم من تلاميذهم ، إذ كان مع التلاقي يشنئ التصنع ، ويكثر انتظام ، وتفطت العصبية ، وتقوى الحمية ، وعند المواجهة والمقابلة يشتد حب الغلبة ، وشهوة المباهاة والرياسة مع الاستحياء من الرجوع ، والأنفة من الخضوع ، وعن جميع ذلك تحدث الضغائن ويظهر التباين ، فإذا كانت القلوب على هذه الصفة وعلى هذه الهيئة ، امتنعت من التعرف ، وعميت عن موضع الدلالة ، وليست للكتب علة تمنع من درك البغية ، واصابة الحجة ، لأن المتوحد بدرسها والمنفرد بفهم معانيها ، لا يباهى نفسه ، ولا يغالب عقله ، وقد علم من له يباهى ، ومن أجله يغالب ، والكتاب قد يفضل صاحبه ويتقدم مؤلفه ، ويرجع قلعه على لسانه بأمور :

منها ، أن الكتاب يقرأ بكل مكان ، ويظهر ما فيه على كل لسان ، ويوجد مع كل زمان على تفاوت ما بين الأعصار ، وتباعد ما بين الأمصار ، وذلك أمر يستحيل في واضع الكتاب ، والمنازع بالمسألة والجواب ، ومناقلة اللسان وهدايته لا تجوزان مجلس صاحبه ، مبلغ صوته ، وقد يذهب الحكيم وتبقى كتبه ، ويقنى العقل ويبقى

أثره . ولولا ما تسمت لنا الأوائل في كتبها ، وخلدت من عجيب حكمتها ، ودونت من أنواع سيرها ، حتى شاهدنا بها ما غاب عنا ، وفتحنا بها كل مستغلق كان علينا ، فجمعنا الى قليلنا كثيرهم ، وأدركنا ما لم نكن ندركه الا بهم ، لقد خس حظنا من الحكمة ، وضعف سبيلنا الى المعرفة ، ولو ألجئنا الى قدر قوتنا ، ومبلغ خواطرننا ، ومنتهى تجربتنا لما تدركه حواسنا وتشاهد نفوسنا ، لقد قلت المعرفة ، وقصرت الهمة ، وانتقضت المنة ، وعاد الرأي عقيما ، والخاطر فاسدا ، ولكل الحد ، وتبدل والعقل . وأكثر من كتبهم نفعا ، وأشرف منها خطرا ، وأحسن موقعا ، كتب الله تعالى التي فيها الهدى والرحمة ، والاخبار عن كل عبرة ، وتصريف كل سيئة وحسنة . وما زالت كتب الله تعالى في الألواح والصحف والمهراق (١) والمصاحف ، فقد قال الله عز وجل : (ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه) وقال : (ما فرطنا في الكتاب من شيء) ويقال لأهل التوراة والانجيل : أهل الكتاب . وينبغي أن يكون سبيلنا لمن بعدنا كسبيل من كان قبلنا فينا . على أنا قد وجدنا من العبرة أكثر مما وجدوا ، كما أن من بعدنا يجد من العبرة أكثر مما وجدنا ، فيما ينتظر العالم باظهار ما عنده ، وما يمنع الناصر للحق من القيام بما يلزمه ، وقد أمكن القول ، وصلح الدهر ، وهوى نجم التقية ، وهبت ريح العلماء ، وكسد العي والجهل ، وقامت سوق البيان والعلم . والإنسان ليس يجد في كل حال انسانا يدرسه ومقوما يثقفه ، والصبر على افهام الرضي شديدا ، وصرف النفس عن مغالبة العالم أشد منه هما .

المتعلم يجد في كل مكان الكتاب عتيدا ، وربما يحتاج اليه قائما . وما أكثر من فرط في التعلم أيام خمبول ذكره وأيام حداثة سنه ! . ولولا جياذ الكتب وحسنها ، ومبينها ومختصرها ، ثم تحركت همم هؤلاء لطلب العلم ، ونازعت الى حب الأدب ، وأنفتحت من حال الجهل وأن تكون في غمار الحشو لدخل على هؤلاء من الضرر والمضرة والجهل وسوء الحال ما عسى ألا يمكن الاخبار عن مقداره الا بالكلام الكثير .

ولذلك قال عمر رضي الله تعالى عنه : تفقهوا قبل أن تسردوا . وقد تجد الرجل يطلب الآثار وتأويل القرآن ويجالس الفقهاء خمسين سنة ، ولا يعد فقيها ولا يجعل قاضيا ، وما هو الا أن ينظر في كتب أبي حنيفة وأشعياح أبي حنيفة ، ويحفظ كتب الشروط في مقدار سنة أو سنتين حتى تمر ببابه فتظن أنه باب بعض العمال ، وبالحرى ألا يمر عليه من الأيام الا اليسير حتى يصير حاكما على مصر من الأمصار ، أو بلدة من البلدان .

(١) المهراق جمع مهراق ، وهو ثوب حرير أبيض يصقى بالصمغ ويصقل ثم يكتب فيه ، فارسي

وينبغي لمن كتب كتابا ألا يكتبه إلا على أن الناس كلهم له اعداء ، وكلهم عالم بالأمور ، وكلهم متفرغ له ، ثم لا يرضى بذلك حتى يدع كتابه يغيب ويختمر ، ولا يثق بأن رأى القدير ، فإن لا ابتداء الكتاب فتنة وعجبا ، فإذا سكنت الطبيعة وهذات الحركة ، وتراجعت الأخلاط ، وعادت النفس وافرة ، أعاد النظر فيه وتوقف عند فصوله توقف من يكون وزن طمعه في السلامة أنقص من وزن خوفه من العيب ، ويتفهم معنى قول الشاعر :

ان الحديث تغر القوم خلوته * حتى يكون لهم عى واكثار

ويقف عند قولهم في المثل : « كل مجر في الخلاء يسر » ، فيخاف أن يعتريه ما يعترى من أجرى فرسه وحده ، أو خلا بقلمه عند فقد خصومه وأهل المزية من أهل صناعته . وليعلم أن صاحب القلم يعترى المؤدب عند ضربه وعقابه ، فما أكثر من يعزم على عشرة أسواط فيضرب مائة ، لأنه ابتداء الضرب وهو ساكن الطباع فأراه السكون أن الصواب في الاقلال ، فلما ضرب تحرك دمه فأشاع فيه الحرارة وزاد في غضبه ، فأراه الغضب أن الرأى في الاكثار ، وكذلك صاحب القلم ، فما أكثر من يبندىء الكتاب وهو يريد مقدار سطرين فيكتب عشرة ! . والحفظ مع الاقلال أمكن ، وهو مع الاكثار أبعد .

واعلم أن العاقل ان لم يكن بالمشيع فكثيرا ما يغر من ولده ويحسن في عينه منه الفبيح في عين غيره ، فليعلم أن لفظه أقرب اليه نسبيا من ابنه ، وحركته أمس به رحما من ولده ، لأن حركته شيء أحدثه من نفسه وبذاته ، ومن عين جوهره فصلت ، ومن نفسه كانت ، وإنما الولد كالمخطة يمتخطها ، وكالنجامة يقذفها ، ولا سواء اخراجك من نفسك شيئا لم يكن منك ، واظهارك حركة لم تكن حتى كانت منك ، ولذلك نجد فتنة الرجل بشعره وفتنته بكلامه وكتبه ، فوق فتنته بجميع نعمته .

وليس الكتاب الى شيء أحوج منه الى افهام معانيه حتى لا يحتاج السامع بما فيه الى البروية فيه . ويحتاج من اللفظ الى مقدار يرتفع به عن ألفاظ السفلة والحشو ، ويحطه عن غريب الأعراب ، ووحشى الكلام . وليس له أن يهذب جدا وينقحه ويصفيه ويزوقه حتى لا ينطق إلا باللب وبالسر ، وباللفظ الذى قد حذف فضوله وتعرق زوائده ، حتى عاد خالصا لا شوب فيه ، فانه ان فعل ذلك لم يفهم عنه إلا بأن يجدد لهم افهاما وتكرارا ، لأن الناس كلهم قد تعودوا المبسوط من الكلام ، وصارت افهامهم لا تزيد على عاداتهم إلا بأن تعطس عليها وتتخذ بها ، ألا ترى أن كتاب المنطق الذى قد وسم بهذا الاسم لو قرأته على جميع خطباء الأمصار وبلغاء الأعراب لما فهموا أكثره ، وفي كتاب اقليدس ، كلام يدور وهو عربى وقد صفى ، ولو سمعه بعض

الخطباء لما فهمه ، الا بأن يفهمه من يريد تعليمه ، لأنه يحتاج الى أن يكون قد عرف جهة الأمر ، وتعود اللفظ المنطقي الذي استخرج من جميع الكلام .

وقد قال معاوية بن أبي سفيان رضى الله تعالى عنهما لصحار العبدى : ما الايجاز؟ قال أن نجيب فلا تبطىء ، وتقول فلا تخطىء ، قال معاوية : أو كذاك تقول . قال صحار : أقلنى يا أمير المؤمنين ، لا تخطىء ولا تبطىء . فلو أن سائلا سألك عن الايجاز فقلت : لا تخطىء ولا تبطىء وبحضرتك خالد بن صفوان لما عرف بالبديهة وعند أول وهلة أن قولك لا تخطىء مضمن بالقول ، وقولك لا تبطىء مضمن بالجواب . وهذا حديث - كما ترى - قد ارتضوه ورووه ، ولو أن قائلًا قال لبعضنا : ما الايجاز؟ فقلنت أنه كان سيقول الاختصار والايجاز ، ليس يعنى به قلة عدد الحروف واللفظ . وقد يكون الباب من الكلام من أتى عليه فيما يسع بطن طومار (١) فقد أوجز ، وكذلك الاطالة . وانما ينبغى أن يحذف بقدر ما لا يكون سببا لاغلاقه ولا يردد وهو يكتفى فى الافهام بشطره ، فما فضل عن المقدار فهو الخطل .

وقلت لأبى الحسن الأخفش : أنت أعلم الناس بالنحو ، فلم لا تجعل كتبك مفهومة كلها؟ وما بالناس نفهم بعضها ولا نفهم أكثرها ، وما بالك تقدم بعض العويص وتؤخر بعض المفهوم؟ قال : أنا رجل لم أضع كتبى هذه لله ، وليست هى من كتب الدين ، ولو وضعتها هذا الوضع الذى تدعونى اليه قلت حاجاتهم الى فيه ، وانما غايتى المنالة ، فاذا أضع بعضها هذا الوضع المفهوم لتدعوهم حلاوة ما فهموا الى التماس فهم ما لم يفهموا ، وأنا قد كسبت فى هذا التدبير اذ كنت الى التكسب ذهبت ، ولكن ما بال ابراهيم النظام وفلان وفلان يكتبون الكتب لله بزعمهم ، ثم يأخذها مثلى فى موافقته وحسن نظره وشدة عنايته ، فلا يفهم أكثرها؟

وأقول لو أن يوسف السمى كتب هذه الشروط أيام جلس سلمان بن ربيعة شهرين للقضاء فلم يتقدم اليه رجلان والقلوب سليمة والحقوق على أهلها موفرة ، لكان ذلك خطلا ولغوا ، ولو كتب فى دهرنا شروط دهر سلمان لكان ذلك غرارة ونقصا ، وجهلا بالسياسة وما يصلح لكل دهر ، ووجدنا الناس اذا خطبوا فى صلح بين العشائر أطالوا ، واذا أنشدوا الشعر بين السماطين فى مدح الملوك أطالوا ، فللاطالة موضع وليس ذلك بخطل ، وللاقلال موضع وليس ذلك من عجز .

ولولا أنى أتكلم على أنك لا تمل باب القول فى البعير حتى تخرج الى الفيل ، وفى الذرة حتى تخرج الى البعوضة ، وفى العقرب حتى تخرج الى الحية ، وفى الرجل

(١) الطومار : الصحيفة .

حتى نخرج الى المرأة ، وفي الذبان والنحل حتى تخرج الى الغربان والعقبان ، وفي الكلب حتى تخرج الى الديك ، وفي الذئب حتى تخرج الى الضبع ، وفي الظلف حتى تخرج الى الحافر ، وفي الحافر حتى تخرج الى الخف ، وفي الخف حتى تخرج الى البرنز ، وفي البرنز حتى تخرج الى المخلب ، وكذلك القول في الطير وعامة الأصناف ، لرأيت أن ذلك يوجب الملل ، ويعقب الفترة المانعة من البلوغ في الفهم ، وتعرف ما يحتاج منه الى التعرف ، فرأيت أن جملة الكتاب وان كثر عدد ورقه ، أن ذلك ليس مما تمل من كثرة قراءته أبدا وتعتد على ما فيه بالاطالة ، لأنه وان كان كتابا واحدا فانه كتب كثيرة ، وكل مصحف منها أم على حدة . فان أراد قراءة الجميع لم يطل عليه الباب الأول حتى يهجم على الثاني ، ولا الثاني حتى يهجم على الثالث ، فهو أبدا مستفبد ومستطرف ، وبعضه يكون جماما لبعض ، ولا يزال نشاطه زائدا ، ومتى خرج من آي القرآن صار الى أثر ، ومتى خرج من أثر صار الى خبر ، ثم يخرج من الخبر الى شعر ، ومن الشعر الى نوادر ، ومن النوادر الى حكم عقلية ومقاييس سداد ، ثم لا يترك هذا الباب فلعله أن يكون أثقل ، والملل اليه أسرع ، حتى يفضي به الى مزح وفكاهة والى سخف وخرافة . ولست أراه سخفا اذ كنت انما استعملت سيرة الحكماء ومأدبة العلماء ، ورأينا الله تبارك وتعالى اذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي والحذف ، واذا خاطب بنى اسرائيل أو حكى عنهم جعله مبسوطا وزاد في الكلم . فأصوب العمل اتبع آثار العلماء والاحتذاء على مثال القدماء ، والخذ بما عليه الجماعة . وقال ابن يسير في صفة الكتب في كلمة له :

أقبلت أهرب لا آلو مباعلة *	في الأرض منهم فلم يحصني الهرب
بقصر أوس فما والت خناده *	الى النواويس فالماخور فالخرب
فأبما موئل منها اعتصمت به *	فمن ورائي حيثما منهم الطلب
لما رأيت بأنى غير معجزهم *	فوتا ولا هربا قربت احتجب
وصرت في البيت مسرورا به جدلا *	جارا لبوة لا شكوى ولا شغب
فردا تحدثني الموتى وتنطق لي *	عن علم ما غاب عنى منهم الكتب
هم مؤنسون وآلاف غنيت بهم *	فليس لي فسي أنيس غيرهم أرب
لله من جلساء لا جلسهمو *	ولا عشيرهمو للسوء مرتقب
لا بادرات الأذى يخشى رفيقهم *	ولا يلاقيه منهم منطق ذرب
أبقوا لنا حكما تبقى منافعها *	أخرى الليالي على الأيام وانشعبوا
فأبما أدب منهم مددت يدي *	يوما اليه فدان من يدي كتب
إن شئت من محكم الآثار يرفعها *	الى النبي ثقات برة نجيب
أو شئت من عرب علما بأولها *	في الجاهلية أنبتني به العرب

أو شئت من سير الأملاك من عجم * تنبي وتخبر كيف الراى والأدب
حتى كائن قد شاهدت عصرهمو * وقد مضت دونه من دهرهم حقب
يا قائلًا قصرت في العلم نهيته * أمسى الى الجهل فيما قال ينتسب
ان الأوائسل قد بانوا بعلمهم * خلاف قولك قد ماتوا وقد ذهبوا
ما مات منا امرؤ أبقي لنا أدبا * يكون منه اذا ما مات يكتسب

وقال أبو وجزة وهو يصف صحيفة كتب له فيها بستين وسقا :

راحت بستين وسقا في حقيبتها * ما حملت حملها الأدنى ولا السددا
ولا رايت قلوصلًا قبلها حملت * ستين وسقا ولا جابت بها بلدًا

وقال الراجز :

تعلمن أن الدواة والقلم * تبقى ويفنى حادث الدهر الغنم

يقول كتابك الذي تكتبه على يبقى فتأخذني به وتذهب غنمي فيما يذهب .
ومما يدل على نفع الكتاب أنه لولا الكتاب لم يجوز أن يعلم أهل الرقة والموصل وبغداد
رواسط ما كان بالبصرة وحدث بالكوفة في بياض يسوم ، فتكون الحادثة بالكوفة
غدوة فيعلمها أهل البصرة قبل المساء .

وذلك مشهور في الحمام الهدي : اذا جعلت بردا قال الله جل وعز ، وذكر
سليمان ومملكه الذي لم يؤت أحدا مثله ، فقال : (وتفقد الطير فقال ما لي لا أرى الهدد)
الى قوله : (أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين) . فلم يلبث أن قال الهدد :
(وجئتك من سبأ نبأ يقين اني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش
عظيم) . قال سليمان : (اذهب بكتابي هذا فאלقه اليهم) وقد كان عنده من يبلغ
الرسالة على تمامها من عفريت ومن بعض من عنده علم من الكتاب فرأى أن الكتاب
أيهى وأنبى وأكرم وأفخم من الرسالة عن ظهر لسان وإن أحاط بجميع ما في الكتاب .
وقالت ملكة سبأ : (يأيها الملأ انى ألقى الى كتاب كريم) فهذا مما يدل على قدر
اختيار الكتب وقد يريد بعض الجلة الكبار وبعض الأدباء والحكماء أن يدعو بعض من
يجرى مجراء فى سلطان أو أدب الى مادية أو ندام أو خروج الى متنزه أو بعض
ما يشبه ذلك ، فلو شاء أن يبلغه الرسول ارادته ومعناه لأصناب من يحسن الأداء
ويصدق فى الإبلاغ فىرى أن الكتاب فى ذلك أسرى وأنبى وأبلغ ولو شاء النبى صلى الله
عليه وسلم ألا يكتب الكتب الى كسرى وقيصر والنجاشى والمقوقس والى بنى الجندى
والى العباهلة من حمير والى هوزة بن على والى الملوك العظماء والسادة النجباء لفعل

ولو جند المبلغ المعصوم من الخطأ والتبديل ، ولكنه عليه السلام علم أن الكتاب أشبه بتلك الحال ، وأليق بتلك المراتب ، وأبلغ في تعظيم ما حواه الكتاب ، ولو شاء الله أن يجعل البشارات على الألسنة بالمرسلين ولم يودعها الكتب لفعل ولكنه تعالى وعز علم أن ذلك أتم وأكمل ، وأجمع وأنمل ، وقد يكتب بعض من له مرتبة في سلطان أو ديانة الى بعض من يشاكله أو يجرى مجراه فلا يرضى بالكتاب حتى يخزمه ويختمه ، وربما لم يرض بذلك حتى يعنونه ويعظمه .

قال الله جل وعز : (أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفي) فذكر صحف موسى الموجودة وصحف إبراهيم البائدة المعدومة ليعرف الناس مقدار النفع والمصلحة في الكتب . قالوا : وكانت فلاسفة اليونانية تورث البنات العين وتورث البنين الدين ، وكانت تصل العجز بالكفاية والمؤونة بالكلفة وكانت تقول : لا تورثوا الابن من المال الا ما يكون عوناً له على طلب المال ، واغذوه بحلاوة العلم واطبعوه على تعظيم الحكمة ليصير جمع العلم أغلب عليه من جمع المال ، وليرى أنه العدة والعتاد ، وأنه أكرم مستفاد ، وكانوا يقولون : لا تورثوا الابن من المال الا ما يسد الخلة ، ويكون له عوناً على درك الفضول ان كان لا بد من الفضول ، فانه ان كان فاسداً زادت تلك الفضول في فساده ، وان كان صالحاً كان فيما أورثتموه من العلم ، وبقيتم له من الكفاية ما يكسبه الحال ، فان الحال أفضل من المال ، ولأن المال لم يزل نابهاً للحال ، وقد لا يتبع الحال المال ، وصاحب الفضول بعرض فساد وعلى شفا اضاعة مع تمام الحنكة واجتماع القوة ، فما ظنكم بها مع غرارة الحداثة وسوء الاعتبار وقلة التجربة ! وكانوا يقولون : خير ميراث ما كسبك الأركان الأربعة ، وأحاط بأصول المنفعة وعجل لك حلاوة المحبة ، وبقي لك الأحذوثة الحسنة ، وأعطاك عاجل الخير وآجله ، وظاهره وباطنه ، وليس يجمع ذلك الا كرام الكتب النفيسة المشتملة على ينابيع العلم ، والجامعة لكنوز الأدب ومعرفة الصناعات وفوائد الارفاق ، وحجج الدين الذي بصحته وعند وضوح برهانه تسكن النفوس وتثلج الصدور ، ويعود القلب معموراً ، والعز راسخاً ، والأصل فسيحاً ، وهذه الكتب هي التي تزيد في العقل وتشجذه ، وتدويه وتصلحه ، وتهذبه وتنقى الخبث عنه ، وتقيدك العلم وتصدق بينك وبين الحجة ، وتعودك الأخذ بالثقة وتجلب الحال وتكسب المال . ووراثه الكتب الشريفة والأبواب الرفيعة منبهة للمورث وكنز عند الوارث ، الا أنه كنز لا تجب فيه الزكاة ولا حق السلطان ، واذا كانت الكنوز جامدة ينقصها ما أخذ منها كان ذلك الكنز مائعاً يزيد ما أخذ منه ، ولا يزال بها المورث مذكوراً في الحكماء ومنوها باسمه في الأسماء ، واماماً متبوعاً ، وعلماً منصوباً ، ولا يزال الوارث محفوظاً ، ومن أجله محبوباً ممنوعاً ، ولا تزال تلك المحبة نامية ما كانت تلك الفوائد قائمة ولن تزال فوائدها موجودة ما كانت الدار دار حاجة ، ولن يزال من تعظيمها في القلوب أثر ما كان من فوائدها على الناس أثر .

وقالوا : متى ورثته كتابا وأودعته علما فقد ورثته ما يغل ولا يستغل ، وقد ورثته الضيعة التي لا تحتاج الى ائارة ، ولا الى سقى ، ولا الى اسجال بايغار ، ولا الى شرط ولا تحتاج الى أكار ولا الى أن يثار ، وليس عليها عشر ولا للسلطان عليها خرج ، وسواء أفدته علما أو ورثته آلة علم ، وسواء دفعك اليه الكفاية أو ما يجلب الكفاية ، وانما تجرى الأمور وتتصرف الأفعال على قدر الامكان ، فمن لم يقدر الا على دفع السبب لم يجب عليه احضار لمسبب ، فكتب الآباء تحبيب للأحياء ، ومحيا لذكر الموتى .

وقالوا : ومتى كان الأب جامعا بارعا وكانت موارثه كتباً بارعة ، وآداباً جاءعة ، كان الولد أجدر أن يرى التعلم حظاً وأجدر أن يسرع التعليم اليه ويرى تركه خطأ ، وأجدر أن يجرى من الأدب على طريق قد أنهج له ، ومنهاج قد وطىء له ، وأجدر أن يسرى اليه عرق من نجله وسقى من غرسه ، وأجدر أن يجعل بدل الطلب للكتب النظر فى الكتب ، فلا يأتى عليه من الأيام مقدار الشغل بجمع الكتب ، والاختلاف فى سماع العلم ، الا وقد بلغ بالكفاية غاية الحاجة وانما تفسد الكفاية من تمت آدابه ، وتوافت اليه أسبابه ، فأما الحدث الغرير ، والمنقوص الفقير ، فخير موارثه الكفاية الى أن يبلغ التمام ، ويكمل للقلب ، فقير ميراث ورث كتب وعلم ، وخير المورثين من اورث ما يجمع ولا يفسق ، ويبصر ولا يعمى ، ويعطى ولا يأخذ ، ويجود بالكل دون البعض ، ويدخ لك الكنز الذى ليس للسلطان فيه حق ، والركاز الذى ليس للفقراء فيه نصيب ، والنعمة التى ليس للحاسد فيها حيلة ، ولا للصوص فيها رغبة ، وليس لخاصم عليك فيه حجة ، ولا على الجار فيه مؤونة .

وأما ديمقراط فانه قال : ينبغى أن يعرف أنه لا بد من أن يكون لكل كتاب علم وضعه أحد من الحكماء ثمانية أوجه ، منها الهمة والمنفعة ، والنسبة والصحة ، والصنف والتأليف ، والاسناد والتدبير ، فأولها أن تكون لصاحبه همة ، وأن يكون فيما وضع منفعة ، وأن يكون له نسبة ينسب اليها ، وأن يكون صحيحا ، وأن يكون على صنف من أصناف الكتب معروفا به ، وأن يكون مؤتلفا من أجزاء خمسة ، وأن يكون مسندا الى وجه من وجوه الحكمة ، وأن يكون له تدبير موصوف . فذكر أن أبقرط قد جمع هذه الأوجه الثمانية فى هذا الكتاب وهو كتابه الذى يسمى « أفور يسموا » وتفسيره : كتاب الفصول . وقولك وما بلغ من قدر الكلب مع لؤم أصله ، وخبت طبعه ، وسقوط قدره ، ومهانة نفسه ، ومع قلة خيره وكثرة شره ، واجتماع الأهم كلها على استسقاطه واستسفالته ، ومع ضربهم المثل فى ذلك كله به ، ومع حاله التى يعرف بها من العجز عن صولة السباع ، واقتدارها ، ومن تمنعها وتشرفها وتوحشها ، وقلة اسماحها ، وعن مسألة البهائم وموادعتها ، والتمكين من اقامة مصلحتها ، والانتفاع بها ، اذ لم يكن فى طبعها دفع السباع عن أنفسها ، ولا الاحتياط لماشيتها ، ولا المعرفة بالمواضع الحريزة من المواضع المخوفة . ولأن الكلب ليس بسبع

تام ولا بهيمة تامة حتى كأنه من الخلق المركب ، والطبائع الملفقة ، والأخلاق المجتلبة ، كالبعول المتلون في أخلاقه الكثير العيوب المتولدة عن مزاجه ، وشر الطبائع ما تجاذبته الأعراق المتضادة والأخلاق المتفاوتة ، والعناصر المتباعدة ، كالراعي من الحمام الذي ذهب عنه هداية الحمام ، وشكل هديره وسرعة طيرانه ، وبطل عنه عمر الورشان ، وقوة جناحه ، وشدة عصبه ، وحسن صوته ، وشجا حلقه ، وشكل لحونه وشدة اطرابه ، واحتماله لوقع البنادق ، وجرح المخالب . وفي الراعي أنه مسرول مثقل ، وحدث له عظم بدن وثقل وزن لم يكن لأبيه ولا لأمه .

وكذلك البغل خرج من بين حيوانين يلدان حيوانا مثلهما ويعيش نتاجهما ويبقى بقاءهما ، وهو لا يعيش له ولد وليس بعقيم ، ولا يبقى للبغلة ولد وليست بعاقرة ، فلو كان البغل عقيما والبغلة عاقرا لكان ذلك أزيد في قوتها وأتم لشدهما ، فمع البغل من الشبق والنعظ ما ليس مع أبيه ، ومع البغلة من الشوس وطلب السفاد ما ليس مع أمها ، وذلك كله قدح في القوة ونقص في البنية ، وخرج غرموله أعظم من غراميل أعمامه وأخواله ، فترك شبههما ونزع إلى شيء ليس له في الأرض أصل ، وخرج أطول عمرا من أبويه واصبر على الأثقال من أبويه ، أو كابن المذكرة من النساء ، والمؤنث من الرجال ، فانه يكون أخبث نتاجا من البغل وأفسد أعراقا من السم (١) ، وأكثر عيوباً من العسبار (٢) ، ومن كل خلق خلق إذا تركب من ضد ، ومن كل شجرة معلومة بخلاف ، وليس يعتري مثل ذلك الخلاسي (٣) من الدجاج ، ولا الورداني (٤) من الحمام ، وكل ضعف دخل على الخلقة ، وكل رقة عرضت للحيوان ، فعلى قدر جتسه وعلى وزن مقداره وتمكنه يظهر العجز والعيب . وزعم الأصمعي أنه لم يسبق الحلبه فرس أهضم قط . وقال محمد بن سلام لم يسبق الحلبه أبلق قط ولا بقاء .

والهداية في الحمام والقوة على بعد الغاية إنما هي للمصمته من الخضر . وزعموا أن الشسيات كلها ضعف ونقص ، والشية : كل لون دخل على لون . وقال الله جل وعز : (قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلمة لا شية فيها) . وزعم عثمان بن الحكم أن ابن المذكرة من المؤنث يأخذ أسوأ خصال أبيه وأردأ خصال أمه فتجتمع فيه عظام الدواهي وأعيان المساوي ، وأنه إذا خرج كذلك لم ينجع فيه أدب ولا يطمع في علاجه طبيب ، وأنه رأى في دور ثقيف فتى اجتمعت

(١) السم بكسر واسكان الميم وبالعين للمهله : ولد الذئب من الضبع وهو سبع مركب فيه شدة

الضبع وقوتها وجراءة الذئب وخفته (راجع حياة الحيوان للدميري ج ٢ ص ٣٢) .

(٢) العسبار بكسر العين وبالمعين الساكنة والأنثى عسبارة : ولد الضبع من الذئب وجمعه عسابر

(راجع حياة الحيوان للدميري ج ٢ ص ١٣٩) .

(٣) الخلاسي : الولد بين أبوين أبيض وأسود ، والديك بين دجاجتين هندية وفارسية .

(٤) الورداني بالراء المهملة طائر متولد بين الورشان والحمام وله غرابة لون وظرافة قد .

فيه هذه الخصال ، فما كان في الأرض يوم الا وهم يتحدثون عنه بشيء يصغر في جنبه أكبر ذنب كان ينسب اليه .

وزعمت أن الكلب في ذلك كالخنثى الذي هو لا ذكر ولا أنثى ، أو كالخصي الذي لما قطع منه ما صار به الذكر فعلا خرج من حد كمال الذكر بفقدان الذكر ، ولم يكمل لأن يصير أنثى للغريزة الأصلية وبقية الجوهرية ، وزعمت أنه يصير كالنبيد الذي يفسده افراط الحر ، فيخرجه من حد الخل ، ولا يدخله في حد النبيد . وقال مرداس بن خدام :

سقيناً عقالا بالثوية شربة * فمالت بلب الكاهل عقال
فقلت اصطبجها يا عقال فانما * هي الخمر خيلنا لها بخيال
رميت بأم الخل حبة قلبه * فلم ينتعش منها ثلاث ليال

فجعل الخمر أم الخل قد يتولد عنها ، وقد يتولد عن الخل اذا كان خمرًا مرة الخمر .

وقال سعيد بن وهب :

هلا وأنت بماء وجهك تشتهي * ورد الشباب قليل شعر العارض
فالآن حين بدت بخدك لحية * ذهبت بملحك ملء كف القابض
مثل السلافة عاد خمر عصيرها * بعد اللذذة خل خمر حامض
بها

ويصير أيضا كالشعر الوسط والغناء الوسط ، والنادرة الفاترة التي لم تخرج من النحر الى البرد فتضحك السن ولم تخرج من البرد الى الحر فتضحك السن .

باب الرسائل

١ - الفصول المنتخبة من الرسائل المختارة في كل فن (١)

كتب رجل الى صديق له :

ان آباءك شادوا أكارهم بالفضائل التي كانت فيهم ، وانك قد كنت أخفت في مدرجتهم فأوفيت على غايتهم ، ثم اختلجك الهوى ببعض جديلتك (٢) وجودك ، من لباس فضلك الذي كنت تطول به على أكفائك ، وتملك به أعنة كافة جنتك ، والقيت مالك على شر عواقبه عليك لا لك ان زلت مكاره بوادره عنك .

فصل - قيل : ان مروءة الرجل في نفسه نسب لقوم آخرين ، فانه اذا فعل الخير عرف له ، وبقي في الأعتاب والأصحاب ، ولقيه يوم الحساب .

فصل - ان حق الله على المسلمين ان ينظروا في دينهم بالنصيحة لأئمتهم ، فان الأئمة اذا صلحوا بدل الهوى بالتقوى في قلوبهم ، وماتت سورة الغضب فيهم لأحلامهم ، وسكنت العامة الى عدلهم وذلت لانصافهم . واذا كان للمحسن من الحق ما يقنعه ، وللظالم من النكير ما يقيعه ، بذل المحسن الحق عليه رغبة ، وذلل المنيء بالحق عليه رهبة . فأول ما أمرك به رجاء الله وتقواه . فأما رجاءه فان تحسن به في الصنع اذا أطلعتك ، ويكون لك وقاية اذا أثرتك مطمئنا . وأما تقواه فان تكون له فيما أمرك به ونهاك عنه مراقبا ، فان تقية المؤمن تزيد في انشراح صدره ، وان شدة خوفه ترد هواه على عقله .

(١) نقلا عن اختيار المنظوم والمنثور لابن طيفور .

(٢) الجديلة : الناصية والحالة والطريقة .

فصل - تنبه اذا نبهت ، واذكر اذا ذكرت ، وانتفع فقد وعظت ، واسمع فقد نوديت ، نبهك الوعيد ، وحذرك الزاجر ، وأمرك ونهاك الكتاب ، ونعتك آثار الموت ، ودعاك الى الجنة مليء جواد ، فالجد الجد ، فقبل المهجرة يريح المدلج .

فصل - ما نظرت في معروفى عند أحد ، فوجدته قصر عن أمله وكان يمكننى أن يكون أكثر منه ، الا عدده سيئة لى عنده ، لأننى ذوقته ما أحب ، ثم منعتة اياه ، وكأنى قصدت لاشخاص قلبه . ولا نظرت في معروفى عند أحد فوجدته قد تناهى عند تناهى أمله وكان يمكننى أن يكون أكثر منه ، الا رأيتنى فى ذلك واترا لنفسى ، لأنه كفى عيبا لها وازراء بها ، أن أقنع . . (١) فصل نتخذة بمثل ما أقنع رجلا من فضل يتخذة عليه .

فصل - ما أنت ممن يعلم من جهل به ، ولا تحسب منه بادرة زلة ، ولا يقابل بين أمرين الا عرف خيرهما فآثره ، وشرهما فاجتنبه . وقد رأيت ما ساقط اليك الطاعة من حظ العاجلة ، فلا تتعرض لزوال ما أنت فيه ، فتخسر الحظين ، وتندم في الدارين ، فقد رأيت من عاند الحق كيف ضرعه الله وبسط يد ولية على سفك دمه ، واحلال النعمة به ، فصار بعد أن كان فى الأمنية مثلا ، ولجميع الخلق غاية وأملا ، فكرة فى الاعتبار . وعظة للأبصار . فلا يبعد الله إلا من ظلم وختر ، وذهب عن الحق وأدبر . وأنت اليوم محكم فى أمرك ، مبخير فى رأيك ، تدبى الى حظك بالحظ الجزيل بتدلل . فاهتبل ما قد هدف لك وهو ممكن لديك ، فانك ان أهملت وتراخيت ، لم يكن بالحق ووليه وحشة اليك ، ومضت أحكام الله فى نصرها وتأبيدها على أذلالتها (٢) ، وصغرت يدك بما لا يشرف لك بمثله ، وأخطرت بدمك وأسلته أخبت مسيل وأضل سبيل ، حيث لا تبكى عليك السماء والأرض .

فصل - الناس رخلان : عالم لا غنى به عن الإزدياد ، وجاهل به أعظم الحاجة الى التعلم ، وليس فى كل حال يكون العالم لما يبدعه من الأمور معدا ، ولا المتعلم على ما يستفيد منه قادرا وفيما .

فصل - ان أنت عطلتنا من أمورك ، وأعفيت ظهورنا من أثقالك ومؤونته ، وتوكتنا أغفالا فى ولايتك من تنبيهك وتحريكك ، فقد أنزلتنا منزلة من لا خير عنده ، وجعلت نفسك أسوة من لا معين له ، وكفى بذلك ظلما .

(١) بياض فى الأصل . ولعله : أن أقنع نفسى بفضل آتخذة بمثل ما أقنع رجلا الخ .

(٢) على أذلالتها : على وجوها وطرقها .

فصل - ان اعلامى اياك . . (١) غير محدد شيئا . ولكنه أقرب من الجميل
فى معرفة عذر المعتذر ، وأحمل للآثمة على المسئء المقصر .

فصل - الذى اعتمدنا عليه من رأيك ، ونثق به من جميل نظرك ، قد خلطنى
بأهل صنائعك ، والخاصة من ثقاتك ، وبسط أملى فيك الى غاية خير يرتجى ، أو جزيل
حظ يؤمل .

فصل - ليس يسوغ لأحد فى الأمير أمل ، ولا يتوجه اليه منه رغبة ، ولا يلزمه
فى قضاء حقه ، ودنانة (٢) مؤونته الا وفضله مستغرق لها .

فصل - من أحمد الأمور وأجمل المذاهب ، ما كان آخره موصولا بأوله ،
ومؤديا بدؤه الى حمد عاقبته ، فحافظ على الأمور التى حسن فيها عند أمير المؤمنين
اثره ، مستقلا فيها لكثير ما يكون منك ، معتدا بها فى النعم عندك ، والاحسان
الواصل اليك ، فيما يوفقك الله له منها ويخصك به من الفضل فى اختيارها ،
وأمير المؤمنين يستحفظه الله لك ، ويستمتع به فى النعمة فيك .

فصل - قد كان يجب أن تجعلنا بمتابعة النعم علينا فى خاصة الشاكرين
أفضلك ، ولا تجعلنا بتوافر الاساءات الينا فى عامة الشاكرين لك .

فصل - علمى بما بنى الله عليه أخلاق الأمير أكرمه الله ، وجعل عليه رأيه
فى بسط العدل على رعيته ، وبث الفضل على ملتضى فضله ، يبعثنى على الكتاب فى
مثل ما كتبت اليه فيه ، من ظلامة مظلوم يستعيز فيها بعبده ، وحاجة ملهوف يرجع
فيها الى فضله ، فأجمع الى ما ألتبس من الثواب فى ذلك موافقة رأى الأمير ، واذكاره
ما يجب أن يذكر به ، فزاد الله الأمير من نعمه ، وأوزعه من الشكر عليها ما يوجب له
تتابعها عنده ، وترادفها له .

فصل - أنت والحمد لله ممن احتمل الصنعة ، وقبل الأدب ، وصدق المخيلة
وخاص على المحنة وحسن الظن ، فاستقامت طريقته وقدمه جميل مذهبه وآثاره ،
وجرت على قصد السبيل طاعته ، واشتدت على السريرة والعلائية مناصحته ، فأصبح
أمير المؤمنين لا يتناهى فى برك وتكرمتك ، الا رآك مستحقا لها ولما فوقها ، ولا يرفعك

(١) بياض فى الأصل . ولعل الكلمة المتروكة « بحاجتى » . والظاهر أن كلمة « محدد » محرفة
عن كلمة « مجد » .
(٢) كذا بالأصل .

الى درجة الا رآك اهلا لأشرف منها ، صنعا من الله لك بما وفك له من طاعته ،
ووهب لك من جميل مراتبه ، والمكان منه والأثرة عنده .

فصل - فضل مشاركتنا اياك في محبوب الأمور ومكروها يحملنا في السرور
بالنعمة عندك - فجددها الله لك - ويوجب الشكر بما يكون لحقها قاضيا ، وللمزيد
فيها موجبا .

سعيد بن حميد - شغلك يقطعنا عن مطالبتك بالحق في جوابات كتبنا اليك ،
وصدق دودتنا لك يمنعنا من التقصى في الحجة عليك ، ومن يكلك الى رأيك فانه
لا يفى بك الا لك ، صلة اخوانك والتعاهد لهم من برك ، بما يشبه فضلك والنعمة
عليهم قيك .

وفلان بينى وبينه مودة أقدمه بها على الأخوة ، لأنك تعلم قرب ما بين المودة
والقربة ، وقد بلوته على الحالات كلها ، فلم يزدني اختباره الا اختيارا له ، ولا أعلم
بالعسكر جليلا الا وهو لي صديق ، يشكر بشكره ويوجب على نفسه المنه فيما آتى
اليه ، فاما من بين اخوانه فليست أعدل عن قضاء حق ، ولا أتاخر عن معروف
أسدى اليه ، فان رأيت أن تحله بالمحل الذي يستحقه بنفسه وسلفه ، فوالله ما رأيت
سوق الأحرار أنفق منها عندكم أهل البيت ، أبقي الله تبارك وتعالى باقيكم
ورحم ماضيكم .

فصل - ان أحدا ليس بمستخلص شيئا من غصارة عيش الا من بين خلال
مكاره ، فمن انتظر بماجل الدرك أجل الاستقصاء سلبته الأيام فرصته ، لأن من
صناعته السلب ، ومن شرط الزمان الافاة .

فصل - ان الأمير قد جل فضله عن أن يحيط به وصف ، أو يأتي على تعداده
اجتهاد ، فلو كان شيء أكثر من الشكر لكان الأمير يستحقه علينا ، ويستوجبه منا .

فصل - قد أصبح المختلفون مجتمعين على تقريره ومدحه ، حتى ان العدو
يقول اضطرارا ما يقوله الولي اختيارا ، والبعيد يثق من انعامه علينا بما يثق به
القريب خاصا .

فصل - المائلون اليه بين نعم مكثفة من تالد به يستديمونه ، وطارف منه
يستعبدونه ، ومواهب متجددة ، وفوائد مترادفة ، هي مبسوطة به الى بركة أيامه ،

وعلو حظ. (١) من اتصل به ، فزاده الله من فضله ، وزاد أوليائه به وببركة دولته .

فصل - اعتمدت أختا لا يذم أخاؤه ، ولا تنكر أحواله ، على بعد الدار وقربها ، وانصال المكاتبة وأنقطاعها ، نجده متصرفا معك في الخطوب التي يطرق بها الزمان ، ويداك في الأمور التي يمتحن فيها الإخوان .

فصل - أسأل الله أن يجعل ما تطول به فيه من الجلالة في القلوب والعيون عند الولي والعدو موصولا بالانساء في مدته ، والادامة لعزه وسلامته ، والاعلاء ليدنه وكلمته .

أحمد بن يوسف - عندي فلان وفلان ، فان كنا من شأنك فقد آذناك .

في صفة حرب - كانت لكم الكرة ، وعليهم الدبرة ، فحملوا حملة كاذبة ، أتبعناها بأخرى صادقة .

فصل في هدية - قد أهديت إليك من فنون كلامي وعيون مقالتي ، دفترا طريف المعاني ، شريف المباني ، صحيح الألفاظ ، يلذ بأفواه الناطقين ، ويلين على أسماخ الصامتين .

فصل في شفاعاة - لفلان قبلك حاجة ، لبس يحتاج فيها الى معدلتك ونصفتك المبسوطتين لمن يتوسل بخلطتك ومعرفتك ، ولكنه يريد ما في ذلك العدل والانصاف من الرفق والاحسان المذخورين للخاصة والاخوان .

فصل لرجل تمهي - ضعف حالي يدعوني الى كثرة الطلب ، ومعرفتني بجميل رأيك تعجزني عن الالاحاح عليك ، خوفا أن أكون جاهلا بعنايتك ، وحسن نظرك ، والكرم يستحيى بعضه لبعض ، ويبعث بعضه بعضا ، ودين حيلته الغير على العقود ، فبعثه كرمه للبهوض ، أو دعاه هواه الى المنع ، فجاء عقله على البذل ، وحالي جانحة لدى وفضلك وبعثة الله عليك من سد خلتها ، ومداواة علتها بجاهك الواسع ، ورفدك النافع .

أحمد بن يوسف - قد بذلت لنا من نفسك أعز مبدول وأنفسه ، والمودة التي كلما يحمده من صاحبها ، فهو لها نافع . وثقتنا بك واستنامتنا الى ناحيتك ، على أحسن

(١) في الأصل : « حظة » والسياق يقتضي ما استناه .

ما أكد الله بيننا وبينك • وان كان مدى اللقاء بيننا لم يطل فأنل منه ما يرعاه أهل
الوفاء والمخالصة ، ويقصر في المحافظة عليه وعلى أكثر منه ، من دخلت نيته .
وضعت خلتته •

فصل - قد أصبحت للخاصة عدة ، وللعمامة عصمة ، وللأنام ثقة في
مناصحتك •

فصل في الصفح لأبي علي - ان الذي فرط منك ، وان تجاوز منى ما أرضاه
لك ، لم يبلغ ما يغضبني عليك ، وحيث انتهى ما يخالفني من قولك ونعلك ، فان
وراءه نغمة منى لاساءتك وصفحا عن زلتك ، فان تأمنا لا نخنك ، وان يسؤ ظنك
فانما نحتاج الى اصلاحه منك •

أحمد بن يوسف - الى ابراهيم بن المهدي في هدية استقلها :

بلغني استقلالك لما ألفتك ، والذي نحن عليه من الأنس سهل علينا قلة
الحشد لك في البر ، فأهدينا هدية من لا يحتشم الى من لا يفتنم •

كتب عقال بن شبة - الى خالد بن عبد الله في شفاعته :

ان الله انتخبك من جوهرة كرم ومنبت شرف ، وقسم لك خطرا شهرته العرب
وتحدثت به الحاضرة والبادية ، وأعان خطرک بقدره مبسوطة ، ومنزلة ملحوظة ،
فجميع أكفائك من جماهير العرب ، يعرف فضلك ، ويسره ما خار الله لك ، وليس
كلهم أداله الزمان ولا ساعده الحظ ، وأنت أحق من تعطف على أهل البيوتات ،
وناداهم بما يبقى له ذكره ويحسن به نشره ، مثلك • وقد وجهت اليك فلانا ، وهو
من دنية قرابتى وذوى الهيئة من أسرتى ، وعرف معروفك ، وأحببت أن تلبسه
نعمتك وتصرفه الى وقد أودعتني وإياه ما تجده باقيا على النشر ، جميلا في الغب •

فصل في التوديع

أستودع الله الأمير بأحسن وداعه ، وأسأله أن يجعله في كنفه وحرزه ، فقد أكرم
المثوى ، وأحسن الابتغاء ، فأطال الله له البقاء ، وأدام عليه النعماء •

في الصفح

بلغني كتابك ، تذكر كتابي اليك بوضعي عنك موجدتى ، وردى لك الى أحسن
ما عهدت من منزلتك عندي ، وقد حللت منا المحل الذي خلطناك فيه بأنفسنا ، وأدخلناك

منه مداخل أهل ثقتنا ، ولست تؤتى من جهالة بما أنت فيه ، ولبعض ما أنت عليه من
النجارب تستفاد بمثلها العبر ، وينتفع بها في عطف الأمور .

جواب في فتح

كتب سالم بن هشام الى يوسف بن عمر حين قتل زيد بن علي رحمه الله عليه :

قد بلغ أمير المؤمنين كتابك بما أبلى الله في مدره السوء ، وأنه لما عضتكم
الحرب ، وآلمهم الحديد ، عاذوا بالمسجد الجامع ، قد آكذب الله ظنونهم ، وخذل
مخرجهم ، وقتل امام ضلالتهم ، وحفظ لأمر المؤمنين ما ضيعوا من حقه ، وحاط له
ما أباحوا من الغدر فيه ، وقد رأى أمير المؤمنين أن يجعل من شكر الله على نعمه ،
الصفح عنهم ، وتغمد حرمهم وأن يعمهم من عدله ، بما يرد به الجاهل عن جهله ،
والغوى عن غوايته ، ويعلمون مكانه من الله واستجابته لعزه ونصره ، وأنه الخليفة
المتقى ، والامام المتألف ، وأنه يقدم العفو في الطاعة ، على الحجة في العقوبة ، والحسبة
في الاستصلاح ، على القوة في التأييد ، فامسك عنهم بيدك ، فان أمير المؤمنين قد وهب
ذلك كله لله ، ورجا به ما ليس ضائعا عنده من ثوابه .

في الصفح عن الجفاء

لو كان من نازع الى الغدر ، قلدناه عنان البحر ، لم يكن أقرب منا الى الذنب ،
ونحن نرد عليك من نفسك ، ونأخذ لنفسك منك ، حتى يكون تركنا اياك ، وعذرنا
فيه ، رافرا .

فصل - الحمد لله على البلية التي طال أمدها ، وبعد ما بين طرفيها .

آخر - اقتفرت في التثبيت أناة ذوى الحجى ، وقدمت المقدم من الأناة على
العجالة ، واطعت في أمرك النذارة ، وانتهيت الى العذرة والمعرفة ، فملك ما ملكك ،
وحكمت على الذى حكم عليك ، فأخذت مثل الذى أعطيت .

فصل - بدء أسباب الأمور دليل على عواقب الأمر فيها ، والخيرة بعد الله
عز وجل .

فصل اعتذار

لو كان الناس يقضون الحقوق التي تجب عليهم ، ويحافظون على الأمور التي
تلزمهم ، لقلت اللائمة ، وخلصت المودة ، وارتفعت أسباب العتاب ، ولكنهم عجزوا
منقوصون ، يضعفون عن العلم ، بأكثر ما تدركه عقولهم ، وتعوقهم عن ذلك أشغال

لا يجب بها العذر ، ولا تستحق الايثار ، ولم أزل عاتبا على نفسي فيما ضيعت من مكاتبتك ، مع معرفتي بفضلك ، وموقع ذلك عندك ، وما اعتذارى اليك ، سوء ظن بك ، ولا مخافة لللائمتك ، ولئن فعلت ما ظلمت ، غير أنى أحببت أن أكفيك المؤونة ، فيما عسيت أن تقبض عنه من مقايستى ومعاتبتى ، وأنا أحب أن تقبل العذر ، وتعين على مستقبل البير .

فصيل - أنت فى زمان ان لم تغالط أهله ، وتختلهم على ما فى أيديهم ، وتصبر على نكارة الأمور بعد المطالبة ، لم تصل الى شئ ، ولم تجد أحدا ما على فضل منك وان عرفه فيك ، ولم يفته من محاسنك شئ ، الا رأى فى مساوىء غيرك عوضا منه ، فكان بذلك أثليج ، واليه أسكن ، فعليك بالصبر ، فان غايته الى خير ، وأقل ما فيه أن صاحبه لا يلوم نفسه ، ولا يلومه أحد ، ولعله يظفر أو يدلل .

الى المأمون من عامل

قل من يسارع الى بذل الحق من نفسه ، اذا كان الحق مضرا به ، وقل من يدع الاستعانة بالباطل ، اذا كان فيه صلاح معاشه ، وسبب مكتسبه واذا تفرق الحق فى أيدي جماعة فطولبت به ، تشابهت فى الكره لبذله ، وتعاونت على دفعه ومنعه ، بالحيل وبالشبه قولا وفعلا ، واحتاج المبتلى باستخراج ذلك الحق من أيديها ، الى استعمال مجاهدتها ومصابرتها على الحيلة فى مدافعتها .

ابن الكلبي

بسم الله

كان خبر ما أبلاك الله فى فلان بعد أمانه ما عزمت عليه من الأمان ، خبرا عظم مكانه من أمير المؤمنين ، وحسن موقعه من الدين ، ثم ردف خبرك بإذعانه عندما عضه من بأسك ، ومسه من مؤلم ابقاعك للاستسلام ، وطلب عقد الأمان ، وانك بذلت له ما طلب لا لرهبة بقيت فى ناحيتك ، الا الاحتذاء على مثال أمير المؤمنين وأدبه ، فكان ابازمه لما عرضت عليه فى أول أمره ذخيرة حظ فيما كشفت عنه البلوى من محمود أثرك ، واحتتمع لك فى ذلك حظان : الظفر آخرا ، والدرك لما حاولته أولا ، فلا زلت على نصيبك من الحظ ، مؤيدا بالنصر والمعونة ، والحمد لله على ما حقق من الظن (١) . . من هذه النعمة على يديك وبسعيتك .

(١) بياض فى الاصل . رلعل الكلمة المتروكة . وآتى . .

ابراهيم بن اسماعيل بن داود الى ذى الرياستين

وصل الى كتابك بخط يدك المباركة ، فلم أر قليلا أجمع ، ولا ايجازا أكفا من اطناب ، ولا اختصارا أبلغ فى معرفة وفهم منه ، وما رأيت كتابا على وجازته ، أحاط بما أحاط ، وضربت ظنى فى فلان فعظم ذلك سرورى ، وقد يستعطف الظالم ، ويستعتب المتجنهى . وفى رفقك وعلمك بالأمور ما يصلح الفاسد ، ويذل الصعب ، ويقبل المدبر . ولا يمنعتك جور من جار عليك ، من الاعتقاد فى الحجة عليه ، والأخذ بالنقة فى أمره ، فان الله عز وجل لم يجعل عليك فى ذلك منقصة ولا غضاضة ، بل فيه الاعتذار والانذار والاستبصار ، وقضاء حاجة النفس ، مع التأدية الى السلامة ، والأمن من الندامة .

فصل - أنا فى حال عافية ، تتجاوز الى حال نعمة ، والحمد لله حتى يرضى ، فقد أَرْضَى ، فاما ما أشرت به ، وخبرت من امضاء رأيك فيه ، والامساك عنه ، فمثلك جعل لمن نصحه شركاء فى كل أمره ، ولم يجعل رأيه فرضا لبعضه أن يتعدى (١) . وذكرت أدب فلانة ، وعندنا لفلانة الطمع المستقبل مع الانعام المتقدم ، مع أنه لا شئ لها عندنا قل ولا جل ، ولو كان ما استحللنا حبسه صفقة كف ، ولا تغميض طرف ، وذكرت أنه لا يستغنى مثلنا عن مثلها ، وأبدال الله كثيرة عتيدة ، وما بان علينا فقد أحد ممن كان قبلها فى دارنا ، فحال بيننا وبينه حائل ، ولا اختللنا له مع نظر الله تبارك وتعالى وأخلافه ، وبعد هذا فأحسن الله جزاءك ، وحاط لى فيك ما أحب منك ، وكفاك المهم وكفانيه بك ، فما تقوم نفس لو كانت لى أخرى مقامك فى نصيحتى ويرى ، والاهتمام لى ، بما أنا عنه ساهية لاهية من أمرى ، لا أعدمنيك الله ولا النصيحة منك .

فصل - قال أبو جعفر الكرمانى للحسن بن سهل ووعده شيئا فأبطأ عليه : أنا أعرف تكامل الثقة فيك ، ورجاحة الفضل بك ، وأعلم أن فعلك يربى على قولك ، وأن انجازك أكثر من وعدك ، فقدم لى من كرمك ، ما أثمره الى أن (١) يلحقه المتأخر عنه ، والا فدلنى على ما أقول اذا سألتنى من بعثته على شكرك ، عما بلغه من الحظ على نيتك . فقال الحسن : تحول ما ينبغى ، فقال : فافعل ما ينبغى أقله .

(١) بياض فى الأصل . وما وضعناه يناسب المقام .

وحصل الى كتابك ، على ظمأ منى اليه ، وتطلع شديد ، وبعد عهد بعيد ، ولوم منى على ما مسستنى به ، من جفائك ، على كثرة ما تابعت من الكتب ، وعدمت من الجواب ، فكان أول ما سبق الى من كتابك السرور بالنظر اليه أنسا بما تجدد لى من رأيك ، فى المواصلة بالمكاتبة ، ثم تضاعف المسرة ، بخبر السلامة ، وعلم الحال فى الهيئة ، ورأيتك بها تظاهرت من الاحتجاج ، فى ترك الكتاب ، سالكاً سبيل التخلص مما أنا مخلصك منه ، بالاغضاء عن الزامك الحجة ، فى ترك الابتداء والاجابة ، وذكرت شغلك بوجوه من الأشغال كثيرة متظاهرة ممكنة ، لا أجشمك متابعة الكتب ، ولا أحمل عليك المشاكلة بالجواب ، ويقنعنى منك فى كل شهر كتاب ، ولن [تلزم] (١) من نفسك فى البر قليلا ، الا ألزمت نفسى عنه كثيرا ، وان كنت لا أستكثر شيئا منك ، أدام الله مودتك وثبت اخاك ، واستراح لى منك ، فرأيت فى متابعة الكتب ومحدثتى فيها بخبرك موقفا ان شاء الله .

عيسى بن واضح الى الفضل بن الربيع

قد أكد الله من حرمتى بك ، ووصل من الشعب بينى وبينك ما جعله ذخيرة ليوم الحاجة ، وعدة عند ملم النازلة .

حبل بن يزيد

أما بعد ، فان من صحب الدنيا لم يخل من تصرف أحوالها ، وكثرة معاريض فجائتها ، فى اخترام الأنفس فى خواصها ، ومواقع البلايا بين ذلك فيما يهداها ، ويفر من الأشياء عليها ، وكان ذلك لا سبيل الى دفعه ، ولا حيلة يستعان بها عند نزوله ، الا الرضا عن الله عز وجل فيما قضى ، والتسليم لأمره فى كل ما أتى ، والسكون الى الأسوة التى نهج الله سبلها ، وخفف بها مواقع المصيبات على أهلها ، ثم الرجاء بعد ذلك لحسن ثواب الله ، [وقد] جعله الله لمن لزم أمره وأجشم نفسه مكروهاها فى مواطن الصبر على المصيبة ، والشكر فى حال العافية .

(١) السياق يقتضى وضع هذه الكلمة ، وعى متروكة فى الأصل .

وله فى المطر

قد كنت كتبت الى أمير المؤمنين أعلمه المطرة التى أصابتنا ، وما أنزل الله بها من رحمته ثم عادت لنا بعدها من الله عائدة رحمة ، بولى مطر أنزله الله بأحسن ما رأينا من المطر وإبلا جودا ، لا يفتر غزيره ولا يرعوى جوده ، الا الى ديمة عن ديمة ، يتراحمى اليها يسيرا ريثما تعود ، فأقامت علينا سماؤه مستهلة بذلك وكذلك الى غروب الشمس ، ثم انقطع مطرها بسكون من الريح ، وفتور من القر ، وفضل من الله عظيم ، ينشر به رحمته ، ويبسط به رزقه ، فأسبغ النعمة ، وأوسع البركة ، وأوبق بحمد الله معارف الخصب والحمى . والله محمود على آلائه ومشكور على بلائه ، وما أنزل الله من سقيه ورحمته ، بعد الذى أقبلت به السنة البرية والقحط وعدم الامطار ، وشدة ما بلغ الناس من القنوط وسوء الظنون .

وله الى بعض اخوانه

أما بعد ، فان أعظم الأمور فيما بين الناس حقا أمران : منهما الاخاء فى الدين ، فهو سبب وصية الله بين عباده بالآلفة والمحبة التى انقطعت بها قرائن القلوب من بعضهم الى بعض ، فاتصلت بحبائلكم مرائر حبلها ، وتقطعت فيما بينهم عاطفات وصاها ، ومنهما مجاملة جميل الأعداء ، وحفظ ما يحق لأهل حسن البلاء ، ثم الصنائع بعد ذلك فى مواقعها فضائل بقدر ما جرت به أسبابها ولطفت مداخلها .

فصل - الصناعة ليشىء يزيدها الأخلاق الجميلة ، ويزيد فى أسبابها
أواصر المودة ، وقد جعلك الله فى صناعتك مقسما ، وفى مودتك متفضلا ، فلا زالت عنك نعم الله ، ولا برحت سكنا لآخوانك ، وأنسا وموضعا لما تستميحون من معروفك ، ويستميرون من يدبرك .

فصل - ان لك من قلبى لموضعا معمورا بالمودة والثقة ، والاسترسال والأنسة ، فلا يخرج فلانا من سعة جميل برك ، الى عقبى استحقاقه .

آخر

قد طالت الصبابة اليك ، وللدهر عقب عائدة بالنفع والصنع ، ولا سيما لمز كان على مثل شاكلك فى أدبك وفضلك وانصافك لآخوانك وبرك بهم ، وما توجه على نفسك لهم مما يقصرون عن شأنك فيه .

الكلبي

كان أسلافنا تقارضوا ديونا من الصفاء يستاديهـا كل عقب من صاحبهـ ، وقد
أورثونا مودة لا نعجز عن اكتساب مثلها •

ابن أعين كاتب الخيزران

ليس يكون منك شيء وان حسن ، الا وحسن ظني بك يبلغه ، فاستتم
أحسن ما كان منك ، يتم لك أحسن ما تحب مني • ولا يمنعك الاكتفاء بحالك اليوم
من طلب الزيادة في غد ، فانه لقل شيء لا يزيد الا نقص ، والزمان يحق الكثير ،
كما يربو على الزيادة القليل •

ابن الكلبي

أنت من أطول بمكانه وأثق بجميل رأيه ، واعتمد على رفته ، وارجو درك كل
فضيلة به ، ومما أحب علمه مقر نعم الله عز وجل لديك •

علي بن عبيدة الى ابن الكلبي

وصل الله أيام عمري باتبع موافقتك ، ولولا موعد أخذ علي ، لأطعتك
فبما أمرت به ، متبعا مع اجابتك سرور نفسي برؤيتك في السلامة •

أما بعد ، فاني أصبحت وقد استفرغ الأمير مني كل مودة ونصيحة ، ومبلغ جهـ
وعلاقة فيما عرفت له فيه موافقة •

فصل - فان الذي شعب الله بيننا من التواصل والتكاتب ، يدعوني الى
متابعة الكتب اليك في تعهد حقك ، وان كان الخبر عن ظاهر الحال قلما يغني ،
فان له من الأنس والموقع في الكتب ما ليس مستعرضات الأخبار •

فصل - قد كنت أعلمت الأمير انقطاع بني فلان الى فلان ، بأهوائهم وبصائرهم
وشراء (١) ما قبله بغيره ، وما كان وصل الينا في ذلك من الأمور التي حملوا اصرها ،

(١) في الأصل : • • • وسراه ما قبله • • • :

بقي لنا أجرها وذكرها ونافلتها وسابقتها ، فنحن عدد الأبر وخباياه وذخائره ،
ومن بأمل يومه وغده ، ولا متخطي له عنه ولا مقتصر دونه .

عمارة

بلغنى كتابك يصف كذا . فان رأيت ألا تعتمد على ما لصقت [به] من عذرك ،
رأيت فيه الهوى من قبول عفووك ، وتجعلنى أحد من يسر بسرورك ، وتشركه فى
مهمات أمورك ، فانى أحدهم وأوسطهم عناية بما عناك وتوسطا لما عراك ، فعلت .

فصل - والدنو من دارك اذ الدار جامعة والحبل متصل ، اذ نحن فى
الاستيفاء بالخبر والعلم بدخلة الحال ، بمنزلة من تأنه يعانى من يشتااق اليه ويصيبو به
فى كل يوم ، حتى نأت النوى ، وأنت فى اللقاء والانظار فى كل أمر وعلى كل حال من
لا يشك فى صفاء غيبه ، وصدق اخائه .

فصل - مشاركتنا اياك فى محبوب الأمور ومكروها يحلنا محلك فى السرور
بالنعمة يجدها الله لك ، ويوجب من الشكر علينا (١) مثل الذى يوجب عليك .
فوصل الله كل نعمة يهبها لك من الشكر بما يكون لحقها قاضيا ، وللمزيد
فيها موجبا .

سعيد بن عبد الملك

كتبت على شغل فى قطع من القرطاس ، ولم يقطع بى حسن الظن بك فى قبولك
العتذر . وتحسينك ما أنت أهل لتحسينه ، فانك تقبل دون حقك ، وتهب الذنب فيه ،
فيكون شكرك جاريا على سبيلين ، كلاهما يبين لك عن فضلك ، ويوجب لك ما لا يقصر
معه إلا معبون الحظ خسيس النصيب .

فصل - وقد ظهر من أمير المؤمنين فى فلان بعد وفاته ، ما هو أعدل شاهد
على حسن منقلبه ، ورد اليك من رأيه وتفقده ما أرجو ان يكون فيه أعظم العوض .
وإنه أسأل أن يتولى لك أمورك فى السراء والضراء ، والشدة والرخاء ، والشكر
وحسن العزاء .

(١) فى الأصل : « عليها » ، وهو لا يؤدى الغرض المراد .

جبل بن يزيد الى بعض اخوانه

تمم الله علينا وعليك النعم ، وأجزل لنا (١) ولك محاسن صالح القسم .
ان الله تبارك وتعالى أجرى بيننا وبينك لطيف مودة ، وخاص أخوة ، غير أن المعرفة
قد تحمد بعد الخبرة ، والتقى انما تعرف بعد التجربة . وقد أحببت أن يعلم من
قبلك (٢) الذي أحدث الله لك من حال دولتك . وأن يعلم هل أبقت لنا منك النعمة
سعة ، أم تركت لنا منك صفحة نعرف بها عهدك ونأمل بها وصدقك ؟ فان أصحاب
السلطان ، بحال بنوى في التغيير والانتقال ، الا من نالته من الله تبارك وتعالى عصمة .
فان كنت على ما رجونا من الوفاء ، وحسن الحفظ للمودة والاخاء ، فمثلك لم يرض
لنفسه الا بأجمل الأخلاق وأوفقها للسداد . وان حجزك عن ذلك ما تأتي به الأقدار
في متصرف الليل والنهار ، نعذر بك بما نعذر به أهل السلطان ، اذا غيرتهم الحال ،
وتنكرت شمائلهم بين الاخوان .

وله الى بعض اخوانه ايضا :

اعلم أنى مشوق ، وأن صلة الاخوان كرم ، وخير الصلات ما لم يكن لها وجه
الا الرجاء والحفظ وتجديد المودة وتصحيح الاخاء ، فان الذى يكتب اخوانه على حال
الرغبة يكفى القائل كتابه حيث شاء ، ان أحب مال به الى الصحة ، وان شاء وضعه
للرغبة ، والرغبة أملكهما به (٣) . والذى يكتب اخوانه على حال الضرورة ، فقد
يستقطع الصلة عند الحدث مخافة الملامة (٤) من الناس على القطيعة الشنعاء المشهورة
لاخوانه ، فان الذى لا مودة له قد يصل ذلك فى تلك القطيعة بأهل البلاء .

والكتاب على مثل حالنا وحالك اليوم شاهد على أن ذلك ليس الا صحة الاخاء
والشوق الى المحادثة بالكتاب ، حين لا يلومك اللائمون لمنزلة البلاء تلك اللائمة على
التقصير . ولا يوضع منك الرغبة فى الاطماع . اناك أن تعطل بالأشغال أن كنت فى
خاصة نفسك ، فان أداء الحق وصلة الاخوان أعظم الخاصة بك خاصة . وانما أمرنا
فى كل هذا كأمرك فى الذى يستغنى من خاصتك تلك التى لنا ، فان لنا ما لك ، وهذه
التى لنا لك ، ليس ما سرنا سرنا وما سلبناه حظا لك ، فهذه كذلك وكذلك كهذى .

(١) فى الأصل : « وأجزلنا ... » .

(٢) فى الأصل : « ما قبلك » .

(٣) فى الأصل : « وأملكها ... » .

(٤) فى الأصل : « مخافة السلامة من الناس ... » .

والله يوفقنا وإياك . وأنت أبا يوسف . هكذا حال بيننا وبينك ما وصفت لأبي سعيد ، غير أنه سألنا أمرا لم يسألناه قط ، فله فضل السبق علينا في المسألة ، وإنما فضل المنزلة عليك في اللائمة . ولن أدعك والفعل ، دون أن تسفحه بالعمل الذي هو صلة القول . وسلام عليك ورحمة الله ، وقضى الله عز وجل بالحسنى لنا ولك .

فصل - أتاني كتابك ، فأنعمت أن يسرني بسلامتك ، وما حاق فيه كرم برك ، ولطيف عنايتك ، ما لم أوقد في حالة من حالائك ، فكان الكتاب مصدقا لما سلف ، مبشرا بما يستأنف ، مذكرا منك عهدا موصو (١) مثاله طرفي وقلبي ، ملصقا ذكره بلساني وقلبي . فلا عذمتك ، بل أمتعني الله بك فأطال ، وكثرني ببقائك .

فصل - أتاني كتابك فطامن قلبي وطرفي ، بعد ما كان شاخصا إليه ، متشوقا إلى رؤيته ، ثم ملأني سرورا ما رأيت فيه من آثار برك وكريم تفقذك . وأفضل ما عندي منك قبله ، مما إن ذكرته ، فللاستراحة (٢) إلى الذكر ، وإن أمكنت ، فللعجز عن الشكر . فأما الضمير فمبنى على الإقرار بفضلك ، والنية خالصة بشكرك . وقليل ذلك لك ، فأعطاك الله فأطاب ، ووهب فأجزل .

فصل - وصل إلى كتابك فخيّل لي حين نظرت إلى أثر يدك بمجرى قلمك في بطن صحيفتك ، أنك مائل بين عيني : أنظر إلى شخصك وأسمع من لفظك ، فابتعث ذلك مني طربا شائقا ، وصباية هيجت الأحزان وذكرت الإخوان . وكنت من اخواني الذين أفخر بسلامتهم للود الذي أجرى الله بيننا وبينك ، فتواصلنا بحرمته ، وتعاطفنا بوصله .

فصل - إن الله جعل عاقبة كل نعمة وإن عظمت ، تبعا لأولها ، وجعل الشكر عايتها سببا لتمامها وموجبا لأحسن الزيادة منها .

فصل في شكر - فإن الله جعلك للخير معدنا ، وللفضل موضعا ، فيما حملته نفسك من ثقل أعباء المروءة ، وحملتها عليه من عظام المكارم ، حتى صرت بما أنعم الله به عليك ، منتهى كل أمل وغاية كل رغبة . ثم ألبست النعمة لباس التواضع ، وناسبت في الأخلاق من سبقت به عليك الأمور ، حتى كأنهم في النعمة لك شركاء . وتحننت على الأقربين والمتقربين من الإخوان والأقفاء ، حتى كأنهم لك ولد ، وأجبرت نفسك حين ساعدك الدهر ، على طبيعة التقرب إلى العامة ، فكلهم يدلي إليك بدلو

(١) فر. الأصل بياض .

(٢) في الأصل : ، فللاستراحة

رغبته ، ويمتاح منك متاحة فضل ، فلا عدمت ألا تزال تنعش سقطة ، وتقبل عشرة ، وتسدد خللا ، وتنيل أملا ، ولا عدم من شهد ذلك منك ، أن يستتم هذه النعمة عليك وعلى نفسه ، فان من سعادة العامة أن يجعل سارها عند خيارها • ومن البلاء العظيم عليها الموجه لها ، أن يخص شرارها بموضع رغباتها •

فاسلم كلاك الله بهذه النعمة ، غير منغص بها ، ولا مكدر عليك (١) صفوها ، حتى تسلمك النعمة العاجلة الى النعمة الباقية ، فانا وان علمنا أن من شأن الدهر الغدران في العواقب فقد علمنا أنك فيما أهدي الله إليك من النعمة ، قد أدبت حق الله عز وجل ثم حق اخوانك فيها ، فكنت آخر من نال فضلك ، كرما في السناء ، ورضا في الأثرة ، غير متطاول لما نأمل ، ولا متضعض لما تحذر ، فانا نجزي شكر الماضي منك ، ورجاء الباقي ، فنرى تضييعا منا في عقد الرأي ، وازراء بنا في وثائق الأمور ، ألا تمنحك من أنفسنا مودة الولد ورقة الوالد • وإذا أعطاك امرؤ ثمرة فؤاده ، فقد فرغ اليك من جميع حقه ، لأن ذات يد امرئ في البذل أهون عليه من ذات نفسه في الشكر • وكفى لامرئ من امرئ أن يستولى عليه حتى لا يدع لغيره فيه فضلا • وكفى بك لنا من غيرك • وكثير منا أن نقوى على أداء أدنى صنوف حقه ، غير أن أوثق أدورنا فيك عند أنفسنا ألا نسأم النظر الى فنائك بهجين بك ان برزت ، وعاذرين لك ان شغلت •

فصل - ان الهدى والضلالة يقتسمان دول الأزمنة ، لغير كرامة للباطل ، ولا هوان للحق • وأهل الحق كيف تصرفت أحوالهم في كرامة من الله عز وجل • ونعمة بين دولة تكون لهم ، يقومون لله فيها بحقه ويظهرون هداه ودينه ، ودولة تكون للباطل ، يكونون فيها كهوفا للخيرات ، ومعدنا للحسنات ، يستكن الحق في صدورهم ، ويأوى البر والصدق اليهم ، فهم بين يومى صبر وشكر ، ليس أحدهما دون صاحبه في الفضل •

وأهل الباطل كيف تصرفت أمورهم بين سخط الله وعقوبته ، لأن الله تعالى لم يجعل في الباطل فرجا لأهله ، وان كانت لهم دولة كانت املاء واستدراجا ، وكانوا فيها على مدرجة هلكة وسبيل نقمة ، وان كانت الدولة لأهل الحق ، كانوا فيها بين ذل وضيم ، وخوف وجزع ، وقد سددت عليهم المطالع ، وضائق عليهم الأرض بما رحبت • ففي أى يوميه مستراحهم : أيوم دولتهم ، وهم لا يشكرون النعمة ولا يقطعون أسباب النقمة ؟ أم يوم علو الحق عليهم ، وهم لا يصبرون على المحنة

(١) في الأصل : « ولا مكدر عليها صفوها • »

ولا يبصرون من العمى ؟ وأهل الحق بين حالى غبطة وحسبة ، وأهل الباطل بين حالى
املا ، ونقمة .

فصل فى صفة الجند - ان الغالب على أهواء جماعة من فئام أولياء الأمير وجنده
اعظام الأمير ومعرفة فضله ، والتقرب الى الله بمحبته ومناصحته وطاعته ، ومعاداة
عدوه ، وتلك نعمة يعتدون بها ويتقربون الى الله بها ، ويتوسلون الى الأمير بخزى قوم
خالقوا .

فصل - حل بين فلان وبين التشريد بهم والاجتياح لهم ، فان ذلك أرضى
لربك ، وأجمع للألفة ، وأقوم لعمود الخلافة الذى سدد الله دعائم الاسلام وأسس الدين
به . واعلم أن من حاط الله دينه ، ورمت عن فوقه الجماعة ، وعادى أهل النقض
لها ، ابتعثه الله آمنا من هول الحساب وضيق المحشر ، والله بنصره أحق وأولى .
وكن لله بحيث افترض عليك ، فانه قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : (يا أيها النبي
جاهد الكفار) .

كتب جعفر بن محمد بن الأشعث الى رجل لم يكاتبه

لست بما صرفت الى من معروفك بأسر منى ، بما أهديت الى من قضاء الحق
عنك ، وقلة ذوى الحرمة بك ، لأنك قد تصل من لا يثق ولا يأنس الا بمن يعتمد
عليه .

كتب الفضل بن يحيى الى رجل يشاوره فى أمر حدث

١٢١

ليس كل امرئ وان كان ذا عزيمة فى رأيه ، وأصالة فى عقله ، بمستغن عن
مكاشفة أهل رأى ، لتوزيع الله عز وجل ، أقسام الفضل فى خلقه ، وإشراكه إياهم ،
فى عطاياه ، فأراك فى كذا .

كتب ابراهيم بن المهدي الى أحمد بن يوسف ، فكتب أحمد

الى اسحاق بن ابراهيم الموصلى

عندى من أنا عبده ، وحجتنا عليك ، اعلامنا إياك .

توسل

توسل رجل الى رجل بمحمد بن عبد الملك وادعى قرابته منه ، وبلغ ذلك محمد!
فكتب الى المتوسل اليه :

بلغنى أن رجلا ادعى قرابتي ، وأورد عليك كتابا ذكر أنه مني ، وما أنكر أن ينتفع بي من توسل بنسبي ، إلا أنه من ادعى قرابة ، ولا قرابة له ، كان استعمال الشفاعة في أمره أولى .

كتب طاهر بن الحسين الى الفضل بن سهل

أسعدك الله بمحاربتك ، التي بذلت فيها مجهتك ، ومهيج من هو موصول بك منا .

محمد بن الجهم

وليس في جميع الناس أعدى لك : من صديق مؤمل ، أو حميم راج ، ان منعتهما شتماك وبهتاك ، وان أعنتهما الباهية (١) اغتلاك .

محمد بن مسهر

قال : كنت أنا ويحيى بن أكثم عند سفيان ، فبكى سفيان ، فقال له يحيى : ما يبكيك يا أبا محمد ؟ قال :

بعد مجالستي من جالس أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ابتليت بمجالستكم ، فقال له يحيى : فمصيبه من جالست منهم بمجالستهم اياك بعد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم من مصيبتك بنا ، فقال : يا غلام ، أظن السلطان سيحتاج اليك .

دخل ميمون بن مهران على بعض خلفاء بني أمية - وأحسبه عمر بن عبد العزيز - فقال له وقد قعد في أخريات مجلسه : عظمي ، فقال له : انك لمن خير أمراك ان وقيت ثلاثا ، قال : ما هن ؟ قال : السلطان وقدرته ، والشباب وغرته ، والمال وفتنته ، فقال : أنت أولى بمكاني مني فارتفع الى : فأجلسه معه على سريره .

ابن وهب في الاعتذار

لو لم نعذرك لم نعذر أنفسنا بقطيعتك ، فكن لنا في لائمة نفسك ، كما كنا لك في عذرك .

(١) هكذا وردت في الأصل .

وفى مثله

ليس فى الاساءة فضل عن الاعتذار ، وفى عائدتك فضل عن اساءتنا ، فمن أين يسقط بين فضلك والاعتذار !

آخر

فلان من حملة المعروف ، يكثر عندهم قليله فى شكرهم ، ويقل لهم كثيره فى عظيم حقوقهم .

فصل - لئن عميت عن رأى فيك ، لقد أبصرتك بك .

فصل - تغيب فأشتاق ، ونلتقى فلا أشتقى .

٢ - فصول من رسائل مختارة فى كل فن

وهى مثل مما كتب به الكتاب فى أبواب لا نظير لها

فمن ذلك ما كتب به فى التحميد لله عز وجل فى أوائل الفتوح وأواخرها وأوائل الكتب التى فيها تحميد الله عز وجل .

التحميد الأول

الحمد لله القادر القاهر ، المتوحد بالسلطان والربوبية ، والمتفرد بالبقاء والقدرة ، والمتجبر بالكبرياء والعظمة ، ذى الجلال والاكرام ، والافضال والانعام ، والعز والبرهان ، والأسماء الحسنى ، والمثل الأعلى ، الأول بلا غاية ، والآخر بلا نهاية ، الذى لا يحيط به وصف الواصفين ، ولا تبلغ مدى عظمتة أوهام المتوهمين ، ولا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير ، لا يؤوده حفظ كبير ، ولا يعزب عنه علم صغير ، يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وما تسقط من ورقة الا يعلمها ، ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين .

التحميد الثانى

انحمد لله الذى خلق الأشياء على غير مثال ولا رسول ، وأنشأها على غير حدود ،

ودبر الأمور بلا مشير ، وقضى فى الدهور بلا ظهير ، وسماك السماء بقدرته ، وبنائها على ارادته ، وأسكنها ملائكته الذين اصطفاهم لجاورته ، وجبلهم على طاعته ، ونزههم عن معصيته ، وجعلهم حملة عرشه ، وسكان سماواته ، ورسله الى أنبيائه ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، ودحا الأرض وبسطها لكافة خلقه ، وقسم بينهم الأرزاق ، وقدر لهم الأقوات ، فهم فى قبضته يتقلبون وعلى أفضيته يجرون ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

وصدر تحميد مفرد

الحمد لله العلى مكانه ، المنير برهانه ، التامة كلماته ، الشافية آياته ، والحمد لله ولى أوليائه وعدو أعدائه .

وصدر تحميد

الحمد لله الغالب الذى لا يغلب ، والمقتدر الذى لا يعان ، والمنجز وعده ، والمؤيد أوليائه ، والخاتم بالفلج (١) والظهور لهم ، والمديل من أعدائه ، ومحيط دائرة السموات بهم .

ولكاتب خزيمة بن خازم فى فتح الصنارية تحميد مختار

أما بعد ، فالحمد لله ذى الملكوت والقدرة ، والجبروت والعزة ، والسلطان والقوة ، أهل المحامد كلها ، ومدبر الأمور ووليها ، وخالق الخلائق وبارئها ، ومميتها ومحيتها ، وباعثها ووارثها ، الذى أوجب على نفسه بما نفذ من مشيئته ، وسبق من علمه ، وثبت فى اللوح المحفوظ عنده اعزاز دينه ، وأظهر حقه ، وأعلى كلمته ، وأبلاج حجته ، وأزهاق باطل أعدائه ، والصارفين عن طاعته ، والجاحدين لربوبيته ، المكذبين بكتبه ورسله ، بلغ بذلك أمره ، ونطق به كتابه ، فانه يقول تبارك اسمه فى المنزل من فرقائه : (بل نقذف بالحق على الباطل فيسحقه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون) .

وتحميد لأحمد بن يوسف الى الولاة عن الخليفة

أما بعد ، فالحمد لله ذى المنن الظاهرة ، والحجج القاهرة ، الذى قطع بينه وبين

(١) الفلج : الغلب والظفر ، يقال فلج فلان على خصمه ، أى غلب وظفر .

عباده المنعذرة ، ورادف عليهم البينة ، ومهلة النظرة ، وجعل ما أتاهاهم من حظوظ الدنيا بالهسم المكتوب ، وما ذخر لهم من ثواب الآخرة بالنجح المطلوب ، فهم فى العاجلة شركاء فى النعمة ، وفى الآجلة شتى فى الرحمة ، يختص بها أهلها المنتفعين بما ضرب لهم من الأمانال ، وتصريف الحال بعد الحال ، المبادرين بأعمالهم الى انقضاء مدد آجالهم ، قبل حارل ما يتوقع ، وفوت ما لا يرتجع .

وتحميد لآبراهيم بن العباس فى فتح اسحاق بن اسفماعيل

الحمد لله معز الحق وفديله ، وقامع الباطل ومزيله ، الطالب فلا يقوته من طلب ، والغالب فلا يعجزه من غلب ، مؤيد خليفته وعبده ، وناصر أوليائه وحزبه ، الذين أقام بهم دعوته ، وأعلى بهم كلمته ، وأظهر بهم دينه ، وأدال بهم حقه ، وجاهد بهم أعداءه ، وأفاد بهم منسبيله ، خفدا يتقبله ويرضاه ، ويوجب أفضل عواقب نصره ، وسوايح نعمائه .

التعليق الثانى

الحمد لله الغالب ذى القدرة ، والقاهر ذى العزة ، الذى لم يقابل بالحق باطلا فى موطن من موطن التحاكم بين عباده ، الا جعل أولياء الحق منهم حزبه وجنده ، وجعل الباطل بهم فلا منكوبا ، ودحيضا زهوقا ، ان نهض به أولياؤه كانت مراصد عواقبه مفرقة ما جمع ، ومبترة ما أعاد ، وقائفة بأشياعه الى مصرع الظالمين ، حتى يكون الحق الطالب الأعز ، والباطل المطلوب الأذل ، وأولياء الحق الأعين يدا وأيدا ، وأشياع الضلال الأخسرين أعمالا وكيدا ، قضاء الله وسنته ، وعادة الله وإرادته ، فى الفئة المنصورة أن تعز فلا ترام ، وأن يمكن لها فى الأرض كما مكن للذين من قبلها ، وفى الفئة الناكبين عنه ، أن تزل فتكون كلمتها السفلى ، وكلمة الله هى العليا ، والله عزيز حكيم .

وتحميد له مبتدا مقام بين يدى خليفة

أما بعد ، فالحمد لله الأول بلا أبد يحصى ، والآخر بلا أمد يفنى ، الظاهر لخلقة بعزته ، العزيز فى سلطانه بعظمته ، الفرد فى وحدانيته بقدرته ، المدبر فى ملكه بجبروته ، الذى نأى عن الأشياء أن يكون فيها محويا ، واتصل بها فلم يك من علمها خليا ، وهو فيها غير مستكن ، ومعها غير مماس فى لجج البحار ، ومفاوز القفار ، وشوامخ الجبال ، وكثبان الرمال ، مع كل خلق ، وفى كل أفق ، وعلى كل شرف ومكان ، وفى كل وقت وأوان ، موجود اذا طلب ، وقريب حيث ندب ، عالم خفيات الغيوب ، وخطرات القلوب ، وما فى السموات وما فى الأرض ، ما يكون من

يجوى ثلاثة الا هو رابعهم ، ولا خمسة الا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم ، وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين .

وتحميد ثان يتلو الأول

الحمد لله المتعالى عن تشبيه الجاهلين ، وتحديد الواصفين ، وتكليف الناعتين ، يوصف لا بالعرض والطول ، وينعت بغير الشبح المثلول ، ويحد لا بالخلق المحدود ، والجسم الموجود ، بل يتناهى من وصفه ، الى ما دل عليه من صناعه ، ويوقف عليه من نعته ، على ما أخبر به عن نفسه ، وكيف يوصف من لم يره أحد ، ويحد من لم يحد بله ، أو يشبه غير ذى أعضاء ، أو يكيف غير ذى أجزاء ، لو رثى لوصف ، ولو وصف لمثل ، ولو مثل لكان له نظير ، سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا ، لا يتجنى الأقطار ولا يحويه قرار ، ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ، وهو اللطيف الخبير ، لا يوصف أولاه ، ولا يدرك أخراه ، ولا يعرف منتهاه ، عظم أن يحصره وهم ، وجل أن يدركه فهم ، وامتنع من أن يخاله علم ، ولا يغيره ليل ولا يوم ، ولا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده الا بإذنه ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء ، وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما ، وهو العلى العظيم .

وتحميد ثالث

الحمد لله الذى ألهمنا من الاقرار بربوبيته ، والايمان بوحدانيته ، وأنه غير ذى صاحبة يسكن اليها من وحشة ، ولا ولد يتكثر به من ضعف قلة ، ولا شريك يعاونه من عجز قدرة ، ولا ظهير يكافئه لملال فترة ، ما جعل لنا به أوثق الأسباب لديه ، وأرجى الوسائل اليه ، اذ كان من أنكر ما دللنا الاقرار به يصير بجحد ما أقنعنا الاعتراف فيه ، الى أليم عقوبته بالمعصية التى استحكمت السسطة على أهلها ، وحلت النعمة بمن فارقها ، ثم جعلنا تبع اشراف كثير على أنفسنا فى مشيئة منه ، بسط اليها آمالنا وأحسن عليها أطماعنا بكرم عفوه ، وعظيم حلمه ، وسعة رحمته ، التى وعد أهل الايمان بها ، اذ صار من فارقهم فى ذلك بما استهوت عليهم ، بتزيينه لهم شياطينهم ، ورائت على أفئدتهم (١) . . . وما ظلمته قرباؤهم الى الناس من كل طمع يجدى وخبر ينجى ، جزاء بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ، ان الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد حبط عمله ، وهو فى الآخرة من الخاسرين .

(١) فى الأصل بياض ، وفى العبارة اضطراب ظاهر .

وتحميد يتلو الثالث في هذا المقام

الحمد لله الذي ابتدع لا من شيء ما أنشأ ، وابتدأ على غير مثال ما ابتدأ ، فجعل كثيرا من لطائف تقديره ، وصنوف تدبيره ، وتصارييف أموره ، حججا واضحة ، وآيات بينة ، وعبرا شافية ، تشهد له بعزة القدرة ، ونفاذ الحول والقوة ، فيخلق مدبرا بلا مشورة أحد ، سبعا دحاهن على الماء على غير سند ، مبسوطات في تكاثف أجزائهن ، على معين ماء مسخر من تحتهن ، فجر خلالهن أنهارا ، وقدر فيهن من المعاش أوقاتا ، وجعل لهن من الجبال أوتادا ، ثم استوى الى السماء وهي دخان ، فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين . ففطر من الدخان في خفته على الهواء سبعا ، جعل بينهن من الجو متسعا ، سبع سموات طباقا مرفعات ، بلا دعائم قبلها ولا علاقات ، يمسكنه بقدرة أن يرتفعن فوق ما حبسهن عليه ، وأن يهوين الى قرار دون ما رفعهن اليه ، فأتقن صنعها ، وأوحى في كل سماء أمرها ، وزين السماء الدنيا بالمصابيح النيرة ، والشهب الثاقبة ، والنجوم الواضحة ، وسخر الشمس والقمر علما للمهتدين ، وسراجا للمبصرين ، ورجوما للشياطين ، وأوقاتا لاختلاف السنين ، ومعرفة لكل حين ، لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ، فقضاهن سبع سموات في يومين ، ولو شاء خلقها في أسرع من طرف العين ، إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ، بلا مصاناة لقول ، ولا ضعف من حول ، ثم أسكنهن من خلقه ملائكة اصطفاهم لعبادته ، واجتباهم لتبليغ رسالته ، معصومين من أن يشركوا بالله ، ما لم ينزل به سلطانا ، وأن يقولوا على الله افكا وبهتان ، يسبحونه بالليل والنهار لا يفترون ولا يسأمون من عبادته ، ولا يستحسرون عن طاعته ، يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون .

وتحميد في فتح لابن العباس

أما بعد ، فالحمد لله الذي حمد نفسه ، وفرض حمده على خلقه ، وأعز دينه وأكرم بطاعته أوليائه ، وأكرم طاعته بأوليائه ، فجعل جنده منهم المنصورين ، وحزبه منهم الغالبين ، نهج بهم سبيله ، وأقام بهم حجتهم ، وجاهد بهم أعداءه ، وأظهر بهم حقه . وقمع بهم الباطل وأهله ، وأعلى كلمتهم ، وأنصرهم ، وألف لهم وبهم ، ومكن لهم في الأرض ، فجعلهم أئمة وجعلهم الوارثين .

والحمد لله المعز لدينه ، المظهر لحقه ، الناصر لخلفائه ، الممكن لحزبه ، المنتقم بهم ممن صدف عنه ، مؤيدا دينه بالنصر ، ليظهره على الأديان ، وحفه بالعز ، فلا يأتيه

الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وجنوده بالفلج فهم الإعلون ان سمنتس بهم ،
والأعزون ان كاد بهم ، والأقربون منه اخلاصا وعملا ، حمدا يؤازي نعمه ، ويمتري
بمثله فواضله ومزيده .

وله في فتح ابن البعيث لما ظفر به

أما بعد ، فالحمد لله ناصر أنبيائه وخلقاؤه ، وهادي أوليائه ، أولياء الحق وحزب
اليمين ، الذين أقام بهم سبل الرشاد ، ونصب بهم مناهج الدين ، فأظهره على الدين
كله ولو كره المشركون .

وله صدر كتاب الخميس في تحميد الله وتمجيده

أما بعد ، فالحمد لله الذي جلت نعمه ، وتظاهرت منته ، وتتابعت أياذيه ، وعم
أحسانه ، أله كل شيء وخالقه ، وبارئه ومصوره ، والكائن قبله ، والياقي بعده ، كما
قال في كتابه : (كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم واليه ترجعون) . العالی فی مشيئته
والقاهر فوق عباده ، المتعالى عن شبه خلقه ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ،
خاق العباد بقدرته ، وهادهم برحمته ، وأوضح لهم السبيل إلى معرفته بما نصب لهم
من دلائله ، وأراهم من عبره ، وصرفهم فيه من صنعه ، كما قال جل جلاله : (الذي
أحسن كل شيء خلقه بدأ خلق الأنسان من طين ثم جعل نبيله من سلاله من ماء
مهيّن ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قل لا
ما تشكرون) .

وذلك كله من خلقه أيأهم بتمثيله ما مثل لهم من الدلائل التي نصبها لهم ،
والأعلام التي جعلها آزاء قلوبهم ، وأسماعهم وأبصارهم ، ويسر لهم خواطرهم
وفكرهم ، والهيئة التي هيأهم لها ليقع الأمر والنهي عليهم ، فلا يكلفهم فوق طاقتهم ،
ولا يجشمهم ما يقصر عنه وسعهم ، نظرا منه تبارك وتعالى اليهم ورحمة بهم ، ليؤمنوا
به ويعبدوه ، فيستحقوا به رحمته ورضوانه ، والخلود في النعيم المقيم ، والظل
المديد ، والعيش الدائم ، كما قال تعالى ذكره : (الا من رحم ربك ولذلك خلقهم) .
وكان من نظره ورأفته بهم أن بعث فيهم أنبياءه ورسله ، يدعونهم إلى طاعته ، ويبينون
لهم هدايه ، ويوضحون لهم سبيله ، ويهدونهم إلى رحمته ، ويعدونهم ثوابه ، وينذرونهم
عقابه ، ويبسطون لهم توبته ، ويحذرونهم سخطه ، ويبينون لهم سنته وشرائعه ،
ويكشفون لهم مواعظه ، ويعلمونهم كتابه وحكمته ، كما قال تبارك وتعالى : (ليهلك
من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة وان الله لسميع عليم) . وكان من رأفته بهم ،
ونظره لهم ، أن بعثهم اليهم بالحجج الظاهرة ، والأعلام البينة ، والشواهد الناطقة ،
التي أظهر بها صدقهم ، وأقام بها برهانهم ، وأوضح بها دليلهم ، وأثابهم عمل

...واسم ، ليكون أدعى لهم الى تصديقهم ، والقبول عنهم ، وأؤكد للرجة على من
أبى ذلك منهم .

وتحميد أحمد بن يوسف فى صدر رسالة الخميس التى كانت تقرأ بخراسان

أما بعد ، فالحمد لله القادر القاهر ، الباعث الوارث ، ذى العز والسلطان ،
والنور والبرهان ، فاطر السماء والأرض وما بينهما ، والمتقدم بالإن والطول على
أهلها ، قبل استحقاقهم لموئته ، بالمحافظة على شرائع طاعته ، الذى جعل ما أودع
عباده من نعمته ، دليلاً هادياً لهم الى معرفته ، بما أفادهم من الألباب ، التى يفهمون
بها فصل الخطاب ، حتى اقتنوا علم موارد الاختبار ، وتقفوا مصادر الاعتبار ، وحكموا
على ما بطن بما ظهر ، وعلى ما غاب بما حضر ، واستدلوا بما أراهم من بالغ حكمته ،
ومتقن صنعتهم ، وحاجة متزايل خلقه ومتواصله ، الى القوام بما يلزمه ويصلحه ،
على أن له بارئاً هو أنشأه وابتدأه ، ويسر بعضه لبعض ، فكان من أقرب وجودهم ،
ما يباشرون به من أنفسهم ، فى تصرف أحوالهم ، وفنون انتقالها . وما يظهرون عليه
من العجز عن التأتى لما تكاملت به قواهم ، وتمت به أدواتهم ، مع أثر التدبير والتقدير
فيهم ، حتى صاروا الى الخلقة المحكمة ، والصورة المعجبة ، ليس لهم فى شئ منها
تألف ينجمونه ، ولا مقصد يعتمدونه من أنفسهم ، فانه قال تعالى ذكره : (يا أيها
الإنسان ما غرك ربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء
ركبك) . وما يتفكرون فيه من خلق السماء ، وما يجرى فيها من الشمس والقمر ،
والنجوم مسخرات على مسير لا يثبت العالم الا به ، من تصارييف الأزمنة ، التى بها
صلاح الحرث والنسل ، وأحياء الأرض ، ولقاح النبات والأشجار ، وتعاور الليل
والنهار ، وممر الشهور والأيام ، والسنين التى تحصى بها الأوقات ، ثم ما يوجد من
دليل التركيب ، فى طبقات السقف المرفوع ، والمهاد الموضوع ، باختلاف أجزائه
والثامها ، وخرق الأنهار ، وارساء الجبال ، ومن التثام الشاهد على ما أخبر الله
به من انشائه الخلق وحدوثه بعد أن لم يكن ، مترقياً فى النماء ، وثباته الى أجله فى
المقاء ، ثم محاربه منقضياً الى آخر القباء ، ولم يكن له مفتتح عدد ، ولا منقطع
أمد ، وما ازداد بنشوء ، ولا تحيفه نقصان ، ولا تفاوت على الأزمان ، لأن ما لا حد
له ولا نهاية ، غير ممكن الاحتمال للنقص والزيادة ، ثم أجرى فيما ذكر من خلق
الله وخلق الإنسان الى ذكر ما تفضل الله به على عباده الأنبياء ، وما اختصهم
به من مبعث النبى صلى الله عليه وسلم ، الى ذكر الخلفاء أولاً ، ثم الى ذكر المأمون
ودولته .

وتحميد للعباس فى مقام له بين يدى المأمون

الحمد لله على نعمه علينا ، وإحسانه إلينا ، بالأرض المبسوطة ، والسماء
المرفوعة ، والرياح المسخرة ، والأمطار النازلة ، والأوقات القائمة ، والمنافع الدائمة ،

والدين المبين ، والأدب القويم ، حمدا يكون اليه صاعدا ، ولديه ناميا ، ولملكوته مالئا ،
والحمد لله حمدا يثبت رضوانه ، ويورث احسانه ، ويوجب مزيده ، فهو المنعم
المحمود ، والمتطول المشكور ، لا اله الا هو لا شريك له ، كما شهد الله وملائكته قائما
بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم .

وتحميد لعبد الحميد في أبي العلاء الحروى

الحمد لله الناصر لدينه ، وأوليائه وخلفائه ، المظهر للحق وأهله ، والمذل لأعدائه
وأهل البدعة والضلالة ، الذى لم يجمع بين حق وباطل ، وأهل طاعة ومعصية ، الا جعل
النصرة والفلاح والعاقبة لأهل حقه وطاعته ، وجعل الخزي والذلة والصغار ، على أهل
الباطل والخلاف والمعصية ، حمدا يتقبله ويرضاه ، ويوجب به لأمر المؤمنين وأهل
طاعته الزيادة التى وعد من شكره ، والحمد لله على ما يتولى من اعزاز أمير المؤمنين
ونصره وافلاجه واطهار حقه ، على ما وقع بأعدائه وأهل معصيته والخلاف عليه من
سطواته ونقماته وبأسه ، فيما ولى أمير المؤمنين من موالة من والاه ، وعداوة من بغى
عليه وعاداه ، لا يكله فى شئ من الأمور الى نفسه ، ولا الى حوله وقوته ومكيدته ، فانه
لا حول ولا قوة لأمر المؤمنين الا به .

وتحميد في آخر فتح

الحمد لله المعز لدينه ، المظهر لحقه ، الناصر لأوليائه ، المنتقم من أعدائه أهل
الكفر ، المنزل بهم من بأسه ، ونقمته وجوائحه ، الذى لم يجمع بين أهل حقه ، وباطل
عدوه ، فى موطن من موطن التحاكم ، الا جعل فيه لأوليائه الظفر ، وأفرغ عليهم
الصبر ، ومنحهم النصر ، وجعل الدائرة وسوء العاقبة على عدوه ، وأهل الكفر ، حمدا
كثيرا يرضاه من الشكر ، ويحسن به المزيد .

وتحميد في فتح الى أمير لقمامة

انحمد لله الفتح العليم ، الذى خص الأمير بأفضل الكرامة وأتم النعمة ، وأحسن
الولاية ، وأعظم الكفاية ، وحفظ ما استرعاه ، وأعز أوليائه ، وقمع بالمذلة أعدائه ،
وجعل حسن العاقبة له ولأهل طاعته ، ودائرة السوء على أهل معاندته ، حمدا يحسن
به القضاء ، وتزيد به النعماء .

وصدر تحميد لفسان بن عبد الحميد في خطبة موجزة

الحمد لله الذى لا يدرك خير الا برحمته ، ولا ينال الفضل الا بنعمته ،
ولى التسديد للحسنات ، والعصمة من السيئات .

تحميد لعبد الحميد في فتح

الحمد لله العلي مكانه ، المنير برهانه ، العزيز سلطانه ، الثابتة كلماته ، الشافية آياته ، النافذ قضاؤه ، الصادق وعده ، الذي قدر على خلقه بملكه ، وعز في سماواته يعظمته ، ودبر الأمور بعلمه ، وقدر بحلمه ، على ما يشاء من عزمه ، مبتدعا لها بانشائه اياها ، وقدرته عليها ، واستصغاره عظيمها ، نافذة ارادته فيها ، لا تجرى الا على تقديره ، ولا تنتهى الا الى تأجيله ، ولا تقع الا على سبق من حتمه ، على كل ذلك بلطفه وقدرته ، وتصريف وحيه ، لا معدل لها عنه ، ولا سبيل لها غيره ، ولا علم أحد بخفاياها ومعادها الا هو ، فانه يقول في كتابه الصادق : (وعنده مفاتيح الغيب) الى آخر الآية .

وتحميد ثان

الحمد لله علا بالحجب التي استتر بها عن جميع خلقه ، واستغنى بها عنهم لما توحد به دونهم من عبادة الذين فطرهم على المعرفة ، رءوفا عليهم بمنه وامتطولا وهو فيما يمضى من أقداره ، مفصلا لهم بابتدائه خلقهم في أحسن تقويم ، واعطائهم اياهم عاجل كل خير مقسوم ، وتسخيرهم لهم جميع ما في السموات والأرض ، وبسطه لهم في معاشهم أوسع الرزق ، واسباغه عليهم فيها أفضل النعم التي لطفت فبطنت ، وعظمت فظهرت ، ولبست فعمت ، وانتشرت فجللت ، وكثرت فلا يحصيها عاد ، وجللت فلا يؤدي حق ما افترض منها شاكر ، فانه يقول : (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم) .

والحمد لله الذي لم يقتصر بهم في اكرامه وتفضيله اياهم على عاجل ، فانه مضمحل زائل مما أعطاهم اياه ولم يكلمهم في معرفة خالقهم تبارك وتعالى ، وامتولى النعم عليهم ، والاحسان اليهم ، والارتياش لهم ، ولا في مبتغى سبيل طاعته ، وأداء حقه ، وشكر نعمته ، واستيجاب غبطة المعاد اليه الى أن يعوا ذلك بعقولهم ، والنظر فيه بالبائهم ، والتصريف له على أهوائهم ، فانه لو ألجأ ذلك اليهم ، وأفردهم فيه الى أنفسهم ، ووكلمهم فيما أمرهم به الى مقدرتهم ، لحارت عنه منهم الأبصار ، ولتاهت فيه منهم العقول ، ولأضلهم عن قصده العمى ، ولمال بهم الى غيره الهوى ، ولاستحكم عليهم شرك الردى ، ولكنه بعث فيها أنبياءه الهادين ، يدعوهم الى الصراط المستقيم ، بنوره المضيء ، ودينه القويم ، وآياته البينة ، وكتبه الفارقة التي بين فيها محابه ومكروهه ، وطاعته ومعصيته ، وثواب الفريقين في ذلك من عباده ليحذروا ما حذرهم فيه من سخطه ، ونزل بهم فيه من نعمته ، وليسارعوا فيما جعل لأهله به الى أفضل المثوبة ، وأحسن العاقبة في الدنيا والآخرة ، وكشف لهم الجهالة ، وهدى من

الضلالة ، وبصرهم سبيل الحق ، وبين لهم معالم الاسلام ، ليرجع جائر ، ويقصد
 زائع ، ويعرف جاهل ، وليعبد الرب بما وحد به نفسه ، وليستبين العلم ، ويستضيء
 الحق ، وليبتغي من الله الثواب يلزوم دينه الذي شرع ، وأداء فرائضه التي فرض ،
 وإيثار طاعته التي أوجب ، وليكون لله الحجة البالغة على عباده فيما تركوا من ذلك
 وسفهبوا بعد استبانتهم لهم ، واستفاضته فيهم واعذاره اليهم ، فانه يقول : (ليهلك
 من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم) ويقول : (ليجزى الذين
 أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى) .

لانس بن أبي شيخ

الحمد لله الذي بالقلوب معرفته ، وبالعقول حجته ، الذي بعث محمدا صلى الله
 عليه وسلم أدينا فوقى له ، ومبلغا فأدى عنه فحجج به المنكر ، وتآلف به المدبر ، وثبت
 به المستبصر ، الى أن توفاه على منهاج طاعته ، وشريعة دينه ، ثم أورنكم عهده
 وختتمكم بكلمة التقوى ، وجعلكم الأمة الوسطى .

ولعبد الحميد في فتح

يعظم فيه أمر الاسلام بمحمد صلى الله عليه وسلم

أما بعد ، فالحمد لله الذي اصطفى الاسلام ديننا رضى شرائعه ، وبين أحكامه
 ونور هدايه ، ثم كنفه بالعز المؤيد ، وأيده بالظفر القاهر ، وآزره بالسعادة المنتجة ،
 وجعل من قام به داعيا اليه من جنده الغالبين ، وأنصاره المسلمين ، كلما قهر بهم
 مناورا أورثهم رباعتهم المأمولة ، وأموالهم المثرية ، ودارهم الفسيحة ، ودولتهم المطولة ،
 أمرا حتمه على نفسه ، ثم جعل من عاندهم وابتغى غير سبيلهم مسلما قد استهوته
 ذلة الكفر بظلمها ، وحيرة الجهالة بحوارها ، وتيه الشقاء بمغاويه ، وكلما ازدادوا
 لدعوة الحق إباء ، ازداد الحق اليهم ازدلافا ، وعليهم عكيفا ، وفيهم إقامة ، الى أن
 يجعل بهم عز الغلبة ، ونجاة المتجاوز ، راغبين فيما شوقهم اليه ، محافظين على
 ما نديهم له ، قد بذلوا في طاعة الله دماءهم ، وقبلا المعروض عليهم في مبايعة
 ربهم لهم بأنفسهم الجنة . مجمود صبرهم ، مسهل بهم عزمهم ، الى خير الدنيا
 والآخرة .

والحمد لله الذي أكرم محمدا صلى الله عليه وسلم بما حفظ له من أمور أمته ، أن
 اخنار لموارث نبوته بما أصار الى أمير المؤمنين من تطويقه ما حمل بحسن نهوض به
 وشرح عليه ، ومنافسة فيه ، أن فعل وفعل . والحمد لله الذي تمم وعده لرسوله

وخليفته في أمه بيبه مسددا له فيما اعتزم عليه . والحمد لله المعز لدينه ، المتولي نصري
امنه بنبيه المتحلي ممن عاداهم وناواهم ، حمدا يزيده به من رضى شكر ، وحمدا يعلو
حمد الحامدين من اوليائه الذين تكاملت عليهم نعمه فلا توصف . وجلت اياديه
ولا يحصى ، الذي حملنا ما لا نوه بنا على شجرة الا يعونه . وبالله يستعين امير المؤمنين
عنى ذلك ، واليه يرغب . انه على كل شىء قدير .

ولعبد الحميد أيضا

أما بعد ، فالحمد لله الذي اصطفى الاسلام لنفسه ، وارتضاه ديننا للملائكته ،
وأهل طاعته من عباده ، وجعله رحمة وكرامة ونجاة وسعادة لمن هدى به من خلقه ،
وأكرههم وفضلهم وجعلهم بما أنعم عليهم منه أولياء المقربين ، وحزبه الغالبين ،
وجنده المنصورين ، وتوكل لهم بالظهور والقلج ، وقضى لهم بالعلو والتمكين ، وجعل
من خالفه وعزب عنه وابتغى سبيل غيره أعداءه الأقلين ، وأولياء الشيطان الأخسرين ،
وأعمل الضلالة الأسفلين ، مع ما عليهم في دنياهم من الذل والصغار ، وما عجل لهم
فيها من الخذلان والانتقام ، الى ما أعد لهم في آخرتهم من الخزي والهوان المقيم .
والعذاب الأليم ، انه عزيز ذو انتقام .

وفي ذكر الاسلام وأهله وما فضلهم الله تعالى به

أما بعد ، فالحمد لله الذي عظم الاسلام تعظيما ، وفضله تفضيلا ، فلم يبق منك
مقرب ولا نبي مرسل ، ولا امام لأهل حق مهتد إلا دان به ، واتصل الى ولاية الله
بما هداه له منه ، وليس في دين الله الذي ارتضى ، وخيرته من أهل الاسلام الذين
اصطفى ، تغاشم ولا تظالم ، ولا تحاسد ، ولا تقاطع ولا تداير ، ولكنهم كما وصيهم
الله عز وجل بالتبار والتراحم والتواد والتناصر ، قلوبهم متفقة ، وأهواؤهم
مؤتلفة . وأيديهم على أهل بعصيته مبسوطة ، أعوانا على الحق ، وأخوانا في الدين ،
إن الله بينهم ، وجعل الاسلام نسبهم ، فقال في كتابه : (محمد رسول الله والذين
معه) الى آخر الآية . فهذه صفة الله أهل دينه فيما بينهم ، وكذلك كان أسلاف
الحق قبلهم ، في توادهم وتبارهم ، وتواصلهم وتعاونهم ، وبذلك دان أهل السماء ،
فلم يختلفوا فيه ، ولم يرغبوا عنه ، ولم يحتذوا مثالا غيره ، وبه يدين الله الباقون من
خلقه . المتمسكون بحقه الى يوم القيامة ، سنة مسنونة ، وشريعة متبوعة ، لا يبتغون
بها بدلا ، ولا يريدون عنها حولا ، فأهل طاعة الله أهل سلامة في دنياهم ، وأخوان
كما قال الله عز وجل في آخرتهم ، لم تنقطع الولاية فيما بينهم ، لانقطاع الدنيا عنهم ،
وعصمهم بالاسلام ألفتهم .

تحميد

الحمد لله المنيب على حمده وهو ابتداءه ، والمنعم بشكره وعليه جزاؤه ، والمثنى بالايمن وهو عطاؤه .

ولقمامه

الحمد لله الذي أكرم الاسلام وفضله ، وشرفه وعظمه ، وأعلى منزلته ، وجعل أهله القائمين به ، والحامدين عليه ، أولياءه وحزبه الذين قضى لهم بالتمكين ، والظهور على الدين كله ولو كره المشركون .

ولزيد بن علي رحمة الله عليه خطبة

الحمد لله الواصل النعم بالشكر ، والشكر بالمزيد ، حمد من يعلم أن الحمد فريضة واجبة ، وأن تركه خطيئة مهلكة ، وأومن بالله ايمانا نفى اخلاصه الشرك ، ويقينه الشك ، وأتوكل عليه توكل الواصل به ثقة أهل الرجاء ، ومفرع أهل التوكل .

تحميد في الاسلام

الحمد لله الذي اختار الاسلام ديننا لنفسه ، وأنبيائه ورسله ، وشرفه وعظمه ، وأناره ، وأظهره ، ونزهه وأعزه ومنعه ، ولم يقبل غيره ، ولم يجعل حسن الجزاء إلا لأهله ، الذين كتب لمن أسعده بالوليعة فيه منهم الرضوان والمغفرة والرفقة ، وعلى من خالفه وابتغى غير سبيله الحسرة والندامة ، والذلة والصغار في الآخرة والأولى ، والممات والمخيا ، اذ يقول الله عز وجل : (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) والحمد لله الذي اجتنبى محمدا صلى الله عليه وسلم بما اصطفاه من نبوته ، واختاره له من رسالته ، وحباه بفضيلته ، واجتباه من أفضل عمائر العرب ، وأشرفها منصبا ، وأعرقها حسبا ، وأكرمها نسبا ، وأوراهها زنادا ، وأرفعها عمادا ، فبعثه بالنور ساطعا ، وبالحق صادعا ، وبالهدي آمرا ، وعن الكفر زاجرا ، وعلى النبيين مهيمنا ، والى سبيل ربه داعيا ، وبالكتاب عاملا ، فبلغ عن الله الرسالة ، وهدي من الضلالة ، وانتاش من الهلكة ، وأنهج معالم الدين وأدى فرائضه ، وبين شرائعه ، وأوضح سننه ، ونصح لأئمة ، وجاهد في سبيل الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ، صلى الله عليه وسلم .

تحميد لأبي عبيد الله

الحمد لله الذي شرع لآظهار حقه وانفاذ سابق قضائه فيمن ذرأ وبرأ من عباده ، بادخال من أراد أن يدخل في رحمته ، وانجاز ما حق له من العبادة على خلقه ، بابتدائه خلقهم ، ومظاهرتة الآلاء عليهم ، واحسانه البلاء عندهم ، وإبلاغه في الحجج الى عامتهم ، دينا رضيه لنفسه وملائكته الذين أسكن سماواته ورسله ، فآتمن على وجه من لم يرض الا به ، ولم يقبل الا اياه ، ثم كان ما أعز به نفسه ، وأظهر به نوره ، وأراد أن يبلو به عباده ، تحقيقا لما سبق به علمه ، وانفاذا لما جرت به مقاديره ، أن بعث لما شرع من دينه ، واصطفى لتسبيحه وتقديسه من ملائكته المقربين ، من ارتضى واختار من أنبيائه ورسله المجتبين ، لتبليغ رسالته وإظهار حقه ، واستشلاء (١) من أراد سعادته من خلقه بالرحمة التي اطلعت عليهم وعمتهم ، ليعبد مخلصا له ، محمودا بما استحمد به الى خلقه ، مشهودا له بما أشهد به من كلمة الحق ، فكان منهم التبليغ لما أرسلوا به ، والنصيحة لمن أرسلوا اليه ، غير مختلفين فيما بعثوا له ، ولا متفرقين فيما استعملوا فيه ، يدعوهم آخر الى ما دعاهم اليه أول ، فيصدق بذلك بعضهم بعضا ، ويهدون الى الحق والى طريق مستقيم ، فمضت رسل الله وأنبياءه على ذلك سالكين منهاج الحق وسبيله ، والدعاء الى الله عز وجل والى طاعته ، هادين مهدين غير مبخوسين شيئا مما كانوا أهل في المنزلة عند الله ، والقربة منه ، والوسيلة اليه ، هم ومن آمن بهم وعززهم ، واتبع النور الذي أنزل معهم ، حتى تقضت بهم الأعمار ، وتقطعت بهم الآثار ، وتخرمتهم الآجال .

وكذا لأبي عبيد الله

الحمد لله الذي جعل الاسلام رحمة قدمها لعباده قبل خلقه اياهم ، واستيجابهم اياها منه ، فاصطفاه لنفسه وشرعه لهم دينا يدينون به ، ثم جعل تحديده وحيه ومتابعة رحمة تلافاهم بها بعد تقديمها ، ومنة ظاهرها عليهم قبل استيجابهم لها ، تطولا على العباد بالنعماء ، واعذارا اليهم بالحجج ، وتقدمة بالوعد ، وانذارا اليهم عواقب سخطه في المعاد .

والحمد لله الذي ابتعث محمدا صلى الله عليه وسلم بهداه وشرائع حقه على فترة من الرسل ، وطموس من معالم الحق ، ودروس من سبل الهدى ، عند الوقت الذي بلغ في سابق علمه ومقاديره ، أن يجتبي لدينه الأصفياء ، ويختار له الأولياء ،

(١) الاستشلاء : الانتفاذ .

الظاهرين بحقه ، القاهرين لمن ابتغى سبيلا غير سبيله ، فعظم حرمة ، ووسع حوزته ،
وصدع بأمره ، وجاهد عن حقه فى حومات الضلالة وظلمات الكفر ، بالحق المبين .
والسراج المنير ، ثم جعله مصدقا لمن سبقه من الرسل ومجددا لما بعثوا له وهدى
ورحمه ، ثم جعل لدينه وظائف وظفيا على أهله ، وشرائع شرعها لهم لا يكمل دينهم
الا بها ، وجعل اداءها عليه ، وانتصامهم بها اماما لدينه ، ونظاما لنوره ، وقواما لحقه ،
واستيجابا لما وعد عليه من ثوابه ، وأمنا لما أوعد من خالفه من عقابه ، فليس يسع
أهل الايمان بالله الذين أكرمهم به وأجزل لهم فضله وأجره ، وجعل لهم عزه وعلوه ،
واختار لهم الغلبة والعاقبة على من فارقهم فيه الا معرفتها ، وأداؤها بما يستكمل به
حدودها ، ودما لها من كذا وكذا .

ابراهيم بن المهدي - صدر رسالة له فى الخميس

الحمد لله الذى اختار الاسلام ديننا لنفسه ، ورضى أن يعبد من فى سمواته من
الملائكة المقربين ، ومن فى أرضه من النبيين والمرسلين ، ومن آمن بالنور الذى هداهم
له من الثقلين ، واختار لرسالته فى سابق علمه ، والذكر الحكيم عنده ، محمدا
صلى الله عليه وسلم ، وأنزل عليه كتابه وجعل طاعته وطاعة نبيه صلى الله عليه
وسلم موصولة بكذا فقال : (اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) .

تحميد

الحمد لله المتكبر فى جبروته المتعزز بسلطانه ، المتعالى فى سمواته ، المحتجب عن
خلقه ، وحكم فيهم فجرى حكمه على ارادته ، يقضى بالنصر والتأييد ، والعز
صفات الواصفين ، الذى لا يؤوده عظيم ، ولا يفوته مطلوب ، ولا يعجزه شئ فى الأرض
ولا فى السماء ، وهو السميع العليم .

تحميد آخر

الحمد لله الحكيم العدل ، الذى فصل بين الحق والباطل ، فنفذ قضاؤه فى
خلقه ، وحكم فيهم فجرى حكمه على ارادته ، يقضى بالنصر والتأييد ، والعز
والفليح ، والتمكين للحق وأهله ، وبإلذل والوقم والخزى والصغار للباطل وأهله ،
وجعل ذلك من فضله وحكمه عادة جارية ، باقية ، وسنة ماضية ، لا راد فيما قضى
منه لقضائه .

والحمد لله الذى اختص محمدا صلى الله عليه بكراماته ، واصطنعه لرسالاته ،
 وأنزل عليه كتابه العزيز الذى لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من

حكيم حميد ، بما أحل وحرم ، ورضى وسخط ، وأمر به ونهى عنه ، وجعله خاتم
النبين والمهيمن عليهم ، وكتابه الذى أنزل ، آخر الكتب المصدق بها النبى صلى الله
عليه وسلم .

تحميد فى الاسلام وما امتن به على أهله من مبعث النبى

صلى الله عليه وسلم ، وهو فى صدر الجهاد

أما بعد ، فان لدين الله الذى ارتضاه لنفسه ، ولمن اصطفاه من خلقه ، واجتباها
من عباده وجعله معلما بين الهدى والضلالة ، وفرقا بين الحق والباطل ، وحاجزا بين
الكفر والايمان ، وظائفا وظفها على أهلها ، وشرائع شرعها لهم ، فجعل أداؤها اليه
ومعرفتها له ، ومخافتهم عليها ، واعتصامهم بها قواما لدينه ، ونظاما لنوره وثباتا
لحقه ، واستيجابا لما وعده من ثوابه ، وأمنا لما أوعده من عقابه ، فليس يسع أهل
الايمان بالله والاقامة على حقه من المسلمين الذين سماهم المسلمين بالاسلام ، وأحرز
لهم فضله وعزه ، وأصار لهم الغلبة على من خالفهم وفارقهم بما ركنوا اليه من الصدود
عن سبيله ، والتكذيب بكتبه ورسله ، ودلتهم فيه قرباؤهم ، وقادتهم اليه أهواؤهم ،
من الملل الضالة ، والأديان المجموعة ، التى لم ينزل بها من الله سلطان ، ولا كتاب
ولا برهان ، الا معرفتها وأداؤها بما يستكمل من حدودها ومعالمها .

تحميد فى الجهاد وما بعث به النبى صلى الله عليه وسلم

أما بعد ، فان الله خلق الخلائق بقدرته ، وقدر الأمور بعلمه ، وأنفذ على ما مضى
من مشيئته ، من غير أن يكون له ظهير فى ملكه ، أو معين على ما يرى من عجائب
خلقه ، واحتذاء منه على سابق من صنعة غيره ، فوحد نفسه بما تفرد به دون غيره من
خلقه ، ليعبد مخلصا مبرا من الأنبياء ، اتساما لنوره ، وتعزيزا لتوحيده ، وتأيدا
لدينه ، وأعلاء لمن اعتصم به ، وإقلا لمن خالفه وعند عنه وعبد غيره ، وإحقاقا لكلمته ،
فانه يقول : (كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ) الآية ، بذلك أنزل كتبه ، وأرسل رسله ،
واحترج بهم وبما أنزل اليهم على من مضى من القرون المسالفة ، والأمم الخالية ، يدعو
آخرهم الى ما سبق اليه أولهم ، من عبادته وتوحيده ، لا يستوحشون من قلة ،
ولا يؤتون من كثرة ، يعزهم الله بقوته ، ويؤيدهم بجنده ، وينصرهم وينصر بهم الى أن
بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بما خصهم به ، وجعله مصدقا لهم ، ومهيما
عليهم ، وخاتم النبين بعدهم ، يمضى لأمر الله ، ويجاهد من لم يجبه الى الدخول فى
دين الله ، فأظهره الله وأثار حقه ، وأرهم عدوه ، وأنجز له ما وعده وأتم بذلك النعمة
عليه وعلى من اتبعه ، فانه يقول : (هو الذى أرسل رسوله بالهدى) .

تحميد في فتح

الحمد لله الفتاح العليم ، الرحمن الرحيم ، العزيز الحكيم ، الذي أعز الاسلام بقدرته ، وأيده بنصره ، فلم يلحد فيه ملحد ، ويسع في تشتيت الكلمة وشق العصا ساع ، ويوضع في الكفر والمعصية موضع ، ويمتنع من قضائه وإرادته ممتنع الا أذله الله وقصمه ، وأضرع خده ، وأتعب جسده ، وضلل سعيه ، وعجل بواره واستئصاله ، حمدا دائما لا انقطاع له ، ولا نقاد لمدته .

تحميد ثان

والحمد لله الذي اختار الاسلام وشرفه ، وكرمه وطهره ، وأظهره وأعزه ، وفطر عليه ملائكته ، وبعث به أنبياء ورسله ، واختار له خيرته من خلقه محمدا صلى الله عليه ، فبعثه برسالاته ، وأكرمه بوحيه ، واصطفاه على خلقه ، يبشر بالجنة من أطاعه ، وينذر بالنار من عصاه ، وجعله دينه القيم الذي لا يقبل دينا غيره ولا يشيب أحدا الا غليه .

تحميد في فتح

الحمد لله العزيز في ملكوته القاهر فوق بريته ، الذي خلق بقدرته ، وأنفذ فيهم إرادته ومشيتته ، وقدر كل شيء وأتقنه وأحكمه ، وأحاط علما به ، فلا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين .

صدر تحميد في فتح

الحمد لله الذي ابتدع الخلق لا من شيء ، وجعل الليل والنهار كهفا ومستجنا لكل حي ، بقدرته تبهرت البحار ، وجرت لمواقيتها الأنهار ، قدار وتطارد الليل والنهار ، لا اله الا هو رب العرش العظيم .

والحمد لله الذي فات بعظمته أبصار المرتئين ، وعلا بمجده عن خطرات الحاسبين ، واحتجب بأستار جبروته عن مواقع فكر المحصلين المتعمقين ، فلم تحوه الكمية ، ولم يقع عليه أدوات التحصيل والكيفية ، ولا أدركه هاجس تبويض ولا كلية ، ولم ينسب الى زيادة في حين ، ولا الى تقصير في شهور ولا سنين ، فكل أمره - عز جلاله - تام ودوام ، وكل صفات صنعه اعتدال وكمال ، وكل ما دونه يحتكم فيه الفناء والزوال ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

والحمد لله الذي عرفنا ربوبيته الهاما ، ونهيج لنا سبيل طاعته منا واکراما ،
وتعبدنا بفرضه تقويما وتعلينا وامتنانا ، فقامت علينا وعلى الخلق حجته ،
بالصادع بأمره ، والمبلغ لرسالته ، والمجاهد فيه حق جهاده ، محمد صلى الله عليه
وسلم - والحمد لله الذي أعز دينه ، وأظهر تمكينه ، ونصر وليه ، وخذل عدوه ،
وأوقع بأسه ونقمته بمحل القرية ، وجرثومة الضلالة ، ومناخ الشرك ، ومركز
الكفر ، بعد طول الاملاء ، والاعتداء في سفك الدماء ، والمثلة بالأسرى ، وقلة
المراقبة والارعواء .

تحميد

الحمد لله حمدا يكون رضاه منتهاه ، والمزيد من فضله جزاءه . والحمد لله حمدا
ائيته يتناهى حمد الحامدين ، وشكر الشاكرين . والحمد لله الذي لا تحصى نعمائه ،
ولا تجزى آلاؤه ، ولا يكافأ بلاؤه ، ولا يبلغ شكره الا بمنه وتوفيته ، حمدا يرضاه
ويتقبله ، ويزكو لديه ، ويوجب ما تأذن للشاكرين من يده .

تحميد في فتح

أما بعد ، فالحمد لله الواحد القهار ، العزيز الجبار ، ذي المن والانصام ،
والجلال والاکرام ، الذي اصطفى الاسلام ديننا ، واصطفى له من عباده اهلا هداهم له ،
وأكرمهم به وبين لهم ما يأتون ، ولم يتركهم في ريب من أمرهم ، ولا شبهة من
دينهم ، فله الحجة البالغة ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حي عن بينة ، وان
الله لسميع عليم .

والحمد لله الذي ختم بمحمد صلى الله عليه وسلم النبوة ، وانتجبه لتبليغ
الرسالة ، وبعثه الى خلقه كافة ، فبلغ رسالته ، وصدع بأمره ، وقام فيما بعثه له
بحقه ، ثم أنجز له وعده ، وأتم له كلمته ، وأظهر دين الاسلام به على الدين كله
ولو كره المشركون .

تحميد في فتح

أما بعد ، فالحمد لله الأول الآخر ، الظاهر الباطن ، الولي الحميد ، القوى
العزيز ، الذي لا يقدر العباد قدره ، ولا يحصون نعمه ، ولا يبلغون شكره ، المحيط
بكل شيء علما ، والمحصى كل شيء عددا ، فلا يعجزه كبير ، ولا يعزب عنه
صغير ، والأرض جميعا قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه ، سبحانه
وتعالى عما يشركون .

تحميد

الحمد لله المتوحد بالخلق والأمر ، قادرا قاهرا أحاط بكل شيء علما . وأحصى كل شيء عددا . وملاءه عظمة ، ووسعه عدلا ، وأتقنه صنعا . والحمد لله الذي أعز بالحق من أطاعه ، وأذل بالباطل من عصاه ، وجعل الطاعة والجماعة حرزا حريزا ، وموئلا منيفا ، فلم يجمع بين أهل كفر وإيمان ، وطاعة وعصيان ، الا توحد بالصنع لأهل طاعته ، وأنجح سعيهم ، وأعلى كلمتهم ، وأفلح حجتهم ، وأنزل بأهل الكفر المعاندين عنه ، الرادين لأمره الذلة والصغار في عاجلهم وآجلهم ، حمدا يكون لمزيده مرجبا ، ولحقه مؤديا .

تحميد في فتح لسعيد بن حميد عن عصف

م .

اما بعد ، فالحمد لله الحميد المجيد ، الفعال لما يريد ، الذي خلق الخلق بقدرته ، وأمضاه على مشيئته ، ودبره بعلمه ، وأظهر فيه آثار حكمته التي تدعو العقول الى معرفته ، وتشهد لذوى الألباب بربوبيته ، وتدل على وحدانيته ، لم يكن له شريك في ملكه فينازعه ، ولا معين على ما خلق فتلزمه الحاجة اليه ، فليس يتصرف عباده في حال الا كانت دليلا عليه ، ولا تقع الأبصار على شيء الا كان شاهدا له ، بنا رسم فيه من آثار صنعه ، وأبان فيه من دلائل تدبيره ، اعذارا بحجته ، وتطولا بنعمته ، وهداية الى حقه ، وارشادا الى سبيل طاعته ، وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ، وهو أهون عليه ، وله المثل الأعلى في السموات والأرض ، وهو العزيز الحكيم .

والحمد لله العزيز القهار ، الملك الجبار ، الذي اصطفى الاسلام واختاره ، وارفضاه وطهره ، وأعلاه وأظهره ، فجعله حجة أهله على من شاقهم ، ووسيلتهم الى النشر على [من] عند في حفيهم ، وابتغى غير سبيلهم ، وبعث به رسلا يدعون الى حقه ، ويهدون الى سبيله بالآيات التي يبينون بها عن المخلوقين ، ويوجبون بها الحجة على المخالفين ، حتى انتهت كرامة الله الى خاتم أنبيائه ، وحامل كتابه ، ومفتاح رحمته صلي الله عليه وسلم ، على حين فترة من الرسل ، واختلاف من الملل ، ودثور من اعلام الحق ، واستعلاء من الباطل ، والناس عاندون عن سبيل ربهم ، يتسافكون دعاءهم ، ويحلون ما حرم الله عليهم ، ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ، ولا ينفعهم ، وأيده بالبرهان الواضح ، والحجج القواطع ، والآيات الشواهد ، وأنزل عليه كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وجعل فيه أوضح الدليل على رسالته ، وأعدل الشواهد على نبوته ، اذ عجز

المخلوقون عن أن يأتسوا بمثله على مر الأيام ، وكثرة الأعمداء والمنازعين ، يتحداهم به فى المواسم ، ويقصدهم بحجته فى المحافل ، ولا يزدادون عنه الا حسورا وعجزا ، ولا تزداد حجة الله عليهم الا تظاهرا وعلوا ، ثم أيده بالنصر بأنصار ألف بينهم بطاعته ، وجمعهم على حقه ، ولم شعثهم بنصرة دينه ، بعد الشقاق المتصل بينهم ، والحرب المفرقة لجماعتهم ، كما قال عز وجل : (هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين) . وقدم اليه وعده بالنصرة والتمكين ، فجعله بشرى للمؤمنين ، وحجة على الكافرين ، ودليلا على ما بعثه به من الدين ، فهزم بالقليل من عددهم الكثير من عدد أعدائهم ، وغلب بضعفائهم أهل القوة ممن باوأهم ، فقل به حدهم ، وفض جموعهم ، وافتتح حصونهم ، وحرز معاقلهم ، وأظهر بحجته ونصره عليهم ، وأنجز سابق وعده لهم وفيهم ، والله لا يخلف الميعاد .

تحميد لابن المقفع

الحمد لله ذى العظمة القاهرة ، والآلاء الظاهرة ، الذى لا يعجزه شيء ولا يمتنع منه ، ولا يدفع قضاؤه ولا أمره ، (وإنما أمره اذا اواد شيئا أن يقول له كن فيكون) والحمد لله الذى خلق الخلق بعلمه ، ودبر الأمور بحكمه ، وأنفذ فيما اختار واصطفى منها عزمه . بقدرته منه عليها ، ومملكة منه لها ، لا معقب لحكمه ، ولا شريك له فى شيء من الأمور ، يخلق ما يشاء ويختار ، ما كان للناس الخيرة فى شيء من أمورهم ، سبحان الله وتعالى عما يشركون .

والحمد لله الذى جعل صفوة ما اختار من الأمور دينه الذى ارتضى لنفسه ولمن أراد كرامته من عباده ، فقام به ملائكته المقربون ، يعظمون جلاله ، ويقديسون أسمائه ، ويذكرون آلاءه ، لا يستحسرون عن عبادته ولا يستكبرون ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون ، وقام به من اختار من أنبيائه وخلفائه وأوليائه فى أرضه ، يطيعون أمره ، ويذوبون عن محارمه ، ويصدقون بوعدده ، ويوفون بعهدده ، ويأخذون بحقه ، ويجاهدون عدوه ، وكان لهم عند ما وعدهم من تصديقه قولهم وافلاجه حجتهم ، واعزازة دينهم ، واطهاره حقهم ، وتمكينه لهم ، وكان لعدوه وعدوهم عندما أوعدهم من خزيه ، واحلاله بأسهم ، وانتقامه منهم ، وغضبه عليهم ، مضى على ذلك أمره ، ونفذ فيه قضاؤه فيما مضى ، وهو مضيه ومنفذه على ذلك فيما بقى ، ليتم نوره ولو كره الكافرون ، وليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون .

والحمد لله الذى لا يقضى فى الأمور ولا يدبرها غيره ، ابتدأها بعلمه ، وأمضاها بقدرته ، وهو وليها ومنتهاها ، وولى الخير فيها ، والامضاء لما أحب أن يمضى منها ، يخلق ما يشاء ويختار ، ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون .

والحمد لله الفتح العليم ، العزيز الحكيم ، ذي المن وال طول ، والقدرة
والحول ، الذي لا ممسك لما فتح لأولياته من رحمته ، ولا دافع لما أنزل
بأعدائه من نعمته ، ولا راد لأمره في ذلك وقضائه يفعل ما يشاء ، ويحكم
ما يريد .

والحمد لله الميثيب بحمده ومنه ابتداءؤه ، والمنعم بشكره وعليه جزاؤه ، والمثني
بالإيمان وهو عطاؤه .

لأخسر

الحمد لله الذي يتطول بالنعم مبتدئا ، ويعطي الخير من يشاء ويثيب عليه .

تحميد لفسان بن عبد الحميد

كاتب جعفر بن سليمان في المطر :

الحمد لله الذي نشر رحمته في بلاده ، وبسط سعته على عباده ، الذي
لا يزال العباد منه في رزق يقتسمونه ، وفضل ينتظرونه ، لا ينقضه ما قبله ،
ولا ينقض ما بعده .

لأحمد بن يوسف في فتح السند

الحمد لله ولي الحمد ، وأهل الثناء والمجد ، خالق الخلق ، ومدبر الأمر ،
المسيخ على عباده والموجب عليهم حجته ، فليستوا يرجون إلا سبيعة فضله ،
ولا يعثرون إلا ما اجتروا من معصيته ، لما سبق من جزيل إحسانه ، وتظاهر
من امتنانه ، وتقدم به الاعتذار والانذار اللذان لا يستخف بما عظم منهما إلا من
استحوذ عليه الشيطان ، واستولى عليه الخذلان ، وقاده الحين إلى موارد
الهلكة .

التحميد الثاني

الحمد لله الذي اصطفى الاسلام دينا فطهره وأسناه ، وأظهره وأعلاه ، وزينه
بكل حسنة ، وتفنن عنه كل سيئة ، وجعله إلى منخور كراسته سببا وأصلا ، وسبيلا
نهجا ، وبعث به محمدا صلى الله عليه وسلم ليهدى من كان حيا ، ويحق القبر على
الكافرين .

تقريره في الخليفة

الحمد لله الذي اصطفى أمير المؤمنين لخلافته ، وتلافى الأمة بسلاطانه ، فجعله القائل فيهم بقسطه ، والمستفرغ في التماس مصلحتهم همه .

لأحمد بن يوسف

عن ذي الرياستين الى ابراهيم بن اسماعيل بن داود صدر فتح :

أما بعد ، فالحمد لله الذي حفظ من دينه ما ضسيع الملحدون ، ورأب منه ما [فرقه] (١) الصدعة ، وأعاد من حبله ما حاولوا نقضه ، حتى أعاد لعباده أحسن الفتى ، ورد اليهم أجمل عودهم ، من الاستشلاء بعد التردى فى قبح المعاطب ، والاستنقاذ بعد التوريط فى الميالك ، وبلغ خليفته القائم بحقه ، المؤتمر بكتابه ، الذائد عن حريم الدين ، وميراث النبىين ، أجزل ما بلغ للخلفاء الراشدين المهديين ، من اعلاء الكلمة ، وغلبة الأعداء ، والفوز بالعاقبة التى وعدوها المتقين ، وفرغه لما أشعر قلبه ، وشرح له صدره ، من امضاء حكم الفرائض الموجبة ، واقتفاء السنن الهادية ، حيث سلك به من المناهج ، حمدا يوازي نعمه ، ويبلغ أداء شكره ، ويوجب مزيده .

والحمد لله على ما خصنا به من اعلاء الدرجة ، واسناء الرتبة ، فى مشايعة أمير المؤمنين - أيده الله - والمجاهدة عن حقه ، والوفاء لله بما عقده له ، لانريد بما كان منا الا وجهه ، ولا نسعى فيه الا لرضاه ، حمدا لا يحصى عدده ، ولا ينقطع أمده .

تحميد لأبى عبيد الله

أما بعد ، فالحمد لله ذى الآلاء والقدرة ، والطول والعزة ، الذى اصطفى الاسلام ديننا لنفسه ، وملائكته وانبيائه ومن كرم عليه من خلقه ، فبعث به محمدا صلى الله عليه وسلم اختصاصا له فى ذلك بكراماته ، واصطفاه له به على عباده ، فأعزم وسمعه ، وكفاه وحاطه ، وتوكل لأهله بالعلم والتمكين ، والظهور والتأييد ، فلم يلحد فيه منحد ، ولم يزغ عن قبول حقه زائغ ، بعد اعتار الله اليه ، واعادة الحججة لله عليه ، الا أنزل به من الذل والصغار والاجتياح والاستئصال ما يجعل له فيه قمعا ، حمدا كثيرا دائما مرضيا له ، مؤمنا من غيره ، موجبا لأفضل مزيد ثوابه .

(١) بياض فى الأصل . وما اثبتناه يناسب المقام .

تحميد لسعيد بن حميد في فتح

أما بعد ، فالحمد لله المنعم فلا يبلغ أحد شكر نعمته . والقادر فلا يعارض في قدرته ، والعزيز فلا يغالب في أمره ، والحكم العدل فلا يرد حكمه ، والناصر فلا يكون نصره الا للحق وأهله ، والمالك لكل شيء فلا يخرج أحد عن سلطانه ، والهادي الى سبيل رحمته فلا يضل من انقاد لطاعته ، والمقدم اعذاره ليظهر به حجته ، الذي جعل دينه لعباده رحمة ، وخلافته عصمة ، وطاعة خلفائه فرضا واجبا على كافة الأمم ، فهم المستحفظون في أرضه على ما بعث به رسوله ، وأمناءه على خلقه فيما دعاهم اليه من دينه ، والحاملون لهم على مناهج حقه ، لئلا تشعب بهم الطرق المخالفة لسبيله ، والهادون لهم الى صراطه ليجمعهم على الجادة التي ندب اليها عباده ، بهم حمى الدين من البغاة الطاغين ، وحفظت معالم الحق من الغواة المخالفين ، محتجين على الأمم بكتاب الله عز وجل الذي استعملهم به ، ورعاة للأمر بحق الله الذي اختارهم له ، ان جادلوا كانت حجة الله معهم ، وان حاربوا فالنصر لهم ، وان جاهدوا كان من طاعة الله نصرهم ، وان بغاهم عدو كانت نكاية الله حائلة دونهم ، ومعقلا لهم ، وان كادهم كائد فالله في عونهم ، نصيبهم الله لاعتزاز دينه ، فمن عاداهم فانما عادى الذين عز بهم وحرس بهم حقه ، ومن ناواهم فانما طعن على الحق الذي تكلؤه حراستهم ، جيوشهم بالرعب منصوره ، وكتائبهم بسلطان الله من عدوهم محوطة ، وأيديهم بذبيها عن دين الله عالية ، وأشياعهم بتناصرهم غالبية ، وأحزاب أعدائهم ببغيهم مقموعة ، وحجتهم عند الله وخلقهم داحضة ، ورسائلهم الى النصر مردودة ، وأحكام الله بخذلانهم واقعة ، وأقداره باسلامهم الى أوليائه جارية ، وعادته فيهم وفي الأمم السالفة والقرون الخالية ماضية ، ليكون أهل الحق على ثقة من انجاز سابق الوعد ، وأعداؤه محجوجين بما قدم اليهم من الانذار ، معجلة لهم نقمة الله بأيدي أوليائه ، معدا لهم العذاب عند ردهم اليه خزيا موصولا بتواصيهم في دنياهم ، وعذاب الآخرة من ورائهم وما الله بظلام للعبيد . وصلى الله على محمد أمينه المصطفى ، ورسوله المرتضى ، والمنقذ من الضلالة والعنى ، صلاة نامية بركاتها ، دائما اتصالها ، وسلم تسليما .

والحمد لله تواضعا لعظمته ، والحمد لله اقرارا بربوبيته ، والحمد لله اعترافا بقصور أقصى منازل الشكر عن أدنى منزلة من منازل كرامته .

فيما يقرظ به الخليفة

والحمد لله الذي حاز لأمر المؤمنين وراثته ، وساق اليه خلافته ، بالحاجة منها اليه ، والرغبة منه عنها ، واستخلص من خلقه من جعله ظهيرا للحوادث ، وعدة

لننوازل ، فلما أفضت الخلافة اليه حسر أمامه أحاجلته (١) ، وكشف قناعه لمحاربته ،
فالحمد لله الذى اختص أمير المؤمنين بخلافته ، وارتضاه لولاية أمر أمة نبيه محمد
صلى الله عليه وسلم ، والقيام بحقه ، والذب عن حرمانه ، وحاط له ما استرعاه من
ذلك ، وقلده بحسن الولاية الكفاية ، وتوكل له بالحفظ والتأييد ، والنصر والغلبة
والظهور على من عند عن طاعته ، وصدف عن حقه ، وابتغى غير سبيله ، كرامة من
الله تطول بها عليه ، ومنة منه توحد بها له .

والحمد لله الذى جعل نية أمير المؤمنين عزيمته ، وفكره ورويته ، منذ أفضى الله
بالخلافة اليه ، وجعله القائم بارث نبيه محمد صلى الله عليه وسلم واستحفظه من
عباده وبلاده فيما فيه عز الدين ، ونظام أمر المسلمين وترهين الشكر ، واذلال الأعداء ،
واشجاؤهم ووقمهم ، وتحصين البيضة ، واشسحان الثغور ، ولم المنتشر ، وضم
الأطراف ، لا يفثأه عن ذلك فائىء ، ولا يذهله عن تفقد كبير أمره وصغيره ومقابلته
ذاهل ، يستقل كثير ما ينفق من الأموال فى سد الثغور ، وتحصينها وحراستها ،
لما يرجو فيه من جسيم الحظ ، وجزيل الذخر ، وكثير الأجر ، تقربا الى الله
واحتمسابا له فى جنب ثوابه ، وكريم مأبه ، حتى راب به الصدع ، ورتق به الفتق ،
وأمن به السبل ، وأقام به العوج ، وأفلج به الحجج ، وأعلى به الدرج ، وأزهق به
انباطل ، وأحيا به الحق ، وأشام به سيوف أهل الضلالة والفتنة ، لا تأخذه فى القيام
بحق الله والانتصار لدينه ، والانتصاح لأمة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، والذب
عن حوزتهم ، والرمي من ورائهم ، ودفع بائقة أهل الشقاق والنفاق والخلاف والمعصية
عنهم فترة ولا سامة ، توفيقا من الله ، وتسديدا لحرمة ، وتأييدا لعزمه ، اذ كان الله
شاكرا ، ولدينه ناصرا ، وبحقه قائما ، وما توفيق أمير المؤمنين الا بالله وحده ، عليه
يتوكل وعليه يتوكل المتوكلون .

والحمد لله الذى لم يزل منذ أفضى الى أمير المؤمنين بخلافته ، وحياء بكرامته ،
يختصه بالخيرة فى كل ما أمضى من أمره ، ويتولاه بالتوفيق فى كل ما أبرم من تدبيره ،
ويحمل عنه أعباء ما حملة ، ويعينه بتأييده على ما قلده ، ويحوطه بجميل الصنع
فيما ولاه واستحفظه ، ويلهمه جهاد عدوه ، ويحبوه بنصره ، حمدا قاضيا لحق نعمته ،
موجبا أفضل مزيده .

والحمد لله الذى أورث أمير المؤمنين موارث نبوته ، وصير اليه مقاليد خلافته ،
وأوجب ذلك له بالقرابة برسوله صلى الله عليه وسلم ، والوراثة لورائته من عصبة
وأولى الناس به ، ثم أعز نصره ، وأعلى كلمته ، وأفلج حجته ، وأظهره على المشركين .

(١) هكذا وردت فى الاصل . ولم نوفق الى تحقيقها .

والمنافقين ، ومن حاده وعاتده من الناكثين والمارقين ، والباغين والملحدين ، فأتعس
جلودهم وفعل وفعل .

والحمد لله الذى عرف أمير المؤمنين منذ استخلفه فى أرضه ، واثتد به على خلقه ،
من عظيم نعمه ، ولطيف صنعه ، وجميل بلائه ، وأعزاز نصره ، وأعلاء يده وكلمته ،
وأفلاج حجته على من ضاده وحاده ، أن الله بعظيم طوله ومنه ارتضى أمير المؤمنين
لدينه ، واصطنعه لخلافته ، فحلاه سربالها ، ورد بهاءها وجمالها ، فاستعمله بالكتاب
والسنة والحق والعدل فيها ، فأيده بقوة ، وأعزه بنصره ، وحاطه بكفايته ، وتولى
الصنع له فى جميع أموره ، فلم يكده كائد ، ويعانده معاند ، ويمرق عن طاعته الواجبة
مارق ، ويلحد فى امامته ملحد ، ممن يعالن بمعصية وشقاق ، أو ينطوى على غل
ونفاق ، إلا أوهن الله كيده ، وأتعس جده ، وعاجل المبادئ بعداوته ، الشاهر على الدين
والمسلمين سيفه ، باضطلام وبوار ، وأمكن منه بذلة وصغار ، وقتل المسر غيره ،
المنطوى على غله بغيظه وغمه ، وأماته بدائه وحسرتة ، أنجازا منه جل ثناؤه لوعده ،
وأتاما لكلمته فيما وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات من استخلافهم فى أرضه ،
والتمكين فى دينه ، وله الحمد دائما ، والشكر خالصا ، كما هو أهله وكما ينبغى أن
يحمد ويشكر ، لا اله الا هو الواحد القهار .

والحمد لله الذى لم يبق لأمر المؤمنين عدوا من الناكثين والجاحدين ، والمشركين
والمنافقين ، حاول نقضا لامامته التى صيرها الله اليه ، وقلده اياها ، أو صاول جيشا
من جيوشه التى أعدها للمحاربة عن دين الله ومحارمه ، وإقامة سنته ومعاليه ،
إلا أحل به النعمة ، وأصباره الى الصغار والذلة ، والبسوار والمهلكة ، وعجله الى
ناره وعذابه .

والحمد لله الذى لم يزل يتولى أمير المؤمنين بحياطته ، ويتوحد له من أعزاز نصره
وأعلاء كلمته ، وأفلاج حجته ، وتأييد أوليائه وأنصار حقه ، وأنزل البأس والنقمة
والنكالات والسطوة بمن عانده ، والذب عن حريم المسلمين وأهله ، بما يبين به عن مكانه
منه ، ومنزلته عنده ، حميدا ربنا بذلك كما هو أهله ومستحقه ، مشكورا بعظم منه
فيه وطوله ، مستولا لتمام أحسن عائدته وماضى سنته ، فإن الله المحمود على نعمه ،
المشكور بآلائه ، لم يزل ما يتوحد به لأمر المؤمنين بسلطانه من التعزير ، وفى أوليائه
من التأييد بنصره ، عادة يتبين بها برهانه ، ويفلج بها حجته ، ويدل بها على كرامته
عليه ، ويخبر بها عن منزلته عنده ، ويجعل ما نزل بأعدائه المتولين عنه ، الراغبين
إلى غيره ، الملحدين فى حقه ، عظة لمن قسا قلبه ، وران عليه سوء عمله ، ليكون ما يعطيه
من البسط فى ملكه ، والتمهيد فيما خوله له ، ويوفقه من السطوة بعدوه ، والتثكيل

بمن خالفه ، حجتين متظاهرتين ، وعبرتين نعت (١) ، فيعتصم معتصم ، وينجو ناج ،
وليشجب [شاجب] (٢) ويهلك هالك ، وقد مضت من الله المشيئة ، ووضح منه
الإعذار ، وكان الله بعباده عليما ، وبأعمالهم خيرا .

والحمد لله الذي أكرم أمير المؤمنين بخلافته : وجعله وارث وحيه ، وقيمه بكتابه
في عباده ، وأكرم هذه الأمة التي جعلها خير أمة أخرجت للناس به ، فهو الميمون في
تدبيره المنجح حويله ، الميمون النقيية ، للموفق الرأي والسياسة ، فان الله عز وجل
خاق الخلائق بقدرته ، واختارهم بعلمه ، فاختر أمير المؤمنين لخلافته ، واصطنعه
للتقيام في العباد والبلاد بأمره وقسطه ، وألهمه إقامة أحكامه وفرائضه ، والعمل
بحقه وعدله ، وأبلى أهل الشرك به ، وأخرها إلى أيام دولته ، وحظرها عن كان قبله ،
حتى حاز له أجرها ، وأبقى له سناءها وذكرها ، ونشر عنه أحوثها وسماعها ، وفتح
عليه البلدان القاصية ، والمدائن المتناثية ، التي لم تكن ترام من أهلها ، ولا يطمع في
زوالها ، وذلت له الملوك القديم عتوها وعنادها ، والأمم المستصعب مراسها وجهادها ،
الحامية في آباد الدهور حماها ، فأنفذ فيهم مكيدته ، وأنجح سببهم ، ورماهم
بالتخريف ، وملأ قلوبهم رعبا منه ، فأذعن مدعنوهم بطاعته ، وأنقادوا لأمره ، وصاروا
يدا وأعوانا لأوليائه على أعدائه .

أما بعد ، فان أعظم النعم قدرا ، وأجلها أمرا ، وأسررها موقعا ، وأوجبها شكرا ،
بما عم الاسلام والمسلمين نفعها ، وعادت عليهم عائدتها ، وجعل الله فيه عز الدين ،
وذلل المشركين ، وقد جعل الله ذلك في خلافة أمير المؤمنين أطال الله بقاءه بيمينه
وبركاته ، وما أخلص الله من نيته وطاعته ، وتأدية حقه فيما استحفظ من أمر
دينه وعباده ، وفرغ له نفسه ، وأنصب فيه بدنه ، وأسهر فيه ليله ، من حياة حريم
الاسلام ، والزيادة في حدودها متصلا متتابعا ، والنعم متظرة ومتوافرة ، فسهل
الصعب ، وذلل له العزيز ، وقصم عتاة الأعداء ومتكبريهم ، والمستعصين منهم ، في
آباد الدهور على من رامهم ، وفتح عليهم حصون مدائنهم ، وممتنع قلاعهم ، وأنفذ
مكيدته فيهم ، فبين مقتول ومأسور ، وشريد طريد عن محلته ، وموضع عزه ومنعته ،
مستسلم معط قياده باخع بطاعته ، وكذا فان الله بمنه وطوله قد أوصل لأمر المؤمنين
من صنعه له فيما قلده من خلافته ، وحياطته أياها فيما يحوطه من دينه ، وعرفه من
كفايته فيما قام به من حقه ، وأيده من نصره فيما جاهد عنه في سبيله ، ما قد جعل
النعمة به عامة ، والشكر به لازما ، والمنة به واجبة ، والصنيع عظيم ، فالحمد لله على
نعمه في ذلك كثيرا .

(١) كذا في الأصل ، ولعلها بالفتن .

(٢) كذا في الأصل ، ولعلها وليشجب .

والحمد لله الذى جعل اجتهاد أمير المؤمنين ومقام أمره وتديره ، فى آناء الليل ونهاره ، فيما فيه صلاح عباده ، واعزاز دينه واقامة حقه .

تحميد

الحمد لله الذى لما افترض من الطاعة لولاة الأمر من خلفائه جعل أوائلها ناطقة عن فضل أواخرها ، وبوادئها مخبرة عن حميد عواقبها ، ومواردها مبشرة بالعلو فى مصادرها ، بما يعقبه أهلها من السعادة فى الماضين من أوليائها القائمين بحقها ، وعاد من الشقوة على مقارفى المعصية الملحددين اليها ، حين أقبلت بهم موادى الفتن ، وكشفت لهم تواليها عن البوار والهلكة ، معتذرين حين لا عذروا حجة ، طالبين للهنارب بعد أن كانت منازل السلامة بهم مطمئنة ، وخائفين وقد كانت سبل الأمن لهم واضحة ، قد جعلتهم النعمة الواقعة بهم أمثالا سائرة ، وفرقت بينهم وبين النعم الشاملة ، وحصلت السعادة لمن اتعظ بهم باقية ، سنة من الله فيهم ماضية ، وعادة جارية ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا .

والحمد لله الذى اختار أمير المؤمنين لخلافته فحرس به دينه من البغاة الناكثين عنه ، واختصه بأعلاء رتب كرامته ، وافترض طاعته على عباده ، وجعلها بمواقعها فى دينه نظاما لسائر فرائضه ، فتاركها مفارق لعصمة حقه ، خارج من جملة الأمة التى سبقت لها رحمته ، يستنصر أشياع الباطل والله خاذله ، ويغالب الحق والله غالبه ، ويطلب ما لا سبيل له اليه والله طالبه ، حتى يخلجه أجله عن أمله ، وأقدار الله فيه عن تقديره ، ونفوذ قضاء الله فيه عن نفوذ حيله ، فضلا من الله على أوليائه وقضاء منه عدلا فى أعدائه ، والله ذو الفضل العظيم .

والحمد لله الذى اختار أمير المؤمنين لرعاية عباده ، وحفظ بلادهم ، وتنفيذ أحكامهم ، واقامة حدودهم ، فجمع به الألفة ، وكف به يوائق الفتنة ، وأصلح به أمور الأمة ، وسكن به الدهماء ، ودفع به عظيم البلاء ، وأتقن به من الجهد والأواء ، وجدد لرعيته العبر الشافية ، والعظة الناهية ، وجعل همه السعى لربه ، وطلب الحق الذى أوجبه له من خلافته ، ليؤدى فرضه فى الأمانة التى حملها ، فيوجب له بذلك ما لا يزول ولا ينقطع من ثوابه ، فأعمل رأيه فى الرأفة بمن ولاه أمره ، والحيطة له ، والعناية بصلاحهم ، فأعطاهم لين الموعظة فى وقت الثانى ، والنفوذ لاقامة الحجة والبينة ، وشدة السطوة على من غمط النعمة وعند به الإصرار عن النزوع والفيئة ، منا من الله وتفضلا ، واحسانا وتطولا ، والله ذو فضل عظيم .

ويسأل الله أمير المؤمنين مبتدئا ومعقبا ، وأولا وآخرا ، وقبل كل مسألة ، وأمنم كل رغبة ، ومقدمة كل طلب ، أن يصلى على صفوته من عباده ، وخيرته وخاتم أنبيائه

ورسله ، محمد عبده ورسوله ، أفضل صلواته ، وبيارك أكثر بركاته ، وأن يديم له كرامته ، ويجري عنده أجمل عاداته ، ويتدم له ما اختص به من احسانه . حتى يملأ الأرض عدلا وقسطا ، والاسلام تأييدا وعزا ، والشرك ذلا وقمعا ، انه ولي كل نعمة ، ومنتهى كل رغبة ، وغاية كل حاجة .

ولم يزل أمير المؤمنين منذ الوقت الذي أفضى الله اليه بخلافته ، وأكرمه برب حنه من ارث نبوته ، يتلقى عظيم النعمة في ذلك بالاخلاص للنية والطوية في الصبح عن كل زلة ، والاقالة لكل عثرة ، والتعمد للهفوة وقبول الفیئة ، والانابة ممن عظم جرمه . وجل ذنبه ، وظن أن لا توبة له ، وكلما جدد الله له نعمة ، جدد له في ذلك نية حسنة . شكرا لله عز وجل على ما ابتدأه به ، وارتهانا لنعمه عنده ، والاستزادة من جليل مواهبه ، وتقديم الاهتمام بما فيه صلاح رعيته ، واستقامة أمورها ، وحياطتها والذب عنها ، وكف الأذى والمكروه عن الداني والقاصي منها ، ويتخلص الى ذلك بكل ما يجد اليه السبيل ويجتهد فيه ، ويعمل لكثرة أوقات دهره في كل ما بلغه بحبته نظرا لها ، وحديبا على كافتها ، واشفاقا من سوء حالها ، اذ كان لها والدا برا ، وراعيا كالثا ، وناظرا لطيفا ، ويستعمل كل ما يرجو اثلافها ، والابقاء على أحوالها ، والسلامة لها في دينها ودنياها ، وينصب لذلك ليله ونهاره ، ويذيب فيه نفسه ، ويجعله شغله دون غيره .

والحمد لله الذي اصطفى أمير المؤمنين بخلافته ، وأكرمه بآرث نبوته ، وجعل خلافته خلافة يمن وبركة ، ولطف وسعادة ، انتاش بها أولياءه من موارد الهلكة ورفع منزلتهم ، وشرف درجاتهم ، وأعلى كلمتهم ، وأذل بها أعداءهم ، وجذ دوابهم ، ورد دائرة السوء عليهم ، وحباه مزية نصره وتمكينه ، واعزازه وتأييده ، واطهاره على من ناواه وعند عن حقه ، وصدف عن طاعته ، فان الله لما اختار أمير المؤمنين لخلافته فأيده بها ، جعل الحق نيته ، واعزاز الدين بغيته ، ومجاهدة أعداء الله شرقا وغربا وبرأ وبحرا نهمة وارادته ، ثم يسره في ذلك لما أحسن به عون ، على من استحقظه وقلده ، فضلا من الله ونعمة ، والله عليم حكيم .

والحمد لله الذي كان لسابق علمه وسالف قضائه ، الذي لا يستطيع الناس رده ، ولا منعه ولا صرفه ، ما ولي أمير المؤمنين من خلافته ، وما ابتعثه له من النصر لدينه ، والطلب لحقه ، والجهاد لأعدائه ، وأحسن في ذلك عون فيه وبلاءه ، وأيده في نفسه ، لم ينقصه خذلان خاذل ، ولا مخالفة من خالف ، ولم يزد أمره في شيء من ذلك الا تماما واحكاما ، حتى أظهر حقه ، وأفلج حجته ، ومحق باطل أعدائه ، وأدحض حججهم ، وجعل أهل طاعته حزبه الغالبين ، وجنده المنصورين ، وجعل عدوه وعدوكم حزب الشيطان الخاسرين ، وأولياءه الأذلين ، بغير حول من أمير المؤمنين في شيء مما ولاه وأبلاه ، ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

لأبي عبيد الله

والحمد لله الذي أكرم أمير المؤمنين بما أصار إليه من الخلافة وارث النبوة ،
وجعله القائم بأمر عباده وبلاده ، والمحيي لسنته ، والذاب عن دينه وحقه ، والمناصب
لأهل الشرك والجحود به ، ثم نصره وأظهر فضل أيامه ودولته ، ولكن له في بلاد
عدوه ، وجعل كلمته العليا وأنصاره الغالبين ، ومن ناواه من أهل الخلاف الأذلين
المقهورين ، وعرفه من نعمته في ذلك ومنته وجميل صنعه وعاداته ، أحسن ما عود
أحدا من أوليائه الذابين عن الإسلام وأهله ، حمدا متتابعيا لا انقطاع له ولا انصرام ،
دون بلوغ حقه ، وقد كان كذا وكذا .

ما يكتب به في المخالفين في وقت الهزيمة

نكصوا على أدبارهم منكوبين مهزومين ، قد ضرب الله وجوههم ، وفست في
أعضادهم ، ومنح الأولياء أكتافهم ، فقتلوهم في كل فج ، وعلى رأس كل تلة ومهرب
ومسلك ، أباد الله خضراءهم وغضراءهم ، وخضد شوكتهم ، وفل حدهم ، وأباخ (١)
نيران ضلالتهم وكفرهم ، وشفى منهم الصدور ، وأدرك منهم الاحن ، ونقل المسلمين
أحوالهم وذرائعهم ، وجعلهم لهم خولا وعبيدا ، وأرثهم أرضهم وديارهم ، وأحل الله بهم
من البأس والنقمة والجائحة والظهور والغلبة جزاء من الله لمن أخلد إلى المعصية وأبتغى
غير سبيله السلوكية . وكذلك يفعل الله بالقوم الظالمين ، ويستخرجهم من حيث
لا يعلمون ، إن الله لا يخلف الميعاد . ثم أنزل الله عز وجل من صار إلى الأمصار منهم
هربا ، واعتصم بالحصون ، وتعوذ بالجبال ، ولاذ بالقلع ، ولجأ إلى الأودية ، من
صمياصيمهم ، وأمكن من نواصيهم ، واستخرجهم من أوزارهم ومعاقلمهم ومتعوذهم ،
وأخذ أسيرا ذليلا منكوبا خائفا قد نخب الوجل قلبه وملأ الرعب صدره ، متوقعا أن
ينزل الله به من النقمات والمثلثات ما لا مرد له عن مثله من القوم الظالمين ، وفشت في
الكثرة الجراحات ، وعضت السيوف ، وشرعت فيهم القنا ، وهزتهم نار الحرب ،
وغالهم النزال ، ومارسهم الأبطال ، واستحرف فيهم القتل ، فصبر لهم الأولياء أحسن
صبر ، فلم يطيقوا بالموت مراما ولا على الحرب مقاما .

في صفة الخالعين

الناصبين لدين الله ، المكذبين بآياته ، الجاحدين برسوله ، الجاعلين معه الها ،
لا إله إلا هو ، لطول مدتهم ، وشدة شوكتهم ، وصعوبة مرامهم ، وقطعهم السبيل

(١) أباخ النار : أظلمها .

وانتهاكهم المحارم وسفكهم الدماء التي أوجب الله على من سفكها بغير حلها واقتترف واحتمل وزرها ، أليم العذاب وشديد العقاب ، فأبوا الا تماديا في ضلالتهم ، وهتوا في طغيانهم ، وثبوتا على عصيانهم ، ومقاما على كفرهم ، لأحداثه السالفة ، وغوائله المتقدمة ، وبوائقه المشجية ، فوقف مميلا بين ثكل التقليم وحقيقة الاصطلام في التأخر ، دعاهم الى الفينة والمراجعة والانابة وقبول الأمان والدخول في الطاعة ، استظهارا بالحجة عليهم ، ورجاء لصنع الله فيهم . فلما بلغهم نزول فيمن معي ، جمع أصحابه ، وضم جنده ، وتحرز في معسكره ، وخندق على منزله ، واحترس بجهده ، فأقامت معسكرى ، وأنا مع ذلك في كل يوم أوجه رسلى وأدعوه الى حظه ، من طاعة أمير المؤمنين والدخول في أمانه ، وأعلمه أن له نظراء ممن غمط الطاعة ، وسفكه الجماعة ، وقد ركضوا في الفتنة عمرهم وسعوا فيه دهرهم ، فانتشر خبرهم ، وكثر تبعهم ، وكبر وزرهم ، وثقل وقرهم ، ثم أذعنوا لطاعتهم ، واستقلوا ناضجين من عثرتهم ، ومنتعشين من زلتهم ، فغفرت ذنوبهم ، وقبلت توبتهم ، وفسح لهم في أمانهم ، وشرفت منزلتهم ، واستبدلوا بالخوف أمانا وبالذل عزا ، فأبى به ميل الهوى ، وغلبة الشقوة ، ومستطلى الغواية ، والقدر المحارب ، والقضاء المحتوم . وتقدمت في موافقتهم وترغيبهم ، والأخذ بالمخنق منهم ، من غير قتال ، ولا تناسول سلاح ، ولا تناوش صيال (١) ، وعرضت عليهم التوبة ، ودعوتهم الى الانابة ، وأعطيتهم الأمان ، وأعلمتهم أنهم ان قبلوا حمدتهم وأخمدت نار الحرب بينى وبينهم ، وان أبوا الا تماديا في غيهم ونكوصا على شقائهم ، وليت مناجزتهم وعرفت من الله الخيرة في محاربتهم ، واستعنته عليهم واستكفيتهم أمرهم ، ورجوت حسن عادته عند أمير المؤمنين في أمثالهم . ثم وجهت الأولياء فنفذوا نحو معسكرهم ليلا وهم متفرقون في رحالهم ، مغترون في أوطانهم ، قد آمنوا خدع الحروب ومكرها ومكيدتها ، ووقعة البيات وهولها ، الا طائفة منهم أهل عدد وعدة ، وبأس في أنفسهم وقوة ، اتخذوا الليل جملا ، وسروا نحونا يرجون غرتنا ويأماون غفلنا ، فوقف جندنا بمكانهم آخذين أهبيتهم ، متمسكين بالطاعة فيما به امرتهم ، فأسرعت اليهم من أعدائهم طائفة فدفعوهم عن أنفسهم ، ونالوهم بجراحات مع قتلى منهم عند تناوشهم ، ثم نكصوا على أدبارهم ، ورجعوا القهقري على أعقابهم الى الباقيين من سريتهم ، فاستجاشوهم فأجاشوهم بالمكانفة والمؤازرة ، وأقبلوا بحميتهم وحنقهم حتى حملوا حملة رجل واحد ، وضاق الفضاء وطارأت أفئدة جندنا رعبا من حملتهم ، وبلغت القلوب الحناجر منهم ، الا طائفة قليلة من لواقح الحرب ومواضى رواسخها وأشبال لبدتها ، تزينوا بالطاعة فأماوا حسن العاقبة ، ونصروا الدين ، فوثقوا بالتمكين ، وانتدبوا اليهم ، ووقفوا لهم ، وأزدادوا بصيرة في أمرهم ، ونفاذا وجدا في اجتهادهم ومجاهدتهم ، فثبتوا قائمين بالقسط في أحوالهم ، قائلين بالعدل في أملائهم ، يسألونهم الكرة بعد الكرة ، ويعدونهم الغلبة ،

(١) الصيال مصدر صال على قرته : سطا عليه .

ويمنونهم السلامة ، ويضمنون لهم الغنيمة ، ففأوا اليهم ، ورجعوا الى الحق لله عز وجل عليهم ، نشافعوا ساعة بالقنى بعد تراميهم ارشاقا بالسهم . فلما رأى أعداء الله جدهم ، وعرفوا صدقهم ، وخافوا حدهم ، نكصوا على أعقابهم ، يريدون اللحاق بمعسكرهم ، وتحرك أصحابنا في طلبهم ، ورجوا سوء الصباح لهم ، فأمعنوا في أثرهم ، فلما أحسوا الفساق أعطوهم الضمة وولوا الى ديارهم لا يلوى قريب على قريب ، ولا ذو رحم على حبيب ، ونالتهم القنى فدرتهم ، وعضت هامهم السيوف فكلمتهم ، وحيل بينهم وبين الدخول من باب عسكرهم ، فأخذوا في غير طريقه منهزمين . قد فل الله حدهم ، وقلل كثرتهم ، وقتل عامتهم ، ورجع أصحابنا الى معسكر أعدائهم بعد التشريد والتفريق بجماعتهم ، فأحاطوا بهم في آخر ليلتهم ، فلما رأوا غفلتهم ، وأمنوا غرتهم ، وانتهزوا مكان الفرصة منهم أحاطوا بهم وهم نائمون ، قارون غافلون متفرقون ، فوضعوا السلاح فيهم ، ضربا بالسيوف ، وطعنا بالرماح ، وضربا بالأعمدة ، وذبحا بالشفار ، لا يشوون من جرحوا ، ولا يبقون من كلموا ، غير مدفوعين ولا منرعين ، حتى انثنت السيوف ، وتحطمت القنى واندقت الأعمدة ، وكلت الشفار ، وبقيت منهم عدة يسيرة وشرذمة قليلة ممن لم ينله القتل ، فأخذوا أسرى ، وأوثقوا حديدا ، وكبلوا قيودا ، وكان أول رأس أتاني بخبره (١) بشيرهم وأسرع به الى ذو المعرفة منهم رأس (٢) عدو الله المارق الباغي ، الشاق لعصا المسلمين ، ملأني رئيس ضلالتهم ، وقائد جهالتهم ، ومستغوى جماعتهم ، فعرفته بحليته ونعته وصفته في عدد كثير من رؤوس قواده وأهل الفتنة وأئمة البدعة ، فلم يلبثوا الا ريثما تصدعوا في كل جبل وخر ، منهزمين هاربين ، لا يستطيعون لما أتاهم من عذاب الله دفعا ولا منعا بأيد ولا قوة ، ولا يلجئون الى ركن وعصمة ، قد تشتت بهم نظامهم ، وفارقهم وجوههم وأعلامهم ، فأخذهم أسرا قسرا قد منهم النصب ، وملأ قلوبهم الرعب وتخرمتهم الوقائع ، ونخبتهم الهزائم ، وتحيفهم القتل ، وغلب الله عز وجل لأمير المؤمنين على حصنه الذي كان مناف عزه ، وموضع منعته في نفسه ، ومجتمع عدته ، ومادة قوته ، فقوضوا عساكرهم ، وأقشعوا عن حصنهم يتبع آخرهم وأولهم ، متحيرين متلذذين ، أذلة خاسرين ، فتفرقوا لا نظام لهم ولا جامع لشتاتهم . فلما استحر القتل فيهم ، وفشت الجراحات في عامتهم ، وطحنتهم الحرب بكلكلها ، وألوا وقع حديد أنيابهم ومسنائرها ، قذف الله الرعب في قلوبهم وزلزل بهم أقدامهم ، فولوا منهزمين مغلولين ، وركب المسلمون أكتافهم ، يقتلونهم في رؤوس جبالهم ، وخلال غياضهم ، وبطون أوديتهم ، ومقاصي تلاعهم ، وفي كل ناحية من نواحيهم ، حتى عجز الليل دونهم ، وأعجزوهم هربا في معاقلهم .

(١) في الأصل : « يخبرهم » .

(٢) في الأصل « برأس عدو الله » .

وفى العصاة

حتى اذا ظن أن قد عز بضلاله ، وتحصن بمعاقله ، واستكمل قواه ، وكثف تدبيره ، ولجأ الى مانع منه ودافع عنه ، عطفت عليه عواطف الحق بأولياء الحق وأنصاره ، ناقضين ما أبرم ، ومتداولين ما سد ، ومتوغلين الى غيه ببصائرهم ، والى باطله بحقهم ، فاستنزل عن موضع عزه قسرا ، وأمكن الله أولياءه أسرا ، سنة الله فيمن عند عن سبيله ، وألحد في دينه ، ومرق عن الطاعة وثائقها ، واستبدل بالحق ومنهجه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا ، ولن تجد من دونه ملتحدا ولا نصيرا ، حتى اذا نراى الجمعان تبرا الشيطان من حربه ، وأرهق الله باطلهم بحقه ، وجعل الفلج والظفر لأولى الحزبين به ، بذلك جرت سنة الله فى الماضين من خلقه ، وذلك ما وعد من تمسك بأمره وطاعته .

وفى مدح قواد الجيوش وصفة الأولياء فى أحوالهم

لما بلا من طاعته ، واختبر من نصيحته ، ويمن نقيبته ، وشدة شكيمة ، وصحة عزيمة ، وصدق نيته ، وثقل وطأته على أعداء الله وأعداء الدين والمسلمين ، وعلمه بسراوضة الحرب وممارستها ، ومكايدة الأعداء ومواقفتهم فيها ، فشمّر تشمير أهل الحسبة وحسن الظن بالله من غير ونية ولا فترة ولا بقاء جد ولا اجتهاد ، راجيا أن ينجح الله سعيه ، ويفلج حجتة ، ويظهره على عدوه من الاستقلال الذى حمله ، والاضطلاع بما أسند اليه ، والامتنال لسيرته ، والانتهاه الى أمره ، والقبول لأدبه ، والخوف بما يستنهضه له من حروبه وأموره مثل الذى جعل عند فلان : يفضلهم بطوله ، ويطولهم بمحاسنه ، ويتقدمهم بحسن بلائه وغناؤه ، ومواقفه ومساعيه ، لم يختبره أمير المؤمنين فى جميع خصاله الا وجده عند الاختبار والتحصيل سالكا لمناهجه ، قابلا لأمره ، متبعا لأثره ، ساميا بهيمته الى أقصى الغايات وأعلى الدرجات ، حتى صار عند أمير المؤمنين مقدما فى القدر والرتبة ، مخصوصا بالمنزلة والرفعة ، يرى ذلك قليلا فى كثير ما وجب بطاعته ونصيحته ، فبارك الله عليه ولما ظهر . فأقدموا متركلين على الله مسلمين لأمره صابرين على ما نالهم من اللأواء والجهد والتعب وقلب الشتاء وحمارة القيظ ، وصعوبة المرام من أعداء الله الكفرة ، يرجون نصر الله وتنجز ما وعد الصابرين والمجاهدين فى سبيله من الظفر والنصر والغلبة على عدوهم ، توحد به من نصرهم وأعزازهم ان كان الله عز وجل تكفل لأولياته بالنصر والعز والحيطة ، وجعل حسن العاقبة لهم وكبت من حادهم وأخلد الى المعصية والكفر والأسر ، ليكونوا بذلك عظة ونكالا لمن أمهله الله منهم ، ولتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى ، والله عزيز حكيم ، أعظمهم غناء ، وأحسنهم بلاء ، وأشدهم صولة ، وأقساهم نكاية ، وأمنهم سريرة ، وأمضاهم عزيمة وأربطهم جاشا ، وأصدقهم بأسا ، وأملأهم للأقران ،

وأمرهم لوثائق الايمان ، وأشدهم تحديا على السلطان ، فأزروه بهم ، وحسن اطراف خلافته بأيديهم ، فكفوه الملم وقاموا دونه بالملم ، غير مستطيين بغناء ، ولا متعرضين لطلب جزاء ، قد تعبدتهم الوفاء ، وغنوا بقربة الولاء ، فان الله جعل آباءه أعلاما في الطاعة يهدون اليها وأوليته قادة الى سبيل النصيحة يتمسك المناصسون بآثارهم فيها ، باقيا على كثر الأيام ذكر مساعيهم ، وزائدة على تصرف الأيام حقوقهم ، وباديا للميون حميد أفعالهم ، لاتنصرم الأخبار عن سالف لهم الا وصلوه بحادث ، ولا يتقدم لهم من يلائهم أول الا اتبعه آخر . ففلان بجرى في أمره على منهاج قد أوضحوه له ، ويسلك في الطاعة طريقا قد سهلوا له مذهبهم ، ويتمسك بعري وثيقة قد رأى آثارها على من تقدمه ، والله محمود . ولم يزل الله يعرف أمير المؤمنين في كل ما أسنده الى فلان من أعماله وقلده من أموره ، المبالغة في قضاء الحق عليه ويمن النقيبة فيما يتولاه ، والاجتهاد في كل ما قربه من الله وخليفته . وأمير المؤمنين يحمد الله على ما يخصه به من نعمته ، وإياه يستعين على قضاء حقه ، انه سميع قريب . فان كتابك ورد على أمير المؤمنين بما لم يزل يتطلع اليه منك ويؤمله عندك ، ويرجو أن يوفقك الله فيه لرشدك ، ويؤثرك منه بحظك ، للذي كان يبلغه وينتهى اليه من خبرك ، في أحوالك وتصرفك في خصال الخير ، وتنقلك في درجتها ، مساميا لأهل الفضل في مراتبهم ، متزينا بصالح أفعال الملوكة في قصد سيرتهم ، وحسن طريقتهم ، ولين أكنافهم . فحقق الله ظنه بك ، وأجاب دعاءه لك ، وبلغ بك أمنيته ، وأعطاه فيك رغبته . وكنت فيما هديت له بانقيادك اليه راغبا ، ودخولك فيه محتسبا ، مستوليا على أسنى الأمور مؤونة ، وأفضلها ذخيرة ، وأعلها درجة ، وخيرها عاقبة ، وأعمها سلامة ، وأمنعها كهفا ، وأبقاها شرفا ، وأعد لها حكما ، وأطولها سلما ، مستحقا بذلك على الله عز وجل زيادة الملك فيها ، وبهاء الثروة ، وانبساط القدرة ، واتساع المملكة ، وظهور الغلبة وهز التمكين ، والنصرة في الدار التي حبيت فيها بقليل ما ترجو أن تصير اليه من ثواب الله عز وجل وحسن مجازاته بالنعيم المقيم في دار الأمد ، ومحل الأبد ، بما لا يبلغه احصاء ، ولا يكون له انتهاء ، وملاء فرحا وابتهاجا ، وسرورا وجذلا ، ورجاء لك من الله عز وجل حسن عونه وتوفيقه أن يغلب لك على حظك ، وأن يأخذ الى نقواه بقلبك ويجعل فيما عنده رغبتك ، والى ذلك سموك وهمتك . وليس ينفك أمير المؤمنين مقتفرا فيك أثرا يحمده ، ومتصفحا بخبر يبهجه ، ومستحدثا نعمة من الله عز وجل يرجو اتصالها واتساقها لديك بك ، حتى يتناهى الى الدرجة العليا ، والغاية القصوى ، فيما [يبتغيه] (١) من اجتثاث أرومة الفسقة وقطع دابرهم . وبالله الثقة والحوال والقوة ، متعرفا من الله فيما فارقه من جهاد عدوه أتم مصادق وعد القاتنين بحقه ، الصابرين في جنبه ، وأحسن ما أبلى ، ذا ندا عن حرهم ، ومحضنا لبيضة ، ومدافعا عن ملة ، فشمس شاريا بالله نفسه ، طارحا عنه لباس الغفلة ، متجافيا

(١) بياض في الأصل والسياق يقتضى ما اقتضاه .

عن إهماد الوطاة ، وليس تدخله الخلّة والوحشة عن من كنت قريباً منه ، ولا يمتنع
لأمير المؤمنين طرف أنت فيه ، ولا امر يعين عليه ويتمسك بسبب من أسبابه .

وصف الأولياء في الكتب

وصار أهل السمو إلى الدرجة العليا ، والاعتصام بالعروة الوثقى . من أولياء
أمير المؤمنين وشيعته ، منشرحة صدورهم بمكانته ، منبسطة أيديهم بمعاونته ، وقسم
لأمير المؤمنين من أولياء دينه وأنصاره ، قوم آزرهم بالنصر . وكنفهم باليقين ،
وألف بصائرهم على الحق . وأيدهم بمؤيدات التقوى ، فلما أمرهم أطاعوا أمره ،
ولما فرضوا في ذات الله طاعته ، فرض الله نصرهم وتمكينهم ، فجاهد مجاهدتهم
مستبصرًا محنسيًا ، وقام قائمهم بالحق عليه مخلصًا مجتهدًا ، وقادتهم طلائع الدين
ودواعيه أربابًا قدامًا ، فاتبعوا سبيله لا ناكلين عن أقدام ، ولا متوقفين عن ارتياب ،
ولا منهييين ، مع دخائلهم وبصائرهم ، عدوا ولا عنادا ، طالبين بنار الدين بغاته ،
وبطوائل الإسلام عداته : من صنوف أمم الكفر ومردة النفاق وأئمة الملحدين ،
متقلدين للحق ونصرتهم ، ولئن تم الحق بهم ومضى ، ولئن مع الحق من نكت عنه
بالسنتهم وأيديهم ، حتى فتح الله عز وجل لأمير المؤمنين معاقل الشرك وأمه ، وأناخ
الباطل وأركانه ، وأعلام البدع وأتباعها ، فضلا من الله ونعمة ، والله عليم حكيم ،
إن هزرتهم قطعوا قطع الحسام ، وإن أجريتهم في عظمة وقعوا وقع الجياد ، وإن
استغنيت ودام الغناء لك عن جميع العاملين ، كانوا رصدًا لك فوق أعناق الحاسدين .

ما يقرظ به أمير المؤمنين في أواخر الكتب

ليعرفوا موقع نعم الله عند أمير المؤمنين ، يحوطه به في أوليائه ، من النصر
والتكفين ، وعائ أعدائه من الوقم (١) والتوهين ، ويشكر الله على النعمة في ذلك ،
إن الشكر محصن للنعم ، وأمان من الغير ، لتحلو مواقع النعمة عليهم ، فيما يجمع الله
بأمر المؤمنين من كلمتهم ، ويحوط من حريمهم ، ويحل من بأسه ونقمته بمن صدف عن
سبيله وحاول تشمتيت جماعتهم وتوهين حقهم ، ويقابلون ذلك بما ترتبط به نعمه ،
ويستدر مزيد .

سعيد بن حميد

ليشكروا الله على ما منح خليفته من هؤلاء المراق الخارجين من جماعة المسلمين ،
فإن الشكر أمان من الغير ومادة للمزيد .

(١) الوقم : القهر والذلة .

٣ - التحميد في أواخر الكتب

تحميد لسعيد بن نصر في آخر كتاب فتح له

الحمد لله المعز لدينه ، المظهر لحقه ، المؤيد لأوليائه ، الصانع للإسلام وأهله ،
الناصر لخليفته ، الحافظ لما استحفظه ، المتوحد بالنعمة عليه فيما حمله .

تحميد لإبراهيم بن العباس في آخر كتاب فتح

فالحمد لله المزيل لما يهدد المبطلون ، ويمكر به الماكرون ، ويكيد به الملحدون ،
تمكيناً لعبده وخليفته ، وذبا عن دينه وحقه ، واظهاراً لأوليائه وحزبه ، واهمضاً
لإمراضه وقدرته ، منعا قادرا ، وممليا ممهلا ، عدلا اذا استدرج ، متفضلا اذا أنعم ،
حمدا يستنزل به نصره ، ويبلغ به رضوانه ، ويمتري بمثله فواضل مزيده .

تحميد في فتح لإبراهيم بن العباس

والحمد لله بجميع محامده التي حمد بها ، على جميع آلائه وجميل بلائه ،
فيما ولي به خليفته ، ونصر به دينه ، وأقام به حقه ، وأعز به وليه ، وقمع به من أهد
عن سبيله ، حمدا يؤدي حق نعته ، ويوجب به أفضل مزيده بمنه وطوله .

تحميد لأبي عبيد الله في آخر كتاب

فالحمد لله على ما يحدث لأمر المؤمنين في دولته وسلطانه ، ولعامة المسلمين من
صنعه وكرامته ، في جسيم الأمور ولطيفها ، وخاصها وعامها ، بما يجعله للنعمة
تماما ، وعلى ما يحل بعدوه من بأسه وقوارعه ، ويوقع بهم من جوائحه واستئصاله ،
ما يكون لموعوده انجازا ، حمدا يبلغ رضاه ويستوجب مزيده .

تحميد آخر

الحمد لله الذي تم لأمر المؤمنين نعمته ، وكمل دعوته ، وجعل العاقبة فيه
لمن اختاره لخلافته ، ورد إليه من شدة عنه من رعيته ، وأتى أمير المؤمنين بصنعه على حد
نيتة وقدر أمنيته ، ولم يقل رأيه ولم يخلف ظنه ، حمدا كثيرا دائما بما يزكو عنده
فيتقبله ، ويرفع إليه فيبلغ رضاه ، حمدا يكون لأسبغ نعمه جزاء ، ولأفضل إحسانه

كثاء . ولله زيد من فضله واحسانه موجبا ، والى أعلى الدرجات عنده مؤدبا ، وللخلود
فى جنته وسيلة وسببا .

آخر :

الحمد لله الذى جمع لأمر المؤمنين ما حباه بمزية نصره وتمكينه واعزازه
وتأييده ، واطهاره على من ناوأه وصد عن حقه ، وصدف عن طاعته ، ووفقه لاختصاص
فلان بما وكله اليه وعصبه به من أعباء أموره وجلائل أعماله ، وأجرى بفلان وعلى يديه
وبركته وسعادة جده ويمن طائره ، من تتابع الفتوح ، وتواتر النصر ، واقبال الصنع ،
واعلاء الحق وانارته ، وازالة الباطل وابادته ، حمدا يؤدى حقه ، ويرى عزه ، ويمير
من أحسن (١) مزیده بكرمه وجوده .

آخر :

الحمد لله الذى أكرم أمير المؤمنين بالخلافة ، وخصه بالإمامة ، وقلده من أمور
عباده وبلاده ما تولاه بكفايته وكلاءته وتأنيده وحياطته ، حمدا يوجب المزيد
من فضله .

ولأبراهيم بن العباس

الحمد لله الذى أنجز وعده ، ونصر عبده ، وأيد جنده ، وجعل فتوح أمير المؤمنين
شرقا وغربا مشفوعة بين إقامة حق وإدالة باطل وازالة عائد وإبادة عائد وإقالة (١)
مستقل . ويسأل الله أمير المؤمنين ، مسألة العبد سيده ومولاه رغبة اليه متذللا له أن
يصلى أفضل صلواته عنده على أكرم أنبيائه .

دعاء أمير المؤمنين فى الكتب والدعاء له

وأمير المؤمنين يسأل الله ربه ووليه ، أن يکنفه فيما حباه واستحفظه عليه
بأفضل تأييده وأعز نصره ، وأن يهب له مع كل نعمة يجددها له حارسا من شكرها ،
يتابع به أفضل مزیده ، فإن النعمة منه ، والشكر بتوفيقه ، والمزيد لمن شكره .

وأمير المؤمنين يسأل الله ربه وربكم وولى النعم عليه وعليكم ، أن يلهمه وإياكم

(١) سقطت فى الأصل كلمات فأنبتنا ما يقوم مقامها .

أداء حقه وشكر نعمته وحمده عليها ، ويطوقه وإياكم أفضل الأعمال وأرضاها عنده
وأشدّها استيجابا لما وعد الشاكرين من مزيد ، انه سميع قريب .

وأمر المؤمنين يسأل الله الذى ولاه خلافته وأعلاه بها ، أن يطوقه ما حمّله ،
ويأنحه العدل بين رعيته ، ويلهمهم نصيحته وطاعته ، ويصلح أمرهم به فى ولايته
وخلافته . ويرغب الى الله الذى أيدّه بنصره ومكن له بغير حول منه ولا قوة ، أن يلهمه
واباكم شكره وذكره وخشيته ، ويشمله وإياكم بطاعته ومرضاته ومحبته ، وأن يعرفه
وإياكم الزيادة فى نعمه والنصر على عدوه والتمكين فى بلاده ، انه ذو فضل عظيم .

والى الله يرغب أمير المؤمنين فى اعانته على نيته وتبليغه منتهى سؤاله وغاية همته
واعزاز دينه واذلال من صده عن سبيله ، انه سميع قريب . وأمر المؤمنين يسأل الله
الذى دل على الدعاء تطولا وتكفلا بالاجابة حتما ، فقال : (ادعوني أستجب لكم)
أن يجمع على رضاه ألفتكم وأن يصل على الطاعة حبلكم ، وأن يمتعكم بأحسن ما عودكم
من دننه ، ويوزعكم عليها من شكره ما يواصل لكم به مزيد ، وأن يكفيكم كيد
الكائدين ، وحسد الباغين ، ويحفظ أمير المؤمنين فيكم ، أفضل ما حفظ به امام هدى
فى أوليائه وشيعته ، ويحمل عنه ثقل ما حمّله من أمركم ، وبالله يستعين أمير المؤمنين
على ما ينوى من جزائكم بالحسنى ، وحملكم على الطريقة المثلى ، وبه يرضى لكم ناصرا
ووايا ، وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا .

ويسأل الله أمير المؤمنين ، أن يحسن على صلاح نيته عونه ، وأن يتولاه
فيما استرعاه ، ولاية جامعة ، لصلاح ما قلده ، انه سميع قريب .

ويسأل الله أمير المؤمنين الذى بيده مفاتيح مقاديره وفواضله ، أن يصلى أفضل
صلواته على أفضل أنبيائه ، وأن يجعل ما ادخر لأمر المؤمنين الى دولته وخلافته ،
وحبائه به من وسائل الخير عنده ، أن يجمع الى أحسن توفيقه لما يرضى من شكره
وحسن معونته على ما أصلح له ربه ، فانه شاكر يحب من شكره ويوجب لمن وفق
لشكره مزيدا بمنه وطوله وفضله وإنعامه ، انه جواد كريم .

ويسأل الله أمير المؤمنين مبتدئا ومعقبا وأولا وآخرا ، وقبل كل مسألة ، وأمام
كل رغبة ومقدمة كل طلبية ، أن يصلى على صفوته من عباده وخير خلقه وخاتم أنبيائه
ورسله ، محمد عبده ورسوله ، أفضل صلواته ، ويبارك عليه أكثر بركاته ، وأن
يديم له كرامته ، وأن يجرى عنده على أجمل عاداته ، وأن يتم له ما اختصه به من
احسانه ، حتى يملأ الأرض عدلا وقسطا ، والاسلام تأييدا وعزا ، والشرك ذلا وقمعا ،
انه ولى نعمته ومنتهى كل رغبة وغاية كل حاجة ، وهو على كل شىء قدير .

وأمر المؤمنين يقول : الحمد لله طاعة لأمره ، واعتصاما من الفتنة بشكره ،
واستدامة لنعمه المتزايدة (١) عنده ، انه سميع قريب .

وأمر المؤمنين ، يسأل الله السامع كلام من جهر ، والعالم بغيب من أسر ،
المطلع على ضمائر العباد ووسوستهم ، والمستنقذ من يشاء برحمته ، والممتن على من
يشاء بقدرته ، أن يجمع على الحق أهواءكم وينصركم على أعدائكم ويصلح ذات بينكم
ولا يكلكم في موطن من موطن اللقاء ، والتحاكم والتناجز ، الى أنفسكم ، ويكفيكم
ويكفي بكم انه سميع قريب .

الدعاء لأمر المؤمنين في أواخر الكتب

١٢٤

ونسأل الله أن يهنا أمير المؤمنين ما صنع له ، ويعينه على شكر ما أولاه ، انه ولي
ذلك وانا فيه راغبون والسلام .

ونعمة :

ونسأل الله أن يهنا أمير المؤمنين الكرامات التي يتابعها ، والنعم التي يظاهرها
عليه ، والفتوح التي جعلها في خلافته ، وولايته ودولته ، ويهب له من المعرفة بحقه
في ذلك والشكر له بحسن بلائه فيه ، ما يبلغ أعظم رغبة وأقصى أمنية ، من ذخائر الخير
وفضيلة الأجر وحسن الثواب في الدنيا والآخرة .

أسأل الله لأمر المؤمنين في غابر أموره ، أحسن ما عوده في سالفها ، من السلامة
التي حرمه بها من المكاره ، والعز الذي قهر له به الأعداء ، والنصر الذي مكن له
في البلاد ، والهدى الذي وهب له به المحبة ، والرفق الذي أدر له به الحلب ،
والاستصلاح الذي اتسقت له به الرغبة ، حتى يكون بما أعطاه من ذلك ، وما هو
مستقبل به ، أبعد خلفائه ذكرا ، وأبقاهم في العدل أثرا ، وأطولهم في العمر مدة ،
وأحسنهم في المعاد منقلبا .

أسأل الله لأمر المؤمنين نعمة لا تزول ، وكرامة لا تنفد ، وعزا لا يضام ، ونصرا
لا يغلب ، وكفاية ينتظم بها جميع الصلاح ، حتى لا يكون بأول من ذلك أسعد منه
بآخر ، ولا بماض أسر منه بمستقبل .

أسأل الله لأمر المؤمنين في عاقبة كل نعمة أفضل ما وهب له في عاجلها ، حتى
يجعل كل نعمة أنعم بها عليه وكرامة حازها له ، موصولة بالتمام ، محوطة بالحفظ ،
مكلوثة من الغير ، ممدودة الى طول غايات البقاء ، لا يشوب صفوها كدر ، ولا سلامتها

(١) في الأصل المنازل ، وما أثبتناه صحيح .

غير ، ولا سرورها تنغيص ، وهنأ الله أمير المؤمنين الظفر ، وأدام له عادة النصر والتمكين
الموضح ، وحبته المدحضة لحجة أعدائه ، والغلبة المظهرة لحقه ، المجتاحة لمن خالفه ،
ثم لا برحت نعمة الله راهنة بمثله في الأولياء نصرا ، وفي الأعداء إباحة ، وفي
الناكثين تنكيلا .

سر الله أمير المؤمنين بما أهدي له من كفايته ، وحاطه به من منعمته ، وأيده به من
نصره ، وجعله وما استرعاه من دينه وسلطانه ، في كنفه الذي لا يستباح وتحت يده
المانة وجناحه المحفوظ .

أدام الله لأمر المؤمنين السرور بما يقضى به عيون أعدائه في تمكينه وتوهمينهم ،
ونصره وخذلانهم ، واعزازه والمجاهدة لهم ، ولا زالت نعمة الله تزيده في قوة الظفر ،
وعزة النصر ، وتقده من آفاق الأرض بالبشارات والفتوح ، حتى تملأ له ما بين طرفي
ملكه أمنا وعزا ، ويملاً به قلوب أعدائه خوفا ورعبا ، ويعدهم على خلافه سيطرة
وتنكيلا .

أحمد بن يوسف

وهنأ الله أمير المؤمنين نعمه ، وملاه وكرامته ، وأولى له فتوحه ، وأدام اعزازه ،
وتولى حياطته وكفايته ، فيما دنا منه وما غاب عنه ، وأطال بقاءه والامتناع به .

مختار ما كتب من باب التهاني في كل فن

تهنئة خليفة بظفر

الحمد لله الذي جمع لأمر المؤمنين مع الغلبة الحجة ، ومع الظفر المعذرة ، وجمع
لعدوه مع الذل السطوة ، ومع دحوض الحجة النكال ، فلم يجمعه والناكثين موطن
من مواطن الصبر ، إلا جعل الحجة عليهم فيه ، ولسان العذر فيه معه ، ويد الظهور
فيه له ، ثم وهب له عند الظفر من الشكر ، وعند الفلج من التواضع ، وعند القدرة
من البقر ، ما جعله مستوجبا لما أصفاه به ، معرفا بأن العذر منقطع ممن نكبه ، وأن
مستزاد الحجة ومطلب السلامة ، في التمسك بطاعته ومناصحته ، والمجاهدة دونه .

وفي مثله :

أدام الله لأمر المؤمنين السرور بما يقضى به عيون أعدائه .

وكتب ابراهيم بن المهدي الى المعتصم يهنئه بخروجه عن ارض الروم

بعد فتح عمورية

الحمد لله الذي نعم لأمر المؤمنين غزوته ، فأذل بها رقاب المشركين وشفى بها صدور قوم مؤمنين ، ثم سهل الله له الأوبة سالما غانما ، وكذا وكذا ، وليهنئه ما كتب الله له ، مما احصاه فلا ينساه ، ليقفه به موقفا يرضاه ، فانه عز وجل يقول : (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم) الآية ، فطوى الله لأمر المؤمنين نازح البعد برا وبحرا ، ووقاه وصب السقر سهلا ووعرا ، وحاطه بحراسته كالثا ، ودافع عنه بحفظه راعيا ، حتى يؤديه الى المحل من داره ، والوطن من قراره ، وجزاه عن الاسلام خاصة ، وعن رعيته كافة ، بتخيره مستخلفا عليهم ، وقائما مقامه فيهم هرون ابن أمير المؤمنين ، فقد استخلفه رفيقا شقيقا ، حليما وقورا ، يقظان ساكنا ، لم يشذب عليه أمر ، ولم ينتشر عليه طرف ، ولم يضع معه سبيل ، ولم يسخط وليا مكانفا ، ولا عدوا مخالفا ، بلا سيف أشعره ، ولا سور أقرع به ، فمثل جزاء أمير المؤمنين في تخيره اياه ، فجزاه الله على ما حفظ من وصاياته ، على محمود مقامه ، انه مجيب الداعي .

وكتب أحمد بن يوسف الى عبد الله بن طاهر

يهنئه بنظر

بلغنى - فتح الله عليك - خروج ابن السرى اليك ، فالحمد لله الناصر لدينه المعز لوليه وخليفته على عبادته ، المذل لمن صد عن حقه ورغب عن طاعته ، ونسأل الله أن يظاهر النعم ويفتح بلدان الشرك به ، والحمد لله على ما والاك منذ ظعنت لوجهك ، فانا نتذاكر سيرتك فى حربك وسلمك ، ونكثر التعجب لما وفقت له ، من وضع الشدة والليان بموضعهما ، ولا نعلم سائر جند ولا رعية عدل بينهم عدلك ، ولا عفا بعد القدرة عمن أسفه وأضغنه عفوك .

تهنئة خليفة بجج

أصلح الله أمير المؤمنين وأراه من الزيادة فى نعمه ، ما يكون تماما لما ابتدأه به من فضله ، والحمد لله على ما خص به أمير المؤمنين من كرامته ، وأعطاه من الفضل فى نيته ، وجعله يستعين على دينه ، بما بسط فى دنياه ، ويحمل على بدنه النصب فيما يتقرب به اليه ، فيجفرو عن دعتة على لينها ، ويشخص عن طمأنينته على فضلها ،

ايتارا لآخرته ، وأداء لحق ربه ، بادر له بذلك ليكرمه ، ثم يستعمل فيه نفسه ،
تقربا اليه ، فيسعده بالاذن في ذلك حين كان من الله له ، وبالعمل فيه حين كان لله
منه ، فيكون قبوله الخير حين يعرضه له ، دليلا على قبوله الخير عنه حين يعمل لربه ،
وكان من ذلك ما أذن الله لأمير المؤمنين في زيارة نبيه صلى الله عليه وسلم العام ،
وموافاة مشاعره الأعظام ، في وقتها من الايام ، التي لا توافي الا معها . ولا تكون
مناسكه الا فيها ، فكتب الله له في ذلك الآثار الصالحة والأعمال المبرورة ، فدخل
في الاحرام له بتعظيم حقه ، وخرج منه بقضاء نسكه ، أجرا عقده الله عليه في
ابتدائه ، ثم أنه له باستيفائه .

ولحمد بن مكرم تهنئة لتاج

بلغك الله أرضا في أملك من نجاح كل حاجة وإبلاغ كل أمنية ، وتقبل كل دعوة
خصصت بها نفسك أو عمت بها أحدا من أهلك ، في مجامع وفوده ، ومعتزل قراره ،
فكنت شافع من شاهدك ، ووافد من غاب عنك ، يستفتح بدعائك ، ويرجى بركة
محضرك ، والقربة الى الله عز وجل بفضل جاهك .

تهنئة بولاية

نرى ما أحدث الله لك من الولاية ، لنا خاصا والينا واصلا .

آخر :

ولم تتخطني النعمة اذ أصابتك ، ولم تتعدني اذ دخلت بك ، ولم أخل من لازم
شكرها ، وما ينفلك الله منها ، اذ قلدها اعتدادا بكل ما طوقت من المن ، وإيجابا
على نفسي ما جمعت من الشكر .

ولسعيد بن حميد الى بعض اخوانه

سرك الله بتتابع نعمه ، وترادف احسانه ، وزادك من فواضل أقسامه . بلغني
- أكرمك الله - ما وهب الله لك من سلطانك ، فقواك الله على ما استرعاك ، ورزقك
الشكر على ما أولاك .

وفي مثل ذلك :

أكمل الله لك السعادة ، وزادك في الكرامة ، وخصك بدوام النعمة . بلغني
ما وهب الله لك من سلطانك ، فسررت به ، وسألت الله اتمام نعمه عليك فيه بتأييدك ،

وتوفيقك للعدل في سيرتك . وغرس المحبة لك في قلوب رعيته ، وأن يعينك عليه ،
ويرزقك السلامة في الدين وفي الدنيا .

وله في مثله :

أنا أهنيء بك العمل الذي وليته ، ولا أهنتك به ، لأن الله أصاره الى من يورده
موارد الصواب ، ويصدره مصادر الحجة ، يصونه من كل خلل وتقصير . ويمضيه
بالرأي الأصيل ، والمعرفة الكاملة ، قرن الله لك كل نعمة بشكرها ، وأوجب لك
بطوله المزيد منها ، وأوزعك من المعرفة بها ما يصونها من الفتن ، ويدوئها من النقص .

آخر :

قد وليت من العمل ما أسأل الله عز وجل أن يرزقك بركة بدئه وعاقبته ،
ويعطيك الرضا ممن وليت له وعليه .

آخر :

هناك الله هذه النعمة المقبلة ، الدال أولها على تمامها ، وأوزعك شكرها .

آخر :

أسعدك الله بهذه الولاية وجعلها مباركة ، تنتقل بظل السلامة منها ، ونيل
الكفاية فيها الى أملك بنهايته ورجائك بغايته ، ورزقك السلامة ممن وليت له وعليه .

آخر :

سرك الله بما جدد لك من هذه المنزلة ، ونفعك بهذه الولاية ، وأرضى عنك من
وليت له ومن وليت عليه .

وكتب محمد بن مكرم الى أحمد بن دينار :

نحن من السرور أيها الأمير بما قد استفاض من جمل أثرك فيما تلي من أعمالك ،
وزمك أياها بحزمك وعزمك ، وانتياشك (١) أهلها من جور من وليهم قبلك ،
وسرورهم بتطاول أيامك والكون في ظل يدك وجناحك ، في أعانة من تخصصه وتعمه
نعمتك ، وتحول به الحول حيث حالت بك ، فالحمد لله الذي جعل العاقبة لك ،

(١) انتياشك أهلها : استنقاذهم .

ولم يردد علينا آمالنا فيك منكوسة ، كما ردها على غيرنا في غيرك . ولوددت ان أباك كان عاين آثارك هذه ومناقبك ، وان كان الافتراق لم يقع بينكما حتى علم أنك خلفه ، وألقى اليك بأمره ومعاقده ثقته ، وجعلك موضع اختصاصه وأثرته . وصرف ذلك عمن لا يستحقه ، ودم سالف رأيه فيك وفيه وحمد آخره ، ثم نعمة اتصلت لك بما قبلها ، انتظمت بها أمورك فاعتدلت ، وتلاحمت عليها واتسقت ، ما منحت في كاتبك ، ومستقر ثقتك ، وحامل أعبائك ، من الكفاية والنصيحة ، ووضعته عن قلبك مؤونة التهمة والقصى لأثره ، وادخاله راحة الطمأنينة اليه وروح الثقة به ، لا كما ابتلى أخوك ، فانه صحبه فخلط عليه أمره ، وأفشى أسرارهِ الى صاحب بريده ، فأنفل ذلك بينهم ، وقطع حبالهم ، حتى هجنت آثاره مع حسننها ووضوحها ، وصفرت يده من حظ عمله ، ولزمه الذم من أهله ، فهذه كتبه الى ، في اطراح نصيحة له كانت فيه ، ويسألني أن أشخص اليه كاتباً يحمل ثقله ، ويفتح له ما أرتجيه من أمره . وهذا من سعادة جدك ، ويمن طائرُك ، واقبال الأمور اليك ، وسعيها على طريق موافقتك ، وهنيئاً هناك الله نعمه خاصها وعامها ، وأوزعك ، وأوجب لك الشكر أحسن المزيد فيها .

تهنئة بعزل

كتب رجل الى مالك بن طوق لما عزل عن عمله :

أصبحت والله فاضحاً متعباً : أما فاضحاً فلكل وال قبلك بحسن سيرتك ، وأما متعباً فلكل وال بعدك أن يلحقك .

فصل

سواء علينا أوليت أم صرفت ، انا لنشهد بك الولاية ، بما بسط الله من يدك ببذل العرف ، ونهنتك بالعرف بما يلحقك من ثناء ما أسلفت من الجميل ، ولا نخاف عليك أن تفارق عملاً وأنت محل له ، ولا أن تصحبه وليس به فاقة اليك . فهناك الله النعمة ، وأعانك على الشكر وأيدك بالمزيد .

تهنئة بعزل عامل عن عمله

بلغنى صرفك ، فخار الله لك ، وهناك لطيف نظره وجليل احسانه ، فاني أرى الرجل عند خروجه من العمل سالماً نقياً من مآثمه وذنسه ، أولى بالتهنئة منه عند دخوله فيه ، وأرى الدعاء له عند بدء تلبسه به بالخلاص منه معصوما بريثاً من تبعاته ورواجع آثامه ، أولى بمن عنى به وأحب صلاحه ، ولذلك قدمت تهنيتك .

ولسعيد بن حميد في مثله الى بعض اخوانه :

حفظك الله بحفظه ، وأسبغ عليك كرامته ، وأدام اليك احسانه . ان سرورى بصرفك ، أكثر من سرور أهل عملك بما خصصوا به من ولايتك . وقد كنت أعزك الله - فيما يربأ بك عنه ، بما أنت عليه في قدرك واستئها لك ، ولكننا رجونا أن يكون سببا لك الى ما تستحق ، فطبنا نفسا بالذى رجونا . فالحمد لله الذى سلمك منه ، ونسأله تمام نعمه عليك وعلينا فيك ، بتبليغك أملك وآمالنا فيك ، وشفاع ما كان من ولايتك بأعظم الدرجات وأشرف المراتب ، ثم خصك الله بجميل الصنع ، وبلغك غاية المؤمنين . ان من سعادة الوالى - حفظك الله - وأعظم ما ينص به فى عمله وولايته السلامة من بوائق الاثم ، ونوائب الدنيا وشرها ، والعاقبة مما يخاف منها ، وقد خصك الله منها بمنه وطوله ما نرجو أن يكون سببا لك الى نيل ما تستحق من المراتب . والله نسأل ايزاعك شكر ما من به عليك ، وتبليغك غاية أملك فى جميع أمورك ، برحمته وفضله .

آخر :

ما أحسن ما كشفت عنك الولاية ، وأجمل ما أبرز منك العمل ، قد كسبك الله حمد ولايتك وعزل عنك لائمتها ، بما انتشر عنك من عدلك ، وظهر من معرفتك ، فاذا ساءك هذا فليسرك .

وكتب محمد بن مكرم الى ابراهيم بن المدبر :

الحمد لله رب العالمين حمدا يجوز حمد الحامدين ، الذى جعل قضاءه خيرة لك ، فان زادك نعمة وفقك لشكرها ، وان امتحنك ببلوى من نفث حاسد أو كيد كائد ، انار برهانك وأفلح حجتك وجمع بين وليك وعدوك فى الشهادة لك ، وان ثقل أمرا عن يدك ، فربما يرجعه اليك مختلا لفقدك . هذا الى ما جعل عندك من خواص النعم التى ان ذكرناها فأطنبنا أو تجوزنا فقصرنا ، كان غايتنا الى الحسور دون مدى غايتك . وقد زادك الله بهذا الجادث فضلا عظيما ، لما ظهر من وله العامة اليك وتطلعها الى ما كانت فيه : من لين انصافك وكريم أخلاقك ، ووحشة الخاصة لما فقدت من حسن معاملتك وكثير تفضلك . وأيقن أهل الرأى والتأمل لصفحات الأمور ، أن كل ما خرج عنك فعائد اليك ومتصل به غيره ، حتى تستقر فى يدك عرى الأمور ومعاقدها ، وتفتح برأيك وتدير أبوابها ومغالقها ، فليهنك أن كل ما زاد غيرك نقصا زادك فضلا ، وكل ما نقص من الرجال وحطها ألحق بك شرفا . فزادك الله وزادنا منك ، وجعلنا ممن يقبله رأيك ، ويقدمه اختيارك ، ويقع من الأمور بموافقتك ، ويجرى منها على مسيل طاعتك .

وكتب سعيد بن حميد الى بعض اخوانه :

جعلني الله من السوء والمكروه قذاءك ، وأطال في الخير والسرور بقاءك ، وأتم
نعمه عليك ، وأحسن منها مزيدك ، وبلغك أقصى أمنيتك ، وقدمني أمامك ، وقد بلغني
ما اختار الله لك ، فسرت من حيث يغتم لك من لا يعرف قدر النعمة عليك ، ولا يراك
بعين استحقاقك . ولئن ساءني ما ساء اخوانك من عزلك ، لقد سرنى ما يسر الله لك .
والحمد لله الذي جعل انصرافك محمودا ، وقضى لك في عاقبتك الحسنى ، وأقول :

ليهنك أن أصبحت مجتمع الحمد * وراعى المعالي والمعامى عن المجد
وأنت صنت الأمر فيما وليته * ففرقت ما بين الخواية والرشيد
فلا يحسب الباغون عزلك مغنما * فإن الى الاصمد عاقبة الورد
وما كنت الا السيف جرد للوغى * فاحمد فيها ثم رد الى الغمد

وقد قال الأول :

فمن يكن بورود العزل مكتئبا * فأنى بورود العزل مسرور
بعد الولاية عزل يستبين به * طول الولاية وبعد العزل تأمير

أما ما عندي مع تصور العاقبة لك في نفسى ، فيمسنى في أمرك فى حال المحنة
ما يخصنى منه فى وقت تجدد النعمة . وبحسب ضميرك الشاهد على ما عندي ما أجده
لك فى نفسى . فلا زلت فى نعم متتابعة متجددة ، ولا عدمت الثروة والزيادة ،
وبلغك الله أقصى أملك ، وأمل أخيك لك ، وكبت أعداءك ، وجعلنى وقاءك المقدم
عنك . أحب أن تشرح لى صورة الأمر الام تأدت ، وكيف كان الابتداء ، فانى لا أشك
أنها حيلة ونية من عز الصاحب الجليل القدر ، ولها عاقبة منه ان شاء الله محمودة ،
وتفضى من ذلك الى ما تسكن اليه نفسى ، ان شاء الله .

تهنئة بتزويج وبناء باهل

بطائر اليمن فليكن هذا البناء ، وبأسباب السعادة فليتصل عقد هذا الاجتماع ،
وبكل ذكاء الولد ، وثروة العدد ، فلتجر لك الأقدار ، وفى أطول غايات البقاء فلتدم
هذه الغبطة والسرور .

تهنئة بتزويج

بلغنى تزويجك من فلانة ، فبالرفاء والبنين ، تهنئة السلف الصالحين ، ومبلغ سنة المجتهدين المتبحرين ، ونقول على يمن الطائر ، وسعادة الجدد ، ونماء العدد ، واتفاق الهوى ، وطيب المناسمة ، واجتماع الشمل ، وثبات الريع ، وتملى النعم .
أسأل الله الذى قضاها أن يجعلها لك سكنا ويجعلك لها شجنا ، وأن يؤخر حمامها الى انتهاء نفسك عنها ، وجعلك جائزا نربها ، ووليت المال وهناءة العيش وملاهاة الغواني بعدها .

تهنئة لقسان بن عبد الحميد بتزويج

قد بلغنى جمع الأمير أهله على الحال التى جمعهم عليها من نعمة الله عليه .
فالحمد لله على كل ما يرى الأمير فيما له فيه نعمة . فأسأل الله أن يجعل الطائر فى ذلك ميمونا ، والشمل مجتمعا ، والبركة عظيمة ، والأمور سليمة ، وكذلك فقد عظم الله القسم منه لزوجه ، جعل الأمير سكنا لها ، وأجرى المودة والرحمة بينهما ، فانه . بقول عز وجل : (جعل لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) . فلما كان الأمير هو المنظور اليه ، وهى المنظور اليها ، اختارها الأمير لنفسه واختار نفسه لها ، وأراد الله عز وجل أن يزيدا مع فضلها فى نفسها فضلا باختيار الأمير اياها ، وباختصاص الله لها بالأمير دون غيرها ، فكان ذلك فضلا من الله زينه بفضل ، وكرامة من الله وصل بعضها ببعض . فنرغب الى الله عز وجل فى أن يزيد الأمير فى كل سعة مبسوطة ، ونعمة مقسومة ، ويعطينه فى ذلك شكرا يكون لرضاه موجبا ، كما أعطاه فضلا كان الشكر له به واجبا ، ثم يملى الأمير ذلك بأحسن ما ملى أحدا من خلقه كرامة اصطنعها عنده .

تهنئة بهلولود

كتب العباس بن الحسن الطالبى الى المأمون يهنئه بهلولود له :

قد كان أجذلنى ما أحدث الله لأمير المؤمنين من الموهبة التى ليس ، وإن كان أولى بها من غيره ، بأعظم فيها حظا من رعيته . فعمد الله لك يا أمير المؤمنين قلوبهم بنور الحكمة وأبصارهم حتى يشهد بهم عضدك ، ويسد بهم ثلمتك ، ويبلغهم الغاية المأمول لهم بلوغها بعدك ، غير مقعد بك مهمل ، ولا محل بك أجل ، ولا مكذبك أمل ، ولا منقطعة أيامك ، حتى تخترم أنفسنا قبلك .

وكتب أحمد بن يوسف الى بعض اخوانه يهنئه بمولود له :

بارك الله في مولودك الذى آتاك ، وهنأك نعمته يعطيته ، وملاك كرامته
يفائده ، وأدام سرورك ، وجعله بارا تقيا ، ميمونا مباركا زكيا ، ممدودا له في
البقاء ، مبلغا غاية الامل ، مشدودا به عضدك ، مكثرا به ولدك ، مداما به سرورك ،
مدفوعا به الآفات عنك ، مشفوعا بأكتر العدد ، من طيب الولد .

وله في مثل ذلك :

هنأك الله هذه الفائدة التى أفادكها ، وبارك الله فى الهبة التى رزقكها ، وشفعها
ياخوة متواترين ، يسرونك فى حياتك ويخلفونك فى عقبك .

تهنئة بمولود

كتب رجل الى رجل يهنئه بمولود :

جعلت فداءك . للبقاء مولودك ، فى السناء نباته ، وفى اليمن شبابه ، وعلى
البركة ميلاده .

تهنئة بمولود

كتب الحسن بن سهل الى ذى الرياستين :

انه ليس من نعم الله ، وفوائده قسمه - وان خص موقعها ووجب شكرها - نعمة
تعديل النعمة فى الولد ، لنمائها فى العدد ، وزيادتها فى قوة العضد ، وما يتعجل
به من عظيم بهجتها ، ويرجى من باقى ذكرها فى الخلف والأعقاب ، ولاحق بركتها
فى الدعاء والاستغفار . وان الله قد أفادك وأنالك غلاما سوريا ، سميته فلانا ، فكان
ميلاده عند فتح الله على أمير المؤمنين . فرجوت أن تكون موافاته بالنصر الذى أظهرنا
الله به على عدو الدين والمسلمين من دلائل بركته ويمنه ، وشواهد سعادته والسعادة
به . فبارك الله لأمر المؤمنين فى طارف نعمه وتالدها ، وشفع له قديم مننه بحادثها ،
ورزقه ذكورا طيبين مهذبين ، يأنس بهم ربه ، ويتصل بهم نجاحه ، ويجعلهم ذرية
زاكية ، وبقية صالحة .

آخر :

بلغنى الذى وهب الله لك ، فجعله الله ذخرا سنيا ، وعقبا كريما .

عمرو بن مسعدة الى الحسن بن سهل

أما بعد ، فان هبة الله لك هبة لأمر المؤمنين ، وزيادته إياك غي عدده لمحكك
عنده ومكانك في دولتك من دولته . وقد بلغ أمير المؤمنين أن الله وهب لك غلاما
سريا ، فبارك الله لك فيه ، وجعله بارا تقيا ، مباركا سعيدا زكيا .

تهنئة بمولود

الحمد لله الذي رضى منا بيسير القول عند عظيم النعمة ، حمدا نستوجب به
بقاء هذه الموهبة للنماء والفائدة ، فان نعمة الله وان كانت لم تزل متتابعة ، فقد كان
ما يقبض الأمل منا ذكر انفراد الأمير بنفسه وقلة نسله ، وما لا يؤمن من انقطاع
الذكر بفوات الأجل ، ومن دثور الأنام ، بواقع الحمام ، وقد أصبحنا من الله من يدين
في فسحة المهل ، ومدته مواقع الأجل ، لمن أراد فيه موضع أملنا في حسن الخلافة
من الأمير وأحياء ذكره .

تهنئة بمولود

سرورك سرور يخصني منه ما يخصك ، وتلبسني فيه النعمة ما تلبسك ، والحمد
لله على النعمة فيك وعندك .

كتب أحمد بن يوسف الى بعض اخوانه يهنئه بمولود :

أما بعد ، فقد بلغني من متجدد نعم الله عز وجل عليك ، وأحسانه اليك فيما
رزقك من الهبة ما اشتد جذلي به ، وسألت الله أن يشفعه بأمثاله ، ولذلك أقول :

قد شفع الواحد بالوافد * وأرغم الأئف من الحاسد
أبا حسين قر عينا بما * أعطيته من هبة الماجد
قد قلت لما بشروني به * بورك في المولود للواء
أنا نرجو وافدا مثله * والطائر اليسون للوافد

وله الى بعض اخوانه يهنته بمولود :

أما بعد ، فانه ليس من أمر يجعل الله لك فيه سرورا وفرحا ، الا كنت به بهجا ،
أعتد فيه بالنعمة من الله الذي أوجب على من حقت وعرفني من جميل رأيك • فزادك
الله خيرا ، وأدام احسانه اليك • وقد بلغني أن الله وهب لك غلاما سوريا ، أكمل لك
صورته ، وأتم خلقه ، وأحسن البلاء فيه عندك ، فاشتد سروري بذلك ، وأكثر
حمد الله عليه • فبارك الله فيه ، وجعله بارا تقيا ، يشد عضدك ، ويكثر عدوك ،
ويقر عينك •

وكتب اسحاق بن يحيى الى بعض اخوانه يهنته بابنة له :

رب مكروه أعقب مسرة ، ومحجوب أعقب معرفة • وخالق المنفعة والمضرة ، أعلم
بمواضع الخيرة •

كتب ابن المقفع الى صديق له ولدت له جارية :

بارك الله لك في الابنة المستفادة ، وجعلها لكم زينا ، وأجرى لكم بها خيرا ،
فلا تكرهها ، فانهن الأمهات والأخوات ، والعمات والخالات ، ومنهن الباقيات
الصالحات ، ورب غلام ساء أهله بعد مسرتهم ، ورب جارية فرحت أهلها بعد
مساءتهم •

وكتب عبد الحميد بن يحيى الى أخ له في مولود ولد له وهو أول مولود كان :

أما بعد ، فان مما أتعرف من مواهب الله ، نعمة خصصت بمزيتها ، واصطفيت
بخصيصتها ، كانت أسرى من هبة الله ولدا سميته فلانا ، وأملت ببقائه بعدي حياة
وذكرى ، وحسن خلافتي في حرمتي ، واشراكه اياي في دعائه ، شافعا الى ربه عند
خلواته في صلاته وحججه ، وكل موطن من موطن طاعته ، فاذا نظرت الى شخصه
تحرك به وجدى وظهر به سرورى ، وتعطفت عليه منه أنه الولد ، وتولت عني به
وحشة الوحدة ، فأنا به جذل في مغيبى ومشهدى ، أحاول مس جسده بيدي في
الظلم ، وتارة أعانقه وأرشفه ، ليس يعدله عندى عظيما الفوائد ، ولا منفسات
الרגائب • سرنى به واهبه لى على حين حاجتى ، فشد به أزرى ، وحملنى من شكره
فيه ما قد أدنى بثقل حمل النعم السالفة الى به ، المقرونة سراؤها فى العجب بقدر
ما يدركنى به من رقة الشفقة عليه ، مخافة مجاذبة المنايا اياه ، ووجلا من عواطف
الأيام عليه • فأسأل الله الذى امتن علينا بحسن صنعه فى الأرحام ، وتأديته
بالزكاء ، وحرسه بالعافية ، أن يرزقنا شكر ما حملنا فيه وفى غيره ، وأن يجعل
ما يهب لنا من سلامته والمدة فى عمره موصولا بالزيادة ، معروفا بالعافية ، محوطا
من المكروه ، فانه المنان بالمواهب والواهب بآثني ، لا شريك له • حملنى على الكتاب

اليك لعلم ما سررت به علمي بحالك فيه وشركتك في كل نعمة أسداها الى ولي النعم .
وأهل الشكر أولى بالمزيد من الله جل ذكره . والسلام عليك .

تهنئة بنقلة الى دار جديدة

نناهي الى نقلتك الى الدار التي أرجو أن يجعلها الله نقلة المكروه عنك ، ونقلة
السرور اليك ، ودوام نعمة الله عليك . جعلها الله لك أيمن دار وأعظمها بركة ،
ووصل نعمه فينا عندك ونعمه عندنا فيك .

تهنئة لمحمد بن مكرم الى نصراني أسلم

أنا أقول الحمد لله الذي وفقك لشكره ، وعرفك هدايته ، فظهر من الإرتياب
قلبك ، ومن الافتراء عليه لسانك . وما زالت مخايلك ممثلة لنا جميل ما وهب الله
لك ، حتى كأنك لم تنزل بالاسلام موسوما . وإن كنت على غيره مقيما ، وكنا مؤملين
لما صرت اليه ، مشفقين لك مما كنت عليه ، وإذا كان اشفاقنا يستعلى رجاءنا ، أتت
السعادة بما لم تنزل الأنفس تعد منك . فأسأل الله الذي نور لك في رأيك وأضاء
لك سبيل رشذك ، أن يوفقك لصالح العمل ، وأن يؤتيك في الدنيا حسنة وفي
الآخرة حسنة ويقيك عذاب النار .

باب المنظوم

١ - أبو نواس (١)

كان أبو نواس ينادم ولد المهدي ويلازمهم فلم يلف مع أحد من الناس غيرهم ،
ثم نادى القاسم بن الرشيد ولقي منه أشياء كرهها وكرهت له ، ففارقه .

(١) هو أبو علي الحسن بن هانيء . الشاعر المتفنن ، الجاد الماجن ، صاحب الصيت الطائر ،
والشعر السائر ورأس المحدثين بعد بشار . وهو فارسي الأصل . ولد بقرية من كورة خوزستان سنة
١٤٥ هـ ونشأ يتيمًا فقدمت به أمه البصرة بعد سنتين من مولده ، فعلم العربية ورغب في الأدب ، فلم
تعباً أمه بحاله وأسلمته إلى عطار بالبصرة ، فمكت عنده لا يفتر عن معاناة الشعر والاختلاف إلى الأدياء
والمجان ، إلى أن صادفه عند العطار والبة بن الحباب الشاعر الماجن الكوفي في إحدى قدماته إلى البصرة ،
فأعجب كل منهما بالآخر ، فأخرجه والبة معه إلى الكوفة ، فبقي معه ومع ندمائه من خلعاء الكوفة وتخرج
عليهم في الشعر وفاقهم جميعاً . وقدم ببغداد وقد أربت سنه على الثلاثين ، فانصل ببعض الأمراء
ومدحهم ، وبلغ خبره الرشيد فأذن له في مدحه بقصائد طنانة وحبسه مرة على هجوه مضر .

وكان يقصد بعض عمال الولايات ويمدحهم ومنهم الخصيب عامل مصر ، ثم انقطع إلى مدح محمد
الأمين ، وثبت عنده بعض ما يوجب تعزيره فسجنه ، ولم يلبث بعد خروجه من السجن أن مات ببغداد .

وكان أبو نواس جميل الصورة ، فكه المحضر ، كثير الدعابة ، حاضر البديهة ، متينا في اللغة
والشعر والأدب ، متعصبا لليمانية على الضرية . وأجمع أكثر علماء الشعر ونقدته وفحول الشعراء على
أن أبا نواس أشعر المحدثين بعد بشار وأكثرهم تقنا وأرصنهم قولاً وأبدعهم خيالاً مع دقة لفظ وبديع
معنى ، وأنه شاعر مطبوع برز في كل فن من فنون الشعر .

وامتاز عن كل الشعراء بقصائده الخمریات ومقطعاته المجونيات ، وكان شعره لقاح الفساد والقذوة
السيئة ، لنقله الغزل من أوصاف اللؤنت إلى الذكر والخروج بذلك عن مألوف العرب وآدابهم إذا لم يكن
ذلك معروفاً قبله وقبل شيطانه والبة . وزاد على ذلك انفراده بالابداع في وصف الخمر ، فكان نموذج
سوء لمن تأخر ، فافتتن بشعره الشبان في زمانه وبعده وحاكوه وغلب عليهم هذا المذهب حتى صار الشاعر
لا يعد طريقاً إلا إذا مزج شعره بشيء من ذلك وإن لم يقع في محظوراته .

ووصفه عبد الله الجمار فقال : كان أظرف الناس منطقاً ، وأغزرهم أدباً ، وأفدرهم على الكلام ،
وأسرعهم جواباً ، وأكثرهم حياء ، وكان أبيض اللون ، جميل الوجه ، مليح النخمة والاشارة ، ملتق
الأعضاء بين الطويل والقصير ، مسنون الوجه ، قائم الأنف ، حسن العينين والمضحك ، حلو الصورة ،
لطيف الكف والأطراف ، وكان قصيح اللسان ، جيد البيان ، عذب الألفاظ ، حلو الشمائل ، كثير =

ثم جلس أبو نواس الى الناشئ الراوية فقرأ عليه شعر ذى الرمة ، فأقبل الناشئ على أبيه هانئ وقال له : ان عاش ابنك هذا وقال الشعر ليقولنه بلسان شتوم .

ثم اتصل بوالبة بن الحباب الأسدي . لفيه بدار النجاشي الأسدي والى الأهواز للمنصور ، فقال له والبة : انى أرى فيك مخايل فلاح ، وأرى أنك لا تضيعها ، وستقول الشعر وتعلو فيه ، فاصحبني حتى أخرجك ، فقال : ومن أنت ؟ قال : أبو أسامة ، قال : والبة ؟ قال : نعم ، قال : أنا والله جعلت فداك فى طلبك ، وقد أردت الخروج الى الكوفة والى بغداد من أجلك ، قال : ولماذا ؟ قال ، شهوة للقائك ولأبيات سمعتها لك ، قال : وما هي ؟ فأنشده :

ولها ولا ذنب لها * حب كاطراف الرماح
جرحت فؤادى بالهوى * فالقلب مجروح النواحي
سل الخليفة صارما * هو للفساد وللصلاح
أجداه كف أبى الوليد * سد يدا ميسارية الرياح
البقى بجانب خصره * أمضى من الأجل المتاح
وكانهما ذر الهبى * عليه أنفاس الرياح

فمضى معه ، ثم سأل أن يخرج الى البادية مع وفد بنى أسد ليتعلم العربية والغريب ، فأخرجه مع قوم منهم ، فأقام بالبادية سنة ، ثم قدم ففارق والبة ورجع الى بغداد .

وكان أبو نواس متكلماً جدلاً راوية فحلاً ، رقيق الطبع ثابت الفهم فى الكلام اللطيف . ويدل على معرفته بالكلام أشياء من شعره ، منها قوله :

وذا ~~خ~~د ~~م~~ورد * فضية المتجرود
تأمل العين منها * محاسنا ليس تنفد
فبعضه قد تناهى * وبعضه يتسولد

= النوادر وأعلم الناس كيف تكلمت العرب ، راوية للأشعار . علامة بالأخبار ، كان كلامه شعر موزون .
نوفى سنة ١٦٦ هـ . وتجد ترجمه وأخباره وأشعاره فى كتاب خاص باسمه أحبار أبى نواس ،
لابن منظور طبع مصر سنة ١٩٢٤ والأغاني (ج ١٨ ص ٢) و (ج ٦ ص ١١٠ ، ١٧٠ ، ١٨٦)
و (ج ١٦ ص ١٤٨) وابن خلكان (ج ١ ص ١٣٥) وطبقات الأدباء (ص ٩٦) والشعر والشعراء
(ص ٩٦) والشعر والشعراء (ص ٥٠١) والفهرست (ص ١٦٠) والعقد الفريد (ج ٢ ص ٢٣٧) .

والحسن فى كل شىء * منها معاد مردد

ومنها قوله :

يا عاقد القلب عنى * هلا تذكرت حلا
تركنت غيى قليلا * من القليل أقسلا
يكاد لا يتجزى * أقل فى اللفظ من لا

ومنها قوله فى امرأة اسمها حسن (بضم فسكون) :

ان اسم حسن لوجهها صفة * ولا أرى ذا فى غيرها جمعا
فهى اذا سميت فقد وصفت * فيجمع الاسم معنيين معا

ومن قوله فيما يتعلق بالحكمة :

قل لزهر اذا حدا رشدا * أقل او أكثر فانت مهذار
سختت من شدة البرودة حـ * ستى صرت عندى كأنك النار
لا يعجب السامعون من صفتى * كذلك الثلج بارد حار

هذا شىء أخذه أبو نواس من مذهب حكماء الهند ، فانهم يقولون : ان الشىء اذا أفرط فى البرودة انقلب حارا ، وقالوا : ان الصندل يحك من اليسير فيبرد ، فاذا أكثر منه سخن .

قالوا : كان أبو نواس دعيا يخلط فى دعوته . فمن ذلك قوله يهجو عرب البصرة :

ألا كل بصرى يرى أنما العـلا * مكهمة سحق لهن جرین (١)
فان تغرسوا نخلا فان غراسنا * ضراب وطعن فى النحور سخین
فان أك بصریا فان مهـاجرى * دمشق ولكن الحديث فنون

(١) المكهمة : الفراس الكثيرة . والسحق : الطويلة ، يريد النخل . والجرین هنا : موضع تجفيف التمر .

مجاور قوم ليس بيني وبينهم * أواصر الا دعوة وظنون
إذا ما دعا باسمي العريف أجبتة * إلى دعوة مما على تهنون

ثم هجا اليمن في هذه القصيدة بقوله :

لأزد عمان بالمهلب نزوة * إذا افتخر الأقوام ثم تلين
وبكر ترى أن النبوة أنزلت * على مسمع في الرحم وهو جنين
وقالت تميم لا نرى أن واحدا * كأحنفنا حتى الممات يكون
فما لمت قيسا بعدها في قتيبة * وفخر به أن الفخار فنون

وانما نشأ أبو نواس بالبصرة وليس له بدمشق قبل ولا بعد .

ومنا هجا به اليمن أيضا قوله لهاشم بن حديج :

وردنا على هاشم مصره * فبسات تجارتنا عنه

يقول فيها :

رايتك عند حضور الخوا * ن شديدا على العبد والعبد
وتحتد حتى يخاف الجلي * س شذاك عليه من الحلد
وتختم ذاك بفخر عليه * بكنة فاسلح على كتله
فان حديجا له هجرة * ولكنها زمن الرده
وما كان ايمانكم بالرسول * سوى قتلكم صنهره بعده
تعبدونها في مساعيكم * كعد الأهلة معتمده
وما كان قاتله في الرجس * بحمل لظهر ولا رشده
فلو شهدته قريش البطا * ح لما محشت ناركم جلده (١)

وقوله أيضا :

ما منك سلمى ولا أطلالها درس * ولا نواطق من طير ولا خرس
يا هاشم بن حديج لو عدت أبا * مثل القلمس لم يعلق بك الدنس
اذ أصبح الملك النعمان وافده * ومن قضاة أسرى عنه حبس

(١) المحش : قشر الجلد عن اللحم .

فابتاعهم باخاء الدهر ما عسروا * فلم ينل مثلها من مثلهم أنس
أو رحت مثل حوى فى مكارمه * هيهات منك حوى حين يلتبس
أو كالسموئل اذ طاف الهمام به * فى جحفل لجب الأصوات يرتجس
فاختار ثكلا وأم يغدر بنمته * اذ قيل أشرف تر الأوداج تنبجس
ما زاد ذاك على تيه خصصت به * وكيف يعدل غير السوءة الغرس

وقوله :

يا هاشم بن حديج ليس فخركم * بقتل صهر رسول الله بالسدد
أدرجتم فى اهاب العير جثته * فبش ما قلمت أيديكم لغد
ان تقتلوا ابن أبى بكر فقد قتلت * حجرا بدارة ملحوب بنو أسد
وطردوكم الى الأجبال من أجا * طرد النعام اذا ما تاه فى البلاد
وقد أصاب شراحيل أبو حنش * يوم الكلاب فما دافعتهم بيد
ويوم قلمت لزيد وهو يقتلكم * قتل الكلاب لقد أبرحت من ولد
وكل كندية قالت لجارتها * والدمع ينهل من مثني ومنفرد
الهي امرا القيس تشبيب بغانية * عن ثاره وصفات النوء والوتد

وقد رثى أبو نواس خلفا الأحمر بعد موته بقصائد من شعره ، ومنها قصيدته
التي أولها قوله :

لو كان حى وائلا (١) من التلف * لوألت شغواء فى أعلى شمعف
أم قريخ أحرزته فى لجف (٢) * مزغب الألفساد لم ياكل بكف
كأنه مستقعد من الخرف * هاتيك أو عصماء فى أعلى شرف
تروغ فى الطباق (٣) والنزع الألف * أودى جماع العلم مذ أودى خلف
من لا يعد العلم الا ما عرف * قليد (٤) من العياليم الخسف
كنا متى نشاء منه نغترف * رواية لا تجتنى من الصسف

(١) وائلا : ناجيا . ووألت : لجأت . والشغواء : العقاب . والشعف : رموس الجبال .
(٢) اللجف : القار فى الجبل . ومزغب : صار ذا زغب ، والزغب صغار الريش . والألفاد جمع
لغد بالضم وهو لحمه فى الحلق .

(٣) الطباق والنزع : نوعان عن الشجر .

(٤) القليد : البئر أنغزيرة . والعياليم : جمع عيلم وهى البئر الكثيرة الماء . والخسف جمع
خسيفة وهى البئر التى حفرت فى حجارة فنبع منها ماء غزير لا ينقطع .

ومنها قوله يرثيه :

لا تثل العصم في الضباب ولا	* شغواء تغزو فرخين في لجف
يكنها الجو في النهار ويؤ	* ويها سواد الدجى الى شرف
تحنو بجؤشوشها (١) على ضرم	* كقصدة المنحنى من الخسرف
ولا شبوب (٢) باتت تؤرقه النـ	* شرة منها بوابل قصف
دان على الأرض والوصيد وفي	* بهو أمين الاياد ذى هدف (٣)
ديدنه ذاك طول ليلته	* حتى اذا انجاب حاجب السدف
شبه كوقف الهلول ينهفت الـ	* قطقط (٤) من منبتيه والكتف
كأن شندرا وهت معاقده	* بين صلاه فملعب الشنف
وأخدرى صلب النواحق صلـ	* صال أمين الفصوص والوظف
منفرد في الفلاة توسعه	* ريا وما يختليه من علف
ما ترك الموت من أولى شبحا	* بادت بتلك القبال والشعف
لما رأيت المنون آخلة	* كل شديد وكل ذى ضعف
بت أعزى الفؤاد عن خلف	* وبات دمعى الا يفض يكف
أنسى الرزايا ميت فجعلت به	* أمسى رهين التراب فى جـدف
كان يسنى (٥) برفقه غلقا	* فى غير عى منه ولا عنف
يجوب عنك التى غشيت بها	* من قبل حتى يشفيك فى لطف
لا يبهم الحاء فى القراءة بالخا	* ولا لامها مع الألف
ولا يعمى معنى الكلام ولا	* يكون انشاده عن الصحف
وكان ممن مضى لنا خلفا	* فليس منه اذ بان من خيلف

(١) الجؤشوش : الصدر • والضرم : فرخ العقاب •

(٢) الشبوب : الشاب من الثيران والغنم • والنثرة : منزلة من منازل القمر •

(٣) الوصيد : بيت كالحظيرة يتخذ من الحجارة للمال أى الغنم وغيرها فى الجبال • والاياد : التراب يجعل حول الحوض أو الخياء يقوى به أو يمنع ماء المطر • والهدف : كل مرتفع من بناء أو كتيب رمل أو جبل •

(٤) ينهفت : يتساقط وينخفض • والقطقط : المطر الصغير أو المتتابع العظيم القطر وقيل هو دونه الرذاذ وقيل البرد أو صغاره •

(٥) سناء تسنية : سهلة وفتح •

واختلف أبو نواس الى أبي زيد فكتب الغريب من الألفاظ ، ثم نظر في نحو
سيبويه ، ثم طلب الحديث فكتب عن عبد الواحد بن زياد ويحيى القطان وأزهر
السمان وغيرهم ، فلم يتخلف عن أحد منهم ، وأدرك الناس فعلم ، ثم قدم بغداد
بعد ذلك .

وكان أيضا يتنزر ويدعى للفرزدق . ثم وقع بينه وبين الحكم بن قنبر المازني ،
فهجاه الحكم وذكر بربه العود وبغى عليه ونكبه . ولما قال أبو نواس قصيدته التي
يهجو بها خندف ، وهي :

- | | |
|---------------------------|---------------------------------|
| ألم تربع على الطلل الطماس | * عفاء كل أسحم ذي ارتجاس (١) |
| وذارى الترب مرتكم حصاه | * نسيج الميث معنقة الدهاس (٢) |
| سوى سفع أعارتها الليالى | * سواد الليل من بعد اغبساس (٣) |
| وأورق حالف المشواة هباب | * كضاوى الفراخ من الهلاس (٤) |
| منازل من عفيرة أو سليمي | * أو الدهماء أخت بني الحماس |
| كان معاقد الأوضاح منها | * بجيد أغن نوم فى الكناس |
| وتبسم عن أغر كان فيه | * مجاج سلافة من بيت راس (٥) |
| فمن ذا مبلغ عمرا رسولا | * فقد ذكرت ودك غير ناس |
| فلم أهجرك هجر قلى ولكن | * نوائب لا نزال لها نقاسى |
| نوائب تعجز الأدباء عنها | * ويعيا دونها اللقن النطاسى |
| وقد نافحت عن أحساب قوم | * هم ورثوا مكارم ذى نواس |
| فان تك أوقدت للحرب نار | * فما غطيت خوف الحرب راسى |
| بأبى خير ما أبلى مقام | * اذا ما النيل ألجم بالقياس (٦) |
| وسمت الوائلين بغاقرات | * بهن وسمت رهط أبى فراس |
| وقالت كاهل وبنو قعين | * خنانك اننا لسنا بناس |

(١) طماس بالكسر : دارس . والأسحم : السحاب . والارتجاس : الرعد .

(٢) المعنقة : حبال فى الرمل .

(٣) الاغبساس : بياض فيه كثرة . والسفع : يريد بها الأثافي .

(٤) الهلاس : الضمور ، وهاب : لونه لون الهباء .

(٥) بلدة بالشام تنسب اليها الخمر .

(٦) جمع قوس .

فما بال النعاج ثغت بشتمى * وفي زمعاتون دم الفسراس
وما حامت عن الأحساب الا * لترفع ذكرها بأبي نواس

عارضه الحكم وهجاه ، فانقلب على النزارية وادعى أنه من حاء وحكم ، فزجره
يزيد بن منصور الحميري خال المهدي وقال له : أنت خوزي ، فمالك ولحاء وحكم ؟
فقال له : أنا مولى لهم ، فتركوه ، وقال بعضهم لبعض : انه لطريف اللسان عزيز العلوم
فدعوه ، وبهذا الولاء يتعصب لنا ويهجو النزارية ، فكان كما قالوا وكما
ظنوا ، فانقلب الى اليمن وعدل عن كنيته بأبي فراس واكتنى بأبي نواس ، تشبها
بكنية ذي نواس كما كانت اليمن تكتنى ، وتلم على هجاء اليمن ، ووجدتهم له أنصر
ولدعوته أقبل ، فاعتذر الى هاشم بن حديج الكندي من هجائه ، ومدح اليمن فقال :

أهاشم خذ مني رضاك وان أتى * رضاك على نفسي فغير ملوم
فأقسم ما جاوزت بالشتم والذى * وعرضي وما مزقت غير أديمي
فعدت بحقوى هاشم فعاذني * كريم أراه فوق كل كريم
وان امراً أغضى على مثل زلتى * وان جرحت فيه لجد حلیم
تطاول فوق الناس حتى كأنما * يرون به نجما أمام نجوم
إذا متازت الأحساب يوما بأهلها * أناخ الى عادية وصميم
الى كل معصوب به التساج مقول * اليه أيادي عامر وتهيم

وكان قبل أن ينتمى لليمن ويدعى لنزار يتعاجم في شعره ، فمن ذلك قوله :

فاسقنيها وغن صمو * تا ، لك الخير ، أعجما
ليس في نعت دمنسة * لا ولا زجر أشاما

وكان الجاحظ يقول : ما أعرف لأبي نواس شعرا يفضل هذه القصيدة وهي :

ودار ندامي عطلوها وادلبجوا * بها أثر منهم جديد ودارس
مساحب من جر الزقاق على الثرى * وأضغاث ريحان جنى ويابس
حبست بها صحبى فجددت عهدهم * واني على أمثال تلك لحابس
ولم أدر منهم غير ما شهدت به * بشرقي سابط الديار البساس
أقمنا بها يوما ويوما وثالثا * ويومما له يوم الترحل خامس
تدار علينا الراح في عسجدية * حبتها بأنواع التصاوير فارس

قرارتها كسرى وفي بنباتها * مها تدرىها بالقى الفسوارس
فللخمر (١) ما زرت عليه جيوبها * وللماء ما دارت عليه القلائس

وقوله يصف كرمه وعبر عنها بالهجمة وهو يريد الدنان :

لنا هجمة لا يدرك الذنب سخلها * ولا رانها نزو الفحالة والخطر
إذا امتحنت أرائنها مال صفوها * إلى الكمت إلا أن أوبارها خضر
وان قام فيها الحالبون اقتتهم * بنجلاء ثقب الجوف درتها الخمر
مسارحها الغربى من نهر صرصر * فقطربل فالصالحية فالعقر
تراث أبى ساسان كسرى ولم تكن * موارد ما أبقت تميم ولا بكر
قصرت بها ليل وليل ابن حرة * نه حسب زاك وليس له وفر

وفى تعاجم أبى نواس فى شعره يقول الرقاشى يهجو :

نبطى فاذا قيل له * أنت مولى حكم قال أجل
هو مولى الله اذ كان به * لاحقاً فالله أعلى وأجل
واضحاً نسبته حيث انتهى * فاذا ما رابه ريب رحل

فقال أبو نواس يهجو :

هجوت الفضل دهرى وهو عندى * رقاشى كما زعم المسول
فلما سوئلت عنه رقاش * لنعلم ما تقول وما يقول
ولما أن نصصناه اليها * لتعلم ما يقال وما تقول
وجدنا الفضل أبعد من رقاش * من الآن ادعت فيها الفيلول
وجدنا الفضل أكرم من رقاش * لأن الفضل مولاه الرسول

يريد بذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « أنا مولى من لا مولى له » .

(١) يعنى أن الخمر متسبب فيها إلى حلول الصور صرفاً . وقوله : وللماء ، يعنى انهم صبوا الماء

فى مزجها حتى علا رءوسها .

وقال أيضا يهجوهُ :

قيل للرقاشي إذا جئتَه * نو مت يا أحسنق لم اهجكا
لأننى أكرم عرضي ولا * أنثرنه يومًا الى عرضكا
ان تهيجنى تهيج فتى ماجدا * لا يرفع الطرف الى مثلكا
دونك عرضي فاهجه راشدا * لا تدنس الأعراض من هجوكا
والله لو كنت جريرا لما * كنت بأهينى لك من أصلكا

وقال أيضا يهجوهُ :

عربيا من صنعة السوق * وصنعة السوق ذات تشقيق
ما رأيكم يا نزار فى رجل * يدخل فيكم من خلق مخلوق
ويحمل الوطى والعقاب ولا * يصلح إلا لحنبل ابريق
لقد ضربنا بالطبل فى الـ * تقوم صحيح وصحيح فى البوق
فالناس يسمعون للعلا قلما * وهم وراء مكسر والسوق
هذا كذا كم وفى الهياج اذا * هيج فما شئت من بواشيق (١)

وقال أيضا يهجوهُ :

أصبح الفضل ظاهر التيه * وذاك منذ صرت أهاجيه
لله شعري ، أى مفواهة * لكل من دونى قوافيه
كم بين فضل منذ هاجيته * وبينه قبل أهاجيه
فالحمد لله وان كنت لم * أحفل بقوم نصحوافيه
رضيت أن يشتمنى ساقط * شسى خير من مواليه

وكان أبو نواس فى دعاويه يتماجن ويعبث ويخفى نفسه واسم أمه لثلا يهيجى ،
وذلك مشهور عنه . ولو غضب هو نفسه على أبيه لهجاه ولم يحتشم . والمذكور
من أمره أنه كان مولى الحكميين ، يفتخر باليمن ويمدحهم لذلك ، ويمدح العجم
ويذكرهم لأنه منهم ، فلذلك قال فى العجم ما قال .

(١) جمع باشقى وهو اسم طائر ، أعجمى معرب .

قال أبو الفرج الأصفهاني : كان أبو عبيدة يقول : ذهبتم إليمن بجده الشعر وهزله : امرؤ القيس بجده ، وأبو نواس بهزله • وكان يقول : ذهبتم إليمن بجيد الشعر في قديمه وحديثه : امرؤ القيس في الأوائل ، وأبو نواس في المحدثين • وكان يقول : شعراء إليمن ثلاثة : امرؤ القيس وحسان بن ثابت وأبو نواس • وقال أيضا : أبو نواس في المحدثين مثل امرؤ القيس في المتقدمين ، فتح لهم هذه الفطن ودلهم على المعاني وأرشدهم إلى طريق الأدب والتصرف في فنونه • وكان يقول : يعجبني من شعر أبي نواس قوله :

بنينا على كسرى سماء مدامة * مكللة حافاتهما بنجوم
فلو رد في كسرى بن ساسان روحه * إذا لاصطفاني دون كل نديم

وسئل يعقوب بن السكيت عما يختار روايته من أشعار الشعراء ، فقال : إذا أردت من الجاهليين فلامرؤ القيس والأعشى ، ومن الإسلاميين فلجرير والفرزدق ، ومن المحدثين فلابي نواس فحسب • وقيل : للعتبي من أشعر الناس ؟ قال : عند الناس أم عندي ؟ قيل عند الناس ؟ قال : امرؤ القيس ، قيل : فعندك ؟ قال : أبو نواس •

وقال عبد الله بن عائشة : من طلب الأدب فلم يرو شعر أبي نواس فليس بتام الأدب • وسئل : من أشعر المحدثين ؟ فقال : الذي يقول :

كان ثيابه أظلم * من من أزراره قمرا
يزيدك وجهه حسنا * إذا ما زدته نظرا
بعين خالط التفتيح * من أجفانها الحورا
ووجهه سابري لو * تصوب مأؤه قطرا
وقد خطت حواضنه * له من عنبر طورا

٤٨

وقال إبراهيم بن العباس الطويل : إذا رأيت الرجل يحفظ شعر أبي نواس علمت أن ذلك عنوان أدبه ورائد ظرفه •

وكان أبو نواس يقول عن نفسه : سفلت عن طبقة من تقدمني من الشعراء وعلوت عن طبقة من معي ومن يجيء بعدي ، فأنا نسيج وحدي •

وحدث جماعة من الرواة ممن شاهدوا نواس قالوا : كان أقل ما في أبي نواس قول الشعر ، وكان فحلا راوية عالما •

وقال أبو عبيدة : بلغنى أن أبا نواس يتعاطى قرض الشعر فتلقاني وهو سكران ما طر شاربه بعد ، فقلت له : كيف فلان عندك ؟ فقال : ثقیل الظل ، جامد النسيم ، فقلت : زد ، فقال : مظلم الهواء ، منتن الفناء ، فقلت : زد ، فقال : غليظ الطبع ، بارد الشكل ، قلت : زد ، فقال : وخم الطلعة ، عسر القلعة ، قلت : زد ، قال : ناتيء الجنبات ، بارد الحركات ، قال : فخففت عنه ، فقال : زدني سؤالا ، أزدك جوابا ، فقلت : « كفى من القلادة ما أحاط بالعنق » .

وقال سليمان بن أبي سهل لأبي نواس : ما الذى استجيد من أجناس شعرك ؟ فقال : أشعارى فى الخمر لم يقل مثلها ، وأشعارى فى الغزل فوق أشعار الناس ، وهما أجود شعري ان لم يزاحم غزلى ما قلته فى الطرد .

وكان يقول : ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأة من العرب منهن الخنساء ولىلى ، فما ظنك بالرجال ؟ واني لأروى سبعمائة أرجوزة ما تعرف .

وكان قد استأذن خلفا فى نظم الشعر ، فقال : لا آذن لك فى عمل الشعر الا أن تحفظ ألف مقطوع للعرب ما بين أرجوزة وقصيدة ومقطوعة ، فغاب عنه مدة وحضر اليه فقال له : قد حفظتها ، فقال : أنشدها ، فأنشده أكثرها فى عدة أيام ، ثم سأله أن يآذن له فى نظم الشعر ، فقال له : لا آذن لك الا أن تنسى هذه الألف أرجوزة كأنك لم تحفظها ، فقال له : هذا أمر يصعب على فاني قد أتقنت حفظها ، فقال له : لا آذن لك الا أن تنساها ، فذهب الى بعض الديرة وخلا بنفسه وأقام مدة حتى نسيها ، ثم حضر فقال : قد نسيتهما حتى كأن لم آكن قد حفظتها قط ، فقال له : الآن فانظم الشعر .

وكان أبو نواس يقول : لا أكاد أقول شعرا جيدا حتى تكون نفسى طيبة ، وأكون فى بستان مونق ، وعلى حال ارتضيها من صلة أوصل بها أو وعد بصلة ، وقد قلت وأنا على غير هذه الحال أشعارا لا أرضاها . وكان يعمل القصيدة ثم يتركها أياما ، ثم يعرضها على نفسه فيسقط كثيرا منها ويترك صافيها ، ولا يسره كل ما يقذف به خاطره . وكان يهيم الشعر فى الخمر فلا يعمل الا فى وقت نشاطه . ولم يكن فى الشعر بالبطيء ولا بالسريع بل كان فى منزلة وسطى .

وكان الأصمعي يقول : يعجبني من شعر الشاعر بيت واحد قد أجاد قائله وهو :

ضعيفة كـ الطرف تحسب أنها * قريبة عهد بالافاقة من سقم
واني لآتى الأمر من حيث يتقى * ويعلم سهمى حين أنزع من أرمى

قال العتابي لرجلين نناظرا في شعر أبي نواس : والله لو أدرك الخبيث الجاهلية ما فضل عليه أحد .

وقال أبو عمرو الشيباني : أشعر الناس في وصف الخمر ثلاثة : الأعشى والأخطل وأبو نواس .

قال محمد بن عمر : لم يكن شاعر في عصر أبي نواس الا وهو يحسده ليل الناس اليه وشهوتهم لمعاشرته ، وبعد صيته وظرف لسانه .

وقال أبو حاتم : سئل أبو نواس عن شعره فقال : اذا أردت أن أجد ، قلت مثل قصيدتي « أيها المنتخب عن غفري » ، واذا أردت العبث قلت مثل قصيدتي : « طاب الهوى لعميده » ، فأما الذي أنا فيه وحدي وكله جيد فاذا وصفت الخمر .

وقال أبو ذكوان : كنا عند التوزي فذكرت عنده أبا نواس ، فوضع منه بعض الحاضرين ، فقال له التوزي : أتقول هذا لرجل يقول :

يخافه الناس ويرجونه * كأنه الجنة والنار
ويقول :

فما جازه جود ولا حل دونه * ولكن يصير الجود حيث يصير
ويقول :

فتمشيت في مفاصلهم * كتمشي البرء في السقم

قال ابن الأعرابي يوما لجلسائه : ما أشعر ما قال أبو نواس في الخمر ؟ فقال بعضهم :

اذا عب فيها شارب القوم خلته * يقبل في داج من الليل كوكبا
وقال آخر :

كان كبرى وصغرى من فقايعها * حصباء در على أرض من الذهب

وقال آخر :

ترى حيث ما كانت من البيت مشرقا * وما لم تكن فيه من البيت مغربا

وقال آخر :

فكان الكؤوس فينا نجوم * دوائر بروجها أيدينا

وقال آخر :

صفراء لا تنزل الأحزان ساحتها * لو مسها حجر مسته سراء

فقال ابن الأعرابي : ان هذا كله لشاعر انفرد بالاحسان فيه ، وتقدم من سبقه
ومن تأخر عنه ، ولكنه أشعر من هذا كله في قوله :

لا ينزل الليل حيث حلت * فدهر شرابها نهار

قال مسلم بن بهرام : لقيت أبا العتاهية فقلت له : من أشعر الناس ؟ قال :
تريد جاهليها أو اسلاميها أو مولدها ؟ قال : كلا أريد الذي يقول في المديح :

إذا نحن أثينا عليك بصالح * فانت كما نثنى وفوق الذي نثنى
وان جرت الألفاظ يوما بمدحة * لغيرك انسانا فانت الذي نعني

والذي يقول في الزهد :

ألا رب وجه في التراب عتيق * ويارب حسن في التراب رقيق
ويارب حزم في التراب ونجدة * ويارب رأى في التراب وثيق
فقل لقريب الدار انك راحل * الى منزل نائي المحل سحيق
وما الناس الا هالك وابن هالك * وذو نسب في الهالكين عريق
إذا امتحن الدنيا لبيب تكشف * له عن عدو في ثياب صديق

وكان يقول : سبقني أبو نواس الى ثلاثة أبيات وددت أني سبقته اليها بكل
ما قلته فانه أشعر الناس فيها ، منها قوله :

يا كبير الذنب عفو الله * به من ذنبك أكبر

وقوله :

من لم يكن لله متهمًا * لم يمس محتاجا الى أحد

وقوله :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشف * له عن عدو في ثياب صديق

ثم قال : قلت في الزهد ستة عشر ألف بيت وددت أن أبا نواس له ثلثها بهذه
الآبيات .

وقال الجاحظ : سمعت النظام يقول ، وقد أنشد شعرا لأبي نواس : كأن هذا
الفتى جمع له الكلام فاختار أحسنه . وقال بعضهم : كأن المعاني حبست عليه ،
فأخذ حاجته وفرق الباقي على الناس . وقال أبو حاتم : كانت المعاني مدفونة حتى
أثارها أبو نواس .

حدث الحسين بن الخصيب الكاتب ، قال : قال أحمد بن يوسف الكاتب :
كنت أنا وعبد الله بن طاهر عند المأمون ، وهو مستلق على قفاه ، فقال لعبد الله
ابن طاهر : يا أبا العباس ، من أشعر من قال الشعر في خلافة بني هاشم ؟ فقال :
أمير المؤمنين أعرف بهذا وأعلى عينا ، فقال له المأمون : على ذلك قفل ، تكلم أنت
يا أحمد بن يوسف ، فقال عبد الله بن طاهر : أشعرهم الذي يقول :

ويا قبر من كنت أول حفرة * من الأرض خطت للسباحة منزلا

قال أحمد بن يوسف الكاتب : فقلت : بل أشعرهم الذي يقول :

أشبهت أعدائي فصرت أحبهم * إذ كان حظي منك حظي منهم

فقال المأمون : يا أحمد أبيت الا غزلا ! أين أنتم عن الذي يقول :

يا شقيق النفس من حكم * نمت عن ليلى ولم أنم

فقلنا : صدقت يا أمير المؤمنين .

وكان المأمون يقول : لو سئلت الدنيا عن نفسها فنطقت ، لما وصفت نفسها
كما وصفها أبو نواس في قوله :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشف * له عن عذو في ثياب صديق

ورد على العتابي بحلب عدة من الكبار من أهل قنسرين ، فدخلوا وسلموا ،
وكان في يده رقعة ينظر إليها ، فقال لهم : لقد سلك صاحب هذه الرقعة واديا
ما سلكه أحد قبله ، فنظروا فاذا هو شعر أبي نواس في جنان جارية آل عبد الوهاب
النقي ، وهو قوله :

ربح الترى بين الجفون محيل * عفى عليه بكى عليك طويل
يا ناظرا ما أقلعت لحظات * حتى تشحط بينهن قتييل
أحلت قلى من هواك محله * ما حلها المشروب ولما تـول
بكمال صورتك اتى من دونها * يتخير التشبيه والتمثيل
فوق العصرة والعصرة فوقها * دون السمين ودونها الهزول

ومما أنشده العتابي لأبي نواس فقال أحسن وأجاد :

متتايه بجماله صلف * لا استطاع كلامه تيهها
للحسن فى وحناته بدع * ما ان يمل الدرس قاريها
لو كانت الاشياء تعقله * اجللته اجلال باريها
لو تستطيع الأرض لانقبضت * حتى يصير جميعه فيها

وقوله :

ان السحاب تستحي اذا نظرت * الى ندادك فقاسته بما فيها
حتى تهيم باقلاع فيمنعها * خوف من السخط من اجلال منشيها

قال محمد بن صالح بن بيهس الكلابي : لما دخلت العراق صرت الى مدينة
السلام فسألت عمن بها من الشعراء المحسنين ، وذلك فى أيام خلافة الأمين أو عند
موته قبل دخول المأمون بيسير ، فقل لى : قد غلب عليهم فتى من أهل البصرة يقال
له الحسن بن هانىء ويعرف بأبى نواس ، وقد كنت سمعت شيئا من شعره ، فأتانى
فتى كان من أهل الأدب ، فقلت له : هل تروى لأبى نواسكم هذا شيئا ؟ قال : أروى
له أبياتا فى الزهد وليس هو من طريقته ، فقلت أنشدنيها ، فأنشدني :

أخي ما بال قلبك ليس يثني * كانك لا تظن الموت حقاً
 ألا يا بن الذين قتلوا وبادوا * أما والله ما ذهبوا لتبقى
 وما للنفس عندك من مقام * إذا ما استكملت أجلاً ورزقاً
 وما أحد ب زادك منك أحظى * ولا أحد بذنبك منك أشقى
 ولا لك غير تقوى الله زاد * إذا جعلت إلى اللهوات ترقى

فقلت له : أحسن والله ! قال : أفلا أنشدك أحسن من هذا ؟ قلت بلى ،
 فأنشدني في رثاء محمد الأمين :

طوى الموت ما بيني وبين محمد * وليس لما تطوى النية ناشر
 فلا وصل إلا عبرة تستديمها * أحاديث نفس ماله الدهر ذاكر
 لئن عمرت دور بمن لا أوده * لقد عمرت ممن أحب المقابر
 وكنت عليه أحذر الموت وحده * فلم يبق لي شيء عليه أحاذر

فقال : بحق ما غلب هذا على أهل الأدب وقدموه على غيره .

قال محمد بن جعفر الأصم : كنا عند أبي نعيم ، فتذاكرنا قول عائشة أم المؤمنين
 رضي الله عنها حين ذكرت شعر لبید يرثي أخاه أربد :

ذهب الذين يعاش في أكنافهم * وبقيت في خلف كجلد الأجرم

ولقد أنشدني أبو نعيم أبياتا ، قلنا : أنشدناها ، فقال :

ذهب الناس فاستقلوا وصرنا * خلفا في أراذل النسناس
 في أناس نعدهم من عديد * فاذا فتشوا فليسوا بناس
 كلما جئت أبتغي الفضل منهم * بدروني قبل السؤال بيأس
 وبكوا لي حتى تمنيت أنسى * مفلت عند ذاك رأسا براس

ثم قال : أتدرون لمن الشعر ؟ قلنا : لا ، قال : للحسن بن هانيء .
 قال أبو عبد الرحمن الضرير : رأيت مسلم بن الوليد بجرجان وهو يتولاها ،
 فسألني عن خلفت من الشعراء ، فقلت له : أما من الكوفيين فأبو نواس ، وهو مقدم
 عندهم ، فقال : ويحك ! كيف يتقدم وهو يقول : رويدك يا انسان لا أنت تقفز

أرأيت قوله : « تقفز » خرجت من بين فكي شاعر فط ! تم قال : ويلك ! وكيف يكون كذلك وهو يحيل ويتخطى من صفة المخلوق الى صفة الخالق ؟ فقلت : ماذا من قوله ؟ قال : أما فيما أحال فكقوله :

وأخفت أهل الشرك حتى أنه * لتخافك النطف التي لم تخلق

وهذا من الاغراق المستحيل في العقول ومما ليس على مذهب القوم ، وأما في تخطيه بصفة المخلوق الى صفة الخالق فكقوله :

يجل أن تلحق الصفات به * فكل خلق لخلقه مثل

وكقوله :

*** برىء من الأشباه ليس له مثل ***

ومما قيل عن أبي نواس ان الشعر انما هو بين المدح والهجاء وأبو نواس لا يحسنهما ، وأجود شعره في الخمر والطرود ، وأحسن ما فيهما مأخوذ ليس له وانما سرقة ، وحسبك من رجل يريد المعنى ليأخذه فلا يحسن أن يبنى عليه حتى يجيء به قبيحا ، مثل قوله : « وداوني بالتي كانت هي الداء » أخذه من قول الأعشى : « وأخرى تداويت منها بها » والذي أخذه منه أحسن . ومنها أيضا قوله : « ان الشباب مطية الجهل » أخذه من قول النابغة الجعدي : « فان مطية الجهل الشباب » . وقوله : « كطلعة الأشمط من اهابه » أخذه من قول أبي النجم : « كطلعة الأشمط من كسائه » . ولكن رزق أبو نواس في شعره أن سار وحمله الناس وقدمه أهل عصره ، وان له على ذلك لأشياء حسنا لا يدفعها ولا يطرحها الا جاهل بالكلام أو حاسد .

ومن أحسن مدائح أبي نواس قوله من أرجوزته التي يمدح بها الفضل ابن الربيع وهي :

وبلسة فيهما زور * صعراء تحظى في صعر

مرت (١) اذا الذئب اقتفر * بهما من القوم الأثر

(١) 'مرت (بفتح فسكون) : الأرض لا نيات فيها ، واقتفر الأثر : اقتناه وتبعه .

كل جنين ما اشتكر (١)	* كنان له من الجسور
ميت النساحي الثغر	* ولا تعسلاه شعر
وغرر من الغرر	* عسففتها (٢) على خطر
يهززه جن الأشعر	* يپازل حين فطر
ولا قريب من خور	* لا متشك من سدر (٣)
وبعد ما جال الضفر (٤)	* كأنه بعد الضمر
جباب (٥) رباع المثغر	* وانمسخ في فحسر
تري بأبجاج القصر (٦)	* يحدو بحقب كالأكر
وعين أبكار الخضر	* منهن توشيم الجدر
حتى اذا الفحل جفر (٧)	* شهري ربيع وصفر
نش أذخار النقر (٨)	* وأشبه السفى الأبر
وهن اذ قلن : أشعر	* قلن له : ما تأتمر ؟
كانها لمن نظر	* غير عواص ما أسر
حتى اذا الظل قصر	* ركب يشيهمون مطر
أخضر طمام العكر	* يهمن من جنبى هجر
سار وليس للسمر	* وبين أحفاف القتر
يمسخ مراننا يسر (٩)	* ولا تلاوات السور

-
- (١) الجزر (بفتحين) : ما يذبح من الشاء ذكرا كان أو أنثى • واحدته : جزرة • وما اشتكر : لم يثبت له الشكر وهو الضعيف من الشعر الذى لا يكاد يظهر •
- (٢) عسفها : سلكها متخبطا • والغرر : الخطر •
- (٣) السدر : التحير •
- (٤) الضمر (بالضم وبضمتين) : الهزال • والضفر : جمع ضفار (بالفنح) وهو ما يشد به البعير من شعر مضاف •
- (٥) الجباب : الحمار الغليظ من حمر الوحش •
- (٦) الأبجاج جمع ثبج وهو وسط الشيء ، والقصر جمع قصرة وهى اصل العنق •
- (٧) جفر : امتنع عن الضراب •
- (٨) السفى : كل شجر له شوك ، ونش : نصب ، والنقر : جمع نقرة وهى الوعدة المستديرة من الأرض •
- (٩) المرنان : القوس •

رَمَت بِمَشْزُورِ الْمَرَر	* لَأَمْ كَحَلَقُومِ الْفَغَر (١)
حَتَّى إِذَا اصْطَفَى السُّطْر	* أَهْدَى لَهَا لَوْ لَمْ تَجْر
دَهِيَاءَ يَحْدُوها الْقَدَر	* فَتَلَسَّكَ عَنَسٌ لَمْ تَدْر
شَهَبًا إِذَا أَلَا ظَهَر	* إِلَيْكَ كَلَفْنَا السُّفَر
خُوصًا يَجْأِذِبُ النَّظَر	* قَدْ انْطَوَتْ مِنْهَا السَّرَر
طَى الْقَرَارَى (٢) الْحَبَر	* لَمْ تَتَّعِدْهَا الطَّيَر
وَلَا السِّنِّيجَ الْمَزْدَجِر	* يَا فَضْلُ لِلْقُومِ الْبَطَر
إِذْ لَيْسَ فِي النَّاسِ عَصَر	* وَلَا مِنْ الْخُصُوفِ وَزَر
وَنَزَلَتْ أَحَدَى الْكَبَر	* وَقِيلَ صَمْنَاءُ الْغِير
فَالنَّاسُ أَبْنَاءُ الْحَدَر :	* فَرَجَتْ هَاتِيكَ الْقَمَر
عَنَا « وَقَدْ صَابَتْ بَقَر » (٣)	* كَالشَّمْسِ فِي شَخْصٍ بَشَر
أَعْيَا مَجَارِيكَ الْخَطَر	* أَبُوكَ جَلِيٌّ عَنْ مَضَر
يَوْمَ الرِّوَاقِ الْمُحْتَضَر	* وَالْخُصُوفِ يَفْرَى وَيَذَر
كَهَزَّةِ الْغَضَبِ الذَّكْر	* قَامَ كَرِيمًا فَانْتَصَر
لَمَّا رَأَى الْأَمْرَ اقْمَطَر (٤)	* مَا مَسَ مِنْ شَيْءٍ هَبَر (٥)
وَأَنْتَ تَقْتَسِفُ الْأَثَر	* مِنْ ذِي حَجُولٍ وَغَرَر
مَعِيدٍ وَرَدٍ وَصَلَدَر	* وَأَنْ عَلَا الْأَمْرُ اقْتَدَر
فَإِنْ أَصْحَابُ الْقَمَر	* إِذْ شَرَبُوا كَأْسَ الْمَقَر (٦)
وَقَصَرُوا فِيهِمْ قَصَر	* هِيَهَاتَ لَا يَخْفَى الْقَمَر

(١) رمت : شدة ، ومشزور : مفتول ، والمرر : جمع مرة وهي قوة القتل ، واللام : الشديد والنفر : كسر البلبل ، والعرب تشبه الدقيق بالأوتار وحلاقيم النفران .

(٢) القراري : الخياط .

(٣) القر : القرار ، يقال إذا وقع الأمر موقعه : صابت بقر وفعت بقر . قال طرفة بن العبد

البكري :

كنت منهم كالغطي رأسه * فأنجلى اليوم غطائي وخمر

سأدرا أحسب غيبي رشدا * فتناهيت وقد صابت بقر

(٤) اشتد .

(٥) هبر : قطع .

(٦) المقر : المر .

أصحرت (١) اذ دبوا الخمر * شكرا ، وحر من شكر
 فأنه يعطيك الشبر (٢) * وفي أعاديسك الظفر
 والله من شساء نصر * وأنت ان خفنا الحصر (٣)
 وهر دهر وكشر * عن ناجذيه وبسر (٤)
 أغنيت ما أغنى المطر * وفيك اخلاق اليسر
 فان أبوا الا العسر * أمررت (٥) حبلا فاستمر
 حتى ترى تلك الزمر * تهوى لأذقان الثغر (٦)
 من جذب ألوى (٧) لو نثر * اليه طودا لاناظر (٨)
 صعب اذا لاقى أبر * وان هفنا القوم وقسر
 او رهبوا الأمر جسر * ثم تسامى ففقر
 عن شقشيق ثم هسلر * ثم تنساجى فخطر
 بلى سبيب (٩) وعذر * يفضغ أطراف الوبر
 هل لك والهل (١٠) خير * فيمن اذا غبت حضر
 أو نالك القوم ثار * وان رأى خيرا شكر

* أو كان تقصير عذر *

ولما عمل أبو نواس القصيدة التي أولها : * ومستعبد اخوانه بثرائه * بلغت
 الأمين ، فبعث اليه ، وعنده سليمان بن جعفر . فلما دخل عليه وقال له : يا عاض
 بظر أمه العاهرة ، ويا مدعى ولاء حاء وحكم ! أتدرى يا بن اللخناء من توليت والى
 من ادعيت ؟ الى الأم قبيلتين فى اليمن ، علوج باغين . أنت تكتسب بشعرك أوساخ

-
- (١) أصحرت : برزت الى الصحراء . ودبوا الخمر : مشوا مختفين . والخمر : ما سترك من شجر
 أو بناء أو نحوه .
 (٢) الخير والقوة .
 (٣) الضيق .
 (٤) كشر : أبدى عن ناجذيه ، وبسر . عيس .
 (٥) أى أحكمت قتله .
 (٦) جمع ثغرة وهى وثرة النحر .
 (٧) الألوى : الشديد الخصومة .
 (٨) أعوج وانثنى .
 (٩) السبيب : شعر الذنب والعرف والناصية ، والعذر جمع عذار .
 (١٠) قصد لفظ هل الاستفهامية فأدخل عليها الألف واللام .

أيدى الناس اللثام ، وتقول : * ولا صاحب التاج المحجب فى العصر * أما والله ما نلت منى شيئاً بعد ذلك أبداً ! فقال له سليمان بن أبى جعفر : اى والله ! نعم هو مع هذا من كيار الثنوية (١) (وكان يرمى بذلك) ، فقال له محمد الأمين : وهل يشهد عليه شاهد بشئ من ذلك ؟ فأتاه سليمان بعدة نفر ، فشهدوا عليه أنه شرب فى يوم مطير فوضع قدحه تحت السماء فى المطر فوقع فيه المطر ، فقالوا له : ما تصنع بذلك ويحك ؟ قال : أنتم تزعمون أنه ينزل مع كل قطرة ملك ، فكم ترانى اشرب من الملائكة ! ثم شرب ما فى القدح ، فغضب محمد ، وأمر به الى السجن .
فذلك قول أبى نواس :

يا رب ان القوم قد ظلموني * وبلا اقتصراف معطل حبسوني
والى الجحود بما عرفت خلافة * ربى اليك بكذبهم نسبوني
ما كان الا الجرى فى مسدانهم * فى كل خزى والمجانة ديني
لا العذر يقبل لى ويفرق شاهدي * منهم ولا يرضون حلف يميني
ما كان - لو يدرون - أول مخبأ * فى دار منقصة ومنزل هون
أما الأمين فلست أرجو دفعه * عنى ، فمن لى اليوم بالمأمون

فبلغت أبياته المأمون ، فقال : والله لئن لحقته لأغنيه غنى لا يؤمله . فمات قبل دخول المأمون بغداد .

لما وصلت الخلافة الى محمد الأمين وولى الفضل بن الربيع الوزارة ، تفرغ محمد لليو والصيد والنزهة ، وكان لا يخرج الا لصيد أو لنزهة . فخرج ذات يوم وقد أمر الجند والقواد فركبوا ، ولبس ثيابه وتقلد سيفه ، وأعدت الحراقات (٢) والزلاجات فى دجلة ، فقال له اسماعيل بن صبيح - وكان كاتب سره - : يا أمير المؤمنين ان قوادك وجندك وعامة رعيتك قد خبثت نفوسهم ، وساءت ظنونهم ، وكبر عندهم ما يرون من احتجاجك عنهم فلو جلست لهم ساعة من نهار فدخلوا عليك ! فان فى ذلك تسكيناً لهم ومراجعة لآمالهم ! فجلس فى مجلسه وأذن للناس عامة فدخلوا على مراتبهم ومنازلهم ، وقام الخطباء فخطبوا ، والشعراء فأنشدوا ، فلم يكن أحد منهم يتعدى الى الاطناب والتطويل ، الا أمر بالسكوت ومنع من القول .

(١) الثنوية أصحاب الاثنين الأزلين وهم الذين يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان . بخلاف

النجوس فانهم قالوا بحدوث الظلام .

(٢) الحراقات : ضرب من السفن فيها حراعى نيران يرمى بها العدو فى البحر .

وقام فيمن قام أبو نواس ، فقال : يا أمير المؤمنين ! هؤلاء الشعراء أهل حجر ومدر ، وأبل ووصف بلبر وبيوت الشعر ، قد جعت انفاظهم ، وعلقت معايبهم ، ليس لهم بصر بمدح الحناء وسر مدارمهم ، كان رأى أمير المؤمنين أن ياذن لى شى انشاده فليعمل فادن له فانشده :

أيا دارها بالماء حتى تلينها	✽	فإن تكرم الصهباء حتى تهينها
أغالى بها حتى اذا ما ملكتها	✽	أهنت لأكرام الخليل مصونها
وصفراء قبل المزج بيضاء بعده	✽	كان شعاع الشمس يلقاك دونها
ترى العين تستعفيك من لعانها	✽	وتحسر حتى ما تقل جفونها
نزوع بنفس المرء عما يسوؤه	✽	ويجذله ألا يزال قرينها
كان يواقيتا رواكد حولها	✽	وزرق سنانير تدير عيونها
وشمطاء حل الدهر منها بنجوة	✽	دلفت اليها فاستللت جبينها
كانا حلول بين أكناف روضة	✽	اذا ما سلبناها مع الليل طينها

الى أن أكمل القصيدة . فقال له محمد : ألم أنك عن شرب الخمر ! قال : بلى يا أمير المؤمنين ، والله ما شربتها منذ نهيتنى عنها ومنعتنى من شربها ، وأنا الذى أقول :

ايها الرائحان باللوم لوما	✽	لا أذوق المدام الا شميما
نالى بالسلام فيها امام	✽	لا أرى لى خلافة مستقيما
فاصرفاها الى سواى فانى	✽	لست الا على الحديث نديما
كبر حظى منها اذا هى دارت	✽	أن أراها وأن أشم النسيما
فكأنى وما ازين منها	✽	قعدى يحسن التحكيما (١)
كل عن حمله السلاح الى الحر	✽	ب فاوصى المطيق ألا يقيما

فتبسم محمد ، وقال له : أحسنت ! وقال بعض الشعراء فأنشد :

ترقى فى فضائله الأمين	✽	وزايله المشاكل والقرين
وأوردق زهرة التقوى وعزت	✽	خلافته وصدق الظنون
تمس منابر الخلفاء منه	✽	يد بخلاف طاعتها المنون
يخاف الخوف مولته ويرجو	✽	نداه الجود فهو له خدين

(١) القعدى من الخوارج : الذى يرى رأى القعدة الذين يرون التحكيم حقا ، غير أنهم قعدوا عن الخروج على الناس .

فقال عدة ممن حضر : قد أوجز وأجاد ، أكرم الله أمير المؤمنين ، فقال أبو نواس
أشعر منه يا أمير المؤمنين الذي يقول :

ألا يا خير من رأت العيون * نظيرك لا يحس ولا يكون
وفضلك لا يجد ولا يجارى * ولا تحصى حيازته الظنون
فأنت نسيج وحدك لا شبيهه * نحاشيه عليك ولا خدين
خلقت بلا مشاكلة لشيء * فأنت الفوق والثقلان دون
كأن الملك لم يك قبل شيئاً * الى أن قام بالملك الأمين

قال : فضله محمد وأحسن جائزته . ويقال : انه قالها بديها .

ثم نهض محمد من مجلسه ذلك ، فركب الحراقة الى الشماسية ، واصطفت له
الخيول وعليها الرجال على شاطئ دجلة ، وحملت معه المطابخ والخزائن . وكان
ركوبه حراقة (١) على مثال الأسد . فما رأى الناس منظرا كان أبهى ولا مسيرا كان
أحسن من ذلك المنظر والمسير . وركب أبو نواس معه يومئذ وهو ينادمه ، فقال :

سسخر الله للأمين مطايا * لم تسخر لصاحب المحراب (٢)
فاذا ما ركابه سرن بحرا * سار في الماء راكبا ليث غاب
أسدا باسطا ذراعيه يعدو * أهرت الشلق (٣) كالج انياب
لا يعانيه باللجام ولا السو * ط ولا غمز رجله في الركاب
عجب الناس اذ رأوك على صو * رة ليث تمر من السحاب
سبحوا اذ رأوك سرت عليه * كيف لو أبصروك فوق العقاب
ذات زور ومنسر وجناح * ين تشق العباب بعد العباب
تسبق الطير في السماء اذا ما اس * تعجلوها بجيئة وذهاب
بارك الله للأمين وأبقا * ه وأبقى له وداء الشباب
ملك تقصر المدائح عنه * هاشمي موفق للصواب

(١) وذلك أنه كان للأمين ثلاث من السفن المعروفة بالحراقات لركوبه خاصة . وهي الليث والعقاب

والدلقين .

(٢) صاحب المحراب هو سليمان بن داود عليه السلام لأنه بنى بيت المقدس .

(٣) أهرت الشلق : واسعه . وكالج الانياب : كاشرها .

ويقال : ان هذا الشعر قاله أبو نواس في محمد ، وقد ركب حراقتة الدلفين .
فقال له شيخ الى جانبه : اتق الله يا هذا ! فقال له أبو نواس : يا شيخ ، ان الله لم
يسخر لصاحب المحراب الدلفين ، وقد سخر له ما هو خير من الدلفين ، فأى شئ تنكر
من هذا ؟

قال ابن حبيب : كنت مع مؤنس بن عمران ، ونحن نريد الفضل بن الربيع
ببغداد ، فقال مؤنس : لو دخلنا على أبي نواس في السجن فسلمنا عليه ! ففعلنا ،
فقال أبو نواس لمؤنس : أين تريد ؟ فقال : أريد أبا العباس الفضل بن الربيع ،
قال فبلغه رقعة أعطيكها ، قال : نعم ، فأعطاه رقعة فيها :

ما من يد في الناس واجلة * كيد أبو العباس مولاها
نام البغاة على مضاجعهم * وسرى الى نفسي فأحياها
قد كنت خفتك ثم أمنى * من أن أخافك خوفاً كالله
فعفوت عنى عفو مقتدر * وجبت له نقيم فألغاه

فكانت هذه الأبيات سبب خروجه من السجن .

انصرف أبو نواس من بعض المواخير سكران ، فمر بمسجد قد حضرت فيه
الصلاة ، فدخل فقام في الصف الأول ، فقرأ الامام : (قل يا أيها الكافرون) فقال
أبو نواس من خلفه : لبيك ، فلما قضيت الصلاة لبيوه (١) وقالوا له : يا كافر نشهد
عليك بالكفر ودفعوه . فبلغ خبره الرشيد ، فدعا له حمدويه صاحب الزندقة ،
وأحضر أبا نواس فقال له حمدويه : يا أمير المؤمنين ، ان هذا ماجن ، وليس هو
بحيث يظن ، فقال له الرشيد : ويحك ! انه وقع في نفسى منه شئ ، فامتحنه .
قال : فخط له صورة ماني (٢) ، وقال له : ابصق عليها ، فأهوى أبو نواس بغية
ليقى عليها ، فقال له حمدويه : قد قلت لك يا أمير المؤمنين انه ماجن . قال :

(١) لبيوه : أخذوا بلبيه ، وهو موضع القلادة في الصدر .

(٢) هو ماني بن فاتك الحكيم ، الذي ظهر في زمن سابور ذي الاكتاف بن أردشير ، وقتله بهرام
ابن هرمز بن سابور ، وذلك بعد عيسى عليه السلام . اتخذ له ديناً بين المجوسية والنصرانية . وكان
يقول بنبوته المسيح عليه السلام ، ولا يقول بنبوته موسى عليه السلام . حكى محمد بن هارون المعروف
بأبي عيسى الوراق ، وكان في الأصل مجوسياً عارفاً بمذاهب القوم ، أن الحكيم ماني زعم أن العالم
مصنوع مركب من أصليين قديمين : أحدهما نور والآخر ظلمة ، وأنهما أزلان لم يزالا ولن يزالا ،
وأنكر وجود شئ الا من أصل قديم ، وأنهما لا يزالان قوتين حساستين سميعتين بصيرتين ، وهما مع
ذلك في النفس والصورة والفعل والتدبير متضادتان ، وفي الحيز متحاذيتان تحاذى الشخص والظل .
(انظر الملل والنحل للشهرستاني) .

ودعا برجل من الزنادقة مشهور ، وقال له : ابصق عليها ، فقال : وما معنى البصاق ! انه من أخلاق الشرك ولا أفعله ، وأبى أن يفعل . فقال الرشيد لبعض خدم القصر : امض بهذا (يعنى أبا نواس) الى السندی ، فقل له : أدبه وأطلقه ، وبهذا (يعنى الزنديق) فقل له : احبسه قبلك الى أن تستتيبه ، فان تاب والا قتلناه . قال : فمضى بهما الخادم ، فلما صار فى آخر الصحن ، قال أبو نواس للخادم : الى أين تذهب بنا ؟ قال : الى السندی ، قال : فما تقول له ؟ قال : أقول له : يحبسك قبله حتى تستتاب أو تقتل ، ويؤدب هذا ويطلقه . قال : فرجع أبو نواس يده ولطمه ، وقال له : يا بن الزانية ، من الساعة نسيت ! . وبصر بهم الرشيد ، فقال : ردوهم ، فقال لأبى نواس : ما هذا الذى رأيت منك ؟ قال : أراد الله أن يهلكنى ويطرحنى بحيث أنسى أبدا أو أبقي مخلدا ، سله يا أمير المؤمنين عن الرسالة ، فاذا هو قد غيرها ، فضحك من أبى نواس وأطلقه .

قال رزين الكاتب : اجتمعنا يوما أنا وأبو نواس وعلى بن الخليل فى سوق الكرخ . وكنا نجتمع ونتناشد الأشعار ونتذاكر الأخبار ونتحدث بها . فقال أبو نواس : أدبر من كان فى نفسى وكان أسرع الخلق فى طاعتي ، فما أدري ما أحتال له ؟ فقال على بن الخليل يمازحه : يا أبا على ، سل شيخك وأستاذك يعطفه عليك ، فقال له أبو نواس : من تعنى ؟ قال : من أنت فى طاعته ليلك ونهارك (يعنى إبليس) فان لم يقض لك هذه الحاجة ، فما ينبغى لك أن تسأله مسألة ولا أن تقر عينه بمعصية ، فقال : هو أسد لرأيه من أن يخل بى أو يخذلنى ، وانقضى مجلسنا ذلك . فلما كان بعد أيام اجتمعنا فى ذلك الموضع ، وأخذنا فى أحاديثنا ، فضحك أبو نواس ، فقلنا له : ما أضحكك ؟ فقال : ذكرت قول على بن الخليل يومئذ : سل شيخك يعطفه عليك . حينئذ قد سأله يا أبا الحسن فقضى الحاجة ، وما مضت والله ثالثة حتى أتانى من غير أن أبعث اليه ومن غير أن أستزيره ، فعاتبنى واسترضانى ، وكان الغضب منه والتجنى ، وأحسب الشيخ (يعنى إبليس) كان يتسمع علينا فى وقت كلامنا ، وقد قلت أبياتا فى ذلك ، فقلنا : هاتها ، فأنشد :

لما جفاني الحبيب وامتنعت	✽	عنى الرسائل منه والخبر
واشتد شوقى فكاد يقتلنى	✽	ذكر حبيبي والهيم والفكر
دعوت إبليس ثم قسلت له	✽	فى خلوة والدموع تنحدر :
أما ترى كيف قد بليت وقد	✽	أقبح جفنى البكاه والسهل ؟
إن أنت لم تلق لى المودة فى	✽	صلى حبيبي وأنت مقتدر
لا قلت شعرا ولا سمعت غنا	✽	ولا جرى فى مفاصل السنكر
ولا أزال القرآن أدرسه	✽	أروح فى درسه وابتكر

وَأَلْزَمَ الصَّوْمَ وَالصَّلَاةَ وَلَا * نِزَالَ دَهْرِي بِالْخَيْرِ آمُرُ
فَمَا مَضَتْ بَعْدَ ذَلِكَ ثَلَاثَةٌ * حَتَّى أَتَانِي الْحَبِيبُ يَعْتَسِلُنِي
وَيَطْلُبُ الْوَدَّ وَالْوَصَالَ عَلَى * أَفْضَلِ مَا كَانَ قَبْلَ يَهْتَجِرُ
فِيهَا لَهَا مَنَّةٌ لَقَدْ عَظُمَتْ * عِنْدِي لَا بَلِيسَ مَا لَهَا خَطَرُ

١١ قدم أبو نواس على الخصيب (١) بمصر أذن له وعنده جماعة من الشعراء فاستنشدوه ، فقال له : هنا جماعة من الشعراء هم أقدم مني وأسن ، فأذن لهم في الانشاد ، فان كان شعري نظير أشعارهم أنشدت والا أمسكت ، فاستنشدهم الخصيب ، فأنشدوا مديحا في الخصيب ، فلم تكن أشعارهم مقاربة لشعر أبي نواس ، فتبسم أبو نواس ثم قال : أنشدك أيها الأمير قصيدة هي بمنزلة عصا موسى تتلقف ما يافكون ؟ قال هات ، فأنشده قصيدته التي أولها :

أَجَارَةٌ بَيْتَيْنَا أَبُوكَ غَيُورٌ * وَمِيسُورٌ مَا يَرْجِي لَدَيْكَ عَسِيرٌ
حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهَا ، فَانْقَضَ الشُّعْرَاءُ مِنْ حَوْلِهِ .

ويقال : ان أبا نواس كان خرج الى مصر في زى الشطار (٢) وتقطيعهم بطرة قد صفقها وكمين واسعين وذيل مجرور ونعل مطبق ، وكان خروجه مع سليمان ابن أبي سهل ، فلما دخل على الخصيب بهذه الصورة ازدراه واستخف به ، وكان تورد عليه كتب الجلة ممن بباب السلطان ، ووردت كتب أبي نواس فيها فقرأها ولم يستنشده ، فانصرف مهموما . وجاءه أهل الأدب فاستمعوا شعره وكتبوه وأنشدوه للخصيب ، فاستحضره فأنشده :

أَجَارَةٌ بَيْتَيْنَا أَبُوكَ غَيُورٌ * وَمِيسُورٌ مَا يَرْجِي لَدَيْكَ عَسِيرٌ
فَإِنْ كُنْتَ لَا خَلْمًا (٣) وَلَا أَنْتَ زَوْجَةٌ * فَلَا بَرَحْتَ دُونِي عَلَيْكَ سِتُورٌ
وَجَاوَرْتَ قَوْمًا لَا تَزَاوِرُ بَيْنَهُمْ * وَلَا وَصَلَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَشُورٌ
فَمَا أَنَا بِالْمَشْفُوفِ ضَرْبَةً لَازِبٌ * وَلَا كُلَّ سُلْطَانٍ عَلَى قَدِيرٌ

(١) هو الخصيب بن عبد الحميد العجمي أمير مصر على الخراج . واليه تنسب منية الخصيب بالوجه القبلي وليس بابن صاحب نهر أبي الخصيب ، ذلك تبيد للمتصور يقال له مرزوق . وكان هذا رئيسا في أراضيه . فانتقل الى بغداد وصار كاتب مهرويه الرازي ، ثم انتقل الى الإمارة .

(٢) الشطار : جمع شاطر وهو من أعيا أهله خيئا .

(٣) الخلم : الصديق .

وانى لطرف العين بالعين زاجر * فقد كنت لا يخفى على ضمير
كما نظرت والريح ساكنة لها * عقاب بأرماغ اليدين ندور (١)
طوت ليلتين القوت عن ذى ضرورة * أزيغ لم ينبت عليه شكير (٢)
فأوفت على عياء حين بدا لها * من الشمس قرن والضرب يهور (٣)
تقلب طرفا فى حجاجى مغارة * من الرأس لم يدخل عليه ذرور (٤)

ولما قال أبو نواس :

تقول التى من بيتها خف مركبى : * عزيز علينا أن نراك تسير
أما دون مصر للغنى متطلب ؟ * بلى ان أسباب الغنى لكثير
فقلت لها واستعجلتها بوادى * جرت فجرى فى جريهن عبر
ذرينى أكثر حاسديك برحلة * الى بلد فيه الخصيب أمير

قال له الخصيب :

اذن يكثر حسادها وتبلغ أملها ، وأمر له بألف دينار •
وتمامها :

إذا لم تزر أرض الخصيب ركابنا * فأى فتى بعد ! الخصيب تزدور !
فما جازه جود ولا حل دونه * ولكن يصير الجود حيث يصير
فتى يشترى حسن الثناء بماله * ويعلم أن الدائرات تدور
ولم تر عيني سوددا مثل سودد * يحل أبو نصر به ويسير
وأطرق حيات البلاد لحية * خصيبة التصميم حين تسور (٥)
سموت لأهل الجور فى حال أمنهم * فأضحوا وكل فى الوثاق أسير
إذا قام غنته على الساق حلية * لها خطوه عند القيسام قصير

(١) الندور : خروج العظم من موضعه أو زواله وفى البيت من سوء التركيب بما فيه ،
والنقدير فيه كما نظرت عقاب لها بأرماغ اليدين ندور والريح ساكنة •
(٢) أزيغ تصغير أزغب وهو الفرخ ذو الزغب أى الريش الدقيق اللين • والشكير : الريش أول
ما ينبت •
(٣) الضريب : الثلج أو الجليد • ويمور : يتحرك أو يجيء ويذهب أو يسيل على وجه الأرض •
(٤) الحجاجان مثنى حجاج وهو العظم الذى ينبت عليه شعر الحاجب • والذرور : ما يذر من
العين من الدواء •
(٥) تسور : تشب •

فمن يك أمسى جاهلا بمقالاتي * فان أمير المؤمنين خير
 فما زلت توليه النصيحة يافعا * الى أن بدا في العارضين قتي (١)
 اذا غاله أمر فاما كفته * واما عليه بالكفاء تشير
 اليك رمت بالقوم هوج كأنما * جماجمها تحت الرحال قبور
 رحل بنا من عرقوف (٢) وقد بدا * من الصبح مفتوق الأديم شهر
 فما نجدت (٣) بالماء حتى رايتها * مع الشمس في عيني أباغ تغور
 وغمرن من ماء النقيب بشربة * وقد حان من ديك الصباح زمير
 ووافين اشرافا كنائس تلمر * وهن الى رعن المدخن صور (٤)
 يؤمن أهل القوطتين كأنما * نها عند أهل القوطتين ثور
 وأصبحن بالجولان يرضخن (٥) صخرها * ولم يبق من أجراحهن شطور
 وقاسين ليلا دون بيسان لم يكد * سنا صبحه للناظرين ينير
 وأصبحن قد فوزن من نهر فطرس * وهن عن البيت المقدس زور (٦)
 طوالب بالركبان غرة هاشم * وفي الفرما من حاجهن شقور (٧)
 ولما آتت فسطاط مصر أجارها * على ركبها أن لا تزال مجير
 من القوم بسام كان جبينه * سنا الفجر يسرى ضوؤه ويشير
 زها بالخصيب السيف والرمح في الوغى * وفي السلم يزهو منبر وسرير
 جواد اذا الأيدي كففت عن الندى * ومن دون عورات النساء غيور
 له سلف في الأعجمين كأنهم * اذا استؤذنوا يوم السلام بطور
 واني جدير اذ بلغتك بالمني * وأنت بما أملت منك جدير
 فان تولني منك الجميل فأهله * والا فاني عاذر وشكور

(١) القتيير : الشيب

(٢) عرقوف : اسم موضع

(٣) نجدت : عرقت

(٤) صور : مائلات

(٥) يرضخن : يكسرن

(٦) زور : جمع زوراء بمعنى مائلة

(٧) جمع شقور وهو الامر الملتصق بالقلب اللهم له

وقال يمدح العباس بن الفضل بن الربيع واجاد :

ساد الملوك ثلاثة ما منهم * ان حصلوا الا اغر قريع
ساد الربيع وساد فضل بعد * وعلت بعباس الكريم فروع
عباس عباس اذا احتدم الوغى * والفضل فضل والربيع ديع

وقال يعاتب عمر الوراق :

يا من جفاني ومالا * نسيت أهلا وسهلا
ومات مرحب لما * رأيت مالى قسلا
انى اظنك تحكى * فيما فعلت القرلى (١)
تلقاه فى الشر يشاى * وفى الرخا يتسلى

وله فى عزة النفس :

ومستعبد اخوانه بشرائه * لبست له كبرا أبر على الكبر
اذا ضمنى يوما واياه محفل * يرى جانبي وعرا يزيد على الوعر
اخالفه فى شكله واجره * على المنطق المبرور والنظر الشور
وقد زادنى تيبها على الناس انى * ارانى اغناهم وان كنت ذا فقر
فوالله لا يبنى لسانى لجاجة * الى احد حتى اغيب فى قبرى
فلا يطمعن فى ذاك منى طامع * ولا صاحب التاج المحجب فى القصر
فلو لم أرث فخرا لكنت صيانتى * عن الناس حصى من سؤالى من الفخر

دخل أبو نواس بعد ما نسك على قوم من اخوانه عندهم شراب ومغن ، فعرضوا عليه الجلوس فأبى ، وأخذ الدواة والقرطاس وكتب :

اذا لم تنه نفسك عن هواها * وتحسن صونها فاليك عنى
فانى قد شبت من المعاصى * ومن ادمانها وشبت منى
ومن أسوا وأقبح من لبيب * يرى متطنزا فى مثل سنى

(١) القرلى : كان لحمير وكان لا يسمع لأحد شيئا الا جاء اليه وداخله ولا يتخلف عن طعام لأحد ، واذا سمع بخصومة لم يقرب ذلك ، فضرب به المثل حتى قيل لطير من طيور الماء يوفى عليه : القرلى .

ومن شعر أبي نوّاس :

عفى المصلى وأقوت الكذب	* منى فالربدان فاللهب
منازل قد عمرتها يفا	* حتى بدا فى عذارى الشهب
فى فتية كالسيوف هزمهم	* شرخ شباب وزانهم أدب
ثم أراب الزمان فاقسموا	* أيدى سبا فى البلاد فانشعوا
لن يخلف الدهر مثلهم أبدا	* على هيهات شأنهم عجب
لما تيقنت أن روحهم	* ليس لها ما حيت منقلب
أبليت صبرا لم يبله أحد	* واقتسمتنى مآرب شـعـب
لذاك أنى اذا رزئت أخيا	* فليس بينى وبينه نسب
قطربل مربى ولى بقرى الـ	* كرخ مصيف وأمسى العنب
نرضعنى درها وتلتغنى	* بطلها والهجير يلتهب
إذا ثنته الفصون جللتى	* فينان (١) ما فى أديمه جرب
تببت فى ماتم حمائمـه	* كما تبراءى الفواقد السلب
يهب شوقى وشوقهن معا	* كأنما يستخفنا الطرب
فجئت أحيو الى الرضاع كما	* تحامل الطفل مسه السغب
حتى تخيرت بنت دسكرة	* قد عجمتها السنون والحقب
هتكت عنها والليل معتكر	* مهلهل النسج ما له هدب
من نسج خرقاء لاتشد لها	* أخية فى الثرى ولا طنـب
ثم توجهات خصرها بشبا الـ	* اشفى فجاءت كأنها لهب
فاستوسق الشرب للندام واجـ	* راها علينا اللجين والغرب (٢)
أقول لما تحاكيا شـبـها	* أيهما للتشابه الذهب
هما سواء وفرق بينهما	* أنهما جامد ومنسكب
ملس وأمثالها محفـرة	* صور فيها القسوس والصلب
يتلون أنجيلهم وفوقهم	* سماء خمـر نجومها حـب
كانها لنؤلؤ تبـدده	* أيدى عذارى أفضى بها اللعب

(١) الفينان : الظل الكثيف ، والجرب ، أى لا خلل فيه .

(٢) الغرب : الذهب .

ومن جيد شعره قوله لما منعه الأمين من شرب الخمر ، وذلك أن المأمون أمر
الخصباء بخراسان أن يعيبوا الأمين بشعر أبي نواس ويقولوا هو جليسه ونديمه
وينشدوا على المنابر شعره ، فمنعه الأمين فقال :

غنىنا بالطلول كيف بلينا	✽	واسقنا نعطك الثناء الثمينا
من سلاف كأنه كل طيب	✽	يتمنى مخبر أن يكونا
أكل الدهر ما تجسم منها	✽	وتبقى لبابها المكنونا
ثم شجت فاستضحكت عن لال	✽	لو تجمعن في يد لاقتنينا
واذا ما لمستها فهبنا	✽	تمنع الكف ما تبيع العيون
ففي كؤوس كأنهن نجوم	✽	جاريات بروجها أيدينا
طالعات من السقا علينا	✽	فاذا ما غربن يغربن فينا
لو ترى الشرب حولها من بعيد	✽	قلت قوم من قرة يصطلونا
وغزال يديرها بينان	✽	ناعمات يزيدها العسر لنا
ذاك عيش لو دام لي غير أني	✽	عفته مكرها وخفت الأمانة
أدر الكأس حان أن تسقينا	✽	وانقر العود انه يلهينا
ودع الذكر للطلول اذا ما	✽	دارت الكأس يسرة ويمينا

ومن قول أبي نواس يمدح العباس بن عبد الله بن جعفر بن أبي جعفر :

غسرد الديك الصبوح	✽	فاسقني طاب الصبوح
اسقني حتى تراني	✽	حسننا عندي القبيح
قهوة تذكر نوحا	✽	حين شاد الفلك نوح
نحن نخفيها ويأبى	✽	طيب عرف فيفوح
فكان القوم نهبي	✽	بينهم مسك ذبيح
انبا في دنيا من العبد	✽	باس أغللو وأروح
هاشمي عبدلي	✽	عند يغلو المديح
علم الجود كتاب	✽	بين عينية يلوح
كل جود يا أميري	✽	ما خلا جودك ريح
انما أنت عطسايا	✽	أبدا ما تستريح
ببح صوت أشال مما	✽	منك يشكو ويصبح

ما لهذا أحسد فو * ق يسديه أو نصيح
جئت بالأموال حتى * قيل ما هذا صحيح
فهو بالمال جواد * وهو بالعرض شحيح
صور الجود مثالا * وله العباس روح

قال محمد بن عيينة : لقيت أبا نواس بعسكر مكرم فقلت له : أحب أن تنشدني
من شعرك شيئا تضمن به علي غيري ، فأنشدني :

يكفي الكريم من الكلا * م لمن يحباده أقله
والشيء شيء لم يزل * بأدبه يأتني أجله
ان لم يصبك من الكريم * سم البحر وأبسه فطله
يبدي مكارمه كما * يبدي فرند السيف سله
والنذل يوقع نفسه * متممدا فيما يذله
والحر يكرم نفسه * بالصغ عم من لا يجله

وقال أبو نواس يمدح الأمين :

صببت علي الأمين ثياب مدحي * فكل الناس حسن واستجادا
ولولا فضله ما جاد شعري * ولا أعطني الفطن القيادا
وقالوا قد أجدت فقلت اني * وجدت القول يمكثني فجادا

ومن خمرياته :

ذكر الصبوح بسحرة فارتاحا * وأمله ديك الصباح صياحا
أوفى علي شرف الجدار بسدفة * غردا يصفق بالجنح جناحا
فأدر صباحك بالصبوح ولا تكن * كمسوفين غدوا عليك شحاحا
ان الصبوح جلاء كل مخمر * بدوت يده بكأسه الاصباحا
وخدين لذات معل صاحب * تقعات منه فكاهة ومزاحا
نبهتبه والليل ملتبس به * وأزحت عنه نعاسه فانزاحا
قال ابغني المصباح ، قلت له اتد * حسبي وحسبك ضوؤها مصباحا
فسكبت منها في الزجاجة شربة * كانت له حتى الصباح صباحا

من قهوة جاءتك قبل مزاجها * عطلا فالبسها المزاج وشاحا
شيك البزال فؤادها فكانها * أهدت اليك بريحتها تفاحا
صفراء تفترس النفوس فلا ترى * منها بهن سوى السبات جراحا
ومنها :

لا تبك ليلي ولا تطرب الى هند * واشرب على الورد من حمراء كالورد
كأسا اذا انحدرت في حلق شاربها * أجده حمرتها في العين والخذ
فالخمر يا قوته والكأس لؤلؤة * من كف لؤلؤة ممشوقة القيد
تسقيك من طرفها خمرا ومن يدها * خمرا فما لك من سكرين من يده
لي نشبوتان وللندمان واحدة * شيء خصصت به من دونهم وحدي

كان الأصمعي يفضل أبا نواس على شعراء زمانه بهذه القصيدة :

أما ترى الشمس حلت الحملا * وطاب وقت الزمان واعتدلا
وغنت الطير بعد عجمتها * واستوفت الخمر حولها كملا
واكتست الأرض من زخارفها * وشي ثياب تخاله حلا
فاشرب على جدة الزمان فقد * أصبح وجه الزمان مقبلا
من قهوة تذهب الهموم فلا * أرهب فيها الملام والعدلا
كرخية تترك الطويل من العي * ش قصيرا وتبسط الأمللا
تلمع لمع السراب في قدح الـ * قوم اذا ما حبابها اتصلا
يقول صرف اذا مزجت له * من لم يكن للكثير محتملا
فسبق هذا بقدر طاقته * واحمل على ذا بقدر ما احتملا
عجنا بشيئين من طبائعها * حسن وطيب ترى به المثلا

كان أبو نواس لا يستنشد شيئا من شعره الا أنشده هذه القصيدة :

وخيمة ناطور (١) برأس منيفة * تهم يدا من راما بزيل (٢)

(١) الناطور : حافظ النخل والكرم والزروع وفي البارح : الناظر والناطور بالطاء المهملة حافظ
الزروع ، من كلام أهل السواد وليس بعربي محض .

(٢) الزليل مصدر كالزلل .

إذا عارضتها الشمس فاء ظلالها	* وان واجهتها آذنت بدخول
حططنا بها الأثقال فل (١) هجرة	* عبورية تذكى بغير فتيل
تأنت (٢) قليلا ثم فاءت بمذقة	* من الظل فى رث الأباء ضئيل
كانا لديها بين عطفي نعامة	* جفا زورها عن مبرك ومقيل
حلبت لأصحابي بها درة الصبا	* بصهاء من ماء الكروم شمول
إذا ما أتت دون اللهاة من الفتى	* دعا همه من صدره برحيل
فلما توفى الشمس جنح من الدجى	* تصابيت واستجملت غير جميل
وعاطيت من أهوى الحديث كما بدا	* وذلت صعبا كان غير ذليل
فغنى وقد وسدت يسراى خده	* ألا ربما طالبت غير مثيل
وأنزلت حاجاتى بحقوى مساعد	* وان كان أدنى صاحب وخليل
وأصبحت الحى السكر والسكر محسن	* ألا رب احسان عليك ثقیل
كفى حزنا أن الجواد مقتر	* عليه ولا معروف عند بخيل
سأبقى الغنى أما جليس خليفة	* يقوم سواء أو مخيف سنبل
بكل فتى لا يستطار جنانه	* إذا نوه الزحفان باسم قتيل
لنخمس مال الله من كل فاجر	* أخى بطنة للطيبات أكل
ألم تر أن المال عون على الندى	* وليس جواد مقتر كبخيل

فان استزيد أنشد هذه القصيدة الأخرى :

كان الشناب مطية الجهل	* ومحسن الضحكات والهزل
كان الجمال إذا ارتدیت به	* ومشيت أخطر صيت النعل
كان البليغ إذا نطقت به	* وأصباخت الأذان للمهل
كان المشفع فى مآربه	* عند الفتاة ومدرك التبلى
والأمرى حتى إذا عزممت	* نفسى أعان يدي بالفعل
فالآن صرت الى مقاربة	* وحططت عن ظهر الصبا وحنى

(١) أى منهزمى هجرة ، وعبورية نسبها الى الشعري العبور وأيام طلوعها أيام الحر الشديد .

(٢) يعنى الشمس ، أى توقفت فى الجو عند زوالها . وفاءت بمذقة ، أى دخلت عليهم من تلك

الخيمة التى ثبتت على الأباء الضعيف من القصب الرث فلم تقو الشمس عليهم ، ولم تمنعهم الخيمة

بستر قوى فيصير ظلا ولكنه شمس وظل ، فشبهت بالملقوق من اللبن ، أى المزوج .

والراح أهواها وان رذات	* بلغ المعاش وقللت فضلى
صفراء مجدها مراذبها	* جلت عن النظراء والمثل
ذخرت لآدم قبل خلقته	* فتقدمته بحظوة القبل
فاتسأك شئ لا تلامسه	* الا بحسن غريزة العقل
فتروود منها العين فى بشر	* حر الصفيحة ناصع سهل
فاذا علاها الماء البسبها	* حبيا شبيه جلاجل الحجل
حتى اذا سكنت جوامحها	* خطت بمثل آكارع النمل
خطين ممن شيتى ومجتمع	* غفل من الاعجام والشكل
فاعذر أخاك فإنه رجبل	* مرنت مسامعه على العدل

ومن طيب شعره ، والشرط الأول من القصيدة لفظ ابن الدمينه :

اعاذل ما على وجهى قنوم	* ولا عرضى لأول من يسوم
يفضى على الفتيان انى	* أبيت فلا الام ولا ألوم
اعاذل ان يكن برداى رئا	* فلا يعدمك بينهما كريم
شقت من الصبا واشتق منى	* كما اشتقت من الكرم الكروم
فلست أسوم للذات نفسى	* مياومة كما دفع الغريم
ومتصل بأسباب العبال	* له فى كل مكreme قديم
رفعت له النداء بقم فغلها	* وقد أخذت مطالعها النجوم
بتفدية تزال النفس فيها	* وتمتهن الخؤولة والعسوم
فقال وقمت من اخوين هاجا	* على طرب وليئهما بهيم
أجر الزق وهو يجر رجلا	* يجور به الناس ويستقيم
سل النلمان ما اولته منها	* وسلها ما احتوى منها الكريم
كلا الشخصين منتصف ولكن	* قضت وطرا وذا منها سقيم

وقال :

انى صرفت الهوى الى قمر	* لم تبدله العيون بالنظر
اذا تأملته تعاظمك الـ	* اقرار أنه من البشر

ومن قوله :

يا شقيق النفس من حكم	* نمت عن ليل ولم أنم
فاسقنى البكر التى اختمرت	* بخمار الشيب فى الرجم
نمت انصات الشباب لها	* بعد ما جازت مدى الهرم
فهى لليوم التى بزلت	* وهى ترب الدهر فى القدم
عتقت حتى لو اتصلت	* بلسان تاطق وفم
لاحتبت فى القوم مائلة	* ثم قصبت قصة الامم
فرعتهما بالمزاج يد	* خلقت للسيف والقلم
فى ندامى سادة زهر	* اخذوا اللذات من ام
فتمشيت فى مفاصلهم	* كتمشى البرء فى السقم
فعلت فى البيت اذ مزجت	* مثل فعل الصبح فى الظلم
فاهتدى سارى الظلام بها	* كاهتداء السفر بالعلم

ومن طرديات أبى نواس فى صفة الكلب :

انعت كلبا اهله من كده	* وقد سعلت جلودهم بجده
فكل خير عندهم من عنده	* وكل رقد نالهم من رقد
يظل مولاه له كعبده	* يبيت أدنى صياحب من مهده
وان عسى جله ببسوده	* ذا غيرة محجلا بزنده
تلد منه العين حبن قده	* يا حسن شديقه وطول قده
تلقى الطبيب عنتا من طرده	* يشرب كاسا شدها من شده

* يا لك من كلب نسيج وحده *

أبو نواس وجنسان

قال أبو الفرج : كانت جنان هذه جارية آل عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفى ، وكانت حلوة جميلة المنظر أدبية ، ويقال : ان أبا نواس لم يصدق فى حب امرأة غيرها ، وقيل له يوما ان جنان قد عزمت على الحج ، فكان هذا سبب حجسه وقال : أما والله لا يفوتنى المسير معها والحج عامى هذا ان أقامت على عزيمتها ، وقال وقد حج وعاد :

ألم تر أنني أفنيت عمري * بمطلبها ومطلبها عسير
فلما لم أجد سبيها إليها * يقربني وأعيتني الأمور
حجبت وقلت قد حبت جنان * فيجهمني وإياها المسير

قال من شاهده حين حج مع جنان وقد أحرم : لما جنة الليل جعل يلبي بشعره
ويخدر به ويضطرب ، فغنى به كل من سمعه وهو قوله :

الهناء ما أعبدك * مليك كل من ملك
ليبك قد لبيت لك * لبيك ان الحمد لك
والملك لا شريك لك * والليل لما أن حلك
والساحبات في الفلك * على مجاري المنسلك
ما خاب عبد أمك * أنت له حيث سمك
لولاك يارب هلك * كل نبي ومهلك
وكل من أهل لك * سبج أو لبي فلك
يا مخطئا ما أغفلك * عجل وبادر أجلك
واختم بخير عملك * لبيك ان الملك لك
والحمد والنعمة لك * والعز لا شريك لك

وفيهما يقول :

جفن عيني قد كاد يسه * قط من طول ما اختلج
وقوادي من حر حبه * بك والهجر قد نصج
خبريني فدتك نفة * سي وأهل متى الفسج
كان ميعادنا خرو * ج زياد فقد خرج
أنت من قتل عائد * بك في أضيق الحرج

قال الأصفهاني : قال محمد بن إبراهيم بن كثير الصوفي : دخلنا على أبي نواس
نعوده في علته التي مات فيها ، فقال له علي بن صالح الهاشمي : يا أبا علي ، أنت في
أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا ، وبينك وبين الله عز وجل هنات ،
فتب إلى الله عز وجل ، فبكى ساعة ثم قال : ساندوني ساندوني ، ثم قال : أخوف بالله
عز وجل وقد حدثني حماد بن مسلم عن زيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال : قال

رسول الله ﷺ : « لكل نبي شفاعة واني اختبأت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي يوم القيامة » أفتراني لا أكون منهم ؟

وعن قوله في مرض موته :

دب في السقام علوا وسفلا	✽	وأراني أموت عضوا فعضوا
ليس تمضي من تحفة بي إلا	✽	نقصتني بمرها في جزوا
ذهبت جدتي بحاجة نفسي	✽	وتطلبت طاعة الله نضوا
لهفت نفسي على ليال وأيا	✽	م تجاوزتهن لعبا ولهوا
قد أسأنا كل الاساءة فالله	✽	هم صفحا عنا وغفرا وعفوا

ثم قال :

شعر حي أذاك من لفظ ميت	✽	صار بين الحياة والموت وقفا
قد برت جسمه الحوادث حتى	✽	كاد عن عين الخلائق يخفى
لو تأملتني لتبصر وجهي	✽	لم تبين من كتاب وجهي حرفا
ولكررت طرف عينيك فيمن	✽	قد براه السقام حتى تعفى

وكان عمر أبي نواس تسعا وخمسين سنة ، وكانت وفاته قبل دخول المأمون مدينة السلام بست سنين (سنة ١٩٨) .

٢ - العتابي (١)

قال أحمد بن سهل : نذاكرنا شعر العتابي فقال بعضنا : فيه تكلف ، ونصره بعضنا ، فقال : شيخ حاضر ، ويحكم ! أيقال ان فى شعره تكلفا وهو القائل :

رسل الضمير اليك ترى * بالشوق ظالعة وحسرى
متزجيات (٢) ما ينبى * ن على الوجا من بعد مسرى
ما جف للعينين بعـ * سدك يا قرير العين مجرى
فاسلم سلمت مبرا * من صبوتي أبدا معرى
ان الصبابة لم تدع * منى سوى عظم مبرى
ومدامع عبرى على * كبد عليك الدهر حبرى

(١) هو كلثوم بن عمرو بن أيوب العتابي التغلبي من ولد عتاب بن أسيد ثم من بنى تغلب بن وائل ، شاعر مترسل بليغ مطبوع متصرف فى فنون الشعر مقدم ، من شعراء الدولة العباسية ، وكان منقطعا الى البرامكة فوصفوه للرشيـد ووصلوه به ، فبلغ عنده كل مبلغ وعظمت فوائده منه .

وكان حسن الاعتذار فى شعره ورسائله وله مصنغات فى المنطق والأدب واللغة وكان يقيم فى رأس عين بعيدا عن دور الخلفاء والأمراء . وبلغ الرشيد قصيدة قالها فأعجب بها فطلب أشخاصه اليه فجاء وعليه قميص غليظ وفروه وخف ، وعلى كفه ملحفة جافية بنير سراويل ، فلما رفع الخبر بقدمه الى الرشيد أمر بأن تفرش له حجرة وتقام له وظيفة ففعلوا ، فكانت المائدة اذا قمعت اليه أخذ منها رقاقة وملحاً وخلط الملح بالتراب فأكله بها ، فاذا كان وقت النوم نام على الأرض ، والخدم يتفقدونه ويتعجبون من فعله . وسأل الرشيد عنه فأخبروه فأمر بطرده فخرج حتى أتى يحيى بن سعيد العقيلي وهو فى منزله فسلم عليه وانتسب له فرحب به وقال له : « ارتفع » فقال : « لم أتك للجلوس » قال : « فما جأجتك ؟ » قال : « دابة أبلغ عليها الى رأس عين » فقال : « يا غلام ، أعطه الفرس الفلانى » : فقال : « لا حاجة لى فى ذلك ولكن تأمر أن تشتري لى دابة أتبلغ عليها » : فقال لغلامه « امض معه فابتع له ما يريد » فمضى فعدل به العتابي الى سوق الحمير فقال الغلام : « انما أمرنى أن أبتاع لك دابة » : فقال له « انه أرسلك معى ولم يرسلنى معك فان عملت ما أريد والا أنصرف » : فمضى معه فاشتري حمارا بمائة وخمسين درهما وقال : « ادفع اليه ثمنه » : فدفعه اليه فركب الحمار عريا بمرشحة عليه وبرذعة وساقاه مكشوفتان ، فقال له يحيى بن سعيد « فضحتنى ! أمثلنى يحمل مثلك على هذا ! » فضحك وقال : « ما رأيت قدرك يستوجب أكثر من ذلك » ومضى الى رأس عين .

توفى سنة ٢٢٠ هـ وتجد أخباره فى الأغاني (ج ١٢ ص ٢) وغوات الوفيات (ج ٢ ص ١٢٧) .
(٢) أى متبلغات بالقليل حتى يصلن اليك .

أو يقال انه متكلف وهو الذي يقول :

قلو كان للشكر شخص يبين * اذا ما تأمله الناظر
لمثلته لك حتى تراه * لتعلم أنى امرؤ شساكر

وجد الرشيد على العتابي فدخل سرا مع المتظلمين بغير اذن . فمئل بين يدي
الرشيد وقال له : يا أمير المؤمنين ، قد آذنتى الناس لك ولنفسى فيك ، وردنى ابتلاؤهم
الى شكرك ، وما مع تذكرك قناعة بغيرك ، ولنعم الصائن لنفسى كنت لو أعاننى عليك
الصبر ، وفى ذلك أقول :

أخضنى المقام الغمر ان كان غرنى * سنا خلب أو زلت القسيمان
أتركنى جديب المعيشة مقترا * وكفاك من ماء الندى تكفان
وتجعلنى سهم المطامع بعد ما * بلك يمينى بالندى ولسانى

فأعجب الرشيد قوله ، وخرج وعليه الخلع ، وقد أمر له بجائزة .

كلم العتابي يحيى بن خالد فى حاجة بكلمات قليلة ، فقال له يحيى : لقد نزر
كلامك اليوم وقل ، فقال له : وكيف لا يقل وقد تكنفى ذل المسألة وحيرة الطلب
وخوف الرد ؟ فقال : والله لئن قل كلامك لقد كثرت فوائده ، وقضى حاجته .

قال يحيى بن خالد البرمكى لولده : ان قدرتم أن تكتبوا أنفاس كلثوم بن عمرو
العتابى فضلا عن رسائله وشعره ، فلن تروا أبدا مثله .

وقف العتابى بباب المأمون يلتمس للوصول اليه ، فصادف يحيى بن أكثم
جالسا ينتظر الاذن ، فقال له : ان رأيت أعزك الله أن تذكر أمرى لأمر المؤمنين اذا
دخلت فافعل ، قال له : لست أعزك الله بحاجبه ، قال : فان لم تكن حاجبا فقد يفعل
مثلك ما سألت ، واعلم أن الله عز وجل جعل فى كل شىء زكاة ، وجعل زكاة المال
رفد المستعين ، وزكاة الجاه اغاثة الملهوف ، واعلم أن الله عز وجل مقبل عليك بالزيادة
ان شكرت ، أو التغيير ان كفرت . وانى لك اليوم أصلح منك لنفسك ، لأنى أدعوك
الى ازدياد نعمتك وأنت تأبى ، فقال له يحيى : أفعل وكرامة ، وخرج الاذن ليحيى ،
فلما دخل لم يبدأ بشىء بعد السلام الا أن استأذن المأمون للعتابى ، فأذن له .

وقيل له : لو تزوجت ، فقال : انى وجدت مكابدة العفة أيسر على من الاحتيال
لمصلحة العيال .

قال دعبيل : ما حسدت أحدا قط على شعر كما حسدت العتابي على قوله :

هيبة الاخوان قاطعة * لأخى الحاجات عن طلبه
فاذا ما هبت ذا أمل * مات ما أملت من سببه

كان العتابي جالسا ذات يوم ينظر فى كتاب ، فمر به بعض جيرانه ، فقال :
أينس ينفع العلم والأدب من لا مال له ؟ فأشدد العتابي قوله :

يا قاتل الله أقواما اذا ثقفوا * ذا اللب ينظر فى الآداب والحكم
قالوا وليس بهم الا نفاسته (١) * أنافع ذا من الاقتار والعدم
وليس يدرون ما الحظ الذى حرموا * - لحاهم الله - من علم ومن فهم

ومن قوله أيضا :

لئن كانت الدنيا أنالتك ثروة * فأصبحت ذا سر وقد كنت ذا عسر
لقد كسف الاثراء منك مخازيا * من اللؤم كانت تحت ستر من الفقر

رقال أيضا :

رحل الرجاء اليك مغتربا * حشدت عليه نوائب الدهر
ردت اليك ندامتى أملى * وثنا اليك عنانه شكوى
وجعلت عتبك عتب موعظة * ورجاء عفوك منتهى أمل

لما سعى منصور النمرى بالعتابى الى الرشيد اغتاط عليه فطلبه ، فستره
جعفر بن يحيى عنه مدة وجعل يستعطفه عليه حتى استل ما فى نفسه وأمنه ، فقال
يمدح جعفر بن يحيى :

ما زلت فى غمرات الموت مطرحا * قد ضاق عني فسيح الأرض من حيل
ولم تزل دائبا تسعى بلطفك لى * حتى اختلست حياتى من يدى أجلى

عاد عبد الله بن طاهر واسحاق بن ابراهيم بن مصعب كلثوم بن عمرو العتابى
فى غلة اعتلها ، فقال الناس : هذه خطرة خطرت ، فبلغ ذلك العتابى ، فكتب الى
عبد الله بن طاهر :

(١) حسده .

قالوا الزيادة خطرة خطر * ويحار بسرك ليس بالخطر
أبطل مقالتهم بثانية * تستفد المعروف من شكرى

فلما بلغت أبياته عبد الله بن طاهر ضحك من قوله وركب هو واسحاق فعاداه
مرة ثانية .

كانت له امرأة من باهلة ، فلما مضى الى رأس عين قالت له : هذا منصوب
النمرى : قد أخذ الأموال فحلى نساءه وبني داره واشترى ضياعا وأنت ههنا كما
ترى ، فأنشأ يقول :

تلوم على ترك الغنى باهلية * ذوى الفقر عنها كل طرف وتائد
رأت حولها النسوان يرفلن فى الثرى * مقلدة أعناقهن بالقلائد
أسرك أنى نلت ما نال جعفر * من العيش أو ما نال يحيى بن خالد
وأن أمير المؤمنين أغصنى * مغصهما بالرهفات البوارد
رايت رقيقات الأمور مشوبة * بمستودعات فى بطون الأساود
دعبنى تجتنى ميتى مطمئنة * ولم أتجشم هول تلك الموارد

لما قدم العتابى مدينة السلام على المأمون أذن له ، فدخل عليه وعنده
اسحاق بن ابراهيم الموصلى ، وكان العتابى شيخا جليلا نبيلًا ، فسلم فرد عليه وأدناه
وقربه حتى قرب منه ، فقبل يده ، ثم أمره بالجلوس فجلس ، وأقبل عليه يسأله عن
حاله وهو يجيبه بلسان ذلق طلق ، فاستظرف المأمون ذلك وأقبل عليه بالمداعبة
والمزاح ، فظن الشيخ أنه استخف به ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لا ينسأس قبل
الابساس (١) ، فاشتبه على المأمون قوله ، فنظر الى اسحاق مستفهما ، فأوما اليه
وغمزه على معناه حتى فهم ، فقال : يا غلام ، ألف دينار ، فأتى بذلك ، فوضع بين يدي
العتابى وأخذوا فى الحديث ، وغمز المأمون اسحاق بن ابراهيم عليه ، فجعل العتابى
لا يأخذ فى شيء الا عارضه اسحاق ، فبقى العتابى متعجبا ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ،
أتأذن لى فى سؤال هذا الشيخ عن اسمه ؟ قال : نعم سل ، فقال لاسحاق يا شيخ ،
من أنت وما اسمك ؟ قال : أنا من الناس واسمى كل بصل ، فتبسم العتابى وقال :
أما أنت فمعروف وأما الاسم فمكرر ، فقال اسحاق : ما أقل انصافك ! أتكرر أن يكون
اسمى كل بصل ، واسمك كلثوم ، وكلثوم من الأسماء ، أو ليس البصل أطيب من
الثوم ؟ فقال له العتابى : لله درك ! فما أحجك ، أتأذن لى يا أمير المؤمنين فى أن أصبئه

(١) الابساس : دعوة الناقة الى الحلب .

بما وصلتني به ؟ فقال المأمون : بل ذلك موفر عليك ونأمر له بمثله : فقال له اسحاق :
أما اذ أقررت بهذه فتوهمني تجدني ، فقال : ما أظنك الا اسحاق الموصلي الذي يتناهي
الينا خبره ، قال : أنا حيث ظننت ، وأقبل عليه بالتحية والسلام ، فقال المأمون - وقد
طال الحديث بينهما - : أما اذ قد انفقتما على المودة فانصرفا متنادمين ، فانصرف
العتابي الى منزل اسحاق فأقام عنده .

قال عثمان الوراق : رأيت العتابي يأكل خبزا على الطريق بباب الشام ،
فعلت له : ويحك ! اما تستحيي ؟ فقال لي : أرأيت لو كنا في دار بها بقر كنت تستحي
وتحتشم ان تأكل وهي تراك ؟ فقال : لا ، قال : فاصبر حتى أعلمك أنهم بقر ، فقام
فوعظ وقص ودعا حتى كثر الزحام عليه ثم قال لهم : روى لنا غير واحد أنه من بلغ
لسانه أرنبة أنفه لم يدخل النار ، فما بقي أحد الا أخرج لسانه يومئذ به نحو أرنبة
أنفه ويقدره حتى يبلغها أم لا ، فلما تفرقوا قال لي العتابي : ألم أخبرك أنهم بقر ؟

قال الفضل : رأيت العتابي بين يدي المأمون وقد أسن ، فلما أراد القيام قام
المأمون فأخذ بيده واعتمد الشيخ على المأمون ، فما زال المأمون ينهضه رويدا رويدا
حتى أقله فنهض .

وكتب كلثوم بن عمرو العتابي الى صديق له يستجديه :
أما بعد - أطال الله بقاءك وجعله يمتد بك الى رضوانه والجنة - فانك كنت عندنا
روضة من رياض الكرم ، تبتهج النفوس بها ، وتستريح القلوب اليها ، وكنا نعفيها
من النجعة (١) استتماما لزهرتها ، وشفقة على خضرتها ، وادخارا لثمرتها ، حتى
أصابتنا سنة كانت عندي قطعة من سني يوسف اشتد علينا كلبها (٢) ، وغابت
قطتها ، وكذبتنا غيومها ، وأخلفتنا بروقها ، وفقدنا صالح الاخوان فيها ، فانتجعتك .
وأنا بانتجاعى اياك شديد الشفقة عليك ، مع علمي بأنك موضع الرائد (٣) ، وأنت
تغطي عين الحاسد . والله يعلم أني ما أعدك الا في حومة (٤) الأهل . واعلم أن الكريم
إذا استحيا من اعطاء القليل ولم يمكنه الكثير ، لم يعرف جوده ولم تظهر همته .
وأنا أقول في ذلك :

إذا تكرمت عن بذل القليل ولم * تقدر على سعة ثم يظهر الجود
بث النوال ولا تمنعك قلته * فكل ما سد فقرا فهو محمود
قيل فشاطره جميع ماله .

(١) النجعة : طلب الكلأ في موضعه .

(٢) انكلب (يفتحتين) : القحط وبلاء الشتاء وعرض يصيب الكلاب .

(٣) الرائد : الطالب .

(٤) الحومة هنا : الجماعة والطائفة .

٣ - دعبل (١)

شاعر متقدم مطبوع هجاء خبيث اللسان ، لم يسلم منه أحد من الخلفاء ولا من وزرائهم ولا أولادهم ولا ذو نباهة أحسن اليه أم لم يحسن ، ولا أفلت منه كبير أو صغير .

وكان دعبل من الشيعة المشهورين بالميل الى على صلوات الله عليه . وقصيدته :
« مدارس آيات خلت من تلاوة » من أحسن الشعر وفاخر المدائح المقولة في أهل البيت عليهم السلام ، وقصد بها أبا علي بن موسى الرضا بخراسان : فأعطاه عشرة آلاف درهم من الدراهم المضروبة باسمه وخلع عليه خلعة من ثيابه ، فأعطاه بها أهل قم ثلاثين ألف درهم ، فلم يبيعها فقطعوا عليه الطريق فأخذوها ، فقال لهم : انها انما تراد لله عز وجل وهي محرمة عليكم ، فدفعوا اليه ثلاثين ألف درهم ، فحلف ألا يبيعها أو يعطوه بعضها ليكون في كفته ، فأعطوه فرد كم ، فان من أكفانه .

قال ابراهيم بن المهدي للمأمون قولا في دعبل يحرضه عليه ، فضحك المأمون .

يا معشر الأجناد لا تقنطوا * وارضوا بما كان ولا تسخطوا
فبوف تعطون حنينة (٢) * يلتذها الأمرد والأشمط
والمعبدات (٣) نقوادكم * لا تدخل الكيس ولا تربط
وهكذا يرزق قواده * خليفة مصحفه البربط
قد ختم الصك بأرزاكم * وصحح العزم فلا تسخطوا
بيعة ابراهيم مشئومة * يقتل فيها الخلق أو يقحطوا

(١) هو دعبل بن علي بن رزين من خزاعة ، أصله من الكوفة وجاء بغداد بطلب من الرشيد . وهو شاعر مطبوع هجاء خبيث اللسان ، لم يسلم منه أحد من الخلفاء ولا وزرائهم ولا أولادهم ولا ذو نباهة أحسن اليه أو لم يحسن ، ولا أفلت منه كبير أو صغير ، فكان الناس يخافونه ويتقونه حتى المأمون فانه هجاء شديدا واحتمل ذلك منه . توفي سنة ٢٤٦ هـ . وتجد أخباره في الأغاني ج ١٨ ص ٢٩ وابن خلكان ج ١ ص ١٧٨ والشعر والشعراء ص ٥٣٩ والفهرست (ص ١٦١) .

(٢) يريد أصواتا منسوبة الى حنين الجوى المغنى .

(٣) يريد أصواتا منسوبة الى معبد المغنى .

فقال له ابراهيم : فقد والله هجاك أنت يا أمير المؤمنين ، فقال : دع هذا عنك فقد عفوت عنه في هجائه اياي لقوله هذا ، وضحك . ثم دخل أبو عباد ، فلما رآه المأمون من بعد قال لابراهيم : دعبل يجسر على أبي عباد في الهجاء ويحجم عن أحد ! فقال له : وكأن أبا عباد أبسط يدا منك يا أمير المؤمنين ، قال : لا ! ولكنه حديد جاهل لا يؤمن ، وأنا أحلم وأصفح ، والله ما رأيت أبا عباد مقبلا الا أضحكني قول دعبل فيه :

أولى الأمور بضیعة وفساد * أمر يدبره أبو عباد
خرق على جلسائه فكانهم * حضروا للحمية ويوم جلال
يسطو على كتابه بنواته * فمضغ بدم ونضج مداد
وكانه من دير هرقل مفلت * حرد يجر سلاسل الأقياد
فاشدد أمير المؤمنين وثاقه * فاصح منه بقية الحداد

وكان « بقية » هذا مجنونا في البیمارستان .

قال أبو خالد الخزاعي لدعبل : ويحك ! قد هجوت الخلفاء والوزراء والقواد وورثت الناس جميعا ، فأنت دهرج كله شريد طريد هارب خائف ، فلو كفت عن هذا وصرفت هذا الشر عن نفسك ! فقال : ويحك ! اني تأملت ما تقول فوجدت أكثر الناس لا ينتفع بهم الا على الرهبة ، ولا يبالي الشاعر وان كان مجيذا اذا لم يخف شره ، ولين يتقيك على عرضه أكثر ممن يرغب اليك في تشريفه ، وغيوب الناس أكثر ممن محاسنهم ، وليس كل من شرفته شرف ، ولا كل من وصفته بالجود والمجد والشجاعة ولم يكن ذلك فيه انتفع بقولك ، فاذا رأيك أوجعت عرض غيره وفضحتك اتقاك وخاف من مثل ما جرى على الآخر ، ويحك يا أبا خالد ! ان الهجاء المقذع آخذ بضبع الشاعر من المديح المضرع ، فضحك أبو خالد وقال : هذا والله مقال من لا يموت جتف أنفه .

كان سبب خروج دعبل من الكوفة أنه كان يتشطر ويصحب الشطار ، فخرج هو ورجل من أشجع فيما بين العشاء والعتمة ، فجلسا على طريق رجل من الصيارفة ، وكان يروح كل ليلة بكيسه الى منزله ، فلما طلع مقبلا اليهما وثبا اليه فجرحاه وأخذا ما في كفه ، فاذا هي ثلاث رمانات في خرقة ، ولم يكن كيسه ليتلذذ معه ، ومات الرجل مكانه ، واستتر دعبل وصاحبه وجد أولياء الرجل في طلبهما وجد السلطان في ذلك ، فطال على دعبل الاستتار فاضطر الى أن هرب من الكوفة ، فما دخلها حتى لم يبق من أولياء الرجل أحد .

قال أحمد بن خالد : كنا يوما بدار صالح بن علي من عبد القيس ببغداد ومعنا جماعة من أصحابنا ، فسقط على سطح البيت ديك طار من دار دعبل ، فلما رأيناه

قلنا : هذا صيدنا ، فأخذناه ، فقال صالح : ما تصنع به ؟ قلنا : نذبحه ، فذبحناه وشويناه . وخرج دعبل فسأل عن الديك فعرف أنه سقط في دار صالح ، فطلبه منا فوجدناه وشربنا يومنا ، فلما كان من الغد خرج دعبل فصلى الغداة ثم جلس على باب المسجد - وكان ذلك المسجد مجمع الناس يجتمع فيه جماعة من العلماء وينتابهم الناس - فجلس دعبل على باب المسجد وقال :

أسر المؤذن صالح وضيوفه * أسر الكمي هفا خبال الماقط
بعثوا عليه بنيهم وبناتهم * من بين ناتفة وآخر سامط
يتنازعون كأنهم قد أوثقوا * خاقان أو هزموا قبائل ناعط (١)
نهشوه فانتزعت له أسنانهم * وتهشمت أقفاؤهم بالحائط

فكتبها الناس عنه ومضوا ، فقال لي أبي ، وقد رجع إلى البيت : ويحكم ! ضاقت عليكم المأكول فلم تجدوا شيئا تأكلونه سوى ديك دعبل ! ثم أنشدنا الشعر ، وقال : لا تدع ديكا ولا دجاجة تقدر عليه إلا اشتريته وبعثت به إلى دعبل والا وقعنا في لسانه ، ففعلت ذلك .

قال أحمد بن أبي كامل : كان دعبل ينشدني كثيرا هجاء له ، فأقول له فيمن هذا ؟ فيقول ما استحقه أحد بعينه بعد ، وليس له صاحب ، فإذا وجد على رجل جعل ذلك الشعر فيه وذكر اسمه في الشعر .

كان دعبل يختلف إلى الفضل بن العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث ، وهو خرجه وفهمه وأدبه ، فظهر له منه جفاء وبلغه أنه يعيبه ويذكره وينال منه ، فقال يهجوهُ :

يا بؤس للفضل لو لم يأت ما عابه * يستفرغ السم من صماء قرضابه
ما أن يزال وفيه الغيب يجمعه * جهلا لأعراض أهل المجد عيابه
أن عابني لم يعيب إلا مؤدبه * ونفسه عاب لا عاب أدابه
فكان كالكلب ضراه مكبله * لغيره فعدا فاصطاد كلابه

كان دعبل يقول : ما كانت لأحد قط عندي مئة إلا تمنيت موته .
كتب دعبل إلى أبي نهشل بن حميد الطوسي قوله :

(١) قبيلة من همدان ، وأصله جيل نزلوا به فنسبوا إليه .

انما العيش في منادمة الاخوا * ن لا في الجلوس عند الكعاب
وبصرف كأنها ألسن البر * ق اذا استرضت رقيق السحاب
ان تكونوا تركتم لذة العي * ش حذار العقاب يوم العقاب
فدعوني وما ألد وأهوى * وادفعوا بي في صدر يوم الحساب

قال محمد بن زكريا الفرغاني : سمعت دعبلًا يقول في كلام جرى « ليسك ،
فأنكرته عليه ، فقال : دخل زيد الخيل على النبي ﷺ فقال له : « يا زيد ما وصف لي
رجل إلا رأيته دون وصفه ليسك » يريد غيرك *

قال عمرو بن مسعدة : حضرت أبا دلف عند المأمون وقد قال له المأمون : أي شيء
نروي لأخي خزاعة يا قاسم ؟ فقال : وأي أخى خزاعة يا أمير المؤمنين ؟ قال : ومن
تعرف فيهم شاعرا ؟ فقال : أما من أنفسهم فأبو الشيص ودعبل وابن أبي الشيص
وداود بن أبي رزين ، وأما من مواليتهم فتاهر وابنه عبد الله ، فقال : ومن عسى من
هؤلاء أن يسأل عن شعره سوى دعبل ! هات أي شيء عندك فيه ، فقال : وأي شيء أقول
في رجل لم يسلم عليه أهل بيته حتى هجاهم ، فقرن أحسانهم بالأساءة وبذلهم بالمنع
وجودهم بالبخل ، حتى جعل كل حسنة منهم بازاء سيئة منه ، قال : حين يقول ماذا ؟
قال : حين يقول في المطلب بن عبد الله بن مالك ، وهو أصدق الناس له وأقربهم
منه ، وقد وفد إليه الى مصر فأعطاه الجزيل وولاه ، ولم يمنعه ذلك أن قال فيه :

اضرب ندى طلحة الطلحات متدا * بلؤم مطلب فينا وكن حكما
تخرج خزاعة من لؤم ومن كرم * فلا تحس لها لؤما ولا كرما

فقال المأسون : قاتله الله ! ما أغوصه وألفه وأدهاه ، وجعل يضحك * ثم دخل
عبد الله بن طاهر فقال : أي شيء تحفظ يا عبد الله لدعبل ؟ فقال : أحفظ أبياتا له
في أهل بيت أمير المؤمنين ، قال : هاتها ويحك ! فأنشده :

سقيا ورعيا لأيام العبابات * أيام أرفل فبي أثواب
أيام غصني رطيب من ليانته * أصبو الى غير جارات وكنات
دع عنك ذكر زمان فات مطلبه * واقذف برحاك عن متن الجهالات
واقصد بكل مديح أنت قائله * نحو الوداة بني بيت الكرامات

فقال المأسون : انه قد وجد والله مقالا فقال ، ونال ببعيد ذكرهم مالا يناله في
وصف غيرهم *

رهن قول دعبيل وفيه غناء :

أين السباب واية سلكا * لا أين يطلب ضل من هلكا
لا تعجبي يا مسلم من رجل * ضحك المشيب برأسه فبكي
يا ليت شعري كيف يومكما * يا صاحبي اذا دمي سفكا
لا تأخذوا بظلامتي أحدا * قلبي وطرفي في دمي اشتركا

قال ابراهيم بن المدبر : لقيت دعبيل بن علي فقلت له : أنت أجسر الناس
عندي وأقدمهم حيث تقول :

انى من القوم الذين سيوقهم * قتلت أخاك وشرفتك بمقعد
رفعوا محلك بعد طول خموله * واستنقلوك من الخفيض الأوهده

وأولها :

أخذ المشيب من الشباب الأئيد * والنائبات من الأنام بهرصد
فقال : يا أبا اسحاق ، أنا أحمل خشبتي منذ أربعين سنة ، فلا أجد من
يصلبني عليها .

كان دعبيل يخرج فيغيب سنين يدور الدنيا كلها ويرجع وقد أفاد وأثرى ، وكانت
الشراة والصعاليك يلقيونه فلا يؤذونه ويؤاكلونه ويشاربونه ويبرون به ، وكان
إذا لقيهم وضع طعامه وشرابه ودعاهم اليه ودعا بخلاميه : نفتف وشعف ، وكانا
مغنيين ، فأقعدهما يغنيان وسقاهاهم وشرب معهم وأنشداهم ، فكانوا قد عرفوه وألفوه
لكثرة أسفاره ، وكانوا يواصلونه ويصلونه . وأنشد دعبيل لنفسه في بعض
أسفاره :

حلت محلا يقصر البرق دونه * ويعجز عنه الطيف أن يتجشما

قال البحتري : دعبيل بن علي أشعر عندي من مسلم بن الوليد ، لأن كلام دعبيل
أدخل في كلام العرب من كلام مسلم ، ومذهبه أشبه بمذاهبهم ، وكان يتعصب له .
كان المعتصم يبغض دعبلا لطول لسانه . وبلغ دعبلا أنه يريد اغتياله وقتله ،
فهرب الى الجبل ، وقال يهجو :

بكي لشتات الدين مكتئب صب * وفاض بفرط اللمع من عينه غروب
وقام امام لم يكن ذا هداية * فليس له دين وليس له لب

وما كانت الأنبياء تأتي بمثله * يملك يوما أو تدين له العرب
ولكن كما قال الدين تتابعوا * من السلف الماضين اذ عظم الخطب
ملوك بني العباس في الكتب سبعة * ولم تأتنا عن ثامن لهم كتب
كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة * خيار اذا عبدوا وثامنهم كلب
وانى لأعلى كلبهم عنك رفعة * لأنك ذو ذنوب وليس له ذنب
لقد ضاع ملك الناس اذ ساس ملكهم * وصيف وأشناس وقد عظم الكرب
وفضل بن مروان يثلم ثلثة * يظل لها الاسلام ليس له شعب

لما مات المعتصم قال محمد بن عبد الملك الزيات يرثيه :

قد قلت اذ غيبوه وانصرفوا * في خير قبر لخير مدفون
لسن يجبر الله أمة فقلت * مثلك الا بمثل هارون

فقال دعبل يعارضه :

قد قلت اذ غيبوه وانصرفوا * ففى شر قبر لشر مدفون
اذهب الى النار والعذاب فما * خلقتك الا من الشياطين
مازلت حتى عقدت بيعة من * أضر بالمسلمين والدين
وقال فى ذلك وفى قيام الوراق :

الحمد لله لا صبر ولا جلد * ولا عزاء اذا أهل البلاء وقلوا
خليفة مات لم يحزن له أحد * وآخر قام لم يفرح به أحد

ولقد أحسن فى وصف سفر سافره ، فطال ذلك السفر عليه ، فقال فيه :

ألم يأن للسفر الذين تحملوا * الى وطن قبل الممات رجوع
فقلت ولم أملك سوابق عبدة * نطقن بما ضمت عليه ضلوع
تبين فكم دار تفرق شملها * وشمل شتيت عاد وهو جميع
كذاك الليالى صرفهن كما ترى * لكل أناس جلدبة وريبع

ثم قال : ما سافرت قط الا كانت هذه الأبيات نصب عيني فى سفرى
وهجيراي ومسليتى حتى أعود .

ومن قول دعبل وفيه غناء :

سرى طيف ليلي حين آن هبوب * وقضيت شوقا حين كاد يلدوب
فلم أر مطروقا يحل برحلة * ولا طارقا بقسرى المنى ويشيب

ومن قوله :

لقد عجبت سلمى وذاك عجيب * رأت بى عجلته خطوب
وما شيبتنى كبرة غير أننى * بدهر به رأس الفطيم يشيب

وقال فى صالح بن عطية الأضجم وكان من أقبح الناس وجهها ، وخاطب فيها
المعتصم :

قل للامام امام آل محمد * قول امرئ حذب عليك محام
أنكرت أن تفتقر عنك صنعة * فى صالح بن عطية الحجام
ليس الصنائع عنده بصنائع * لكنهن طوائف الاسلام
اضرب به جيش العدو فانه * جيش من الطاعون والبرسام

قال أبو تمام : ما زال دعبل مائلا الى مسلم بن الوليد مقرا باستاذيته ، حتى
ورد عليه بجرجان فجفاه مسلم ، وكان فيه بخل ، فهجره دعبل وكتب اليه :

أبا مخلد كنا عقيدى مودة * هوانا وقلباننا جميعا معسا معا
أحوطك بالغيب الذى أنت حائطى * وأجزع أشفاقا من ان تتوجعا
فصيرتنى بعد انتكائك متهما * لنفسى عليها أرهب الخلق أجمعا
غششت الهوى حتى تداعت اصوله * بنا وابتذلت الوصل حتى تقطعا
وأنزلت من بين الجوانح والحشى * ذخيرة ود طاملا قد تمنعنا
فلا تلحينى ليس لى فيك مطمع * تخرقت حتى لم أجد لك مرقعا
فهبك يمينى استأكلت فقطعتها * وجشمت قلبى صبره فتشجعنا

ثم تهاجرا فما التقيا بعد ذلك .

أجرى الرشيد على دعبل رزقا سنيا ، فكان أول من حرضه على قول الشعر .
فوالله ما بلغه أن الرشيد مات حتى كافأه على فعله من العطاء السننى والغنى بعد الفقر
والرفعة بعد الخمول بأقبح مكافأة ، وقال فيه يهجو من قصيدة مدح بها أهل البيت
عليهم السلام :

وليس حي من الأحياء نعلمه * من ذى يمان ومن بكر ومن مضر
 الا وهم شركاء فى دمائهم * كما تشارك أيسار على جزر
 قتل وأسر وتحريق ومنهبة * فعل الغزاة بأرض الروم والخزر
 أرى أمية معنورين ان قتلوا * ولا أرى لبنى العباس من عذر
 اربع بطوس على القبر الزكى اذا * ما كنت نربع من دين على وطر
 قبران فى طوس خير الناس كلهم * وقبر شرم هذا من العبر
 ما ينفع الرجس من قرب الزكى ولا * على الزكى بقرب الرجس من ضرر
 هيهات ، كل امرئ رهن بما كسبت * له يداه فخذ ما شئت أو فذر

١٢

استدعى بعض بنى هاشم دعبلا وهو يتولى للمعتصم ناحية من نواحي الشام ،

فقصده اليها فلم يقع منه بحسن ظن وجفاء ، فكتب اليه دعبل :

دليتنى بغرور وعدك فى * متلاطم من حومة الغسق
 حتى اذا شمت العدو وقد * شهر انتفاصك شهرة البلق
 انشات تحلف ان ودك لى * صاف وحبك غير منخلق
 وحسبتنى فقعا بقرقرة * فوطتتى وطئا على حنق
 ونصبتنى علما على غرض * ترميننى الأعداء بالحق
 وظننت أرض الله ضيقة * عنى وأرض الله لم تفسق
 من غير ما جرم سوى ثقة * منى بوعدك حين قلت ثق
 ومودة تحنوا عليك بها * نفسى بسلا من ولا ملق
 فمتى سالتك حاجة ابدا * فاشدد بها قفلا على غلق
 وقف الاخاء على شفا جرف * هار فبعه بعة الخلق
 وأعد لى قفلا وجامعة * فاشدد يدي بها الى عنقى
 أعفك مما لا تحب بها * واسدد على مذاهب الأفق
 ما أطول الدنيا وأعرضها * وأدلى بمسالك الطرق

دخل دعبل على عبد الله بن طاهر فأنشده وهو ببغداد :

جئت بلا حرمة ولا سبب * اليك الا بحرمة الأدب
 فاقض ذمامى فانتى رجل * غير ملح عليك فى الطلب

فانتقل عبد الله ودخل الحرم ووجه اليه بصرة فيها ألف درهم ، وكتب اليه :

أعجلتنا فأناك عاجل برنا * ولو انتظرت كثيره لم يقلل
فخذ القليل وكن كأنك لم تقل * وتكون نحن كأننا لم نفعل

مات دعبل بقرية من قرى السوس ، بعث اليه مالك بن طوق من ضرب ظهره
بعكاز لها زج مسموم فمات من غد .

٤ - حسين بن الضحاك (١)

« شاعر (٢) ظريف شديد الظرف ، ربما انقطع نظيره في شعراء العصر العباسي كله ، وهو مع ظرفه واسرافه في المجون ، قليل الفحش في اللفظ . غير متهالك على القول الآثم والألفاظ المنكرة ، لا يتخيرها ولا يقصد اليها ، وانما يعرض لها اذا اضطر اليها اضطرارا وهو على ظرفه ورقة حاشيته وحرصه على نقاء اللفظ وطهره شاعر بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة ، مجود اذا فكر ، مظفر اذا بحث ، موفق الى اللفظ المتين ، والأسلوب الرصين في غير جفوة ولا غلظة ، لا يعرف التكلف في لفظ ولا معنى ، وانما ينطلق لسانه مع سجيته ، وسجيته سهلة مرسله غنية غزيرة المادة ، لا تكاد تنضب ، ولا ينالها اعياء أو كلال ، وحياته كلها عبر وعظات ولكنها عبر وعظات مبتسمة ليست بالمظلمة ولا العابسة ولا بالتي تردك وتنفرك ، وتجعل للحزن والأسى الى قلبك سبيلا ، ولعلك لاتجد من شعراء هذا العصر رجلا مثله ، تقرأ أخباره فتظن مبتسما منذ تبتدىء الى أن تنتهى دون أن تعبس أو تقطب . وربما تجاوزت الابتسام الى الاغراق في الضحك من حين الى حين ، ولكنك لن تترك الابتسام الى الحزن الشديد . وربما اعترضتك في طريقك سحابة محزنة ولكن هذه السحابة رقيقة هادئة هبنة ، فهي أضعف من أن تزيل ابتسامتك . وكان هذا الشاعر من المحمرين ، بلغ

(١) هو مولى باهلة ، ولد في البصرة ونشأ فيها ونادم الخلفاء من بني العباس ، وكان خليعا فاسدا وكان مع ذلك حسن التصرف في النظم ولشعره قبول ورونق ، فهو من المتقنين وله معان جديدة في الخمر كان أبو نواس يأخذها عنه ، ومع أن أبا نواس مات سنة ١٦٨ هـ ، والضحاك مات سنة ٢٥٠ هـ فقد تعاصرا لأن مولدهما متقارب لأن ابن الضحاك عمر كثيرا . وهو أول من نادى الأمين وله فيه مدائح كثيرة ، وعمر عمرا طويلا حتى قارب مائة السنة ومات في خلافة المستعين أو المنتصر . وتجد أخباره في الأغاني (ج ٦ ص ١٧٠) وابن خلكان (ج ١ ص ١٥٤) .

(٢) من بحوث صديقي الدكتور طه حسين أستاذ الآداب العربية بالجامعة المصرية .

المائة أو كاد ، وعاصر طبقات من الشعراء ، وألوانا من حاشية الخلفاء ، ولكنه ظل محتفظا بشخصيته الوداعة المبتسمة ، تغير الناس واختلفت الظروف ، وظل هو واحدا لم يتغير . كان خليعا ، بل كان يعسرف بالخليع ، وكان كثير المجون مسرفا فيه ، وما أحسب أن أبا نواس سبقه إلى لذة أو يبرز عليه في مأثم ، ولكنه على خلاعته واسرائه في المجون وتهالكه على اللذات ، احتفظ طول حياته بشيء من كرم الخلق وطهارة العنصر وجودة الأصل ، كأنما كانت هذه اللذات والآثام تنزل على نفسه وأخلاقه انزلاقا دون أن تترك فيها أثرا باقيا ، وانما كانت الآثار التي تتركها لياليه الساهرة ، وأيامه المملوءة بالعبث ، هذه الأشعار الجميلة الحلوة التي سأظهرك على طرف منها .

فلم يكن هذا الرجل كغيره من الشعراء الذين انما كانوا يصلون إلى الخلفاء بعد الجهد والكد ، وبعد التلطف وحسن الحيلة ، وانما كان متصلا بالخلفاء اتصالا شديدا ، يعاشرهم ويرافقهم ويتدخل في حياتهم الخاصة ، وربما تدخل إلى أكثر مما ينبغي . وكان الخلفاء يبحثون عنه ، ويحرصون على عشرته ويبدلون في ذلك غير قليل من الإلحاح والعطاء ، وكان شعره كله أو أكثره مرآة لحياة القصر في أيام طائفة غير قليلة من الخلفاء .

فنرى من هذا الوصف أنه شاعر أديب ظريف مطبوع ، حسن التصرف في الشعر حلو المذهب ، لشعره قبول ورونق صاف ، وكان أبو نواس يأخذ معانيه في الخمر فيغير عليها ، وإذا شاع له شعر نادر في هذا المعنى نسبته للناس إلى أبي نواس ، وله معان في صفتها أبدع فيها ، وهاجى مسلم بن الوليد فانتصف منه ، وله شزل كثير جيد ، وهو من المطبوعين الذين تخلو أشعارهم ومذاهبهم جملة من التكلف .

قال : أنشدت أبا نواس قصيدتي التي قلتها في الخمر وهي :

بدلت من نفحات الورد بالآء (١) * ومن صبوحك در الابل والشاء

فلما انتهيت منها إلى قولي :

حتى إذا أسندت في البيت واحتضرت * عند الصبوح ببسامين اكفاء
فيضت خواتيمها في نعت واصفها * عن مثل رقاقة في جفن مرهء (٢)

(١) الآء : ثمر شجر واجدته آءة .

(٢) المرهء : التي لا تكتحل .

فصعق صعقة أفزعتنى وقال : أحسنت والله يا أشفر ، فقلت : ويلك يا حسن ،
 إنك أفزعتنى والله ، فقال : بلى والله أنت أفزعتنى ورعتنى ، هذا معنى من المعانى التى
 كان فكرى لا يد أن ينتهى إليها أو أغوص عليها وأقولها ، فسبقتنى إليه واختلسته منى ،
 وستعلم لمن يروى ألى أم لك ؟ فكان والله كما قال ، سمعت من لا يعلم يروىها له .

لما قدم المأمون من خراسان أمر بأن يسمى له قوم من أهل الأدب ليجالسوه
 ويسامروه ، فذكر له جماعة فيهم الحسين بن الضحاك ، وكان من جلساء محمد
 المخلوع ، فلما رأى اسمه قال : أليس هو الذى يقول فى محمد :

هلا بقيت لسيد فاقتنا * أبدا وكان لغريك التلف
 فلقد خلفت خلائفا سلفوا * ولسوف يعوز بعدك الخلف

لا حاجة لى فيه ، والله ولا يرانى أبدا الا فى الطريق ، ولم يعاقب الحسين
 على ما كان من هجائه له وتعريضه به ، وانحدر حسين الى البصرة فأقام بها طول
 أيام المأمون .

قال أبو صالح بن الرشيد : دخلت يوما على المأمون ومعى بيتان
 للحسين بن الضحاك ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، أحب أن تسمع عنى بيتين ، فقال :
 أنشدتهما ، فأنشدتهما :

حمدنا الله شكرا اذ حبانا * بنصرك يا أمير المؤمنيننا
 فانت خليفة الرحمن حقا * جمعت سماحة وجمعت ديننا

فقال : لمن هذان البيتان ؟ فقلت : لعبدك يا أمير المؤمنين حسين بن الضحاك ،
 قال : قد أحسن ، فقلت : وله يا أمير المؤمنين أجود من هذا فقال : وما هو ؟
 فأنشدته قوله :

أجرنى فانى قد ظمئت الى الوعد * متى تنجز الوعد المؤكد بالعهد
 أعيدك من خلف الملوك وقد بدا * تقطع أنفاس عليك من الوجع
 أيبخل فرد الحسن عنى بنائل * قليل وقد أفردته بهوى فرد
 رأى الله عبد الله خير عباده * فملكه والله أعلم بالعباد
 ألا انهما المأمون للناس عصمة * مميزة بين الضلالة والرشاد

فأطرق ساعة ثم قال : ما تطيب نفسى له بخير بعد ما قال فى أخى محمد ما قال .

ومن قوله يرثي محمدا الأمين :

أطل حزنا وابك الامام محمدا * بحزن وان خفت الحسام المهندا
فلا تمت الأشياء بعد محمد * ولا زال شمل الملك منها مبددا
ولا فرح المأمون بالملك بعده * ولا زال في الدنيا طريدا مشردا

ولحسن في محمد الأمين مرات كثيرة جياذ ، وكان كثير التحقق به والموالة له
لذكرة أفضاله عليه ، وميله اليه ، وتقديمه اياه ، وبلغ من جزعه عليه أنه خولط فكان
ينكر قتله لما بلغه ويدفعه ويقول : انه مستتر وأنه قد وقف على دعااته في الأمصار
يدعون الى مراجعة أمره والوفاء ببيعته ضنا به وشفقة عليه .

ومن جيد مرثيه اياه قوله :

سألونا أن كيف نحن فقلنا * من هوى نجهه فكيف يكون ؟
نحن قوم أصابنا حدث الدهر * فر فقلنا لربيه نستكين
نتمنى من الأمين اياها * لهف نفسي وأين مني الأمين

ومن جيد قوله في مرثيه اياه :

أعزى يا محمد عنك نفسي * معاذ الله والأيدى الجسام
فهل مات قوم لم يموتوا * ودفع عنك لي يوم الحمام
كان الموت صادق منك غنما * أو استشفى بقربك من سقام

وقال أيضا يرثيه :

يا خير اسرته وان زعموا * انى عليك لثبت اسف
الله يعلم أن لي كبدا * حرى عليك ومقلة تكف
ولئن شجيت بما رزئت به * انى لأضمم فوق ما أصف
هلا بقيت لسد فافتنا * أبدا وكان لغيرك التلف
فلقد خلفت خلائفا سلفوا * ولسوف يعوز بعدك الخلف
لأ بات رهطك بعد هفوتهم * انى ترهطك بعدها شنف (١)

(١) مبغض متنكر .

هتكوا بحرمتك التي هتكت	* حرم الرسول ودونها السجف
وثبت أقاربك التي خذلت	* وجميعها بالذل معترف
لم يفعلوا بالشط اذ حضروا	* ما تفعل الغيرة الأنف
تركوا حريم أبيهم نفلا	* والمحصنات صوارخ هتف
أبدت مخلخلها على دهش	* أبكارهن ورنست النصف
سلبت معاجرهن (١) واجتليت	* ذات النقاب ونوزع الشنف
فكأنهن خلال منتهب	* در تكشف دونه الصدف
ملك تخون ملكه قدر	* فوهى وصرف الدهر مختلف
هيات بعدك أن يدوم لنا	* عز وأن يبقى لنا شرف
لا هيبوا صحفا مشرقة	* للغادرين تحتها الجدف
أبعد عهد الله تقتله	* والقتل بعد أمانة سرف
فستعرفون غدا بعاقبة	* عز الاله فأوردوا وقفوا
يا من يخون نومه أرق	* هدت الشجعون وقلبه لهف
قد كنت لي أملا غنيت به	* فمضى وحل محله الأسف
مرج النظام وعاد منكرنا	* عرفا وأنكر بعدك العرف
فالشمل منتشر لفقدك والـ	* دنيا سدى والبال منكسف

وقال أيضا يرثيه :

إذا ذكر الأمين نعى الأمينا	* وان رقد الخلى حمى الجفونا
وما برحت منازل بين بصرى	* وكلواذى تهيج لي شجعونا
عراص الملك خاوية تهادى	* بها الأرواح تنسجها فنونا
تخون عز ساكنها زمان	* تلعب بالقسرون الأولينا
فشتت شملهم بعد اجتماع	* وكنت بحسن الفتهم ضينا
فلم أر بعدهم حسنا سواهم	* ولم ترهم عيون الناظرينا
فؤاسفا وان شمت الأعادى	* وآه علي أمير المؤمنيننا
أضل العرف بعدك متبعوه	* ورفه عن مطايا الراغبينا

(١) جمع معجر بالكسر وهو ثوب تعتجر به المرأة أى تشده على رأسها .

وكن الى جنسابك كل يوم * يرحن على السعود ويقتدينا
هو الثجيل الذي هوت المعالي * لهدهته وريبع الصالحونا
ستندب بعدك الدنيا جوارا * وتندب بعدك الدين المصونا
فقد ذهبت بشاشة كل شيء * وعاد الدين مطروحا مهينا
تعقد (١) عز متصل بكسرى * وملته وذل المسلمونا

وقال أيضا يرثيه :

أسفا عليك سلاك أقرب قربة * منى وأحزاني عليك تزيده

قال أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي : حسين بن الضحاك أشعر المحدثين
حيث يقول :

أى دياجة حسن * هيجت لوعة حزنى
أذ رمانى القمر الزا * هر عن فترة جفن
بأبى شمس نهار * برزت فى يوم دجن
قربتنى بالنسى حة * سى اذا ما أخلفتنى
تركتنى بين ميعا * د وخلف وتجن
ما أرى فى من الصب * سوة الا حسن ظنى
انما دامت على الغد * ر لما تعرف منى
أستعيد الله من اعرا * ض من أعرض عنى

لما ولى المعتصم أمر بمكاتبته بالقدوم عليه ، فلما دخل وسلم استأذنه فى
الإنشاد ، فأذن له ، فأنشده قوله :

هلا سألت تلذذ المشتاق * ومننت قبل فراقه بتلاق
ان الرقيب ليستريب تنفسا * صعدا اليك وظاهر الاقلاق
ولئن أربت لقد نظرت بمقلة * عبرى عليك سبخينة الآماق
نفسى الفداء لخائف مترقب * جعل الوداع اشارة بعناق
اذ لا جواب لفحسم متحير * الا الدموع تصمان بالاطراق

(١) استحكم .

حتى انتهى الى قوله :

خير الوفود مبشر بخلافة * خصت ببهجتها ابا اسحاق
وافته في الشهر الحرام سليمة * من كل مشكلة وكل شقاق
أعطته صفقتها الضمائر طاعة * قبل الألف بأوكد الميثاق
سكن الأنام الى امام سلامة * عف الضمير مهذب الأخلاق
فحمى رعيته ودافع دونها * وأجار مملقها من الإملاق

حتى أتمها ، فقال له المعتصم : ادن مني ، فدنا منه ، فملأ فمه جوهرا من جواهر
كان بين يديه ، ثم أمره بأن يخرج من فمه ، فأخرجه وأمر بأن ينظم ويدفع اليه
ويخرج الى الناس وهو في يده . ليعلموا موقعه من رأيه ، ويعرفوا فضله ، فكان
أحسن ما مدح به يومئذ .

ومن شعره قوله :

أمين الله ثقي بالله * له تعطى الصبر والنصره
كل الأمر الى الله * كلاك الله ذو القدره
لنا النصر بعون الله * والكبرة لا الفـره
وللمراق أعداء * لك يوم السوء والديـره
وكأس تلفظ المـوت * كربه طعمها مره
سـقـلـونا وسـبـقـيناـهم * ولكن بهم الحره
كذلك الحرب أحيانا * علينا ولنـا مره

ومن قوله في غضب حظية للوائق من زيارته أخرى في نوبتها :

غضبت أن زرت أخرى خلصة * فلها العتي لدينا والرضا
يا فـدـتـك النفس كانت هفوة * فاغفريها واصفحي عما مضى
واتركي العدل على من قاله * وانسبي جورى الى حكم القضا
فلقد نبهتني من رقدتي * وعلى قلبي كثيران الغضا

كان اللوائق يتحظى بجارية له فماتت ، فجرع عليها وترك الشراب أياما ، ثم
سلاها وعاد الى حاله ، فدعا الحسين ليلة وقال له : رأيت فلانة في النوم فليت نومي
كان طال قليلا لأتمتع بـلقائـها ، فقل في هذا شيئا ، فقال :

ليت عين الدهر عنا غفلت * ورقيب الليل عنا رقدا
 وأقام النجوم في مدته * كالذي كان وكنا أبدا
 يابى زور تلفست له * اذ تقطعت عليه كبدا
 بينما أضحك مسرورا به * فتنفست اليه الصعدا

لما أعيته الحيلة في رضا المأمون عنه رمى بأمره الى عمرو بن مسعدة وكتب اليه :

أنت طودي من بين هذى الهضاب * وشهابي من دون كل شهاب
 أنت يا عمرو قوتي وحياتي * ولساني وأنت ظفري ونابي
 أترانى أنسى أياديك اليه * ض اذا اسود نائل الأصحاب
 أين أخلاقك الرضية حالت * في أم أين رقة الكتاب ؟
 أنا في ذمة السحاب وأظما ؟ * ان هذا لوصمة في السحاب
 قم الى سيد البرية عنى * قومة تستجر حسن الخطاب
 فعمل الاله يطفى عنى * بك نارا على ذات التهاب

فلم يزل عمرو يلفظ للمأمون حتى أوصله اليه وأدر أرزاقه .

ولما عفا المأمون عنه أمر بأحضاره ، فلما حضر سلم ، فرد عليه السلام ردا
 جافيا ، ثم أقبل عليه فقال : أخبرني عنك ، هل عرفت يوم قتل أخى محمد هاشمية
 قتلت أو هتكت ؟ قال : لا ، قال : فما معنى قولك :

وسرب طباء من ذؤابة هاشم * هتفن بدعوى خير حى وميت
 أرد يدا منى اذا ما ذكرته * على كبد حمرى وقلب مفتت
 فلا بات ليل الشامتين بغبطة * ولا بلغت آمالهم ما تمنى

فقال : يا أمير المؤمنين ، لوعة غلبتني ، وروعة فاجأتني ، ونعمة فقدتها بعد أن
 غمرتني ، واحسان شكرته فأنقطنى ، وسيد فقدته فأقلقنى ، فان عاقبت فبحقك ،
 وإن عطفك فبفضلك ، فدمعت عينا المأمون وقال : قد عفوت عنك ، وأمرت بادرار
 رزقك ، وأعطاك ما فات منه ، وجعلت عقوبتك امتناعى من استخدامك .

ومن قوله :

وكالوردة الحمراء حيا باحمر * من الورد يمشى فى قراطق كالورد

له عبثات عند كل تحية * بعينه تستبغى الحليم الى الوجد
 تمنيت ان اسقى بكفيه شربة * تذكرنى ما قد نسيت من العهد
 سقى الله دهره لم ابت فيه ليلة * خليا ولكن من حبيب على وعد

ومن قوله :

واباى مفحم لعزته * قلت له اذ خلوت مكتما
 تحب بالله من يخصك بالـ * سود فما قال لا ولا نعمما
 ثم تولى بمقلتي خجل * اراد رجع الجواب فاحتشما
 فكنت كالمبتغى بحيلته * براء من السقم فابتدا سقما

وقال فى هوى له :

عالم بحبيبه * مطرق من التيه
 يوسف الجمال وفر * عون فى تعديه
 لا وحق انا فيه * له من عطف ارجيه
 ما الحياة نافعة * لى على تاييه
 النعيم يشغله * والجمال يطغيه
 فهو غير مكرث * للذى الاقيه
 تائه تزهيه * فى رغبتي فيبه

ومن قوله فى هوى له :

ان من لا ارى وليس يرانى * نصب عيني مثل بالامانى
 باي من ضميره وضميري * ابدا بالغيب ينتجيان
 نحن شخصان ان نظرت ورو * حان اذا ما اختبرت يمتزجان
 فاذا ما هممت بالامر او هم * بشئ بداتيه وبيداني
 كان وفقا ما كان منه ومنى * فكاني حكيته وحكاني
 خطرات الجفون منا سواء * وسواء تحرك الابدان

ومن قوله :

فديت من قال لي على خفري * وغض من جفنه على حوره
سمع بأشعارك المليح فما * ينفك شاد بها على وتره
خسبك بغض الذي أذعت ولا * خسب لصب لم يقض من وطره
وقلت يا مستعير سائلة الـ * خشف وحسن الفتور من نظره
لا تنكرن الحبيب من طرب * عاود فيك الصبا على كبره

ومن قوله :

سائل بطيفك عن ليلى وعن سهرى * وعن تتابع أنفاسي وعن فسرى
لم يغل قلبي من ذكراك اذ نظرت * عيني اليك على صحوى ولا منكرى
سقيا ليوم سرورى اذ تنازعنى * ضلوا المندامة بين الأتس والخفر
وقضل كاسك ياتينى فاشربه * جهرا وتشرب كاسى غير مستر
وكيف أشنئله لثمى والزمه * نحسرى وترفعه كفى الى بصرى
فليت ملة يومى اذ مضى سلفا * كانت ومدنى أيامى على قدر
حتى اذا ما انطوت عنا بشاشته * صرنا جنيعا كذا جارين فى الحفر

ومن قوله لهوى كان له :

تعز بيأس عن هواى فائنى * اذا انصرفت نفسى فهيئات عن ردى
اذا خنتم بالغيب ودى فمالكم * تدلون ادلال المقيم على العهد
ولى منك بد فاجتنبنى ملما * وان خلعت انى ليس لى منك من بد

لما ولى الوائق الخلافة أنشده حسين :

أكاتم وجدى فما ينكتم * بمن لو شكوت اليه رحم
وانى على حسن ظنى به * لأحذر ان بحت أن يحتشم
ولى عند لحظته روعة * تحقق سا ظنه المتهم
وقد علم الناس انى له * محب وأحسبه قد علم
وانى لغض على لوعة * من الشوق فى كبدى تضطرم
عشية ودعت عن مقلة * سفوح وزفرة قلب سمام

فما كان عند النوى مسعد * سوى العين تهزج دمعا بدم
سيدكر من بان أوطانه * ويبكى المقيمين من لم يقم

كتب الى الحسن بن رجاء فى يوم شك ، وقد أمر الواثق بالافطار ، فقال :

هزؤتك للصبح وقد نهانى * أمير المؤمنين عن الصيام
وعندى من قيسان المصر عشر * تطيب بهن عاتقة المدام
ومن أمثالهن اذا انتشينا * ترانا نجتنى ثمر الغرام
فكن أنت الجواب فليس شيء * أحب الى من حلف الكلام

فوردت رقعته ، وقد سبقه إليه محمد بن الحارث بن بسخر ووجه إليه بسلام
نظيف الوجه ومعه ثلاثة غلّة أقران حسان الوجه ، ومعهم رقعة كتبها كما تكتب
المناسير ، وختمها فى أسفلها وكتب فيها يقول :

سر على اسم الله يا أشد * بكل من غصن لجين
فى ثلاث من بنى الرو * م الى دار حسنين
اشخص الكهل الى مو * لاك يا قرة عيني
اره العنف اذا استعد * صى وطالبه بسدين
ودع اللفظ وخاطب * ه بغمز الحساجين
واحذر الرجعة من وج * هك فى خلفى حنين

فمضى معهم .

ومن قوله لمن أعرض عنه :

تتيه علينا أن رزقت ملاحه * فهلا علينا بعض تيهك يا بدر
لقد طال ما كنا ملاحا وربما * صددنا وتهنا ثم غيرنا الدهر

وله فى هوى حجب عنه :

ظن من لا كان ظن * ا بحبيبي فحماء
أرصد الباب رقيب * ن له فاكتفاه
فاذا ما اشتاق قربي * ولقائي منعاه

جعل الله رقيباً * به من السوء فداء
 والذي أقرح في الشا * دن قلبي ولو
 كل مشتاق اليه * فمن السوء فداء
 سيما من حالت أذح * سراس من دون مناه

أمره المتوكل بأن يناديه ويلازمه ، فلم يطق ذلك لكبر سنه ، فقال للمتوكل بعض من حضر عنده : هو يطيق الذهاب الى القرى والمواخير والسكر فيها ويعجز عن خدمتك ، فبلغه ذلك ، فدفع الى أحمد بن حمدون أبياتا قالها وسأله ايصالها ، فأوصلها الى المتوكل ، وهي :

أما في ثمانين وفيتها	* عذير وان أنا لم اعتذر
فكيف وقد جزتها صاعدا	* مع الصاعدين بتسع آخر
وقد رفع الله أقلامه	* عن ابن ثمانين دون البشر
سوى من أصر على فتنة	* والحد في دينه أو كفر
واني لمن أسراء الاله	* في الأرض نصب صروف القدر
فان يقض لي عملا صالحا	* أثاب وان يقض شرا غفر
فلا تلح في كبر همدني	* فلا ذنب لي ان بلغت الكبر
هو الشيب حل بقلب الشباب	* فمن ذا يلوم اذا ما عذر
واني لفي كنف مغلق	* وعز بنصر أبي المنتصر
يباري الرياح بفضل السما	* ح حتى تبلى أو تنحصر
له أكد الوحي ميراثه	* ومن ذا يخالف وحي السور
وما للحسود وأشباهه	* ومن كذب الحق الا الحجر

فلما أوصلها شيعتها بكلام يعذره وقال : لو أطاق خدمة أمير المؤمنين لكان أسعدهم بها ، فقال المتوكل : صدقت ، وأمر له بعشرين ألف درهم .

كان محمد شاعرا مجيدا لا يقاس به أحد من الكتاب ، وإن كان إبراهيم بن العباس مثله في ذلك ، فإن إبراهيم مقل وصاحب قصار ومقطعات . وكان محمد شاعرا يطيل فيجيد ، ويأتي بالقصار فيجيد ، وكان بليغا حسن اللفظ إذا تكلم وإذا كتب .

ولما تولى محمد الوزارة اشترط ألا يلبس القباء ، وأن يلبس الدراعة ويتقلد عليها سيفاً بحمائل ، فأجيب الى ذلك .

وكان يقول : الرحمة خور في الطبيعة ، وضعف في المنة ، ما رحمت شيئا قط ، فكانوا يطمنون عليه في دينه بهذا القول ، فلما وضع في الثقل والحديد قال : ارحموني ، فقالوا له : وهل رحمت شيئا قط فترحم ؟ هنه شهادتك على نفسك وحكمك عليها .

لما ماتت أم ابنه عمرو رثاها بقصيدة منها :

يقول لي الخلان لو زرت قبرها * فقلت وهل غير الفؤاد لها قبر
على حين لم أحدث فأجهل قبرها * ولم أبلغ السن التي معها الصبر
ومن شعره قوله :

ما أعجب الشيء ترجسوه فتحرمه * قد كنت أحسب أني قد ملأت يدي
مالى إذا غبت لم أذكر بصالحة * وإن مرضت فطال السقم لم أعد

(١) هو أبو جعفر محمد عبد الملك بن أبان بن حمزة واشتهر بابن الزييات لأن جده (أبان) كان يجلب الزيت من مواضعه الى بغداد ، وكان أديبا شاعرا عالما بالنحو واللغة ، وله ديوان شعر ومجموعة رسائل جيدة ، وكان في أول أمره من جملة الكتاب ثم صار وزيرا للمعتصم ولابنه الواثق . ولما تولى المتوكل قبض عليه وأمر بادخاله في قنور من حديد كان ابن الزييات أعده لتعذيب الحسادرين وأرباب الدواوين المطالبين بالأموال وقيدته بخمسة عشر رطلا من حديد ، ثم أمر بإخراجه بعد أن مكث فيه أربعين يوما ، فوجدوه ميتا وذلك سنة ٢٣٣ هـ . وتجد تجميعته في الأغاني (ج ٢٠ ص ٤٦) وابن خلكان (ج ٢ ص ٧٨) .

ومن شعره قوله :

ألم تعجب لمكتب حزين * خدين صباية وحليف صبر
يقول اذا سألت به بخير * وكيف يكون مهجور بخير

وكان لمحمد بردون أشهب لم ير مثله فراهة وحسنا ، فسعى به محمد بن خالد
الى المعتصم ووصف له فراهته ، فبعث اليه المعتصم فأخذه منه ، فقال محمد بن
عبد الملك يرثيه :

كيف العزاء وقد مضى لسبيله * عنا فودعنا الأحم الأشهب
دب الوشاة فأبعدوك وربما * بعد الفتى وهو الأحب الأقرب
لله يوم نأيت عنى ظاعنا * وسلبت قريك أى علق أسلب
نفس مفرقة أقام فريقها * ومضى لطيته فريق يجنب
فالان اذ كملت أداتك كلها * ودعا العيون اليك لون معجب
واختير من سر الحداثد خيرها * لك خالصا ومن الحلى الأغرب
وغلوت طنان اللجام كانها * فى كل عضو منك صنع يضرب
وكان سرجك اذ علاك غمامة * وكانها تحت الغمامة كوكب
ورأى على بك الصديق جلالة * وغدا العدو وصلده يتلهب
انساك لا زالت اذا منيته * نفسى ولا زالت يمينى تنكب
أضمرت منك اليأس حين رايتنى * وقوى حبالى من قواك تقضب
ورجعت حين رجعت منك بحسرة * لله ما فعل الأحم الأشهب

ولما وثب ابراهيم بن المهدي على الخلافة اقترض من مياسير التجار مالا ، فأخذ
من عبد الملك أبى محمد عشرة آلاف درهم وقال له : أنا أردتها اذا جاءنى مال ، ولم يتم
أمره ، فاستخفى ثم ظهر ورضى عنه المأمون ، فطالبه الناس بأموالهم ، فقال : انما
أخذتها للمسلمين وأردت قضاءها من فيئهم ، والأمر الآن الى غيرى ، فعمل محمد بن
عبد الملك قصيدة خاطب فيها المأمون ومضى الى ابراهيم بن المهدي فأقرأه اياها وقال :
والله لئن لم تعطينى المال الذى اقترضته من أبى لأوصلن هذه القصيدة الى المأمون ،
فخاف أن يقرأها المأمون فيتدبر ما قاله ، فيوقع به فقال له : خذ منى بعض المال ونجم
على بعضه ، ففعل ، والقصيدة قوله :

ألم تر أن الشئ للشئ علة * تكون له كالنار تقدح بالزند
كذلك جربت الأمور وانما * يدلك ما قد كان قبل على البعد
وظنى بابراهيم أن مكانه * سيبعث يوما مثل ايامه النكد

رأيت حسينا حين صار محمدا * فلو كان أمضى السيف فيه بضربة
 إذا لم تكن للجند فيه بقية * هم قتلوه بعد أن قتلوا له
 وما نصروه عن يد سلفت له * ولكنه الغدر الصراح وخفة الـ
 فذلك يوم كان للناس عبرة * وما يوم إبراهيم أن طال عمره
 تذكر أمير المؤمنين مقامه * أما والذي أمسيت عبدا خليفة
 إذا هز أعواد المنابر بأسسته * فوالله ما من تسوية نزعته به
 ولكن اخلاص الضمير مقرب * أذاك بها كرها إليك بأنفه
 فلا تترك للناس موضع شبهة * فقد غلطوا للناس في نصب مثله
 فكيف بمن قد بايع الناس والتقت * ومن سبك تسليم الخلافة سمعه
 وإي امرئ سمي بها قط نفسه * وتزعم هذى النابتية أنه
 يقولون سني وأية سنة * وقد جعلوا رخص الطعام بعهد
 إذا ما رأوا يوما غلاء وأيتهم * وأقبله في العيد يوجف حوله
 ورجالة يمشون بالبيض قبله * فان قلت قد رام الخلافة قبله
 فلم أجزه إذ خيب الله سعيه * ولم أرض بعد العفو حتى رفعت
 فليس سواء خارجي رمي به *

بغير أمان في يديه ولا عقد * قصيره بالقاع منعقر الخد
 فقد كان ما بلغت من خبر الجند * ثلاثين ألفا من كهول ومن مرد
 ولا قتلوه يوم ذلك عن حقد * حلوم وبعد الرأي عن سنن القصد
 سيبقى بقاء الوحي في الحجر الصلد * بأبعد في المكروه من يومه عندي
 وأيمانه في الهزل منه وفي الجد * له شر إيمان الخليفة والعبد
 تغنى بليلى أو بهمة أو هند * إليك ولا ميل إليك ولا ود
 إلى الله زلفى لا تبعد ولا تكلى * على دغمه واستأثر الله بالحمد
 فانك مجزى بحسب الذي تسدى * ومن ليس للمنصور بابن ولا المهدي
 لبيعته الركبان غورا إلى نجد * ينادى به بين السماطين من بعد
 ففارقها حتى يغيب في اللحد * امام لها فيما تسر وما تبدي
 تنم بصعل الرأس جون القفا جعد * زعيما له باليمن والكوكب السعد
 يحنون تحنانا إلى ذلك العهد * وجيف الجياد واصطكاك القنا الجرد
 وقد تبعوه بالقضيب وبالبرد * فلم يؤت فيما كان حاول من جد
 على خطأ إذ كان منه على عهد * وللعلم أولى بالتغميد والرقد
 إليك سفاه الرأي والرأي قد يردى *

تعاذت له من كل أوب عصابة * متى يوردوا لا يصدروه عن الورد
ومن هو في بيت الخلافة تلتقى * به وبك الآباء في ذروة المجد
فمولاك مولاه وجندك جنده * وهل يجمع القين الحسامين في غمد
وقد رابنى من أهل بيتك أننى * رأيت مهم وجدا بما أيما وجد
يقولون لا تبعد من ابن ملة * صبور على اللاواء ذى مرة جلد
فدانا وهانت نفسه دون ملكنا * عليه لدى الحال التى قل من يفدى
على حين أعطى الناس صفق أكفهم * على بن موسى بالولاية والعهد
فما كان فينا من أبى الضيم غيره * كريم كفى ما فى القبول وفى الرد
وجرد إبراهيم للموت نفسه * وأبدى سلاحا فوق ذى ميعه نهد
وأبلى ومن يبلغ من الأمر جهده * فليس بملوم وان كان لم يجد
فهذى أمور قد يخاف ذوو النهى * مغبتها والله يهديك للرشيد

وكانت الخلافة فى أيام الوراق تدور على ايتاخ وكاتبه سليمان بن وهب ، وعلى
أشناس وكاتبه أحمد بن الخصيب ، فعمل محمد بن عبد الملك قصيدة وأوصلها الى
الوراق على أنها لبعض أهل العسكر ، وهى :

يابن الخلائف والأملك ان نسبوا * حزت الخلافة عن آباءك الأول
اجرت أم رقدت عيناك عن عجب * فيه البرية من خوف ومن وهل
وليت أربعة أمر العباد معا * وكلهم حاطب فى جبل محتبل
هذا سليمان قد ملكت راحته * مشارق الأرض من سهل ومن جبل
ملكته السند فالشعرين من عدن * الى الجزيرة فالأطراف من ملل
خلافة قد حواها وحده فمضت * أحكامه فى دماء القوم والنفل
وابن الخصيب الذى ملكت راحته * خلافة الشمام والغازين والقفل
فنيل مصر فبحر الشمام قد جريا * بما أراد من الأموال والحلل
كانهم فى الذى قسمت بينهم * بنو الرشيد زمان القسم للدول
حوى سليمان ما كان الأمين حوى * من الخلافة والتبليغ للأمل
وأحمد بن خصيب فى امسارته * كالقاسم بن الرشيد الجامع السبل
أصبحت لا ناصح ياتيك مستترا * ولا علانية خوفا من الحيل
سل بيت مالك أين المال تعرفه * وسل خراجك عن أموالك الجمل
كم فى حبوسك ممن لا ذنوب لهم * أسرى التكذب فى الأقياد والكبل
سميت باسم الرشيد المرتضى فيه * تسمى الأمور التى تنجى من الزلل
عث فيهم مثل ما عاثت يدها معسا * على البرامك بالتهديم للقبل

فلما قرأ الوراق هذا الشعر غاظه ، ونكب سليمان بن وهب وأحمد بن الحصب .
وأخذ منهما ومن أسبابهما ألفي ألف دينار فجعلها في بيت المال .

٦ - ابن البواب (١)

لما أتى المأمون بشعر ابن البواب الذي يقول فيه :

أبخل فرد الحسن فرد صفاته * على وقد أفردته بهوى فرد
رأى الله عبد الله خير عباده * فملكه والله أعلم بالعباد
ألا إنما المأمون للناس عصمة * مميزة بين الضلالة والرشاد

فقال المأمون : أليس هو القائل :

أعني جودا وابكيا لي محمدا * ولا تذخرا دمعاً عليه وأسعدا
فلا فرح المأمون بالملك بعده * ولا زال في الدنيا شريدا مطردا

واحدة بواحدة ، ولم يصله بشيء . ولما سخط عليه قال قصيدة يمدحه بها ،
ودس من غناه في بعضها لما وجد منه نشاطا ، فسأل : من قائلها ، فأخبر به ، فرضى
عنه ورده إلى رسمه من الخدمة ، وهي :

هل للمحب معين * اذ شط عنه القرين
فليس يبكي لشجو الـ * حزين الا الحزين
ياظاعنا غاب عنا * غداة بان القطين
أبكي العيون وكانت * به تفر العيون
يايها المأمون الـ * مبارك الميمون
لقد صفت بك دنيا * للمسلمين ودين
عليك نور جلال * ونور ملك مبین

(١) هو عبد الله بن عتاب من أهل بخارى ، وجيء بجده وجماعة معه رهينة إلى الحجاج بن يوسف ،
فنزّلوا عنده بواسطة ، فاقطعهم سكة بها ، فاخطوها ونزلوها طول أيام بني أمية ، ثم انقطعوا من الدولة
العباسية إلى الربيع فخدموه ، وكان عبد الله بن محمد هذا يخلّف الفضل بن الربيع على حجة الخلفاء ،
وكان صالح الشعر قليلة وراوية لأخبار الخلفاء علما بأمرهم .

القسول منك فعال	* والظن منك يقين
ما من يدك شمال	* كلتا يديك يمين
كأنما أنت في الجو	* د والتقى هارون
من نال من كل فضل	* ما ناله المأمون
تألف الناس منه	* فضل وجود ولين
كالبدر يبدو عليه	* سكيئة وسكون
فالرزق من راحتيه	* مقسم مضمون
وكل خصلة فضله	* كانت فمنه تكون

ومما يغنى فيه قوله :

أفق أيها القلب المعبى كم تصبو ؟	* ونأت فليس لها اليك مآب
أقول غداة استخبرت مم علتى ؟	* من الحب كرب ليس يشبهه كرب
إذا أبصرتك العين من بعد غاية	* فادخلت شكا فيك أثبتك القلب
ولو أن ركبا يمهوك لقادهم	* نسيك حتى يستدل بك الركب

أملق ابن البواب حين جفاه الخليفة وعلت سنه عن الخدمة ، فرحل الى أبى دلف القاسم بن عيسى ومدحه بقصيدة ، فوهب له ثلاثين ألف درهم وعاد بها الى بغداد ، فما نفدت حتى مات ، وهى قوله :

طرقك صائدة القلوب رباب	* ونأت فليس لها اليك مآب
وتصرمت منها العهود وغلقت	* من دون نيل طلابها الأبواب
فلأصدفن عن الهوى وطلابه	* فالحب فيه بلية وعذاب
وأخص بالمدح المذهب سيذا	* نفحاته للمجتدين رغباب
والى أبى دلف رحلت مطيتى	* قد شفها الارقال (١) والاتعاب
تعلو بنا قلل الجبال ودونها	* مما هوت أهوية وشعاب
فاذا حلت لدى الأمير بأرضه	* نلت المنى وتقضت الآواب
ملك تأثل عن أبيه وجده	* مجدا يقصر دونه الطسلا

(١) الارقال : ضرب من الخبب .

واذا وزنت قديم ذى حسب به * خضعت لفضل قديمه الأحساب
 قوم علوا أملاك كل قبيلة * فالناس كلهم له أذئاب
 ضربت عليه المكرمات قباها * فعلا العمود وطالت الأطناب
 عقم النساء بمشله وتعطلت * من أن تضمن مثله الأصلاب

٧ - الخريمى (١)

كان متصلا بمحمد بن منصور بن زياد كاتب البرامكة ، وله فيه مدائح جياذ ،
 ثم رثاه بعد موته ، فقليل له : يا أبا يعقوب ، مدائحك لآل منصور بن زياد أحسن
 من مرائيسك وأجود ، فقال : كنا يومئذ نعمل على الرجاء ، ونحن اليوم نعمل على
 الوفاء ، وبينهما بون بعيد .

وهو القائل فى عينيه :

أصغى الى قائدى ليخبرنى * اذا التقينا عن يحيينى
 أريد أن أعذل السلام وأن * أفضل بين الشريف والدون
 أسمع ما لا أرى فأكره أن * أخطئ والسامع غير مأمون
 لله عينى التى فجعت بها * لو أن دهرنا بها يواتينى
 لو كنت خيرت ما أخلت بها * تعمير نوح فى ملك قارون
 حق أخلائى أن يعسودونى * وأن يعزوا عنى ويبكسونى

(١) هو اسحاق بن حسان ويكنى أبا يعقوب ، من العجم ، وهو القائل :

انى امرؤ من سراة الصفد البستى * عرق الأعاجم جلدا طيب الخير

وكان مولى ابن خريم الذى يقال لأبيه خريم الناعم ، وهو خريم بن عمرو بن بنى مرة بن عوف بن سعد

ابن ذبيان . وعنى أبو يعقوب الخريمى بعد ما أسن ، وكان يقول فى ذلك شعرا ، فمنه قوله :

فان تك عينى خبا نورها * فكم قباها نور عين خبا
 فلم يعم قلبى ولكنهما * ارى نور عينى اليه سرى
 فاسرح فيه الى نوره * سراجا من العلم يشفى العمى

إذا ما مات بعضك فابك بعضا * فإنا البعض عن بعض قريب
يميني الطبيب شفاء عيني * وهل غير الاله لها طبيب
وقال يذكر بغداد والفتنة التي كانت بها :

قالوا ولم يلعب الزمان ببغـ * سداد وتعثر بها عواثرها
اذ هي مثل العروس بادئها * مهول للفتنى وحاضرها
جنة دنيا ودار مغبطة * قل من النائبات واثرها (١)
دوت خلوف الدنيا لساكنها * وقل معسورها وعاسرها
وانفرجت بالنعيم وانتجت * فيها بلذاتها حواضرها
فالقوم منها في روضة أنف * أشرق غب القطار زاهرها
من غره العيش في بلهنية * لو أن دنيا يدوم عامرها
دار ملوك رست قواعدها * فيها وقرت بها منابرها
أهل العلا والثرى وأندية الـ * فخر اذا عدت مفاخرها
أفراح نعمى في ارث مملكة * شد عراها لها أكابرها
فلم يزل والزمان ذو غير * يقدح في ملكها أصاغرها
حتى تساقط كاسا مثملة * من فتنة لا يقال عاثرها
وافترقت بعد ألفة شيعة * مقطوعة بينها أواصرها
يا هل رأيت الأملاك ما صنعت * اذ يزعمها بالنصح زاجرها
أورد أملاكنا نفوسهم * هوة غي أعيت مصادرها
ما ضرها لو وقت بموثقها * واستحكمت في التقى بصاثرها
ولم تسافك دماء شيعتها * وتبتعل فتية تكابرها
وأقنعتها الدنيا التي جمعت * لها ورغب النفوس ضاثرها
ما زال حوض الأملاك [٠٠٠٠ ٠٠٠] * مسجورها بالهوى وساجرها
تبقي فضول الدنيا مكاثرة * حتى أبيضت كرها ذخاثرها
تبيع ما جمع الأبوة للـ * أبناء لا أربحت متاجرهم

(١) مفزعها وذاعرها .

يا هل رأيت الجنان زاهرة	✽	يروق عين البصير زاهرها
وهل رأيت القصور شاردة	✽	تكن مثل الدمى مقاصرها
وهل رأيت القرى التي غرس الـ	✽	أملاك مخضرة دساكرها
محفوفة بالكروم والنخل والـ	✽	ريحان قد دميت محاجرها (١)
فانها أصبحت خلايا من الـ	✽	انسان قد دميت محاجرها
قفرا خلاء تعوى الكلاب بها	✽	ينكر منها الرسوم دائرها
وأصبح البؤس ما يفارقها	✽	الفا لها والسرور هاجرها
بسزند ورد والياسرية والـ	✽	شطين حيث انتهت معابرها
وبالرحى والخيـزرانية الـ	✽	عليها التي أشرفت قناطرها
وقصر عبـدويه عبـرة وهدي	✽	لكل نفس زكت سرائرها
فأين حراسها وحارسها	✽	وأين مجبورها وجابرها
وأين خصيانها وحشوتها	✽	وأين سكانها وعامرها
أين الجرادية الصقالب والـ	✽	أحبش تعدو هدلا مشافرها
ينصدع الجند عن مواكبها	✽	تعلو بها سربا ضوامرها
بالسند والهند والصقالب والـ	✽	خوبة شـيبت بها برابرها
طيرا أبابيل أرسلت عبثا	✽	يقدم سودانها أحامرها
أين الأطباء الأكار في روضة الـ	✽	ملك تهـادي بها غرائرها
أين غصاراتها ولذتها	✽	تعلو بها سربا ضوامرها
بالمسك والعنبر اليماني والـ	✽	يلنجوج مشـبوبة مجامرها
يرفلن في الخـز والمجاسد والـ	✽	موشى مخطـومة مزامرها
فأين رقاصها ومزامرها	✽	يجبن حيث انتهت حناجرها
تكاد أسـماعهم تسيل اذا	✽	عارض عيدانها مزاهرها
أمتت كجوف الحمار خالية	✽	يسـعرها بالجـحيم ساعرها
كأنها أصبحت بساحتهم	✽	عاد ومسـتتهم صراصرها
لا تعلم النفس ما يبايتها	✽	من حادث الدهر أو يباكرها
تضحى وتمسى درية غرضها	✽	حيث استقرت بها شراشرها

(١) كذا في الطبري في حوادث سنة ١٩٧ هـ ، طبع بولاق وطبع أوربا .

لأسهم الدهر وهو يرشقها	* معنطها مرة وباقرها
يا يؤس بغداد دار ملكية	* دارت على أهلها دوائرها
أهلها الله ثم عاقبها	* لما احاطت بها كبائرها
بالخسف والقذف والحريق وبال	* بحرب التي أصبحت تساورها
كم قد رأينا من المعاصي بها	* كالعاهر السوء
حلت ببغداد وهي آمنة	* داهية لم تكن تحاذرها
طالعها السوء من مطالعه	* وأدركت أهلها جرائرها
رق بها الدين واستخف بذي ال	* فضل وعز النسب فاجرها
وخطم العبد أنف سيده	* بالرغم واستعبدت مخادرها
وصار رب الجيران فاسقهم	* وابتز أمر الدروب ذاعرها
من ير بغداد والجنود بها	* قد ربقت حولها عساكرها
كل طحون شهباء بأسلة	* تسقط أحبالها زماجرها
تلقى بغى السردى أو انسها	* كرقها للقواء طاهرها
والشيخ يعدو حزما كتائبه	* يقدم أعجازها يعاورها
ولزهير بالقول ماسدة	* مرقومة صلبة مكاسرها
كتائب الموت تحت ألوية	* أبرح منصورها وناصرها
يعلم أن الأقدار واقعة	* وقعا على ما أحب قادرها
فتلك بغداد ما بين من ال	* سلة في دورها عصافرها
محفوظة بالسردى منطقية	* بالصقور محصورة جبابرها
وبين شط الفرات منه الى	* دجلة حيث انتهت معابرها
كهنادى السفراء نافسه	* تركض من حولها أشاقرها
يحرقها ذا وذاك يهدمها	* ويششتفى بالنهب شاطرها
والكبرخ أسواقها معطلة	* يستن عيثارها وعائرها
أخرجت الحرب من سواقطها	* أسناد غيل غلبا تساورها
من البواري ترأسها ومن ال	* نخوص اذا استلمت مغافرها
تعدو الى الحرب في جواشنها ال	* صوف اذا ما عدت أساورها
كتائب الهرش تحت رايتيه	* ساعد طرارها مقامرها
لا الرزق تبغى ولا العلاء ولا	* يحشرها للقواء حاشرها
في كل درب وكل ناحية	* خطارة يستهل خاطرها
بمثل هام الرجال من قلق ال	* صخر يزود المقلاع بأثرها

كأنما فوق هامها عدف * من القطا الكدر هاج نافرها
 والقوم من تحتها لهم زجل * وهي ترامي بها خواطرها
 بل هل رأيت السيوف مصلثة * أشهرها في الأسواق شاهرها
 والخييل تستن في أزقتها * بالترك مسنونة خناجرها
 والنفط والنفار في طرائقها * وهابيا للدخان عامرها
 والنهب تعدو به الرجال وقد * أبدت خلايلها حرائرها
 معصوبات وسط الأزقة قد * أبرزها للعيون سائرها
 كل رقود الضحى مخبأة * لم تبد في أهلها محاجرها
 بيضة خدر مكنونة برزت * للناس منشورة غلائرها
 تعثر في ثوبها وتعجلها * كبة خيل زيعت حوافرها
 تسأل أين الطريق والهبة * والنار من خلفها تبادرها
 لم تجتل الشمس حسن بهجتها * حتى اجتلتها حرب تباشرها
 يا هل رأيت الثكل مولولة * في الطرق تسعى والجهد باهرها
 في اثر نعش عليه واحدها * في صدره طعنة يساورها
 فرغاء تلقى النار من يدها (١) * يهزها بالسنان شاجرها
 تنظر في وجهه وتهتف بالـ * شكل وعز الدموع خامرها
 غرغر بالنفس ثم أسلمها * مطلولة لا يخاف ثائرها
 وقد رأيت الفتيان في عرصه الـ * معرك معسورة مناخرها
 كل فتى مناع حقيقته * تشقى به في الوغى مساعرها
 باتت عليه الكلاب تنهشه * مخضوبة من دم أظافرها
 أما رأيت الثيول جائلة * بالقوم منكوبة دوائرها
 تعثر بالأوجه الحسان من الـ * قتلى وغلت دما أشاعرها
 يطمان أكباد فتية نجد * يفلق هاماتهم حوافرها
 أما رأيت النساء تحت المجا * نيق تعادى شعنا ضفائرها
 عقائل القوم والعجائز والـ * عنس لم تختبر معاصرها

(١) كذا في مامش النسخة الاوربية من الطبرى . وفي نسخة بولاق وأوريا (في صلبها) :

✱ فرغاء ينقى الشنار مريدها ✱

وهي رواية ظاهر عليها التحريف وفساد للعنى .

يحملن قوتنا من الطحين على الـ
وذاث عيش ضنك ومقعدة
تسال عن أهلها وقد سلبت
يا ليت ما والدهر ذو دول
هل ترجعن أرضنا كما غنيت
من مبلغ ذا الرياستين رسا
بأن خير الولاة قد علم النـ
خليفة الله من بريته الـ
سمت اليه آمال امته
شاموا حيا العدل من مخيله
وأحمدوا منك سيرة جلت الـ
واستجمعت طاعة برفقك للـ
وأنت سمع في العالمين له
فاشكر لذي العرش فضل نعمته
واحذر فداء لك الرعية والـ
لا تردن غمرة بنفسك لا
عليك ضحاضحها فلا تلج الـ
والقصد ان الطريق ذو شعب
أصبحت في أمة أوائلها
وانت سرسورها وسائسها
أدب رجالا رأيت سيرتهم
وامدد الى الناس كف مرحمة
أمكنك العدل اذ هممت به
وابصر الناس قصد وجههم
تشرع أعناقنا اليك اذا الـ
كم عندنا من نصيحة لك في اللـ
وحرمة قربت أواصرها
سعى رجال في العلم مطلبهم

أكتاف معصوبة معاجرها
تشدخها مسخرة تعاورها
وابتز عن رأسها غفائرها
ترجي وأخرى تخشى بوادرها
وقد تناهت بنا مصايرها
لات تأتي للنصح شاعرها
سأس اذا عسدت مآثرها
مأمون سائسها وجابرها
منقادة برها وفاجرها
وأصحرت بالتقى بصائرنا
شك وأخرى صحت معاذرها
مأمون نجديةا وغائرها
ومقلة ما يكل ناظرها
أوجب فضل المزيد شاكرها
أجناد مأمورها وأمرها
يصدر عنها بالرأى صادرها
غمير ملتجة زواجرها
أشامها وعثها وجائرها
قد فارقت هديها أواخرها
فهل على الحق أنت قاسرها
خالف حكم الكتاب سائرنا
تسد منهم بها مفاقرها
ووافقت منه مقاديرها
وملكت أمة أخايرها
سادات يوما جمت عشائرها
له وقربى عزت زوافرها
منك وأخرى هل أنت ذاكرها
رائحها باكر وباكرها

- دونك غمراء كالوذيلة لا * تفقد في بلدة سواثرها
لا طمعاً قلتها ولا بطراً * لكل نفس نفس توامرها
سيرها الله بالنصيحة والـ * خشية فاستدمجت مرائرها
جاءتك تحكي لك الأمور كما * ينشر بز التجار ناشرها
حملتها صاحباً أخاً ثقة * يظل عجباً بها يحضرها

ومن جيد شعره قوله :

- الناس أخلاقهم شتى وإن جيلوا * على تشابه أرواح وأجساد
للخير والشر أهل وكلوا بهما * كل له من دواعي نفسه هاد
منهم خليل صفاء ذو محافظة * أرسى الوفاء أواخيه بأوتاد
ومشعر القدر محنى أضالعه * على سريرة غمر غلها بساد
مشاكس خدع جم غوائله * يبلى الصفاء ويخفى ضربة الهادي
يأتيك بالبغى فى أهل الصفاء ولا * ينفك يسعى بإصلاح لأفساد

ومن جيد شعر الخريمى قوله :

- اضحك ضيفى قبل انزال رحاه * ويغصب عندى والمحل جديب
وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى * ولكنما وجه الكريم خصيب

ومن جيد شعره قوله :

- زاد معروفك عندى عظمتها * أنه عندك محذور صغير
وتناسيه كأن لم تأت به * وهو عند الناس مشهور كبير

وهو القائل :

- وإن أشد الناس فى الحشر حسرة * لمورث مال غيره وهو كاسبه
كفى سفها بالكهل أن يتبع الصبا * وأن يأتى الأمر الذى هو عائبه

ويستجاد له قوله :

- ودون الندى فى كل قلب ثنية * لها مصعد وعر ومنحدر سهل

* جود الفتى فى كل نيل ينيله
 * وأعلم علما ليس بالظن أنه
 * وإن أخلاء الزمان غناؤهم
 * تزود من الدنيا متاعا لغيرها
 * وهل أنت إلا هامة اليوم أو غد
 * إذا ما اتقضى لى أن نائله جزل
 * لكل أناس من ضرائبهم شكل
 * قليل إذا الانسان زلت به النعل
 * فقد شمعت حذاء وانصرم الجبل
 * لكل أناس من طوارقها الشكل

وفى هذا الشعر يقول :

* أبالصفد بأس اذ تعيرنى جمل
 * فإن تفخرى يا جمل أو تتجمل
 * أرى الناس شرعا فى الحياة ولا يرى
 * وما ضرنى أن لم تلدنى يحابر
 * سفاها ومن اخلاق جارتى الجهل
 * فلا فخر الا فوقه الدين والعقل
 * لقبر على قبر علا ولا فضل
 * ولم تشتمل جرم على ولا عكل

وهو القائل :

* وما أحسن الغيرة فى حينها
 * من لم يزل متهما عرسه
 * أوشك أن يغريها بالذى
 * حسبك من تحصينها وضعها
 * لا تطلع منك على ريبسة
 * وأقبح الغيرة فى كل حين
 * مناصبا فيها لريب الظنون
 * يخاف أن يبرزها للعيون
 * منك الى عرض صحيح ودين
 * فيتبع المقرون جبل القرين

٨ - عبد الله بن طاهر (١)

كان بمحل من علو المنزلة وعظم القدر ولطف مكان من الخلفاء ، يستغنى به عن التقريظ له والدلالة عليه ، وأمره في ذلك مشهور عند الخاصة والعامة ، وله في الأدب مع ذلك المحل الذي لا يدفع ، وفي السماحة والشجاعة ما لا يقاربه فيه أحد .

وكان أديبا ظريفا جيد الغناء ، نسب إليه صاحب الأغاني أصواتا كثيرة أحسن فيها وقلها أهل الصنعة عنه ، وله شعر وزسائل ظريفة ، فمن شعره قوله :

نحن قوم تليئنا الحلق النجس * مل على أنسنا نلين الحديدنا
طوع أيدي الأطباء تقتادنا العي * من وثقتاد بالطعان الأسودنا
نملك الصيد ثم تملكنا البيد * من المصنونات أعيننا وخذودنا
تتقى سخطنا الأسود ونخشى * سخط الخشف حين يبدى الصدودنا
فترانا يوم الكريهة أحرا * را وفي السلم للغواني عبيدا

أعطاه المأمون مال مصر لسنة ، خراجها وضياعها ، فوهبه كله وفرقه في الناس ورجع صفرا من ذلك ، فغاض المأمون فعله ، فدخل إليه يوم مقدمه ، فأشده أبياتا قالها في هذا المعنى ، وهي :

نفسى فداؤك والأعناق خاضعة * للنائبات أيبا غير مهتضم

(١) هو أبو العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق كان سيدي نبلا عالي الهمة شهيرا ، وكان المأمون كثير الاعتماد عليه ، حسن الالتفات إليه لذاته ورعاية لحق والده وما أسلفه من الطاعة في خدمته ، وكان واليا على الدينور فلما خرج بابك الخرمي على خراسان وأوقع الخوارج بأهل قرية الحمراء من أعمال نيسابور وأكثروا فيها الفساد وانصل الخبر بالمأمون بعث إلى عبد الله وهو بالدينور يأمره بالخروج إلى خراسان ، فخرج إليها وحارب الخوارج وقدم نيسابور في رجب سنة ٢١٥ هـ . وكان المطر قد انقطع عنها تلك السنة ، فلما دخلها مطرت مطرا كثيرا ، فقام إليه رجل بزاز من حانوته وأشده :

قد قعط الناس في زمانهم * حتى اذا جئت جئت بالدر
غيثان في ساعة لنا قدما * فمرجبا بالأمير والمطر

قول الشام والعراق ومصر . وتوفي سنة ٢٣٠ هـ . وتجد ترجمته في ابن خلكان (ج ١ ص ٣٦٩) والأغاني (ج ١١ ص ١١) .

إليك أقبلت من أرض أقيمت بها * حولين بعدك في شوق وفي ألم
 أقفوا مسامعك اللاتي خصصت بها * حذو الشراك على مثل من الأدم
 فكان فضلي فيها أننى تبع * لما سننت من الانعام والنعمة
 ولو وكلت الى نفسى عنيت بها * لكن بدأت فلم أعجز ولم ألم

فضحك المأمون وقال : والله ما نفست عليك مكرمة نلتها ، ولا أحدثه حسن
 عندك ذكرها ، ولكن هذا شئ اذا عودته نفسك افتقرت ، ولم تقدر على لم شعثك
 واصلاح حالك . وزال ما كان فى نفسه .

لما فتح عبد الله مصر سوغه المأمون خراجها ، فصعد المنبر فلم يزل حتى أجاز
 بها كلها ثلاثة آلاف ألف دينار أو نحوها ، فأناه على الطائي وقد أعلموه ما صنع
 بالناس فى الجوائز وكان عليه واجدا ، فوقف بين يديه تحت المنبر فقال : أصلح الله
 الأمير ، أنا على الطائي وقد بلغ منى ما كان منك من جفاء وغلظ ، فلا يغلظن على
 قلبك ، ولا يستخفك الذى بلغك ، أنا الذى أقول :

يا أعظم الناس عفوا عند مقدرة * وأظلم الناس عند الجود للمال
 لو أصبح النيل يجرى ماؤه ذهباً * لما أشرت الى خزن بمثقال
 تغلى بها فيه رق الحمد تملكه * وليس شئ اعاض الحمد بالغالى
 تفك باليسر كف العسر من زمن * اذا استطال على قوم باقلال
 لم تغل كفك من وجود لمختبط * ومرهف قاتل فى رأس قتال
 وما بثت رغيل الخيل فى بلد * الا عصفت بأرزاق وآجال
 ان كنت منك على بال مننت به * فان شكرك من قلبى على بال
 ما زلت مقتضبا لولا مجاهرة * من ألسن خفن فى صدرى بأقوال

فضحك عبد الله وسر بما كان منه وقال : يا أبا السمرء ، أقرضنى عشرة آلاف
 دينار فما أمسيت أملكها ، فأقرضه فدفعها اليه .

كان موسى بن خاقان مع عبد الله بن طاهر بمصر ، وكان نديمه وجليسه ، وكان
 له مؤثرا مقدما ، فأصاب منه معروفا كثيرا وأجازه بجوائز سنية هناك وقبل ذلك ،
 ثم انه وجد عليه فى بعض الأمر فجفاه وظهر له منه بعض ما لم يحبه ، فرجع حينئذ
 الى بغداد وقال :

ان كان عبد الله خلانا * لا مبدئا عرفنا واحسانا
فحسبنا الله رضينا به * ثم بعبد الله مولانا

يعنى به المأمون ، وغنت فيه جاريته وسمعته المأمون ، فاستحسنه ووصله
واياها ، فبلغ ذلك عبد الله بن طاهر ، فغاظه ذلك وقال : أجل ! صنعنا المعروف انى
غير أهله فضاع .

ولعبد الله ألحان صاغها ، فمنها ومن مختارها وصدورها ومقدمها لحنه فى شعر
أخت عاصية فانه صوت نادر جيد صحيح العمل مزدوج النغم ، بين لين وشدة على
رسم الحذاق من القدماء ، وهو :

هلا سقيتم بنى سهم أسيركم * نفسى فداؤك من ذى غلة صادى
الطاعن الطعنة النجلاء يتبعها * مخرج بعبد ما جادات بازباد

ومن غنائه أيضا :

راح صبحي وعماود القلب داء * من حبيب طلاله لى عناء
حسن الرأى والمواعيد لا يلى * فى لشيء مما يقول وفاء
من تعزى عمن يحب فانى * ليس لى ما حيت عنه عزاء

ما قيل فى هجاء الأمين وورثائه

قيل فى هجائه :

لم نبكيك لماذا للطرب * يا أبا موسى وترويض اللعب
ولترك الخمس فى أوقاتهما * حرصا منها على ماء العنب
وشنيف أنا لا أبكى له * وعلى كسوث لا أخشى العطب
لم تكن تعرف ما حد الرضا * لا ولا تعرف ما حد الغضب
لم تكن تصلح للملك ولم * تعطك الطاعة بالملك العرب
أيها الباكي عليه لا بكت * عين من أبكاك الا للعجب
لم نبكيك لما عرضتنا * للمجانيق وطورا للسلب
ولقوم صيروننا أعبدنا * لهم يبلو على الرأس الذنب

في عذاب وحصار مجهد * سدد الطرق فلا وجه طلب
 زعموا أنك حي حاشر * كل من قد قال هذا قد كذب
 ليت من قد قاله في وحدة * من جميع ذاهب حيث ذهب
 أوجب الله علينا قتله * فاذا ما أوجب الأمر وجب
 كان والله علينا فتنة * غضب الله عليه وكتب

وقال عبد الرحمن بن أبي الهذاهد يرثيه :

يا غرب جودي قد بت من وذه * فقد فقدنا الغزير من ديمه
 ألوت بدنيساك كف نائبة * وصرت مغضى لنا على تقمه
 أصبح للموت عندنا علم * يضحك من المنون من علمه
 ما استنزلت درة المنون على * أكرم من حل في ثرى رحمه
 خليفة الله في بريته * تقصر أيدي الملوك عن شيمه
 يفتر عن وجهه سنا قهر * ينشق عن نوره دجى ظلمه
 زلزلت الأرض من جوانبها * اذ أولغ السيف من نجيع دمه
 من سكنت نفسه لمصرعة * من عمم الناس أو ذوى رحمه
 رأيت ما رآه به * حتى تلوق الأمر من سقمه
 كم قد رأينا عزيز مملكة * ينقل عن أهله وعن ظلمه
 يا ملكا ليس بعده ملك * لخاتم الأنبياء في أممه
 جاد وحى الذى أقمت به * سح غزير الوكيف من ديمه
 لو أحجم الموت عن أخى ثقة * أسوى فى العز مستوى قلمه
 أو ملك لا ترام سطوته * الا مرام الشستيم فى أجمه
 خلدك العز ما سرى سدف * أو قام طفل العشى فى قلمه
 أصبح ملك اذا اتزوت به * يقرع من الشقاة من ندمه
 أثر ذو العرش فى عداك كما * أثر فى عواده وفى ارمه
 لا يبعد الله صيورة تليت * لخير داع دعاه فى حرمه
 ما كنت الا كحلم ذى حلم * أولج باب السرور فى حلمه
 حتى اذا أطلقته رقدته * عاد الى ما اعتراه من علمه

وقال أيضا يرثيه :

أقول وقد دنوت من الفرار	✽	سقيت الفيث يا قصر القرار
رمتك يد الزمان بسهم عين	✽	فصرت ملوحا بدخان نار
أبن لي عن جميعك أين حلوا	✽	وأين هزأهم بعد المزار
وأين محمد وابناه مالى	✽	أرى أطالهم سود الديار
كان لم يؤنسوا بأنيس ملك	✽	يعلمون على الملوك بخير جار
امام كان فى الحمدان عوناً	✽	لنا والفيث يمنح بالقطار
لقد ترك الزمان بنى أبيه	✽	وقد غمرتهم سود البحار
أضاعوا شمسهم فجرت بنحس	✽	فصاروا فى الظلام بلا نهار
وأجلوا عنهم قمرا منيرا	✽	وداستهم خيول بنى الشرار
ولو كانوا لهم كفؤا ومثالا	✽	إذا ما توجهوا تيجان عار
ألا بان الأمام ووارثاه	✽	لقد ضرم الحشى منا بنار
وقالوا الخلد بيع فقلت ذلا	✽	يصير بيائعيه الى صفار
كذاك الملك يتبع أوليه	✽	إذا قطع القرار من القرار

وقال مقدس بن صيفى يرثيه :

خليلى ما أتتك به الخطوب	✽	فقد أعطاك طاعته النحيب
تدلت من شماريخ المنايا	✽	منايا ما تقوم لها القلوب
خلال مقابر البستان قبر	✽	يجاور قبره أسد غريب
لقد عظمت مصيبته على من	✽	له فى كل مكرمة نصيب
على أمثاله العبرات تدرى	✽	وتهتك فى مآتمه الجيوب
وما ادخرت زبيدة عنه دما	✽	تخص به النسبية والنسيب
دعوا موسى ابنه لبكاء دهر	✽	على موسى ابنه دخل الحزيب
رأيت مشاهد الخلفاء منه	✽	خلاء ما بساقتها مجيب
ليهتك أننى كهمل عليه	✽	أذوب وفى الحشى كبد تذوب
أصيب به البعيد فخر حزنا	✽	وعاين يومه فيه المريب
أنادى من بطون الأرض شخصا	✽	يحركه النداء فما يجيب
لئن نعت الحروب اليه نفسا	✽	لقد فجعت بهصره الحروب

وقال خزيمة بن الحسن يرثيه على لسان أم جعفر :

لخير أمام قام من خير عنصر *	وأفضل سهام فوق أعواد منبر *
لوارث علم الأولين وفهمهم *	ولملك المأمون من أم جعفر *
كتبت وعيني مستهل دموعها *	إليك ابن عمي من جفوني ومحجري *
وقد مسمني ضر وذل كآبة *	وأرق عيني يا ابن عمي تفكري *
وهمت لما لاقيت بعد مصابه *	فأمرى عظيم منكر جسد منكر *
سأشكو الذي لاقيته بعد فقدته *	إليك شبكة المستهام المقهر *
وأرجو لما قد مر بي مذ فقدته *	فأنت لبثي خير رب مغير *
أتى طاهر لا طهر الله طاهرا *	فما طاهر فيما أتى بمطهر *
فأخرجني مكشوفة الوجه حاسرا *	وأنهب أموالى وأحرق أدرى *
يعز علي هارون ما قد لقيته *	وما مربى من ناقص الخلق أعور *
فإن كان ما أسدى بأمر امرته *	صبرت لأمر من قدير مقدر *
تذكر أمير المؤمنين قرابتى *	فديتك من ذى حرمة متذكر *

وقال أيضا يرثيه :

سبحان ربك رب العزة الصمد *	ماذا أصبنا به في صبة الأحـد *
وما أصيب به الاسلام قاطبة *	من التضعف في ركنيه والأود *
من لم يصب بأمر المؤمنين ولم *	يصبح بمهلكة وإلهم في صعد *
فقد أصبت به حتى تبين في *	عقل وديني ودنياي وفي جسدي *
يا ليلة يشتكى الاسلام مدتها *	والعالمون جميعا أخبر الأبد *
غدرت بالملك الميمون طائره *	وبالامام وبالضرغامه الأسـد *
سارت اليه المنايا وهي ترهبه *	فواجهته بأوغاد ذوى عدد *
بشورجين وأغتـام يقودهم *	قرش بالبيض في قمص من الزرد *
فصادفوه وحيدا لا معين له *	عليهم غائب الأنصار بالمد *
فجرعوه المنايا غير ممتنع *	فردا فيالك من مستسلم فرد *
يلقى الوجوه بوجه غير مبتذل *	أبى وأنقى من القوهية الجدد *
واحسرتا وقرش قد أحاط به *	والسيف مرتعد في كف مرتعد *
فما تحرك بل ما زال منتصبا *	منكس الرأس لم يبدى ولم يعد *
حتى اذا السيف وافى وسط مفرقه *	أذرتـه عنه يدها فـعل متـد *

وقام فاعتلقت كفاه لبتيه * كضيق شرس مستبسل لبسه
فاجتره ثم أهوى فاستقل به * للأرض من كف ليث مخرج حرد
فكاد يقتله لو لم يكائره * وقام منفلتبا منه ولم يكد
هذا حديث أمير المؤمنين وما * نقصت من أمره حرفا ولم ازد
لازلت أندبه حتى المات وان * أخنى عليه الذي أخنى على لبسه

وذكر عمر بن شبة أن محمد بن أحمد الهاشمي حدثه أن لبابة ابنة علي بن المهدي
قالت البيتين الآتين وقيل انهما لابنة عيسى بن جعفر وكانت مملكة بمحمد :

أبكىك لا للنعيم والأنس * بل للمعالي والرمح والترس
أبكى على هالك فجعت به * أرملنى قبل ليلة العرس

هجاء يحيى بن أكثم (١)

وعندنا في المجلد الأول أن نذكر مثلاً من الهجاء قاله بعض الشعراء في
يحيى بن أكثم ، وما هو ذا :

أرقه بصرح الهوى وسلمه * ومله الحب فبات ياله
طورا يعانيه وطورا يشتمه * مثل الحريق في الحشا يضره
ففاضت العين بدمع تسجمه * نمت عليه كل شوق يكتمه
وباح بالحب الذي يجمجمه * وبات واقلب يسامى همه
من لمحب قد تراه يرحمه * أصبح بالبأساء عار أنفه
طال تصاييه وطال سقمه * وبلى الجسم ورقه أعظمه
يشهدنى الله على من يظلمه * يمنعه طعم الكرى ويحرمه
واها له يصرم من لا يصرمه * أصبح هذا الدين رثا رمه
عظله الجور وطال قدمه * سحت من الجور عليه ديمه
فباد مغنى ربه وأرسمه * الا بقايا قومه وجممه

(١) انظر ما كتبناه عن يحيى بن أكثم في المجلد الأول (ص ٤٤٠) .

أوطنه الجور فأضحى معلمه * يرود فيه شاؤه ونعمه
من يشهد الجور فنحن نعلمه * أنوك قاض في البلاد نعلمه
يقول حقاً لا تعيث ترحمه * مذولى الحكم أبيع حرمه
وانتهكت من القضاء حرمه * واضطربت أركانه ودعمه
والله يبنيه ونحن نهلمه * ياليت يحيى لم يلد أكمه
ولم تطلأ أرض العراق قدمه * ملعونة أخلاقه وشيمه (١)
والله والله لقد حل دمه * لو أن للدين عماداً يدعمه
يعدل عنه الميل أو يقومه * لكان قد رن عليه ماتمه
أرجو ويقضى الله لا يسلمه * من وجهه هذا ولكن يقصمه
* بالسيف إذ حلت عليه نقيه *

وصف ثورة بغداد وحريقها

أما ما أصاب بغداد من سلب ونهب وتحريق وتخريب وفتنة شعواء وقتل ودماء ،
فانا نترك الكلمة في ذلك لشعراء ذلك العصر .

قال الأعمى يصف دمار الحرب :

تقطعت الأرحام بين العشائر * وأسلمهم أهل التقى والبصائر
فذاك انتقام الله من خلقه بهم * لما اجترموا من ركوب الكبائر
فلا نحن أظهرنا من الذنب توبة * ولا نحن أصلحنا فساد السرائر
ولم نستمع من واعظ ومذكر * فينجع فينا وعظ ناه وآمر
فابك على الإسلام لما تقطعت * عراه ورجسى ضره كل كافر
فأصبح بعض الناس يقتل بعضهم * فمن بين مقهور عزيز وقاهر
وصار رئيس القوم يمل نفسه * وصار رئيساً فيهم كل شاطر
فلا فاجر للبر يحفظ حرمة * ولا يستطيع البر دفعا لفاجر
تراهم كأمثال الذئاب رات دما * فامته لا تلوى على زجر زاجر
وأصبح فساق القبائل بينهم * تسل على أقرانها بالخناجر
فابك لقتلى من صديق ومن أخ * كريم ومن جار شفيق مجاور

(١) حذفنا بعد هذا البيت أربعة أبيات رأينا أنها تنافي الآداب العامة .

ووالدة تبكى بحزن على ابنها
 وذات حليل أصبحت وهى أيم
 تقول له قد كنت عزا وناصر
 وابك لاحراق وهمم منازل
 وابراز ربات الخدور حواسرا
 تراها حيارى ليس تعرف مذهبا
 كان لم تكن بغداد أحسن منظرا
 بلى هكذا كانت فأذهب حسنها
 وحل بهم ما حل بالناس قبلهم
 أبغداد يا دار الملوك ومجتمى
 ويا جنة الدنيا ومطلب الغنى
 أبينى لنا اين الذين عهدتهم
 وأين ملوك فى المواكب تغتدى
 وأين القضاة الحاكمون برأيهم
 أو القائلون الناطقون بحكمة
 وأين مراح (١) للملوك عهدتها
 ترش بماء المسك والورد أرضها
 وروح الندامى فيه كل عشية
 وأين قيان تستجيب لنعمةها
 وأين الملوك الغر من آل هاشم
 يروحون فى سلطانهم وكانهم
 يجادل عما نالهم كبراًؤهم
 فأقسم لو أن الملوك تناصروا
 فيبكى لها من رحمة كل ظائر
 وتبكى عليه باندموع البواذر
 فغيب عني اليوم عزى وناصرى
 وقتل وانهاب اللهى والذخائر
 خرجن بلا خمر ولا بمآزر
 نوافر أمثال الأطباء النوافر
 وملهى رآته عين لاه وناظر
 وبدد منها الشمهل حكم المقادر
 فأضحوا أحاديثا لباد وحاضر
 صروف المنايا مستقر المنابر
 ومستنبط الأموال عند الضرائر
 يحلون فى روض من العيش زاهر
 تشبه حسنا بالنجوم الزواهر
 لورد أمور مشكلات الأوامر
 ورصف كلام من خطيب وشاعر
 مزخرفة فيها صنوف الجواهر
 يفوح بها من بعد ريح المجامر
 الى كل قياض كريم العناصر
 اذا هو لبها حنين المزامر
 وأشياهم فيها اكتفوا بالمعاذر
 يروحون فى سلطان بعض العشائر
 فنالتهمو بالكره أيدى الأصاغر
 لذلت لها خوفا رقاب الجبابر

وقال عمرو بن عبد الملك الوراق يبكى بغداد ويهجو طاهرا ويعرض به :

من ذا أصابك يا بغداد بالعين * ألم تكونى زمانا قرة العين

(١) كذا فى الاصل ولعلها صروح .

أَلَمْ يَكُنْ فِيكَ أَقْصَاؤُهُمْ لَكُمْ شَرَفٌ * بِالصَّالِحَاتِ وَالْمَعْرُوفِ يَلْقَوْنِي
 أَلَمْ يَكُنْ فِيكَ قَوْمٌ كَانَ مَسْكَنُهُمْ * وَكَانَ قَرِيبَهُمْ زِينَا مِنَ الزَّيْنِ
 صَاحِبُ الزَّمَانِ بِهِم بِالْبَيْنِ فَانْقَرَضُوا * مَا ذَا الَّذِي فَجَعَتْنِي لَوْعَةِ الْبَيْنِ
 اسْتَوْدَعَ اللَّهُ قَوْمًا مَا ذَكَرْتَهُمْ * أَلَا تَحْدَرُ مَاءَ الْعَيْنِ مِنْ عَيْنِي
 كَانُوا فَرَقَهُمْ دَهْرٌ وَصَدَعَهُمْ * وَالْدَّهْرُ يَصْدَعُ مَا بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ
 كَمْ كَانَ لِي مَسْعَدٌ مِنْهُمْ عَلَى زَمْنِي * كَمْ كَانَ مِنْهُمْ عَلَى الْمَعْرُوفِ مِنْ عَوْنِ
 اللَّهُ دَرُ زَمَانٍ كَانَ يَجْمَعُنَا * أَيْنَ الزَّمَانُ الَّذِي وَلِي وَمَنْ أَيْسَنَ
 يَا مَنْ يَخْرُبُ بَغْدَادًا لِيَعْمَرَهَا * أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ مَا بَيْنَ الطَّرِيقَيْنِ
 كَانَتْ قُلُوبُ جَمِيعِ النَّاسِ وَاحِدَةً * عَيْنَا وَلَيْسَ يَكُونُ الْعَيْنُ كَالْدَيْنِ
 لَمَّا اسْتَبَيْتَهُمْ فَرَقْتَهُمْ فَرَقًا * وَالنَّاسُ طَرَا جَمِيعًا بَيْنَ قَلْبَيْنِ

ولبعض فتیان بغداد :

بَكَيْتُ دَمًا عَلَى بَغْدَادٍ لَمَّا * فَقَدْتُ غَضَارَةَ الْعَيْشِ الْأَتَقِ
 تَبَدَّلْنَا هُمُومًا مِنْ سُرُورٍ * وَمِنْ سَعَةِ تَبَدَّلْنَا بِضَيْقٍ
 أَصَابَتْهَا مِنَ الْحَسَادِ عَيْنٌ * فَافْتَتِ أَهْلَهَا بِالْمَنْجَنِقِ
 فَقَوْمٌ أَحْرَقُوا بِالنَّارِ قُسْرًا * وَنَائِحَةٌ تَنْوَحُ عَلَى غَرِيقٍ
 وَصَائِحَةٌ تَنَادَى وَاصْبَاحًا * وَبَاكِةٌ لِفَقْدَانِ الشَّفِيقِ
 وَحُورَاءُ الْمَدَامِ ذَاتِ دَلٍّ * مَضْمُخَةُ الْمَجَاسِدِ بِالْخُلُوقِ
 تَفَرُّ مِنَ الْحَرِيقِ إِلَى انْتِهَابٍ * وَوَالِدَهَا يَفِرُّ إِلَى الْحَرِيقِ
 وَسَالِبَةُ الْغَزَالَةِ مَقْلَتِيهَا * مَضَا حَكْمَهَا كَالْأَلَةِ الْبُرُوقِ
 حِيَارَى كَالْهَدَايَا مَبْكِرَاتٍ * عَلَيْهِنَ الْقَلَائِدُ فِي الْحُلُوقِ
 يَنَادِينَ الشَّفِيقَ وَلَا شَفِيقَ * وَقَدْ فَقَدَ الشَّفِيقَ مِنَ الشَّفِيقِ
 وَقَوْمٌ أَخْرَجُوا مِنْ ظِلِّ دُنْيَا * مَتَاعَهُمْ يَبِيعُ بِكُلِّ سَوِّقٍ
 وَمَغْتَرِبٌ قَرِيبُ الدَّارِ مَلَقَى * بِلَا رَأْسٍ بِقَارَعَةِ الطَّرِيقِ
 تَوْسَطَ مِنْ قِتَالِهِمْ جَمِيعًا * فَمَا يَدْرُونَ مِنْ أَى الْفَرِيقِ
 فَلَا وَلَدٌ يَقِيمُ عَلَى أَبِيهِ * وَقَدْ هَرَبَ الصَّدِيقَ مِنْ صَدِيقِ
 وَمَهْمَا أَنْسَ مِنْ شَيْءٍ تَوَلَّى * فَأَنَّى ذَاكَرُ دَارِ الرَّقِيقِ

بيان المصادر العربية والافرنجية الهامة

التي عولنا عليها في المراجعة لكتاب عصر المأمون

نثبت لك هنا الهام من مراجع الكتاب عدا دواوين الشعراء ومعجمات اللغة التي أشرنا اليها في مواضعها من الكتاب وهوامشه . وهي :

المصادر باللغة العربية :

- تاريخ الطبرى ، طبعة مصر وليدن .
- تاريخ الكامل لابن الأثير ، طبعة مصر .
- تاريخ مروج الذهب للمسعودي ، طبعة مصر وباريس .
- تاريخ اليعقوبي ، طبعة ليدن بإشراف السيوطي .
- تاريخ أبي الفدا للملك المؤيد ، طبعة الأستانة .
- تاريخ علماء الأندلس لأبي الوليد عبد الله محمد بن يوسف ، طبعة أوروبا .
- تجارب الأمم لابن مسكويه ، طبعة مصر .
- تاريخ العبر والمبتدا والخبر لابن خلدون ، طبعة مصر .
- الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري ، طبعة ليدن .
- نظم الجواهر لابن البطريق ، طبعة أكسفورد سنة ١٦٥٩ للمستشرق ادوار بوكوك .
- تاريخ دمشق لابن عساكر ، مخطوط .
- تاريخ المشارقة لصليبا بن يوحنا ، مخطوط .
- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، مخطوط .
- تاريخ بغداد لابن طيفور (الجزء السادس طبعة أوروبا) .
- تاريخ التشريع الاسلامي للمرحوم الخضرى بك ، طبعة مصر .
- تاريخ الآداب السلطانية والدول الاسلامية لابن طباطبا ، طبعة أوروبا .
- تاريخ النجوم الزاهرة لابن تغريبردى ، طبعة أوروبا .
- البدء والتاريخ لأبي زيد البلخي ، طبعة باريس سنة ١٨٩٩ « ارنست لرو » .
- الآثار الباقية للبيروني ، طبعة ليبزج .

مختصر تاريخ الدول لأبى الفرج الملقب،
 طبعة بيروت .

تاريخ الاسحقى ، طبعة أوروبا .

فتوح الشام للواقدي ، طبعة مصر .

نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، طبعة
 مصر .

ولاة مصر وقضائياتها للكندي ، طبعة
 بيروت .

مختصر أخبار الخلفاء لابن الساعي ،
 طبعة مصر .

كشف الظنون لحاجي خليفة ، طبعة
 الأستانة وليبزج ومصر .

المستطرف للإبشيهي ، طبعة بولاق .

معجم البلدان لياقوت الحموي ، طبعة
 ليبزج ومصر .

المزهر للسيوطي ، طبعة بولاق .

الأحكام السلطانية للماوردي ، طبعة
 أوروبا .

أعلام الناس للاتليدي ، طبعة مصر .

كتاب المعارف لابن قتيبة ، طبعة أوروبا .

معجم الأدباء لياقوت الرومي ، طبعة
 مصر وإشراف مرجليوث .

الفهرست لابن التديم ، طبعة ليبزج .

طبقات الأمم لابن صاعد ، طبعة بيروت .

طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ، طبعة
 مصر .

تراجم الحكماء للقفطي ، طبعة مصر .

طبقات الأدباء لعبد الرحمن الأنباري ،
 طبعة مصر .

وفيات الأعيان لابن خلكان ، طبعة
 مصر .

وفات الوفيات لابن شاعر الكتبي ،
 طبعة مصر .

الملل والنحل للشهرستاني ، طبعة مصر .

ألف باء ليوسف البلوي ، طبعة مصر .

مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري ،
 طبعة دار الكتب .

فتوح البلدان للبلاذري ، طبعة لندن .

كتاب البلدان لابن الفقيه الهمداني ،
 طبعة لندن .

كتاب البلدان لليعقوبي ، طبعة لندن .

مسالك الممالك للاصطخري ، طبعة
 لندن .

المسالك والممالك لابن حوقل ، طبعة
 لندن .

أحسن التقاسيم للمقدسي ، طبعة لندن .

المسالك والممالك لابن خرداذبه ، طبعة
 لندن .

الأعلاق النفيسة لابن رسته ، طبعة
 لندن .

حسن المحاضرة للسيوطي ، طبعة مصر .

بلوغ الأرب في أحوال العرب للألوسي
 طبعة بغداد .

مقدمة الياذة هوميروس تعريب البستاني
 طبعة مصر .

حضارة الاسلام في دار السلام لجميل
 مدور ، طبعة مصر .

كتاب الأغاني للأصبهاني ، طبعة بولاق
 والساسي .

الجزء الأول من كتاب الأغاني ، طبع
 مطبعة دار الكتب المصرية .

نهاية الأرب ، طبع مطبعة دار الكتب
المصرية والنسخة الفوتوغرافية
بالدار .

صبح الأعشى ، طبع مطبعة دار الكتب
المصرية .

كتاب التاج المنسوب للجاحظ ، طبع
مطبعة دار الكتب المصرية .

كتاب الأمالي لأبي علي القالي ، طبع
مطبعة دار الكتب المصرية .

كتاب الكامل للمبرد ، طبعة مصر .
كتاب البيان والتبيين للجاحظ ، طبعة
مصر .

العمدة لابن رشيق ، طبعة مصر .

كتاب المحاسن والمساوي للبيهقي ، طبعة
فردرك شوالى .

كتاب المحاسن والاضداد للجاحظ ، طبعة
ليدن .

كتاب البخلاء للجاحظ ، طبعة مصر .

كتاب الحيوان للجاحظ ، (نسخة
فوتوغرافية محفوظة بدار الكتب
المصرية) .

كتاب الكشكول للعاملى ، طبعة مصر .

سراج الملوك للطرطوشي ، طبعة مصر .

كتاب الخراج لقدامة بن جعفر ، طبعة
ليدن .

كتاب الخراج لأبي يوسف ، طبعة
بولاق .

تاريخ الوزراء المنسوب للصولي ، طبعة
بيروت .

أشهر مشاهير الاسلام ، للمرحوم رفيق
العظم بك ، طبعة مصر .

كتاب نفح الطيب ، طبعة مصر وأوربا .
مفاتيح العلوم للخوارزمي ، طبعة مصر .
مفيد العلوم للخوارزمي ، طبعة مصر .
كتاب المواهب الفتحة للمرحوم الشيخ
حمزة فتح الله ، طبعة مصر .

كتاب السيرة لابن هشام ، طبعة مصر .
مقدمة ابن خلدون ، طبعة مصر .
خطط الشام للأستاذ محمد كرد علي ،
طبعة دمشق .

مجموعة مجلة المشرق ، طبعة بيروت .
مجموعة مجلة المجمع العلمي ، طبعة
دمشق .

مجموعة مجلة الهلال ، طبعة مصر .

مجموعة مجلة المقتطف ، طبعة مصر .

بعض فصول ومباحث من المجلة
الأسبوعية .

حديث الأربعاء للدكتور طه حسين ،
طبعة مصر .

منهل الرواد في علم الانتقاد لقسطاكي
الحمصي بك ، طبعة مصر .

محاضرات الأستاذ الاسكندر المدرس
بدار العلوم ، طبعة مصر .

الوسيط للأستاذ الاسكندر المدرس
بدار العلوم ، طبعة مصر .

أدبيات اللغة العربية للأستاذ مصطفى
صادق الرافعي ، طبعة مصر .

أدبيات اللغة العربية للمرحوم عاطف
بركات بك وزملائه ، طبعة مصر .

مهنب الأغاني للمرحوم النضري بك ،
طبعة مصر .

بلاغة العرب للدكتور أحمد ضيف ،
طبعة مصر .

الشعر والشعراء لابن قتيبة ، طبعة
ليدن .

طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي ،
طبعة ليدن ومصر .

كتاب الأذكياء لابن الجوزي ، طبعة
مصر .

العقد الفريد للملك السعيد ، طبعة
مصر .

العقد الفريد لابن عبد ربه ، طبعة مصر .

لطائف المعارف للثعالبي ، طبعة ليدن .

عيون الأخبار لابن قتيبة ، طبعة دار
الكتب وأوربا .

حلبة الكميت ، طبعة بولاق .

خزانة الأدب لابن حجة الحموي ، طبعة
بولاق .

خزانة الأدب للبغدادى ، طبعة بولاق .

محاضرات الفلسفة لسننلانه بالجامعة
المصرية .

محاضرات علم الفلك بالجامعة المصرية
للمسنيور كارلوفلينو ، طبعة روما .

مفتاح السعادة ومصباح السيادة
لطاشكبرى زاده طبعة حيدر آباد .

محاضرات الشيخ عبد الوهاب النجار
بالجامعة المصرية .

محاضرات المرحوم الشيخ محمد المهدي
بالجامعة المصرية .

محاضرات الأستاذ الخضرى بك فى تاريخ
الأمم الاسلاميه ، طبعة مصر .

محاضرات الأستاذ الحضري بك فى تاريخ
الدولة الأموية ، طبعة مصر .

التملن الاسلامي للمرحوم جورجى بك
زيدان ، طبعة مصر .

تاريخ آداب اللغة العربية للمرحوم
جورجى بك زيدان ، طبعة مصر .

طبقات ابن سعد ، طبعة أوربا .

طبقات الشافعية للسبكي ، طبعة مصر .

المنثور والمنظوم لابن طيفور .

رسالة بنى أمية للجاحظ ، خطية .

كتاب الوزراء والكتاب لأبى عبد الله
محمد بن عبدوس الجهشيارى طبعة

فيينا سنة ١٩٢٦ .

كتاب الاشتقاق لابن دريد الأزدي طبعة
جوتنجن سنة ١٨٥٤ .

الأوراق للصولي ، خطية .

مطبوعات تذكاري جيب الانجليزية وخاصة

مؤلفات الأستاذين مرجليوث وبراون .

زهر الآداب للحصرى ، طبعة مصر .

المشتبه فى أسماء الرجال للذهبي ، طبعة
أوربا .

الوافى بالوفيات للصفدى (المحفوظ

بدار الكتب المصرية تحت رقم
١٢١٩) .

أخبار أبى نواس لابن منظور ، طبعة
مصر .

رسائل البلغاء للأستاذ محمد كرد على ،
طبع مصر .

جمهرة أشعار العرب لأبى زيد ، طبعة
مصر .

المفضليات للضبى ، طبعة مصر .

حماسة البحتري ، طبعة بيروت •

الصناعتين لأبي هلال العسكري ، طبعة
مصر •

الموشى لأبي الطيب ، طبعة أوروبا •

ديوان الحماسة لأبي تمام ، طبعة مصر •

مجانى الأدب وشرحه ، طبعة بيروت •

مختارات البارودي ، طبعة مصر •

حياة الحيوان للدميري ، طبعة مصر •

عيون التواريخ لابن شاعر الكتبي
(أجزاء منه محفوظة بدار الكتب
المصرية) •

الفرج بعد الشدة للتنوخي ، طبعة
مصر •

المصادر الأفرنجية :

- Histoire des Arabes par Cl. Huart : Paris.
- Life of Mohamet by Sir W. Muir. (London).
- The Life and Teachings of Mohammed and the Spirit of Islam by Ameer Ali. (London).
- D. S. Margoliouth : Mohammed and the Rise of Islam. (London)
in « Heroes of the Nations' Series ».
- H. Lammens : « Etudes sur les régnes des califs Omayyades Moawie
1er et Yasid 1er ». (Beyrouth).
- Library of Universal History (N.Y.).
- History of Arabic Literature : Cl. Huart. (London).
- A Literary History of Persia : Ed. G. Browne. (London).
- A Literary History of the Arabs by R.A. Nicholson. (London).
- Short History of the Saracens by Ameer Ali, (London).
- The Caliphate : its rise decline and fall by Sir W. Muir. (London).
- Annals of the Early Caliphate by Sir W. Muir. (London).
- Baghdad during the Abbasid Caliphate by G. le Strengé. (Oxford).
- Encyclopaedia of Islam. (Luzac).
- Encyclopaedia Britannica. (London).
- La Grande Encyclopédie. Paris.
- The Historians' History of the World by H. S. Williams. (New York).
- Ency. of Religion & Ethics by I. Hastings. (London).
- The History of the Decline and Fall of the Roman Empire by Gibbon.
(London).
- The History of Philosophy in Islam by J. de Boer translated by
Jones. (London).
- Muhammedanische Studien by Ignaz Goldziher, (Halle).

Histoire des Musulmans d'Espagne Jusqu'à la Conquête de l'Andalusie
par les Almoravides by R. Dozy. (London).

Development of Muslim Theology. Jurisprudence and Constitutional
Theory by D. B. Macdonald. (London).

Margoliouth's Works Etc.

R. Dozy : Supplément aux Dictionnaires Arabes. 1927.

Bibliothek Arabischer Historiker und Geographen : Hans V. Mzik.
(Leipzig).

أقرأ في هذه السلسلة

جوزيف داهموس
سبع معارك فاصلة في العصور
الوسطى

د - لينواير تشامبرزلايت
سياسة الولايات المتحدة
الأمريكية أزاء مصر

د - جون شغلر
كيف تعيش ٢٦٥ يوماً في
السنة

بيير البير
الصحافة

د - غبريال وهبة
ثر الكوميديا الإلهية لداونتي
في الفن التشكيلي

د - رمسيس عوض
الأيدي الروسي قبل الثورة
البلشفية وبعدها

د - محمد نعمان جلال
حركة عدم الانحياز في عالم
متغير

فرانكلين ل - باومر
الفكر الأوربي الحديث ٤ ج

شركت الريعي
الفن التشكيلي المعاصر في
الوطن العربي

د - محي الدين أحمد حسين
الكتشفة الأسرية والإلقاء الصغير

ج - داني اندرو
نظريات الفيلم للكبرى

جوزيف كونراد
مختارات من الأدب القصصي

د - جومان نورشتر
الحياة في الكون كيف نشأت
وأيّن توجد

طائفة من العلماء الأمريكيين
جسادة النفاق الاستراتيجي
حرب الفضاء

د - السيد عليوة
إدارة الصراعات الدولية

د - مصطفى عناني
الميكروكمبيوتر

جموعة من الكتاب اليابانيين القدماء
والحديثين

مختارات من الأدب الياباني
• الشعر - الدراما - الحكاية -
القصة القصيرة •

بيل شول وانثيث
الفترة النفسية للأهرام

د - صفاء خروصي
فن الترجمة

رالف تي مانلو
تولستوي

مكتور بروميد
ستدال

ميكتر هوجو
رسائل واحاديث من المنفى

فيرنر هيرنبودج
الجزء والكل - محاورات في مضمار
الفيزياء الذرية -

سفي موك
التراث القامض - ماركس
والماركسيون

ف - ح - أيتكوف
فن الأدب الروائي عند تولستوي

مادي نعمان الهيتي
أدب الأطفال - فلسفته - لغته -
وسائطه -

د - نعمة رحيم المزاري
أحمد حسن الزيات كاتباً وناقداً

د - فاضل أحمد الطائي
أعلام العرب في الكيمياء

جلال العشري
فكرة المسرح

هنري باربوس
الجسيم

السيد عليوة
صنع القرار السياسي في
مؤسسات الإدارة العامة

جاكوب برونوفسكي
التطور العضاري للإنسان

د - روجر ستروجان
هل نستطيع تعليم الأخلاق
للأطفال ؟

كانثي ثير
تربية النواجر

٠١ سينسر
الموتى وعالمهم في مصر
القديمة

د - ناعوم بيتروفيتش
البحر والطب

يرتراند رسل
أحلام الأعلام وقصص أخرى
ي - راندو نكاياوم جابوتسكي
الإلكترونيات والحياة الحديثة

النس مكسلي
نقطة مقابل نقطة

ت - ر - هريمان
الجغرافيا في مائة عام

رايموند وليامز
الثقافة والمجتمع

ر - ج - فريس و٠١ ج - بيكستر و٠
تاريخ العلم والتكنولوجيا
٢ ج

ليسريل د
الأرض الغامضة

والتر آلي
الرواية الإنجليزية

لويس مارحاس
المرشد إلى فن المسرح

مراتسو دوماس
آلهة مصر

د - قدرى حمدي ولعرو
الإنسان المصري على الشاشة

أولج مراكف
القاهرة مدينة ألف ليلة وليلة

ماشم النحاس
الهوية القومية في السيفما

بيفيد وليام ماكوال
مجموعات اللقود - صياقتها
تصنيفها - عرضها

عزيز الشوان
الموسيقى تعبير نفسي ومنطق

د - محسن جاسم الموسوي
عصر الرواية

بيلان توماس
مجموعة مقالات نقدية

جون لويس
الإنسان ذلك الكائن القوي

جول ويست
الرواية الحديثة - الإنجليزية
والفرنسية

د - عبد العطي شعراوي
المسرح المصري المعاصر
أصله وبنائه

أندرو العدداوي
على محمود طه الشاعر والناقد

جابريل باير
تاريخ ملكية الاراضي في مصر
الحديثة

نطوني دى كرسيني وكينيث هينز
اعلام الفلسفة السياسية
المعاصرة

دوايت سوين
كتابة السيناريو للسينما

زائيلسكى ف. س
الزمن وقياسه (من جزء من
البليون جزء من الثانية وحتى
مليارات السنين)

مهندس ابراهيم القرضاوى
اجهزة تكييف الهواء

بيتر رداى
الخدمة الاجتماعية والانتساب
الاجتماعى

جوزيف دامموس
سبعة مؤرخين في العصور
الوسطى

س. م. بورا
التجربة اليونانية

د. عاصم محمد رزق
مراكز الصناعة في مصر
الاسلامية

رونالد د. سمبسون ونورمان د.
اندرسون
العلم والطالب والمدرس

د. انور عبد الملك
الشارع المصرى والفكر

ولت وثمان رومستر
حوار حول التنمية الاقتصادية

فرد. س. هيس
تبسيط الكيمياء

جون لويس بوركهارت
العادات والتقاليد المصرية
من الامثال الشعبية في عهد
محمد على

الان كاسييار
التذوق السينمائى

سامى عبد المعلى
للتخطيط السياحى في مصر
بين النظرية والتطبيق

مريد مويل وشاندرا ويكراما سينج
البذور الكونية

حسين حلى المهندس
براما الشاشة (بين النظرية
والتطبيق) للسينما والتلفزيون
٢ ج

روى روبرتسون
الهيروين والايبز والترهما في
المجتمع

نور كامس ماكلينتوك
صور افريقية - نظرة على
حيوانات افريقيا

هاشم النحاس
لجيب محفوظ على الشاشة
د. محمود سرى طه

الكومبيوتر في مجالات الحياة

بيتر لورى
المفردات حقائق نفسية

بوريس فيسوفيتش سيرجيف
وظائف الاعضاء في الالف
الماء

ويليام بيتز
الهندسة الوراثية للجميع

ليفيد النرتون
تربية اسماء الزينة

احمد محمد الشنولى
كتب غيرت الفكر الانسانى

جون. ر. بورر وميلتون جولدينجر
الفلسفة وقضايا العصر ٣ ج

ارنولد توينبى
الفكر للتاريخى عند الاغريق

د. صالح رضا
ملاحق وقضايا في الفن
التشكيلى المعاصر

م. ه. كنج وآخرون
التأنيذ في البلدان النامية

جورج جاموف
بداية بلا نهاية

د. السيد طه السيد ابو سفيرة
الحرف والصناعات في مصر
الاسلامية منذ الفتح العربى
حتى نهاية العصر الفاطمى

جاليليو جاليليه
حوار حول النظامين الرئيسيين
للكون ٣ ج

اريد موريس والان هو
الانهاى

سيريل النريد
الحنان

ارثر كينستلر
القبيلة الثالثة عشرة ويهو.
اليوم

ب. خولان
الاساطير الاغريقية والرومانية

د. توماس ا. هاريس
التوافق النفسى - تحليل
المعاملات الانسانية

لجنة الترجمة
الجلس الاعلى للثقافة
النليل البيليوجرافى
روائع الاداب العالمية ١

روى آرمز
لغة الصورة في السينما المعاصرة

ناجى متشيو
الدورة الاصلاحية في اليابان

بول هاريسون
العالم الثالث غدا

ميكايل البى وجيمس افلوك
الاقراض الكبير

آدامز فيليب
نليل تنظيم الملاحق

فيكتور مورجان
تاريخ الثقود

محمد كمال اسماعيل
التحليل والتوزيع الاوروكستولى

ابو التاسم الفردوسى
الشاشنة ٢ ج

بيرتون بورتر
الحياة الكريمة ٢ ج

جاءه كرابس جوايورد
كتابة التاريخ في مصر القرن
التاسع عشر

محمد فزاد كويرلى
قيام الدولة العثمانية
توني بار

للتشيل للسينما والتلفزيون
تاجور. شين ين بنج وآخرون
مقترحات من الاداب الاسيوية

ناصر خمرى علوى
سفرنامه

ناسين جوريمير وجريس اوجوت
واخرون
سقوط المطر وقصص اخرى

احمد محمد الشنولى
كتب غيرت الفكر الانسانى
٧ ج

جان لويس بورى وآخرون
في النقد السينمائى الفرنسى

العثمانيون في اوربا
بول كراز

كريستيان ساليه السيناريو في السينما الفرنسية	د بيارد دودج الأزهر في ألف عام	موريس بير براير صناع الخلود
بول ولرن خطايا نظام النجم الأمريكي	ستيلن ولنسيمان الحملات الصليبية	زيجمونت هيز جماليات فن الاخراج
جورج ستاينز بين تولستوى ودوستويفسكي ٢ ج	هـ جـ ولز مهاجم تاريخ الانسانية ٤ ج	جوناثان ريلي سميث الحملة الصليبية الاولى وفكره الحروب الصليبية
يانكر لافرين الرومانتيكية والواقعية	جوستاف جرونياوم حضارة الاسلام	الفريد جـ بتلر الكنايس القبطية القديمة مصر ٢ ج
حمود سامي عطا الله الفيلم التسجيلي	د عبد الرحمن عبد الله الشيع رحلة يبرتون الى مصر والحجاز ٢ ج	ريتشارد شاخز رواد الفلسفة الحديثة
جوزيف بتس رحلة جوزيف بتس	جلال عبد الفتاح الكون ذلك المجهول	ترانيم زراشت من كتاب الاقنسا المقدس
ستانلي جيه سولومون انواع الفيلم الأمريكي	ارنولد جزل واخرون تطفل من الخامسة الى العاشرة ٢ ج	الحاج يونس المصري رحلات فارتيما
ماري بـ ناش الحمر والبيض والسود	يادى اونيمود الغريب - الطريق الآخر	هربرت ثيلر الاتصال والهيمنة الثقافية
جوزيف مـ يوجز فن الفرقة على الافلام	د محمد زينهم فن الزجاج	برتراند راسل السلطة والفرد
كريستيان ديروش نوبلكر المرأة الفرعونية	برفسلاو مالينوفسكى السحر والعلم والدين	بيتر نيكوللز السينما الخيالية
جوزيف يندهام يوجز تاريخ العلم والحضارة في الصين	ادم مترز الحضارة الاسلامية	ادوارد ميرى النقد السفناتى الامر
ليوناردو دافنشى نظرية التصوير	فانس بكارد انهم يصنعون البشر	نفتالى لويس مصر الرومانية
ت ج هـ جيمز كنوز الفراغة	عبد الرحمن عبد الله الشيع وميات رحلة فاسكو داجاما	سيق اورميت التاريخ من شتى جوانبه ٢ ج
رونولف فون هابسبرج رحلة الامير رنولف الى الشرق ٢ ج	ايهرى شاتومس كونتا المتعدد	موسى براج واحسرو السينما العربية من الخليج الى المحيط
مالكوم براىبرى الرواية اليوم	سودارو الفلسفة الجوهري	فانس نكار لهم يصنعون البشر ٢ ج
وليم مارسنى رحلة ماركو بولو ٢ ج	مارتن فان كريفك حرب المستقبل	هاجر محمد الجرار ماستريخت
ميرى بيرين تاريخ اوربا في العصور الوسطى	فرانسيس جـ برجيند الاعلام التطبيقية	برار كريم الله من هم القتل
ديفيد شنيدر نظرية الانب المعاصر، وفراة الشعر	عبد مياش ليحرية المصرية من محمد على المسادات	ج س ميرر الكاتب الحديث وعالمه ٢ ج
اسحق عظيموف العلم والحق المستقبل	جـ كارفيل تبسيط المفاهيم الفلسفية	سوريل عبد الله حديث الدهر من روائع الآداب الهلمية
رونالد دافيد لانج الحكمة والجنون والعمالة	توماس ليبهاورد من المايه والبانتوميه	لوريتو تود مخل الى علم اللغة
كارل بربر نشا من عالم الطفل	ادوارد دويوتو التفكير المتجدد	اسحق عظيموف الشموس المتفجرة سرار السوير فوطا
فورمان كلارك الاقتصاد السياسي للعلم والتكنولوجيا	ويليام مـ مانير ما هي الجيوبولوجيا	مارجريت رود ما بعد العدالة

المسيد نصر الدين السيد اطلالات على الزمن الآتى	ونفرد هولز كالت ملكة على مصر	روبرت سكولز وآخرون اتفاق أدب الخيال العلمى
ممدوح عطية البرنامج النووى الاسرائيلى والامن القومى العربى)	ميمس هنرى برستد تاريخ مصر	ب. س. ليفين المفهوم الحديث للمكان والزمان
ليوبوسكاليا الحب	بول داهير التناقض الثلاث الاخيرة	س. هوارد اشهر الرحلات الى غروب افريقيا
ايور ايفانس مجلد تاريخ الانب الانجليز	حوريف وهارى فيلسان سينامية الفيلم	و. يارتولد تاريخ الترك فى اسيا الوسطى
ميربرت ريد التربية عن طريق الفن	ج. كورنتنو الحضارة الفينيقية	فلاديمير تيمانيانو تاريخ اوريا الشرقية
وليام بينر معجم التكنولوجيا الحيوية	ارنست كامبرو فى المعرفة التاريخية	جابريل جاجارسيا ماركيز الجنرال فى المتاهة
الفين توفلر تحول السلطة ٢ ج	كت. ا. كشن رمسيس الثانى	هنرى برجسون الفسحة
يوسف شرارة مشكلات القرن الحادى والعشرين والعلاقات الدولية	جان برل سارتر وآخرون مختارات من المسرح العالمى	مصطفى محمود سليمان الزلازل
رولاند جاكسون الكيمياء فى خدمة الانسان	وزالند. وجاك يانسن الطلل المصرى القديم	م. و. ثرنج تفسير المهلس
ت. ج. جيمز الحياة ايام القراعة	نيكولاس ماير شرلوك هولز	١٠ ر. جرنى الحيثيون
حرج كاشمار لماذا تنشب الحروب ٢ ج	ميجيل دى لبيس الفنران	ستيفن موسكاتى لحضارات السامية
حسام الدين ركبى انطون بروكتر	جوسيبى دى لونا موسولينى	د. البرت حورائى تاريخ الشعوب العربية
ازرا ف. هوجل المعجزة اليابانية	الوير جرايتر مولسارت	محمود قاسم الادب العربى المكتوب بالفرنسية
	على عبد الرؤوف البمبر مختارات من الشعر الاسيائى	

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٧٦٦٩/١٩٩٧

ISBN — 977 — 01 — 5255 — 2

تهدف الهيئة المصرية العامة للكتاب من مشروع الألف كتاب الثاني إلى مواصلة مسيرة المشروع الأول بتكوين مكتبة متكاملة للقارئ العربي في شتى جوانب المعرفة عن طريق الترجمة والتأليف، فضلاً عن إعادة طبع الأعمال الفكرية والعلمية والأدبية الهامة التي أسهمت في تكوين الثقافة المصرية والعربية في العصر الحديث.

وفي هذا الإطار يسعى المشروع إلى تسليط الضوء على تاريخ مصر وحضارتها عبر العصور، وقد أصدر ٢٣ كتاباً حتى الآن في هذا الموضوع:

موريس بيير برير، صناع الخلود

الفريد بتلر، الكنائس القبطية في مصر

نفتالي لويس، مصر الرومانية

ت. جيمز، كنوز الفراعنة

(انظر القائمة المفصلة داخل الكتاب)

وهذا الكتاب هو الجزء الثاني والأخير من موسوعة هامة عن أخصب مراحل تكوين الحضارة العربية الإسلامية، ألا وهي عصر الخليفة العباسي المستنير المأمون. وتنقسم هذه الموسوعة النفيسة إلى ثلاثة كتب تعالج تاريخ الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية والحياة العملية والأدبية في كلا هذين العصرين، وأردف المؤلف ثلاثة ملاحق من مختاراته من المنشور والمنظوم والنصوص الطويلة والمقالات المستفيضة، مع اختيار كاتب وشاعر بارزين من العصر الأموي وكذلك العباسي لتحليل أعمالهما كمرآة لعصرهما. وقد صدرت موسوعة عصر المأمون في الطبعة الأصلية قبل أكثر من ٦٠ عاماً في ثلاثة أجزاء، ولكننا حرصنا في تلك الطبعة على ضمها في جزئين تيسيراً لاقتنائها والاطلاع عليها دون أدنى اختصار لمحتوياتها.